احسن تفسيرا وسراجا منيرا

قد استتب طبع الجزء الا[illegible] بتفسير القرآن نقلا من مطبوع المصر اعظم البلدان

الشهير

السراج المنير

من تصنيفات

العالم النبيل الفاضل الجليل الخبير الاديب محمد الشربيني الخطيب

في المطبع الكائن في لكنو المعزى الى منشي نول كشور

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشعراء مكية

الا قوله والشعراء الى اخرها فمدنى وهى مائتان وست وعشرون اية والف ومائتان وسبع وتسعون
كلمة وخمسة الاف وخمسمائة واثنان واربعون حرفا روى البغوى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال اعطيت طه والطواسين من الواح موسى عليه السلام بِسْمِ اللّٰهِ الذى دل علو كلامه على عظمة
شانه وعز مرامه الرَّحْمٰنِ الذى لا يعجل على من عصاه الرَّحِيْمِ الذى يحيى قلوب اهل وده بالتوفيق لما
يرضاه طسٓمٓ قال ابن عباس عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفى رواية عنه انه قسم وهو من اسماء الله
تعالى وقال قتادة اسم من اسماء القران وقال مجاهد اسم السورة وقال محمد بن كعب القرظى
اقسم بطوله وسناه وملكه ولهذا الاختلاف قال الجلال المحلى الله اعلم بمراده بذلك وقد قدمنا
الكلام على اوائل السور فى اول سورة البقرة وقرأ حمزة والكسائى وشعبة بامالة الطاء والباقون
بالفتح واظهر حمزة النون من سين عن الميم وادغمها الباقون وهى فى مصحف عبد الله بن مسعود طس م
مقطوعة من بعضها تِلْكَ اى هذه الايات العالية المرام الحائزة اعلى مراتب التمام المؤلفة من هذه
الحروف التى تتناطقون بها وكلمات السنتكم اٰيٰتُ الْكِتٰبِ اى القران الجامع
لكل فرقان الْمُبِيْنِ اى الظاهر اعجازه المظهر الحق من الباطل ولما كان عنده صلى الله عليه وسلم
مزيد الشفقة وعظم الرحمة على قومه قال تعالى تسلية له [illegible]

ألّا يكونوا أي قومك مؤمنين أي لأجل عدم إيمانهم أي لا تبالغ في الحزن والأسف فإن هذا الكتاب
في غاية البيان في نفسه والإبانة لغيره وقد تقدم في غير موضع أنه ليس عليك إلا البلاغ
ولو شئنا لهديناهم طوعاً أو كرهاً والبخع أن يبلغ بالذبح النخاع بالخاء والباء وهو عرق مستبطن الفقار
وذلك أقصى حد الذبح ولعل للإشفاق أي أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من
إيمان قومك فصبره وعزاه وعرفه أن حزنه وغمه لا ينفع كما أن وجود الكتاب ووضوحه لا ينفع
ثم أنه تعالى أعلمه بأن كل ما هم فيه إنما هو بإرادته بقوله تعالى إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ وعبر بالمضارع
فيهما إعلاماً بدوام القدرة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون الثانية وإخفائها عند الزاي وتخفيف
الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي ثم قال تعالى محققاً للمراد مِنَ السَّمَاءِ أي التي جعلنا
فيها بروجاً للمنافع وأشار إلى تمام القدرة بتوحيدها بقوله تعالى آيَةً أي قاهرة كما فعلنا
ببعض من قبلهم بنتق الجبل ونحوه. تنبيه: هنا همزتان مختلفتان أبدل نافع وابن كثير
وأبو عمرو الهمزة الثانية المفتوحة بعد المكسورة ياء خالصة وحققها الباقون ثم أشار
تعالى إلى تحقق هذه الآية بالتعبير بالماضي في قوله تعالى عطفاً على ننزل لأنه في معنى أنزلنا فَظَلَّتْ
أي عقب الإنزال من غير مهلة أَعْنَاقُهُمْ أي التي هي موضع الصلابة وعنها تنشأ حركات الكبر
والإعراض لَهَا خَاضِعِينَ أي منقادين. تنبيه: خاضعين خبر عن أعناقهم واستشكل جمعه جمع سلامة
لأنه مختص بالعقلاء فأجيب عنه بأوجه أحدها أن المراد بالأعناق رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا
بالأعناق كما يقال لهم الرؤس والنواصي والصدور قال القائل: في محفل من رؤس الناس مشهود
ثانيها أنه على حذف مضاف أي فظل أصحاب الأعناق ثم حذف وبقي الخبر على ما كان عليه قبل حذف المخبر
عنه مراعاة للمحذوف ثالثها أنه لما أضيفت إلى العقلاء اكتسبت منهم هذا الحكم كما يكتسب التأنيث بالإضافة لمؤنث
في قوله: كما شرقت صدر القناة من الدم. رابعها قال الزمخشري أصل الكلام فظلوا لها خاضعين
فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع ترك الكلام على أصله كقولهم ذهبت أهل اليمامة كأن
الأهل غير مذكور وتوزع في التنظير لأن أهل ليس مقحماً البتة لأنه المقصود بالحكم خامساً أنها
عوملت معاملة العقلاء كقوله تعالى ساجدين وطائعين في يوسف والسجدة وقيل إنما قال تعالى
خاضعين لموافقة رؤس الآي لتكون على نسق واحد وَمَا يَأْتِيهِمْ أي الكفار مِنْ ذِكْرٍ أي
موعظة أو طائفة من القرآن يذكرهم إتيانه فيكون سبب ذكرهم وشرفهم مِنَ الرَّحْمَٰنِ أي
الذي أنكروه مع إحاطة نعمه بهم مُحْدَثٍ أي بالنسبة إلى تنزيله وعلمهم به وأشار تعالى إلى دوام
كبرهم بقوله تعالى إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ أي إعراضاً هو صفة لهم لازمة ولما كان حال المعرض
عن الشيء حال المكذب به قال تعالى فَقَدْ أي فتسبب عن هذا الفعل منهم أنه قد كَذَّبُوا أي
بالذكر بعد إعراضهم وأمعنوا في تكذيبه بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمناً في قوله

قوله من رؤس الناس في الكشاف من نواصي الناس

وعواقب ما اى العذاب الذى كانوا به يستهزؤن اى يهزؤن من انه كان حقا او باطلا وكان
حقيقا بان يصدق ويعظم امره او يكذب فيستخف امره ثم قال تعالى معجبا منهم أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ
اى على سعتها واختلاف نواحيها ونبه على كثرة ما فيها من جميع الاصناف بقوله تعالى
كَمْ أَنْبَتْنَا اى بما لنا من العظمة فيها بعد ان كانت يابسة ميتة لا نبات فيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ اى صنف
متشاكل بعضه لبعض فلم يبق صنف يليق بهم فى العاجلة الا اكثرنا من الانبات منه كَرِيمٍ
اى كثير المنافع محمود العواقب هو صفة لكل ما يحمد ويرضى وهو ضد اللئيم وههنا يحتمل معنيين
احدهما النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت فى الارض من جميع اصناف النبات النافع
وخلى ذكر الضار والثانى ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على
انه تعالى ما انبت شيئا الا فيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لحكمة بالغة وان غفل عنها
الغافلون ولم يتصل الى معرفتها العاقلون ولما كان ذلك باهرا للعقل منبها له فى كل حال على عظيم
اقتدار صانعه وبديع اختياره وصل به قوله تعالى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ اى الامر العظيم لَآيَةً اى دلالة
على كمال قدرته تعالى فان قيل حين ذكر الازواج دل عليها بكلمتى الكثرة والاحاطة وكان لا يحصيها
الا عالم الغيب فكيف قال ان فى ذلك لآية وهلا قال لآيات اجيب بوجهين احدهما ان يكون ذلك
مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان فى ذلك الانبات لآية ثانيهما ان يراد ان فى كل واحد
من تلك الازواج لآية وَ الحال انه مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ اى البشر مُؤْمِنِينَ فى علم الله تعالى وقضائه فلذلك
لا ينفعهم مثل هذه الايات العظام وقال سيبويه كان زائدة وَإِنَّ اى والحال ان رَبَّكَ
اى الذى احسن اليك بالارسال وسخر لك قلوب الاصفياء وزوى عنك الالداء والاشقياء
لَهُوَ الْعَزِيزُ اى ذو العزة ينتقم من الكافرين الرَّحِيمُ يرحم المؤمنين ولما كان معظم ‏ع
فى ذكر القصص تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم فيما يقاسيه من الاذى والتكذيب وكان
موسى عليه السلام قد اختص بالكتاب الذى ما بعد القرآن مثله والايات التى ما اتى
بمثلها احد قبله بدأ بذكره فقال تعالى وَإِذْ اى واذكر اذ نادى رَبُّكَ اى المحسن اليك بكل ما يمكن
الاحسان به فى هذه الدار ثم ذكر المنادى بقوله تعالى مُوسَىٰ اى حين رأى الشجرة والنار واختلف
اهل السنة فى النداء الذى سمعه موسى عليه السلام اهو الكلام القديم او صوت من الاصوات قال
ابو الحسن الاشعرى رضى الله تعالى عنه هو الكلام القديم فكما ان ذاته تعالى لا تشبه سائر الذوات مع ان
الدليل دال على انها معلومة ومرئية فى الآخرة من غير كيف ولا جهة فكذا كلامه منزه عن مشابهة
الحرف والصوت مع انه مسموع وقال الماتريدى هو من جنس الحروف والاصوات واما المعتزلة
فقد اتفقوا على ان ذلك النداء كان بحروف واصوات علم به موسى من قبل الله تعالى فصار
معجزا علم به موسى ان الله تعالى مخاطب له فلم يحتج مع ذلك لواسطة ثم ذكر تعالى ما له النداء بقوله تعالى
آ اى بان ائْتِ الْقَوْمَ اى الذين فيهم قوة واى قوة الظَّالِمِينَ رسولا ووصفهم بالظلم لكفرهم

واستبعادهم بنى اسرائيل وذبح اولادهم وقوله تعالى قَوْمَ فِرْعَوْنَ اى معه بدل او عطف بيان للقوم الظالمين وقوله تعالى أَلَا يَتَّقُونَ استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه ولما كان من المعلوم ان من اتى الناس بما يخالف اهواءهم لم يقبل قَالَ رَبِّ اى ايها الرفيق بى إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ اى فلا يترتب على اتيانى اليهم اثر فاجعل لى قبولا ومهابة تحرسنى بها ممن يريد لى بسوء وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون وَيَضِيقُ صَدْرِى من تكذيبهم لى وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِى باداء الرسالة للعقدة التى فيه بواسطة تلك الجمرة التى لذعته فى الطفولية فَأَرْسِلْ اى فتسبب عن ذلك الذى اعتذرت به عن المبادرة الى الذهاب عند الامر طلب الارسال إِلَى هَارُونَ اخى ليكون لى عضدا على ما امضى له من الرسالة فيحتمل ان تكون تلك العقدة باقية عند الرسالة وان تكون قد زالت عند الدعوة ولكن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله تعالى واخى هرون هو افصح منى لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وازرنى به واشدد به عضدى وهذا الكلام مختصر وقد بسطه فى غير هذا الموضع وقد احسن فى الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله فى تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفى القصة اولها واخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات الله فاراد الله الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قيل كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يامره ربه بامر فلا يقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله تعالى عليم بحاله اجيب بانه قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ثم زاد فى الاعتذار فى طلب العون خوفا من ان يقتل قبل تبليغ الرسالة بقوله وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنْبٌ اى تبعة ذنب فحذف المضاف او سمى باسمه كما يسمى جزاء السيئة سيئة وهو قتله القبطى وسماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى مواضع فَأَخَافُ بسببه ذلك أَنْ يَقْتُلُونِ اى يقتلونى به قَالَ الله تعالى كَلَّا اى ارتدع عن هذا الكلام فانه لا يكون شئ مما خفت لا قتل ولا غيره وكانه لما كان التكذيب مع ما قام عليه من الصدق من البراهين القوية لصاحبها الشارحة لصدره العلية لامره عدما عد وقد اجبناك الى الاعانة باخيك فَاذْهَبَا اى انت واخوك متعاضدين الى ما امرتك به مؤيدين بِآيَاتِنَا الدالة على صدقكما تثنية فاذهبا عطف على ما دل عليه حرف الردع من الفعل كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت واخوك باياتنا إِنَّا اى بما لنا من العظمة

معكم مستمعون اى سامعون لانه تعالى لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اصغى اليه وادركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه الصلوة والسلام من استمع على حديث قوم وهم له كارهون صب فى اذنيه البرم وهو الكحل المذاب ويروى البيرم وهو بزيادة الياء فان قيل لم قال معكم بلفظ الجمع وهما اثنان أجيب بانه تعالى اجراهما مجرى الجمع تعظيما لهما او معكما ومع بنى اسرائيل يسمع ما يجيبكم فرعون فأتيا اى فتسبب عن ذهاب ما ذكرت بالحراسة والحفظة انى اقول لكما ائتيا فرعون نفسه وان عظمت مملكته وجلت جنوده فقولا اى ساعة وصولكما له ولمن عنده انا رسول رب العالمين اى المحسن الى جميع الخلق المدبر لهم مصالحهم فان قيل هلا ثنى الرسول كما ثنى فى قوله تعالى انا رسولا ربك أجيب بان الرسول يكون بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته واما ههنا فهو اما لانه مصدر بمعنى الرسالة والمصدر يوحد ومن مجئ رسول بمعنى الرسالة قوله

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول

اى برسالة والواشون الساعون بالكذب عند ظالم وما فهت بمعنى ما تكلمت واما لانهما ذوا شريعة واحدة فنزلا منزلة رسول واما لانه من وضع الواحد موضع التثنية لتلازمهما فصارا كالشيئين المتلازمين كالعينين واليدين وقال ابو عبيدة يجوز ان يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولى ووكيلى وهذان رسولى ووكيلى وهؤلاء رسولى ووكيلى كما قال تعالى وهم لكم عدو ثم ذكر له ما قصد من الرسالة اليه فقال معبرا باداة التفسير لان الرسول فيه معنى الرسالة التى تتضمن القول أن اى بان أرسل اى خل واطلق واعاد الضمير على معنى رسول فقال معنا بنى اسرائيل اى قومنا الذين استعبدتهم ظلما ولا سبيل لك عليهم نذهب بهم الى الارض المقدسة التى وعدنا الله تعالى بها على السنة الانبياء من آبائنا عليهم الصلوة والسلام وكان فرعون استعبدهم اربعمائة سنة وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة وثلاثين الفا ويروى ان موسى رجع مصر وعليه جبة صوف وفى يده عصاه ومكتل معلق فى رأس العصا وفيه زاده فدخل داره نفسه واخبر هرون بان الله تعالى ارسلنى الى فرعون وارسل اليك حتى ندعو فرعون الى الله تعالى فخرجت امهما وصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فلو ذهبتما اليه قتلكما فلم يمتنع بقولها وذهبا الى باب فرعون ليلا ودقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب وروى ان البواب طلع عليهما وقال من بالباب ومن انتما فقال موسى انا رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه وقيل لم يؤذن لهما الى سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا عليه واديا رسالة الله عز وجل فعرف فرعون موسى لانه نشأ فى بيته فلما عرفه قال له منكرا عليه ألم نربك حذف فأتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير فى القرآن

فِينَا ای فی منازلنا وَلِيدًا ای صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامه وَلَبِثْتَ فِينَا ای فی عزنا باعتبار انقطاعه
الينا وتعززك بنا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ثلاثين سنة فما لنا عليك من الحق ينبغی ان يمنعك من
مواجهتنا بمثل هذا وكانه عبر بما يفهم النكد كناية عن مدة مقامه عنده بانها كانت
نكدة لانه وقع فيما كان يخافه وفاته ما كان يحتاط به من ذبح الاطفال وكان موسی يلبس من ملابس
فرعون ويركب من مراكبه وكان يسمی ابنه وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الثاء المثلثة عند التاء
والباقون بالادغام ولما ذكره ما يحمله علی الحياء منه ذكره ذنبا يخاف من عاقبته فقال
مهولا له بالكناية وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ای من قتل القبطی ثم اكد نسبته الی ذلك مشيرا الی
انه عامله بالحلم تجبيلا له فقال الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ ای والحال انك مِنَ الْكَافِرِينَ قال الحسن
والسدی من الكافرين بالهك ومعناه علی ديننا هذا الذی تعيبه وقال اكثر المفسرين ای الجاحدين
لنعمتی عليك بالتربية وعدم الاستعباد يقول ربيناك فكافاتنا ان قتلت منا نفسا وكفرت بنعمتنا
وهذا رواية العوفی عن ابن عباس وقال ان فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالربوبية قَالَ له موسی
مجيبا علی طريقة النشر المشوش واثقا بوعد الله تعالی بالسلامة فَعَلْتُهَا إِذًا ای اذ قتلته وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ
ای من الجاهلين بان ذلك يودی الی قتله او المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل قال ابن جرير
والعرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال وقيل لا اعرف ذنبا فانا واثق من كل جهة حتی
يوجهنی ربی الی ما شاء فَفَرَرْتُ ای فتسبب عن فعلها انی فررت مِنْكُمْ ای منك لسطوتك ومن قومك
لاغرائهم اياك علی لَمَّا خِفْتُكُمْ علی نفسی ان تقتلونی بذلك القتيل الذی قتلته خطأ وانا ابن اثنتی عشرة
سنة مع كونه كافرا مهدر الدم فَوَهَبَ لِي رَبِّي الذی احسن الی بتربيتی عندكم تحت كنف امی آمنة
علیّ مما احدثتم من الظلم حُكْمًا ای علما وفهما وقيل نبوة وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ای فاجهد الآن
جهدك فانی لا اخافك لقتل ولا غيره ولما اجتمع فی كلام فرعون منّ وتعيير بدأ بجوابه عن التعيير
لانه الاخير فكان اقرب ولانه اهم وهو معنی ما تقدم من انه علی طريقة النشر المشوش بان
يبدأ بالاخير قبل الاول ولهذا كر علی امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله موبخا له مبكتا منكرا
عليه غير انه حذف حرف الانكار اجمالا فی القول واحسانا فی الخطاب والی ان تسمی نعمته الا
نقمة بقوله وَتِلْكَ ای التربية الشنيعة العظيمة فی الشناعة التی ذكرتها نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ
ای تعبيدك وتذليلك قومی بَنِي إِسْرَائِيلَ ای جعلتهم عبيدا ظلما وعدوانا وهم ابناء الانبياء
ولسلفهم يوسف عليه السلام عليكم من المنة باحياء نفوسكم اولا وعتق رقابكم ثانيا ما لا تقدرون له
علی جزاء اصلا ثم ما كفاك ذلك حتی فعلت ما لم يفعله مستعبد فامرت بقتل ابنائهم فكان ذلك
سبب وقوعی اليك لاسلم من ظلمك ولو لم تفعل ذلك لكفلنی اهلی ولم يلقونی فی اليم فكيف تمن علی
بذلك وقيل معناه انك تدعی ان بنی اسرائيل عبيدك ولا منة للمولی علی العبد فی تربيته وقال الحسن
انك استعبدت بنی اسرائيل فاخذت اموالهم وانفقت منها علیّ فلا نعمة لك بالتربية وقيل ان الذی

تولى تربيتي هم الذين استعبدتهم فلا منة لك علىّ لان التربية كانت من قبل امي ومن قومي ليس لك الا مجرد الاسم وهذا مايعد انعاما فان قيل لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت اجيب بان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله كما مرّت الاشارة اليه بدليل قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد ولما قال له بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين وادخله عليه قَالَ له فِرْعَوْنُ عند دخوله عائدا عن جوابه منكر الخالقه على سبيل التجاهل كما انكر هؤلاء الوهمون متبجا هلين هم اعرف الناس بغالب فعاله كما كان فرعون يعرف لقول موسى عليه الصلوة والسلام لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ اى الذى زعمتما انكما رسوله وانما اتى بما دون من لانها يسئل بها عن طلب الماهية كقولك ما العنقاء ولما كان جواب هذا السوال لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته عدل موسى عليه السلام الى جواب ممكن فاجاب بصفاته تعالى كما قال تعالى اخبارا عنه قَالَ رَبُّ اى خالق ومبدع ومدبر السَّمٰوٰتِ كلها وَالْأَرْضِ وان تباعدت اجرامها بعضها من بعض وَمَا بَيْنَهُمَا اى بين السموات والارض فاعاد ضمير التثنية على جمعين اعتبارا بالجنسين خصه بهذه الصفات لانها اظهر خواصه وآثاره وفيه ابطال لدعواه انه اله ومعنى قوله إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ اى ان كان يرجى منكم الايقان الذى يؤدى اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع او ان كنتم موقنين بشئ قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله ولما ذكر موسى عليه السلام هذا الجواب الحق قَالَ فرعون لِمَنْ حَوْلَهُ من اشراف قومه قال ابن عباس وكانوا خمسمائة رجل عليهم الاسورة وكانت للملوك خاصة أَلَا تَسْتَمِعُونَ جوابه الذى لم يطابق السوال سألته عن حقيقته وهو يجيبني بالفاعلية ولما كان يمكن ان يعتقد ان السموات والارضين واجبة لذاتها فهي غنية عن الخالق قَالَ لهم موسى زيادة في البيان رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فعدل عن التعريف بخالقية السموات والارض الى التعريف بكونه تعالى خالقهم ولابائهم اذ لا يمكن ان يعتقد في نفسه وفي آبائه واجداده كونهم واجبين لذواتهم لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته واستحال وجوده الا بالمؤثر فكان التعريف بهذا الاثر اظهر ولكن فرعون لم يكتف بذلك ولهذا قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ على طريق التهكم اشارة على ان الرسول ينبغي ان يكون اعقل الناس ثم زاد الامر بقوله الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ اى وانتم اعقل الناس لَمَجْنُونٌ لا يفهم السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فكيف يصلح للرسالة من الملوك فلما قال ذلك عدل موسى عليه السلام الى طريق ثالث اوضح من الثاني بان قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اى الشروق والغروب وقتها وموضعها وَمَا بَيْنَهُمَا من المخلوقات لان التدبير المستمر على هذا الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر قادر وهذا بعينه طريقة ابراهيم عليه الصلوة والسلام مع نمرود فانه

قوله على جمعين لا نهي ان الارض مفرد والسموات لانهم وفق فان قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه جمع فان الريب بين الجنسين وما بين فعل بالضمير فعل بالظاهر من قال ... جمالا بين ... فتأمل انتهى

استدل اولا بالاحياء والاماتة وهو الذى ذكره موسى عليه الصلوة والسلام بقوله ربكم ورب اباءكم
الاولين فاجابه نمرود انا احيى واميت فقال ان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
فبهت الذى كفر وهو الذى ذكره موسى عليه السلام بقوله رب المشرق والمغرب واما قوله إِنْ كُنْتُمْ
تَعْقِلُونَ فكانه عليه السلام قال ان كنت من العقلاء عرفت انه لا جواب عن سوالك الا ما ذكرت
لك لانك طلبت منى تعريف حقيقته ولا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا باجزاء حقيقته
فلم يبق الا ان اعرف حقيقته باثار حقيقته وقد عرفت حقيقته باثار حقيقته فمن كان عاقلا يقطع بانه
لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرته لك فلما انقطع فرعون عن الجواب ولزمته الحجة تكبر عن الحق وعدل
الى التخويف بان قال لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ اى واحدا ممن هم فى سجنى
على ما تعلم من حالى فى اقتدارى ومن سجنى وفظاعتها ومن حال من فيها من شدة الحصر
والغلظ فى الحجر قال الكلبى كان سجنه اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل فيطرحه فى هوة ذاهبة
فى الارض بعيدة العمق وحده لا يسمع ولا يبصر فيها شيئا وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم باظهار الذال
عند التاء والباقون بالادغام ثم ذكر موسى عليه السلام كلاما جعله لايعاق فرعون قبله بوعيده ويصده
عن وعيده بان قال ملاطفا بالتى هى احسن اخذا للعنان لاثارة البيان معنى لا يبقى معه عناد
ولا نسيان لان من العادة الجارية السكون الى الانصاف والرجوع الى الحق والاعتراف أَوَلَوْ اى
اتسجننى ولو جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ اى هل يحسن ان يذكر هذا مع اقتدارى على ان اتيك بشئ
بدليلين يدلان على وجود الله تعالى وعلى انى رسوله فعند ذلك قال طمعا فى ان يجد موضعا
للتكذيب او التلبيس فَأْتِ بِهِ اى تسبب عن قولك هذا انى اقول ائت بذلك الشئ إِنْ كُنْتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ اى فيما ادعيت من الرسالة تنبيه الواو فى او لو جئتك واو الحال وليتها الهمزة بعد حذف
الفعل كما علم من التقرير فان قيل كيف قطع الكلام بما لا تعلق له بالاول وهو قوله اولو جئتك بشئ
مبين اى باية بينة والمعجز لا يدل على ذلك كدلالة سائر ما تقدم اجيب بانه يدل بما اراد ان يظهره
من انقلاب العصا حية على الله تعالى وعلى توحيده وعلى انه صادق فى ادعاء الرسالة فالذى ختم به
كلامه ما تقدم فَأَلْقَى اى فتسبب عن ذلك وتعقبه ان القى موسى عَصَاهُ التى تقدم فى غير سورة
ان الله تعالى اراه اياها ولم يصرح باسمه اكتفاء بضميره لانه غير ملتبس فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ اى حية فى
غاية الكبر مُبِينٌ اى ظاهر ثعبانيته روى انها لما انقلبت حية ارتفعت الى السماء قدر ميل
ثم انحطت مقبلة الى فرعون تقول يا موسى مرنى بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذى ارسلك
الا اخذتها فاخذها فعادت عصا فان قيل كيف قال هنا ثعبان مبين وفى اية اخرى فاذا هى
حية تسعى وفى اية ثالثة كانها جان والجان مائل الى الصغر والثعبان الى الكبر اجيب بان الحية
اسم الجنس ثم لكبرها صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها وسرعتها ويحتمل انه شبهها
بالشيطان لقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ويحتمل انها كانت صغيرة

كالجان ثم عظمت فصارت ثعبانا ثم ان موسى عليه السلام لما اراه اية العصا قال فرعون هل غيرها
قال نعم ونزع يده اى التى كانت احترقت لما اخذ الجمرة وهو فى حجر فرعون وبذل فرعون
جهده فى علاجها بجميع من قدر عليه من الاطباء فعجزوا عن ابرائها نزعها من جيبه بعد ان
اراه اياها على ما يعهده منها ثم ادخلها فى جيبه فاذا هى بعد النزع بيضاء للناظرين يضئ الوادى ع
من شدة بياضها من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر ويسد الافق فعند هذا
اراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر امورا اولها ان قال للملأ حوله لما وضح له الامر وموّه على
عقولهم خوفا من ايمانهم ان هذا لساحر عليم اى شديد المعرفة بالسحر وحوله حال من الملأ
ومفعول القول قوله ان هذا الساحر عليم ولما اوقعهم بما خيلهم به اتهمهم لانفسهم فقال ملغيا
لجلباب الالهية لما قهره من سلطان المعجزة يريد ان يخرجكم من ارضكم اى هذه التى هى قوامكم
بسحره اى بسبب ما اتى به فانه يوجب استتباع الناس فيتمكن مما يريد ثم قال لقومه الذين كان
يزعم انهم عبيده وانه الههم ما دل على انه حارت قواه فحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت
فرائصه لما استولى عليه من الدهش والحيرة حتى جعل لنفسه مأمورا بعد ان كان يدعى كونه امرا
بل الها قادرا فماذا تأمرون اى فى مدافعته عما يريد بنا قالوا اى الملأ الذين كانوا حوله ارجه واخاه
اى اخر امرهما ومناظرتهما الى اجتماع السحرة ولم يأمروا بقتلهما ولا بما يقارب به فسبحان من
يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده فيهابه كل شئ ولا يهاب هو غير خالقه وقرأ قالون
بغير همز واختلاس كسرة الهاء وورش والكسائى بغير همز واشباع حركة كسرة الهاء
وابن كثير وهشام بالهمزة الساكنة وصلة الهاء مضمومة وابو عمرو بالهمزة وضم الهاء مقصورة
وابن ذكوان بالهمزة وكسر الهاء مقصورة وعاصم وحمزة بغير همز واسكان الهاء وابعث
فى المدائن حاشرين اى رجالا يحشرون السحرة واصل الحشر الجمع بكره وقيل ان فرعون اراد قتل
موسى فقالوا له لا تفعل فانك ان تقتله دخلت الناس شبهة فى امره ولكن اخره واجمع له سحرة
ليقاوموه ولا يثبت له عليك حجة وعارضوا قوله ان هذا الساحر عليم بقولهم يأتوك بكل سحار اى بليغ
فى السحر فبالغوا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا من بعض قلقه
عليم اى متناه فى العلم به بعد ما تناهى فى السحرية وعبر بالبناء للمفعول فى قوله فجمع السحرة
اشارة على عظمة مملكته اى بايسر امر لما عندهم من العظمة لميقات يوم معلوم اى فى زمانه
ومكانه وهو ضحى يوم الزينة كما مر فى طه وعن ابن عباس وافق يوم السبت من اول يوم من
سنتهم وهو يوم النيروز وقيل ان يقول من يقبل لكونه عن فرعون للناس اى عامة وقوله
هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل
لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانما يخيل
له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا اسم شاعر

هل انت باعث دينار لحاجتنا + او عبد رب اخا عون بن مخراق +
اى هل انت حث على ارسال دينار او عبد رب اسمى رجلين والثانى منصوب على محل الاول و
اخا عون منادى او عطف بيان له وعليه اقتصر الكشاف لعلنا نتبع السحرة اى فى دينهم ان كانوا هم
الغالبين اى لموسى فى دينه ولا نتبع موسى فى دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلى
ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى وقيل ارادوا
بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريق الاستهزاء وعبر بالفاء فى قوله فلما جاء السحرة
اى الذين كانوا فى جميع بلاد مصر ايذانا بسرعة حشرهم لضخامة ملكه ووفور عظمته قالوا
لفرعون مشترطين الاجر فى حال الحاجة الى الفعل ليكون ذلك اجدر بحسن الوعد
وبهاز القصد ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين موسى واتوا باداة الشك مع جزمهم بالغلبة تخويفا له بانه
ان لم يحسن فى وعدهم لم ينصحوا له قال مجيبا الى ما سألوا نعم لكم ذلك وقرأ الكسائى بكسر
العين والباقون بالفتح وزادهم ما لا احسن منه عند اهل الدنيا مؤكدا بقوله وانكم اذا اى اذا غلبتم
لمن المقربين اى عندى وزاد اذا هنا زيادة فى التاكيد ولما قال لهم فرعون ذلك قالوا
لموسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين قال لهم موسى اى مريدا لابطال سحرهم لانه لا يتمكن
منه الا بالقائهم القوا ما انتم ملقون فان قيل كيف امرهم بفعل السحر اجيب بانه لم يرد
بذلك امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن بتقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق
فالقوا اى فتسبب عن قول موسى عليه السلام وتعقبه ان القوا حبالهم وعصيهم اى التى اعدوها
للسحر وقالوا مقسمين بعزة فرعون وهى من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله
ولا يصح فى الاسلام الا الحلف بالله تعالى او باسم من اسمائه او صفة من صفاته كقولك والله والرحمن
ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد
استحدث الناس فى هذا الباب فى اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم
لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شئ لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فاذا اقسم به
فتلك عندهم جهد اليمين التى ليس وراءها حلف لحالف ثم انهم اكدوا ايمانهم بانواع من التاكيد
بقولهم انا لنحن اى خاصة لا استثنى الغالبون وذلك لفرط اعتقادهم فى انفسهم ولاتيانهم باقصى
ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى اى فتسبب عن صنع السحرة وتعقبه ان القى موسى عصاه التى
جعلت آية له وتسبب عن القائه قوله تعالى فاذا هى تلقف اى تبتلع فى الحال بسرعة وهمة ما يأفكون
اى ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون فى حبالهم وعصيهم انها
حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة وقرأ حفص بسكون
اللام وتخفيف القاف وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد القاف وشدد البزى التاء فى الوصل

قوله اى هل انت عبارة الكشاف يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به اه

وخففها الباقون فالقى السحرة اى عقب فعلها من غير تلبث ساجدين اى فسجدوا بسرعة عظيمة
حتى كأن ملقيا القاهم من قوة اسراعهم علما منهم بان هذا من عند الله فامنوا اتقياء بررة
بعد ما جاؤا فى صبح ذلك اليوم سحرة كفرة روى انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب
وان يك من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما اوتوا به علموا انه من عند الله فامنوا
وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاآت
فسلك به طريقة المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا ان
رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا فان قيل فاعل الالقاء ما هو لو
صرح به اجيب بان الله تعالى بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة قال
الزمخشرى ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا ولما كان كانه قيل هذا فعلهم
فما كان قولهم قيل قالوا امنا برب العالمين اى الذى دعا اليه موسى عليه السلام اول ما تكلم وقوله
رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعى الربوبية وارادوا ان
يبدلوه ومعنى اضافته اليهما فى ذلك المقام انه الذى دعا اليه موسى وهرون عليهما السلام ولما
امن السحرة باجمعهم لم يأمن فرعون ان يقول قومه ان هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا
الا عن معرفة بصحة امر موسى عليه السلام فيسلكون طريقهم فلبس على القوم وبالغ فى التنفير
عن موسى من وجوه احدها ان قال امنتم له اى لموسى قبل ان اذن اى انا لكم مسارعتكم
الى الايمان به دالة على ميلكم اليه تنبيه همزتان مفتوحتان قرأ الجميع بابدال الثانية
الفا وحقق الثانية حمزة والكسائى وشعبة وسهلها الباقون غير حفص فانه اسقط الاولى
والثانية عنده هى المبدوء بها ثانيها قوله انه لكبيركم الذى علمكم السحر وهذا تصريح بما رمز به اولا
وتعريض منه بانهم فعلوا ذلك عن مواطاة بينهم وبين موسى وقصروا فى السحر ليظهر امر موسى
والا ففى قوة السحرة ان تفعلوا مثل ما فعل ثالثها قوله فلسوف تعلمون وهو وعيد وتهديد شديد
رابعها قوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ولاصلبنكم
اجمعين وهذا الوعيد من اعظم الاهلاكات ثم انهم اجابوا عن هذه الكلمات من وجهين الاول
قولهم قالوا لا ضير اى لا ضرر علينا وخبر لا محذوف تقديره فى ذلك انا اى بفعلك ذلك فينا ان
قدرك الله تعالى عليه الى ربنا الذى احسن الينا بالهداية بعد موتنا باى وجه كان منقلبون اى
راجعون فى الاخرة الثانى قولهم انا نطمع اى نرجو ان يغفر اى يستر سترا بليغا لنا ربنا خطايانا اى
التى قدمناها على كثرتها ثم عللوا طمعهم مع كثرة الخطايا بقولهم ان كنا اى كونا هو لنا كالجبلة
اول المؤمنين اى من اهل هذا المشهد او من رعية فرعون او من اهل زمانهم ولما ع
ظهر من امر فرعون ما شاهدوه وخيف ان يقع منه ببنى اسرائيل وهم الذين امنوا وكانوا
فى قوم موسى عليه السلام ما يؤدى الى الاستيصال امر الله تعالى ان يسرى بهم كما قال

تعالى وَأَوْحَيْنَا اى بما لنا من العظمة حين اردنا فصل الامر وانجاز الموعود إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ ليلا
بِعِبَادِي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا
وفسادا وقرأ نافع وابن كثير بكسر النون ووصل الهمزة بعدها من سرى وقرأ الباقون
بسكون النون وقطع الهمزة بعدها ثم علل امره له بالسير فى الليل بقوله تعالى إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ
اى لا تظن انهم لكثرة ما رأوا من الآيات يكفون عن اتباعكم فاسرع بالخروج لتبعد واعنهم
الى الموضع الذى قدرت فى الازل ان يظهر مجدى والمراد توافقهم عند البحر ولم يكن اتباعهم عن
موسى لعدم تأثره به والمعنى انى بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم
ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم روى انه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوتهم ولد
فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى ان اجمع بنى اسرائيل كل
اربعة ابيات فى بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها ابوابكم فانى سآمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على
بابه دم وامرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر
فيأتيك امرى وروى عن قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا فى هذه الليلة عيدا ثم استعاروا
منهم حليهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جانب البحر فلما سمع فرعون ذلك
جمع قومه وتبعهم كما قال تعالى فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ اى لما اصبح وعلم بهم فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ
اى رجالا يجمعون جنوده بالقوة والسطوة وان كرهوا ويقولون تقوية لقلوبهم وتحريكا لهممهم إِنَّ
هَؤُلَاءِ اشارة باداة القرب تحقيرا لهم الى انهم فى القبضة وان بعدوا لما بهم من العجز وبال فرعون
من القوة فليسوا بحيث يخاف فوتهم لَشِرْذِمَةٌ اى طائفة وقطعة من الناس قَلِيلُونَ اى
بالنسبة الى ما لنا من الجنود التى لا تحصى فذكرهم اولا بالاسم الدال على القلة بالشرذمة وهى الطائفة
القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذى بلى وتقطع قطعا ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل
كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذى هو للقلة مع انهم كانوا ستمائة الف وسبعين الفا وسماهم
شرذمة قليلين وذلك بالنسبة لما ارسله خلفهم فان الذى ارسله فرعون فى اثرهم الفا الف وخمسمائة
الف ملك مسوّر ومع كل ملك الف وخرج فرعون فى جمع عظيم وكان مقدمته سبعمائة الف كل رجل
على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون فى الف الف حصان سوى الاناث فلذلك
استقل قوم موسى قال الزمخشرى ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى
انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا
كما قال تعالى عنهم وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ اى بما فجعونا به من انفسهم وبما استعاروه من الزينة من الاوانى
الذهب والفضة وفاخر الكسوة فلا رحمة فى قلوبهم بحبهم وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ اى من
عادتنا الحذر والتيقظ واستعمال الحزم فى الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى
حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه

وقرأ ابن ذكوان والكوفيون بالف بعد الحاء والباقون بغير الف قال ابو عبيدة والزجاج هما بمعنى واحد
يقال رجل حذر وحذور وحاذر بمعنى وقيل بل بينهما فرق فالحذر المتيقظ والحاذر الخائف قيل
الاول للتجدد لانه اسم فاعل والثانى للثبات لانه صفة مشبهة وقيل الحاذر المتسلح الذى له شوكة
السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا يحكى انه كان يتصرف فى خراج مصر
وانه يجزئه اربعة اجزاء احدها لوزرائه وكتابه وجنده والثانى لحفر الانهار وعمل الجسور والثالث
له ولولده والرابع يفرق فى المدن فان لحقهم ظلم او ظمأ او اشتهار او فساد غلة او موت عوامل قوّاهم
به ويروى انه قصده قوم فقالوا نحتاج الى ان نحفر خليجا لنعمر ضياعنا فاذن فى ذلك واستعمل عليهم
عاملا فاستكثر ما حمل من خراج تلك الناحية الى بيت المال فسأل عن مبلغ ما انفقوه فى خليجهم فاذا
هو مائة الف دينار فامر بحملها اليهم فامتنعوا من قبولها فقال اطرحوها عليهم فان الملك اذا استغنى
بمال الرعية يعنى رعيته افتقر وان الرعية اذا استغنت بمال ملكهم استغنى واستغنوا ولما
كان التقدير فاطاعوا امره ونفروا على كل صعب وذلول عطف عليه قوله تعالى بما آل اليه امرهم
فَأَخْرَجْنَاهُمْ اى فرعون وجنوده بما لنا من القدرة من مصر ليلحقوا موسى وقومه اخراجا حثيثا مما
لا يسمح احد بالخروج منه مِنْ جَنَّاتٍ اى بساتين كانت على جانبى النيل يحق لها ان تذكر
وَعُيُونٍ اى انهار جارية فى الدور من النيل وقيل عيون تخرج من الارض لا يحتاج معها
الى نيل ولا مطر وَكُنُوزٍ اى اموال ظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزا لانها لم يعط حق
الله منها وما لم يعط حق الله تعالى منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة الف
غلام كل غلام على فرس عتيق فى عنق كل فرس طوق من ذهب وَمَقَامٍ من المنازل كَرِيمٍ اى مجلس
حسن للامراء والوزراء يحفه اتباعهم وعن الضحاك المنابر وقيل السرر فى الحجال وذكر
بعضهم انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها الاشراف
عليهم الاقبية من الديباج مخوصة بالذهب كَذَلِكَ اى اخراجنا كما وصفنا وَأَوْرَثْنَاهَا اى
تلك النعم السنية بمجرد خروجهم بالقوة وبعد اغراق فرعون وجنوده بالفعل بَنِي إِسْرَائِيلَ
اى جعلناهم بحيث يرثونها لانه لم يبق لهم مانعا يمنعهم منها بعد ان كانوا مستعبدين بين يدى
اربابها واستشكل ارثهم لها بالفعل لقوله تعالى فى الدخان قوما آخرين وسيأتى الكلام على ذلك
ان شاء الله تعالى فى ذلك المحل بل قيل ان بنى اسرائيل لم يرجعوا الى مصر بعد ذلك ولما وصف تعالى
الاخراج وصف اثره بقوله تعالى مرتبا عليه بالفعل وعلى الايراث بالقوة فَأَتْبَعُوهُمْ اى جعلوا انفسهم
تابعة لهم مُشْرِقِينَ اى داخلين فى وقت شروق الشمس بطلوعها صبيحة الليلة التى سار فيها
بنو اسرائيل ولولا تقدير العزيز العليم بخرق ذلك للعادة لم يكن ذلك على حكم العادة الا فى اقل من شهرا
ايام فانه تعجز الملوك عن مثله واستمروا الى ان لحقوهم عند بحر القلزم فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ اى رأى كل
منهما الآخر قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى ضعفا وعجزا استصحابا لما كانوا فيه عندهم من الذل ولانهم

اقل منهم بكثير بحيث يقال ان طليعة آل فرعون كانت على عدد بني اسرائيل وذلك محقق لتقليل فرعون
لهم وكانه عبر عنهم بالاصحاب دون بني اسرائيل لانه كان قد آمن كثير من غيرهم إِنَّا لَمُدْرَكُونَ
اي يدركنا فرعون وقومه وقد صرنا بين سدين العدو وراءنا والبحر امامنا ولا طاقة لنا
بذلك قَالَ اي موسى عليه السلام وثوقا بوعد الله تعالى كَلَّا اي لا يدركونكم اصلا ثم علل ذلك
تسكينا لهم بقوله إِنَّ مَعِيَ رَبِّي اي بنصره فكانهم قالوا وما عساه يفعل وقد وصلونا قال سَيَهْدِينِ
اي يدلني على طريق النجاة روي ان مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام فقال
اين تذهب فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع
فَأَوْحَيْنَا اي فتسبب عن كلامه الدال على المراقبة انا اوحينا ونوه باسم الكليم جزاء له على ثقته به
سبحانه وتعالى فقال تعالى إِلَىٰ مُوسَىٰ وفسر الوحي الذي فيه معنى القول بقوله تعالى أَنِ اضْرِب
بِعَصَاكَ الْبَحْرَ اي الذي امامكم وهو بحر القلزم الذي يتوصل اهل مصر منه الى الطور والى مكة المشرفة
وما والاها وقيل النيل فضربه فَانْفَلَقَ اي بسبب ضربه لما ضربه امتثالا لامر ربه وصار اثني عشر فرقا
على عدد اسباطهم فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ اي جزء وقسم عظيم منه كَالطَّوْدِ اي الجبل في اشرافه وطوله و
صلابته بعدم السيلان الْعَظِيمِ المتطاول في السماء الثابت في قراره لا يتزلزل لان الماء كان منبسطا
في ارض البحر فلما انفلق وانكشفت فيه الطرق انضم بعضه الى بعض فاستطال وارتفع في السماء
بين تلك الاجزاء مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب قال الزجاج لما انتهى موسى
الى البحر هاجت الريح والبحر يرمي بموج كالجبال فقال يوشع يا كليم الله يا ابن امرأة عمران قد
غشينا فرعون والبحر امامنا فقال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وجاز البحر ما يواري حافر دابته الماء
وقال الذي يكتم ايمانه يا كليم الله اين امرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه
ثم اقحمه البحر فارتسب في الماء وصنع القوم مثل ذلك فلم يقدروا وجعل موسى لا يدري كيف يصنع
فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق فان
الرجل على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده روي ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء
والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء وهذا معجز عظيم من وجوه احدها ان تفرق ذلك الماء معجز
وثانيها ان اجتماع ذلك الماء فوق كل فرق منه حتى صار كالجبل معجز ايضا وثالثها انه ثبت في الخبر انه
تعالى ارسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ما حيرهم فاحتبسوا القدر الذي تكامل معه عدد
بني اسرائيل وهذا معجز ثالث ورابعها ان جعل الله في تلك الجدران المائية كوى ينظر بعضهم الى بعض
وهذا معجز رابع وخامسها ان ابقى الله تعالى تلك المسالك حتى قرب آل فرعون فطمعوا ان يتخلصوا
من البحر كما تخلص موسى عليه السلام وهذا معجز خامس + فائدة + لكل من جميع القراء
في الراء من فرق الترقيق والتفخيم ولما كان التقدير وادخلنا كل شعب منهم في طريق من تلك
الطرق عطف عليه وَأَزْلَفْنَا اي قربنا بعظمتنا ثَمَّ اي هناك الْآخَرِينَ اي فرعون

وقومه حتى سلكوا مسالكهم وقال ابو عبيدة وازلفنا اهلكنا ومنه ليلة المزلفة اى ليلة الجمع وعن
عطاء بن السائب ان جبريل عليه السلام كان بين بنى اسرائيل وقوم فرعون وكان يسوق
بنى اسرائيل ويقول ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط ويقول رويدكم ليلحق آخركم اولكم
وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ وهم من تبعوه من قومه وغيرهم أَجْمَعِينَ اى لم نقدر على احد منهم
الهلاك بل اخرجناهم من البحر على هيئته المذكورة ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ اى فرعون وقومه
اجمعين بانطباق البحر عليهم لما تم دخولهم البحر وخروج بنى اسرائيل منه ويقال هذا البحر
بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف إِنَّ فِي ذَٰلِكَ اى الامر العظيم العالى الرتبة
من قصة موسى وفرعون وما فيهما من العظات لَآيَةً اى علامة عظيمة دالة على قدرة الله تعالى لان
احدا من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته وكون وقوعه مصلحة فى الدين والدنيا وعلى صدق
موسى لكونه معجزة له وعلى التحذير من مخالفة امر الله تعالى ورسوله عليه السلام وفى ذلك تسلية
للنبى صلى الله عليه وسلم لانه قد يغتم بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات عليه فنبه الله تعالى بهذا الذكر
على ان له اسوة بموسى وغيره وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ اى اهل مصر الذين شاهدوها والذين وعظوا
بسماعها مُؤْمِنِينَ اى متصفين بالايمان الثابت اما القبط فما آمن منهم الا السحرة ومؤمن آل فرعون
وامرأة فرعون والمرأة التى دلتهم على عظام يوسف عليه السلام واما بنو اسرائيل فكان كثير منهم
متزلزلا ينتقد كل قليل ويقول ويفعل ما هو كفر حتى تداركهم الله تعالى على يدى موسى عليه السلام
ومن بعده واول ما كان من ذلك سؤالهم اثر مجاوزة البحر ان يجعل لهم الها كالاصنام
التى مروا عليها واما غيرهم ممن تأخر عنهم فاحوالهم معروفة وامرهم مشاهد مكشوف فقد سألوا
بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وَإِنَّ رَبَّكَ اى المحسن اليك باعلاء امرك و
استنقاذ الناس من ظلام الجهل على يدك لَهُوَ الْعَزِيزُ اى القادر على الانتقام من كل فاجر الرَّحِيمُ ع
بعباده لانه تعالى افاض عليهم نعمه وكان قادرا على ان يهلكهم فدل ذلك على كمال رحمته وسعة
جوده وفضله ولما اتم سبحانه وتعالى ما اراد من قصة موسى عليه السلام ليعرف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
ان تلك المحن التى اصابته كانت حاصلة لموسى اتبعه دلالة على رحمته وزيادة فى تسلية نبيه قصة ابراهيم
عليه السلام وهى القصة الثانية بقوله تعالى وَاتْلُ اى اقرأ قراءة متتابعة يا اشرف الخلق عَلَيْهِمْ اى كفار مكة
وقوله تعالى نَبَأَ اى خبر إِبْرَاهِيمَ قرأه نافع وابن كثير وابو عمرو فى الوصل بتسهيل الهمزة الثانية
وحققها الباقون وفى الابتداء بالثانية الجميع يحققون ويبدل منه إِذْ اى حين قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
منبها لهم على ضلالهم لا مستعلما لانه كان عالما بحقيقة حالهم ولكنه سألهم بقوله مَا اى
اى شئ تَعْبُدُونَ اى تواظبون على عبادته ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة
فى شئ كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول الرقيق جمال وليس بمال قَالُوا
فى جوابه نَعْبُدُ أَصْنَامًا فان قيل له عليه السلام ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب

وكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وكذا قوله تعالى ماذا
قال ربكم قالوا الحق وكقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اجيب بان هؤلاء قد اجابوا
بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم عليه السلام وعلى
ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد
فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس
في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها
بالنهار دون الليل يقال ظل يفعل كذا اذا فعل بالنهار والعكوف الاقامة على الشيء ثم ان ابراهيم
عليه السلام قال منبها على فساد مذهبهم هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ اي يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف
ذلك لدلالة إِذْ اي حين تَدْعُونَ عليه فعلى الاول هي متعدية لواحد اتفاقا وعلى الثاني هي متعدية
لاثنين قامت الجملة المقدرة مقام الثاني وهو قول الفارسي وعند غيره الجملة المقدرة حال وقرأ نافع
وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال عند التاء والباقون بالادغام أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ ان عبدتموهم
أَوْ يَضُرُّونَ اي يضرونكم ان لم تعبدوهم ولما اقام ابراهيم عليه السلام عليهم هذه الحجة
الباهرة وهو ان الذي يعبدونه لا يسمع دعاءهم حتى يعرف مقصودهم ولو عرف ذلك لما صح ان
يبذل النفع او يدفع الضر فكيف يعبدون ما هذا صفته ولم يجدوا ما يدفعون به حجته الا التقليد
قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ اي مثل فعلنا هذا الفعل العالي الشأن ولو لم يكن عند من نعبدهم شيء
من ذلك ثم صوروا حالة آبائهم في انفسهم تعظيما لامرهم بقولهم يَفْعَلُونَ اي فنحن نفعل كما
فعلوه فانهم حقيقون منا بان لا نخالفهم مع سبقهم لنا الى الوجود فهم ارصن منا عقولا واعظم
تجربة فلولا انهم رأوا ذلك حسنا ما واظبوا عليه وهذا تقليد محض خال عن ادنى نظر كما تفعل
البهائم والطير في تبعها لاولها ثم ان ابراهيم عليه السلام قَالَ معرضا عن جواب كلامهم لما رآه ساقطا
لا يرتضيه عاقل أَفَرَأَيْتُمْ اي تسبب عن قولكم هذا اني اقول لكم أرأيتم اي ان لم تكونوا رأيتموهم رؤية
موجبة لتحقق امرهم فانظروهم نظرا شافيا مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اي مواظبين على عبادتهم أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ
الْأَقْدَمُونَ اي الذين هم اقدم ما يكون فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل
لا ينقلب حقا بالقدم فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي اي اعداء لي وانما وحده على ارادة الجنس ويجيء العدو والصديق
في معنى الواحد والجماعة قال القائل + وقوم علي ذوي مئرة + اراهم عدوا وكانوا صديقا +
ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو تشبيها بالمصادر كالحنين والصهيل وقيل هو من المقلوب
اراد اني عدو لهم فان من عاديته فقد عاداك وقرأ نافع أفرأيتم بتسهيل الهمزة التي هي عين
الكلمة ولورش ايضا ابدالها الفا واسقطها الكسائي وحققها الباقون فان قيل لم قال فانهم
عدو لي ولم يقل فانها عدو لكم أجيب بانه عليه السلام صور المسألة في نفسه بمعنى
اني فكرت في امري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها واراهم انها نصيحة ينصح بها

نفسه فاذا تفكروا قالوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه فيكون ذلك ادعى الى القبول وابعث
الى الاستماع منه ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل فى باب من التعريض
وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده التامل الى التقبل
ومنه ما يحكى عن الشافعى رضى الله عنه ان رجلا واجهه بشئ فقال لو كنت بحيث انت
لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون فى الحجر فقال ما هو بيتى ولا بيتكم وقوله إِلَّا رَبَّ
الْعَالَمِينَ اى مدبر هذه الاكوان كلها يجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى انهم عدو لى لا اعبدهم
لكن رب العالمين فانى اعبده وان يكون متصلا على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من
آبائهم من عبد الله تعالى فكانه قال الا رب العالمين فانه ليس بعدو لى بل هو وليى ومعبودى
ثم شرع يصفه بما هم به عالمون من انه على الضد الاقصى من كل ما عليه اصنامهم بقوله
الَّذِي خَلَقَنِي اى اوجدنى على هيئة التقدير والتصوير فَهُوَ اى فتسبب عن تفرده بخلقى انه هو
لا غيره يهدين اى الى الرشاد ولا يعلم باطن المخلوق ويقدر على التصرف فيه غير خالقه
ولا يكون خالقه الا سميعا بصيرا ضارا نافعا له الكمال كله وذكر الخلق بالماضى لانه لا يتجدد
فى الدنيا والهداية بالمضارعة لتجددها وتكررها لانه تعالى لما تم خلقه ونفخ فيه الروح عقب
ذلك هدايته المتصلة التى لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعينه والا فمن هداه الى ان يتغذى بالدم
فى البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدى عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه
لكيفية الارتضاع الى غير ذلك دينا ودنيا وَالَّذِي اى هُوَ لا غيره يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ اى يرزقنى
ويغذينى بالطعام والشراب ولو اراد اعدم ما اكل وما اشرب او اصابنى بآفة لا استطيع معها اكلا
ولا شربا ونبه بذكر الطعام والشراب على ما عداهما. تنبيه: يجوز فى والذى يطعمنى ويسقين ان
يكون مبتدأ وخبره محذوف للدلالة ما قبله عليه وكذا الذى بعده ويجوز ان تكون اوصافا للذى
خلقنى ودخول الواو جائز كقوله: الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم
وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء
الحكم وَإِذَا مَرِضْتُ اى باستيلاء بعض الاخلاط على بعض لما بينهما من التنافر الطبيعى فَهُوَ اى
وحده يَشْفِينِ اى بسبب تعديل المزاج بتعديل الاخلاط وقسرها على الاجتماع
لا الطبيب ولا غيره فان قيل لم اضاف المرض الى نفسه مع ان المرض والشفاء من الله تعالى
اجيب بانه قال ذلك استعمالا لحسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فاردت ان اعيبها
وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واجاب الرازى بان اكثر اسباب المرض يحدث بتفريط
الانسان فى مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قال الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم
لقالوا التخم وبان الشفاء محبوب وهو من اصول النعم والمرض مكروه وليس من النعم وكان
مقصود ابراهيم عليه السلام تعديد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لا جرم لم يضفه الى الله تعالى

كما

ولا ينتقض ذلك باسناد الاماتة اليه كما سيأتي فان الموت ليس بضرر لان شرط كونه ضررا وقوع الاحساس به وحال الموت لا يحصل الاحساس به انما الضرر في مقدماته وذلك هو حاصل المرض ولان الارواح اذا استكملت في العلوم والاخلاق كان بقاؤها في هذه الاجسام عين الضرر وخلاصها عنها عين السعادة بخلاف المرض والذي يميتني بقبض روحي في الدنيا بخلاصي منها فانها ثم يحيين للمجازاة في الآخرة كالشفاء من المرض ولهذا التراخي بين الموت والاحياء اتى بثم هنا لان الاماتة في الدنيا والاحياء في الآخرة ولما ذكر البعث ذكر ما يترتب عليه بقوله والذي اطمع هضما لنفسه واطراحا لاعماله ان يغفر اي يمحو ويستر لي خطيئتي اي تقصيري عن ان اقدره حق قدره يوم الدين اي الجزاء روي ان عائشة قالت قلت يا رسول الله ان ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه انه لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال فان قيل لم قال والذي اطمع والطمع عبارة عن الظن والرجاء وهو عليه السلام كان قاطعا بذلك اجيب بان في ذلك اشارة الى ان الله تعالى لا يجب عليه لاحد شيء فانه يحسن منه تعالى كل شيء ولا اعتراض لاحد عليه في فعله فان قيل لم اسند لنفسه الخطيئة مع ان الانبياء معصومون اجيب بان مجاهدا قال هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هي اختي ورد بان هذه معاريض كلام وتخيلات للكفرة وليست خطايا يطلب لها الاستغفار والاولى في الجواب ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم باجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان قيل لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما المغفرة في الدنيا اجيب بان اثرها يتبين يومئذ وهو الان خفي لا يعلم ولما حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام ثناءه عليه ذكر بعد ذلك دعاءه ومسألته بقوله رب اي ايها المحسن الي هب لي حكما اي علما متقنا بالعمل وقال ابن عباس معرفة حدود الله واحكامه وقال الكلبي النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله ثم بين ان الاعتماد انما هو على محض الكرم فان من نوقش الحساب عذب بقوله والحقني بالصالحين اي الذين جعلتهم ائمة للمتقين في الدنيا والآخرة وهم الانبياء والمرسلون وقد اجابه الله تعالى حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين في ذلك تنبيه على ان تقديم الثناء على الدعاء من المهمات فان قيل لم لم يقتصر ابراهيم عليه السلام على الثناء ولا سيما يروى عنه انه قال حسبي من سؤالي علمه بحالي اجيب بانه عليه السلام انما ذكر ذلك حين اشتغاله بدعوة الخلق الى الحق لانه قال فانهم عدو لي الا رب العالمين ثم ذكر الثناء ثم ذكر الدعاء لما ان الشارع لابد له من تعليم الشرع فاما حين خلا بنفسه ولم يكن غرضه تعليم الشرع اقتصر على قوله حسبي من سؤالي علمه بحالي تنبيه الالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في المنزلة والدرجة في الجنة ثم انه عليه السلام طلب زيادة في الآخرة بقوله واجعل لي لسان

صِدْقٍ اى ذكرا جميلا وقبولا عاما وثناء حسنا بما اظهرت من خصال الخير فِي الْآخِرِينَ اى
من الناس الذين يوجدون بعدى الى يوم الدين لاكون للمتقين اماما فيكون لى مثل اجورهم
فان من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة قال ابن عباس اعطاه الله تعالى
بقوله وتركنا عليه فى الآخرين ان اهل الايمان يتولونه ويثنون عليه وقد جعله الله شجرة مباركة
فرع منها الانبياء الذين احياء الله تعالى بهم ذكره الذى من اعظمه ما كان على لسان اعظمهم
النبى الامى صلى الله عليه وسلم من قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
الى آخره ولما طلب عليه السلام سعادة الدنيا وكان لا نفع لها الا باتصالها بسعادة الآخرة
التى هى الجنة طلبها بقوله وَاجْعَلْنِي اى مع ذلك كله بفضلك ورحمتك مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ
لان فيها النظر الى وجه الله الكريم وهو السعادة الكبرى وشبهها بالارث الذى يحصل
بغير اكتساب اشارة الى انها لا تنال الا بمنه وكرمه لا بشئ من ذلك ولما دعا لنفسه ثنى باحق الخلق
ببره بقوله وَاغْفِرْ لِأَبِي بالهداية والتوفيق الى الايمان لان المغفرة مشروطة بالايمان وطلب
المشروط متضمن الطلب الشرط فقوله واغفر لابى كانه دعاء له بالايمان وقيل ان اباه وعده
بالاسلام لقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فدعا له قبل
ان يتبين له انه عدو لله كما سبق فى سورة التوبة وقيل ان اباه قال له انه على دينه باطنا وعلى دين نمرود
ظاهرا وتقية وخوفا فدعا له لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك
قال فى دعائه إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ فلولا اعتقاده فيه انه فى الحال ليس بضال لما قال ذلك وقيل
ان الاستغفار للكفار لم يكن ممنوعا اذ ذاك وَلَا تُخْزِنِي اى تفضحنى يَوْمَ يُبْعَثُونَ اى العباد
فان قيل كان قوله واجعلنى من ورثة جنة النعيم كافيا عن هذا وايضا قال تعالى ان الخزى اليوم
والسوء على الكافرين فما كان نصيب الكفار فقط كيف يخافه المعصوم اجيب بان حسنات
الابرار سيئات المقربين فكذا درجات الابرار خزى المقربين وخزى كل واحد بما يليق به ولما نبه
عليه السلام على ان المقصود هو الآخرة صرح بالتنزيه فى الدنيا بقوله يَوْمَ لَا يَنْفَعُ اى احدا مَالٌ اى
يفتدى به او يبذله لشافع او ناصر وقاهر وَلَا بَنُونَ ينتصر بهم او يعتضد فكيف بغيرهم وفى استثناء
قوله إِلَّا مَنْ اوجه احدها انه منقطع وجرى عليه الجلال المحلى اى لكن من أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ
فانه ينفعه ذلك الثانى انه مفعول به لقوله تعالى لا ينفع اى لا ينفع المال والبنون الا هذا الشخص
فانه ينفعه ماله المصروف فى وجوه البر وبنوه الصلحاء لانه علمهم واحسن اليهم الثالث انه
بدل من المفعول المحذوف ومستثنى منه اذ التقدير لا ينفع مال ولا بنون احدا
من الناس الا من كانت هذه صفته واختلف فى القلب السليم على اوجه قال الرازى اصحها
ان المراد منه سلامة النفس عن الجهل والاخلاق الرذيلة الثانى انه الخالص من الشرك
والنفاق وهو قلب المؤمن وجرى على هذا الجلال المحلى واكثر المفسرين فان الذنوب قل ان يسلم

منها احد وهذا معنى قول سعيد بن المسيب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن فان قلب الكافر والمنافق
مريض قال تعالى فى قلوبهم مرض الثالث انه الذى سلم وسلم واسلم وسالم واستسلم الرابع انه هو اللديغ
اى القلق المنزعج من خشية الله لكن قال الزمخشرى ان القولين الاخيرين من بدع التفاسير
وقوله تعالى وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ حال من واو يبعثون ومعنى ازلفت قربت اى قربت الجنة لِلْمُتَّقِينَ
فتكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويفرحون بانهم المحشورون اليها زيادة
الى شرفهم وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ اى كشفت وظهرت النار الشديدة لِلْغَاوِينَ اى الكافرين
فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها زيادة فى هوانهم تنبيه فى اختلاف الفعلين
ترجيح لجانب الوعد على الوعيد حيث قال فى حق المتقين وازلفت اى قربت وفى حق الغاوين
وبرزت اى اظهرت ولا يلزم من الظهور القرب وَقِيلَ لَهُمْ تبكيتا وتنديما وتوبيخا وابهم القائل
ليصلح لكل احد تحقيرا لهم ولان المراد نفس القول لا كونه من معين أَيْنَمَا اى اين الذى
كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فى الدنيا ثم حقر معبوداتهم بقوله تعالى مِنْ دُونِ اى من ادنى رتبة من رتب
اللَّهِ اى الملك الذى لا كفء له وكنتم تزعمون انهم يشفعون لكم ويقونكم شر هذا اليوم هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ
بدفع العذاب عنكم أَوْ يَنْتَصِرُونَ بدفعه عن انفسهم فَكُبْكِبُوا اى فتسبب عن عجزهم ان القوا
اى فى مهواة الجحيم هُمْ اى الاصنام وما شابهها من الشياطين ونحوهم وَالْغَاوُونَ
اى الذين ضلوا بهم والكبكبة تكرار الكب لتكرير معناه كان من القى فى النار
ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر فى قعرها وقال الزجاج طرح بعضهم فوق بعض وقال
القتيبى القوا على رؤسهم وَجُنُودُ إِبْلِيسَ وهم اتباعه ومن اطاعه من الانس والجن وقيل ذريته
أَجْمَعُونَ ولما لم يتمكنوا من قول فى جواب استفهامهم قبل القائم قَالُوا اى العبدة وَهُمْ فِيهَا
اى الجحيم يَخْتَصِمُونَ اى مع المعبودات وقولهم تَاللَّهِ اى الذى له جميع الكمال إِنْ كُنَّا
لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اى ظاهر جدا لمن كان له قلب سليم معمول القول وما بينهما وهو وهم فيها
يختصمون جملة حالية معترضة بين القول ومعموله وقيل ان الاصنام تنطق وتخاصم العبدة
ويؤيد الخطاب فى قولهم إِذْ اى حين نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ فى استحقاق العبادة تنبيه ان مخففة
اما مبين او محذوف اى فضللنا فى وقت تسويتنا لكم بالله فى العبادة وَمَا أَضَلَّنَا اى ذلك الضلال
المبين عن الطريق البين إِلَّا الْمُجْرِمُونَ اى الاولون الذين اقتدينا بهم من رؤسائنا وكبرائنا كما
فى اية اخرى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيلا وعن ابن جريج ابليس وابن آدم
الاول وهو قابيل وهو اول من سن القتل وانواع المعاصى فَمَا اى فتسبب عن ذلك انه ما
لَنَا اليوم وزادوا فى تعميم النفى بزيادة الجار فقالوا مِنْ شَافِعِينَ يكونون سببا لادخالنا الجنة
كالمؤمنين تشفع لهم الملائكة والنبيون وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ اى قريب يشفع لنا يقول
ذلك الكفار حين تشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق هو الصادق فى ودادك الذى يهمه

ما أهمك مع موافقة الدين وعن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الرجل
ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله تعالى أخرجوا له صديقه إلى
الجنة فيقول من بقي في النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قال الحسن استكثروا من الأصدقاء
المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة فإن قيل لم جمع الشافع ووحد الصديق أجيب بأن الشفعاء
كثيرون في العادة رحمة له وحسبة وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة وأما الصديق وهو الصادق في
ودادك الذي يهمه ما أهمك قال الزمخشري فأعز من بيض الأنوق انتهى قال الجوهري الأنوق
على فعول طير وهو الرخمة وفي المثل أعز من بيض الأنوق لأنها محرزة فلا يكاد يظفر بها لأن أوكارها
في رؤس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى
له أي لا يوجد ولما وقعوا في هذه الهلكة وانتفى عنهم الخلاص تسبب عنه تمنيهم المحال فقالوا
فلو أن لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا فنكون من المؤمنين أي الذين صار الإيمان لهم وصفا لازما
فأزلفت لهم الجنة. تنبيه. انظر ما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين
حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر
ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الأقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا
عن أن يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله عز وجل فعظم شأنه
وعدد نعمته من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك أن دعاه
بدعوات المخلصين وابتهل إليه ابتهال الأوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله تعالى وعقابه
وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة إلى الدنيا
ليؤمنوا ويطيعوا إن في ذلك أي المذكور من قصة إبراهيم وقومه لآية أي عظة على بطلان
الباطل وحقوق الحق وما أي والحال أنه ما كان أكثرهم أي الذين شهدوا منهم هذا الأمر العظيم
الذي سمعوا عنه مؤمنين أي بحيث صار الإيمان صفة لهم ثابتة وفي ذلك أعظم تسلية
لنبينا صلى الله عليه وسلم وإن ربك أي المحسن إليك بإرسالك وهداية الأمة بك لهو العزيز
أي القادر على إيقاع النقمة بكل من خالفه حين يخالفه الرحيم أي الفاعل فعل الراحم في إمهاله ع ٥
العصاة مع إدرار النعم ودفع النقم وإرسال الرسل ونصب الشرائع لكي يؤمنوا أو واحد من ذريتهم
ولما أتم سبحانه وتعالى قصة الأب الأعظم الأقرب إبراهيم عليه السلام أتبعها بقصة الأب الثاني وهو
نوح عليه السلام وهي القصة الثالثة مقدما لها على غيرها لما له من القدم في الزمان إعلاما بأن
البلاء قديم ولأنها أدل على صفة الرحمة والنقمة اللتين ختم بهما أثر القصة بطول الإملاء لهم على طول
مدتهم ثم تعميم النقمة مع كونهم جميع أهل الأرض فقال كذبت قوم نوح وهم أهل الأرض كلها
من الآدميين قبل اختلاف الأمم بتفرق اللغات المرسلين أي بتكذيبهم نوحا عليه السلام ع ٦
لأنه أقام الدليل على نبوته بالمعجزة ومن كذب بالمعجزة فقد كذب بجميع المعجزات لتساوي

قد اوضحا في الدلائل على صدق الرسل وقد سئل الحسن البصري عن ذلك فقال من كذب واحدا
من الرسل فقد كذب الكل لان الآخر جاء بما جاء به الاول + تنبيه + القوم يؤنث باعتبار معناه
ولذا يصغر على قويمة ويذكر باعتبار لفظه وتذكيره اشهر واختير التانيث هنا للتنبيه على ان
فعلهم اخس الافعال والى انهم مع عتوهم وكثرتهم كانوا عليه سبحانه وتعالى اهون شيء واضعفه
بحيث جعلهم هباء منثورا وكذا من بعدهم ولاجل التسلية عبر بالتكذيب في كل قصة إذ اي
حين قال لهم اخوهم اي في النسب لا في الدين نوح وذكر الاخوة زيادة في تسلية النبي صلى الله
عليه وسلم واشار تعالى الى حسن ادب نوح عليه السلام مع قومه واستجلابهم برفقه ولينه
بقوله لهم الا تتقون الله بان تجعلوا بينكم وبينه وبين المخافة وقاية بطاعته بالتوحيد وترك
الالتفات الى غيره ثم علل اهليته للامر عليهم بقوله اني لكم اي مع كوني اخاكم يسرني ما يسركم
ويسوءني ما يسوءكم رسول اي من عند خالقكم فلا بد وحتما لي مما امرت به امين اي مشهور
بالامانة بينكم لا غش عندي كما تعلمون ذلك مني على طول خبرتكم لي ثم تسبب عن ذلك الرفق
الجزم بالامر فقال فاتقوا الله اي اوجدوا الخوف والحذر والتحرز الذي اختص بالجلال والجمال
لتحوزوا اصل السعادة فتكونوا من اهل الجنة واطيعون فيما امركم به من توحيد الله وطاعته ثم
نفى عن نفسه التهمة بعد ان اثبت امانته بقوله وما اسألكم عليه اي على هذا الحال الذي
اتيتكم به واشار الى الاغراق في النفي بقوله من اجر لتظنوا اني جعلت الدعاء سببا لذلك
ثم اكد النفي بقوله ان اي ما اجري اي ثوابي في دعائي لكم الا على رب العالمين اي الذي
دبر جميع الخلائق وربّاهم وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص بفتح الياء في اجري في المواضع
الخمسة في هذه السورة والباقون بالسكون ولما انتفت التهمة تسبب عن انتفائها اعادة
ما قدمه اعلاما بالاهتمام به زيادة في الشفقة عليهم فقال فاتقوا الله اي الذي حاز جميع صفات
العظمة واطيعون ولما اقام الدليل على نصحه وامانته قالوا اي قومه منكرين عليه ومنكرين
لاتباعه استنادا الى الكبر الذي ينشأ عنه بطر الحق وغمص الناس اي احتقارهم انؤمن لك
اي لاجل قولك هذا وما اوتيته من اوصافك والحال انه قد اتبعك الارذلون اي
فيكون ايماننا بك سببا لاستوائنا معهم والرذالة الخسة والذلة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم
وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الخسيسة كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري
بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبياء
كذلك حتى كانت من سماتهم وامارتهم الا ترى الى هرقل حين سأل ابا سفيان عن اتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس وارذالهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس هم الغاغة
وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة + ولما كانت هذه الشبهة في غاية الركاكة لان نوحا
بعث الى جميع قومه فلا يختلف الحال بسبب الفقر والغنى وشرف المكاسب وخستها اجابهم

بقوله قَالَ وَمَا اى اى شئ عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قبل ان يتبعونى اى ما لى وللبحث عن سرائرهم
وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم فى ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا
هوى وبديهة كما حكى الله عنهم فى قوله الذين هم اراذلنا بادى الراى ثم اكد انه لا يبحث عن بواطنهم
بقوله إِنْ اى ما حِسَابُهُمْ اى فى الماضى والاتى إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي اى المحسن الىّ فهو يحاسبهم ويجازيهم واما
انا فلست بمحاسب ولا مجاز لَوْ تَشْعُرُونَ اى لو كان لكم نوع شعور لعلمتم ذلك فلم تقولوا ما قلتم
مما هو دائر على امور الدنيا فقط ولا نظر له الى يوم الحساب فان الغنى عن الدين والنسب
نسب التقوى ولما اوهم قولهم هذا استدعاء طرح هؤلاء الذين امنوا معه وتوقيف ايمانهم
عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه اجابهم بقوله عليه السلام وَمَا اى ولست أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ
اى الذى صار الايمان لهم وصفا راسخا فلم يرتدوا عنه الطمع فى ايمانكم ولا لغيره من اتباع
شهواتكم ثم علل ذلك بقوله إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ اى محذر لا وكيل فاتش على البواطن ولا متعنت
على الاتباع مُبِينٌ اوضح ما ارسلت به فلا ادع فيه لبسا وقرأ قالون بمدّ انا فى الوصل بخلاف عنه
والباقون بالقصر فلما اجابهم بهذا الجواب فقد ايسوا منه ولم يكن منهم الا التهديد بان قَالُوا لَئِن
لَّمْ تَنتَهِ ثم سموه باسمه جفاء وقلة ادب بقولهم يَا نُوحُ عما تقول لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ قال مقاتل
والكلبى من المقتولين بالحجارة وقال الضحاك من المشتومين فعند ذلك حصل اليأس لنوح عليه السلام
من فلاحهم فلذلك قَالَ شاكيا الى الله ما هو اعلم به منه توطئة للدعاء عليهم معرضا عن تهديدهم
له صبرا واحتسابا لانه من لازم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر رَبِّ اى ايها المحسن الىّ
إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فيما جئت به فليس الغرض من هذا اخبار الله بالتكذيب لعلمه بانه عالم
الغيب والشهادة ولكنه اراد لا ادعوك عليهم لما اذونى انما ادعوك لاجلك ولاجل دينك
ولانهم كذبوك فى وحيك ورسالتك فَافْتَحْ اى احكم بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا اى حكما يكون لى فيه فرج
وبه من الضيق مخرج فاهلك المبطلين وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ اى فى الدين مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مما تعذب
به الكافرين ثم لما كان فى اهلاكهم وانجائه من بديع الصنع ما يجل عن الوصف اظهره فى مظهر
العظمة بقوله تعالى فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ اى الذين اتبعوه فى الدين على ضعفهم وقلتهم فِي الْفُلْكِ
اى السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد
وقال تعالى الْمَشْحُونِ اى الموقور المملوء من الناس والطير والحيوان لان سلامة المملوء جدا اغرب ولما كان
اغراقهم كلهم من الغرائب عظمه باداة البعد فقال تعالى ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ اى بعد انجاء نوح
ومن معه الْبَاقِينَ اى من بقى على الارض ولم يركب معه فى السفينة على قوتهم وكثرتهم
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ اى الامر العظيم من الدعاء والامهال ثم الانجاء والاهلاك لَآيَةً اى عظمة لمن شاهد
ذلك او سمع به وَمَا اى والحال انه ما كَانَ أَكْثَرُهُم اى العالمين بذلك مُّؤْمِنِينَ وقد كان ينبغى لهم
[illegible] العذاب وَإِنَّ رَبَّكَ المحسن

اليك بارسالك وتكثير اتباعك وتعظيم اشياعك لهو العزيز اى القادر بعزته على كل من قسرهم
على الطاعة واهلاكهم فى اول اوقات المعصية الرحيم اى الذى يخص من شاء من عباده بجلائل رحمته
ولما فرغ من ذكر قصة نوح عليه السلام شرع فى قصة هود عليه السلام وهو القصة الرابعة فقال
تعالى كذبت عاد اى تلك القبيلة التى مكن الله تعالى لها فى الارض بعد قوم نوح المرسلين
بالاعراض عن معجزة هود عليه السلام ثم سلى محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى اذ
اى حين قال لهم اخوهم اى فى النسب لا فى الدين هود بصيغة العرض تأدبا معهم وتلطفا بهم
الا تتقون اى يكون منكم تقوى لربكم الذى خلقكم فتعبدونه ولا تشركون به ما لا يضركم
ولا ينفعكم ثم علل ذلك بقوله انى لكم رسول اى فهو الذى حملنى على ان اقول لكم ذلك امين
اى لا اكتم عنكم شيئا مما امرت به ولا اخالف شيئا منه فاتقوا اى تسبب عن ذلك ان اقول لكم
اتقوا الله اى الذى هو اعظم من كل شئ واطيعون اى فى كل ما امركم به من طاعة الله وترك
معاصيه ومخالفته ثم نفى عن نفسه التهمة فى دعائه لهم بقوله وما اى والحال انى ما اسألكم عليه
اى دعائى لكم من اجر فتتهمونى به وانما انا رسول داع ان اى ما اجرى اى ثوابى الا على
رب العالمين فهو الذى يثيب العبد على عمله ولما فرغ من دعائهم الى الايمان
اتبعه انكار بعض ما هم عليه لان ما لهم مال الناسى لذلك الطوفان الذى اهلك الحيوان
واهدم البنيان بقوله لهم اتبنون بكل ريع جمع ريعة وهو فى اللغة المكان المرتفع ومنه قولهم
كم ريع ارضك وهو ارتفاعها وقال ابن عباس الريع كل شرف وقال مجاهد هو الفج بين الجبلين
وقال الضحاك هو كل طريق آية اى علامة على شرفكم لانه لو كان لهداية او نحوها لكفى بعض ذلك
ولكنكم تعبثون بمن يمر فى الطريق الى هود عليه السلام وتسخرون منه والجملة حال
من ضمير تبنون وقيل كانوا يبنون الاماكن المرتفعة ليعرف بذلك غناهم فنهوا عن
ذلك ونسبوا الى العبث وقال سعيد بن جبير هى بروج الحمام لانهم كانوا يلعبون بالحمام
ثم ذكرهم بزوال الدنيا بقوله وتتخذون مصانع قال مجاهد قصورا مشيدة وقال الكلبى هى الحصون
وقال قتادة هى مآخذ الماء يعنى الحياض واحدها مصنعة ولما كان هذا الفعل فعل الراجى للخلود قال
لهم لعلكم اى كانكم تخلدون فيها فلا تموتون ثم بين لهم افعالهم الخبيثة بقوله واذا بطشتم اى
اردتم البطش باحد بضرب او قتل بطشتم جبارين اى من غير رأفة قال البغوى والجبار الذى يضرب
ويقتل على الغضب. تنبيه. انما قدرنا الارادة لئلا يتحد الشرط والجزاء وجبارين حال ولما خوفهم
هود عليه السلام بهذا الانكار وهو ان اتخاذ الابنية العالية يدل على حب الدنيا واتخاذ
المصانع يدل على حب البقاء والجبارية تدل على حب التفرد بالعلو وهى ممتنعة الحصول للعبد خوفهم
بهذا الانكار عقابها لجبار تسبب عن ذلك قوله فاتقوا الله اى الذى له صفات الجلال والاكرام
واطيعون زيادة فى دعائهم الى الآخرة وزجرا لهم عن حب الدنيا والاشتغال بالسرف والتجبر ثم وصل هذا

الوعظ بما يؤكد القبول بان نبههم على نعم الله تعالى عليهم بقوله وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ اى جعل لكم
مددا وهو اتباع الشئ ما يقوّيه على الانتظام بِمَا تَعْلَمُونَ اى ليس فيه نوع خفاء حتى تغفلوا
عن تقييده بالشكر ثم فصل ذلك المجمل بقوله أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ تعينكم على الاعمال وتأكلون
منها وتبيعون وَبَنِينَ يعينونكم على ما تريدون عند العجز وَجَنَّاتٍ اى بساتين ملتفة الاشجار
بحيث تستر داخلها وَعُيُونٍ اى انهار تشربون منها وتسقون انعامكم وبساتينكم ثم خوفهم بقوله
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ قال ابن عباس ان عصيتمونى اى فانكم قومى يسوءنى ما يسوءكم عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
فى الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام فهو قادر على الانتقام وتعظيم اليوم ابلغ من تعظيم
العذاب ولما بالغ عليه السلام فى وعظهم وتنبيههم على نعم الله تعالى حيث اجملها ثم فصلها
مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها
عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة قادر على
الانتقام منكم ولم يقدّر الله تعالى هدايتهم قَالُوا له راضين بما هم عليه سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ اى خوفت
وحذرت أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ فانا لا نرعوى عما نحن فيه فان قيل لو قيل اوعظت ام لم تعظ
كان اخصر والمعنى واحد أجيب بان ذلك لتوافق القوافى او لان المعنى ليس واحدا بل بينهما
فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذى هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه
فهو ابلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ وقرأ قوله تعالى إِنْ اى ما هَٰذَا اى
الذى جئتنا به إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بضم الخاء واللام اى ما هذا الذى
نحن فيه الا عادة الاولين فى حياة ناس وموت آخرين وعافية قوم وبلاء آخرين وقرأ الباقون
بفتح الخاء وسكون اللام اى ما هذا الا كذب الاولين وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ اى على ما نحن عليه
لانا اهل قوة وشجاعة ونجدة وبلاغة وبراعة ولما تضمن هذا التكذيب تسبب عنه قوله تعالى
فَكَذَّبُوهُ ثم تسبب عن تكذيبهم قوله تعالى فَأَهْلَكْنَاهُمْ فى الدنيا بريح صرصر وسيأتى بيانه ان شاء الله
تعالى فى سورة الحاقة إِنَّ فِي ذَٰلِكَ اى الاهلاك فى كل قرن للمكذبين والانجاء للمصدقين لَآيَةً
اى عظيمة لمن بعدهم على انه تعالى فاعل ذلك وحده وانه مع اوليائه ومن كان معه لا يذل وانه على
اعدائه ومن كان عليه لا يعز وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ اى اكثر من كان بعدهم مُؤْمِنِينَ اى فلا تحزن انت
يا اشرف الرسل على من اعرض عن الايمان وَإِنَّ رَبَّكَ اى المحسن اليك بارسالك وغيره من النعم
لَهُوَ الْعَزِيزُ فى انتقامه ممن عصاه الرَّحِيمُ فى انعامه واكرامه واحسانه مع عصيانه وكفرانه ع
وارسال المرسلين وتاييدهم بالآيات المعجزة ثم اتبع قصة هود عليه السلام قصة صالح عليه
السلام وهى القصة الخامسة بقوله تعالى كَذَّبَتْ ثَمُودُ وهم اهل الحجر الْمُرْسَلِينَ وقرأ نافع
وابن كثير وعاصم باظهار التاء عند المثلثة والباقون بالادغام واشار تعالى الى زيادة التسلية
بفجاءتهم بالتكذيب من غير تامل ولا توقف بقوله تعالى إِذْ اى حين قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ

اى فى النسب لا فى الدين صالح بصيغة العرض تأدبا معهم وتلطفا بهم كقول من تقدم قبله
ألا تتقون الله ثم علل ذلك بقوله إني لكم رسول من رب العالمين فلذلك عرضت عليكم هذا
لانى مأمور بذلك أمين فى جميع ما ارسلت به اليكم من هذا الكلام الذى لا احد ابعد منه بحكم
ثم تسبب عن قوله انى لكم رسول قوله فاتقوا الله اى الذى له الغنى المطلق وأطيعون فيما اتيت
به من عند الله ثم نفى عنه ما قد يتوهم ممن لا عقل له بقوله وما أسألكم عليه اى ما اتيتكم به واغرق
فى النفى بقوله من أجر ثم زاد فى تأكيد هذا النفى بقوله إن اى ما أجري الا على رب
العالمين فهو المتفضل المنعم على خلقه ثم شرع ينكر عليهم اكل خيره وعبادة غيره بقوله أتتركون
اى من ايدى النوائب التى لا يقدر عليها الا الله تعالى فى ما ههنا اى فى بلادكم هذه الا من النعم
حالة كونكم آمنين لا تخافون وانتم تبارزون الملك القهار بالمظالم + فائدة + تكتب فى ما ههنا فى
مقطوعة عن ما ثم فسر الجملة بقوله فى جنات اى بساتين تستر الداخل فيها وتخفيه لكثرة
اشجارها وعيون تسقيها مع ما لها من البهجة وغير ذلك من المنافع وزروع اى من سائر الانواع
ونخل طلعها اى ما يطلع منها من الثمر هضيم قال ابن عباس هو اللطيف ومنه قولهم كشح هضيم
وقيل هو الجواد الحكيم من قولهم يد هضوم اذا كانت تجود بما لديها وقال اهل المعانى هو
المنضم بعضه الى بعض فى وعائه قبل ان يظهر والطلع عنقود التمر قبل خروجه من الكم وقال الزمخشرى
الطلع هو الذى يطلع من النخلة كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو والقنو هو اسم للخارج
من الجذع كما هو بعرجونه فان قيل لم قال ونخل بعد قوله فى جنات والجنة تتناول النخل اول شئ
كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل
كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقى جنة سحقا + وسحقا جمع سحوق
ولا يوصف به الا النخل اجيب بوجهين احدهما انه خص النخل بافراده بعد دخوله فى جملة سائر
الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها الثانى ان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ
يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل ولما ذكر ما انعم الله تعالى به عليهم اتبعه افعالهم الخبيثة بقوله
وتنحتون اى والحال انكم تنحتون اظهارا للقدرة من الجبال وقرأ بيوتا ورش وابو عمرو وحفص
بضم الباء والباقون بكسرها وقرأ فارهين ابن عامر والكوفيون بالالف بعد الفاء اى حاذقين
وقرأ الباقون بغير الف اى بطرين لا حاجة لكم الى شئ من ذلك فاتقوا اى فتسبب عن ذلك انى
اقول لكم اتقوا الله الذى له جميع العظمة بأن تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية باتباع اوامره
واجتناب زواجره وأطيعون اى فى كل ما امرتكم به عنه فانى لا آمركم الا بما يصلحكم ولا تطيعوا
أمر المسرفين اى المجاوزين للحدود وقال ابن عباس المشركين وقال مقاتل هم التسعة الذين
عقروا الناقة تنبيه استعير الطاعة التى هى انقياد الآمر لامتثال الامر او جعل للامر مطاعا
على المجاز الحكمى والمراد الآمر ومنه قولهم لك علىّ امرة مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امرى

ثم وصف المسرفين بما بين سرفهم بقوله الذين يفسدون في الأرض بالمعاصي ولا يصلحون أي
ولا يطيعون الله في أمرهم به فإن قيل فما فائدة ولا يصلحون بعد قوله يفسدون أجيب بأن في
ذلك دلالة على خلوص فسادهم فليس فيه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين
مخلوطا ببعض الصلاح ولما عجزوا عن الطعن في شيء مما دعاهم إليه عدلوا إلى التخييل على عقول الضعفاء
بأن قالوا إنما أنت من المسحرين قال مجاهد وقتادة من المسحورين المخدوعين أي ممن
سحر مرة بعد مرة أي حتى غلب على عقله وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أي
من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب ولست بملك وعلى هذا يكون قولهم ما أنت إلا بشر مثلنا
تأكيدا له قيل المسحر هو المخلوق بلغة بجيلة أي فما وجه تخصيصك عنا بالرسالة فأت بآية
أي علامة تدل على صدقك إن كنت من الصادقين أي الراسخين في الصدق فقال لهم صالح
ما تريدون قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فأخذ صالح يتفكر فقال له
جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا
مثلها في العظم وعن أبي موسى رأيت مصدرها فإذا هو ستون ذراعا فلما رأوها قال لهم صالح
هذه ناقة أخرجها الله من الصخرة كما اقترحتم لها شرب أي نصيب من الماء في يوم معلوم ولكم شرب يوم
أي نصيب من الماء في يوم معلوم لا تهام بينكم وبينها وعن قتادة إذا كان يوم شربها شربت ماءهم
ولا تشرب في يومهم ماء ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر ثم خوفهم بالسبب عن عصيانهم بقوله فيأخذكم
أي يهلككم عذاب يوم عظيم بسبب ما حل فيه من العذاب فهو أبلغ من وصف العذاب بالعظم
وأشار إلى سرعة عصيانهم بفاء التعقيب في قوله فعقروها أي فقتلوها بضرب ساقها بالسيف وأسند
العقر إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقر برضاهم فكأنهم فعلوا ذلك فأصبحوا أي فتسبب عن عقرهم
لها أنهم أصبحوا حين رأوا مخائل العذاب نادمين على عقرها من حيث إنه يفضي إلى العقاب
والهلاك لا من حيث إنه معصية الله ورسوله وليس على وجه التوبة أو كان ذلك عند رؤية البأس
فلم ينفعهم فأخذهم العذاب أي العذاب الموعود على عقرها إن في ذلك أي ما تقدم في هذه
القصة من الغرائب لآية أي دلالة عظيمة على صحة ما أمروا به عن الله وما أي والحال أنه مع
ذلك ما كان أكثرهم مؤمنين بل استمروا على ما هم عليه وإن ربك أي المحسن إليك بأحسن
الأخلاق لهو العزيز أي فلا يمتنع شيء عن قبضته وإرادته الرحيم أي في كونه لم يهلك أحدا حتى ع
يرسل إليهم رسولا يبين لهم ما يرتضيه الله تعالى وما يسخطه ثم أتبع قصة صالح عليه السلام قصة
لوط عليه السلام وهي القصة السادسة فقال كذبت أي كذبت بما من تقدم كأنهم تواصوا به
قوم لوط المرسلين لأن من كذب رسولا ممن مضى فقد كذب الكل ثم بين سرعتهم في الضلال
ربع بقوله تعالى إذ أي حين قال لهم أخوهم أي في البلد لا في الدين ولا في النسب لأنه ابن أخي
١٨ إبراهيم عليهما السلام وهما من بلاد المشرق من أرض بابل وكأنه عبر بالأخوة لاختياره

بمجاورتهم ومناسبتهم بمصاهرتهم واقامته بينهم في مدينتهم مدة مديدة وسنين عديدة
واتيانه بالاولاد من نسائهم مع موافقته لهم في انه قروي ثم بينه بقوله تعالى لوط بصيغة العرض كغيره
ممن تقدم الا تتقون الله فتجعلون بينكم وبين سخطه وقاية ثم علل ذلك بقوله اني لكم اي خاصة رسول
فلا تسعني المخالفة امين لا تخشى عندي ولا خيانة ثم تسبب عن ذلك قوله فاتقوا الله اي الملك العظيم
فانه قادر على ما يريد فلا تعصوه واطيعون اي لان سبب نهاتكم لا اني لا آمركم الا بما يرضيه
ولا انهاكم الا عما يغضبه ثم نفى عن نفسه ما يتوهم كما تقدم لغيره بقوله وما اسألكم عليه
اي الدعاء الى الله تعالى من اجر اي فتتهموني بسببه ان اجري الا على رب العالمين
اي المحسن الى بايجادكم ثم باتر بيتكم ثم وبخهم ووعظهم بقوله اتأتون الذكران وقوله من العالمين
يحتمل عوده الى الآتي اي انتم من جملة العالمين مخصوصون بهذه الصفة وهي اتيان الذكور
لم يفعل هذا الفعل غيركم من الناكحين من الخلق ويحتمل عوده الى المأتي اي انتم اخترتم
الذكران من العالمين لا الاناث منهم وعلى هذا يحتمل ان يراد الذكران من الآدميين
ومن غيرهم توغلا في الشر وتجاهلا بالتهتك قال البقاعي وان يراد الآدميون وجرى عليه
البغوي واكثر المفسرين اي تريدون الذكران من اولاد آدم مع كثرة الاناث وغلبتهن وتذرون
اي تتركون لهذا الغرض ما خلق لكم اي للنكاح ربكم اي المحسن اليكم وقوله من ازواجكم يصلح
ان يكون تبيينا اي وهن الاناث وان يكون للتبعيض ويكون المخلوق لذلك هو القبل
وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ثم كانهم قالوا نحن لم نترك نساءنا اصلا ورأسا وان كانوا
قد فهموا ان مراده تبكيتهم حال الفعل في الذكور فقال مضربا عن مقالهم لما ارادوا به
حيدة عن الحق وتماديا في الفجور بل انتم قوم عادون اي متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا
على سائر الناس بل والحيوانات اي مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بان
توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة ولما اتضح الحق عندهم وعرفوا ان لا وجه لهم
في ذلك وانقطعت حجتهم قالوا مقسمين لئن لم تنته وسموه باسمه جفاء وغلظة بقولهم يا لوط
اي عن مثل انكارك هذا علينا لتكونن من المخرجين اي ممن اخرجناه من بلدنا على وجه فظيع
من تعنيف واحتباس املاك كما هو حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان بعض اهل
مكة بمن يريد المهاجرة وهذا اشارة الى انه غريب عندهم وعادتهم المستمرة نفي من اعترض عليهم
قال مجيبا لهم اني مؤكدا المضمون ما يأتي به لعملكم من القالين اي المبغضين غاية البغض
لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد + تنبيه + قوله من القالين ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال كما تقول
فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم
ومعروفة مساهمته لهم في العلم والقلى البغض الشديد كان البغض يقلي الفؤاد والكبد
والقالي المبغض كما قال القائل + فوالله ما فارقتكم قاليا لكم + ولكن ما يقضى فسوف يكون

ثم انه عليه السلام دعا الى الله تعالى بقوله رب نجني واهلي وقوله مما يعملون يحتمل ان يريد من
عقوبة عملهم قال الزمخشري وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة ثم ان الله تعالى قبل
دعاءه كما قال تعالى فنجيناه واهله مما عذبناهم به باخراجنا اياه من بلدهم حين استخفافهم له
ولم نوقعه عليهم الا حين خرج من بينهم الا اهله واكد بقوله تعالى اجمعين اشارة الى انه نجى
اهل بيته ومن تبعه على دينه ثم استثنى تعالى من اهل بيته قوله تعالى الا عجوزا وهي امرأته
كائنة في حكم الغابرين اي الماكثين الذين تلحقهم البغتة بما يكون من الداهية فانا لم ننجها
لقضائنا بالهلاك في الازل لكونها لم تتابعه في الدين ولم تخرج معه وكانت مائلة الى القوم راضية
بفعلهم وقيل انها خرجت فاصابها حجر فاهلكها فان قيل كان اهله مؤمنين ولولا ذلك
لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم اجيب بان الاستثناء انما وقع من اهل بيته كما
مرت الاشارة اليه وفي هذا الاسم لها معهم مشاركة في الولاية وان لم تشاركهم في الايمان فان قيل
في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرين ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم اجيب
بان معناه الا عجوزا مقدرا غبورها او في حكمهم كما مرت الاشارة اليه ثم دمرنا اي اهلكنا الاخرين
اي المؤخرين عن اتباع لوط وفي التعبير بلفظ الاخرين اشارة الى تأخرهم من كل وجه ثم لما
كان المراد بقوله تعالى دمرنا اهلكنا بتدميرهم عطف عليه قوله وامطرنا عليهم مطرا قال وهب
ابن منبه الكبريت والنار وقال قتادة امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة من السماء
فاهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف الى المنذرين فاعل ساء
وذلك لان فاعل فعل الذم اذا كان ظاهرا يجب ان يكون معرفا بلام الجنس او مضافا الى المعرف بلام
الجنس ليحصل الابهام المقصود ثم التفصيل ولا يأتي ذلك في لام العهد والمخصوص بالذم محذوف
وهو مطرهم ان في ذلك اي اهلاك لوط ومن معه واهلاك هؤلاء الكفار الفجار لآية اي دلالة عظيمة
على ما يصدق الرسل في تهديدهم وتخويفهم ولما كان من اتى بعد هذه الامم كقريش ومن بعدهم
لما علموا اخبارهم ومضوا الى تلك الاخبار نظرا الى الديار والتوسم في الاثار قال تعجبا من حالهم في
ضلالهم فدا اي والحال انه وما كان اكثرهم مؤمنين اي لهؤلاء وان ربك وحده لهو العزيز
اي في بطشه لاعدائه الرحيم في لطفه باوليائه ثم اتبع قصة لوط عليه السلام بقصة شعيب عليه
السلام وهي القصة السابعة قال تعالى كذب اصحاب الايكة اي الغيضة ذات الارض الجيدة التي
يتبع الماء فتنبت الشجر الكثير الملتف المرسلين لتكذيبهم شعيبا عليه السلام فيما اتى به من المعجزة
السماوية في خرق العادة وعجز المتحدين بها عن مقاومتها البقية المعجزات التي اتى بها الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليكة بلام مفتوحة من غير الف وصل وياء
ساكنة ولا همزة قبلها وفتح تاء التأنيث والباقون باسكان اللام وقبلها وصل وبعد اللام همزة
مفتوحة بعدها ياء ساكنة وخفض تاء التأنيث قال ابو عبيدة وجدنا في بعض التفاسير الفرق

بين ليكة والايكة فقيل ليكة اسم للقرية التى كانوا فيها والايكة البلاد كلها فصار الفرق بينهما شبيها بما بين مكة وبكة ثم بين تعالى وقت تكذيبهم بقوله تعالى ﴿إِذْ﴾ اى حين ﴿قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ برفق ولطف ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله الذى تفضل عليكم بنعمه ولم يقل اخوهم شعيب لانه لم يكن من اهل الايكة فى النسب لانهم كانوا اهل بدو وكان عليه السلام قرويا لان الله تعالى لم يرسل نبيا الا من اهل القرى تشريفا لهم لان البركة والحكمة فى الاجتماع ولذلك نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التعرب بعد الهجرة وقال من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة ولما ذكر مدين قال اخاهم شعيبا لانه كان منهم وكان الله تعالى بعثه الى قومه اهل مدين واصحاب الايكة ثم الكرماء القول الى واشار الى تبشيرهم ان اطاعوه بقوله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ اى من عند الله فهو امرنى ان اقول لكم ذلك ﴿أَمِينٌ﴾ اى لا خيانة عندى ولا غش فلذلك ابلغكم جميع ما ارسلت به وان لك تسبب عنه قوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اى المحسن اليكم بهذه النعمة وغيرها ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ لما بينت من نصحى لكم ثم ذكر ما ذكره من تقدمه من الانبياء من نفى ما يتوهم ان لهم رغبة فى اجرة على دعائهم فقال ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ اى دعائى لكم الى الايمان بالله تعالى ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ ثم زاد فى البراءة من الطمع فى احد من الخلق بقوله ﴿إِنْ﴾ اى ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ اى المحسن الى الخلائق كلهم فانا لا ارجو احدا سواه ثم نصحهم بقوله ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ اى اتموه اتماما لا شبهة فيه اذا اكلتم كما توفونه اذا اكتلتم ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ اى الناقصين لحقوق الناس فى الكيل والوزن كما قال تعالى ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ اى الكيل ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ اى كالوا لهم ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ اى وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون الكيل او الوزن ﴿وَزِنُوا﴾ اى لانفسكم ولغيركم ﴿بِالْقِسْطَاسِ﴾ اى الميزان الاقوم واكد معناه بقوله ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ وقيل هو بالرومية العدل وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف والباقون بالضم ثم ان الكيل على ثلاثة اضرب واف وطفيف وزائد فامر بالواجب الذى هو الايفاء بقوله تعالى ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ ونهى عن المحرم الذى هو الطفيف بقوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ولم يذكر الزائد لانه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا اثم عليه والوزن فى ذلك كالكيل ولما تم فى النهى عن النقص قوله ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾ اى تنقصوا ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ اى فى كيل او وزن او غير ذلك ثم اتبع ذلك بما هو اعم بقوله ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾ اى لا تتصرفوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ من غير تامل حال كونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾ اى فى المال او غير ذلك كقطع الطريق والقتل ثم خوفهم بعد ان وعظهم ونهاهم عن الفساد من سطوة الجبار ما حل بمن هو اعظم منهم بقوله ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ اى من نطفة فاعدامكم اهون شئ عليه واشار الى ضعفهم وقوة من كان قبلهم بقوله ﴿وَالْجِبِلَّةَ﴾ اى الجماعة والامم ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ الذين كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة كانها الجبال قوة وصلابة لا سيما قوم هود الذين بلغت بهم الشدة ان قالوا من اشد منا قوة وقد كانت اشد منهم مع الله تعالى افضل عليكم متقدما ثم انهم اجابوه بالقدح فى الرسالة اولا باستبعاد البشرية ثانيا بان

قالوا انما انت من المسحرين الذين كرر سحرهم مرة بعد اخرى حتى اختلفوا فصار كلامهم على
غير نظام او من المعللين بالطعام والشراب كما مضى فى صالح عليه السلام اى فانت بعيد عن الصلاحية
للرسالة ثم اشاروا الى عدم صلاحية البشر لها مطلقا ولو كانوا اعقل الناس بقولهم وما انت الا بشر
مثلنا اى فلا وجه لتخصيصك عنا بذلك واتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منا قضين
منافيين للرسالة مبالغة فى تكذيبه ولهذا قالوا وان نظنك لمن الكاذبين اى فى دعواك
تنبيه مذهب البصريين ان ان هذه هى المخففة من الثقيلة اى وانا نظنك والذى يقتضيه
السياق ترجيح مذهب الكوفيين هنا فى ان ان نافية فانهم ارادوا باثبات الواو فى وما انت المبالغة فى
نفى الرسالة بتعداد ما ينافيه فيكون مرادهم انه ليس لنا ظن يتوجه الى غير الكذب وهو ابلغ من اثبات
الظن به ثم ان شعيبا عليه السلام كان توعدهم بالعذاب ان لم يؤمنوا فقالوا فاسقط علينا كسفا
اى قطعا من السماء اى السحاب او الحقيقة ان كنت من الصادقين اى العريقين فى الصدق المشهورين
فيما بين اهله لنصدقك فيما تزعم من امرك لنا باتخاذ الوقاية من العذاب + تنبيه + انظر الى
حسن نظر شعيب عليه السلام كيف هددهم بما لله عليهم من القدرة فى خلقهم وخلق من كانوا
اشد منهم قوة واهلاكهم بانواع العذاب لما عصوا بتكذيب رسلهم وقرأ حفص بفتح السين
والباقون بالسكون وهنا همزتان مكسورتان فقالون والبزى يسهل الهمزة الاولى مع المد
والقصر واسقطها ابو عمرو مع المد والباقون بتحقيق الاولى قال لهم شعيب فى جوابهم ربى اعلم
بما تعملون فيجازيكم به فان شاء عجل لكم العذاب وان شاء اخره الى اجل معلوم واما انا فليس على
الا البلاغ وانا مامور به فلم اخفه فلم من نفسى ولا ادعيت قدرة على عذابكم فطلبكم ذلك منى
مضموم الى ظلمكم بالتكذيب فكذبوه اى استمروا على تكذيبه فاخذهم اى فتسبب عن
تكذيبهم ان اخذهم عذاب يوم الظلة وهى سحابة على نحو ما طلبوا من قطع السماء روى ان الله
تعالى حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الحر وهو شدة الحر مع سكون الريح فاخذ بانفاسهم
لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شراب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما
فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروى ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب
الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم
وقد تقدم ان تعظيم اليوم ابلغ من تعظيم العذاب ان فى ذلك اى الاهلاك العظيم من الانجاء المطرد لكل رسول
ومن اطاعه والاهلاك المطرد لمن عصاه فى كل عصر بكل قطر بحيث لا يشذ من الفريقين انسان قاص ولا دان
لاية اى دلالة واضحة عظيمة على صدق الرسل وان يكونوا لا يدينون بتصديق العباد لهم فى جميع
ما قالوه من البشائر والنذائر بان الله تعالى يهلك من عصاه وينجى من والاه لانه الفاعل المختار
لما يريد وما كان اكثرهم اى اكثر قومك كما كان من قبلهم مؤمنين مع انك قد اتيت قومك
بما لا يكون معه شك لو لم يكن لهم بك معرفة قبل ذلك فكيف وهم عارفون بانك كنت قبل الرسالة

اصدقهم لهجة واعظمهم امانة واغزرهم عقلا واعلاهم عن كل ذى دنس وَإِنَّ رَبَّكَ اى المحسن
اليك بكل ما يعلى شانك ويوضح برهانك لَهُوَ الْعَزِيزُ فلا يعجزه احد الرَّحِيمُ بالامهال لكى ع
يؤمنوا او احد من ذريتهم وهذا اخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين له فان قيل كيف كرر فى هذه السورة فى اول كل
قصة واخرها ما كرر اجيب بان كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما فى غيرها فكانت
كل واحدة منها تدلى بحق على ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان
فى التكرير تقريرا للمعانى فى الانفس وتثبيتا لها فى الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم
الا ترديد ما يراد حفظه منها وكلما زاد ترديده كان امكن فى القلب وارسخ فى الفهم واثبت
للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها اذان وقر عن الانصات للحق
وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا
او يشق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا وفى ذلك
دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده
عن عقابه وان الانبياء متفقون على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع مبرؤن عن المطامع الدنيئة
والاغراض الدنيوية ولما ذكر الله تعالى قصص الانبياء عليهم السلام اتبعه بما يدل على نبوته صلى الله عليه
وسلم بقوله تعالى وَإِنَّهُ اى الذكر الذى اتاهم بهذه الاخبار وهم عنه معرضون وله تاركون لَتَنْزِيلُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ اى الذى رباهم بشمول علمه وعظيم قدرته ما يعجز عن اقل شئ منه غيره نَزَلَ بِهِ اى نجوما على
سبيل التدريج من الافق الاعلى الذى هو محل البركات وعبر عن جبريل عليه السلام بقوله الرُّوحُ
دلالة على انه مادة خير وان الارواح تحيا بما ينزله من الهدى وقال تعالى الْأَمِينُ اشارة الى كونه
عليه السلام معصوما من كل دنس فلا يمكن منه خيانة عَلَىٰ قَلْبِكَ يا اشرف الرسل ففهمته وحفظته
لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القران ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان الاخبار عنها ممن
لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله تعالى وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص بتخفيف الزاى والروح
الامين برفعهما والباقون بتشديد الزاى والروح الامين بنصبهما فان قيل لم قال على قلبك وهو
انما نزل عليه اجيب بانه ذكر ليؤكد ان ذلك المنزل محفوظ والرسول متمكن من قلبه لا يجوز
عليه التغير ولان القلب هو المخاطب فى الحقيقة لانه موضع التمييز والاختيار واما سائر الاعضاء
فمسخرة له ويدل على ذلك الكتاب والسنة والمعقول فمن الكتاب قوله تعالى نزل به الروح الامين على
قلبك واستحقاق الجزاء ليس الا على ما فى القلب قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب ومن المعقول ان القلب اذا غشى عليه
وقطع سائر الاعضاء لم يحصل به الشعور واذا افاق القلب شعر بجميع ما ينزل بالاعضاء من الافات واذا فرح

القلب او حزن تغير حال الاعضاء عند ذلك ولان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل
منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش منه لوح المخيلة ولما كان السياق
في هذه السورة للتحذير قال تعالى معللا للجملة التي قبله لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ اى المخوفين المحذرين
لمن اعرض عن الايمان وفعل ما نهى عنه من المعاصي وقوله تعالى بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ يجوز ان يتعلق
بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب و
اسمعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لينذر
به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به قال
ابن عباس بلسان القرشي ليفهموا ما فيه ولما كان في العربي ما قد يشكل على بعض العرب قال تعالى
مُبِينٍ اى بين في نفسه كاشف لما يراد منه غير تارك لبسا عند من تدبره على ما يتعارفه العرب
في مخاطباتها من سائر لغاتها بحقائقها ومجازاتها على اتساع اراداتها وتباعد مراميها في محاوراتها وحسن
مقاصدها في كناياتها واستعاراتها ومن يحيط بذلك حق الاحاطة غير العليم الحكيم الخبير البصير ولما
كان الاستكثار من الادلة مما يسكن النفوس وتطمئن به القلوب قال تعالى وَإِنَّهُ اى هذا القرآن اصوله
وكثيرا من قصصه وامهات فروعه لَفِي زُبُرِ اى كتب الْأَوَّلِينَ كالتورية والانجيل وقيل وانه اى
محمدا ونعته لفي كتب الاولين أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ اى لكفار مكة ذلك آيَةً اى على صحة القرآن او نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن عامر بالتاء الفوقية ورفع آية على انها الاسم والخبر لهم والباقون
بالياء التحتية ونصب آية على انها خبر وقوله تعالى أَنْ يَعْلَمَهُ اى هذا الذي يأتي به نبينا من
عندنا هو اسمها عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اى يعرفونه بنعته المذكور في كتبهم والمعنى اولم يكن لهؤلاء المنكرين
علم بني اسرائيل علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان العلماء الذين كانوا من
بني اسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم كعبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد
واسيد قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين قال ابن عباس
بعث اهل مكة الى اليهود بالمدينة فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا نجد
في التورية نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه + فائدة + خط في المصحف علماء بواو قبل الالف
على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا قال الله تعالى
وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ اى القرآن على ما هو عليه من الحكمة والاعجاز عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ اى على رجل ليس بعربي
اللسان او بلغة العجم فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ اى كفار مكة مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم
فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وقالوا ما نفقه قولك وجعلوه عذرا بجحودهم ونظيره ولو جعلناه
قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته + تنبيه + الاعجمين جمع اعجمي بياء النسب على التخفيف بحذفها
من الجمع ولكونه جمع اعجمي جمع جمع سلامة لانه حينئذ ليس من باب افعل فعلاء بخلاف ما لو كان
جمع اعجم فان مؤنثه عجماء بوزن افعل فعلاء وهو عند البصريين لا يجمع هذا الجمع الا لضرورة كقوله

الشاعر

مثلا لكل اسودين واحمرين وقال ابن عطية جمع اعجم يقال الاعجمون جمع اعجم وهو الذى لا يفصح وان كان عربى النسب يقال له اعجم وذلك يقال للحيوانات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار واسند الطبرى عن عبد الله بن مطيع انه كان واقفا بعرفة وتحته جمل فقال جملى هذا اعجم ولو انه انزل عليهم ما كانوا يؤمنون ولما كان ذلك محل تعجب وكانه ربما ظن له ان الامر على خلاف حقيقته قرر مضمونه وحققه بقوله تعالى كَذٰلِكَ اى مثل ادخالنا التكذيب به بقراءة الاعجم سَلَكْنَاهُ قال ابن عباس والحسن ومجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ اى كفار مكة بقراءة النبى صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على ان الكل بقضاء الله تعالى وقدره وقيل الضمير فى سلكناه عائد الى القرآن قال ابن عادل وهو الظاهر اى سلكناه فى قلوب المجرمين كما سلكناه فى قلوب المؤمنين ومع ذلك لم ينجع فيهم وفى جملة لَا يُؤْمِنُونَ بِهٖ وجهان احدهما الاستئناف على جهة البيان والايضاح لما قبله والثانى انها حال من الضمير فى سلكناه اى سلكناه غير مؤمن به اى من اجل ما جبلوا عليه من الاجرام وجعل على قلوبهم من الطبع والختام حَتّٰى يَرَوُا الْعَذَابَ الْاَلِيْمَ اى الملجئ للايمان فحينئذ يؤمنون حيث لا ينفعهم الايمان ويطلبون الامان حيث لا امان ولما كان اتيان الشر فجأة اشد قال تعالى فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَّهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ باتيانه فَيَقُوْلُوْا اى تاسفا واستسلاما وتلهفا فى تلك الحالة لعلمهم بانه لا طاقة به بوجه هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُوْنَ اى مفسوح لنا فى اجالنا فنسمع ونطيع فان قيل ما معنى التعقيب فى فيأتيهم بغتة فيقولوا اجيب بانه ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجاته وسؤال النظرة فى الوجود وانما المعنى ترتبها فى الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى يكون رؤيتهم للعذاب عما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة عما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة مثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فانه لا يقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسئ فانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين عما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم تقع فى هذا الاسلوب فيحل موقعها ولما اوعدهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب قال الله تعالى اَفَبِعَذَابِنَا اى وقد تبين لهم كيف اخذه للامم الماضية والقرون الخالية والاقوام العاتية يَسْتَعْجِلُوْنَ اى بقولهم امطر علينا حجارة اسقط علينا كسفا من السماء ونحو ذلك اَفَرَءَيْتَ اى هب ان الامر كما يعتقدون من طول عيشهم فى النعيم فاخبرنى اِنْ مَّتَّعْنٰهُمْ اى فى الدنيا برغد العيش وصافى الحيوة سِنِيْنَ ثُمَّ جَآءَهُمْ اى بعد تلك السنين المتطاولة والدهور المتواصلة مَّا كَانُوْا يُوْعَدُوْنَ من العذاب مَآ اى اى شئ اَغْنٰى عَنْهُمْ اى فيما اخذهم من العذاب مَّا كَانُوْا يُمَتَّعُوْنَ برفع العذاب او تخفيفه اى لم يغن عنهم طول التمتع شيئا ويكون كانهم لم يكونوا فى نعيم قط وعن ميمون بن مهران انه لقى الحسن فى الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظنى فلم يزد على تلاوة هذه الاية فقال له ميمون لقد وعظت فابلغت وَمَآ اَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ اى من القرى السالفة بعذاب الاستيصال اِلَّا لَهَا مُنْذِرُوْنَ اى رسل لهم

وتبعه من امته ومن سمعوا من الرسل باخبارهم مع اممهم من قبلهم ثم علل الانذار بقوله تعالى
ذكرى اى تنبيها عظيما على ما فيه النجاة او جعل المنذرين نفس الذكرى كما قال تعالى قد انزلنا اليكم
ذكرا رسولا وذلك اشارة الى امعانهم فى التذكير حتى صاروا اياه وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ اى فى اهلاك
شئ منها لانهم كفروا نعمتنا وعبدوا غيرنا بعد الاعذار اليهم ومتابعة الحجج ومواصلة الوعيد
تنبيه الواو فى قوله وما كنا واو الحال من نون اهلكنا فان قيل كيف عزلت الواو عن الجملة
بعد الا ولم تعزل عنها فى قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجيب بان الاصل
عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما فى قوله تعالى
سبعة وثامنهم كلبهم ولما كان الكفرة يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما تتنزل به
الشياطين اكذبهم الله سبحانه وتعالى بقوله وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ اى ليكون سحرا او كهانة او شعرا
او اضغاث احلام كما يقولون وَمَا يَنْبَغِي اى وما يصح لَهُمْ ان يتنزلوا به وَمَا يَسْتَطِيعُونَ اى التنزل
وان اشتدت معالجتهم على تقدير ان يكون لهم قابلية لذلك ثم علل هذا بقوله إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ
اى الكلام الملائكة لَمَعْزُولُونَ اى محجوبون بالشهب ولما كان القرآن داعيا الى الله تعالى ناهيا عن
عبادة غيره تسبب عن ذلك قوله تعالى فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ اى الجائز لكمال إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ
اى فيتسبب عن ذلك ان تكون مِنَ الْمُعَذَّبِينَ من القادر على ما يريد بامهاله واسهاله وهذا
خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره
يقول انت اكرم الخلق الىّ واعزهم علىّ ولئن اتخذت الها غيرى لعذبتك فيكون الوعيد ازجر
له ويكون هو اقبل وروى محمد بن اسحق بسنده عن على رضى الله عنه انه قال لما نزلت على النبى صلى الله
عليه وسلم وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا على ان الله امرنى
ان انذر عشيرتى الاقربين وضقت بذلك ذرعا وعرفت انى متى اناديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره
فصمت عليها حتى جاءنى جبريل فقال يا محمد الا تفعل ما تؤمر يعذبك ربك فاصنع لى صاعا من طعام
واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع بنى عبد المطلب حتى ابلغهم ما امرت به ففعلت
ما امرنى به ثم دعوتهم اليه وهم يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصون رجلا فيهم اعمامه
ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعانى بالطعام الذى صنعته فجئت به فلما وضعته تناول
صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم القاها فى نواحى الصحفة ثم قال كلوا بسم الله فاكل القوم
حتى ما لهم بشئ من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم لياكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال
اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله
فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بادره ابو لهب فقال سحركم محمد صاحبكم فتفرق
القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا على ان هذا الرجل قد سبقنى الى ما سمعت
من القول فتفرق القوم قبل ان اكلمهم فاعد لنا الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم

ثم دعانى بالطعام فقدّمته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلّم
فقال يابنى عبد المطلب انى قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرنى الله ان ادعوكم اليه فايكم
يوازرنى على امرى ويكون اخى ووصيى وخليفتى فيكم فاحجم القوم عنها جميعا فقلت وانا احدثهم
سنا انا يا رسول الله اكون وزيرك عليه قال فاخذ برقبتى ثم قال ان هذا اخى ووصيى وخليفتى
فيكم فاسمعوا واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابى طالب قد امرك ان تسمع لعلى وتطيع وعن
ابن عباس لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم حتى صعد الصفا
فجعل ينادى يابنى فهر يابنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج
ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابولهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد
ان تغير عليكم اكنتم مصدّقىّ قالوا نعم ما جرّبنا عليك الا الصدق قال فانى نذير لكم بين يدى
عذاب شديد قال ابولهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت تبت اى خسرت يدا ابى لهب
وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفى رواية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا
فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال ارايتم ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا
الجبل اكنتم مصدّقىّ الى اخر ما مرّ وعن ابى هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
انزل الله هذه الاية فقال يا معشر قريش او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغنى عنكم من الله شيئا يابنى عبد مناف
لا اغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغنى عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله
لا اغنى عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سلى ما شئت من مالى لا اغنى عنك من الله شيئا وروى ابو يعلى
عن الزبير بن العوام ان قريشا جاءته فحذرهم وانذرهم فسألوه ايات سليمان فى الريح وداود فى الجبال
وعيسى فى احياء الموتى ونحو ذلك وان يسير الجبال ويفجر الانهار ويجعل الصخرة ذهبا فاوحى الله تعالى
اليه وهم عنده فلما سرى عنه اخبرهم ان اعطى ما سألوه ولكنه ان راوا فكفروا عوجلوا فاختار صلى الله
عليه وسلم الصبر عليهم ليدخلهم الله باب الرحمة فلما كانت النذارة انما هى للمشركين امر بضدها
لاضدادهم بقوله تعالى وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ اى لن بغاية اللين فى ذلك لان الطائر اذا اراد ان يرتفع
رفع جناحيه واذا اراد ان يحط كسرهما وخفضهما فجعل ذلك مثلا فى التواضع ومنه قول بعضهم
وانت الشهير بخفض الجناح + فلا تك فى رفعه اجدلا + نهاه عن التكبر بعد التواضع لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
اى سواء كانوا من الاقربين ام من الابعدين فان قيل المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون
هم المتبعون للرسول فما معنى قوله تعالى لمن اتبعك من المؤمنين اجيب بوجهين احدهما ان
تسميتهم قبل الدخول فى الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك الثانى ان يريد بالمؤمنين المصدّقين
بالسنتهم وهم صنفان صنف صدّق واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه
الا التصديق فقط اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والفاسق والمنافق لا يخفض لهما الجناح فمن على الاول
للتبعيض وان اريد عموم الاتباع فهى للتبيين واختلف فى الواو فى قوله تعالى فان عصوك

على اوجه احدها انها ضمير لكفار اى فان عصاك الكفار فى امرك لهم بالتوحيد الثانى انها ضمير
العشيرة وهذا اقرب كما جرى عليه السلف والجلال المحلى الثالث انها ضمير المؤمنين اى فان عصاك
المؤمنون فى فروع الاسلام وبعض الاحكام بعد تصديقك والايمان برسالتك وهذا كما قال ابن عادل
فى غاية البعد فَقُلْ اى تاركا لما كنت تعاملهم من اللين إِنِّي بَرِيءٌ اى منفصل غاية الانفصال مِمَّا تَعْمَلُونَ
اى من العصيان الذى انذر منه القرآن وَتَوَكَّلْ اى فوض فى عصمتك ونجاتك وجميع امورك عَلَى
الْعَزِيزِ اى القادر على الدفع عنك والانتقام منهم الرَّحِيمِ اى الذى نصرك عليهم برحمته وقرأ نافع
وابن عامر فتوكل بالفاء على الابدال من جواب الشرط والباقون بالواو ثم اتبع الامر بالتوكل الوصف المقتضى
لجميع اوصاف الكمال بقوله تعالى الَّذِي يَرَاكَ اى بصرا وعلما حِينَ تَقُومُ من لومك الى التهجد
وقال مجاهد اى يراك اينما كنت وقال اكثر المفسرين كما قاله البغوى حين تقوم الى الصلوة
اى من نوم او غيره وَيرى تَقَلُّبَكَ فى الصلوة قائما وراكعا وساجدا فِي السَّاجِدِينَ
قال عكرمة عن ابن عباس اى فى المصلين وقال مقاتل مع المصلين فى الجماعة يقول يراك
حين تقوم وحدك للصلوة ويراك اذا صليت مع المصلين جماعة وقال مجاهد يرى تقلب بصرك
فى المصلين فانه كان يبصر من خلفه كما يبصر امامه وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال هل تدرون قبلتى ههنا فوالله ما يخفى علىّ خشوعكم ولا ركوعكم انى لاراكم من وراء ظهرى
وقال عطاء عن ابن عباس رض وتقلبك فى اصلاب الانبياء من نبىّ الى نبىّ حتى اخرجك فى هذه الامة
وقيل ترددك فى تصفح الاحوال المتهجدين من اصحابك لتطلع عليهم من حيث لا يشعرون وتستبطن
سرائرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل
طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات
وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير إِنَّهُ هُوَ اى وحده السَّمِيعُ اى لجميع اقوالكم الْعَلِيمُ اى
بجميع ما تسرونه وتعلنونه من اعمالكم وشمول العلم يستلزم تمام القدرة فصار كانه قال انه السميع
البصير العليم القدير تثبيتا للتوكل عليه ولما بين سبحانه وتعالى ان القرآن لا يصح ان يكون مما
تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصح ان ينزلوا عليه من وجهين
ذكرهما بقوله تعالى هَلْ أُنَبِّئُكُمْ اى اخبركم خبرا جليلا نافعا فى الدين عظيم الجدوى فى الفرق بين
اولياء الرحمن واخوان الشيطان عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ وتردد الشَّيَاطِينُ حين تسترق السمع ولما كان
كانه قيل نعم اشار الى احد الوجهين بقوله تعالى تَنَزَّلُ على سبيل التدريج والتردد عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ
اى كذاب أَثِيمٍ اى فاجر مثل مسيلمة الكذاب وغيره من الكهنة واشار الى ثانى الوجهين بقوله تعالى
يُلْقُونَ السَّمْعَ اى الافكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من
الشياطين الى الناس فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء فى الحديث
الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى

الله عليه وسلم فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها ويجوز ان يعود الضمير على الشياطين ومعنى القائهم السمع انصاتهم الى الملأ الاعلى قبل ان يرجموا فيخطفون منهم بعض المغيبات ويوحونه الى اوليائهم او يلقون الشيء المسموع الى الكهنة وَاَكْثَرُهُمْ اي الفريقين كَاذِبُوْنَ اما الشياطين فانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا واما الافكون فانهم يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم فان قيل كيف قال واكثرهم كاذبون بعد ما حكم عليهم ان كل واحد منهم افاك اجيب بان الافاكين هم الذين يكثرون الكذب لا انهم الذين لا ينطقون الا بالكذب فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه ولما قال الكفار لم لا يجوز ان يقال الشياطين تنزل بالقرآن على محمد كما انهم ينزلون بالكهانة على الكهنة وبالشعر على الشعراء ثم انه تعالى فرق بين محمد عليه الصلوة والسلام وبين الكهنة ذكر ما يدل على الفرق بينه وبين الشعراء بقوله تعالى وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُوْنَ اي الضالون المائلون عن السنن الاقوم الى كل فساد يجر الى الهلاك واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك بل هم الساجدون الباكون الزاهدون الراضون رضي الله تعالى عنهم وقرأ نافع بسكون التاء الفوقية وفتح الباء الموحدة والباقون بتشديد الفوقية وكسر الموحدة ولما قرر حال اتباعهم علم منه انهم هم اغوى منهم لتهتكهم في شهوة اللقلقة باللسان حتى حسن لهم الزور والبهتان دل على ذلك بقوله تعالى اَلَمْ تَرَ اي تعلم اَنَّهُمْ اي الشعراء ومثل حالهم بقوله تعالى فِيْ كُلِّ وَادٍ من اودية القول من المدح والهجو والتشبيب والرثاء والمجون وغير ذلك يَهِيْمُوْنَ اي يسيرون سير البهائم حائرين وعن طريق الحق حائدين كيفما جرهم القول انجروا من القدح في الانساب والتشبيب بالحرم والهجو ومدح من لا يستحق المدح ونحو ذلك ولذلك قال تعالى وَاَنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ مَا لَا يَفْعَلُوْنَ اي لانهم لا يقصدونه وانما الجاهم اليه الفن الذي سلكوه فاكثر اقوالهم لا حقائق لها وقيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه ولا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس بادنى شيء صدر منهم + تنبيه + قال المفسرون اراد شعراء الكفار كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر مقاتل اسماءهم فقال منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي وهبيرة بن ابي وهب المخزومي وشافع بن عبد مناف وابو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وامية بن ابي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول كما قال محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون اشعارهم حين يهجو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم قولهم فذلك قوله تعالى يتبعهم الغاوون وهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقال قتادة هم الشياطين ثم انه تعالى لما وصف شعراء الكفار بهذه الاوصاف استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الجاهلية ويهجون الكفار وينافحون عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى اِلَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اي بالله ورسوله وَعَمِلُوا اي تصديقا لايمانهم الصّٰلِحٰتِ اي التي شرعها الله تعالى ورسوله وَذَكَرُوا اللّٰهَ مستحضرين ما له من الكمال كَثِيْرًا اي

لم يشغلهم الشعر عن الذكر روى ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد انزل
في الشعر ما انزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكانما
ترمونهم به نضح النبل وعن انس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء
وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول ؎ خلوا بني الكفار عن سبيله + اليوم نضربكم على تنزيله +
ضربا يزيل الهام عن مقيله + ويذهب الخليل عن خليله + فقال له عمر يا ابن رواحة
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول شعرا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم خل عنه يا عمر فهي اسرع فيهم من نضح النبل وعن البراء ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك وعن عائشة رضى الله عنها قالت
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليهم من رشق النبل فارسل الى
ابن رواحة فقال اهجهم فلم يرض فارسل الى كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن ثابت فقال
حسان قد آن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذى
بعثك بالحق لافرينهم بلساني فرى الاديم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجل
فان ابا بكر اعلم قريش بانسابها وان لى فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبي
فاتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد اخلص لى نسبك والذى بعثك
بالحق لاسلنك منهم كما يسل الشعر من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله
ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى قال حسان
هجوت محمدا فاجبت عنه + وعند الله في ذاك الجزاء + هجوت محمدا برا حنيفا +
رسول الله شيمته الوفاء + فان ابي ووالدتي وعرضي + لعرض محمد منكم وقاء +
فمن يهجو رسول الله منكم + ويمدحه وينصره سواء + وجبريل رسول الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء + وورد في مدح الشعر عن ابى بن كعب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان من الشعر حكمة وعن ابن عباس قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه
وسلم يوما فقال هل معك من شعر امية بن ابى الصلت شئ قال نعم قال هيه
فانشده بيتا فقال هيه حتى انشده مائة بيت وعن جابر بن سمرة قال جالست
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة فكان اصحابه يتناشدون
الشعر ويتذاكرون شيئا من امر الجاهلية فربما تبسم معهم وعن عائشة
الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح وعن الشعبي كان ابو بكر يقول
الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان على اشعر الثلاثة وعن ابن عباس انه كان ينشد
الشعر في المسجد ويستنشده فروى انه دعا عمر بن ابى ربيعة المخزومي واستنشده القصيدة التي اولها

امن ال نعمى انت غاد مبكر + غداة غد ام رائح فمهجر + فانشد ابن ربيعة القصيدة الى آخرها
وهى قريبة من سبعين بيتا ثم ان ابن عباس اعاد القصيدة جميعا وكان حفظها بمرة واحدة
ثم بين سبحانه وتعالى ما حمل المؤمنين على الشعر وهو انتصارهم من المشركين بقوله تعالى
وَانْتَصَرُوا اى بهجوهم الكفار مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا بهجو الكفار لهم لانهم بدؤا بالهجاء ثم اوعد شعراء
المشركين وغيرهم من الكفار بقوله تعالى وَسَيَعْلَمُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا بالشرك وهجو رسول الله صلى الله عليه
ع وسلم اَيَّ مُنْقَلَبٍ اى مرجع يَّنْقَلِبُوْنَ اى يرجعون بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم والسعير
وفى هذا تهديد شديد لما فى سيعلم من الوعيد البليغ وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم
وفى اى منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد تلا ابو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد
اليه هذه الاية اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الاية بين عينيه فلم يغفل عنها وروى الثعلبى فى تفسيره
عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التى تذكر فيها البقرة من الذكر
الاول واعطيت طه وطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التى تذكر
فيها البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الله اعطانى السبع مكان التورية واعطانى الطواسين مكان الزبور وفضلنى بالحواميم
والمفصل ما قرأهن نبى قبلى وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود
شعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

سورة النمل مكية

وهى ثلاث او اربع او خمس وتسعون اية والف وثلاثمائة وتسع واربعون كلمة واربعة الاف وسبعمائة
وتسعة وتسعون حرفا بِسْمِ اللّٰهِ اى الذى كمل علمه فبهرت حكمته الرَّحْمٰنِ الذى عم بالهداية باوضح
البيان الرَّحِيْمِ اى الذى منّ بجنات النعيم على من اتبع الصراط المستقيم طٰسٓ قال ابن عباس هو
اسم من اسماء الله عز وجل وقد سبق الكلام فى حروف الهجاء عليه وقرأ حمزة والكسائى
وشعبة بامالة الطاء والباقون بالفتح تِلْكَ اى هذه الايات العالية المقام البعيدة المرام
البديعة النظام اٰيٰتُ الْقُرْاٰنِ اى الكامل فى قرآنيته الجامع للاصول الناشر للفروع الذى
لا خلل فيه ولا فصم وصدع ولا وصم وَكِتَابٍ مُّبِيْنٍ اى مظهر الحق من الباطل فان[ف] قيل
كيف صح ان يشار لاثنين احدهما مؤنث والاخر مذكر باسم الاشارة المؤنث ولو قلت
تلك هند وزيد لم يجز اجيب من ثلاثة اوجه احدها ان المراد بالكتاب هو الايات لان
الكتاب عبارة عن الايات المجموعة فلما كان شيئا واحدا صحت الاشارة اليهما باشارة الواحد
المؤنث الثانى انه على حذف مضاف اى وايات كتاب مبين الثالث انه لما ولى المؤنث ما ثم

[ف] قوله فان قيل كيف الخ حاصله الى احدهما الاشارة الى الايات ان المضاف المؤنث القرآن المعطوف عليه كتاب فاسناد ما قاله مصححه

الاشارة به اليه اكتفى بوحدته ولو ولي المذكر لم يحسن الا ترى انك تقول جاءتني هند وزيد
ولو اخرت هند لم يجز تأنيث الفعل وقرأ ابن كثير بالنقل وصلا وابتداء وحمزة في الوقف لا غير
والباقون بغير نقل وقوله تعالى هُدًى وَبُشْرٰى يجوز ان يكونا منصوبين على المصدر بفعل مقدر من
لفظهما اي يهدي هدى ويبشر بشرى وان يكونا في موضع الحال من آيات والعامل فيهما ما في تلك
من معنى الاشارة وان يكونا خبرا بعد خبر وان يكونا خبري مبتدأ مضمر اي هو هدى من الضلالة
وبشرى لِلْمُؤْمِنِيْنَ اي المصدقين به بالجنة كقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه وفضل ويهديهم اليه
صراطا مستقيما ولهذا خص به المؤمنين وقيل المراد بالهدى الدلالة وانما خصه بالمؤمنين لانه ذكر مع
الهدى البشرى والبشرى انما تكون للمؤمنين ولانهم تمسكوا به كقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها
ولانه يزيد في هداهم كقوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ولما كان وصف الايمان خفيا
وصفهم بما يصدقه من الامور الظاهرة بقوله الَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ اي بجميع حدودها الظاهرة
والباطنة من المواقيت والطهارات والشروط والاركان والخشوع والمراقبة والاحسان صلاحا
لما بينهم وبين الخالق وَيُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ اي احسانا فيما بينهم وبين الخلائق وَهُمْ بِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُوْنَ
اي يوجدون الايقان حق الايجاد بالاستدلال ويجددونه في كل حين بما يوجد منهم من الاقدام
على الطاعة والاحجام عن المعصية واعادهم لما فصل بينه وبين الخبر ولما افهم التخصيص ان ثم من
يكذب بها ذكره بقوله تعالى اِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ اي لا يوجدون الايمان ولا يجددونه بِالْاٰخِرَةِ زَيَّنَّا
اي بعظمتنا التي لا يمكن دفاعها لَهُمْ اَعْمَالَهُمْ اي القبيحة بتركيب الشهوة حتى اعرضوا عن الخوف
من عاقبتها مع ظهور قباحتها والاسناد اليه حقيقي عند اهل السنة لانه الموجد الحقيقي والى الشيطان
مجاز سببي وعند المعتزلة بالعكس قال الزمخشري في تفسيره ان اسناده الى الشيطان حقيقة
واسناده الى الله عز وجل مجاز فَهُمْ اي فتسبب عن ذلك انهم يَعْمَهُوْنَ اي يتحيرون ويترددون
في اودية الضلال ويتمادون في ذلك فهم كل لحظة في خبط جديد بعمل غير سديد اُولٰٓئِكَ اي البعداء
البغضاء الَّذِيْنَ لَهُمْ اي خاصة سُوْٓءُ الْعَذَابِ اي اشده في الدنيا بالخوف والقتل وَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ هُمُ
الْاَخْسَرُوْنَ اي اشد الناس خسارة لانهم خسروا ما لا خسارة مثله لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم
ولما وصف تعالى القرآن بما اقتضى بيان اهل الفوز والخسران ذكر حال المنزل عليه وهو النبي
صلى الله عليه وسلم مخاطبا له بقوله تعالى وَاِنَّكَ اي وانت يا اشرف الخلق واعلمهم واعظمهم واحكمهم
لَتُلَقَّى الْقُرْاٰنَ اي لتؤتاه وتلقنه اي يلقى عليك بشدة مِنْ لَّدُنْ اي من عند حَكِيْمٍ اي بالغ الحكمة
فلا شيء من فعاله الا وهو في غاية الاتقان عَلِيْمٍ اي عظيم العلم واسعه تامة شاملة والجمع بينهما مع
ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن
منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات
ع ثم شرع في بيان تلك العلوم بقوله تعالى اِذْ قَالَ مُوْسٰى اي اذكر قصته حين قال لِاَهْلِهٖٓ اي زوجته

بنت شعيب عليه السلام عند مسيره من مدين الى مصر وهي القصة الاولى من قصص هذه السورة
قال الزمخشري روى انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله تعالى عنها بالاهل
فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا وكانا يسيران ليلا وقد اشتبه الطريق عليهما
والوقت وقت برد وفي مثل هذا الحال يقوى الناس بمشاهدة نار من بعد لما يرجى فيها من زوال الحيرة
وامن الطريق ومن الانتفاع بالنار للاصطلاء فلذلك بشرها فقال إِنِّي آنَسْتُ اي ابصرت ابصارا حصل
لي به الانس وازال عني الوحشة نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ اي عن حال الطريق وكان قد اضلها وعبر
بلفظ الجمع كما في قوله امكثوا فان قيل كيف جاء بسين التسويف اجيب بان ذلك عدة لاهله انه
يأتيهم به وان ابطأ الاتيان او كانت المسافة بعيدة فان قيل قال هنا سآتيكم منها بخبر وفي السورة
الآتية لعلي آتيكم منها بخبر وهاتان كالمتدافعين لان احدهما ترج والآخر تيقن اجيب بان الراجي
قد يقول اذا قوي رجاؤه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ
اي شعلة نار في رأس فتيلة او عود قال البغوي وليس في الطرف الآخر نار وقال بعضهم الشهاب
شيء ذو نور مثل العمود والعرب تسمي كل شيء ابيض ذي نور شهابا والقبس القطعة من النار
وقرأ الكوفيون بشهاب بالتنوين على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس
والباقون باضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس فهو من اضافة النوع الى جنسه نحو
ثوب خز اذ الشهاب شعلة من النار والقبس قطعة منها يكون في عود وغيره كما مر فان قيل لم جاء باو
دون الواو اجيب بانه بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية
الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين
قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة
ثم انه عليه السلام علل اتيانه بذلك افهاما لانها ليلة باردة بقوله لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ اي
لتكونوا في حال من يرجى ان يستدفئ بذلك من البرد والطاء بدل من تاء الافتعال من صلي بالنار
بكسر اللام وفتحها فَلَمَّا جَاءَهَا اي تلك التي ظنها نارا نُودِيَ من قبل الله تعالى أَنْ بُورِكَ ان
هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك او المصدرية اي بان بورك وقوله
تعالى مَنْ فِي النَّارِ اي موسى وَمَنْ حَوْلَهَا اي الملائكة هو نائب الفاعل لبورك والاصل بارك الله
من في النار ومن حولها وهذا تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة ومذهب اكثر المفسرين
ان المراد بالنار النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن في النار هم الملائكة
وذلك ان النور الذي رآه موسى عليه السلام كان فيه الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس
ومن حولها هو موسى لانه كان بالقرب منها ولم يكن فيها وقال سعيد بن جبير كانت النار بعينها
والنار احدى حجب الله تعالى كما جاء في الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه الحديث
تنبيه بارك يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال باركك الله وبارك عليك وبارك فيك وبارك لك قال الشاعر

ثلاثة ارباع

ـه فبورکت مولودا وبورکت ناشئا + وبورکت عند الشیب اذ انت اشیب + قال الزمخشری والظاهر
انه عام فی کل من فی تلک الارض وفی ذلک الوادی وحوالیهما من ارض الشام ولقد جعل الله تعالى
ارض الشام الموسومة بالبرکات لکثرتها مبعث الانبیاء وکفاتهم احیاء وامواتا ومهبط الوحی علیهم
وخصوصا تلک البقعة التی کلم الله فیها موسى علیه السلام وقوله تعالى وَسُبْحَانَ اللّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِیْنَ
من تمام ما نودی به لئلا یتوهم من سماع کلامه تشبیها وللتعجب من عظمة الله فی ذلک الامر
فانه اتاه النداء کما ورد من جمیع الجهات فسمعه بجمیع الحواس وتعجب من موسى لما دهاه من عظمته
ولما تشوفت النفس الى تحقق الامر تصریحا قال تعالى تمهیدا لما اراد سبحانه اظهاره على ید موسى
علیه السلام من المعجزات الباهرات یٰمُوْسٰی اِنَّهٗ ای الشان العظیم الجلیل الذی لا یبلغ
وصفه وجملة اَنَا اللّٰهُ ای البالغ فی العظمة ما تقصر عنه الاوهام مفسرة له او المتکلم وانا خبر والله بیان
ثم وصف تعالى نفسه بوصفین یدلان على ما یفعله مع موسى علیه السلام احدهما الْعَزِیْزُ
ای الذی یصل الى سائر ما یرید ولا یرده عن مراده راد والثانی الْحَکِیْمُ ای الذی یفعل کل
ما یفعله بحکمة وتدبیر فان قیل هذا النداء یجوز ان یکون من عند غیر الله تعالى فکیف علم
موسى انه من الله تعالى اجیب بانه سمع الکلام المنزه عن مشابهة کلام المخلوقین لان النداء اتاه
من جمیع الجهات وسمعه بجمیع الحواس کما مر فعلم بالضرورة انه صفة الله سبحانه وتعالى ثم اری الله
سبحانه وتعالى موسى علیه السلام آیة تدل على قدرته لیعلم علم شهود وهی قوله تعالى
وَاَلْقِ عَصَاکَ فالقاها کما مر فصارت فی الحال کما اذنت به الفاء حیة عظیمة جدا ومع کونها فی غایة
العظم فی نهایة الخفة والسرعة فی اضطرابها عند سعیها ولتها ما ترید فَلَمَّا رَاٰهَا تَهْتَزُّ ای تضطرب
فی تحرکها مع کونها فی غایة الکبر کَاَنَّهَا جَآنٌّ ای حیة صغیرة فی خفتها وسرعتها ولا ینافی ذلک
کبر جثتها وَلّٰی ای موسى علیه السلام ثم ان التولیة مشترکة بین معان فلذا بین المراد منها بقوله تعالى
مُدْبِرًا ای التفت هاربا منها مسرعا جدا لقوله تعالى وَلَمْ یُعَقِّبْ ای لم یرجع على عقبه ولم یلتفت الى
ما وراءه بعد تولیه + تنبیه + قال الزمخشری والق عصاک معطوف على بورک لان المعنی نودی
ان بورک من فی النار وان الق عصاک کلاهما تفسیر لنودی والمعنی قیل له بورک من فی النار وقیل
له الق عصاک انتهی وانما احتاج الى تقدیر وقیل له الق لتکون جملة خبریة مناسبة للجملة الخبریة
التی عطفت علیها لانه یری فی العطف تناسب الجمل المتعاطفة والصحیح کما قاله ابو حیان انه لا یشترط
ذلک ولما تشوفت النفس الى ما قیل له عند هذه الحالة اجیب بانه قیل له یٰمُوْسٰی لَا تَخَفْ ای منها
ولا من غیرها ثقة بی ثم علل هذا النهی بقوله تعالى مبشرا بالامن والرسالة اِنِّیْ لَا یَخَافُ لَدَیَّ ای عندی
الْمُرْسَلُوْنَ ای من حیة وغیرها لانهم معصومون من الظلم ولا یخافون من الملک العدل الا الظالم وقوله
تعالى اِلَّا مَنْ ظَلَمَ فیه وجهان احدهما انه استثناء منقطع لان المرسلین معصومون من المعاصی وهذا
هو الصحیح والمعنی لکن من ظلم من سائر الناس فانه یخاف الا من تاب کما قال تعالى ثُمَّ بَدَّلَ ای بتوبته

حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ وهو الظلم الذى كان عمله اى جعل الحسن بدل السوء كالسحرة الذين امنوا بعد ذلك
بموسى عليه السلام فَإِنِّي ارحمه بسبب انى غَفُورٌ اى من شانى ان امحوا الذنوب محوا يزيل جميع
اثارها رَحِيمٌ اى اعامله معاملة الراحم البليغ الرحمة والثانى انه استثناء متصل وللمفسرين فيه
عبارات قال الحسن ان موسى ظلم بقتل القبطى ثم تاب فقال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى وقال غيره
ان ذلك محمول على ما يصدر من الانبياء من ترك الافضل وقال بعض النحويين الا ههنا بمعنى
ولا اى لا يخاف لدى المرسلون ولا المذنبون التائبون كقوله تعالى لئلا يكون
للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا اى ولا الذين ظلموا ثم اراه الله تعالى بعد هذه الاية
اية اخرى ذكرها بقوله تعالى وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ اى فتحة ثوبك وهو ما قطع منه ليحيط
بعنقك وكان عليه مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اى يقطع
تَخْرُجْ بَيْضَاءَ اى بياضا عظيما نيرا جدا له شعاع كشعاع الشمس وكانت الاية الاولى مما فى يده
بقلب جوهرها الى جوهر شئ اخر حيوانى وهذه فى يده نفسها بقلب عرضها التى كانت عليه الى
عرض اخر نورانى ثم نفى عنها ان يكون ذلك بسبب افة بقوله تعالى مِنْ غَيْرِ سُوءٍ اى برص
ولا غيره من الافات وقوله تعالى فِي تِسْعِ آيَاتٍ كلام المستانف وحرف الجر فيه متعلق
بمحذوف والمعنى اذهب فى تسع ايات الى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ كقول القائل ٭ فقلت الى الطعام فقال
منهم ٭ فريق يحسد الانس الطعاما ٭ ويجوز ان يكون بمعنى والق عصاك وادخل يدك فى تسع ايات
وعدادهن ولقائل ان يقول كانت الايات احدى عشرة اية ثنتان منها العصا واليد والتسع الفلق
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم
وقيل فى بمعنى من اى من تسع ايات فتكون العصا واليد من التسع ثم علل ارساله اليهم بالخوارق بقوله
تعالى إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ اى خارجين عن طاعتنا فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا اى على يد موسى عليه
السلام مُبْصِرَةً اى بينة واضحة هادية الى طريق الاقوم قَالُوا هَذَا سِحْرٌ اى خيال لا حقيقة له مُبِينٌ
اى واضح انه خيال وَجَحَدُوا بِهَا اى انكروا كونها ايات موجبات لصدقه مع علمهم بدلالتهم لان
الجحود الانكار مع العلم وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ اى علموا انها من عند الله تعالى وتخلل علمها صميم
قلوبهم فكانت السنتهم مخالفة لما فى قلوبهم ولذلك اسند الاستيقان الى النفس ثم علل جحدهم
ووصفهم لها بخلاف وصفها بقوله تعالى ظُلْمًا وَعُلُوًّا اى شركا وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جاء به موسى
فَانْظُرْ يا اشرف الخلق كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وهو الاغراق فى الدنيا باسرهم واسراهم ع
فلم يبق منهم عين تطرف ولم يرجع منهم مخبر على كثرتهم وعظمتهم وقوتهم والاحراق فى الاخرة بالنار
المؤبدة القصة الثانية قصة داود وسليمان عليهما السلام المذكورة فى قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا اى بما لنا
من العظمة دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ ابنه وهما من اتباع موسى عليهم السلام وبعده بازمان متطاولة عِلْمًا اى جزاء من العلم
عظيما من منطق الطير والدواب وتسخير الجبال وغير ذلك مما لم نؤته لاحد من قبلهما وكما كان النقدان

فعلا بمقتضاه عطفت عليه قوله وقالا لأنكرا عليه ودلالة على شرف العلم وتنبيها لأهله على التواضع
الحمد اى الاحاطة بجميع اوصاف الكمال لله اى الذى لا كفء له الذى فضلنا اى بما آتانا من النبوة
والكتاب وتسخير الشياطين والجن والانس وغير ذلك على كثير من عباده المؤمنين اى ممن لم يؤت
علما او مثل علمهما وفى ذلك تحريض للعالم ان يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله ويعتقد انه وان
فضل على كثير فقد فضل عليه كثير فلا يتكبر ولا يفتخر بل يشكر الله تعالى وينفع به المسلمين كما نفعه الله تعالى
به ثم انه تعالى اشار الى فضل سليمان بانه جمع الى ما آتاه ما كان منح به اباه بقوله تعالى وورث
سليمان داود اى اباه عليهما السلام دون سائر اولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا فاعطى سليمان
ما اعطى داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم
ملكا من داود واقضى منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى
عليه وقال تحدثا بنعمة ربه ومنبها على ما شرفه الله تعالى به ليكون ادعى فى قبول ما يدعوهم
اليه من الخير يا ايها الناس علمنا اى انا وابى بايسر امر واسهله منطق الطير اى فهم ما يريد كل
طائر اذا صوت فسمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس روى عن
كعب الاحبار انه قال صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال
انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول ليت
ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول كما تدين تدان وصاح
هدهد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال اتدرون
ما يقول قالوا لا قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال اتدرون ما يقول قالوا
لا قال فانه يقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه
يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول سبحان ربى
الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمرى فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول سبحان ربى الاعلى
قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شىء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا
تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع سبحان ربى القدوس ويقول ايضا سبحان ربى المذكور بكل لسان
والبازى يقول سبحان ربى وبحمده وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال اتدرون ما يقول
قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وروى عن فرقد السبخى قال مر سليمان على
بلبل فوق شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول هذا البلبل
قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وهو بالفتح والمد التراب
وقال ابو عبيد هو الدروس وفى حديث صفوان اذا دخلت بيتى فاكلت رغيفا وشربت عليه فعلى
الدنيا العفاء وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة اشياء فان اخبرتنا
آمنا وصدقنا فقال اسألوا تفقها ولا تسألوا تعنتا قالوا اخبرنا ما يقول القنبر فى صفيره والديك فى صعيقه

والصفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله ما يقول الزرزور والدراج قال نعم اما القنبر
فيقول اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد واما الديك فيقول اذكروا الله يا غافلين واما الضفدع
فيقول سبحان المعبود في لجج البحار واما الحمار فيقول اللهم العن العشار واما الفرس فيقول اذا التقى
الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح واما الزرزور فيقول اللهم اني اسألك قوت يوم بيوم
يا رزاق واما الدراج فيقول الرحمن على العرش استوى قال فاسلم اليهود وحسن اسلامهم وتروى
عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده عن الحسين بن علي قال اذا صاح النسر قال ابن آدم
عش ما شئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال في البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال
الهي العن مبغضي آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد ولا الضالين كما
يمد القارئ وقول سليمان عليه السلام وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ اي تؤتاه الانبياء والملوك قال
ابن عباس من امر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والانس والرياح
إِنَّ هَٰذَا اي الذي اوتيناه لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ اي البين في نفسه لكل من ينظره الموضح لعلو قدر صاحبه
روي ان سليمان اعطي ملك مشارق الارض ومغاربها فملك اربعين سنة وستة اشهر
جميع اهل الدنيا من الجن والانس والدواب والطير والسباع واعطي مع ذلك منطق الطير وفي
زمانه صنعت الصنائع العجيبة فقوله ان هذا لهو الفضل المبين تقرير لقوله الحمد لله الذي فضلنا والمقصود
منه الشكر والحمد كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر فان قيل كيف قال علمنا واوتينا
وهو كلام المتكبر اجيب بوجهين الاول انه يريد نفسه واباه كما مر الثاني ان هذه النون يقال لها نون
الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا ولما كان هذا مجرد خبر اتبعه ما يصدقه بقوله تعالى وَحُشِرَ اي جمع
جمعا حتما بقهر وسطوة واكراه بايسر امر لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ ثم بين ذلك بقوله تعالى مِنَ الْجِنِّ
وبدأ بهم لعسر جمعهم ثم ثنى بقوله تعالى وَالْإِنسِ لشرفهم ثم اتبع من يعقل بما لا يعقل بقوله وَالطَّيْرِ
فقدم القسم الاول لشرفه وذلك كان في مسيره في بعض الغزوات فَهُمْ اي فتسبب عن
مسيره بذلك انهم يُوزَعُونَ اي يكفون بحبس اولهم على آخرهم بادنى امر واسهله ليتلاحقوا
فيكون ذلك اجدر بالهيبة واعون على النصرة واقرب الى السلامة قال قتادة كان على كل صنف
من جنوده وزعة ترد اولها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير قال والوازع الحابس وهو النقيب
وقال مقاتل يوزعون اي يساقون وقال السدي يوقفون وقيل يجمعون واصل الوزع الكف والمنع
قال محمد بن كعب القرظي كان معسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ خمسة وعشرون للانس
وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وقيل نسجت له الجن
بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه وسطه فيقعد وحوله ستمائة الف كرسي
من ذهب وفضة فتقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة والناس حولهم والجن والشياطين
حول الناس والوحش حولهم وتظلهم الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وكان له الف بيت من قوارير

على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبع مائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ثم يأمر الرخاء
فتسير به مسيرة شهر واوحى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك ان
لا يتكلم احد من الخلائق بشئ الا جاءت به الريح فاخبرتك به فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتى
آل داود ملكا عظيما فالقته الريح فى اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انى مشيت اليك لئلا
تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتى آل داود واستمر سائرا
بمن معه حتى اذا اتوا اى اشرفوا على واد النمل روى عن كعب الاحبار انه قال كان سليمان اذا ركب
حمل اهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد وقدور عظام تسع كل قدر
عشرة من الابل يطبخ الطباخون ويخبز الخبازون واتخذ ميادين للدواب فتجرى بين يديه وهو بين
السماء والارض والريح تهوى بهم فسار من اصطخر يريد اليمن فمر بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم
فقال سليمان هذه دار هجرة نبى يخرج فى آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل
الى مكة راى حول البيت اصناما تعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فاوحى الله تعالى
الى البيت ما يبكيك فقال يا رب ابكانى ان هذا نبى من انبيائك وقوم من اوليائك مروا على
فلم يهبطوا ولم يصلوا عندى والاصنام تعبد حولى من دونك فاوحى الله تعالى اليه لا تبك فانى
سوف املؤك وجوها سجدا وانزل فيك قرآنا جديدا وابعث منك نبى آخر الزمان احب انبيائى الى
واجعل فيك عمارا من خلقى يعبدوننى وافرض على عبادى فريضة يزفون اليك زفيف النسور الى وكورها
ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها وحنين الحمامة الى بيضها واطهرك من الاوثان وعبدة الشياطين
ثم مر سليمان حتى مر بوادى السدير من الطائف فاتى الى وادى النمل هكذا قال كعب انه واد بالطائف
قال البقاعى وهو الذى تميل اليه النفس فانه معروف عندهم الى الآن بهذا الاسم وقال قتادة و
مقاتل هو واد بالشام وجرى عليه البيضاوى وقيل واد كانت تسكنه الجن واولئك النمل مراكبهم
وقال نوف الحميرى كان نمل ذلك الوادى مثل الذباب وقيل كان كالبخاتى وقال البغوى والمشهور
انه النمل الصغير + فائدة + وقف الكسائى على وادى بالياء والباقون بغير ياء فان قيل لم عدى
اتوا بعلى اجيب بانه يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء والثانى
ان يراد قطع الوادى وبلوغ آخره من قولهم اتى على الشئ اذا انفده وبلغ آخره كأنهم ارادوا ان
ينزلوا عند منقطع الوادى لانهم ما دامت الريح تحملهم فى الهوى لا يخاف حطمهم ولما كانوا
فى امر مهول منظره وقربا من ذلك الوادى قالت نملة قال الشعبى كانت تلك النملة ذات
جناحين وقيل كانت نملة عرجاء فنادت يا ايها النمل ادخلوا اى قبل وصول ما ارى من الجيش
مساكنكم ثم عللت امرها فقالت لا يحطمنكم اى يكسرنكم ويهشمنكم اى لا تبرزوا
فيحطمكم فهو نهى لهم عن البروز فى صورة نهيه وهو ابلغ من التصريح بنهيهم لان من نهى
امير عن شئ كان لغيره اشد نهيا سليمان وجنوده اى لا يقدم لكونهم اذا صاروا فى [illegible]

الوادي استعلوا عليه فضيقوه فلم يدعوا فيه موضع شبر خاليا وَهُمْ اي سليمان وجنوده لَا يَشْعُرُونَ
اي يحطمنكم لاشتغالهم بما هم فيه من احوال السير وقولها هذا يدل على علمها بانهم
لو شعروا بهم ما اذوهم لانهم اتباع نبي فهم رحماء وانما خاطبتهم خطاب من يعقل لانها لما
جعلت قائلة والنمل مقولا له كما يكون في اولي العقل اجرت خطابهم والنمل اسم جنس معروف
واحده نملة ويقال نملة ونمل بضم النون وسكون الميم ونملة ونمل بضمهما وعن قتادة انه دخل الكوفة
فالتف عليه الناس فقال سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله تعالى حاضرا وهو غلام حدث
فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من
اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة قال الزمخشري
وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم
حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي انتهى ورد هذا ابو حيان فقال ولحاق التاء في قالت لا يدل على
ان النملة مؤنثة بل يصح ان يقال في الذكر قالت نملة لان النمل وان كان بالتاء هو مما لا يتميز فيه المذكر
من المؤنث وما كان كذلك كاليمامة والقملة مما بينه في الجمع وبين واحده تاء التانيث من الحيوان فانه
يخبر عنه اخبار المؤنث ولا يدل كونه يخبر عنه اخبار المؤنث على كونه ذكرا وانثى لان التاء دخلت
فيه للفرق لا للدلالة على التانيث الحقيقي بل دالة على الواحد من هذا الجنس قال وكان
قتادة بصيرا بالعربية وكونه افحم يدل على معرفته باللسان اذ علم ان النملة يخبر عنها اخبار المؤنث وان
كانت تطلق على الانثى والذكر اذ لا يتميز فيه احد هذين ولحاق العلامة لا يدل فلا يعلم التذكير
والتانيث الا بوحي من الله اه وقال الطيبي العجب من ابي حنيفة ان ثبت ذلك عنه لان النملة كاليمامة
والشاة تقع على الذكر والانثى واطال الكلام في ذلك فان قيل كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده
وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والارض اجيب بان من جنوده ركبانا ومنهم
مشاة على الارض تطوى لهم او ان ذلك كان قبل تسخير الريح لسليمان ويروى ان سليمان لما بلغ
وادي النمل حبس جنده حتى دخل النمل بيوتهم فقد روي انه سمع كلامها من ثلاثة اميال وقيل
كان اسمها طاخية + فائدة + قال اهل المعاني في كلام هذه النملة انواع من البلاغة نادت ونبهت وسمت
وامرت ونصت وحذرت وخصت وعمت واشارت واعذرت ووجهه نادت يا ونبهت ها وسمت النمل
امرت ادخلوا نصت مساكنكم حذرت لا يحطمنكم خصت سليمان عمت وجنوده اشارت وهم
اعذرت لا يشعرون ولما كان هذا امرا معجبا لما فيه من جزالة الالفاظ وجلالة المعاني تسبب عنه
قوله فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا اي لما اوتيته من الفصاحة والبيان وسرورا بما وصفته به من العدل
في انه وجنوده لا يؤذي احد وهم يعلمون وبما اتاه الله من سمعه كلام النملة واحاطته
بمعناه + تنبيه + ضاحكا حال مؤكدة لانها مفهومة من تبسم وقيل هي حال مقدرة فان التبسم
ابتداء الضحك وقيل التبسم قد يكون للغضب ومنه تبسم تبسم الغضبان فضاحكا مبينا له قال عنترة

ه إلى أن قال قصدت أريده + أبدى نواجذه لغير تبسم + وقال الزجاج أكثر ضحك الأنبياء التبسم
وقوله ضاحكا أي متبسما وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم وعن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رأيت
أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان أوله التبسم وآخره
الضحك ثم حمد الله تعالى على هذه النعمة وسأل ربه توفيق شكره لما تذكر ما أولاه
ربه سبحانه وتعالى بحسن تربيته من فهم كلامها إلى ما أنعم عليه من غير ذلك وَقَالَ رَبِّ
أي أيها المحسن إليّ أَوْزِعْنِي أي ألهمني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ وقيل معناه لغة اجعلني أزع شكر
نعمتك أي أكفه وأمنعه حتى لا يفلت مني فلا أزال شاكرا وأزع بفتح الزاي أصله أوزع
حذفت واوه كما في أدع لما أفهم ذلك تعلق النعمة به حققه بقوله الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
وأفهم قوله وَعَلَى وَالِدَيَّ أن أمه كانت أيضا تعرف منطق الطير وإنما أدرج ذكر
والديه لأن النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة إلى
الدين فإنه إذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته ودعاء المؤمنين لهما كلما
دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك + تنبيه + الشكر لغة فعل ينبئ عن تعظيم
المنعم من حيث أنه منعم على الشاكر أو غيره سواء كان ذكرا باللسان أم اعتقادا
ومحبة بالجنان أم عملا وخدمة بالأركان كما قال القائل ✽ أفادتكم النعماء
مني ثلاثة + يدي ولساني والضمير المحجبا + وعرفا صرف العبد جميع ما أنعم الله تعالى به عليه
من السمع وغيره إلى ما خلق لأجله وهذا لمن خصته العناية الربانية نسأل الله الكريم
الفتاح أن يحفنا بعنايته روي عن داود عليه السلام أنه قال يا رب كيف أشكرك
والشكر نعمة أخرى منك أحتاج عليها إلى شكر آخر فأوحى الله تعالى إليه يا داود إذا علمت أن
ما بك من نعمة فمني فقد شكرتني والشكر ثلاثة أشياء الأول معرفة النعمة بمعنى إحضارها
في الخاطر بحيث يتميز عندك أنها نعمة فرب جاهل تحسن إليه وتنعم عليه وهو لا يدري
فلا جرم أنه لا يصح منه الشكر الثاني قبول النعمة بتلقيها من المنعم بإظهار الفقر والفاقة فإن ذلك
شاهد بقبولها حقيقة الثالث الثناء بها بأن تصف المنعم بالجود والكرم ونحوه مما يدل على حسن تلقيك لها
واعترافك بنزول مقامك في الرتبة عن مقامه فإن اليد العليا خير من اليد السفلى ولما علم من كلا
أن الشاكر هو المستغرق في الثناء على المنعم بما يجب عليه من العمل بحسب ما يقدر عليه وكان ذلك العمل
مما يجوز أن يكون زين لذلك العبد ولم يكن حسنا وهو ليس كذلك قال عليه السلام مشيرا إلى هذا المعنى
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا أي في نفس الأمر وقيده بقوله تَرْضَاهُ لأن العمل الصالح قد لا
لا يرضاه المنعم لنقص في العامل كما قيل ✽ إذا كان المحب قليل حظ + فما حسناته إلا ذنوب +
وقوله وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يدل على أن دخول الجنة برحمته وفضله

لا باستحقاق العبد والمعنى ادخلني في جملتهم واثبت اسمي في اسمائهم واحشرني في زمرتهم قال
ابن عباس يريد مع ابراهيم واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين فان قيل درجات الانبياء
افضل من درجات الصالحين والاولياء فما السبب في ان الانبياء يطلبون جعلهم من الصالحين
وقد تمنى يوسف عليه السّلام بقوله فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما
والحقني بالصالحين وقال ابراهيم هب لي حكما والحقني بالصالحين أجيب بان الصالح الكامل هو الذي
لا يعصي الله تعالى ولا يفعل معصية ولا يهم بمعصية وهذه درجة عالية ثم ان سليمان عليه السّلام
لما وصل الى المنزل الذي قصده تفقد احوال جنوده كما تقتضيه العناية بامور الملك وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ
اي طلبها وبحث عنها والتفقد طلب ما فقد ومعنى الآية طلب ما فقد من الطير فَقَالَ مَالِيَ
لَا أَرَى الْهُدْهُدَ اي اهو حاضر أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر لم يره
لساتر او غيره فقال مالي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب
كانه يسأل عن صحة ما لاح له وهذا يدل على انه تفقد جماعة من الجند وتحقق غيبتهم وشك في
غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء ان سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس
عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب من الجن والانس والشياطين والطيور
والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ فحملتهم الريح فلما وافى الحرم اقام به ما شاء الله ان يقيم وكان ينحر
في كل يوم مدة مقامه بمكة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة وقال لمن حضر من
اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناواه وتبلغ
هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فباي
دين يدين يا نبي الله قال يدين الحنيفية فطوبى لمن ادركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله
قال مقدار الف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل فاقام بمكة حتى قضى نسكه
ثم خرج منها صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء
تزهو خضرتها فاحب النزول ليصلي ويتغدى فلما نزل قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل بالنزول
فارتفع نحو السماء فانظر الى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فنظر يمينا وشمالا فرأى بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة فوقع
فيه فاذا هو بهدهد فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عنفير فقال عنفير
هدهد اليمن ليعفور سليمان من اين اقبلت والى اين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان
ابن داود فقال ومن سليمان قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحوش والرياح فمن اين انت
قال انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبكم ملكا عظيما ولكن
ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكت اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة
الف مقاتل فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلوة اذا
احتاج الى الماء قال الهدهد اليماني ان صاحبك يسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر الى

بلقيس وملكها وغاب الى وقت العصر وكان نزول سليمان على غير ماء قال ابن عباس وكان الهدهد
دليل سليمان على الماء وكان يعرف الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى فى الزجاجة ويعرف
بعده وقربه فينقر الارض ثم تجئ الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء قال
سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الازرق انظر ما تقول ان الصبى منا يضع الفخ
ويحثو عليه التراب فيجئ الهدهد ولا يبصر الفخ حتى يقع فى عنقه فقال له ابن عباس ويحك
ان القدر اذا جاء حال دون البصر وفى رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر قال القائل
هى المقادير فادعنى والقدر + ان كنت خطأت فما اخطا القدر + اذا اراد الله امرا بامرئ
وكان ذا عقل وسمع وبصر + يعبر الجهل فيعمى قلبه + وسمعه وعقله ثم البصر +
حتى اذا انفذ فيه حكمه + رد عليه عقله ليعتبر + لا تقل لما جرى كيف جرى
كل شئ بقضاء وقدر + فلما دخل على سليمان وقت الصلاة سأل الانس والجن
والشياطين عن الماء فلم يعلموه فتفقد الهدهد فلم يجده فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه
فقال اصلح الله الملك ما ادرى اين هو وما ارسلته مكانا فغضب سليمان عند ذلك وقال
لَأُعَذِّبَنَّهُ اى بسبب غيبته فيما لم اذن فيه عَذَابًا شَدِيدًا اى مع بقاء روحه ردعا لامثاله
اَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ اى بقطع حلقومه اى تاديبا لغيره اَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ اى بحجة واضحة واختلفوا
فى تعذيبه الذى اوعده به على اقوال قال البغوى اظهرها ان عذابه ان ينتف ريشه وذنبه ويلقيه
فى الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل والذباب ولا من هوام الارض انتهى وقيل تعذيبه
ان يؤذيه بما لا يحتمله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير
ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل
تأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة
الاضداد قال الزمخشرى وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه
خدمة اقرانه ثم دعا العقاب سيد الطير فقال له على بالهدهد الساعة فرفع العقاب
نفسه دون السماء حتى التزق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدى احدكم فالتفت يمينا
وشمالا فاذا بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد ذلك
علم ان العقاب يقصده بسوء فناشده فقال بحق الله الذى قواك واقدرك على الا ما رحمتنى
ولم تتعرض لى بسوء فولى عنه العقاب وقال له ويلك ثكلتك امك ان نبى الله قد حلف ان يعذبك
او ليذبحك قال فما استثنى قال بلى قال او ليأتينى بسلطان مبين ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما
انتهى الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك اين غبت فى يومك هذا فلقد توعدك نبى الله
واخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبى الله عليه السلام قالوا بلى قال او ليأتينى بسلطان
مبين قال فنجوت اذا ثم طار العقاب والهدهد حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال

العقاب قد اتيتك به يا نبيّ الله فمكث اى الهدهد وقوله تعالى غير بعيد صفة لمصدر اى
مكثا غير بعيد فلما قرب الهدهد منه رفع راسه وارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا
لسليمان فلما دنا منه اخذ براسه فمده اليه وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد
يا نبيّ الله اذكر وقوفك بين يدى الله تعالى فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله
فقال ما الذى ابطأك عنى فقال احطت اى علما بما لم تحط به اى انت مع اتساع علمك وامتداد
ملكك الهمه الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما اوتى من فضل النبوة والحكمة
والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له فى علمه وتنبيها له على ان فى ادنى خلقه واضعفه
من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا فى ترك الاعجاب الذى
هو فتنة العلماء والاحاطة بالشئ علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل
على بطلان قول الروافض انّ الامام لا يخفى عليه شئ ولا يكون فى زمانه احد اعلم منه وقيل الضمير
فى مكث لسليمان وقيل غير بعيد صفة للزمان اى زمانا غير بعيد وقرأ عاصم بفتح الكاف والباقون
بضمها وهما لغتان الا انّ الفتح اشهر وجئتك اى الآن من سبإ بنبإ اى خبر عظيم يقين
اى محقق وقرأ ابو عمرو والبزىّ سبأ بفتح الهمزة من غير تنوين جعلاه اسما للقبيلة او البقعة فمنعاه
من الصرف للعلمية والتانيث والباقون بالجر والتنوين جعلوه اسما للحىّ او المكان قال البغوى وجاء
فى الحديث انّ النبىّ صلى الله عليه وسلم سئل عن سبإ فقال رجل كان له عشرة من البنين تيامن منهم
ستة وتشاءم اربعة فقال سليمان وما ذاك قال انى وجدت امرأة تملكهم وهى بلقيس بنت
شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ملكا هو آخرهم
وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفؤا لى وابى ان يتزوّج
منهم فزوجوه بامرأة من الجنّ يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت بلقيس ولم يكن له ولد غيرها
قال البغوىّ وجاء فى الحديث انّ احد ابوى بلقيس كان جنّيا فلما مات ابو بلقيس طمعت فى الملك
فطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وعصاها آخرون وملكوا عليهم رجلا وافترقوا فرقتين كل فرقة
استولت على طرف من ارض اليمن ثم انّ الرجل الذى ملكوه اساء السيرة فى اهل مملكته حتى كان يمدّ
يده الى حرم رعيته ويفجر بهنّ فاراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك ادركتها
الغيرة فارسلت اليه تعرض نفسها عليه فاجابها وقال ما منعنى ان ابتدئك بالخطبة الا اياسى منك فقالت
لا ارغب عنك انت كفؤ كريم فاجمع رجال قومى واخطبنى منهم فجمعهم وخطبها اليهم فقالوا لا نراها تفعل
ذلك فقال لهم انها قد ابتدأتنى وانا احب ان تسمعوا قولها فجاؤها فذكروا لها فقالت نعم
احببت الولد فزوّجوها منه فلما زفت اليه خرجت فى اناس كثير من حشمها فلما جاءته اسقته
الخمر حتى سكر ثم جزت راسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما اصبح الناس رأوا الملك قتيلا وراسه
منصوب على باب دارها فعلموا انّ تلك المناكحة كانت حيلة مكر وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا انت

لهذا الملك احق من غيرك فملكوها وعن الحسن عن ابي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اهل فارس قد ملكوا عليهم امرأة قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة وقوله وَأُوتِيَتْ يجوز ان يكون
معطوفا على تملكهم وجاز عطف الماضى على المضارع لان المضارع بمعناه اى ملكتهم
ويجوز ان يكون فى محل نصب على الحال من مرفوع تملكهم وقد معها مضمرة عند من يرى
ذلك وقوله مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عام مخصوص بالعقل لانها لم تؤت ما اوتيه سليمان فالمراد من كل
شئ يحتاج اليه الملوك من الآلة والعدة وَلَهَا عَرْشٌ اى سرير عَظِيمٌ اى ضخم لم يجد لاحد مثله
طوله ثمانون ذراعا وعرضه اربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مضروب من الذهب والفضة
مكلل بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر
والزمرد عليه سبعة ابواب على كل باب بيت مغلق فان قيل كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان
يرى من ملك سليمان وايضا كيف سوى بين عرش بلقيس وعرش الرحمن فى الوصف بالعظم
اجيب عن الاول بانه يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمان واستعظم لها ذلك العرش ويجوز
ان لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته فى كل شئ كما يكون لبعض امراء الاطراف شئ
يكون فى العظم ابلغ مما لغيره من ابناء جنسه من الملوك ووصف عرش الرحمن بالعظم
تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض فان قيل كيف خفى على سليمان تلك
المملكة العظيمة مع ان الانس والجن كانوا فى طاعته فانه عليه السلام كان ملك الدنيا كلها
مع انه لم يكن بين سليمان وبين بلدة بلقيس حال طيران الهدهد الا مسيرة ثلاثة ايام اجيب
بان الله تعالى اخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب ولما كان الهدهد
فى خدمة اقرب اهل ذلك الزمان الى الله تعالى فحصل له من النورانية ما هالة قال مستأنفا
وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا اى كلهم على ضلال كبير وذلك انهم يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مبتدئين ذلك
مِنْ دُونِ اللَّهِ اى من ادنى رتبة للملك الاعظم الذى لا مثل له وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ اى
هذه القبيحة حتى صاروا يظنونها حسنة ثم تسبب عن ذلك انه اعماهم عن طريق الحق فلهذا قال فَصَدَّهُمْ
عَنِ السَّبِيلِ اى الذى لا سبيل الى الله غيره وهو الذى بعث به انبياءه ورسله عليهم الصلوة والسلام
ثم تسبب عن ذلك ضلالهم ولهذا قال فَهُمْ اى بحيث لَا يَهْتَدُونَ اى لا يوجد لهم هدى بل هم
فى ضلال صرف وهى حصر الا أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ اى ان يسجدوا له فزيدت لا وادغم فيها نون ان كما فى قوله
تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والجملة فى موضع مفعول يهتدون باسقاط الى هذا اذا قرئ بالتشديد وهى
قراءة غير الكسائى واما الكسائى فقرأ بتخفيف الا فالا فيها تنبيه واستفتاح وما بعدها حرف نداء ومناداه
محذوف وكما حذفه من قال الا يا اسلمى يا دارمى على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر
ويقف الكسائى على الا وعلى يا وعلى اسجدوا واذا ابتدأ اسجدوا ابتدأ بالضم ثم وصف الله تعالى
بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من الاتصاف بكمال القدرة والعلم حثا على

السجود له ردًّا على من يسجد لغيره سبحانه وتعالى بقوله الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ وهو مصدر بمعنى المخبوء
من المطر والنبات وغيرهما وخصه بقوله فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لان ذلك منتهى مشاهدتنا
فننظر ما يكون فيهما بعد ان لم يكن من سحاب ومطر ونبات وتوابع ذلك من الرعد والبرق
وما يشرق من الكواكب ويغرب الى غير ذلك من الرياح والحر والبرد وما لا يحصيه الا الله تعالى
وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ فى قلوبهم وَمَا تُعْلِنُونَ بالسنتهم وقرأ الكسائى وحفص بالتاء الفوقية
فيهما والباقون بالتحتية فالخطاب ظاهر على قراءة الكسائى لان ما قبله امرهم بالسجود وخطابهم
به والغيبة على قراءة الباقين غير ظاهرة لتقدم الضمائر الغائبة فى قوله اعمالهم وصدهم وفهم واما
قراءة حفص فتاويلها انه خرج الى خطاب الحاضرين بعد ان اتم قصة اهل سبا ويجوز ان تكون
التفاتا على انه نزل الغائب منزلة الحاضر فخاطبه ملتفتا اليه وقوله اَللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ سجدة
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ اى الذى هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها يحتمل ان يكون من
كلام الهدهد استدراكا لما وصف عرش بلقيس بالعظم وان يكون من كلام الله تعالى
ردا عليه فى وصفه عرشها بالعظم فبين العظمتين بون عظيم فان قيل من اين للهدهد
التهدى الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه اجيب
بانه لا يبعد ان يلهمه الله تعالى ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التى
لا تكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها خصوصا فى زمن نبى سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك
معجزة له وهذه اية سجدة واختلف فى محلها هل هو هذه الاية او عند قوله قبلها وما يعلنون الجمهور
على الاول ولما فرغ الهدهد من كلامه قَالَ له سليمان سَنَنْظُرُ اى نختبر ما قلته أَصَدَقْتَ فيه
فنعذرك أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ اى معروفا بالانخراط فى سلكهم فانه لا يجترئ على الكذب
عندى الا من كان عريقا فى الكذب فهو ابلغ من ام كذبت وايضا لمحافظة الفواصل ثم شرع
فيما يختبره به فكتب له كتابا على الفور فى غاية الوجازة قصدا للاسراع فى ازالة المنكر على تقدير
صدق الهدهد بحسب الاستطاعة ودل على اسراعه فى كتابته بقوله اياه اذْهَبْ بِكِتَابِي هٰذَا
فكانه كان مهيأ عنده فدفعه اليه وامره بالاسراع فطار كانه البرق ولهذا اشار بالفاء فى قوله
فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ اى الذى ذكرت انهم يعبدون الشمس ذلك للاهتمام بامر الدين وقرأ ابو عمرو
وشعبة وخلاد بخلاف عنه فالقه بسكون الهاء واختلس الكسرة قالون وهشام بخلاف عنه
والباقون باشباع الكسرة ثُمَّ قال له اذا القيته اليهم تَوَلَّ اى تنح عَنْهُمْ الى مكان تسمع فيه
كلامهم ولا يصلون معه اليك فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ اى يردون من الجواب وقال ابن زيد
فى الاية تقديم وتاخير مجازها اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم اى
انصرف اليَّ فاخذ الهدهد الكتاب اتى الى بلقيس وكانت بارض يقال لها مارب من صنعاء على
ثلاثة ايام قال قتادة فوافاها فى قصرها وقد غلقت الابواب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب واخذت

المفاتيح فوضعتها تحت رأسها فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها فالقى الكتاب على نحرها
وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على رأس المرأة
وحولها القادة والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون اليه حتى رفعت المرأة رأسها فالقى الكتاب
في حجرها وقال وهب بن منبه وابن زيد كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها حين
تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد الى الكوة فسدها بجناحه فارتفعت الشمس
ولم تعلم بها فلما استبطأت الشمس قامت تنظر اليها فرمى بالصحيفة اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت
قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي ارسل
الكتاب اعظم ملكا منها وقرأت الكتاب وتأخر الهدهد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ
من قومها وهم اثنا عشر الف قائد مع كل قائد الف مقاتل وعن ابن عباس قال كان مع بلقيس مائة الف
قيل مع كل قيل مائة الف والقيل الملك دون الملك الاعظم وقال قتادة ومقاتل كان اهل مشورتها ثلثمائة
وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاؤا واخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ
وهم اشراف الناس وكبراؤهم إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ اي بالقاء ملق على وجه غريب كِتَابٌ اي صحيفة مكتوب فيها
كلام وخبر جامع قال الزمخشري وكانت كتب الانبياء جملا لا يطنبون ولا يكثرون
عما حوى هذا الكتاب من الشرف او لانه امر لم يعهد مثله وصفته بقولها كَرِيمٌ وقال عطاء والضحاك
سمته كريما لانه كان مختوما روى انه صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وكان عليه
السلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع له خاتما وعن ابن المقنع من
كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقال مقاتل كريم اي حسن وعن ابن عباس اي شريف
لشرف صاحبه وقيل سمته كريما لانه كان مصدرا ببسم الله الرحمن الرحيم ثم بينت ممن الكتاب فقالت
إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ثم بينت المكتوب فيه فقالت وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ قال ابن عباس
لا تتكبروا عليّ وقيل لا تتعظموا ولا تترفعوا عليّ اي لا تمتنعوا عن الاجابة فان ترك الاجابة من العلو
والتكبر وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ اي منقادين خاضعين فهو من الاستسلام او مؤمنين فهو من الاسلام
فان قيل لم قدم سليمان اسمه على البسملة اجيب بانه لم يقع منه ذلك بل ابتدأ الكتاب بالبسملة
وانما كتب اسمه عنوانا بعد ختمه لان بلقيس انما عرفت كونه من سليمان بقراءة عنوانه كما هو المعهود ولذلك
قالت انه بسم الله الرحمن الرحيم اي ان الكتاب فالتقديم واقع في حكاية الحال واعلم ان قوله بسم الله
الرحمن الرحيم مشتمل على اثبات الصانع واثبات كونه عالما قادرا حيا مريدا حكيما رحيما
قال الطيبي وقال القاضي هذا كلام في غاية الوجازة مع اثبات كمال الصانع واثبات كمال الدلالة
على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الاله وصفاته صريحا او التزاما والنهي عن الترفع
الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الذي هو جامع لامهات الفضائل ولما سكتوا عن الجواب
قَالَتْ لهم يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ثم بينت ما داخلها من الرعب من صاحب هذا الكتاب بقولها

أَفْتُونِي اى اشيروا علىّ بالاثابة بما افعله فِي أَمْرِي هذا الذى اجيب به هذا الكتاب بجعلت الشورى
فتوى توسعا لان الفتوى الجواب فى الحادثة وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فى الوصل بابدال
الهمزة واوا والباقون بتحقيقها وفى الابتداء الجميع بالتحقيق ثم عللت امرها لهم بقولها مَا كُنْتُ
قَاطِعَةً أَمْرًا اى فاعلته وفاصلته غير مترددة فيه حَتَّى تَشْهَدُونِ افادت بذلك ان شأنها
دائما مشاورتهم فى كل جليل وحقير فكيف بهذا الامر الخطير وفى ذلك استعطافهم بتعظيمهم
واجلالهم وتكريمهم ودلالة على غزارة عقلها وحسن ادبها ثم انهم اجابوها عن ذلك بان
قَالُوا مائلين الى الحرب نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ اى بالمال والرجال وَأُولُو اى اصحاب بَأْسٍ عزم فى الحرب
شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ اى فى كل من المصادمة والمسالمة راجع وموكول إِلَيْكِ فَانْظُرِي اى بسبب انه
لا نزاع معك مَاذَا تَأْمُرِينَ فانا لا نطيعك ونتبع امرك ولما علمت ان من سخر له الطير على هذا
الوجه لا يعجزه شئ يريده قَالَتْ جوابا لما احست فى جوابهم من ميلهم الى الحرب والحرب سجال
لا يدرى عاقبتها إِنَّ الْمُلُوكَ اى مطلقا فكيف بهذا النافذ الامر العظيم القدر إِذَا دَخَلُوا عنوة
بالقهر قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا اى بالنهب والتخريب وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً اى اهانوا اشرافها
وكبراءها كى يستقيم لهم الامر ثم اكدت هذا المعنى بقولها وَكَذَلِكَ اى ومثل هذا الفعل العظيم
الشأن يَفْعَلُونَ اى هو خلق لهم مستمر فى جميعهم فكيف بمن تطيعه الوحوش والطيور وغيرها
تنبيه هذه الجملة من كلامها وهو كما قال ابن عادل الظاهر ولهذا جريت عليه فتكون
منصوبة بالقول ويحتمل ان تكون من كلام الله تعالى تصديقا لها فهى استئنافية لا محل لها
من الاعراب وهى معترضة بين قولها ولما بينت ما فى المصادمة من الخطر اتبعته بما عزمت عليه
من المسالمة بقولها وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ اى الى سليمان وقومه بِهَدِيَّةٍ وهى العطية على طريق الملاطفة
وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة قد سيست وساست فقالت للملأ من قومها انى مرسلة الى سليمان
وقومه بهدية اصانعه بها عن ملكى فاختبره بها املك هو ام نبى فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف
وان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه على دينه فذلك قولها فَنَاظِرَةٌ بِمَ اى باى شئ
يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ فاهدت اليه وصفاء ووصائف قال ابن عباس البستهم لباسا واحدا كى لا يعرف ذكر من
انثى وقال مجاهد البست الجوارى لباس الغلمان والبست الغلمان لباس الجوارى واختلف فى عددهم
فقال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد ومقاتل مائة غلام ومائتا جارية
وقال قتادة ارسلت اليه بلبنات من ذهب فى حرير وديباج وقال ثابت البنانى اهدت اليه صفائح
الذهب فى اوعية الديباج وقيل كانت اربع لبنات من ذهب وقال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة
غلام وخمسمائة جارية فالبست الجوارى لباس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لباس الجوارى
وجعلت فى سواعدهم اساور من ذهب وفى اعناقهم اطواقا من ذهب وفى آذانهم اقراطا وشنوفا
مرصعات بانواع الجواهر وغواشيها من الديباج الملونة وبعثت اليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة

من فضة وتلجامها كلالا بالدر والياقوت المرتفع وارسلت المسك والعنبر وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة مثقوبة معوجة الثقب وبعثت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب راى وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف واخبر بما فى الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل خيطا فى الخرزة المثقوبة من غير علاج انس ولا جن وامرت بلقيس الغلمان اذا كلمهم سليمان فكلموه بكلام تانيث وتخنيث يشبه كلام النساء وامر الجوارى ان يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرجل انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فانا اعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبى مرسل فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر كله فامر سليمان عليه السلام الجن ان يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا ثم امرهم ان يبسطوا من موضعه الذى هو فيه الى تسعة فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وان يجعلوا حول الميادين حائطا شرفها من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال اى الدواب احسن مما رأيتم فى البر والبحر قالوا يا نبى الله انا رأينا دواب فى بحر كذا وكذا منقطة مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف ونواص قال على بها الساعة فاتوا بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة والقوا لها علوفتها فيها ثم قال للجن على باولادكم فاجتمع خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع اربعة آلاف كرسى على يمينه ومثلها على يساره وامر الشياطين ان يصطفوا صفوفا فراسخ وامر الانس فاصطفوا صفوفا فراسخ وامر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا دواب التى لم تر اعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت انفسهم ورموا ما معهم من الهدايا وفى بعض الروايات ان سليمان لما امر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة امرهم ان يتركوا على طريقهم موضعا على قدر موضع اللبنات التى معهم فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا وكل الارض مفروشة خافوا ان يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم فى ذلك الموضع الخالى فلما رأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا فلا بأس عليكم فكانوا يمرون على كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدى سليمان فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراءكم فاخبره رئيس القوم بما جاؤا له واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحقة فاتى بها فحركها وجاء جبريل عليه السلام فاخبره بما فى الحقة فقال ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة مثقوبة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط فى الخرزة فقال سليمان عليه السلام من لى بثقبها فسأل سليمان الانس ثم الجن فلم يكن عندهم علم بذلك ثم سأل الشياطين فقالوا ارسل الى الارضة فجاءت الارضة فاخذت شعرة فى فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب

الآخر فقال لها سليمان سلي حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك روي انها جاءت دودة تكون في الصفصاف فقالت انا ادخل الخيط في الثقب على ان يكون رزقي في الصفصاف فجعل لها ذلك فاخذت الخيط بفيها ودخلت الثقب وخرجت من الجانب الآخر ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط فقالت دودة بيضاء انا لها يا رسول الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان سلي حاجتك قالت تجعل رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الجواري والغلمان بان امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فجعلت الجارية تاخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله على اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام ياخذ من الآنية بيديه ويضرب بها وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كما قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ اي الرسول الذي بعثته والمراد به الجنس قال ابو حيان هو يقع على الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث ﴿سُلَيْمَانَ﴾ ودفع اليه ذلك ﴿قَالَ﴾ اي سليمان عليه السلام للرسول ولمن في خدمته استصغارا لما معه ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ اي انت ومن معك ومن ارسلك ﴿بِمَالٍ﴾ وانما قصدي لكم لاجل الدين تحقيرا لامر الدنيا واعلاما بانه لا التفات لنحوها بوجه ولا يرضيه شيء دون طاعة الله تعالى وقرأ نافع وابو عمرو باثبات الياء وصلا لا وقفا وابن كثير باثبات الياء وصلا ووقفا وحمزة بادغام النون الاولى في الثانية واثبات الياء وصلا ووقفا ثم تسبب عن ذلك قوله استصغارا لما معهم ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ﴾ اي الملك الاعظم من الحكمة والنبوة والملك وهو الذي يغني مطيعه عن كل شيء سواه فهما سأله اعطاه وقرأ نافع وابو عمرو وحفص بفتح الياء في الوصل ولقالون وابي عمرو وحفص ايضا اثباتها وقفا والباقون بحذف الياء وقفا ووصلا واما الهاء حمزة والكسائي محضة وورش بالفتح بين اللفظين ﴿خَيْرٌ﴾ اي افضل ﴿مِّمَّا آتَاكُم﴾ اي من الملك الذي لا دين ولا نبوة فيه ﴿بَلْ أَنتُم﴾ اي بجهلكم بالدين ﴿بِهَدِيَّتِكُمْ﴾ اي باهداء بعضكم الى بعض ﴿تَفْرَحُونَ﴾ واما انا فلا افرح بها وليست الدنيا من حاجتي لان الله تعالى قد مكنني فيها واعطاني منها ما لم يعط احدا ومع ذلك اكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو امير الوفد ﴿ارْجِعْ﴾ اي بهديتهم وجمع في قوله ﴿إِلَيْهِمْ﴾ اكراما لنفسه وصيانة لاسمها عن التصريح بضميرها وتعظيما لكل من يهتم بامرها ويطيعها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ﴾ اي لا طاقة ﴿لَهُم بِهَا﴾ اي بمقابلتها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا﴾ اي من ارضهم وبلادهم وهي سبأ ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ اي ذليلون لا يملكون شيئا من المنعة فان قيل فلنأتينهم ولنخرجنهم قسم فلا بد ان يقع اجيب بانه معلق على شرط حذف وفهم لفهم المعنى اي ان لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من اهل الكتب لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان قالت لهم قد عرفت والله ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعوا اليه من دينك ثم امرت بعرشها فجعلته داخل سبعة

ابواب داخل قصرها وقصرها داخل سبعة قصور واغلقت الابواب وجعلت عليها حرّاسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما وليتك وبسرير ملكي لا يخلص اليه احد حتى اتيك ثم امرت مناديا ينادي في اهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل وتجهزت للمسير فارتحلت في اثنا عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل الوف كثيرة قال ابن عباس كان سليمان رجلا مهيبا لايبتدا بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ماهذا قالوا بلقيس وقد نزلت منا على مسيرة فرسخ فاقبل سليمان حينئذ على جنوده بان قَالَ لهم يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ اي الاشراف أَيُّكُمْ وفي الهمزتين ماتقدم يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ اي مؤمنين وقال ابن عباس واختلفوا في السبب الذي لاجله امر سليمان باحضار عرشها فقال الاكثر لان سليمان علم انها ان اسلمت يحرم عليه مالها فاراد ان يأخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه باسلامها وقيل ليريها قدرة الله تعالى بعض ما خصه من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة في معجزة ياتي بها في عرشها وقال قتادة لانه اعجبته صفته لما وصفه الهدهد بالعظم فاحب ان يراه وقال ابن زيد يريد ان يأمر بتنكيره وتغييره فيختبر بذلك عقلها قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ وهو المارد القوي قال وهب اسمه كودي وقيل ذكوان قال ابن عباس العفريت الداهي وقال الضحاك هو الخبيث وقال الربيع الغليظ وقال الفراء القوي الشديد قيل ان الشياطين اقوى من الجن وان المردة اقوى من الشياطين وان العفريت اقوى منهما قال بعض المفسرين العفريت من الرجال الخبيث المتكبر وقيل هو صخر الجني وكان بمنزلة الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وقوله تعالى أَنَا آتِيكَ بِهِ قرأه في الموضعين نافع باثبات الالف من انا وصلا ووقفا والباقون وصلا لا وقفا ثم بين سرعة اسراعه بقوله قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ اي الذي تجلس فيه للقضاء قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضي فيه الى نصف النهار ثم اوثق الامر واكده بقوله وَإِنِّي عَلَيْهِ اي على الاتيان به سالما لَقَوِيٌّ اي على حمله لا يحصل لي عنه اعياء أَمِينٌ اي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان عليه السلام اريد اسرع من ذلك قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل كتاب سليمان وقيل اللوح المحفوظ والذي عنده علم من الكتاب جبريل قال البقاعي ولعله التورية والزبور انتهى وفي ذلك اشارة الى ان من خدم كتاب الله حق الخدمة كان الله تعالى معه كما ورد في شرعنا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها اي انه يفعل له ما يشاء واختلفوا في تعيينه فقال الاكثر للمفسرين هو آصف بن برخيا كاتب سليمان وقيل اسمه اسطوم وكان صديقا عالما يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى وقيل ملك ايد الله تعالى به سليمان عليه السلام وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر عليه السلام أَنَا آتِيكَ بِهِ ثم بين فضله على العفريت بقوله قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ اي يرجع إِلَيْكَ طَرْفُكَ اي بصرك اذا طرفت اجفانك فارسلته الى منتهاه ثم رددته الطرف الى نفسك

اجفانك اذا نظرت فوضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف فى نحو قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد روى ان آصف قال لسليمان مدّ عينيك حتى ينتهى طرفك فمدّ سليمان عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله تعالى الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدّون به خدا حتى انخرقت الارض بالسرير بين يدى سليمان وقال الكلبى خرّ آصف ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغار عرشها تحت الارض حتى نبع تحت كرسى سليمان بقدرة الله تعالى وقيل كانت المسافة شهرين وقال سعيد بن جبير يعنى من قبل ان يرجع اليك اقصى من ترى وهو ان يصل اليك من كان منك على مدّ بصرك وقال قتادة قبل ان يأتيك الشخص من مدّ البصر وقال مجاهد يعنى ادامة النظر حتى يرد البصر خاسئا قال الزمخشرى ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجئ به كما تقول لصاحبك افعل ذلك فى لحظة وفى ردطرف والتفت ترنى وما اشبه ذلك تريد السرعة انتهى واختلفوا فى الدعاء الذى دعا به آصف فقال مجاهد ومقاتل ياذا الجلال والاكرام وقال الكلبى ياحى ياقيوم وروى ذلك عن عائشة رضى الله عنها وروى عن الزهرى قال دعاء الذى عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا انت ائتنى بعرشها وعن الحسن يا الله يا رحمن وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان قال له عالم من بنى اسرائيل آتاه الله تعالى علما وفهما انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال سليمان هات قال انت النبى ابن النبى وليس احد اوجه عند الله منك فان دعوت الله كان عندك فقال صدقت ففعل ذلك فجئ بالعرش فى الوقت قال الرازى وهذا القول اقرب واستدل لذلك بوجوه منها ان سليمان كان اعرف بالكتاب من غيره لانه هو النبى فكان صرف اللفظ اليه اولى ومنها ان احضار العرش فى تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت لآصف دون سليمان لاقتضى ذلك قصور حال سليمان فى اعين الخلق ومنها انه قال هذا من فضل ربى فظاهره يقتضى ان يكون ذلك المعجز قد اظهره الله تعالى بدعاء سليمان فَلَمَّا رَآهُ اى رأى سليمان العرش مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ اى حاصلا بين يديه قَالَ شاكرا لربه لما آتاه الله تعالى من هذه الخوارق هٰذَا اى الاتيان المحقق مِنْ فَضْلِ رَبِّي اى المحسن الىّ لا بعمل استحق به شيئا فانه احسن الىّ باخراجى من العدم وتطوله الىّ بتوفيقى للعمل فكل عمل نعمة يستوجب علىّ بها الشكر ولذلك قال لِيَبْلُوَنِي اى ليختبرنى ءَأَشْكُرُ فاعترف بكونه فضلا أَمْ أَكْفُرُ بظنى انى اوتيته باستحقاق تنبيه وههنا همزتان مفتوحتان فنافع يسهل الهمزة الثانية وابن كثير وابو عمرو وهشام بخلاف عنه وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام ولم يدخل ورش وابن كثير ولورش ايضا ابدالها الفا والباقون بالتحقيق وعدم الادخال ثم زاد فى حث نفسه على الشكر بقوله وَمَنْ شَكَرَ اى اوقع الشكر لربه فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ فان نفعه لها وهو ان يستوجب تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وجلب للنعمة المفقودة وَمَنْ كَفَرَ اى بالنعمة فَإِنَّ رَبِّي اى المحسن الىّ

بتوفيقي لما انا فيه من الشكر غنيّ عن شكره لا يضرّه تركه شيئا كريم اي بادرار الانعام عليه فلا يقطعه عنه
بسبب عدم شكره ولما حصل العرش عنده قال عليه السلام نكّروا اي غيّروا لها عرشها
اي سريرها الى حالة تنكره اذا رأته قال قتادة ومقاتل هو ان يزاد فيه وينقص وروى انه جعل
اعلاه اسفله واسفله اعلاه وجعل مكان الجوهر الاحمر اخضر ومكان الاخضر احمر لاختبار عقلها
كما اختبرتنا بالوصفاء والوصائف والدرّة وغير ذلك واليه اشار بقوله ننظر أتهتدي اي الى
معرفته فيكون ذلك سببا لهدايتها في الدين أم تكون من الذين شأنهم انهم لا يهتدون
بل هم في غاية الغباوة ولا يتجدّد لهم اهتداء وقال وهب ومحمد بن كعب انما حمل سليمان على ذلك
انّ الشياطين خافت ان يتزوّجها سليمان فتفشي له اسرار الجنّ لانّ امها كانت جنّية واذا ولدت له ولدا
لا ينفكون عن تسخير سليمان وذرّيته من بعده فاساؤا الثناء عليها ليزهّدوه فيها فقالوا انّ في عقلها
شيئا وانّ رجليها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاراد سليمان عليه الصلوة والسلام ان يختبر عقلها
بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح ثم اشار الى سرعة مجيئها اشارة الى خضوعها بالتعبير بالفاء
في قوله فلما جاءت وكانت قد وضعت عرشها في بيت خلف سبعة ابواب ووكلت به حرساء اشدّاء
قيل لها وقد رأت عرشها بعد تنكيره أهكذا عرشك اي مثل هذا عرشك قالت كأنه هو قال مقاتل
عرفته ولكنها شبّهت عليهم كما شبّهوا عليها وقال عكرمة كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من ان تكذب ولم تقل
لا خوفا من التكذيب فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقرّ ولم تنكر وقيل اشتبه عليها
امر العرش لانها خلّفته في بيت خلف سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها فقيل لها فانه عرشك فما اغنى
عنك اغلاق الابواب وقوله تعالى وأوتينا العلم من قبلها فيه وجهان احدهما انه من كلام بلقيس فالضمير
في قبلها راجع للمعجزة والحالة الدال عليها السياق والمعنى واوتينا العلم بنبوّة سليمان من قبل ظهور
هذه المعجزة او من قبل هذه الحالة وذلك لما رأت قبل ذلك من امر الهدهد ورد الهدية والرسل
من قبلها من قبل الاية في العرش وكنا مسلمين اي منقادين طائعين لامر سليمان والثاني انه من
كلام سليمان واتباعه فالضمير في قبلها عائد على بلقيس فكأنّ سليمان وقومه قالوا انها قد اصابت في
جوابها وهي عاقلة وقد رزقت الاسلام ثم عطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم يعني بالله تعالى وبقدرته
على ما يشاء من قبل هذه المرأة في مثل علمها وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى في ان خصّهم بمزيّة التقدّم
الى الاسلام قاله مجاهد وقيل معناه واوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين
طائعين لله تعالى واختلف في فاعل قوله عز وجل وصدّها ما كانت تعبد من دون الله على ثلاثة اوجه
احدها ضمير الباري تعالى والثاني ضمير سليمان عليه السلام اي منعها ما كانت تعبد من دون الله وهو
الشمس وعلى هذا فما كانت تعبد منصوب على اسقاط الخافض اي وصدها الله تعالى او سليمان عما كانت
تعبد من دون الله قاله الزمخشري مجوّزا له قال ابو حيّان وفيه نظر من حيث انّ حذف الجار ضرورة كقوله
تمرّون الديار فلم تعوجوا + وقد تقدم ابيات كثيرة من هذا النوع والثالث انّ الفاعل هو ما كانت

اى صدها ما كانت تعبد عن الاسلام اى صدها عبادة الشمس عن التوحيد وقوله تعالى إِنَّهَا كَانَتْ
مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ استئناف اخبر الله تعالى انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف
العبادة ولم تعرف الا عبادة الشمس ولما تم ذلك فكانه قيل هل كان بعد ذلك اختبار فقيل نعم
قِيلَ لَهَا اى قائل من جنود سليمان عليه السلام فلم يمكنها المخالفة ادْخُلِي الصَّرْحَ وهو سطح من زجاج
ابيض شفاف تحته ماء جار فيه سمك اصطنعه سليمان ولما قالت له الشياطين ان رجليها كحافر الحمار
وهى شعراء الساقين فاراد ان ينظر الى ساقيها من غير ان يسألها كشفهما وقيل الصرح
صحن الدار اجرى تحته الماء والقى فيه كل شئ من دواب البحر السمك والضفادع وغيرهما ثم وضع
سريره فى صدره وجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وقيل اتخذ صحنا من قوارير وجعل
تحتها تماثيل من الحيتان والضفادع فكان الواحد اذا رآه ظنه ماء فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وهو
معظم الماء وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا لتخوضه فنظر اليها سليمان فرآها احسن الناس ساقا وقدما الا انها
كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف نظره عنها وناداها بان قَالَ لها إِنَّهُ اى
هذا الذى ظننته ماء صَرْحٌ مُمَرَّدٌ اى مملس ومنه الامرد لملاسة وجهه من الشعر مِنْ اى كائن مِنْ
قَوَارِيرَ اى زجاج وليس بماء ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح
فاجابت بان قَالَتْ رَبِّ اى ايها المحسن الىّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي اى بما كنت فيه من العمى بعبادة غيرك
عن عبادتك وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ اى مقرة له بالالوهية والربوبية على سبيل الوحدانية
ثم رجعت اشارة العجز عن معرفة الذات المستحق للمعرفة الى الافعال التى هى بحر المعرفة فقالت
رَبِّ الْعَالَمِينَ فعمت بعد ان خصت اشارة الى الترقى من حضيض دركات العمى الى اوج ع
درجات الهدى وقيل انها لما بلغت الصرح وظننته لجة قالت فى نفسها ان سليمان يريد ان يغرقنى
وكان القتل اهون من هذا فقولها ظلمت نفسى اى بذلك الظن واختلفوا فى امرها بعد اسلامها هل تزوجها
سليمان عليه السلام فالذى عليه اكثر المفسرين فيما رأيت انه تزوجها وكره ما رأى من شعر ساقيها
فسأل الانس ما يذهب هذا فقالوا الموسى فقالت المرأة لا تمسنى حديدة قط فسأل الجن فقالوا لا ندرى
فسأل الشياطين فقالوا انا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت
النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان احبها حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن
فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا قال الطيبى سلحين وبينون
وغمدان قال فى النهاية هو بضم الغين وسكون الميم البناء العظيم وكان يزورها فى الشهر مرة ويقيم
عندها ثلاثة ايام وولدت له وقيل انها لما اسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك ان
ازوجك له قالت ومثلى يا نبى الله ينكح الرجال وقد كان لى فى قومى من الملك والسلطان ما كان قال
نعم انه لا يكون فى الاسلام الا ذلك ولا ينبغى لك ان تحرمى ما احل الله فقالت ان كان لا بد فزوجنى
ذا تبع ملك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن [illegible]

اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان عليه السلام فلما ان حال الحول وتبينت الجن
موت سليمان اقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان فى جوف اليمن صرخ باعلى صوته يا معشر
الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا ايديهم وتفرقوا وانقضى ملك ذى تبع وملك
بلقيس مع ملك سليمان وقيل ان الملك وصل الى سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو
ابن ثلاث وخمسين سنة فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه + ولما اتم سبحانه وتعالى قصة سليمان
وداود عليهما السلام ذكر قصة صالح عليه السلام وهى القصة الثالثة بقوله تعالى وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا اى بما لنا
من العظمة اِلٰى ثَمُوْدَ اَخَاهُمْ اى من القبيلة صَالِحًا ثم ذكر المقصود من الرسالة بما لا اعدل منه ولا احسن
بقوله اَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ اى الملك الاعظم وحده ولا تشركوا به شيئا ثم تعجب منهم بما اشارت
اليه الفاء واذا المفاجاة من المبادرة الى الافتراق بما يدعو الى الاجتماع بقوله فَاِذَا هُمْ اى
ثمود فَرِيْقَانِ وبين بقوله تعالى يَخْتَصِمُوْنَ انهم فرقة افتراق بكفر وايمان لا فرقة اجتماع فى
هدى وعرفان ففريق صدق صالحا واتبعه وفريق استمر على شركه وكذبه وكل فريق يقول
انا على الحق وخصمى على الباطل ثم استعطف صالح عليه السلام على المكذبين بان قَالَ لهم يٰقَوْمِ
لِمَ تَسْتَعْجِلُوْنَ اى تطلبون العجلة بالاتيان بِالسَّيِّئَةِ اى التى مساءتها ثابتة وهى العقوبة التى
انذرت بها من كفر قَبْلَ الحالة الْحَسَنَةِ من الخيرات التى ابشركم بها فى الدنيا والاخرة ان امنتم
والاستعجال طلب الاتيان بالامر قبل الوقت المضروب فاستعجالهم لذلك بالاصرار على سببه وقولهم
استهزاء ائتنا بما تعدنا وكانوا يقولون ان العقوبة التى يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ
واستغفرنا فحينئذ يقبل الله تعالى توبتنا ويدفع العذاب عنا فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب
عقولهم واعتقادهم فقال لَوْلَا اى هلا ولم لا تَسْتَغْفِرُوْنَ اللّٰهَ اى تطلبون غفرانه قبل نزول العذاب
فان استعجال الخير اولى من استعجال الشر لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ تنبيها لهم على الخطا فيما قالوه فان العذاب
اذا نزل بهم لا تقبل توبتهم + تنبيه + وصف العذاب بانه سيئة مجازا اما لان العقاب من لوازمه
او لانه يشبهه فى كونه مكروها واما وصف الرحمة بانها حسنة فقيل حقيقة وقيل مجاز ثم ان صالحا
عليه السلام لما قرر لهم هذا الكلام الحق اجابوه بكلام فاسد بان قَالُوْا فظاظة وغلظة اطَّيَّرْنَا اى
تشاءمنا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ اى وبمن امن بك وذلك ان الله تعالى قد امسك عنهم المطر فى الغالب
وقحطوا فقالوا احل بنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم اصحابك قال الزمخشرى كان الرجل
يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم قال الجوهرى السنيح
والسانح ما ولاك ميامنه من ظبى او طائر او غيرهما وبرح الظبى بروحا اذا ولاك مياسره يمر من
ميامنك الى مياسرك والعرب تطير بالبارح وتتفاءل بالسانح فلما انسبوا
الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله تعالى

همزة وصل ثم اجابهم صالح عليه السلام بان قَالَ لهم طَائِرُكُمْ اى ما يصيبكم من خير وشر عِنْدَ اللّٰهِ
اى الملك الاعظم المحيط بكل شئ علما وقدرة وهو قضاؤه وقدره وليس شئ منه بيد غيره وسمى
طائر السرعة نزوله بالانسان فانه لاشئ اسرع من قضاء محتوم وقال ابن عباس الشؤم اتاكم من
عند الله تعالى بكفركم وقيل طائركم عملكم عند الله سمى طائر السرعة صعوده الى السماء ومنه قوله تعالى
وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُوْنَ قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر كقوله
تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال محمد بن كعب تعذبون وقيل يفتنكم الشيطان بوسوسته
اليكم بالتطير ولما اخبر الله تعالى عن عامة هذا الفريق بالشر نبه على بعض شرهم بقوله تعالى
وَكَانَ فِي الْمَدِيْنَةِ اى مدينة ثمود وهى الحجر تِسْعَةُ رَهْطٍ اى رجال وانما جاز تمييز التسعة بالرهط
لانه فى معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس او رجال كما قدرته والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط
من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب
الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رياب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردية عاصم بن مخرمة
سبيط بن صدقة سمعان بن صفى قدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم
صالح وكانوا من ابناء اشرافهم ورأسهم قدار بن سالف وهو الذى تولى عقر الناقة وقوله
يُفْسِدُوْنَ فِي الْاَرْضِ اشارة الى عموم فسادهم ودوامه وقوله وَلَا يُصْلِحُوْنَ يحتمل ان يكون مؤكدا
للاول ويحتمل ان لايكون وهو الاولى لان بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح فنفى عنهم
ذلك فليس شانهم الا الافساد المحض الذى لايخالطه شئ من الصلاح ولما اقتضى السياق السؤال عن
بعض حالهم اجاب بقوله قَالُوْا تَقَاسَمُوْا اى قال بعضهم لبعض احلفوا بِاللّٰهِ اى الملك العظيم لَنُبَيِّتَنَّهٗ اى
صالحا وَاَهْلَهٗ اى من امن به لنهلكن الجميع ليلا فان البيات مباغتة العدو ليلا تنبيه محل تقاسموا
جزم على الامر ويجوز ان يكون فعلا ماضيا وحينئذ يجوز ان يكون مفسرا لقالوا كانه قيل ما قالوا فقيل
تقاسموا ويجوز ان يكون حالا على اضمار قد اى قالوا ذلك متقاسمين واليه ذهب الزمخشرى ثُمَّ لَنَقُوْلَنَّ
اى بعد اهلاك صالح ومن معه لِوَلِيِّهٖ اى المطالب بدمه ان بقى منهم احد مَا شَهِدْنَا اى ما حضرنا
مَهْلِكَ اى اهلاك اَهْلِهٖ اى اهل ذلك الولى فضلا عن ان نكون باشرنا او اهل صالح عليه السلام
فضلا عن ان نكون شهدنا مهلكه او باشرنا قتله ولا موضع اهلاكه وقرأ حمزة والكسائى بعد اللام
من لنبيتنه بتاء فوقية مضمومة وبعد الياء التحتية بتاء فوقية مضمومة وبعد اللام من ليقولن
بتاء فوقية مفتوحة وضم اللام بعد الواو والباقون بعد اللام من لنقولن بنون مفتوحة ونصب
اللام من لنقولن وقرأ عاصم مهلك بفتح الميم والباقون بضمها وكسر اللام حفص وفتحها الباقون
ولما صمموا على هذا الامر وظنوا انفسهم على المبالغة فى الحلف بقولهم وَاِنَّا لَصَادِقُوْنَ اى فى قولنا
ما شهدنا مهلك اهله ذلك فان قيل كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف
المخبر عنه اجيب على التفسير الثانى بانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين

البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما فكانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا
لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه
ولا يخطر ببالهم الا انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم ان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق
في خبرهم حيلة يتفصون فيها عن الكذب ولما كان منهم عمل من لم يظن ان الله عالم به قال تعالى
محذرا امثالهم عن مثال ذلك وَمَكَرُوا مَكْرًا وهو ما اخفوه من تدبيرهم الفتك بصالح واهله وَمَكَرْنَا مَكْرًا
اي جازيناهم على مكرهم بتعجيل العقوبة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ اي لا يتجدد لهم شعور بما قدرناه عليهم
شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة وقيل ان الله تعالى اخبر صالحا بمكرهم فتحرز عنهم فذلك مكر الله
تعالى في حقهم فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ في ذلك أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ اي اهلكناهم وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ
روى انه كان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ
منا الى ثلاثة فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاثة فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه
ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا الى الشعب فطبقت
الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل الله تعالى بهم وبقومهم
وعذب الله تعالى كلا منهم في مكانه بصيحة جبريل عليه السلام ورمتهم الملائكة بحجارة يرونها
ولا يرونهم وقال ابن عباس ارسل الله تعالى الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتى التسعة
دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة
فقتلتهم وقال مقاتل نزلوا في سفح الجبل ينتظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبل فاهلكهم واهلك
الله تعالى قومهم بالصيحة فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ اي ثمود كلهم خَاوِيَةً اي خالية من خوى البطن اذا خلا
او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط تنبيه خاوية منصوب على الحال والعامل
فيها اسم الاشارة وقرأ الكوفيون انا دمرناهم بفتح الهمزة اما على حذف حرف الجر اي لانا دمرناهم
واما ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هي انا دمرناهم اي العاقبة تدميرنا اياهم وقيل غير ذلك
والباقون بكسر الهمزة على الاستئناف وهو تفسير للعاقبة وقرأ ورش وابو عمرو وحفص
بيوتهم بضم الباء الموحدة وكسرها الباقون ولما ذكر تعالى هلاكهم اتبعه بقوله تعالى
بِمَا ظَلَمُوا اي بسبب ظلمهم وهو عبادتهم من لا يستحق العبادة وتركهم من يستحقها ثم زاد
في التهويل بقوله تعالى إِنَّ فِي ذَلِكَ اي هذا الامر الباهر المتقول الذي فعل بثمود لَآيَةً اي عبرة عظيمة
ولكنها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قدرتنا فيتعظون اما من لا علم عنده فقد نادى على نفسه في عداد البهائم ولما ذكر
تعالى الذين اهلكهم اتبعه بذكر الذين نجاهم فقال وَأَنْجَيْنَا اي بعظمتنا وقدرتنا الَّذِينَ آمَنُوا
وهم الفريق الذين كانوا مع صالح كلهم وَكَانُوا يَتَّقُونَ اي متصفين بالتقوى ايضا فكانهم
مجبولون عليه فيجعلون بينهم وبين ما يسخط الله وقاية من الاعمال الصالحة ولما ذكر تعالى
قصة صالح عليه السلام اتبعها قصة لوط عليه السلام وهي القصة الرابعة بقوله تعالى وَلُوطًا

وهو اما منصوب عطفا على صالحا اى وارسلنا لوطا واما عطفا على الذين امنوا اى وانجينا لوطا واما
باذكر مضمرة ويبدل منه على هذا اذ اى حين قال لقومه اى الذين كان سكن فيهم لما فارق عمه
ابراهيم الخليل عليهما السلام وصاهرهم وكانوا يأتون الاحداث منكرا موبخا أتأتون الفاحشة
اى الفعلة المتناهية فى القبح وانتم تبصرون من بصر القلب اى تعلمون فحشها
واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا
فى ناديهم يرتكبونها معلنين لا يستتر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا
فى المعصية قال الزمخشرى وكان ابا نواس بنى على مذهبهم قوله وبح باسم ما تاتى
وذرنى من الكنى + فلا خير فى اللذات من دونها ستر + او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم
فان قيل اذا فسر تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء اجيب بانهم
يفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمهم بذلك او يجهلون العاقبة او ان المراد بالجهل السفاهة
والمجانة التى كانوا عليها ثم بين ما ابهمه بقوله أئنكم لتأتون وقال الرجال اشارة الى ان فعلتهم هذه
ممايعدى البهيمة ولا يبلغ سكنه نحو او لا يصدق ذو عقل ان احدا يفعلها ثم علل ذلك بقوله شهوة
انزالا لهم الى رتبة البهائم التى ليس فيها قصد ولد ولا اعفاف وقال من دون النساء اشارة الى
انهم اساؤا من الطرفين فى الفعل والترك وقوله بل انتم قوم تجهلون تقدم فى جواب تبصرون
تفسيره فان قيل تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف
اجيب بانه قد اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة وقرأ
أئنكم نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية المكسورة كالياء وحققها
الباقون وادخل بينهما قالون وابو عمرو والقا وهشام بخلاف عنه ولما بين تعالى جهلهم بين انهم
اجابوا بما لا يصلح ان يكون جوابا بقوله تعالى فما كان جواب قومه اى لهذا الكلام الحسن لما لم يكن لهم
حجة ولا شبهة فى دفعه الا ان قالوا عدولا الى المغالبة وتماديا فى الخبث اخرجوا آل لوط اى اهله وقالوا
من قريتكم منا عليه باسكانه عندهم وعللوا ذلك بقولهم انهم اناس يتطهرون اى يتنزهون
عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس هو
استهزاء اى قالوه تهكما بهم ولما وصلوا فى الخبث الى هذا الحد سبب سبحانه وتعالى عن قولهم
وفعلهم قوله تعالى فانجيناه واهله اى كلهم من ان يصلوا اليهم باذى ويلحقهم من عذابنا الا امرأته
قدرناها اى قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا من الغابرين اى الباقين فى العذاب وقرأ شعبة
بتخفيف الدال والباقون بالتشديد وامطرنا عليهم مطرا هو حجارة السجيل اى اهلكتهم ولذلك
تسبب عنه قوله فساء اى فبئس مطر المنذرين بالعذاب مطرهم + ولما اتم سبحانه وتعالى هذه
القصص الدالة على كمال قدرته وعظيم شانه وما خص به رسله من الآيات والانتصار من الاعداء
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحمده على هلاك الامم الخالية بقوله قل يا افضل الخلق الحمد

اى الوصف بالاحاطة بصفات الكمال لله على اهلاك هؤلاء الاعداء البغضاء وان يسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك بقوله تعالى وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اى اصطفاهم واختلف فيهم فقال مقاتل هم الانبياء والمرسلون بدليل قوله تعالى وسلام على المرسلين وقال ابن عباس فى رواية ابى مالك هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين + تنبيه + سلام مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه دعاء ولما بين انه تعالى اهلكهم ولم تغن عنهم الهتهم من الله شيئا قال تعالى آللّٰهُ اى الذى له الجلال والاكرام خَيْرٌ اى لعباده الذين اصطفاهم وانجاهم أَمَّا يُشْرِكُونَ اى الكفار من الالهة خير لعبادها فانهم لا يغنون عنهم شيئا + تنبيه + لكل من القراء السبعة فى هاتين الهمزتين وجهان الاول تحقيق همزة الاستفهام وابدال همزة الوصل الفا مع المد والثانى تحقيق همزة الاستفهام ايضا وتسهيل همزة الوصل مع القصر وقرأ ابو عمرو وعاصم يشركون بالياء التحتية بالغيبة حملا على ما قبله من قوله تعالى وامطرنا عليهم مطرا وما بعده من قوله تعالى بل اكثرهم والباقون بالتاء الفوقية على الخطاب وهو التفات للكفار بعد خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا تبكيت المشركين بحالهم لانهم اثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيئا على شئ الا لزيادة خير ومنفعة فقيل لهم هذا الكلام تنبيها لهم على نهاية ضلالهم وجهلهم وتهكما بهم وتسفيها لرأيهم اذ من المعلوم انه لا خير فيما اشركوه راسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبتدأ كل خير وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم + ثم عدد سبحانه وتعالى انواعا من الخيرات والمنافع التى هى اثار رحمته وفضله الاول منها قوله تعالى أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ اى التى هى اصول الكائنات ومبادى المنافع فان قيل ما الفرق بين أم وأم فى أم ما يشركون وأم من خلق السموات اجيب بان تلك متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله خير ام الالهة قال بل أم من خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شئ وَأَنْزَلَ لَكُمْ اى لاجلكم خاصة وانتم تكفرون به وتنسبون ما انفرد به من ذلك لغيره مِنَ السَّمَاءِ مَاءً هو للارض كالماء الدافق للارحام فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ جمع حديقة وهى البستان وقيل القطعة من الارض ذات الماء قال الراغب سميت بذلك تشبيها بحدقة العين فى الهيئة وحصول الماء فيها وقال غيره سميت بذلك لاحداق الجدران بها قاله ابن عادل وليس بشئ لانه يطلق عليها ذلك مع عدم الجدران ذَاتَ بَهْجَةٍ اى بهاء وحسن ورونق وسرور على تقارب اصولها مع اختلاف انواعها وتباين طعومها واشكالها ومقاديرها والوانها ولما اثبت الانبات له نفاه عن غيره بقوله تعالى مَا كَانَ اى ما صح وما تصور بوجه من الوجوه لَكُمْ وانتم احياء فضلا عن شركائكم الذين هم اموات بل موات أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا اى شجر تلك الحدائق أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ اعانه على ذلك اى ليس معه اله بَلْ هُمْ اى فى ادعائهم معه سبحانه شريكا

قَوْمٌ يَعْدِلُوْنَ اى عن الحق الذى لا مرية فيه الى غيره وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر ونظير هذه
الآية اول سورة الانعام + الثانى منها قوله تعالى أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وهو بدل من أم من
خلق السموات وحكمه حكمه ومعنى قرارا لا تميد باهلها وكان القياس يقتضى ان تكون هاوية
او مضطربة كما يضطرب ما هو معلق فى الهواء ولكن الله تعالى ابدى بعضها من الماء بحيث
يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها وَجَعَلَ خِلَالَهَا اى وسطها أَنْهَارًا اى جارية على حالة
واحدة فلو اضطربت الارض ادنى اضطراب لتغيرت مجارى المياه ثم ذكر تعالى سبب القرار بقوله تعالى
وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ اى جبالا اثبت بها الارض على ميزان دبره سبحانه وتعالى فى مواضع من
ارجائها بحيث اعتدلت جميع جوانبها فامتنعت من الاضطراب ولما كان بعض مياه الارض
عذبا وبعضها ملحا مع القرب جدّا بين الله تعالى ان احدهما لم يختلط بالآخر بقوله تعالى وَجَعَلَ بَيْنَ
الْبَحْرَيْنِ اى العذب والملح حَاجِزًا من قدرته يمنع احدهما ان يختلط بالآخر أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ اى المحيط
علما وقدرة معين له على ذلك بَلْ أَكْثَرُهُمْ اى الذين ينتفعون بهذه المنافع لَا يَعْلَمُوْنَ
توحيد ربهم بل هم كالبهائم لاعراضهم عن هذا الدليل الواضح + تنبيه + فى قراءة أإله مثل ائنكم
الثالث منها قوله تعالى أَمَّنْ يُجِيْبُ الْمُضْطَرَّ اى المكروب وهو الذى احوجه مرض او فقر
او نازلة من نوازل الدهر الى اللجأ والتضرع الى الله تعالى إِذَا دَعَاهُ وقت اضطراره وعن
ابن عباس هو المجهود وعن السدى هو الذى لا حول له ولا قوة فان قيل هذا يعم كل
مضطر وكم مضطر يدعو فلا يجاب اجيب بان اللام فيه للجنس لا للاستغراق ولا يلزم منه اجابة كل
مضطر وقوله تعالى وَيَكْشِفُ السُّوْءَ كالتفسير للاستجابة وانه لا يقدر احد على كشف ما وقع له
من فقر الى غنى ومرض الى صحة الا القادر الذى لا يعجزه شئ والقاهر الذى لا ينازع والاضافة
فى قوله تعالى وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ بمعنى فى اى يخلف بعضكم بعضا لا يزال يجدد ذلك باهلاك
قرن وانشاء آخر الى قيام الساعة أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ اى الملك الذى لا كفؤ له ثم استأنف التبكيت تفظيعا
له ومواجها به بقوله تعالى قَلِيْلًا مَا تَذَكَّرُوْنَ اى تتعظون وقرأ ابو عمرو وهشام بالياء التحتية على
الغيبة والباقون بالخطاب وفيه ادغام التاء فى الذال وما زائدة لتقليل القليل + الرابع منها
قوله تعالى أَمَّنْ يَهْدِيْكُمْ اى يرشدكم الى مقاصدكم فِيْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ اى بالنجوم والجبال والرياح
وَالْبَحْرِ بالنجوم والرياح وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ اى التى هى دلائل السير نُشْرًا اى تنشر السحاب
وتجمعها بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهٖ اى التى هى المطر تسمية للمسبب باسم السبب والرياح التى يهتدى
بها فى المقاصد اربع التى من تجاه الكعبة الصبا ومن ورائها الدبور ومن جهة يمينها الجنوب
ومن شمالها الشمال ولكل منها طبع فالصبا حارة يابسة والدبور باردة رطبة والجنوب حارة
رطبة والشمال باردة يابسة وهى ريح الجنة التى تهب على اهلها جعلنا الله ووالدينا ومشايخنا واصحابنا
ومن انتفع بشئ من هذا التفسير ودعا لنا بالمغفرة منهم وقرأ حمزة والكسائى وابن كثير الريح

بالافراد والباقون بالجمع وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو نشرا بضم النون والشين وابن عامر بضم النون وسكون الشين وحمزة والكسائى بفتح النون وسكون الشين وعاصم بالباء الموحدة مضمومة وسكون الشين ولما انكشف بما مضى من الآيات ما كانوا فى ظلامه من واهى الشبهات واتضحت الادلة ولم يبق لاحد فى شئ من ذلك علة كرر سبحانه وتعالى الانكار فى قوله تعالى ءاله مع الله اى الذى كمل علمه تعالى انه الفاعل القادر المختار عما يشركون به غيره واين رتبة العجز من رتبة القدرة ولما تقدم ... فمنها قوله تعالى امن يبدؤا الخلق اى كلهم فى الارحام من نطفة ما علمتم منه وما لم تعلموا ثم يعيده اى بعد الموت لان الاعادة اهون فان قيل كيف قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون للاعادة اجيب بانهم كانوا مقرين بالابتداء ودلالته على الاعادة ظاهرة قوية لان الاعادة اهون عليه من الابتداء فلما كان الكلام مقرونا بالدلالة الظاهرة صاروا كانهم لا عذر لهم فى انكار الاعادة ثم ... عليهما ولما كان الامطار والانبات من ادل ما يكون على الاعادة قال مشيرا اليهما على وجه عم جميع ما مضى ومن يرزقكم من السماء اى بالمطر والحر والبرد وغيرهما مما له سبب فى التكوين او التلوين والارض اى بالنبات والمعادن والحيوان وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله ... وعبر عنهما بالرزق لان به تمام النعمة ءاله مع الله اى الذى له صفات الجلال والاكرام ولما كانت هذه كلها براهين ساطعة ودلائل قاطعة امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم باعراضها عنهم بقوله تعالى قل اى لهؤلاء المدعين للعقول هاتوا برهانكم اى حجتكم على نفى شئ من ذلك عن الله تعالى او على اثبات شئ منه لغيره ان كنتم صادقين اى فى انكم على حق فى ان مع الله تعالى غيره واضاف تعالى البرهان اليهم تهكما بهم وتنبيها على انهم ايسوا وافى الضلال واغرقوا فى المحال ثم انهم سألوه عن وقت قيام الساعة فنزل قل اى لهم لا يعلم من فى السموات والارض من الملائكة والناس الغيب اى ما غاب عنهم وقوله تعالى الا الله استثناء منقطع اى لكن الله يعلمه ولما كان الله تعالى منزها عن ان يحويه مكان جعل الاستثناء هنا منقطعا فان قيل من حق المنقطع النصب اجيب بانه رفع بدلا على لغة بنى تميم يقولون ما فى الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قولهم ما اتانى زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قيل ما الداعى الى المذهب التميمى على الحجازى اجيب بانه دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس * الا اليعافير والا العيس ليؤل المعنى الى قولك ان كان الله ممن فى السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعنى ان علمهم الغيب فى استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما فى البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس ابتا للخلو عن الانيس ويجوز ان يكون متصلا والظرفية فى حقه تعالى مجاز بالنسبة الى علمه وان كان فيه جمع بين الحقيقة والمجاز كما قال به امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه وان منعه بعضهم ومن ذلك قول المتكلمين الله تعالى فى كل مكان على معنى ان علمه فى الاماكن كلها

فكانّ ذاته فيهما وعلى هذا فيرتفع على البدل والصفة والرفع افصح من النصب لانه منفي وعن عائشة
رضى الله تعالى عنها من زعم انه يعلم ما فى غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم
من فى السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا
يأمن احد من عبيده مكره وقوله تعالى وَمَا يَشْعُرُونَ صفة لاهل السموات والارض نفى ان
يكون لهم علم بالغيب وان اجتمعوا وتعاونوا أَيَّانَ اى متى اى وقت يُبْعَثُونَ اى ينشرون
وقوله تعالى بَلِ بمعنى هل ادّٰرَكَ اى بلغ وتناهى عِلْمُهُمْ فِى الْاٰخِرَةِ اى بها حتى سألوا عن وقت
مجيئها ليس الامر كذلك بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ اى ريب مِنْهَا كمن تحير فى الامر لا يجد عليه دليلا
بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن ع ٥
فى السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل فان قيل هذه الاضرابات
الثلاثة ما معناها أجيب بانها تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون بوقت البعث
ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون فى شك وريبة فلا يزيلونه والازالة
مستطاعة ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا
ولا باطلا ولا يفكر فى عاقبة وقد جعل الاخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن
لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذى جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون ووصفهم باستحكام علمهم
فى امر الاخرة تهكما وقرأ ابو عمرو وابن كثير بقطع الهمزة مفتوحة وسكون اللام قبلها وسكون
الدال بعدها والباقون بكسر اللام واسقاط الهمزة بعدها وتشديد الدال وبعدها الف بمعنى تتابع
حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك وقوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا ءَاِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّاٰبَاۤؤُنَا اَئِنَّا اى نحن وآباؤنا الذين طال العهد بهم لَمُخْرَجُونَ كالنبات
والعامل فى اذا محذوف يدل عليه لمخرجون تقديره نبعث ونخرج لان بين يدى عمل اسم
المفعول فيه عقبات وهى همزة الاستفهام وانّ ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعت
والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى حال الحياة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا
وانا جميعا انكار على انكار وجحود عقب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير فى انا لهم
ولابائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم تنبيه: آباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل
بالخبر مقام الفصل بالتوكيد وقرأ نافع بالخبر فى اذا وبالاستفهام فى ائنا وابن عامر والكسائى
بالاستفهام فى الاول والخبر فى الثانى وزاد فيه نونا ثانية وباقى القراء بالاستفهام فى الاول والثانى
وهم على مذاهبهم من التسهيل والتحقيق والمد والقصر فمذهب قالون وابى عمرو والتسهيل فى الهمزة
الثانية وادخال الف بينها وبين همزة الاستفهام ومذهب ورش وابن كثير التسهيل وعدم الادخال
ومذهب هشام الادخال وعدمه مع التحقيق ومذهب الباقين التحقيق وعدم الادخال ثم اقام
الكفار الدليل فى زعمهم على ذلك فقالوا تعليلا لاستبعادهم لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا اى الاخراج

من القبور كما كنا اول مرة نحن وآباؤنا من قبل اى قبل محمد فقد سوّينا الدهور على هذا الوعد ولم يقع
منه شئ فذلك دليل على انه لا حقيقة له فكانه قيل فما فائدة المراد به فقالوا إن اى ما هذا إلا
أساطير الأولين اى احاديثهم واكاذيبهم التي كتبوها ولا حقيقة لها. تنبيه: اساطير الاولين
جمع اسطورة بالضم اى ما سطر من الكذب فان قيل لم قدم فى هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا
وفى آية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا أجيب بان التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض
المقصود بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففى احدى الآيتين دل على ان ايجاد البعث هو الذى
تعمد بالكلام وفى الاخرى على ان ايجاد المبعوث بذلك الصدد ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يرشدهم بما فى صورة التهديد بقوله تعالى قل سيروا فى الأرض اى ايها العمى الجاهلون
فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين بانكارهم وهى هلاكهم بالعذاب فانكم ان نظرتم وتاملتم اخبارهم
حق التامل اسرع بكم ذلك الى التصديق فنجوتم والا هلكتم كما هلكوا واراد بالمجرمين
الكافرين فان قيل فلم لم يقل عاقبة الكافرين أجيب بان هذا يحصل به التخويف لكل
العصاة ثم ان الله تعالى صبر نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يناله من جهلاتهم وعماهم عن السبيل
الذى هدى اليه الدليل بقوله تعالى ولا تحزن عليهم اى فى عدم ايمانهم فانما عليك البلاغ
ولا تكن فى ضيق مما يمكرون اى لا تهتم بمكرهم عليك فانا ناصرك عليهم وجاعل تدميرهم
فى تدبيرهم كما فعلنا بقوم صالح. تنبيه: الضيق الحرج يقال ضاق الشئ ضيقا وضيقا بالفتح والكسر
ولهذا قرأ ابن كثير بكسر الضاد والباقون بالفتح ولما اشار تعالى الى انهم لم يبقوا فى المبالغة
فى التكذيب بالساعة وجها اشار تعالى الى انهم فى التكذيب بالوعيد بالساعة وغيرها من
عذاب الله اشد مبالغة بقوله تعالى ويقولون بالمضارع المؤذن بالتجدد كل حين والاستمرار
متى هذا الوعد اى العذاب والبعث والمجازاة الموعود بها وسموه وعدا اظهارا للحيثية تهكما به
إن كنتم اى انت ومن تبعك صادقين فيه ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان
يجيبهم بقوله تعالى قل لهم عسى أن يكون ردف لكم اى تبعكم وردفكم ولحقكم فاللام مزيدة
على هذا للتاكيد كالباء فى قوله ولا تلقوا بايديكم ويجوز ان يكون تضمن ردف معنى فعل
فتعدى باللام نحو دنا وقرب وازف وبهذا فسره ابن عباس وقد عدى بمن فى قول القائل
فلما ردفنا من عمير وصحبه ✽ تولوا سراعا والمنية تعنق ✽ يعنى دنونا من عمير بعض الذى تستعجلون
اى فحصل لهم القتل ببدر وباقى العذاب يأتى بعد الموت. تنبيه: عسى ولعل وسوف فى مواعيد
الملوك كالجزم بها وانما يطلقون اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه
جرى وعد الله ووعيده ولما كان التقدير فان ربك لا يعجل على هذا العاصى بالانتقام مع تمام
قدرته عطف عليه وإن ربك اى المحسن اليك بالحلم على امتك لذو فضل اى تفضل وانعام
على الناس اى كافة ولكن أكثرهم لا يشكرون اى لا يعرفون حق النعمة له ولا يشكرونه بل

يستعجلون بجهلهم العذاب قال ابن عادل وهذه الآية تبطل قول من قال لا نعمة لله على كافر وَإِنَّ رَبَّكَ اى والحال انه لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ اى تضمر وتستر وتخفى صُدُورُهُمْ اى الناس كلهم فضلا عن قومك وَمَا يُعْلِنُونَ اى يظهرون من عداوتك وغيرها فيجازيهم على ذلك وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اى فى اى موضع كان منهما وافردهما دلالة على ارادة الجنس الشامل لكل فرد تنبيه فى هذه التاء قولان احدهما انها للمبالغة كراوية وعلامة فى قولهم ويل للشاعر من رواية السوء كانه تعالى قال وما من شئ شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله تعالى + والثانى انها كالتاء الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعافية قال الزمخشرى ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية فى انها اسماء غير صفات إِلَّا فِي كِتَابٍ هو اللوح المحفوظ كتب فيه ذلك قبل ايجاده لانه لا يكون شئ الا بعلمه وتقديره مُبِينٍ اى ظاهر لمن ينظر فيه من الملائكة + ولما تمم تعالى الكلام فى اثبات المبدأ والمعاد ذكر بعده ما يتعلق بالنبوة بقوله تعالى إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ اى الآتى به هذا النبى الامى الذى لم يعرف قبله علما ولا خالط عالما يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ اى الموجودين فى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اى من امر الدين وان بالغوا فى كتمه كقصة الزانى المحصن فى اخفائهم ان حده الرجم وقصة عزير والمسيح واخراج النبى صلى الله عليه وسلم ذلك مما فى توراتهم فصح بحقيقته على لسان من لم يلم بعلم قط نبوته صلى الله عليه وسلم لان ذلك لا يكون الا من عند الله ثم وصف تعالى فضل هذا القرآن بقوله تعالى وَإِنَّهُ لَهُدًى اى من الضلالة لما فيه من الدلائل على التوحيد والحشر والنشر والنبوة وشرح صفات الله تعالى وَرَحْمَةٌ اى نعمة واكرام لِلْمُؤْمِنِينَ اى الذين طبعهم على الايمان فهو صفة لهم راسخة كما انه للكافرين وقر فى آذانهم وعمى فى قلوبهم + ولما ذكر تعالى دليل فضله اتبعه دليل عدله بقوله تعالى إِنَّ رَبَّكَ اى المحسن اليك بما لم يصل احد يَقْضِي بَيْنَهُمْ اى بين جميع المختلفين بِحُكْمِهِ اى الذى هو اعدل حكم واتقنه وانفذه فان قيل القضاء والحكم شئ واحد فقوله تعالى يقضى بينهم بحكمه اى بما يحكم به كقوله يقضى بقضائه ويحكم بحكمه اجيب بان معنى قوله تعالى بحكمه اى بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما او اراد بحكمته وَهُوَ اى والحال انه هو الْعَزِيزُ اى فلا يرد له امر الْعَلِيمُ فلا يخفى عليه سر ولا جهر فلما ثبت له تعالى العلم والحكمة والعظمة والقدرة تسبب عن ذلك قوله تعالى فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ اى ثق به لتدع الامور كلها اليه وتستريح من تحمل المشاق وثوقا بنصره ثم علل ذلك بقوله تعالى إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ اى البين فى نفسه الموضح لغيره فصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله تعالى ونصره وقوله تعالى إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه من معاضدتهم وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم فى قوله تعالى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ اى معرضين فان قيل ما معنى قوله تعالى ولوا مدبرين اجيب بانه تاكيد لحال

الاصم لانه اذا تباعد عن محل الداعی بان تولی عنه مدبرا کان ابعد عن ادراک صوته وقرأ ابن کثیر
ولا یسمع بالیاء التحتیة المفتوحة وفتح المیم الصم برفع المیم والباقون بالتاء الفوقیة مضمومة وکسر المیم
الصم بالنصب وسهل نافع وابن کثیر وابو عمرو والهمزة الثانیة من الدعاء اذا کالیاء
مع تحقیق الاولی والباقون بتحقیقهما وهم علی مراتبهم فی المد ثم قطع طمعه فی ایمانهم بقوله تعالی
وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ ای فی ابصارهم وبصائرهم مزیلا لهم وناقلا ومبعدا عَنْ ضَلَالَتِهِمْ
ای عن الطریق بحیث تحفظهم عن ان یزلوا عنها اصلا فان هذا لا یقدر علیه الا الحی القیوم وقرأ
حمزة تهدی بتاء فوقیة وسکون الهاء والعمی بنصب الیاء والباقون بالباء الموحدة مکسورة
وفتح الهاء بعدها الف والعمی بکسر الیاء ولما کان هذا ربما اوقف عن دعائهم رجاء فی انقیادهم
وارعوائهم بقوله تعالی إِنْ ای مَا تُسْمِعُ ای سماع انتفاع علی وجه الکمال فی کل حال إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ
ای من علمنا انه یصدق بِآيَاتِنَا بان جعلنا فیه قابلیة السمع ثم تسبب عنه قوله دلیلا علی ایمانه
فَهُمْ مُسْلِمُونَ ای مخلصون فی غایة الطواعیة لک کما فی قوله تعالی بلی من اسلم وجهه لله وهو محسن
ای جعله سالما خالصا ثم ذکر تعالی ما یوعدون مما تقدم استعجالهم له استهزاء بقوله تعالی وَإِذَا وَقَعَ
الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ای مضمون القول وهو ما وعدوا به من قیام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله
او اطلق المصدر علی المفعول ای المقول أَخْرَجْنَا ای بما لنا من العظمة لَهُمْ حین مشارفة
العذاب والساعة وظهور اشراطها حین لا تنفع التوبة دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ وهی الجساسة
جاء فی الحدیث ان طولها ستون ذراعا لا یدرکها طالب ولا یفوتها هارب وروی ان لها اربع قوائم وزغبا
وهو شعر اصفر علی ریش الفرخ وریشا وجناحین وعن ابن جریج فی وصفها فقال رأسها رأس
الثور وعینها عین الخنزیر واذنها اذن فیل وقرنها قرن ایل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر
اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب کبش وخفها خف بعیر وما بین
المفصلین اثنا عشر ذراعا بذراع آدم علیه السلام وروی انها لا تخرج الا رأسها ورأسها یبلغ عنان
السماء ای یبلغ السحاب وعن ابی هریرة فیها من کل لون وما بین قرنیها فرسخ للراکب وعن الحسن
لا یتم خروجها الا بعد ثلاثة ایام وعن علی رضی الله تعالی عنه انها تخرج ثلاثة ایام والناس ینظرون
فلا یخرج الا ثلثها وروی انه صلی الله علیه وسلم سئل من این تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد
حرمة واکرمها علی الله فما یهولهم الا خروجها من بین الرکن حذاء دار بنی مخزوم عن
یمین الخارج من المسجد فقوم یهربون وقوم یقفون نظارا وقیل تخرج من الصفا ولما کان التعبیر
بالدابة یفهم انها کالحیوانات العجم لا کلام لها قال تُكَلِّمُهُمْ ای بالعربیة کما قال مقاتل بکلام یفهمونه
بلسان طلق ذلق فتقول أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ای بان الناس کانوا لا یوقنون بخروجی
لان خروجها من الآیات وتقول الا لعنة الله علی الظالمین وعن السدی تکلمهم ببطلان الادیان
کلها سوی دین الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل

المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروى انها تخرج من اجياد وروى بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن فى مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة فى وجهه حتى يضئ لها وجهه او تترك وجهه كانه كوكب درّى وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى انفه فتفشو النكتة حتى يسوّد لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وعن ابى هريرة انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجّال والدخان والدابة وخاصة احدكم وامر العامة وقال صلى الله عليه وسلم انّ اوّل الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها وقال صلى الله عليه وسلم للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها فى البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم تكمن زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم بينا الناس يوما فى اعظم المساجد على الله حرمة واكرمها على الله عزّ وجلّ يعنى المسجد الحرام لم يرعهم الا وهى فى ناحية المسجد تدنو وتدنو قال الراوى ما بين الركن الاسود الى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فى وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبتت لها عصابة عرفوا انهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت فجلت عن وجوههم حتى تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت فى الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى انّ الرجل ليقوم فيتعوّذ منها بالصلوة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلى فيقبل عليها بوجهه فتسمه فى وجهه فيتجاور الناس فى ديارهم ويصطحبون فى اسفارهم ويشتركون فى الاموال ويعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر وعن علىّ رضى الله تعالى عنه انه قال ليست بدابّة لها ذنب ولكن لها لحية يشير الى انها رجل والاكثرون على انها دابة وعن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاى هذه وعن ابى هريرة انّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال بئس الشعب شعب اجياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وقال وهب وجهها وجه الرجل وسائر خلقها خلق الطير فتخبر من يراها انّ اهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرأ الكوفيون بفتح الهمزة من انّ على تقدير الباء اى بانّ الناس الخ والباقون بكسرها على الاستئناف وَيَوْمَ نَحْشُرُ اى الناس على وجه الاكراه قال ابو حيان الحشر الجمع على عنف مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ اى قرن فَوْجًا اى جماعة مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِاٰيٰتِنَا اى وهم رؤساؤهم المتبوعون فَهُمْ يُوْزَعُوْنَ اى يجمعون برد آخرهم الى اولهم واطرافهم على اوساطهم

يتلاحقوا ولا يشذ منهم احد ولا يزالون كذلك حتى اذا جاؤا الى مكان الحساب قال اى الله تعالى
لهم أكذبتم اى انبيائى بآياتى التى جاؤا بها والحال انكم لم تحيطوا بها اى من
جهة تكذيبكم علما اى من غير فكر ولا نظر يؤدّى الى الاحاطة بما فى معانيها وما اظهرت لاجله
حتى تعلموا ما تستحقه وما يليق بها بدليل الامر به فيه وام فى قوله تعالى اماذا منقطعة وتقدّم
حكمها وماذا يجوز ان يكون برمته استفهاما منصوبا بتعملون الواقع خبرا عن كنتم وان تكون
ما استفهامية مبتدأ وذا موصول خبره والصلة كنتم تعملون وعائده محذوف
اى اى شئ الذى كنتم تعملونه ووقع القول اى وجب العذاب الموعود عليهم بما ظلموا اى بسبب
ما وقع منهم من الظلم من صريح التكذيب وما ينشأ عنه من الضلال فى الاقوال والافعال فهم لا ينطقون
قال قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم نظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون وقيل لا ينطقون لانّ افواههم مختومة ثم انه تعالى لما خوفهم باحوال القيامة ذكر
كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد والحشر وعلى النبوّة مبالغة فى الارشاد الى الايمان والمنع
من الكفر فقال الم يروا مما يدل لهم على قدرتنا على بعثهم بعد الموت وعلى كل ما اخبرناهم به
انّا جعلنا اى بعظمتنا الدالة على نفوذ مرادنا وفعلنا بالاختيار الليل اى مظلما ليسكنوا فيه
عن الانتشار والنهار مبصرا اى يبصر فيه ليتصرفوا فيه ويبتغوا من فضل الله فحذف من الاول
ما اثبت نظيره فى الثانى ومن الثانى ما اثبت نظيره فى الاول اذ التقدير جعلنا الليل مظلما كما مرّ ليسكنوا فيه
والنهار مبصرا ليتصرفوا فيه كما مرّ فحذف مظلما لدلالة مبصرا وليتصرفوا لدلالة ليسكنوا فيه وقوله تعالى
مبصرا كقوله تعالى آية النهار مبصرة وتقدّم الكلام على ذلك فى الاسراء قال الزمخشرىّ فان قلت ما للتقابل
لم يراع فى قوله تعالى ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والآخر حالا قلت هو مراعى من حيث
المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب فى المكاسب
واجاب غيره بان السكون فى الليل هو المقصود ولانه وسيلة الى جلب المنافع الدينيّة والدنيويّة
انّ فى ذلك اى هذا المذكور لآيات اى دلالات بيّنة على التوحيد والبعث والنبوّة وغير ذلك
وخص المؤمنين بقوله تعالى لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به وان كانت الادلة للكل كقوله
تعالى هدى للمتقين ولما ذكر تعالى هذا الحشر الخاص والدليل على مطلق الحشر ذكر الحشر
العام بقوله تعالى ويوم ينفخ اى بامرنا فى الصور اى القرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام ففزع
اى فصعق كما قال تعالى فى آية اخرى فصعق من فى السموات ومن فى الارض اى كلهم
فماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل فى الصور ثلاث نفخات نفخة
الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين فان قيل لم قال الله تعالى ففزع ولم يقل فيفزع
اجيب بانّ فى ذلك نكتة وهى الاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات
والارض لان الفعل الماضى يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند

النفخة الاولى حين يصعقون إِلَّا مَن شَاءَ اللّٰهُ اى المحيط علما وقدرة وعزة وعظمة ان لا يفزع
روى انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عنهم فقال هم الشهداء يتقلدون اسيافهم حول العرش
وعن ابن عباس هم الشهداء لانهم احياء عند ربهم لا يصل الفزع اليهم وعن مقاتل هم جبريل وميكائيل
واسرافيل وملك الموت عليهم السلام ويروى ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل
ثم يقول الله تعالى من بقى يا ملك الموت فيقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت بقى جبريل وميكائيل
وملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس ميكائيل ثم يقول الله تعالى من بقى يا ملك الموت فيقول
سبحانك ربى تباركت وتعاليت بقى جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول
يا جبريل من بقى فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقى الدائم وجبريل الميت الفانى
قال يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على خلق ميكائيل
كالطود العظيم ويروى انه يبقى مع هؤلاء الاربعة حملة العرش ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت
وعن الضحاك هم رضوان والحور ومالك والزبانية عليهم السلام وقيل عقارب النار وحياتها
وَكُلٌّ اى من فزع ومن لم يفزع أَتَوْهُ اى بعد ذلك للحساب بنفخة اخرى يقيمهم بها وفى ذلك
دليل على تمام قدرته تعالى فى كونه اقامهم بما به اماتهم دَاخِرِينَ اى صاغرين وقرأ حفص
وحمزة بقصر الهمزة وفتح التاء على انه فعل ماض ومفعوله الهاء فالتعبير به لتحقق وقوعه والباقون
بمد الهمزة وضم التاء على انه اسم فاعل مضاف للهاء وهذا حمل على معنى كل وهى مضافة تقديرا
اى وكلهم ولما ذكر تعالى دخورهم اتبعه بدخور ما هو اعظم منهم بقوله تعالى وَتَرَى الْجِبَالَ اى تبصرها
وقت النفخة والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم لكونه انفذ الناس بصرا وانورهم بصيرة او لكل
احد تَحْسَبُهَا اى تظنها جَامِدَةً اى قائمة ثابتة فى مكانها لا تتحرك لان الاجرام الكبار اذا تحركت
فى سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها وَهِيَ تَمُرُّ اى تسير حتى تقع على الارض فتستوى بها مبثوثة
ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا واشار تعالى الى ان سيرها خفى ان كان حثيثا بقوله تعالى
مَرَّ السَّحَابِ اى مرا سريعا لا يدرك على ما هو عليه لانه اذا اطبق الجو لا يدرك سيره مع انه لا شك
فيه والا لم تنكشف الشمس بلا لبس وكذلك كبير الجرم او كثير العدد يقصر عن الاحاطة به
لبعد ما بين اطرافه ولكثرته البصر والناظر الحاذق يظنه واقفا وقرأ تحسبها بكسر السين
نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائى وفتحها الباقون وقوله تعالى صُنْعَ اللّٰهِ مصدر مؤكد
لمضمون الجملة قبله اضيف الى فاعله بعد حذف عامله اى صنع الله ذلك صنعا ثم زاد فى التعظيم
بقوله دالا على تمام الاحكام فى ذلك الصنع الَّذِي أَتْقَنَ اى احكم كُلَّ شَيْءٍ صنعه ولما ثبت هذا
على هذا الوجه المتقن والنظام الامكن انتج قطعا قوله تعالى إِنَّهُ اى الذى اتقن هذه الامور
خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ اى عالم بظواهر الاحوال وبواطنها ليجازيهم عليها كما قال تعالى مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ
اى الكاملة وهى الايمان وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة فَلَهُ خَيْرٌ اى

افضل منها مضاعفا اقل ما يكون عشرة اضعاف الى ما لا يعلمه الا الله تعالى وقيل له خير حاصل
من جهتها وهو الجنة وفسر الجلال المحلى الحسنة بلا اله الا الله وقال فى قوله خير منها اى بسببها
فليس للتفضيل اذ لا فعل خير منها وينا سب القول الثانى وَهُمْ اى الجائون بها مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ
اى يوم اذ وقعت هذه الاهوال العظيمة آمِنُونَ اى حتى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقرأ
يفعلون ابن كثير وابو عمرو وهشام بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالفوقية على الخطاب
وقرأ وهم من فزع يومئذ آمنون الكوفيون بتنوين العين والباقون بغير تنوين وهو اعم فانه
يقتضى الامن من جميع فزع ذلك اليوم واما قراءة التنوين فتحتمل معنيين من فزع واحد هو خوف
العذاب واما ما يلحق الانسان من الرعب مشاهدته فلا ينفك منه احد ومن فزع شديد مفرط
الشدة لا يكتنهه الوصف هو خوف النار وقرأ نافع والكوفيون بفتح الميم من يومئذ والباقون بكسرها
فان قيل ليس قال تعالى فى اول الاية ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله
فكيف نفى الفزع ههنا اجيب بان الفزع الاول لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع او
هول يفجأ الا ما استثنى وان كان المحسن آمنا من لحاق الضرر واما الثانى فهو الخوف من العذاب
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ اى التى لا سيئة مثلها وهى الشرك لقوله تعالى فَكُبَّتْ اى بايسر امر وُجُوهُهُمْ
فِى النَّارِ بان وليتها ما سواه وورد فى الصحيح ان مواضع السجود التى اشرفها الوجه لا سبيل للنار
عليها والوجه اشرف ما فى الانسان فاذا اهين كان ما سواه اولى بالهوان والمكبوب عليه
منكوس ويقال تبكيتا هَلْ اى ما تُجْزَوْنَ الاجزاء مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اى من الشرك والمعاصى + تنبيه +
جعل مقابلة الحسنة بالثواب والسيئات بالعقاب من جملة احكامه للاشياء
واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عليم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم
على حسب ذلك فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه واخذ بعضه بحجزة بعض
كانما افرغ افراغا واحدا لامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق والادعاء ثم امر الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يقول لقومه اِنَّمَا اُمِرْتُ اى بامر من لا يرد له امر اَنْ اَعْبُدَ اى بجميع ما امر
رَبَّ اى موجد ومدبر هٰذِهِ الْبَلْدَةِ اى مكة التى تخرج الدابة منها فيفزع كل من راها
ثم تؤمن اهل السعادة اخصه بذلك لا اعبد شيئا مما تعبدون الَّذِى حَرَّمَهَا اى جعلها
الله تعالى حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ولما خص
مكة بهذه الاضافة تشريفا لها وتعظيما لشانها قال احترازا عما قد يتوهم وَلَهُ كُلُّ شَىْءٍ اى من
غيرها مما اشركتموه به وغيره خلقا وملكا ولما كانوا ربما قالوا نحن نعبده بعبادة من نرجوه ليقربنا
اليه زلفى عين له الدين الذى تكون به العبادة بقوله وَاُمِرْتُ اى مع الامر بالعبادة له وحده
اَنْ اَكُوْنَ اى كونا هو فى غاية الرسوخ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ اى المنقادين لجميع ما يامر به كتابه اتم انقياد ثابتا
على ذلك غاية الثبات وَاَنْ اى وامرت ان اَتْلُوَ الْقُرْاٰنَ عليكم تلاوة الدعوة الى

الايمان او ان اواظب على تلاوته لتنكشف لى حقائقه فى تلاوته شيئا فشيئا فَمَنِ اهْتَدٰى اى باتباع هذا القرآن الداعى الى الجنان فَاِنَّمَا يَهْتَدِىْ لِنَفْسِهٖ اى لاجلها لان ثواب هدايته له وَمَنْ ضَلَّ اى عن الايمان الذى هو الطريق المستقيم فَقُلْ اى له كما تقول لغيره اِنَّمَا اَنَا مِنَ الْمُنْذِرِيْنَ اى المخوفين له عواقب صنعه فلا علىّ من وبال ضلاله شئ اذ انما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وَقُلِ اى انذارا لهم وترغيبا وترجية وترهيبا اَلْحَمْدُ اى الاحاطة باوصاف الكمال لِلّٰهِ اى الذى له العظمة كلها على نعمة النبوة وعلى ما علمنى ووفقنى للعمل به سَيُرِيْكُمْ اٰيَاتِهٖ القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض وفى الاخرة بالعذاب الاليم فَتَعْرِفُوْنَهَا اى فتعرفون انها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وَمَا رَبُّكَ اى المحسن اليك بجميع ما اقامك فيه من هذه الامور العظيمة والاحوال الجسيمة بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ﴿٩٣﴾ اى فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب لان المعنى عما تعمل انت واتباعك من الطاعة وهم من المعصية والباقون بالياء على الغيبة وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من ان من قرأ طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله حديث موضوع

سورة القصص مكيّة

الا قوله تعالى ان الذى فرض الآية نزلت بالجحفة والا الذين آتيناهم الكتاب الى لا نبتغى الجاهلين وهى سبع او ثمان وثمانون آية والف واربعمائة واحدى واربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف وتسمى سورة موسى عليه السلام لاشتمالها على قصته فقط من حين ولد الى ان اهلك الله تعالى فرعون وخسف بقارون كما سميت سورة نوح وسورة يوسف لاشتمالها على قصتهما ولا يقال سميت بذلك لذكر القصص فيها فى قوله تعالى فلما جاءه وقص عليه القصص لان سورة يوسف فيها ذكر القصص مرتين الاولى نقص عليك احسن القصص والثانية قوله تعالى لقد كان فى قصصهم فكانت سورة يوسف اولى بهذا الاسم وايضا فكانت سورة هود اولى بهذا الاسم لانه ذكر فيها قصص سبعة انبياء وهذه ليس فيها الا قصة واحدة فكان ينبغى العكس ان تسمى سورة هود القصص وهذه سورة موسى بِسْمِ اللّٰهِ الذى اختص بالكبرياء والعظمة الرَّحْمٰنِ الذى عم بنعمه اهل الايمان والكفران الرَّحِيْمِ الذى خص بنعمه بعد البعث اهل الايمان طٰسٓمّٓ تقدم الكلام على اوائل السور اول البقرة تِلْكَ اى هذه الآيات العالية الشان اٰيَاتُ الْكِتَابِ اى المنزل على قلبك الجامع لجميع المصالح الدنيوية والاخروية والاضافة بمعنى من الْمُبِيْنِ اى المظهر للحق من الباطل نَتْلُوْا اى نقص قصا متتابعا متواليا بعضه فى اثر بعض عَلَيْكَ بواسطة جبريل عليه السلام مِنْ نَّبَاِ اى خبر مُوْسٰى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ اى بالصدق الذى يطابقه الواقع [illegible]

نتلو محذوف دلت عليه صفته وهي من نبأ موسى تقديره نتلو عليك شيئا من نبأ موسى ويجوز
ان تكون من مزيدة على راى الاخفش اى نتلو عليك نبأ موسى وبالحق يجوز ان يكون حالا من
فاعل نتلو ومن مفعوله اى نتلو عليك بعض خبرهما ملتبسين او ملتبسا بالحق ثم نبه على ان هذا البيان
كما سبق انما ينفع اولى الاذعان بقوله تعالى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فغيرهم لا ينتفع بذلك ولما كان كأنه
قيل ما المقصود من هذا قال إِنَّ فِرْعَوْنَ ملك مصر الذى ادعى الالهية عَلَا اى بادعاء
الالهية وتجبره على عباد الله وقهره لهم فِي الْأَرْضِ اى ارض مصر واطلاقها يدل على تعظيمها
وانها كجميع الارض لاشتمالها على ما قل ان يشتمل عليه غيرها وَجَعَلَ اى بما جعلنا له من نفوذ الكلمة
أَهْلَهَا اى اهل الارض المرادة شِيَعًا اى فرقا تتبع كل فرقة شيئا يتبعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك
احد منهم ان يلوى عنقه او اصنافا فى استخدامه يسخر صنفا فى بناء وصنفا فى حفر وصنفا فى
حرث ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء وهم
بنو اسرائيل والقبط وقوله تعالى يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يجوز فيه ثلاثة اوجه ان يكون حالا من فاعل جعل
اى جعلهم كذلك حالة كونه مستضعفا طائفة منهم وان يكون صفة لشيعا وان يكون استئنافا بيانا لحال
الاهل الذين جعلهم فرقا واصنافا وهم بنو اسرائيل الذين كانت حياة جميع اهل مصر
على يدى واحد منهم وهو يوسف عليه السلام وفعل معهم من الخير ما لم يفعله والد مع ولده
ومع ذلك كافؤه فى اولاده واولاد اخوته بان استعبدهم ثم ما كفاهم ذلك حتى ساموهم على يدى العبيد سوء
العذاب قال البقاعى وهذا حال الغرباء بينهم قديما وحديثا ثم بين الاستضعاف بقوله تعالى
يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ اى عند الولادة ووكل بذلك اناسا ينظرون كلما ولدت امرأة ذكرا ذبحوه وسبب
ذلك ان كاهنا قال له سيولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يديه فولد تلك الليلة
اثنا عشر غلاما فقتلهم وبقى هذا العذاب فى بنى اسرائيل سنين كثيرة وكان ذلك من غاية حمق فرعون فانه
ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ اى يريد
حياة الاناث فلا يذبحهن وقال السدى ان فرعون رأى فى منامه نارا اقبلت من بيت المقدس الى
مصر فاحرقت القبط دون بنى اسرائيل فسأل عن رؤياه فقيل له يخرج من هذا البلد من بنى اسرائيل رجل
يكون هلاك مصر على يديه فامر بقتل الذكور وقيل ان الانبياء عليهم السلام الذين كانوا قبل موسى
عليه السلام بشروا بمجيئه فسمع فرعون ذلك فامر بذبح بنى اسرائيل إِنَّهُ اى فرعون كَانَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد قال وهب قتل فرعون
فى طلب موسى سبعين الفا من بنى اسرائيل وقوله تعالى وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عطف على قوله ان فرعون
علا فى الارض لانها نظيرة تلك فى وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية
حال ماضية اى نعطى بقدرتنا وعلمنا ما يكون جديرا ان نمن به عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا اى
حصل استضعافهم واهانتهم بهذا الفعل الشنيع فلم يراقب فيهم مولاهم فِي الْأَرْضِ اى ارض مصر

فذلوا واهينوا ونريهم فى انفسهم واعدائهم فوق ما يحبون وفوق ما يأملون وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً اى مقدمين
فى الدين والدنيا علماء يدعون الى الجنة عكس ما يأتى من عاقبة آل فرعون وقال مجاهد دعاة الى
الخير وقال قتادة ولاة وملوكا لقوله تعالى وجعلكم ملوكا وقيل يقتدى بهم فى الخير وَنَجْعَلَهُمُ اى بعظمتنا
وقدرتنا الْوَارِثِينَ اى الملك مصر لا ينازعهم فيه احد من القبط يخلفونهم فى مساكنهم وَنُمَكِّنَ اى نوقع التمكين
لَهُمْ فِي الْأَرْضِ اى كلها لا سيما ارض مصر والشام بامدادنا اياهم بملائكتنا وتأييد ملكهم
وتأييدهم بكلمة الله ثم بالانبياء من بعده صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين بحيث يسلطهم
بسببهم على من سواهم بما يؤيدهم به من الملائكة ويظهر لهم من الخوارق وَنُرِيَ اى بما لنا
من العظمة فِرْعَوْنَ اى الذى كان هذا الاستضعاف منه وَهَامَانَ وزيره وَجُنُودَهُمَا
اى الذى كانا يتوصلان بهم الى ما يريدانه من الفساد فيقوى كل منهم بالآخر فى الارض فعلوا
وطغوا وقوله تعالى مِنْهُمْ اى المستضعفين متعلق بنرى او بنريد لا بيحذرون لان ما بعد الموصول
لا يعمل فيما قبله مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ اى من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرأ
حمزة والكسائى ويرى بالياء مفتوحة وفتح الراء مع الامالة وسكون الياء بعد الراء ورفع فرعون
وهامان وجنودهما مضارع رأى مسندا الى فرعون وما عطف عليه فلذلك رفعوا وقرأ الباقون
بالنون المضمومة وكسر الراء وفتح الياء بعدها ونصب الاسماء الثلاثة مضارع ارى فلذلك نصب فرعون
وما عطف عليه مفعولا اول وما كانوا هو الثانى ثم ذكر تعالى اول نعمة من بها على الذين استضعفوا بقوله تعالى
وَأَوْحَيْنَا اى وحى الهام او منام إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ لا وحى نبوة قال قتادة قذفنا فى قلبها واسمها يوحانذ
وهى بنت لاوى بن يعقوب وهذا هو الذى امضينا فى قضائنا ان يسمى بهذا الاسم وان يكون
هلاك فرعون وزوال ملكه على يده بعد ان ولدته وخافت ان يذبحه الذابحون أَنْ أَرْضِعِيهِ
ما كنت آمنة عليه ولم يشعر بولادته غير اختها قيل ارضعته ثمانية اشهر وقيل اربعة اشهر وقيل ثلاثة
اشهر كانت ترضعه فى حجرها وهو لا يبكى ولا يتحرك وقد روى انها ارضعته ثلاثة اشهر فى تابوت
من بردى مطلى من داخله بالقار فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ اى منهم ان يصيح فيسمع فيذبح فَأَلْقِيهِ اى بعد
ان تضعيه فى شئ يقيه من الماء فِي الْيَمِّ وهو البحر ولكن اراد هنا النيل وَلَا تَخَافِي اى لا يتجدد لك
خوف اصلا من ان يغرق او يموت من ترك الرضاع وَلَا تَحْزَنِي اى ولا يوجد لك حزن لوقوع
فراقه فان قيل ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الآخر اجيب بان الخوف الاول هو الخوف
عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت عليه ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثانى
فالخوف من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع فى بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون فى تطلب
الولدان وغير ذلك من المخاوف فان قيل ما الفرق بين الخوف والحزن اجيب بان الخوف غم
يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت
بالوحى لها ووعدت ما يسليها ويطمئن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده اليها كما قال تعالى

إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ فازال مقتضى الخوف والحزن ثم زادها بشرى واى بشرى بقوله تعالى وَجَاعِلُوهُ مِنَ
الْمُرْسَلِينَ اى الذين هم خلاصة المخلوقين * وروى عطاء والضحاك عن ابن عباس قال ان بنى اسرائيل
لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصى ولم يامروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر
فسلّط الله عليهم القبط فاضعفوهم الى ان انجاهم الله تعالى على يد نبيّه وكليمه قال ابن عباس انّ
امّ موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التى وكّلهنّ فرعون بحبالى بنى اسرائيل مصافية
لامّ موسى فلما ضربها الطلق ارسلت اليها فقالت قد نزل بى ما نزل فلينفعنى حبك اياى اليوم
قال فعالجت قبالها فلما ان وقع موسى عليه السلام بالارض هالها نور بين عينى موسى فارتعش
كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين دعوتنى الا ومن ورائى
قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبا شديدا ما وجدت حب شئ مثل حبه فاحفظى ابنك فانى اراه
هو عدوّنا فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجاؤا الى بابها ليدخلوا على امّ موسى فقالت
اخته يا امّاه هذا الحرس بالباب فلفت موسى فى خرقة ووضعته فى التنّور وهو مسجور وطاش عقلها
فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور وامّ موسى لم يتغير لها لون فقالوا ما ادخل عليك
القابلة فقالت هى مصافية لى دخلت علىّ زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخت
موسى فاين الصبى قالت لا ادرى فسمعت بكاء الصبى من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى
النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان امّ موسى لما رأت الحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها
فقذف الله تعالى فى نفسها ان تتخذ له تابوتا صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت قالت ابن لى
اخبؤه فى هذا التابوت كرهت الكذب قال ولم قالت اخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته
وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر موسى عليه السلام فلما همّ بالكلام امسك الله تعالى
لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدروا ما يقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضربوه فضربوه
واخرجوه فلما اتى النجار الى موضعه ردّ الله تعالى لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامناء فاتاهم يخبرهم
فاخذ الله تعالى لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه واخرجوه فوقع فى واد يهوى فيه
فجعل الله عليه ان ردّ لسانه وبصره ان لا يدلّ عليه وان يكون معه يحفظه حيثما كان فعرف الله تعالى
منه الصدق فردّ عليه لسانه وبصره فخرّ لله ساجدا فقال يا ربّ دلّنى على هذا العبد الصالح فدلّ عليه
فخرج من الوادى وآمن به وصدّقه وعلم ان ذلك من الله عزّ وجلّ وقال وهب بن منبه لما حملت
امّ موسى بموسى كتمت امرها عن جميع الناس فلم يطلع على حبلها احد من خلق الله وذلك شئ ستره الله
لما اراد ان يمنّ به على بنى اسرائيل فلما كانت السنة التى يذبح فيها بعث فرعون القوابل وتقدّم
اليهن وفتشن تفتيشا لم يفتش قبل ذلك وحملت امّ موسى فلم تكبر بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها
وكانت القوابل لا يتعرضن لها فلما كانت الليلة التى ولدته فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع
عليها احد الا اختها مريم فلما [illegible] بالتابوت

صبيحة الليل آل اى اعوان فِرْعَوْنَ فوضعوه بين يديه قال ابن عباس وغيره كانت لفرعون يومئذ
بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها
الى فرعون وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها اطباء مصر والسحرة فنظروا فى امرها فقالوا
له ايها الملك لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من
ذلك وذلك فى يوم كذا وساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان يوم الاثنين غدا فرعون الى
مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم واقبلت ابنة فرعون فى جواريها حتى
جلست على شاطئ النيل مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذ اقبل النيل بالتابوت تضربه
الامواج فقال فرعون انّ هذا الشئ فى البحر قد تعلق بالشجر فائتونى به فابتدروه بالسفن من كل جانب
حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية
فرأت فى جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هى بصبى صغير فى مهده
واذا نور بين عينيه وقد جعل الله تعالى رزقه فى ابهامه يمصه لبنا فالقى الله تعالى لموسى المحبة
فى قلب آسية واحبه فرعون وعطف عليه واقبلت بنت فرعون فلما اخرجوا الصبى من التابوت عمدت بنت
فرعون الى ما يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم
فرعون ايها الملك انا نظن انّ ذلك المولود الذى تحذر منه من بنى اسرائيل هو هذا رمى به فى البحر فرقا
منك فاقتله فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لى ولك واستوهبت موسى من فرعون فوهبه وكانت لا تلد فوهبه
لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لى فيه وفى حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ
هو قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها قال الزمخشرى وهذا على سبيل الفرض والتقدير
اى لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تاويله
والله اعلم بصحته انتهى ثم قال لآسية ما تسميه قالت سميته موسى لانا وجدناه فى الماء والشجر فمو هو
الماء وسى هو الشجر فذلك قوله تعالى فالتقطه آل فرعون لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا اى يطول خوفهم منه
بمخالفته لهم فى دينهم وحملهم على الحق وقتل رجالهم وَحَزَنًا اى بزوال ملكهم لانه يظهر فيهم الآيات التى
يهلك الله تعالى بها من يشاء منهم ويستعبد نساءهم ثم يظفر بهم حتى يهلكهم الله تعالى بالغرق على يده
اهلاك نفس واحدة فيعم الحزن والنواح اهل ذلك الاقليم كله + تنبيه + فى هذه اللام الوجهان المشهوران
احدهما انها العلة المجازية دون الحقيقية لانهم لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا
وحزنا ولكن المحبة والتبنى غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعى الذى يفعل
الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذى هو نتيجة المجئ والتأدب الذى هو ثمرة الضرب ليتأدب
وتحريره انّ هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما استعير الاسد لمن يشبه
الاسد والثانى انها لام العاقبة والصيرورة لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن صار عاقبة امره
الى ذلك وقرأ حمزة والكسائى بضم الحاء وسكون الزاى والباقون بفتحهما وهما لغتان بمعنى

واحد كانوا من العدم + ثم بين تعالى ان هذا الفعل لا يفعله الا احمق مفتون او مغفل مخذول لا يكاد
يصيب بقوله تعالى إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وزيره وَجُنُودَهُمَا اى كلهم على طبع واحد كَانُوا خَاطِئِينَ
اى فى كل شئ فلا بدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون
او مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم وقال وهب لما وضع التابوت بين يدى
فرعون فتحه فوجد فيه موسى فلما نظر اليه قال كيف اخطأ هذا الغلام الذبح وكان فرعون قد
استنكح امرأة من بنى اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ومن بنات الانبياء
عليهم السلام وكانت اما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم وهى المذكورة فى قوله تعالى
وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ اى له وهى قاعدة بجنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانما امرت ان تذبح
الولدان لهذه السنة فدعه قُرَّتُ عَيْنٍ لِي اى به وَلَكَ اى يا فرعون لانهما لما رأياه اخرج من التابوت
احباه وروى انها قالت انه اتانا من ارض اخرى ليس من بنى اسرائيل ولما اثبتت له انه ممن تقر به
العيون قالت لَا تَقْتُلُوهُ اى لا انت بنفسك ولا احد ممن تأمره بذلك ثم عللت ذلك واستأنفت بقولها
عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا فربما كان له ابوان معروفان فان فيه مخائل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من النور
بين عينيه وارتضاعه من ابهامه لبنا وبرئه البرصاء بريقه أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا اى اذا كان لم يعرف
له ابوان فيكون نفعه اكثر فانه اهل لان تتشرف به الملوك + تنبيه + التاء فى قرت عين مجرورة ووقف
عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائى بالهاء والباقون بالتاء وهى خبر مبتدأ مضمر اى هو قرة عين
والعامة من القراء والمفسرين واهل العلم على ذلك ونقل ابن الانبارى بسنده الى ابن عباس انه وقف
على لا اى هو قرة عين لى فقط ولك لا اى ليس هو لك قرة عين ثم يبتدئ بقوله تقتلوه وقال ابن عادل
وهذا لا ينبغى ان يصح عنه وكيف يبقى تقتلوه من غير نون رفع ولا مقتضى لحذفها فلذلك قال الفراء هو
لحن وقوله تعالى وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ جملة حالية من كلام الله تعالى اى لا شعور لهم اصلا لان من لا يكون له
علم الا باكتساب فكيف اذا كان مطبوعا على قلبه واذا كانوا كذلك فلا شعور لهم بما يؤول اليه امرهم
معه من الامور الهائلة المؤدية الى هلاك المفسدين وقيل ان ذلك من كلام امرأة فرعون كانها
لما رأت ملأه اشاروا بقتله قالت له افعل انت ما اقول لك وقومك لا يشعرون انا التقطناه + قال
الكلبى لما اخبر الله تعالى عن حال من القيه اخبر عن حال من فارقه بقوله تعالى وَأَصْبَحَ اى عقب الليلة التى
حصل فيها فراقه فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى اى قلبها الذى زاد احتراقه شوقا وخوفا وحزنا وهذا يدل على انها
القته ليلا واختلف فى معنى قوله فَارِغًا فقال اكثر المفسرين خاليا من كل هم الا من هم موسى عليه السلام
وقال الحسن اى ناسيا للوحى الذى اوحاه الله تعالى اليها حين امرها ان تلقيه فى البحر ولا تخاف ولا تحزن
والعهد الذى عهده ان يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت ان يقتل
فرعون ولدك فيكون لك اجره وثوابه وتوليت انت قتله فالقيتيه فى البحر واغرقتيه وقال
الزمخشرى اى صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون طار عقلها لما

دهشها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اى جوف لا عقول فيها وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله تعالى إِنْ هي المخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى انها كَادَتْ اى قاربت لَتُبْدِي اى يقع منها الاظهار لكل ما كان من امره مصرحة به اى بامر موسى عليه السلام من انه ولدها وقال عكرمة عن ابن عباس كادت تقول واابناه وقال مقاتل لما رأت التابوت يرفعه موج ويضعه آخر خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شفقتها وقال الكلبي كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون لموسى بعد ما شب موسى ابن فرعون فشق عليها فكادت تقول هو ابني وقيل ان الهاء عائدة الى الوحي اى كادت لتبدى بالوحي الذي اوحى الله تعالى اليها ان يرده عليها وجواب لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا محذوف اى لابدت به كقوله تعالى وهم بها لولا ان رأى برهان ربه والمعنى لولا ان ربطنا عَلَى قَلْبِهَا بالعصمة والصبر والتثبت وقوله تعالى لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ متعلق بربطنا اى من المصدقين بوعد الله تعالى وهو قوله تعالى انا رادوه اليك ثم اخبر تعالى عن فعلها في تعرف خبره بعد ان اخبر عن كتمها بقوله تعالى وَقَالَتْ اى امه لِأُخْتِهِ اى بعد ان اصبحت على تلك الحالة قد خفى عليها امره قُصِّيهِ اى اتبعي اثره وتشممي خبره برا او بحرا ففعلت فَبَصُرَتْ اى ابصرت بِهِ عَنْ جُنُبٍ اى مكان بعيد اختلاسا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ جملة حالية ومتعلق الشعور محذوف اى انها اخته وانها ترقبه بل هم في غاية الغفلة التي هي في غاية البعد عن رتبة الالهية او انها تقصه او انه سيكون لهم عدوا وحزنا ثم ذكر تعالى اخذ الاسباب في رده بقوله تعالى وَحَرَّمْنَا اى منعنا بعظمتنا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ جمع مرضعة وهي من تكثر الارضاع من الاجانب اى حكمنا بمنعه من الارتضاع منهن فاستعير التحريم للمنع لانه منع فيه رحمة قال الرازي في اللوامع تحريم منع لا تحريم شرع مِنْ قَبْلُ اى من قبل ان تامر امه اخته بما امرتها به او قبل قصها اثره او قبل ولادته في حكمنا وقضائنا وهو انه تعالى غير طبعه عن لبن سائر النساء فلذلك لم يرتضع او احدثت في لبنهن طعما ينفر عنه طبعه او وضع في لبن امه لذة تعود بها فكان يكره لبن غيرها فلما رأت اخت موسى التي ارسلتها امه في طلبه انه لا يقبل ثدي امرأة وفي القصة ان موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثديا ويصيح فقالوا لها هل عندك مرضعة تدلينا عليها لعله يقبل ثديها قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان همها من الدنيا ان تجد له مرضعة فكلما اتوه بمرضعة لم يأخذ ثديها فذلك نشأت اخته منه بعد نظرها له فقالت لما رأتهم في غاية الاهتمام برضاعه هَلْ لكم حاجة في ان أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ ولم تقل على امرأة لتوسع دائرة النظر يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ اى يأخذونه ويكفلونه ويقومون بجميع مصالحه من الرضاع وغيره لاجلكم ثم ابعدت التهمة عن نفسها فقالت هي امرأة قتل ولدها فاحب شيء اليها ان تجد صغيرا ترضعه ثم زادتهم رغبة بقولها وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ اى ثابت نصحهم له لا يغشونه نوعا من الغش قال البغوي والنصح ضد الغش وهو تصفية العمل من شوائب الفساد قال السدي لما قالت ذلك اخذوها وقالوا قد عرفت هذا

الفلام قد ليناعلى أهله فقالت ما اعرفه وقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فتخلصت منهم بذلك قال ابن عادل وهذا يسمى عند اهل البيان الكلام الموجه ومثله لما سئل بعضهم وكان بين اقوام بعضهم يحب عليا دون غيره وبعضهم يحب ابابكر وبعضهم عمر وبعضهم عثمان رضى الله تعالى عنهم فقيل له ايهم احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من كانت ابنته تحته وقيل لما تفرسوا انها عرفته قالت انما قلت هذا رغبة فى سرور الملك واتصالنا به وقيل انها لما قالت ذلك قالوا لها من فقالت امى قالوا ولامك ابن قالت نعم هرون وكان ولد فى سنة لايقتل فيها قالوا صدقت فاتينا بها فانطلقت الى امها فاخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبى ريح امه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ريا فقالوا اقيمى عندنا فقالت لااقدر على فراق بيتى ان رضيتم ان اكفله فى بيتى والا فلاحاجة لى به واظهرت الزهد فيه نفيا للتهمة فرضوا بذلك فرجعت به الى بيتها فذلك قوله تعالى فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ ثم علله بقوله تعالى كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا اى تبرد وتستقر واصل قرة العين من القر وهو البرد أى بردت ونامت بخلاف سخنت عينه يقال اقر الله تعالى عينك من الفرح واسخنها من الحزن فلهذا قالوا دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة هذا قول الاصمعى قال ابوتمام فاما عيون العاشقين فاسخنت * واما عيون الشامتين فقرت * وقال ابو العباس ليس كما قال الاصمعى بل كل دمع حار فمعنى اقر الله تعالى عينك صادفت سرورا فنامت وذهب سهرها وصادفت مايرضيك اى بلغك الله اقصى امالك حتى تقر عينك من النظر الى غيره استغناء ورضا بما بين يديك وَلَا اى وكى لا تَحْزَنَ اى بفراقه وَلِتَعْلَمَ اى علما هو عين اليقين كما كانت عالمة به علم اليقين وعلم شهادة كما كانت عالمة به علم غيب أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ اى الامر الذى وعدها به الذى له الكمال كله فى حفظه وارساله حَقٌّ اى هو فى غاية الثبات فى مطابقة الواقع وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ اى اكثر ال فرعون وغيرهم لَا يَعْلَمُونَ ان وعد الله حق فهم تابون فيه اولايعلمون ان الله وعدها رده اليها قال الضحاك لما قبل ثديها قال هامان انك لامه قالت لا قال فماله قبل ثديك من بين النسوة قالت ايها الملك انى امرأة طيبة الريح حلوة اللبن فما شم ريحى صبى الا اقبل على ثديى قالوا صدقت فلم يبق احد من ال فرعون الا اهدى اليها واتحفها بالذهب والجوهر واجرى عليها اجرها قال السدى وكانوا يدفعون اليها كل يوم دينارا فان قيل كيف حل لها ان تأخذ الاجر على ارضاع ولدها منه أجيب بانها ماكانت تأخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربى كانت تأخذه على الاستباحة فمكث عندها الى ان فطمته واستمر عند فرعون يأكل من مأكوله ويشرب من مائه ويلبس من ملبوسه الى ان كمل كما قال تعالى حكاية عنه فى سورة الشعراء الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وهو ثلاثون سنة او وثلاث كما قال مجاهد وغيره وَاسْتَوَىٰ اى بلغ اربعين سنة كما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وقيل اعتدال فى السن

وثم استحكامه بانتهاء شبابه وهو من العمر ما بين احدى وعشرين سنة الى اثنتين واربعين اٰتَيْنٰهُ
اى ابتداء من غير اكتساب اصلا خرقا للعادة اسوة اخوانه من الانبياء حُكْمًا اى عملا محكما
بالعلم وَعِلْمًا اى فقها فى الدين تهيئة لنبوته وارصادا للرسالة وقيل المراد بالعلم علم التورية والحكم
السنة قال الزمخشرى وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من ايات الله
والحكمة وقيل معناه اتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه
قال البقاعى واختار الله تعالى هذا السن للارسال ليكون من جملة الخوارق لان به يكون ابتداء
الانتكاس الذى قال الله تعالى فيه ومن نعمره اى الى اكمال سن الشباب ننكسه فى الخلق
اى نوقفه فلا يزداد بعد ذلك فى قواه الظاهرة ولا الباطنة شئ اولا يوجد فيه غريزة لم تكن موجودة
اصلا عشر سنين ثم يأخذ فى النقصان هذه عادة الله فى جميع بنى ادم الا الانبياء عليهم الصلوة والسلام فانهم
فى حد الوقوف يؤتون من بحار العلوم ما يقصر عن الوصف بغير اكتساب بل غريزة يغرزها الله تعالى
فيهم حينئذ ويؤتون من قوة الابدان ايضا بمقدار ذلك ففى انتكاس غيرهم يكون نموهم وكذا
من الحقه الله تعالى بهم من صالحى اتباعهم كما قال تعالى وَكَذٰلِكَ اى مثل هذا الجزاء العظيم
نَجْزِى الْمُحْسِنِيْنَ اى كلهم على احسانهم ولما اخبر تعالى بتهيئته للنبوة اخبر بما هو سبب لهجرته وكانها
سنة بعد ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى وَدَخَلَ اى موسى عليه السلام الْمَدِيْنَةَ قال السدى هى مدينة
منف من ارض مصر قال مقاتل كانت قرية تدعى حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل مدينة
عين شمس وقيل غير ذلك عَلٰى حِيْنِ غَفْلَةٍ مِّنْ اَهْلِهَا وهو وقت القائلة واشتغال الناس بالقيلولة وقال
محمد بن كعب القرظى دخلها فيما بين المغرب والعشاء وقيل يوم عيد لهم وهم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل
لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل واختلف فى السبب
الذى من اجله دخل المدينة فى هذا الوقت قال السدى وذلك ان موسى كان يسمى ابن فرعون
فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء موسى
قيل له ان فرعون قد ركب فركب فى اثره فادركه المقيل بارض منف فدخلها نصف النهار وليس
فى طرقها احد وقال ابن اسحق كان لموسى شيعة من بنى اسرائيل يسمعون منه ويقتدون برايه فلما عرف
ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم فى دينهم فاخافوه فكان لا يدخل قرية الا خائفا
مستخفيا وقال ابن زيد لما علا موسى فرعون بالعصا فى صغره فاراد فرعون قتله فقالت امرأته هو
صغير فترك قتله وامر باخراجه من مدينته فلم يدخل عليهم الا بعد ان كبر وبلغ اشده فَوَجَدَ فِيْهَا
اى المدينة رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلٰنِ اى يفعلان مقدمات القتل من الملازمة من الضرب والخنق وهما اسرائيلى
وقبطى ولهذا قال تعالى مجيبا لمن كان يسأل عنهما وهو ينظر اليهما هٰذَا مِنْ شِيْعَتِهٖ اى من بنى اسرائيل
وَهٰذَا مِنْ عَدُوِّهٖ اى من القبط قال مقاتل كانا كافرين الا ان احدهما من القبط والاخر من
بنى اسرائيل لقول موسى عليه السلام انك لغوى مبين والمشهور ان الاسرائيلى كان مسلما

قوله على حين
كذا فى بعض
الاصول التى
بايدينا وفى
نسخة [illegible]
وقيل [illegible]
[illegible]
[illegible]
من مصر

قيل انه السامري والقبطي طباخ فرعون فكان القبطي يسخر الاسرائيلي ليحمل الحطب الى المطبخ وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس لما بلغ موسى اشده لم يكن احد من آل فرعون يخلص الى احد من بني اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل عزوا لمكان موسى لكونه ربيب الملك مع ان مرضعته منهم لا يظنون ان سبب ذلك الا الارضاع فَاسْتَغَاثَهُ اي طلب منه الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ ان يغيثه عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فغضب موسى عليه السلام واشتد غضبه وقال للفرعوني خل سبيله فقال انما اخذته ليحمل الحطب الى مطبخ ابيك فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت ان احمله عليك وكان موسى عليه السلام قد اوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ اي دفعه بجمع كفه والفرق بين الوكز واللكز ان الاول بجمع الكف والثاني باطراف الاصابع وقيل بالعكس وقيل اللكز في الصدر والكز في الظهر فَقَضَىٰ اي فاوقع القضاء الذي هو القضاء على الحقيقة وهو الموت الذي لا ينجو منه مخلوق عَلَيْهِ فقتله وفرغ منه وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه وخفي هذا على الناس لما هم فيه من الغفلة فلم يشعر به احد فندم موسى عليه السلام عليه ولم يكن قصده القتل فدفنه في الرمل قَالَ هَٰذَا اي قتله مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ اي لاني اومر به على الخصوص ولم يكن من قصدي وان كان المقتول كافرا حربيا ثم اخبر عن حال الشيطان ليحذر منه بقوله إِنَّهُ عَدُوٌّ فينبغي الحذر منه مُضِلٌّ لا يقود الى خير اصلا مُبِينٌ اي عداوته واضلاله في غاية البيان ما في شيء منهما خفاء ولما لم يكن في قتله الا الندم لعدم اذن خاص قَالَ رَبِّ اي ايها المحسن الي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي اي بالاقدام على ما لم تأمرني به بالخصوص وان كان مباحا فَاغْفِرْ اي امح هذه الهفوة عينها واثرها لِي اي لاجلي لا تؤاخذني فَغَفَرَ اي واتم المحو لذلك كما سأل اكراما له إِنَّهُ هُوَ اي وحده الْغَفُورُ اي البالغ في صفة الستر لكل من يريد الرَّحِيمُ اي العظيم الرحمة بالاحسان بالتوفيق الى الافعال المرضية لمقام الالهية ولاجل ان هذه صفته رده الى فرعون وقومه حين ارسله اليهم فلم يقدروا على مؤاخذته بذلك القصاص ولا غيره بعد ان نجا منهم قبل ارساله على غير قياس ثم شكر ربه على هذه النعمة التي انعم بها عليه بان قَالَ رَبِّ اي ايها المحسن الي بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ اي بسبب انعامك علي بالمغفرة فَلَنْ أَكُونَ اي ان عصمتني ظَهِيرًا اي عونا وعشيرا وخليطا لِلْمُجْرِمِينَ قال ابن عباس للكافرين وهو اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من تؤدي مظاهرته الى الجرم والاثم كما في مظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم تؤمر به وهذا نحو قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة اي الظلمة واشباه

الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون فى تابوت من حديد فيرمى بهم فى جهنم وقول
ابن عباس يدل على ان الاسرائيلى الذى اعانه موسى عليه السلام كان كافرا وهو قول مقاتل وقال
قتادة ان لا اعين بعدها على خطيئة وقيل بما انعمت علىّ من القوة فلن استعملها الا فى مظاهرة
اوليائك واهل طاعتك والايمان بك قال ابن عباس لم يستثن اى لم يقل فلن اكون ان شاء الله
تعالى فابتلى به فى اليوم الثانى كما قال تعالى فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ اى التى قتل القتيل فيها خَائِفًا اى
بسبب قتله يَتَرَقَّبُ اى ينتظر ما يناله من جهة القتيل قال البغوى والترقب انتظار المكروه
وقال الكلبى ينتظر متى يؤخذ به فَإِذَا اى ففجأه الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ اى طلب نصرة من شيعته
بِالْأَمْسِ اى اليوم الذى يلى يوم الاستصراخ يَسْتَصْرِخُهُ اى يطلب ان يزيل ما يصرخ بسببه
من الضر من قبطى آخر كان يظلمه فكانه قيل فما قال له موسى بعد ما اوقعه فيما يكره فقيل قَالَ لَهُ اى
لهذا المستصرخ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ اى صاحب ضلال بالغ مُبِينٌ اى واضح الضلال غير خفيه
لكون ما وقع بالامس لم يكفك عن الخصومة لمن لا تطيقه وان كنت مظلوما ثم دنى منهما لينصره
فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ اى شاء فان مزيدة أَنْ يَبْطِشَ اى موسى عليه السلام بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ
لَهُمَا اى لموسى والاسرائيلى لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بنى اسرائيل بان
ياخذه بعنف وسطوة لخلاص الاسرائيلى منه قَالَ اى الاسرائيلى الغوى لاجل ما راى من غضبه
وتكليمه له ظانا انه يريد البطش به يَا مُوسَى ناصا عليه باسمه أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي اى اليوم وانا من
شيعتك كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ اى من شيعة اعدائنا والذى يدل على ان الاسرائيلى هو الذى قال
له هذا الكلام السياق وعليه الاكثرون لانه لا يعلم بقتل القبطى غير الاسرائيلى وقيل انما قال لموسى
الفرعونى فى انك لغوى مبين بظلمك ويناسبه قوله إِنْ اى ما تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا اى قاهرا
عاليا فلا يليق ذلك الا بقول الكافر وان الاسرائيلى لما ظن قتله قال ذلك وقد قيل فى الاسرائيلى
انه كان كافرا قال ابو حيان وشأن الجبار ان يقتل بغير حق فِي الْأَرْضِ اى التى تكون بها فلا يكون
فوقك احد وَمَا تُرِيدُ اى تجدد ذلك ارادة أَنْ تَكُونَ اى كونا هو لك كالجبلة مِنَ الْمُصْلِحِينَ
اى العريقين فى الصلاح فان المصلح بين الناس لا يصل الى القتل على هذه الصورة فلما سمع
القبطى هذا ترك الاسرائيلى وكان القبط لما قتل ذلك القبطى ظنوا فى بنى اسرائيل فاغروا فرعون بهم
وقالوا ان بنى اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال ابغوا لى قاتله ومن يشهد عليه فان الملك و
ان كان صفوة مع قومه لا يستقيم له ان يقضى بغير بينة ولا تثبت فلما قال هذا الغوى هذه المقالة
علم القبطى ان موسى عليه السلام هو الذى قتل الفرعونى فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك فامر فرعون
بقتل موسى قال ابن عباس فلما ارسل فرعون الذباحين لقتل موسى اخذوا الطريق الاعظم
وَجَاءَ رَجُلٌ اى من محب موسى عليه السلام واختلف فى اسمه فقيل حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل شمعون
وقيل شمعان وكان ابن عم فرعون مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ اى ابعدها مكانا يَسْعَى اى يسرع

في مشيه فاخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى فاخبره وانذره حتى اخذ طريقا آخر فكانه قيل
فما قال الرجل فقيل قال مناديا لموسى تعطفا وازالة للبس يا موسى ان الملأ اى اشراف القبط الذين
في ايديهم الحل والعقد لان لهم القدرة على الامر والنهي يأتمرون بك اى يتشاورون
في شانك ليقتلوك حتى وصل حالهم في تشاورهم الى ان كلا منهم يأمر الآخر ويأتمر بامره لانهم
سمعوا انك قتلت صاحبهم فاخرج اى من هذه المدينة ثم علل ذلك بقوله على سبيل التاكيد ليزيل
ما يطرقه من احتمال عدم القتل لكونه عزيزا عند الملك اني لك من الناصحين اى العريقين في نصحك
فخرج اى موسى عليه السلام مبادرا منها اى المدينة لما علم صدق قوله مما تحققه من القرائن حال كونه خائفا
على نفسه من آل فرعون يترقب اى يكثر الالتفات بادارة رقبته في الجهات ينظر هل يتبعه احد ثم
دعا الله تعالى بان قال رب اى ايها المحسن الي بالنجاة وغير ذلك من وجوه البر نجني اى
خلصني من القوم الظالمين اى الذين يضعون الامور في غير مواضعها فيقتلون من لا يستحق القتل
مع قربهم فاستجاب الله تعالى دعاءه ووفقه لسلوك الطريق الاعظم نحو مدين فكان ذلك سبب
نجاته وذلك ان الذين انتدبوا اليه قطعوا بانه لا يسلك الطريق الاعظم جريا على عادة الخائفين
الهاربين وفي القصة ان فرعون لما بعث في طلبه قال اركبوا ثنيات الطريق فانبثوا فيما ظنوه يمينا
وشمالا وفاتهم ولما توجه اى اقبل بوجهه قاصدا تلقاء اى الطريق الذي يلاقي سالكه ارض مدين
قال ابن عباس خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه الى الله تعالى ومشى من غير معرفة فهداه
الله تعالى الى مدين وقيل وقع في نفسه ان بينهم وبينه قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم وكان
من بني اسرائيل سميت البلدة باسمه فخرج ولم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله تعالى وقيل
جاء جبريل عليه السلام وعلمه الطريق قال ابن اسحق خرج من مصر الى مدين خائفا بلا زاد ولا ظهر
وبينهما مسيرة ثمانية ايام ولم يكن له طعام الا ورق الشجر قال عسى اى جدير وحقيق ربي اى
المحسن الي ان يهديني سواء اى اعدل ووسط السبيل اى الطريق الذي يطلعني الله تعالى عليه من
غير اعوجاج وقال ذلك قبل ان يعرف الطريق اليها قيل فلما دعا جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى
مدين قال المفسرون خرج موسى من مصر ولم يكن له طعام الا ورق الشجر والبقل حتى ترى خضرته
في بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو اول ابتلاء من الله تعالى لموسى
عليه السلام ولما ورد اى وصل ماء مدين وهو بئر كان يسقي منها الرعاة مواشيهم وجد عليه
اى الماء امة اى جماعة كثيرة من الناس مختلفين يسقون اى مواشيهم ووجد من دونهم
اى في مكان سواهم اسفل من مكانهم امرأتين عبر بذلك لما جعل لهما سبحانه من المروءة
ومكارم الاخلاق كما يعلمه من امعن النظر فيما يذكر عنهما تذودان اى تحبسان وتمنعان اغنامهما
اذا فرغت من العطش الى الماء حتى يفرغ الناس ويخلو لهما البئر وقال الحسن تكفان الغنم لئلا
[illegible] اغنامهما وقيل لئلا تختلط بالرعاء وقيل كانتا تذودان

عن وجوههما نظر الناظرين لتسترهما وقيل غير ذلك فكأنه قيل فما قال موسى لهما قيل قال لهما
رحمة لهما ما خطبكما أي ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس قالتا لا نسقي أي مواشينا وحذف
للعلم به حتى يصدر أي ينصرف ويرجع الرعاء أي عن الماء خوف الزحام فنسقي وقرأ أبو عمرو
وابن عامر بفتح الياء وضم الدال والباقون بضم الياء وكسر الدال مضارع أصدر معدى
بالهمزة تنبيه المفعول محذوف أي يصدرون مواشيهم والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار
أي نحن امرأتان لا يليق أن نزاحم الرجال فإذا صدروا سقينا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض
وأبونا شيخ كبير أي لا يستطيع لكبره أن يسقي فاضطررنا إلى ما ترى تنبيه اختلفوا في أبيهما
فقال مجاهد والضحاك والسدي والحسن أبوهما هو شعيب النبي عليه السلام وأنه عاش عمرا طويلا
بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام وتزوج بابنته وقال وهب وسعيد بن جبير هو يثرون
ابن أخي شعيب وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعدما كف بصره فدفن بين المقام وزمزم وقيل رجل ممن
آمن بشعيب قالوا فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر أخرى كانت بقربهما لا يطيق
رفعها إلا جماعة من الناس قال ابن إسحاق إن موسى زاحم القوم ونحاهم عن رأس البئر فسقى غنم المرأتين ويروى
أن القوم لما رجعوا بأغنامهم غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشرة نفر وقيل أربعون وقيل مائة فجاء
موسى ودفع الحجر وحده وسقى غنم المرأتين ويقال إنه سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها
وكانت لا ينزعها إلا أربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا فيه بالبركة فروي منه جميع الغنم فإن قيل
كيف ساغ لنبي الله تعالى شعيب أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية أجيب بأن الناس اختلفوا فيه
هل هو شعيب أو غيره وإذا قلنا إنه هو كما عليه الأكثر فليس ذلك بمحظور فلا يأباه الدين والناس
مختلفون في ذلك بحسب المروءة وعاداتهم فيها متباينة وأحوال العرب والبدو تباين أحوال العجم
والحضر لا سيما إذا دعت إلى ذلك ضرورة فسقى أي موسى عليه السلام لهما والمفعول محذوف أي
غنمهما لأجلهما ضرورتهما انتهازا لفرصة الأجر وكرم الخلق في مساعدة الضعيفين مع ما به من النصب
والجوع وسقوط خف القدم ولكنه رحمهما وأغاثهما وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه
وقوة ساعده وما آتاه الله تعالى من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة ثم تولى أي انصرف
جاعلا ظهره يلي ما كان يليه وجهه إلى الظل أي ظل سمرة فجلس في ظلها ليقيل ويستريح مقبلا
على الخالق بعدما قضى من نصيحة الخلائق وهو جائع قال الضحاك لبث سبعة أيام لم يذق طعاما
إلا بقل الأرض فقال رب إني وأكد الافتقار بالإلصاق باللام دون إلى لقوله لما أنزلت إلي من خير
قليل أو كثير غث أو ثمين فقير أي محتاج سائل تنبيه لما أنزلت متعلق بفقير قال
الزمخشري عدى فقير باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب ويحتمل إني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت
إلي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين وليس في الشكوى إلى الغني المطلق نقص قال ابن عباس
سأل الله تعالى فلقة خبز يقيم بها صلبه وقال الباقر لقد قالها وإنه لمحتاج إلى شق تمرة وقال

سعيد بن جبير عن ابن عباس لقد قال موسى ذلك وهو اكرم خلقه عليه وانه كان قد بلغ به من الضر
ان اخضر بطنه من اكل البقل وضعف حتى لصق بطنه الشريف بظهره وانما قال ذلك في نفسه مع ربه
وهو اللائق به وقيل رفع بها صوته لاستماع المرأتين وطلب الطعام وهذا لا يليق بموسى عليه السلام فانظر
الى هذا النبي عليه السلام وهو خلاصة ذلك الزمان ليكون لك في ذلك اسوة وتجعله اماما وقدوة و
تقول ما لقي الانبياء والصالحون من الضيق والاهوال في سجن الحياة الدنيا صونا لهم منها واكراما من ربهم
عنها رفعة لدرجاتهم واستهانة لها وان ظنه الجاهل المغرور على غير ذلك وفي القصة ترغيب
في الخير وحث على المعاونة على البر وبعث على بذل المعروف مع الجهد فلما رجعتا الى ابيهما سريعا
قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحيما فسقى لنا اغنامنا
فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾ ممتثلة امر ابيها وقوله ﴿تَمْشِي﴾ حال وقوله ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾
حال اخرى اي مستحيية اما من جاءته واما من تمشي قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ليست
بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءته مستترة وضعت كم درعها على وجهها استحياء ثم استأنفت
الاخبار بما تشوف اليه السامع بقوله تعالى ﴿قَالَتْ﴾ واكدت اعلاما بما لابيها من الرغبة
الى لقائه ﴿إِنَّ أَبِي﴾ وصورت حاله بالمضارع بقولها ﴿يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ﴾ اي يعطيك مكافأة لك لان
المكافأة من شيم الكرام ﴿أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ اي مواشينا قال ابن اسحق اسم الكبرى صفورا
والصغرى لبنى وقيل ليا وقال غيره صفرا وصفيرا وقال الضحاك صافورا وقال الاكثرون ان التي
جاءت لموسى الكبرى وقال الكلبي هي الصغرى قال الرازي وليس في القرآن دلالة على شيء من
هذه التفاصيل فان قيل في الآية اشكالات احدها كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل
بقول امرأة وان يمشي معها وهي اجنبية فان ذلك يورث التهمة العظيمة وقال صلى الله عليه وسلم
اتقوا مواضع التهم وثانيها انه سقى اغنامهما تقربا الى الله تعالى فكيف يليق به اخذ الاجرة عليه
وذلك غير جائز في الشريعة وثالثها انه عرف فقرهما وفقر ابيهما وانه عليه السلام كان في نهاية القوة
بحيث يمكنه الكسب باقل سعي فكيف يليق بمروأة مثله طلب الاجرة على ذلك القدر من الشيخ الفاني الفقير
والمرأة الفقيرة ورابعها كيف يليق بالنبي شعيب عليه السلام ان يبعث ابنته الشابة الى رجل شاب قبل العلم بكون
الرجل عفيفا او فاسقا اجيب عن الاول بان الخبر يعمل فيه بقول المرأة فان الخبر يعمل فيه بقول الواحد حرا
كان او عبدا ذكرا كان او انثى وهي ما كانت مخبرة الا عن ابيها واما المشي مع المرأة بعد الاحتياط والتورع
فلا بأس به وعن الثاني بان المرأة لما قالت ذلك لموسى عليه السلام ما ذهب اليهم طلبا للاجرة
بل للتبرك بذلك الشيخ الكبير لما روي انه لما دخل على شعيب عليه السلام اذا هو بالعشاء مهيأ فقال
اجلس يا شاب فتعش فقال موسى اعوذ بالله فقال شعيب ولم ذلك الست جائعا قال بلى ولكن
اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نطلب على عمل من اعمال الآخرة عوضا من
الدنيا وفي رواية لا نبيع ديننا بدنيانا ولا ناخذ بالمعروف ثمنا فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها

عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى عليه السلام تأكل وايضا فليس بمنكر ان الجوع وقد بلغ الى حيث ما كان يطيق حمله ففعل ذلك اضطرارا وهو الجواب عن الثالث فان الضرورات تبيح المحظورات وعن الرابع بان شعيبا عليه السلام كان يعلم طهارة ابنته وبراءتها اما بوحي او بغيره فكان يأمن عليها قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقام يمشي والجارية امامه فهبت الريح فوصفت ردفها فكره موسى عليه السلام ان يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي او قال موسى اني من عنصر ابراهيم فكوني خلفي حتى لا ترفع الريح ثيابك فارى ما لا يحل وفي رواية كوني خلفي ودليني على الطريق برمي الحصا لان صوت المرأة عورة فان قيل اخشى موسى عليه السلام ان يكون ذلك اجرة لعمله ولم يكره مع الخضر عليه السلام ذلك حين قال لو شئت لتخذت عليه اجرا اجيب بان اخذ الاجرة على الصدقة لا يجوز واما الاستئجار ابتداء فغير مكروه ‌﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾ اي موسى شعيبا ﴿وَقَصَّ﴾ اي موسى عليه السلام ﴿عَلَيْهِ﴾ اي شعيب عليه السلام ﴿ٱلْقَصَصَ﴾ اي حديثه مع فرعون وآله في كفرهم وطغيانهم واذلالهم لعباد الله تعالى + تنبيه + القصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال الضحاك قال له من انت يا عبد الله قال انا موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث ابن لاوى بن يعقوب عليه السلام وذكر له جميع امره من لدن ولادته وامر القوابل والمراضع والقذف في اليم وقتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه ثم ان شعيبا عليه السلام امنه بان ﴿قَالَ﴾ له ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ اي فان فرعون لا سلطان له بارضنا فان قيل ان المفسرين قالوا ان فرعون يوم ركب خلف موسى ركب في الف الف وستمائة الف والملك الذي هذا شانه كيف يعقل ان لا يكون في ملكه قرية على بعد ثمانية ايام اجيب بان هذا ليس بمحال وان كان نادرا ولما امنه واطمأن ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ اي المرأتين وهي التي دعته الى ابيها مشيرة بالنداء باداة البعد الى استصغارها لنفسها وجلالة ابيها ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ اي اتخذه اجيرا يرعى اغنامنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ اي خير من استعملت من قوي على العمل الشيء من الاشياء واداء الامانة قال ابو حيان وقولها قول حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استأجره لقوته وامانته وانما جعل خير من استأجرت اسما والقوي الامين خبرا مع ان العكس اولى لان العناية هو سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورد الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف وعن ابن عباس ان شعيبا اخذته الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب اي خفض رأسه حين بلغته رسالة ابيها اليه وامرها بالمشي خلفه وعن ابن مسعود افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر ولما اعلمته ابنته بذلك ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام عند ذلك ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ﴾ يا موسى والتاكيد لان الغريب قلما يرغب فيه اول ما يقدم

لا سيما من الرؤساء اتم الرغبة أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ اى الحاضرتين اللتين سقيت لهما
لتتأملهما فينظر من يقع اختياره عليه منهما ليعقد له عليها قال اكثر المفسرين انه زوجه الصغرى
منهما وهي التي ذهبت لطلب موسى واسمها صفوراء على خلاف تقدم في اسمها وقوله هاتين فيه
دليل على انه كان له غيرهما وقوله عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ اما من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته
اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرف اى ترعى غنمي ثماني حجج واما من اجرته كذا اذا اثبته اياه قاله الفراء اى
تجعل ثوابي من تزويجها اى تجعل اجرى على ذلك وثوابي ثماني حجج تقول العرب اجرك الله يأجرك
اى اثابك ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه
رعية ثماني حجج فان قيل كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز اجيب بان ذلك لم يكن
عقدا ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال انكحتك ولم يقل اني اريد
ان انكحك وقد مرت الاشارة الى ذلك والحجج السنون واحدها حجة فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا اى عشر
سنين وقوله فَمِنْ عِنْدِكَ يجوز ان يكون في محل رفع خبر المبتدأ محذوف تقديره فهي من عندك
او نصب اى فقد زدتها من عندك او تفضلت بها من عندك وليس ذلك بواجب عليك تنبيه
هذا اللفظ يدل على ان العقد وقع على اقل الاجلين والزيادة كالتبرع فالعقد وقع على معين
ودلت الآية على ان العمل قد يكون مهرا كالمال وعلى ان عقد النكاح لا يفسد بالشروط التي
لا يوجبها العقد ان كان وقع شرط هذه الزيادة في العقد ولما ذكر له ذلك اراد ان يعلمه ان الامر بعد الشرط
بينهما على المسامحة فقال وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ اى ادخل عليك مشقة بمناقشة ومراعاة اوقات
ولا في اتمام عشرة ولا غير ذلك ثم اكد معنى المسامحة بقوله سَتَجِدُنِي وفتح الياء نافع عند الوصل
والباقون بسكونها ثم استثنى على قاعدة انبياء الله واوليائه في المراقبة على سبيل التبرك بقوله
إِنْ شَاءَ اللَّهُ اى الذي له جميع الامر مِنَ الصَّالِحِينَ قال عمر اى في حسن الصحبة والوفاء بما قلت اى
وكل ما تريد من كل خير وقيل اراد الصلاح على العموم فان قيل كيف ينعقد العقد بهذا الشرط
ولو قلت انت طالق ان شاء الله لم تطلق اجيب بان هذا مما يختلف بالشرائع او ان ذلك ذكر للتبرك
قَالَ اى موسى عليه السلام ذَلِكَ اى الذي ذكرته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه بَيْنِي وَبَيْنَكَ اى
قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك تنبيه ذلك مبتدأ
والظرف خبره واضيفت بين لمفرد لتكررها عطفت بالواو ولو قلت المال بين زيد فسكت لم يجز
والاصل ذلك بيننا ففرق بالعطف ثم فسر ذلك بقوله أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ اى اى الاجلين فما زائدة قَضَيْتُ اى وفيت
اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثمان فَلَا عُدْوَانَ اى اعتداء بسبب ذلك
لك ولا لاحد عَلَيَّ في طلب اكثر منه لانه كما لا تجب الزيادة على العشر لا تجب الزيادة على الثمان
فان قيل تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو اقصرهما وهو المطالبة بتتمة العشر
فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا اجيب بان معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر

كان عدوانا لا شك فيه فكن لذلك ان طولبت بالزيادة على الثمان اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت
مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة
فموكلة الى رأيي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وكأنه اشار بنفي صيغة المبالغة الى انه لا يؤاخذ
لسعة صدره وطهارة اخلاقه بمطلق العدوان وَاللّٰهُ اى الملك الاعظم عَلٰى مَا نَقُوْلُ اى كله في هذا
الوقت وغيره وَكِيْلٌ قال ابن عباس ومقاتل شهيد فيما بيني وبينك وقيل حفيظ وعن سعيد بن جبير
قال سألني يهودي من اهل الحيرة اى الاجلين قضى موسى فقلت لا ادري حتى اقدم على حبر العرب
فاسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى اكثرهما وروى عن ابي ذر مرفوعا اذا سئلت اى الاجلين
قضى موسى فقل خيرهما واذا سئلت فاى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت
يا ابت استأجره فتزوج صغراهما وقضى اوفاهما وقال وهب انكحه الكبرى وروى عن شداد بن اوس
مرفوعا بكى شعيب عليه السلام حتى عمى فرد الله تعالى عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله تعالى عليه بصره
ثم بكى حتى عمى فرد الله تعالى عليه بصره وقال له ما هذا البكاء اشوقا الى الجنة ام خوفا من النار قال
لا يا رب ولكن شوقا الى لقائك فاوحى الله تعالى اليه ان يكن ذلك فهنيئا لك يا شعيب لذلك
اخدمتك موسى كليمي ولما تم العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه
واختلفوا في تلك العصا فقال عكرمة خرج بها آدم من الجنة فاخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه فلقي
بها موسى ليلا فدفعها اليه وقال آخرون كانت من آس الجنة حملها من الجنة فتوارثها الانبياء وكان
لا يأخذها غير نبي الا اكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فكانت
عصى الانبياء عليهم الصلوة والسلام عنده فاعطاها موسى وقال السدي كانت تلك العصا
استودعها اياه ملك في صورة رجل فامر ابنته ان تأتيه بعصا فدخلت فاخذت العصا فأتت بها
فلما رآها شعيب قال لها ردي هذه العصا واتيه بغيرها فدخلت فالقتها وارادت ان تأخذ غيرها
فلا يقع في يدها الا هي حتى فعلت ذلك ثلاث مرات فاعطاها موسى فاخذها موسى معه ثم ان الشيخ ندم
فقال كانت وديعة فذهب في اثره فطلب ان يرد العصا فابى موسى ان يعطيه وقال هي عصاي فرضيا
ان يجعلا بينهما اول رجل يلقاهما فلقيهما ملك في صورة رجل فحكم ان تطرح العصا فمن حملها فهي له فطرح
موسى العصا فعالجها الشيخ فلم يطقها فاخذها موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ وروى ان شعيبا
عليه السلام كان عنده عصى الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي
فاخذ عصى هبط بها آدم من الجنة ولم تزل الانبياء تتوارثها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا
فضن اى بخل بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا وعن الحسن ما كانت الا
عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي موسى شجرة العوسج ومنها كانت
عصاه ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها كثيرا
الا ان فيها تنينا اخشاه عليك فاخذت الغنم ذات اليمين لم يقدر على كفها [illegible]

ع ٣

الى مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما
ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون
غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ اى اتمه وفرغ
منه وزوجه ابنته قال مجاهد مكث بعد ذلك عند صهره عشرا اخرى فاقام عنده عشرين سنة
ثم ان شعيبا عليه السلام اراد ان يجازى موسى على رعيته اكراما له وصلة لابنته فقال انى وهبت لك من الجداء
التى تضعها اغنامى هذه السنة كل ابلق وبلقاء فاوحى الله تعالى الى موسى فى النام ان اضرب بعصاك الماء
الذى فى مستقى الاغنام قال فضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى الاغنام منه فما اخطأت واحدة منها الا وضعت
حملها ما بين ابلق وبلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله عز وجل الى موسى وامرأته فوفى له بشرطه
وسلم الاغنام اليه ثم ان موسى استأذنه فى العود الى مصر فاذن له فخرج وَسَارَ بِأَهْلِهِ اى امرأته راجعا
الى اقاربه بمصر آنَسَ اى ابصر من بعيد مِنْ جَانِبِ الطُّورِ اسم جبل نَارًا آنسته رؤيتها وكان
فى البرية فى ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امرأته الطلق حينئذ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا اى هنا وقرأ
حمزة فى الوصل بضم الهاء قبل همزة الوصل وعبر موسى عليه السلام بضمير المذكور فلعل كان معه
بنون فغلبهم على امرأته وقد ذكرت غير ذلك فى السورة التى قبل هذه ثم علل ذلك بقوله مؤكدا
لاستبعاد ان يكون فى ذلك المكان القفر فى ذلك الوقت الشديد البرد نارا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا وفتح
الياء نافع وابن كثير وابو عمرو وسكنها الباقون كانه قيل فماذا تفعل بها فقال معبرا بالترجى
لانه اليق بالتواضع لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا اى من عندها بِخَبَرٍ اى عن الطريق لانه كان قد اخطأها
أَوْ جَذْوَةٍ اى قطعة وشعلة مِنَ النَّارِ وقال قتادة ومقاتل هو العود الذى احترق بعضه + تنبيه +
من النار صفة لجذوة ولا يجوز تعلقها بآتيكم كما تعلق به منها لان هذه النار هى النار المذكورة
والعرب اذا قدمت نكرة وارادت اعادتها اعادتها مضمرة او معرفة بال العهدية وقد
جمع الامرين هنا وقرأ عاصم بفتح الجيم وحمزة بضمها والباقون بالكسر وكلها لغات وجمعها
جذى ثم استأنف قوله لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ اى لتكونوا على رجاء من ان تقربوا من النار فتصطلوا عليها
التدفؤ وهذا دليل على ان الوقت كان شتاء فَلَمَّا أَتَاهَا اى النار وبنى نُودِيَ للمفعول لان آخر
الكلام يدل دلالة واضحة على ان المنادى هو الله تعالى ولما كان نداؤه تعالى لا يشبه نداء غيره
بل يكون من جميع الجوانب ومع ذلك قد يكون لبعض المواضع مزيد شرف بوصف من الاوصاف
اما بان يكون اول السماع منه او غير ذلك او يكون باعتبار موسى عليه السلام قال مِنْ شَاطِئِ
الْوَادِ من لابتداء الغاية وقوله تعالى الْأَيْمَنِ صفة للشاطئ او للوادى والايمن من اليمن وهو
البركة او من اليمين المقابل لليسار من العضوين ومعناه على هذا بالنسبة الى موسى اى الذى
يلى يمينك دون يسارك والشاطئ ضفة الوادى والنهر اى حافته وطرفه وكذا الشط والسيف
... قاله الراغب وشاطأت فلانا ماشيته سار بها على الشاطئ

وقوله تعالی فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ متعلق بنودی او بمحذوف علی انه حال من الشاطئ ومعنی المبارکة
جعلها الله تعالی مبارکة لان الله تعالی کلم موسی علیه السلام هناك وبعثه نبیا وقال عطاء یرید المقدسة
وقوله تعالی مِنَ الشَّجَرَةِ بدل من شاطئ الوادی باعادة الجار بدل اشتمال لان الشجرة کانت ثابتة
علی الشاطئ قال البقاعی ولعل الشجرة کانت کبیرة فلما وصل الیها دخل النور من طرفها الی وسطها
فدخلها وراءه بحیث توسطها فسمع وهو فیها الکلام من الله تعالی حقیقة وهو المتکلم سبحانه وتعالی
لا الشجرة قال القشیری وحصل الاجماع علی انه علیه السلام سمع تلك اللیلة کلام الله تعالی ولو کان
ذلك نداء الشجرة لکان المتکلم الشجرة وقال التفتازانی فی شرح المقاصد ان اختیار حجة الاسلام
انه سمع کلامه الازلی بلا صوت ولا حرف کما تری ذاته فی الآخرة بلا کم ولا کیف واختلف
فی الشجرة ما هی فقال ابن مسعود کانت سمرة خضراء وقال قتادة ومقاتل والکلبی کانت عوسجة
وقال وهب من العلیق وعن ابن عباس انها العناب ثم ذکر المنادی به بقوله تعالی أَنْ يَا مُوسَىٰ
فان هی مفسرة لا مخففة إِنِّي أَنَا اللَّهُ ای المستجمع للاسماء الحسنی والصفات العلیا وفتح الیاء نافع
وابن کثیر وابو عمرو وسکنها الباقون ثم وصف نفسه سبحانه تعالی بقوله رَبُّ الْعَالَمِينَ ای خالق
الخلائق اجمعین ومربیهم قال البیضاوی هذا وان خالف ما فی طه والنمل فی اللفظ فهو طبقه
فی المقصود انتهی قال ابن عادل واعلم انه تعالی قال فی سورة النمل نودی ان بورك من فی النار
ومن حولها وقال ههنا انی انا الله رب العالمین وقال فی سورة طه انی انا ربك ولا منافاة بین
هذه الاشیاء فهو تعالی ذکر الکل الا انه تعالی حکی فی کل سورة ما اشتمل علیه ذلك النداء ثم ان الله
تعالی امره ان یلقی عصاه لیریه آیة بقوله تعالی وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ای لاریك فیها آیة فالقاها فصارت
فی الحال حیة عظیمة وهی مع عظمها فی غایة الخفة فَلَمَّا رَآهَا ای العصا تَهْتَزُّ ای تتحرك کانها فی
سرعتها وخفتها جَانٌّ ای حیة صغیرة وَلَّىٰ مُدْبِرًا ای فانهزم لم یلتفت الی جهتها وهو معنی قوله تعالی
وَلَمْ يُعَقِّبْ ای موسی علیه السلام وذلك کنایة عن شدة التصمیم علی الهرب والاسراع فیه خوفا
من الادراك فی الطلب فقیل له يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ ای التفت وتقدم الیها وَلَا تَخَفْ ثم اکد له الامر لما الآدمی
مجبول علیه من النفرة وان اعتقد صحة الخبر بقوله تعالی إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ای العریقین
فی الامن کعادة اخوانك من المرسلین فانه لا یخاف لدی المرسلون ثم زاد طمأنینته بقوله تعالی
اسْلُكْ ای ادخل علی الاستقامة مع الخفة والرشاقة يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ای القطع الذی فی ثوبك و
هو الذی یخرج منه الرأس او هو الکم کما یدخل السلك وهو الخیط الذی ینظم فیه الدر تَخْرُجْ بَيْضَاءَ
بیاضا عظیما یکون له شأن خارق للعادات مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ای عیب من اثر الحریق الذی یحسن
فرعون عن مداواته او غیره فخرجت ولها شعاع کشعاع الشمس یغشی البصر + تنبیه + قد
ذکر هذا المعنی بثلاث عبارات احداها هذه وثانیتها واضمم یدك الی جناحك وثالثتها
وادخل یدك فی جیبك وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ای یدیك المبسوطتین تتقی بهما الحیة

كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالها فى الجيب فيكون تكرير
الغرض اخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان
يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر لانه اذا خاف
نشر جناحيه وارخاهما واذا امن واطمأن ضمهما اليه ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز ان كاتبا له
كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر
خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فانى ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من
نفسى ومعنى قوله تعالى مِنَ الرَّهْبِ من اجل الرهب اى اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية
فاضمم اليك جناحك تجلدا وضبطا لنفسك جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به
من ضم جناحه اليه وقال الفراء اراد بالجناح العصا ومعناه اضمم اليك عصاك قال البغوىّ وقيل الرهب
الكمّ بلغة حمير قال الاصمعى سمعت بعض الاعراب يقول اعطنى ما فى رهبك اى فى كمك ومعناه اضمم
اليك يدك واخرجها من الكمّ لانه تناول العصا ويده فى كمه انتهى قال الزمخشرىّ معترضا هذا
القول ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطنى ما فى رهبك وليت شعرى
كيف صحته فى اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترضى عربيتهم ثم ليت شعرى كيف
موقعه فى الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى عليه السلام ما كان عليه
ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمين لها انتهى ويحتمل ان يكون لها كمّ قصير فمن نفى نظر
الى قصره ومن اثبت نظر الى اصله وحينئذ لا تعارض وفى البغوىّ عن ابن عباس ان الله تعالى
امره ان يضم يده الى صدره ليذهب عنه الروع وما ناله من الخوف عند معاينة الحية وقال
وما من خائف بعد موسى عليه السلام الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقال مجاهد وكل
من فزع فضمّ جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الراء والهاء وحفص بفتح
الراء وسكون الهاء والباقون بضم الراء وسكون الهاء والكل لغات ولما تمّ كونه اية بانقلابها الى
البياض ثم رجوعها الى لونها قال الله تعالى فَذَانِكَ اى العصا واليد البيضاء وشدد ابن كثير وابو عمرو
النون وخففها الباقون بُرْهَانَانِ اى سلطانان وحجتان قاهرتان مرسلان مِنْ رَبِّكَ اى المحسن
اليك لا يقدر على مثلهما غيره إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ اى وانت مرسل بهما اليهم كلما اردت ذلك فتجدهما
لانهما يكونان لك ههنا فى هذه الحضرة فقط فان قيل لم سميت الحجة برهانا اجيب بانّ ذلك
لبياضها وانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون
قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت
لانارتها ثم علل الارسال اليهم على وجه اظهار الآيات لهم واستمرارها بقوله إِنَّهُمْ كَانُوا
اى جبلة وطبعا قَوْمًا اى اقوياء فَاسِقِينَ اى خارجين عن الطاعة فكانوا احقاء ان يرسل
اليهم ولما قال تعالى فذانك برهانان الى اخره تضمن ذلك ان يذهب موسى بهذين البرهانين الى

فرعون وقومه فعند ذلك طلب من يعينه بان قال ربّ اى ايها المحسن الىّ إنّي قتلت منهم نفسا هو
القبطي السابق وانت تعلم انى ما خرجت الا هاربا منهم لاجلها فأخاف ان بدأتهم بمثل ذلك أن
يقتلون به لوحدتى وغربتى وثقل لسانى فى اقامة الحجج فاخاف ان يفوت المقصود بقتلى ولا يجيء
من ذلك الا انت وان لسانى فيه عقدة وأخي هرون هو أفصح منّي لسانا اى من جهة البيان للعقدة
التى كانت حصلت له من وضع الجمرة فى فيه وهو طفل فى كفالة فرعون وقيل كانت من اصل الخلقة
والفصاحة لغة الخلوص ومنه فصح اللبن خلص من رغوته وفصح الرجل جادت لغته وافصح تكلم
بالعربية فأرسله اى بسبب ذلك معي ردأ اى معينا من ردأت فلانا بكذا اى جعلته له قوة
وعاضدا وردأت الحائط اذا دعمته بخشب او كبش يدفعه ان يسقط وقرأ نافع بنقل حركة
الهمزة الى الدال وحذف الهمزة والباقون بسكون الدال وتنوين الهمزة بعدها + ولما كان له
عليه من العطف والشفقة ما يقصر لو صمت عنه نبه على ذلك باجابة السؤال بقوله يصدّقني اى بان
يخلص بفصاحته ما قلته ويبينه ويقيم الادلة عليه حتى يصير كالشمس وضوحا فيكون مع تصديقه لي بنفسه
سببا فى تصديق غيره لى وقرأ عاصم وحمزة بضم القاف على الاستئناف او الصفة لردأ والباقون
بالسكون جوابا للامر قال الرازى ليس الغرض بتصديق هرون ان يقول له صدقت او يقول للناس
صدق موسى وانما هو ان يلخص بلسان الفصيح وجوه الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل به
الكفار فهذا هو التصديق المفيد وفائدة الفصاحة انما تظهر فى ذلك لا فى مجرد قوله صدقت قال
السدى نبيان وآيتان اقوى من نبى واحد وآية واحدة وهذا ظاهر من جهة العادة واما من جهة
الدلالة فلا فرق بين معجز ومعجزين ثم علل سؤاله هذا بقوله إنّي أخاف أن يكذّبون اى فرعون
وقومه ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجة قال الله تعالى له مجيبا لسؤاله سنشدّ عضدك اى امرك
بأخيك اى سنقويك ونعينك به ونجعل لكما سلطانا اى ظهورا عظيما وغلبة لهم بالحجج والهيبة
لاجل ما ذكرت من الخوف فلا اى فيتسبب عن ذلك انهم لا يصلون اليكما بسوء من انواع الغلبة
بآياتنا اى بجعل ذلك بسبب ما يظهر على ايديكما من الآيات العظيمة بنسبتها الينا ولذلك
كانت النتيجة أنتما ومن اتبعكما من قومكما وغيرهم الغالبون اى لا غيركم وهذا
يدل على ان فرعون لم يصل الى السحرة بشيء مما هددهم به لانهم من اكبر الاتباع الباذلين
انفسهم فى الله تعالى وليس فى القرآن ما يدل على انه فعل بهم ما اوعدهم به قال البقاعي كانه
حذف امرهم هنا لانه فى بيان امر فرعون وجنوده بدليل ما كرّر من ذكرهم وقد كشفت العاقبة
عن ان السحرة ليسوا من جنوده بل من حزب الله تعالى وجنده ومع ذلك فقد اشار اليهم بهذه
الآية والتى بعدها اهـ + ولما كان التقدير فأتاهم كما امره الله تعالى وعاضده اخوه كما اخبر الله تعالى
ودعاهم الى الله تعالى واظهر ما امر به من الآيات بنى عليه مبينا بالفاء سرعة امتثاله فلما جاءهم
اى فرعون وقومه ولما كانت رسالة هرون عليه السلام انما هى تأييد لموسى عليه السلام اشار

الى ذلك بالتصريح باسم الجائي بقوله تعالى موسى بآياتنا اى التي امرناه بها الدالة على جميع الآيات
التساوي في خرق العادة حال كونها بينات اى في غاية الوضوح قالوا اى فرعون وقومه ما هذا
اى الذي اظهرته من الآيات الا سحر مفترى اى مختلق لانه معجزة من عند الله ثم ضموا اليه
ما يدل على جهلهم وهو قولهم وما سمعنا اى ما حدثنا بهذا اى الذي تدعونا اليه وتقوله
من الرسالة عن الله تعالى في آبائنا واشاروا الى البدعة التي اضلت كثيرا من الخلق وهي
تحكيم عوائد التقليد لا سيما عند تقادمها على القواطع في قولهم الاولين وقد كذبوا وافتروا
لقد سمعوا بذلك على ايام يوسف عليه السلام + وما بالعهد من قدم + فقد قال لهم الذي امن
يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب الى قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ولما كذبوه
وهم الكاذبون قال لهم موسى ربي اى المحسن الي اعلم اى عالم بمن جاء بالهدى اى الذي اذن الله
تعالى فيه وهو حق في نفسه من عنده فيسلم الى الحق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير بغير واو قبل
القاف لانه قاله جوابا لمقالهم والباقون بالواو لان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما
ليميز صحيحهما من فاسدهما ومن تكون له اى لكونه منصورا مؤيدا عاقبة الدار
اى الراحة والسكن والاستقرار فان قيل العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسميا
عاقبة الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية
دون خاتمتها بالشر اجيب بان الله تعالى قد وضع الدنيا مجازا الى الآخرة واراد بعباده ان لا يعملوا
فيها الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليبلغوا خاتمة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من
نتائج تحريف الفجار وقرأ حمزة والكسائي بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التانيث ثم علل ذلك
بما اجرى الله تعالى به عادته فقال معلما بان المخذول هو الكاذب اشارة الى انه الغالب لكون
الله تعالى معه مؤكدا لما استقر في الانفس من ان القوي لا يغلبه الضعيف انه لا يفلح اى لا يظفر
ولا يفوز الظالمون اى الكافرون الذين يمشون كما يمشي من هو في الظلام بغير دليل وقال فرعون
جوابا لهذا الترغيب والترهيب يا ايها الملأ اى الاشراف معظما لهم استجلابا
لقلوبهم ما علمت لكم من اله غيري فتضمن كلامه نفي الهية غيره واثبات
الهية نفسه فكانه قال ما لكم من اله الا انا كما قال الله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الارض اى بما ليس فيهن وذلك ان العلم تابع للموجود لا يتعلق به الا على ما هو
عليه فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده انتفاء لوجوده
فعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان الها غيره معلوم عنده
ولكنه مظنون بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظنه كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه
كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول
موسى لقول موسى عليه السلام له لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر

+ثم تسبب عن جهله قوله لوزيره معلما له صنعة الآجر لانه اول من عمله قال عمر رضي الله تعالى عنه حين
سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر ما علمت ان احدا بنى بالآجر غير فرعون فَأَوْقِدْ لِي
اضاف الايقاد اليه اعلاما بانه لا بد منه يَا هَامَانُ وهو وزيره عَلَى الطِّينِ اي المتخذ لبنا ليصير
اجرا ثم تسبب عن الايقاد قوله فَاجْعَلْ لِي اي منه صَرْحًا اي قصرا عاليا وقيل منارة وقال الزجاج هو
كل بناء متسع مرتفع لَعَلِّي أَطَّلِعُ اي اتكلف الطلوع إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ اي الذي يدعو اليه فانه ليس
في الارض احد بهذا الوصف الذي ذكره فانا اطلبه في السماء موهما لهم انه مما يمكن الوصول اليه
وهو قاطع بخلاف ذلك لكنه يقصد المدافعة من وقت الى وقت قال اهل السير لما امر فرعون
وزيره هامان ببناء الصرح جمع العمال والفعلة حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء
ومن يطبخ الآجر والجص وينجر الخشب ويضرب المسامير فرفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه
بنيان احد من الخلق اراد الله تعالى ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه فامر بنشابة فرمى بها
نحو السماء فردت اليه وهي ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعد على البراذين
فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب الصرح بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقع منها قطعة على
عسكر فرعون فقتلت منهم الف الف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد
ممن عمل فيه بشيء الا هلك ثم زادهم شكا بقوله مؤكدا لاجل دفع ما استقر في الانفس من صدق
موسى عليه السلام وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ اي موسى عليه السلام مِنَ الْكَاذِبِينَ اي دابه ذلك فرعون هو الذي
تلبيس وكذب ووصف اصدق اهل ذلك الزمان بصفة نفسه العريقة في العدوان وَاسْتَكْبَرَ
اي اوجد الكبر بغاية الرغبة فيه هُوَ بقوله هذا الذي صدهم به عن السبيل وَجُنُودُهُ باعراضهم اشتد
رغبتهم في التكبر على الحق والاتباع للباطل فِي الْأَرْضِ اي ارض مصر قال البقاعي ولعله عرفها
اشارة الى انه لو قدر على ذلك في غيرها لفعل بِغَيْرِ الْحَقِّ اي بغير استحقاق قال البقاعي
والتعبير بالتعريف يدل على ان التعظيم بنوع من الحق ليس بكبر وان كانت صورته كذلك
واما تكبره سبحانه فهو بالحق كله قال صلى الله عليه وسلم فيما حكاه عن ربه الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وَظَنُّوا اي فرعون وجنوده ظنا بنوا عليه اعتقادهم
في اصل الدين الذي لا يكون الا بالقاطع أَنَّهُمْ إِلَيْنَا اي الى حكمنا خاصة الذي يظهر عند انقطاع الاسباب
لَا يُرْجَعُونَ بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم والباقون بضم الياء وفتح الجيم +ولما
تسبب عن ظنهم هذا اهلاكهم قال تعالى فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ كلهم اخذ قهر ونقمة وذلك علينا هين
واشار تعالى الى احتقارهم بقوله تعالى فَنَبَذْنَاهُمْ اي طرحناهم فِي الْيَمِّ اي البحر المالح فغرقوا فكانوا على
كثرتهم وقوتهم كحصيات صغار قذفها الرامي الشديد الذراع من يده في البحر ونحو ذلك
قوله تعالى والقينا فيها رواسي شامخات وقوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة
+ولما تسبب عن هذه الآيات من العلوم ما لا تحيط به الفهوم قال تعالى فَانْظُرْ

المعتبر بالآيات الناظر فيها نظر اعتبار كيف كان عاقبة اي آخر امر الظالمين حيث صاروا
الى الهلاك فحذر قومك عن مثلها وفي هذا اشارة الى ان كل ظالم تكون عاقبته هكذا ان صابره
المظلوم بالحق ورابطه حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، ولما كان من سن سنة حسنة كان له
اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من
عمل بها الى يوم القيامة قال الله تعالى وجعلناهم اي في الدنيا ائمة اي قدوة
للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او
بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون اي يوجدون الدعاء لمن اغتر بحالهم فضل بضلالهم
الى النار اي الى موجباتها من الكفر والمعاصي واما ائمة الحق فانما يدعون الى موجبات الجنة من فعل
الطاعات وترك المنكرات جعلنا الله تعالى واحبابنا منهم بمحمد وآله، ولما كان الغالب من
حال الائمة النصرة وقد اخبر عن خذلانهم في الدنيا قال تعالى ويوم القيامة اي الذي هو يوم
التغابن لا ينصرون اي لا يكون لهم نوع نصرة تدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي
طردا عن الرحمة ودعاء عليهم بذلك من كل من سمع خبرهم بلسان قالهم او بفعله الذي يكون عليهم
مثل وزره ان وافقهم وانثها قال الله تعالى الدنيا ولم يقل الحيوة قال البقاعي لان السياق لتحقير
امرهم ودناءة شانهم ويوم القيامة هم اي خاصة ومن شاكلهم من المقبوحين اي المبعدين
ايضا المخزيين مع قبح الوجوه والاشكال والشناعة في الاقوال والافعال والاحوال من القبح الذي
هو ضد الحسن من قولهم قبح الله العدو وابعده عن كل خير قال ابو عبيدة من المهلكين
قال البقاعي فيا ليت شعري اي صراحة بعد هذا في ان فرعون عدو الله في الآخرة كما
كان عدو الله في الدنيا فلعنة الله على من يقول انه مات مؤمنا وانه لا صراحة في القرآن بانه من
اهل النار وعلى من يشك في كفره بعد ما ان تكبه من جهل امره انتهى وقد قدمت الكلام في سورة
يونس على قول فرعون وانا من المسلمين، ثم انه تعالى اخبر عن اساس امامة بني اسرائيل مقسما عليه
مع الافتتاح بحرف التوقع بقوله ولقد آتينا اي بما لنا من الجلال والكمال موسى الكتاب اي التوراة
الجامعة للهدى والخير في الدارين قال ابو حيان وهو اول كتاب نزلت فيه الفرائض والاحكام
من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اي من قوم نوح الى قوم فرعون وقوله تعالى بصائر للناس حال من
الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب اي انوار القلوب فتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل كما
ان البصر نور العين الذي تبصر به وهدى اي للعامل بها الى كل خير ورحمة اي نعمة هنيئة شريفة
لانها قائدة اليها ولما ذكر ما لهم بعد انزالها قوله تعالى لعلهم يتذكرون اي ليكون
حالهم حال من يرجى تذكره، ثم ان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
وما كنت اي يا افضل الخلق بجانب الغربي قال قتادة بجانب الجبل الغربي وقال الكلبي بجانب
الوادي الغربي اي الوادي من الطور الذي رأى موسى عليه السلام فيه النار وهو بالبقعة

من جهة الغرب على يمين المتوجه الى ناحية مكة المشرفة من ناحية مصر فناداه فيه العزيز الجبار وهو
ذو طوى إِذْ اى حين قَضَيْنَا اى اوحينا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ اى امر الرسالة الى فرعون وقومه
وما يريد ان يفعل من ذلك فى اوله واثنائه واخره مجملا ثم كان كل ما اخبرنا به مطابقا
تفصيله لاجماله وَمَا كُنْتَ اى بوجه من الوجوه مِنَ الشَّاهِدِينَ لتفاصيل ذلك الامر الذى اجملناه
لموسى عليه السلام حتى تخبر به كله على هذا الوجه الذى اتيناك به فى هذه الاساليب المعجزة ولا شك
ان معرفتك لذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التى لا تعرف الا بالوحى لذلك استدرك عنه بقوله تعالى
وَلَكِنَّا اى بما لنا من العظمة أَنْشَأْنَا بعد ما اهلكنا اهل ذلك الزمان الذين علموا هذه الامور بالمشاهدة
وهم السبعون المختارون للميقات او بالاخبار كلهم قُرُونًا اى امما كثيرة بعد موسى عليه السلام
فَتَطَاوَلَ اى بمروره وعلوه عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ اى ولكنا اوحينا اليك انا انشانا قرونا مختلفة بعد
موسى عليه السلام فتطاولت عليهم المدد فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحى فحذف
المستدرك وهو اوحينا واقام سببه وهو الانشاء مقامه على عادة الله تعالى فى اختصاراته فهذا
الاستدراك شبيه بالاستدراك بعده فان قيل ما الفائدة فى اعادة قوله تعالى وما كنت من
الشاهدين بعد قوله وما كنت بجانب الغربى لانه ثبت بذلك انه لم يكن شاهدا لان الشاهد لابد ان
يكون حاضرا اجيب بان ابن عباس قال التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شاهدت تلك
الوقائع فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهد ولا يرى وقرأ ابو عمرو فى الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة
والكسائى بضم الهاء والميم وحمزة فى الوقف بضم الهاء وسكون الميم والباقون فى الوصل بكسر الهاء
وضم الميم ولما نفى العلم عن ذلك بطريق الشهود نفى سبب العلم بذلك بقوله تعالى وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا
اى مقيما اقامة طويلة مع الملازمة بمدين فِي أَهْلِ مَدْيَنَ اى قوم شعيب عليه السلام كمقام
موسى وشعيب فيهم تَتْلُو اى تقرأ عَلَيْهِمْ تعلما منهم آيَاتِنَا العظيمة التى منها قصتهم لتكون ممن تتهم
بامور الوحى ويتعرف دقيق اخباره فيكون خبرهم وخبر موسى عليه السلام معك وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ
اياك رسولا وانزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار تتلوها عليهم ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها
وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ اى بناحية الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام إِذْ اى حين
نَادَيْنَا اى اوقعنا النداء لموسى عليه السلام فاعطيناه التورية واخبرناه بما لا يمكن الاطلاع عليه الا من
قبلنا او من قبله ومن المشهور انك لم تطلع على شئ من ذلك من قبله لانك ما خالطت احدا ممن حمل تلك
الاخبار عن موسى عليه السلام ولا احدا حملها ممن حملها عنه فى ذلك اليك منا وهو معنى قوله تعالى وَلَكِنْ
اى انزلنا ما اردنا وارسلناك به رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لك خصوصا وللخلق عموما وقيل اذ نادينا موسى
خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يا رب ارنى محمدا قال انك لن تصل الى ذلك وان شئت
ناديت امته واسمعتك صوتهم قال بلى يا رب فقال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابائهم
وقال ابو زرعة نادى يا امة محمد قد اجبتكم قبل ان تدعونى واعطيتكم قبل ان تسألونى

وروى عن ابن عباس ورفعه بعضهم قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب الآباء وارحام
الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد لله والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا امة محمد
ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي عقابي قد اعطيتكم قبل ان تسألوني وقد اجبتكم من قبل ان تدعوني
وقد غفرت لكم من قبل ان تستغفروني من جاء يوم القيامة بشهادة ان لا اله الا الله وان محمداً عبدي
ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر + تنبيه + قال البيضاوي لعل المراد به اي بقوله
تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا وقت ما اعطاه التورية وبالاول اي قوله تعالى وما كنت بجانب
الغربي اذ قضينا حيث استنبأه لانهما المذكوران في القصة وقوله تعالى لِتُنْذِرَ اي لتحذر تحذيرا كثيرا
قَوْمًا اي اهل قوة ونجدة ليس بهم عائق عن اعمال الخير العظيمة الا الاعراض عنك وهم العرب
ومن في ذلك الزمان من الخلق يتعلق بالفعل المحذوف مَا أَتَاهُمْ وعم النفي بزيادة الجار
في قوله تعالى مِنْ نَذِيرٍ بزيادة الجار في قوله تعالى مِنْ قَبْلِكَ يدل على الزمن القريب وهو
زمن الفترة بينه وبين عيسى عليهما الصلاة والسلام وهو خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله
تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم وقيل ليس المراد زمن الفترة بل ما بينه وبين اسمعيل عليهما السلام
على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل وما حولهم لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
اي يتعظون وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ اي في وقت من الاوقات مُصِيبَةٌ اي عظيمة بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
اي من المعاصي التي قضينا بانها مما لا يعفى عنها فَيَقُولُوا رَبَّنَا اي ايها المحسن الينا لَوْلَا اي
هلا ولم لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا اي على وجه التشريف لنا لنكون على علم بانا ممن يعتني الملك الاعلى به
رَسُولًا واجابها بالتحضيض الذي شبهوه بالامر ليكون كل منهما باعثا على الفعل بقوله تعالى
فَنَتَّبِعَ اي فيتسبب عن ارسال رسولك ان نتبع آيَاتِكَ وَنَكُونَ اي كونا هو في غاية الرسوخ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
اي المصدقين لك في كل ما اتى به عنك رسولك + تنبيه + لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف
تقديره كما قال الزجاج ما ارسلنا اليهم رسولا يعني ان الحامل على ارسال الرسل ازاحة عللهم
بهذا القول فهو كقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والثانية تحضيضية وتتم جوابها
كما مر فلذلك اضمر ان فان قيل كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال
لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه اجيب بان القول هو المقصود بان يكون سببا
للارسال ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة
كانها سبب للارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجئ بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية
معنى السببية ويؤل معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت
هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقيني
ببطلان دينهم لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا بل انما يقولون اذا نالهم العقاب وانما
السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم عز وجل

وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى وهو كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه ولما كان التقدير ولكنا ارسلناك بالحق لقطع حجتهم هذه بنى عليه فَلَمَّا جَاءَهُمُ
اى اهل مكة الْحَقُّ اى الذى هو اعم من الكتاب والسنة وما يقاس عليهما وهو فى نفسه جدير
بان يقبل لكونه فى الذروة العليا من الثبات فكيف وهو مِنْ عِنْدِنَا على ما لنا من العظمة وهو على
لسانك وانت اعظم الخلق قَالُوا اى اهل الدعوة من العرب وغيرهم تعنتا وكفرا به لَوْلَا اى
هلا ولم لا أُوتِيَ اى هذا الآتى بما يزعم انه الحق من الآيات مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ من الآيات كاليد
البيضاء والعصا وغيرهما من كون الكتاب انزل عليه جملة واحدة قال الله تعالى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا
اى العرب ومن بلغته الدعوة من بنى اسرائيل ومن كان مثلهم فى البشرية والعقل فى زمن موسى
بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ عليه السلام مِنْ قَبْلُ اى من قبل مجئ الحق على لسان محمد صلى الله عليه وسلم
ولما كان كأنه قد قيل ما كان كفرهم به قيل قَالُوا اى فرعون وقومه ومن كفر من بنى اسرائيل
سِحْرَانِ اى موسى واخوه عليهما السلام تَظَاهَرَا اى اعان كل منهما صاحبه على سحره حتى صار
سحرهما معجزا فغلبا جميع السحرة وتظاهر الساحرين من تظاهر السحرين على قراءة الكوفيين بكسر
السين وسكون الحاء وقرأ الباقون بفتح السين وكسر الحاء والف بينهما تثنية ويجوز ان يكون
الضمير لمحمد وموسى عليهما الصلاة والسلام قال البقاعى وهو اقرب وذلك لانه روى
ان قريشا بعثت الى اليهود وسألوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم ان نعته فى كتابهم
فقالوا هذه المقالة فيكون الكلام استئنافا جواب من كأنه قال ما كان كفرهم بما قيل قالوا
اى العرب الجاهلون ساحران او الكتابان ساحران تظاهر احدهما بالآخر مع علم كل ذى لب ان هذا
القول ذبين لانه لو كان شرط اعجاز السحر التظاهر لكان سحر فرعون معجزا لانه تظاهر عليه جميع
سحرة بلاد مصر وعجزوا عن معارضة ما اظهر موسى عليه السلام من آياته كالعصا واما محمد صلى الله عليه
وسلم فقد دعا اهل الارض من الجن والانس الى معارضة كتابه واخبرهم انهم عاجزون ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا فعجزوا عن آخرهم ولما تضمن قولهم ذلك الكفر صرحوا به وَقَالُوا اى
كفار قريش إِنَّا بِكُلٍّ اى من الساحرين او السحرين الذين تظاهرا بهما وهما ما اتيا به من عند الله
كَافِرُونَ جراءة على الله تعالى وتكبرا على الحق ثم قال الله تعالى
قُلْ اى لهم الزاما ان كنتم صادقين فى انى ساحر وكتابى سحر وكذلك
موسى عليه السلام فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ اى الملك العلى الاعلى هُوَ اى
الذى تأتون به أَهْدَىٰ مِنْهُمَا اى من الكتابين وقوله أَتَّبِعْهُ اى واياكما
جواب الامر وهو فأتوا إِنْ كُنْتُمْ اى ايها الكفار صَادِقِينَ اى فى انا ساحران فأتوا بما
الزمتكم به قال البيضاوى وهذا من الشروط التى يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجئ
حرف الشك للتهكم بهم فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ اى دعاءك الى الكتاب الاهدى فحذف المفعول

للعلم به ولان فعل الاستجابة يتعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعى فاذا عدى اليه حذف
الدعاء غالبا كقول القائل وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند
ذاك مجيب الشاهد فى يستجبه حيث عداه الى الداعى وحذف الدعاء والتقدير فلم يستجب دعاءه
فاعلم انت انما يتبعون اى بغاية جهدهم فيما هم عليه من الكفر والتكذيب اهواءهم
اى دائما واكثر الهوى مخالف للهدى فهم ضالون غير مهتدين بل هم اضل الناس وذلك
معنى قوله تعالى ومن اضل ممن اتبع اى بغاية جهده هوىه اى لا احد اضل منه فهو
استفهام بمعنى النفى وقوله تعالى بغير هدى من الله فى موضع الحال للتوكيد والتقييد
فان هوى النفس قد يوافق الهدى ان الله لا يهدى القوم الظالمين ع اى وان كانوا اقوى
الناس لاتباعهم اهواءهم ولقد وصلنا قال ابن عباس بينا وقال الفراء انزلنا آيات القران
يتبع بعضها بعضا لهم اى خاصة فكان تخصيصهم بذلك منة عظيمة يجب عليهم شكرها
القول اى القران قال مقاتل بينا لكفار مكة بما فى القران من اخبار الامم الخالية كيف
عذبوا بتكذيبهم وقال ابن زيد وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كانهم عاينوا الآخرة
فى الدنيا لعلهم يتذكرون اى ليكون حالهم حال من يرجى لهم ان يرجعوا الى عقولهم فيجدوا
فيما طبع فيها ما يذكرهم بالحق ثم كانه قيل هل تذكر منهم احد قيل نعم اهل الكتاب الذين هم
اهله حقا تذكروا وذلك معنى قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله اى قبل القران او
قبل محمد صلى الله عليه وسلم هم به اى بما تقدم يؤمنون ايضا نزل فى جماعة اسلموا من اليهود نصف
عبد الله بن سلام واصحابه وقال مقاتل هم اهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبى
صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير هم اربعون رجلا قدموا مع جعفر من الحبشة على النبى
صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا يا نبى الله ان لنا اموالا فان اذنت لنا
انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا بها المسلمين فاذن لهم فانصرفوا فاتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين
فنزل فيهم ذلك الى قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وعن ابن عباس نزلت فى ثمانين
من اهل الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم
الله تعالى بقوله تعالى واذا يتلى اى يتجدد تلاوة القران عليهم قالوا مبادرين لذلك
آمنا به ثم عللوا ذلك بقولهم انه الحق اى الكامل الذى ليس وراءه الا الباطل مع كونه
من ربنا اى المحسن الينا ثم عللوا مبادرتهم بقولهم انا كنا من قبله اى القران
مسلمين اى منقادين غاية الانقياد مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه
نبى حق اولئك اى العالو الرتبة يؤتون اجرهم مرتين اى لايمانهم به غيبا وشهادة
اى بالكتاب الاول ثم بالكتاب الثانى بما صبروا اى بسبب صبرهم على دينهم وقال مجاهد نزلت
فى قوم من اهل الكتاب اسلموا فاوذوا وعن ابى بردة عن ابى موسى ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين رجل كانت له جارية فادبها فاحسن ادبها ثم اعتقها وتزوّجها ورجل
كان من اهل الكتاب امن بكتابه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد احسن عبادة الله تعالى
ونصح لسيّده + ولما كان الصبر لا يتم الا بالاتصاف بالمحاسن والانخلاع من المساوى قال تعالى عاطفا على
يؤتون مشيرا الى تجديد هذه الافعال كل حين وَيَدْرَؤُنَ اى يدفعون بِالْحَسَنَةِ من الاقوال والافعال
السَّيِّئَةَ اى فيمحونها بها وقال ابن عباس يدفعون بشهادة ان لا اله الا الله الشرك وقال مقاتل
يدفعون بها ما سمعوا من الاذى والشتم من المشركين اى بالصفح والعفو وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
اى بعظمتنا لا بحول منهم ولا قوة قليلا كان او كثيرا يُنْفِقُونَ اى يتصدّقون معتمدين في الخلف
على الذى رزقه + ولما ذكر الله ان السماح بما تضنّ النفوس به من فضول الاموال من
امارات الايمان اتبعه انّ حزن ما تبذل له الانفس من فضول الاقوال من علامات العرفان
بقوله تعالى وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ اى ما لا ينفع في دين ولا دنيا من شتم وتكذيب وتعيير ونحوه أَعْرَضُوا عَنْهُ
تكرّما عن الخنا وقيل اللغو القبيح من القول وذلك انّ المشركين كانوا يسبّون مؤمنى اهل الكتاب
ويقولون لهم تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم وَقَالُوا وعظا وتسميعا لقائله
لَنَا خاصة أَعْمَالُنَا لا تثابون على شئ منها ولا تعاقبون وَلَكُمْ اى خاصة أَعْمَالُكُمْ لا نطالب
بشئ منها فنحن لا نشتغل بالردّ عليكم سَلَامٌ عَلَيْكُمْ متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة
عما هم فيه لا سلام تحية واكرام ونظيره ذلك واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم اكّد ذلك
تعالى بقوله تعالى حاكيا عنهم لَا نَبْتَغِي اى لا نكلف انفسنا ان نطلب الْجَاهِلِينَ اى لا نريد
شيئا من اموالهم واقوالهم او غير ذلك من خلالهم وقيل لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه
قيل نسخ ذلك بالامر بالقتال وهو بعيد لان ترك المسافهة مندوب اليه وان كان القتال واجبا +
ونزل في حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمان عمه ابى طالب إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ اى نفسه
او هدايته بخلق الايمان في قلبه روى سعيد بن المسيب عن ابيه انه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابى امية بن المغيرة فقال اى عمّ قل
لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابى امية اترغب عن ملة عبد المطلب
فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعرضها ويعيدانه بتلك الكلمة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم هو على
ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرنّ
لك ما لم انه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبىّ والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وانزل الله
تعالى في ابى طالب فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدى من احببت الآية وفي مسلم
عن ابى هريرة انّ النبىّ صلى الله عليه وسلم امره بالتوحيد فقال له لولا ان تعيرنى قريش تقول انما
حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله تعالى الآية وروى انّ ابا طالب قال عند موته
يا معشر بنى هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم يا عمّ

تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخى قال اريد منك كلمة واحدة فانك
فى آخر يوم من ايام الدنيا تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك صادق
ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بنى ابيك غضاضة وسبة بعدى لقلتها
ولا قررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكنى سوف اموت على
ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف فان قيل قال الله تعالى فى هذه الآية انك لا تهدى من احببت
وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِىْ مَنْ يَّشَآءُ وقال تعالى فى آية اخرى وانك لتهدى الى صراط مستقيم اجيب بانه
لا تنافى بينهما فان الذى اثبته واضافه اليه الدعوة والذى نفى عنه هداية التوفيق وشرح الصدور
وهو نور يقذف فى القلب فيحيا به القلب كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى
به فى الناس وَهُوَ اَعْلَمُ اى عالم بِالْمُهْتَدِيْنَ اى الذين قد هيأهم لتطلب الهدى عند خلقه لهم
سواء كانوا من اهل الكتاب ام من العرب اقارب كانوا ام اباعد ثم حكى الله تعالى عن كفار
قريش شبهة تتعلق باحوال الدنيا بقوله تعالى وَقَالُوْٓا اِنْ نَّتَّبِعِ الْهُدٰى اى الاسلام فتوحد الله تعالى
من غير اشراك مَعَكَ وانت على ما انت عليه من مخالفة الناس نُتَخَطَّفْ اى من اى خاطف
اراد نا لانا نصير قليلا فى كثير من غير نصير مِنْ اَرْضِنَا كما تتخطف العصافير لمخالفة كافة العرب لنا
وليس لنا نسبة الى كثرتهم ولا قوتهم فيسرعوا الينا فيتخطفونا اى يتقصدون خطفنا واحدا
واحدا فانه لا طاقة لنا على ادامة الاجتماع وان لا يشذ بعضنا عن بعض قال المبرد والخطف
الانتزاع بسرعة نزلت فى الحرث بن نوفل بن عبد مناف قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذى
تقول حق ولكنا ان اتبعناك على دينك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس خفنا ان تخرجنا
العرب من ارضنا مكة ثم رد الله تعالى عليهم هذه الشبهة والقمهم الحجر بقوله تعالى اَوَلَمْ نُمَكِّنْ اى وغاية
التمكين لَّهُمْ اى فى اوطانهم وجعل مسكنا هم بما لنا من القدرة حَرَمًا اٰمِنًا اى ذا امن يأمن فيه كل
خائف حتى الطير من كواسرها والوحش من جوارحها حتى ان سيل الحل لا يدخل الحرم بل اذا وصل
اليه عدل عنه وروى ان مكة كانت فى الجاهلية لا يعرض فيها ظلم ولا بغى ولا يبغى فيها احد الا اخرجته
وكان الرجل يلقى قاتل ابيه وابنه فيها فلا يهيجه ولا يتعرض له بسوء وروى الازرقى فى تاريخ مكة
عن حويطب بن عبد العزى قال كان فى الكعبة حلق يدخل الخائف يده فيها فلا يريبه احد فجاء خائف
ليدخل يده فاجتذبه رجل فشلت يده فلقد رايته فى الاسلام وانه لاشل وعن ابن عباس قال اخذ
رجل ذودا بن عم له فاصابه فى الحرم فقال ذودى فقال اللص كذبت قال فاحلف فحلف عند المقام
فقام رب الذود بين الركن والمقام باسطا يديه يدعو فما برح مقامه يدعو حتى ذهب عقل اللص وجعل
يصيح بمكة مالى ولفلان رب الذود فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الذود ودفعه الى المظلوم فخرج به وبقى
الآخر حتى وقع من جبل فتردى فاكلته السباع وعن ابن جريج ان غير قريش من العرب
كانوا يطوفون بالبيت عراة الا ان اعارتهم قريش ثيابا فجاءت امرأة لها جمال فطافت

عريانة فرآها رجل فأعجبته فدخل فطاف الى جنبها فأدنى عضده من عضدها فالتزقت عضده
بعضدها فخرجا من المسجد هاربين فزعين على وجوههما لما اصابهما من العقوبة فلقيهما
شيخ من قريش فأفتاهما ان يعودا الى المكان الذي اصابا فيه الذنب فيدعوان ويخلصان
ان لا يعودا فعادا ودعوا واخلصا النية فافترقت اعضادهما فذهب كل واحد منهما في
ناحية وعن عبد العزيز بن رواد ان قوما انتهوا الى ذي طوى فاذا ظبي قد دنا منهم فأخذ رجل منهم
بقائمة من قوائمه فقال له اصحابه ويحك ارسله فجعل يضحك وأبى ان يرسله فبعر الظبي وبال
ثم ارسله فناموا في القائلة ثم انتبهوا فاذا بحية منطوقة على بطن الرجل الذي اخذ الظبي فلم تنزل
الحية عنه حتى كان منه من الحدث مثل ما كان من الظبي وعن مجاهد قال دخل قوم مكة
تجارا من الشام في الجاهلية فنزلوا ذا طوى فاختبزوا ملة لهم ولم يكن معهم ادام فرمى
رجل منهم ظبية من ظباء الحرم وهي حولهم ترعى فقاموا اليها فسلخوها وطبخوها ليأتدموا بها
فبينما قدرهم على النار يغلي لحمها اذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة
فاحرقت القوم جميعا ولم تحرق ثيابهم ولا امتعتهم وعن ايوب بن موسى ان امرأة في الجاهلية
كان معها ابن عم لها صغير فقالت له يا بني اني اغيب عنك واني اخاف ان يظلمك احد
فان جاءك ظالم بعدي فان لله بمكة بيتا سيمنعك فجاء رجل فذهب به فاسترقه فلما رأى
الغلام البيت عرفه بالصفة فنزل يشتد حتى تعلق البيت فجاء سيده فمد يده اليه ليأخذه
فيبست يده فمد الاخرى فيبست فاستفتى فأفتي ان ينحر عن كل واحدة من يديه بدنة ففعل فاطلقت
يداه وترك الغلام وخلى سبيله وعن ابي ربيع بن سالم الكلاعي ان رجلا من كنانة بن هذيل ظلم ابن عم
له فخوفه بالدعاء في الحرم فقال هذه ناقتي فلانة اركبها فاذهب اليه فاجتهد في الدعاء في الحرم
فجاء في الحرم في الشهر الحرام فقال اللهم اني ادعوك جاهدا مضطرا على ابن عمي فلان ترميه بداء
لا دواء له ثم انصرف فوجد ابن عمه قد رمي في بطنه فصار مثل الزق فما زال ينتفخ حتى انشق
وعن عمر رضي الله عنه انه سأل رجلا من بني سليم عن ذهاب بصره فقال يا امير المؤمنين
كنا بني ضبعاء عشرة وكان لنا ابن عم فكنا نظلمه فكان يذكرنا الله والرحم فلما رأى انا لا نكف
عنه انتهى الى الحرم في الاشهر الحرم فجعل يرفع يديه ويقول — لاهم ادعوك دعاء جاهدا +
اقتل بني ضبعاء الا واحدا + ثم اضرب الرجل فدعه قاعدا + اعمى اذا ما قيد يعي القائدا + قال
فمات اخوتي التسعة في تسعة اشهر في كل شهر واحد وبقيت انا فعميت ورماني الله عز وجل
في رجلي فليس يلائمني قائد فقال عمر رضي الله تعالى عنه جعل الله هذا في الجاهلية اذ لا دين
حرمها وشرفها ليحجز الناس عن انتهاك ما حرم مخافة تعجيل العقوبة فلما جاء الدين صار التوعد
للساعة ويستجيب الله تعالى لمن يشاء فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين وانما اكثرت من هذه
الحكايات ليكون الداخل للحرم على حذر فان الله تعالى حماه ومكن اهله في الحرم الذي

امنه بحرمة البيت وامن قطانه بحرمته وكانت العرب فى الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم امنون فى حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارّون بواد غير ذى زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم كما قال تعالى يُجْبَىٰ اى يجمع ويحمل إِلَيْهِ اى خاصة دون غيره من جزيرة العرب ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ من النبات الذى بارض العرب من ثمر البلاد الحارة كالبسر والرطب والنبق والباردة كالعنب والتفاح والرمان والخوخ فاذا خوّلهم الله تعالى ما خوّلهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان يعرّضهم للخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز + تنبيه + معنى الكلية هنا الكثرة كقوله تعالى واوتيت من كل شئ ولكن فى تعبيره بالمضارع وما بعده اشارة الى الاستمرار وانه ياتى اليه بعد ذلك من كل ما فى الارض من المال ما لم يخطر لاحد منهم فى بال وقرأ نافع بالتاء الفوقية والباقون بالياء التحتية وامال حمزة والكسائى محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ثم انه تعالى بين ان الرزق من عنده بقوله تعالى رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا اى لا صنع لاحد فيه بل هو محض تفضل + تنبيه + انتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من ثمرات لتخصيصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المخصصة وان جعلته اسما للمرزوق انتصب على الحال من ثمرات وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ اى اهل مكة وغيرهم ممن لا هداية له لَا يَعْلَمُونَ اى ليس لهم قابلية للعلم حتى لا يعلموا انا نحن الفاعلون لذلك بل هم جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله تعالى من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره ثم بين تعالى ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من باس الله تعالى على ما هم عليه بقوله تعالى وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ اى من اهل قرية واشار الى سبب الاهلاك بقوله تعالى بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا اى وقع منها البطر فى زمن عيشها الرخى الواسع فكانت حالهم كحالكم فى الامن وادرار الرزق فلما بطروا معيشتهم اهلكناهم ومعنى بطرهم لها قال عطاء انهم اكلوا رزق الله وعبدوا غيره وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله تعالى فيه + تنبيه + انتصاب معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه او بتقدير حذف ظرف الزمان واصله بطرت ايام معيشتها واما بتضمين بطرت معنى كفرت او خسرت او على التمييز او على التشبيه بالمفعول به وهو قريب من سفه نفسه فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ خاوية لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ بعد ان طال ما تقلبوا فيها ونقشوها وزخرفوها وزفوا فيها الابكار وفرحوا بالاعمال الكبار إِلَّا سكونا قَلِيلًا قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون ومارّ الطريق يوما او ساعة من ليل او نهار ثم تصير يبابا موحشة كالقفار بعد ان كانت ممتعة الفناء بيض الصفاح وسمر القنا قال الزمخشرى ويحتمل ان شؤم معاصى المهلكين بقى اثره فى ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وَكُنَّا اى ازلا

وابدا نحن لا غيرنا الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر متصرفاتهم
قال القائل ــه تخلف الاثار عن اصحابها ۞ حينا ويدركها الفناء فتتبع ۞ وما كان ربك اى المحسن
اليك بالاحسان بارسالك الى الناس مهلك القرى اى هذا الجنس كله بجرم وان عظم حتى يبعث
فى امها اى اعظمها واشرفها رسولا لان غيرها تبع لها ولم يشترط كونه من اهلها فقد كان عيسى عليه
السلام من الناصرة وبعث الى بيت المقدس يتلوا عليهم اى اهل القرى كلهم اياتنا الدالة على ماينبغى لنا
من الحكمة وبما لها من الاعجاز على نفوذ الكلمة وباهر العظمة الزاما بالحجة وقطعا للمعذرة لئلا يقولوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا ولذلك لما اردنا عموم الخلق بالرسالة جعلنا الرسول وهو محمد صلى الله
عليه وسلم خاتم الانبياء من ام القرى كلها وهى مكة البلد الحرم وما كنا مهلكى القرى
اى كلها بعد الارسال الا واهلها ظالمون اى عريقون فى الظلم بالعصيان بترك ما دعاهم اليه
وتكذيب الرسل وما اوتيتم من شىء اى من اسباب الدنيا فمتاع اى فهو متاع الحيوة الدنيا
تتمتعون بها ايام حياتكم وليس يعود نفعه الى غيرها فهو ايل الى فناء وان طال زمن التمتع به
وزينتها اى فهو زينة الحيوة الدنيا التى هى كلها تضمحل عن زينتها الى فناء فليست هى لاشىء باقى
ولا ابدى وما عند الله اى الملك الاعلى وهو ما لا عين رأت ولا اذن سمعت خير على تقدير
مشاركة ما فى الدنيا له فالخيرية فى ظنكم لان الذ وعنده اطيب واكثر واشهى وازهى ثم هو
مع ذلك كله ابقى لانه وان شارك متاع الدنيا فى انه لم يكن ازليا فهو ابدى وهذا جواب عن
شبههم فانهم قالوا ان كنا الدين لئلا تفوتنا الدنيا فبين تعالى ان ذلك خطأ عظيم لان ما عند الله خير
وابقى من وجهين الاول ان المنافع هناك اعظم والثانى انها خالصة عن الشوائب ومنافع الدنيا
مشوبة بالمضار بل المضار فيها اكثر واما انها ابقى فلانها دائمة غير منقطعة ومتى قوبل المتناهى
بغير المتناهى كان عدما فظهر بهذا ان منافع الدنيا لا نسبة لها الى منافع الاخرة فلا جرم
نبه على ذلك بقوله تعالى افلا تعقلون ان الباقى خير من الفانى فيستبدلون الذى هو ادنى
بالذى هو خير فمن لم يرجح منافع الاخرة على منافع الدنيا فانه يكون خارجا عن حد العقل قال
ابن عادل ورحم الله الشافعى حيث قال من اوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث
الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان اعقل الناس من اعطى القليل واخذ الكثير وما هم الا
المشتغلون بالطاعة فكانه رحمه الله تعالى انما اخذه من هذه الاية انتهى وقرأ ابو عمرو بالياء
وهو ابلغ فى الموعظة لاشتماله على الالتفات للاعراض به عن خطابهم والباقون بالتاء على
الخطاب جريا على ما تقدم افمن وعدناه على عظمتنا فى الغنى والقدرة والصدق وعدا
حسنا لا شىء احسن منه فى موافقته للامنية وبقائه وهو الجنة فان حسن الوعد بحسن
الموعود ولذلك سمى الله تعالى الجنة بالحسنى فهو لاقيه اى مدركه لامتناع الخلف فى وعده
ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا اى الذى هو

مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع وعن ابن عباس ان الله تعالى خلق
الدنيا وجعل اهلها ثلاثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر
يتمتع ثُمَّ هُوَ مع ذلك كله يَوْمَ الْقِيَامَةِ الذي هو يوم التغابن من خسر فيه لم يربح اصلا مِنَ الْمُحْضَرِينَ اي
المقهورين على الحضور الى مكان يود لو افتدى منه بملء الارض ذهبا لم يقبل منه قال قتادة يعني
المؤمن والكافر وقال مجاهد نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقال محمد بن كعب نزلت
في حمزة وعلي وفي ابي جهل وقال السدي نزلت في عمار والوليد بن مغيرة + تنبيه + ثم لتراخي حال
الاحضار عن حال التمتع في الزمان او الرتبة وقرأ ثم هو قالون والكسائي بسكون الهاء والباقون بالضم
وَيَوْمَ اي واذكر يوم يُنَادِيهِمْ اي ينادي الله هؤلاء الذين يضلون الناس ويصدون عن سبيل
الله فَيَقُولُ اي الله تعالى أَيْنَ شُرَكَائِيَ من الاوثان وغيرهم ثم بين انهم لا يستحقون هذا الاسم
بقوله تعالى الَّذِينَ كُنْتُمْ اي كونا ضريبين فيه تَزْعُمُونَ انها تشفع ليدفعوا عنكم وعن انفسهم فيخلصكم
من هذا الذي نزل بكم + تنبيه + تزعمون مفعولاه محذوفان اي تزعمونهم شركائي قَالَ الَّذِينَ
حَقَّ اي ثبت ووجب عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ اي بدخول النار وهم رؤس الضلالة وهو قوله تعالى لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد وقولهم رَبَّنَا هَؤُلَاءِ اشارة للاتباع
الَّذِينَ أَغْوَيْنَا اي اوقعنا الاغواء وهو الاضلال بهم صفته والعائد حذف وقولهم أَغْوَيْنَاهُمْ
اي فغووا باختيارهم كَمَا غَوَيْنَا اي نحن فهؤلاء مبتدأ والذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول
محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا
يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغويا اغوانا بقسر منه والجاء او دعونا الى الغي وسولوه لنا
فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق
اذا بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا لهم داعيا الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله تعالى لهم
الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وبما بعث اليهم من الرسل وانزل اليهم من الكتب المشحونة
بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى
ما حكاه الله تعالى عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم + تنبيه + اعترض ابو علي على الزمخشري في هذا
الاعراب بان الخبر ليس فيه زيادة فائدة على ما في صفته فان قلت قد وصل الخبر بقوله كما غوينا
وفيه زيادة قلت الزيادة بالظرف لا تصيره اصلا في الجملة لان الظروف فضلات ثم انه اعرب هو هؤلاء
مبتدأ والذين اغوينا خبره واغويناهم مستأنف واجاب ابو البقاء وغيره بان الظرف قد يلزم كقولك
زيد عمرو قائم في داره ثم اشاروا بقولهم تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ اي من امورهم الى انه لا لوم علينا في الحقيقة
بسببهم فهو تقرير للجملة الاولى ولهذا خلت عن العاطف على تقدير اخواتها لهم مَا كَانُوا إِيَّانَا اي خاصة
يَعْبُدُونَ بل كانوا يعبدون الاوثان بما زينت لهم اهواؤهم وان كان لنا فيه نوع دعاء لهم فقد

عليه فاقل ما نريد ان يوزع العذاب على من كان سببا فى ذلك وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اى تبرأنا
من عبادتهم ايانا + ولم يلتفت الى هذا الكلام منهم بل عدّ عدما لانه لا طائل تحته اشير الى الاعراض عنه
لانه لا يستحق جوابا كما قيل رب قول جوابه السكوت بقوله تعالى وَقِيلَ اى ثانيا للاتباع تهكما بهم
واظهار العجزهم الملزوم لتحيرهم وعظم تاسفهم وذكر ذلك بصيغة المجهول للاستهانة بهم
وانهم من الذل والصغار بحيث يجيبون كل من كائنا من كان ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ اى الذين
ادعيتم جهلا شركتهم ليدفعوا عنكم العذاب فَدَعَوْهُمْ تعللا بما لا يغنى وتمسكا بما يحقق انه لا يجدى لفرط
الغلبة واستيلاء الحيرة والدهشة فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ اى لم يجيبوهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة قال ابن عادل
والاقرب ان هذا على سبيل التقريع لانهم يعلمون انه لا فائدة فى دعائهم وَرَأَوُا اى هم الْعَذَابَ عالمين
بانه مواقعهم لا مانع له عنهم فكان الحال حينئذ مقتضيا لان يقال من كل من يهواهم لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ
اى تحصل منهم هداية ساعة من الدهر تاسفا على امرهم وتمنيا لخلاصهم ولو ان ذلك كان
فى طاقتهم وجواب لو محذوف اى لنجوا من العذاب ولما راوه اصلا قال الضحاك ومقاتل يعنى
المتبوع والتابع يرون العذاب ولو انهم كانوا يهتدون فى الدنيا ما ابصروه فى الآخرة وَيَوْمَ
يُنَادِيهِمْ اى الله تعالى وهم بحيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصر قد برزوا لله جميعا من
كان منهم عاصيا ومن كان منهم مطيعا فى صعيد واحد قد اخذ بانفاسهم الزحام وتراكبت الاقدام على
الاقدام والجمهم العرق وعمهم الغرق فَيَقُولُ مَاذَا اى اوضحوا وعينوا جوابكم الذى أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ
اليكم + تنبيه + ويوم معطوف على الاول فانه تعالى يسأل عن اشراكهم به ثم تكذيبهم
الانبياء ولما لم يكن لهم قدم صدق ولا سابق حق بما اتتهم الرسل به من الحجج لم يكن لهم جواب
الا السكوت وهو المراد بقوله تعالى فَعَمِيَتْ اى خفيت واظلمت عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ اى الاخبار المنجية يَوْمَئِذٍ
التى هى من العظمة بحيث يحق لها فى ذلك اليوم ان تذكر + تنبيه + الاصل فعموا عن الانباء لكنه عكس
مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج واذا اخطأه لم يكن له حيلة
الى استحضاره واذا كان الرسل عليهم الصلوة والسلام فى ذلك اليوم يفوضون الى علم الله تعالى
فما ظنك بالضلال فلهذا قال تعالى فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ اى لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط
الدهشة او للعلم بانه مثله هذا حال من اصر على كفره فَأَمَّا مَنْ تَابَ عنه وقوله تعالى وَآمَنَ تصريح بما علم
التزاما فان الكفر والايمان ضدان لا يمكن ترك احدهما الا بالاخذ للآخر وقوله تعالى وَعَمِلَ صَالِحًا لاجل
ان يكون مصدقا لدعواه باللسان فَعَسَى اذا فعل ذلك أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ عند الله وعسى
تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح ولما كان كانه قيل مالاهل القسم
الاول لا يتوقعون النجاة من ضيق ذلك البلاء الى رحب هذا الرجاء وكان الجواب بذلك منهم
من ذلك وماله لم يقطع لهذا القسم بالفلاح كما قطع لاهل القسم الاول بالشقاء كان الجواب
وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ لا موجب عليه ولا مانع له مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ اى ان يفعلوا

يفعل لهم كل ما يختارونه * تنبيه * الخيرة بمعنى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم
رأسا قال البيضاوى والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العبيد مخلوق منوط بدواع لا اختيار
لهم فيها وقال الرازى فى اللوامع وفيه دليل على ان العبد فى اختياره غير مختار فلهذا اهل الرضا
حطوا الرحال بين يدى ربهم وسلموا الامور اليه بصفاء التفويض يعنى فان امرهم او نهاهم بادروا
وان اصابهم سهام المصائب العظام صابروا وان اعزهم اعزوا انفسهم واكرموا وان اذلهم رضوا
وسلموا فلا يرضيهم الا ما يرضيه ولا يريدون الا ما يريده فيمضيه قال القائل ــه وقف الهوى
لى حيث انت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم * اجد الملامة فى هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمنى
اللوم * واهنتنى فاهنت نفسى صاغرا * ما من يهون عليك ممن يكرم * وقيل ما موصولة مفعول
ليختار والراجع محذوف والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح سُبْحَانَ اللّٰهِ
تنزيها له ان يزاحمه احد او ينازع اختياره وَتَعَالَىٰ اى علا علوا لا تبلغ العقول توجيه كنه مداه
عَمَّا يُشْرِكُونَ اى عن اشراكهم او مشاركة ما يشاركونه به * ولما كانت القدرة لا تتم الا بالعلم
قال تعالى وَرَبُّكَ اى المحسن اليك المتولى امر تربيتك يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ اى تخفى وتستر صُدُورُهُمْ
من كونهم يومنون على تقدير ان تاتيهم ايات مثل ايات موسى عليه السلام او لا يؤمنون ومن
كون ما اظهروا من الايمان بلسانه خالصا او مشوبا ومن كونهم يخفون عداوة الرسول صلى الله
عليه وسلم وَمَا يُعْلِنُونَ اى يظهرون من ذلك كل ذلك لديه سواء فلا يكون لهم مراد الا بخلقه
فان قيل هلا اكتفى بقوله تعالى ما تكن صدورهم عن قوله وما يعلنون اجيب بان علم الخفى لا يستلزم
علم الجلى اما لبعد او لغط او اختلاط اصوات يمنع تميز بعضها عن بعض او غير ذلك * ولما كان
علمه تعالى بذلك انما هو لكونه الها واحدا فردا صمدا وكان غيره لا يعلم من علمه الا ما علمه
قال تعالى وَهُوَ اللّٰهُ اى المستأثر بالالهية الذى لا سمى له الذى لا يحيط الواصفون بكنه عظمته
ثم شرح معنى الاسم الاعظم بقوله تعالى لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وهذا تنبيه على كونه قادرا على
كل الممكنات عالما بكل المعلومات منزها عن النقائص والآفات ثم علل ذلك بقوله تعالى
لَهُ اى وحده الْحَمْدُ اى الاحاطة باوصاف الكمال فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ لانه المولى النعم كلها
عاجلها واجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا فان قيل الحمد فى الدنيا ظاهر فالحمد
فى الآخرة اجيب بانهم يحمدونه بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا
وعده و آخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين والتوحيد هناك على وجه اللذة لا الكلفة
وفى الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وَلَهُ الْحُكْمُ اى القضاء النافذ فى كل شئ وقال ابن عباس
حكم لاهل الطاعة بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاء وَإِلَيْهِ لا الى غيره تُرْجَعُونَ اى بايسر امر
يوم النفخ فى الصور لبعثرة ما فى القبور بالبعث والنشور مع انكم الآن راجعون فى جميع احكامكم
اليه ومقصورون عليه ان شاء امضاها وان اراد ردها ولو اما ففى الآية غاية التقوية للقلوب

المطيعين ونهاية الزجر والردع للمتمردين ثم بين سبحانه وتعالى بعض ما يجب ان يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه بقوله تعالى قُلْ اى يا افضل الخلق لاهل مكة اَرَءَيْتُمْ اى اخبرونى اِنْ جَعَلَ اللّٰهُ اى الملك الاعلى عَلَيْكُمُ الَّيْلَ اى الذى به اعتدال حر النهار سَرْمَدًا اى دائما اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لا نهار معه مَنْ اِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ اى العظيم الشان الذى لا كفؤ له يَاْتِيْكُمْ بِضِيَآءٍ اى بنهار تطلبون فيه المعيشة اَفَلَا تَسْمَعُوْنَ اى ما يقال لكم سماع اصغاء وتدبر قُلْ اَرَءَيْتُمْ اِنْ جَعَلَ اللّٰهُ اى الذى له الامر كله عَلَيْكُمُ النَّهَارَ اى الذى توازن حرارته برطوبة الليل فيتم بها صلاح النبات وغير ذلك من جميع المقدرات سَرْمَدًا اى دائما اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لا ليل فيه مَنْ اِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ اى الجليل الذى ليس له مثل يَاْتِيْكُمْ بِلَيْلٍ اى ينشأ منه ظلام تَسْكُنُوْنَ فِيْهِ استراحة عن متاعب الاشتغال فان قيل هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه اجيب بانه تعالى ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التى تتعلق به متكاثرة ليس التصرف فى المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدرك البصر من ذلك منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل اَفَلَا تُبْصِرُوْنَ لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون قال البقاعى فالاية من الاحتباك ذكر الضياء اولا دليلا على حذف الظلام ثانيا والليل والسكون ثانيا دليلا على حذف النهار والانتشار اولا ولما كان التقدير ومن رحمته جعل لكم السمع والابصار لتتدبروا اياته وتبصروا فى مصنوعاته عطف عليه وَمِنْ رَّحْمَتِهٖ اى التى وسعت كل شئ لا من غيرها من خوف او رجاء او تعلق غرض من الاغراض جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ايتين عظيمتين دبر فيهما وبهما جميع مصالحكم فجعل اية الليل لِتَسْكُنُوْا فِيْهِ فلا تسعوا فيه لمعاشكم وجعل اية النهار مبصرة لِتَبْتَغُوْا مِنْ فَضْلِهٖ بان تسعوا فى معاشكم بجهدكم قال البقاعى فالاية من الاحتباك ذكر اولا السكون دليلا على حذف السعى فى المعاش ثانيا وذكر الابتغاء من فضله ثانيا دليلا على حذف عدم السعى فى المعاش اولا وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ اى وليكون حالكم حال من يرجى منه الشكر لما يتجدد لكم من تقلبهما من النعم المتوالية التى لا يحصرها الا خالقها واما الاخرة فلما كانت غير مبنية على الاسباب وكانت الجنة لا تعب فيها بوجه كان لا حاجة فيها الى الليل وَيَوْمَ يُنَادِيْهِمْ فَيَقُوْلُ اَيْنَ شُرَكَآءِيَ الَّذِيْنَ كُنْتُمْ تَزْعُمُوْنَ تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شئ اجلب لغضب اللّٰه تعالى من الاشراك به كما انه لا شئ ادخل فى مرضاته من توحيده اللهم فكما ادخلتنا فى اهل توحيدك فادخلنا فى الناجين من عبيدك ومتعنا بالنظر الى وجهك الكريم يا ارحم الراحمين ويحتمل ان يكون الاول لتقرير فساد رايهم والثانى لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى او انه ذكر الثانى كما قال الجلال المحلى ليبنى عليه وَنَزَعْنَا اى اخرجنا وافردنا بقوة وسطوة مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ شَهِيْدًا اى وهو رسولهم يشهد عليهم بما قالوه فَقُلْنَا اى فتسبب عن ذلك ان قلنا للامم هَاتُوْا بُرْهَانَكُمْ اى دليلكم القطعى الذى زعمتم ولذنا اليه وعولتم فى اشراككم عليه كما هو شان ذوى العقول انهم لا يبنون شيئا على غير اساس فَعَلِمُوْا اى بسبب هذا

السؤال لما اضطروا ولم يجدوا لهم سندا أَنَّ الْحَقَّ فى الالهية لِلّٰهِ اى الملك الذى له الامر كله
لا يشاركه فيه احد وَضَلَّ عَنْهُمْ اى غاب غيبة الضائع مَا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَ اى يقولونه قول الكاذب ع
المتعمد للكذب لكونه لا دليل عليه ولا شبهة للغلط فيه إِنَّ قَارُوْنَ ويسمى فى التورية قورح كَانَ مِنْ قَوْمِ
مُوْسىٰ قال اكثر المفسرين كان ابن عمه لان قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى
عليه السلام ابن عمران بن قاهث ابن لاوى وقال ابن اسحق كان قارون عم موسى فكان اخا عمران
وهما ابنا يصهر ولم يكن فى بنى اسرائيل اقرأ للتورية من قارون ولكنه نافق كما نافق السامرى وكان
يسمى المنور لحسن صورته وعن ابن عباس كان ابن خالته فَبَغىٰ عَلَيْهِمْ اى تجاوز الحد فى احتقارهم
بما خولناه فيه قيل كان عاملا لفرعون على بنى اسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم وقال قتادة بغى
عليهم بكثرة المال ولم يرع لهم حق الايمان بل استخف بالفقراء وقال الضحاك بغى عليهم بالشرك وقال
شهر بن حوشب زاد فى طول ثيابه شبرا روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء وقال القفال طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده
وقال ابن عباس تكبر عليهم وتجبر وقال الكلبى حسد هرون عليه السلام على الحبورة روى اهل
الاخبار ان قارون كان اعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون واجملهم واغناهم وكان حسن الصوت
فبغى وطغى وكان اول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى اوحى الى موسى ان يأمر قومه ان يعلقوا فى اردیتهم
خيوطا اربعة فى كل طرف خيطا اخضر كلون السماء يذكرون اذا نظروا اليها السماء ويعلمون انى منزل منها
كلامى فقال موسى عليه السلام يا رب افلا تأمرهم ان يجعلوا اردیتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تحقر
هذه الخيوط فقال الله تعالى يا موسى ان الصغير من امرى ليس بصغير فان لم يطيعونى فى الامر الصغير
لم يطيعونى فى الامر الكبير فدعاهم موسى عليه السلام وقال ان الله تعالى يأمركم ان تعلقوا فى اردیتكم
خيوطا خضرا كلون السماء لكى تذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعل بنو اسرائيل ما امرهم به واستكبر
قارون ولم يفعل وقال انما يفعل هذا الارباب بعبيدهم لكى يتميزوا عن غيرهم وكان هذا
بدء عصيانه وبغيه ولما قطع الله تعالى لبنى اسرائيل البحر واغرق فرعون جعل الحبورة لهرون
عليه الصلوة والسلام فحصلت له النبوة والحبورة وكان له القربان والذبح وكان لموسى عليه السلام
الرسالة فوجد قارون لذلك فى نفسه وقال يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست فى شئ
لا اصبر انا على هذا فقال موسى عليه السلام والله ما صنعت ذلك لهرون بل الله تعالى جعلها له فقال
قارون والله لا اصدقك حتى تريني بيانه فجمع موسى عليه السلام رؤسا بنى اسرائيل وامرهم ان يجئ
كل رجل منهم بعصاه فجاؤا بها فحزمها والقاها موسى عليه السلام فى قبة له كان يعبد الله تعالى فيها وكان
ذلك بامر الله تعالى ودعا موسى عليه السلام ان يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فاصبحت
عصا هرون عليه السلام وقد اهتز لها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى عليه السلام لقارون
الا ترى ما صنع لهرون عليه السلام فقال والله ما هذا باعجب مما تصنع من السحر فاعتزل قارون

ومعه ناس كثير وولى هرون عليه السلام الحبورة وهي رياسة الذبح والقربان وكانت بنو اسرائيل
يأتون بهداياهم الى هرون عليه السلام فيضعها في المذبح وتنزل نار من السماء فتأكلها واعتزل قارون
باتباعه وكان كثير المال والتبع من بني اسرائيل فكان لا يأتي موسى عليه السلام ولا يجالسه وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان قارون كان من السبعين المختارة الذين سمعوا كلام الله تعالى + ولما
ذكر الله تعالى بغيه ذكر سببه الحقيقي بقوله تعالى وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ اي الاموال المدفونة المذخورة فضلا
عن الظاهرة التي هي بصدد الانفاق منها لما عساه يعرض من المهمات مَا اي الذي او شيء كثير
لا يدخل تحت حصر حتى إِنَّ مَفَاتِحَهُ اي مفاتيح الاغلاق التي هو مدفون فيها وراء ابوابها لَتَنُوءُ اي
تميل بجهد ومشقة بثقلها بِالْعُصْبَةِ اي الجماعة الكثيرة التي تعصب اي يقوي بعضهم بعضا أُولِي اي
اصحاب الْقُوَّةِ اي تميلهم من اثقالها اياهم + تنبيه + في المبالغة بالتعبير بالكنوز والمفاتح والنوء والعصبة
الموصوفة ما يدل على انه اوتي من ذلك ما لم يؤته احد ممن هو في عداده وكل ذلك مما تستبعده
العقول فلذلك وقع التأكيد واختلفوا في عدد العصبة فقال مجاهد ما بين العشرة الى خمسة عشر
وقال الضحاك عن ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقال قتادة ما بين العشرة الى الاربعين
وقيل اربعون رجلا وقيل سبعون وروى عن ابن عباس قال كان يحمل مفاتحه اربعون رجلا
اقوى ما يكون من الرجال وقال جرير عن منصور عن خيثمة قال وجدت في الانجيل ان مفاتح
خزائن قارون وقر ستين بغلا ما يزيد فيها مفتاح على اصبع لكل مفتاح كنز ويقال كان قارون
اينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما اثقلت عليه جعلت من خشب فثقلت
فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع وكانت تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا وفي الباء في
بالعصبة وجهان انها للتعدية كالهمزة ولا قلب في الكلام والمعنى لتنوء المفاتح العصبة الاقوياء
كما تقول اجأته وجئت به واذهبته وذهبت به والثاني قال ابو عبيدة ان في الكلام قلبا والاصل
لتنوء العصبة بالمفاتح اي لتنهض بها كقولهم عرضت الناقة على الحوض ولما ذكر الله تعالى بغيه ذكر وقته
بقوله تعالى إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ اي من بني اسرائيل لَا تَفْرَحْ اي بكثرة المال فرح بطر فان الفرح
بالعرض الزائل يدل على الركون اليه وذلك يدل على نسيان الآخرة وعلى غاية الجهل وقلة
التأمل بالعواقب قال ابن عباس كان فرحه ذلك شركا لانه ما كان يخاف معه عقوبة الله عز
وجل إِنَّ اللَّهَ اي الذي له صفات الكمال لَا يُحِبُّ اي لا يعامل معاملة المحب الْفَرِحِينَ
اي البطرين الاشرين الراسخين في الفرح بما يفنى الذين لا يشكرون الله تعالى بما اعطاهم فان فرحهم
يدل على سقوط الهمم كما قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وقال القائل في ذلك ولست بمفراح
اذا الدهر سرني + وقال آخر اشد الغم عندي في سرور + تيقن عنه صاحبه انتقالا +
فلا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن فاما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه مفارق ما فيه عن
قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وَابْتَغِ اي اطلب طلبا تجتهد نفسك فيه فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ اي

الملك الذى الامر كله بيده من الغنى والثروة الدار الآخرة بان تقوم بشكر الله فيما انعم الله عليك
وتنفقه فى رضا الله تعالى فيجازيك بالجنة ولا تنس اى ولا تترك نصيبك من الدنيا قال مجاهد
لا تترك ان تعمل فى الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا
ان يعمل للآخرة وقال السدى بالصدقة وصلة الرحم وقال على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه
لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الآخرة روى انه صلى الله عليه وسلم
قال فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحيوة
قبل الموت فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة والنار
وعن ميمون الازدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك
قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك
وقال الحسن امران يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه وقال منصور بن زادان قوتك وقوت اهلك واحسن
اى اوقع الاحسان بدفع المال الى المحاويج والانفاق فى جميع الطاعات ويدخل فى ذلك الاعانة بالجاه
وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وحسن الذكر كما احسن الله الجامع لصفات الكمال اليك بان تعطى عطاء
من لا يخاف الفقر كما اوسع الله عليك ولا تبغ اى ولا ترد ارادة ما الفساد فى الارض بتقتير ولا تبذير
ولا تكبر على عباد الله تعالى ولا تحقير ثم اتبع ذلك علته مؤكدا لان اكثر المفسدين يبسط لهم فى الدنيا
واكثر الناس يستبعد ان يبسط فيها الغير محبوب فقيل ان الله اى العالم بكل شئ القدير على كل شئ
لا يحب المفسدين اى لا يعاملهم معاملة من يحبه وقيل ان القائل له هذا موسى عليه السلام وقيل
مؤمنو قومه وكيف كان فقد جمع فى هذا الوعظ ما فيه مزيد لكنه ابى ان يقبل بل زاد عليه كفر النعمة بان
قال اى قارون فى الجواب انما اوتيته اى هذا المال على علم حاصل عندى فانه كان اعلم بنى اسرائيل
بالتوراة اى فرأى له اهلا ففضلنى بهذا المال عليكم كما فضلنى بغيره وقيل هو علم الكيمياء وقال
سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم
قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان ذلك سبب امواله وقيل على علم
عندى بالتصرف فى التجارات والزراعات وانواع المكاسب ثم اجاب الله تعالى عن كلامه بقوله تعالى
اولم يعلم ان الله اى بما له من صفات الجلال والعظمة والكمال قد اهلك وقوله تعالى من قبله من القرون
فيه تنبيه على انه لم يتعظ مع مشاهدته للمهلكين الموصوفين مع قرب الزمان من بعده وقوله تعالى
من هو اشد منه قوة اى فى البدن والمعانى من العلم وغيره والانصار والخدم واكثر جمعا فى المال
والرجال آخرهم فرعون الذى شاهده فى ملكه وحقق امره يوم هلكه فيه تعجيب وتوبيخ على اغتراره بقوته
وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأ فى التوراة وكان اعلمهم بها وسمعه من حفاظ التواريخ واختلف
فى معنى قوله عز وجل ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فقال قتادة يدخلون النار بغير سؤال ولا حساب
وقال مجاهد لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم وقال الحسن لا يسألون سؤال

استعلام وانما يسئلون سؤال توبيخ وتقريع وقيل المراد ان الله تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة به
الى سؤالهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة الى السؤال فان قيل
كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون اجيب بحمل ذلك على
وقتين وقال ابو مسلم السؤال قد يكون للمحاسبة وقد يكون للتوبيخ والتقريع وقد يكون للاستعتاب
قال ابن عادل واليق الوجوه بهذه الآية الاستعتاب لقوله تعالى ثم لا يؤذن للذين كفروا ولاهم
يستعتبون هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فَخَرَجَ اى فتسبب عن تجبره واغتراره
بماله ان خرج عَلَىٰ قَوْمِهِ اى الذين نصحوه فى الاقتصاد فى شانه والاكثار فى الجود على اخوانه وقوله
تعالى فِى زِينَتِهِ فيه دليل على انه خرج باظهر زينته واكملها وليس فى القرآن الا هذا القدر والناس
ذكروا وجوها مختلفة فقال ابراهيم النخعى انه خرج هو وقومه فى ثياب حمر وصفر وقال ابن زيد فى تسعين
الفا عليهم المعصفرات وقال مقاتل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الارجوان ومعه
اربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الحمر
على البغال ولما كان كانه قيل ماذا قال قومه له قيل قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا منهم لسفول
هممهم وقصور نظرهم على الفانى لكونهم اهل جهل وان كان قولهم من باب الغبطة لا من باب
الحسد الذى هو تمنى زوال نعمة المحسود يَا لَيْتَ لَنَا اى تمنيا عظيما ان نؤتى من اى موت كان
وعلى اى وصف كان مِثْلَ مَا اُوتِىَ قَارُوْنُ اى من هذه الزينة وما تسبب عنه من العلم حتى لا نزال
اصحاب اموال ثم عظموها بقولهم مؤكدين لعلمهم ان ثم من يريد ان ينكر عليهم اِنَّهُ لَذُوْ حَظٍّ اى
اى نصيب وبخت من الدنيا عَظِيْمٍ بما اوتيه من العلم الذى كان سببا له الى جمع هذا المال وهؤلاء الراغبون
يحتمل ان يكونوا من الكفار وان يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدنيا ودل على جهلهم وفضل العلم الربانى
وحقارة ما اوتى قارون من المال والعلم الظاهر الذى ادى الى اتباعه قوله تعالى وَقَالَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْعِلْمَ
وهم اهل الدين قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعنى الاحبار من بنى اسرائيل وقال مقاتل
اوتوا العلم بما وعد الله فى الآخرة فقالوا للذين تمنوا وَيْلَكُمْ وويل اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر
والردع والبعث على ترك ما يضر وهو منصوب بمحذوف اى الزمكم الله ويلكم ثَوَابُ اللّٰهِ اى الجليل
العظيم خَيْرٌ اى من هذا الحطام الذى اوتيه قارون فى الدنيا بل من الدنيا وما فيها ومن فاته الخير
حل به الويل ثم بينوا مستحقه تعظيما له وترغيبا للسامع فى حاله بقولهم لِمَنْ اٰمَنَ وَعَمِلَ تصديقا لايمانه
صَالِحًا ثم بين تعالى عظمة هذه النصيحة وعلو قدرها بقوله تعالى وَلَا يُلَقّٰهَا اى هذه النصيحة التى قالها
اهل العلم وهى الزهد فى الدنيا والرغبة فيما عند الله او الجنة المثاب بها اِلَّا الصّٰبِرُوْنَ اى على
اداء الطاعات والاحتراز عن المحرمات وعلى الرضا بقضاء الله فى كل ما قسم من المنافع والمضار الذين
صار الصبر لهم خلقا ولما تسبب عن نظره هذا الذى اوصله الى الكفر به اخذه بالعذاب اشار
الى ذلك بقوله سبحانه وتعالى فَخَسَفْنَا اى بما لنا من العظمة بِهٖ وَبِدَارِهِ الْاَرْضَ روى انه كان

يؤذي موسى عليه الصلوة والسلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه كل وقت ولا يزيد
الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب
وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويضاحكونه قال ابن عباس نزلت الزكوة
على موسى عليه السلام فاتاه قارون فصالحه عن كل الف دينار بدينار وعن كل الف درهم بدرهم
وعن كل الف شاة بشاة فلم تسمح بذلك نفسه فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى قد امركم بكل شيء فاطعتموه
وهو الآن يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا فامرنا بما شئت قال امركم ان تجيئوا بفلانة البغي فتجعل
لها جعلا حتى تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل ورفضوه فدعاها فجعل لها
قارون الف درهم وقيل الف دينار وقيل طشتا من ذهب وقيل قال لها اني امونك واخلطك بنسائي على ان
تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد وكان يوم عيد لهم قام موسى عليه السلام
خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال له قارون ولو كنت
انت قال ولو كنت انا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت
فلما ان جاءت قال لها موسى يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هؤلاء فعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر
لبني اسرائيل وانزل التوراة الا صدقت فتداركها الله تعالى بالتوفيق وقالت في نفسها احدث اليوم توبة
افضل من ان اوذي رسول الله فقالت لا كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر
موسى ساجدا يبكي ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله تعالى اليه اني امرت الارض
ان تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى عليه السلام يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون
فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا ولم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا ارض
خذيهم فاخذتهم الارض باقدامهم وفي رواية كان على فراشه وسريره فاخذته حتى غيبت سريره ثم قال
خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى
الاعناق وقارون وصاحباه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون بالله والرحم حتى روي
انه ناشده سبعين مرة وموسى في كل ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا ارض خذيهم فانطبقت
عليهم الارض فاوحى الله تعالى اليه ما اغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم ترحمه وعزتي
وجلالي لو دعاني مرة واحدة لاجبته وفي بعض الآثار لا اجعل الارض بعدك طوعا لاحد قال قتادة
خسف به فهو يتجلجل في الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة قال واصبح بنو اسرائيل يتناجون
فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وباموالة فاياكم يا امة
هذا النبي ان تردوا ما اتاكم به من الرحمة فتهلكوا وان كنتم اقرب الناس اليه فان قارون كان من اقارب موسى
عليه السلام فان الانبياء عليهم السلام كما انهم لا يوصلون الهدى في قلوب اعدائهم فكذلك لا يمنعونهم
من الردى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فلما اوقع سبب عنه انه ما كان له اي لقارون في ذلك الحال الذي استقر
في الاذهان ان الاكابر منصورون بزيادة الجار في قوله تعالى من فئة اي اعوان واصل الفئة

الجماعة من الطير كانها سميت بذلك لكثرة رجوعها وسرعتها الى المكان الذى ذهبت منه
ينصرونه من دون الله اى غيره بان يمنعوا عنه الهلاك وما كان من المنتصرين اى الممتنعين منه
من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع ولما خسف به واستبصر الجهال الذين هم
كالبهائم لايرون الا المحسوسات ذكر حالهم بقوله واصبح اى وصار ولكنه ذكره لمقابلة المساء
الذين تمنوا اى ارادوا ارادة عظيمة بغاية الشفقة ان يكونوا مكانه اى تكون حاله ومنزلته فى الدنيا
لهم بالامس اى الزمان الماضى القريب وان لم يكن يلى يومهم الذى هم فيه فالامس قد يذكر
ولا يراد به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة يقولون ويكان
الله يبسط اى يوسع الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامته عليه ويقدر اى
يضيق على من يشاء لا لهوان من يضيق عليه بل لحكمته وقضائه ابتلاء منه وفتنة وَوَى اسم
فعل بمعنى اعجب اى انا والكاف بمعنى اللام وهذه الكلمة والتى بعدها متصلة باجماع المصاحف
واختلف القراء فى الوقف فالكسائى وقف على الياء قبل الكاف ووقف ابو عمرو على الكاف ووقف
الباقون على النون وعلى الهاء وحمزة يسهل الهمزة فى الوقف على اصله واما الوصل فلا خلاف فيه
بينهم والمعنى لاح لهم من واقعته ان الرزق انما هو بيد الله اتبعوه ما دل على انهم اعتقدوا ايضا ان الله
قادر على ما يريده من غير الرزق كما هو قادر على الرزق من قولهم لولا ان منّ الله اى تفضل الملك الاعظم
علينا بجوده ولم يعطنا ما تمنيناه من الكنوز على مثل حاله لخسف بنا مثل ما خسف به ويكانه لا يفلح
الكافرون لنعمة الله تعالى كقارون والمكذبون لرسله وبما وعد لهم من ثواب الاخرة وقوله تعالى ع
تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم وتفخيم لشانها اى تلك الدار التى سمعت بذكرها وبلغك وصفها
وتلك مبتدأ والدار صفته والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض بالبغى ولا فسادا بعمل
المعاصى فلم يعلق تعالى الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال تعالى
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن على رضى الله تعالى عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون
شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الامانى
ههنا وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه انه كان يرددها حتى قبض قال الزمخشرى ومن
الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض وبقوله تعالى
ولا تبغ الفساد فى الارض فيقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الاخرة ولا يتدبر قوله
تعالى والعاقبة اى المحمودة للمتقين اى عقاب الله تعالى بعمل طاعته كما تدبره على والفضيل وعمر بن
عبد العزيز رضى الله تعالى عنهم ولما بين تعالى ان الدار الاخرة ليست لمن يريد علوا فى الارض
ولا فسادا بل هى للمتقين بين بعد ذلك ما يحصل فقال تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها من عشرة
اضعافها الى سبعين الى سبعمائة ضعف الى ما لا يحيط به الا الله تعالى ومن جاء بالسيئة وهى ما نهى الله تعالى
عنه ومنه اخافة المؤمنين فلا يجزى اى من اى جاز واظهر ما فى هذا الفعل من الضمير لما ئد على

من بقوله تعالى الَّذِيْنَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ تصويرا لحالهم وتقبيحا لها وتنفيرا من عملها اِلَّا جَزَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُوْنَ
اى مثله وهذا من فضل الله العظيم وكرمه الواسع ان لايجزى السيئة الا مثلها ويجزى الحسنة باكثر
منها كما مرّ فان قيل قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها كرر ذكر الاحسان واكتفى
فى ذكر الاساءة بمرة واحدة فما السبب فى ذلك اجيب بان هذا المقام مقام ترغيب فى الدار الاخرة
فكانت المبالغة فى النهى عن المعصية مبالغة فى الدعوة الى الاخرة واما الاية الاخرى فهى شرح حالهم
فكانت المبالغة فى ذكر محاسنهم اولى فان قيل كيف انه تعالى لا يجزى السيئة الا مثلها مع ان المتكلم
بكلمة الكفر اذا مات فى الحال عذب ابد الاباد اجيب بانه كان على عزم انه لو عاش
ابدا لقال ذلك فعومل بمقتضى عزمه اِنَّ الَّذِيْ فَرَضَ اى انزل عَلَيْكَ الْقُرْاٰنَ قاله اكثر المفسرين
وقال عطاء اوجب عليك العمل بالقران وقال ابو على فرض عليك احكامه وفرائضه لَرَادُّكَ
اِلٰى مَعَادٍ اى معاد ليس لغيرك من البشر وهو المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه وتنكيرا
المعاد لذلك وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس يعنى الى الموت وقال الزهرى وعكرمة الى يوم
القيامة وقيل الى الجنة وروى العوفى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعنى الى مكة وهو قول
مجاهد وقال القتيبى معاد الرجل بلده ينصرف ثم يعود الى بلده وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم
لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار فى غير الطريق مخافة الطلب فلما امن رجع الى الطريق
ونزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها فاتاه جبرئيل عليه السلام فقال
اشتقت الى بلدك ومولدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القران لرادك
الى معاد قال الرازى وهذا اقرب لان ظاهر المعاد انه كان فيه وفارقه وحصل له العود اليه وذلك
لا يليق الا بمكة وان كان سائر الوجوه محتملا لكن ذلك اقرب قال اهل التحقيق وهذا احد ما يدل على نبوته لانه
اخبر عن الغيب فوقع كما اخبر فيكون معجزا ونزل جوابا لقول كفار مكة انك لفى ضلال مبين قُلْ اى
للمشركين رَبِّيْ اَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدٰى وما يستحقه من الثواب فى المعاد يعنى نفسه وَمَنْ هُوَ فِيْ ضَلٰلٍ
مُّبِيْنٍ يعنيهم وما يستحقونه من العذاب فى معادهم فهو الجائى بالهدى وهم فى الضلال تنبيه
من جاء منصوب بمضمر اى يعلم او باعلم ان جعلناها بمعنى عالم واعملناها عماله وَمَا كُنْتَ تَرْجُوْا اى فى
سالف الدهر بحال من الاحوال اَنْ يُّلْقٰى اى ينزل اول وحيه لتقدر على رده اِلَيْكَ الْكِتٰبُ اى بوحى اليك
القران قال البيضاوى اى سيردك الى معاد كما القى اليك الكتاب ما كنت ترجوه وهو ظاهر على ان المراد
بالمعاد مكة وقوله تعالى اِلَّا رَحْمَةً استثناء منقطع اى لكن القى اليك الكتاب رحمة مِّنْ رَّبِّكَ اى
فاعطاك القران وقيل متصل قال الزمخشرى هذا كلام محمول على المعنى كانه قيل وما القى اليك الكتاب
الا رحمة فيكون استثناء من الاحوال او من المفعول له فَلَا تَكُوْنَنَّ ظَهِيْرًا اى معينا لِّلْكٰفِرِيْنَ على دينهم
الذى دعوك اليه قال مقاتل وذلك حين دعى الى دين ابائه فذكره الله تعالى نعمه ونهاه عن
مظاهرتهم على ما هم عليه وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ اى قراءتها والعمل بها بَعْدَ اِذْ اُنْزِلَتْ

إِلَيْكَ اى لا ترجع اليهم فى ذلك وَادْعُ اى اوجد الدعاء إِلَىٰ رَبِّكَ اى الى عبادته وتوحيده وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اى باعانتهم ولم يؤثر الجازم فى الفعل لبنائه بخلافه فى يصدنك فانه حذف منه نون الرفع اذ اصله يصدوننك فحذفت نون الرفع للجازم ثم حذف الواو لالتقاء الساكنين وَلَا تَدْعُ اى تعبد مَعَ اللَّهِ اى الجامع لجميع صفات الكمال إِلَٰهًا آخَرَ فان قيل هذا وما قبله لا يقع منه صلى الله عليه وسلم فما فائدة ذلك النهى اجيب بانه ذكر للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم او ان الخطاب له والمراد غيره كما فى قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ثم علل ذلك بقوله تعالى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ اى لا نافع ولا ضار ولا معطى ولا مانع الا هو كقوله تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا فلا يجوز اتخاذ اله سواه ثم علل وحدانيته بقوله تعالى كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ اى ذاته فان الوجه يعبر به عن الذات وقال ابو العالية الا ما اريد به وجهه وقيل الا ملكه واختلفوا فى قوله تعالى هالك فمن الناس من فسر الهلاك باخراجه عن كونه منتفعا به بالاماتة او بتفريق الاجزاء وان كانت اجزاؤه باقية فانه يقال هلك الثوب وهلك المتاع ولا يريدون به فناء اجزائه بل خروجه عن كونه منتفعا به ومنهم من قال معنى كونه هالكا كونه قابلا للهلاك فى ذاته فان كل ما عداه تعالى ممكن الوجود قابل للعدم فكان قابلا للهلاك فاطلق عليه اسم الهالك نظرا الى هذا الوجه وعلى هذا يحمل قول النسفى فى بحر الكلام سبعة لا تفنى العرش والكرسى واللوح والقلم والجنة والنار باهلهما من ملائكة العذاب والحور العين والارواح لَهُ الْحُكْمُ اى القضاء النافذ فى الخلق وَإِلَيْهِ وحده تُرْجَعُونَ اى فى جميع احوالكم فى الدنيا وبالنشور من القبور للجزاء فى الاخرة فيجزيكم باعمالكم وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا حديث موضوع

سورة العنكبوت مكية

الا عشر آيات من اولها الى قوله تعالى وليعلمن المنافقين قال الحسن فانها مدنية وهى تسع وستون آية والف وتسعمائة واحدى وثمانون كلمة واربعة آلاف وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

بِسْمِ اللَّهِ الذى احاط بجميع القوة فاعز جنده الرَّحْمَٰنِ الذى شمل جميع العباد بنعمه الرَّحِيمِ بجميع خلقه وقوله تعالى الم سبق القول فيه فى اول البقرة ووقوع الاستفهام بعدها دليل على استقلاله بنفسه فيكون اسما للسورة او للقرآن او لله او انه سر استأثر بعلمه الله تعالى او استقلاله بما يضم معه بتقدير مبتدأ او خبرا وغيره مما مر اول سورة البقرة وقيل فى الم اشار بالالف الدال على القائم الاعلى المحيط ولام الوصلة وميم التمام بطريق الرمز الى انه تعالى ارسل جبريل الى محمد عليهما الصلوة والسلام ولما قال تعالى فى آخر السورة المتقدمة وادع الى ربك وكان فى الدعاء اليه الجراب والضراب والطعان لان النبى صلى الله عليه وسلم

وقف لازم

ع ثلثة ارباع

واصحابه كانوا مامورين بالجهاد فشق على البعض ذلك فقال تعالى أَحَسِبَ النَّاسُ اى كافة أَن يُتْرَكُوا
اى اظنوا انهم يتركون بغير اختبار وابتلاء فى وقت ما بوجه من الوجوه + تنبيه + ان يتركوا سد
مسد مفعولى حسب عند الجمهور أَن اى بان يَقُولُوا اى بقولهم آمَنَّا وَهُمْ اى والحال انهم لَا يُفْتَنُونَ
اى يختبرون بما تتميز به حقيقة ايمانهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات
وانواع المصائب فى الانفس والاموال ليتبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب لينالوا
بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص
من الخلود فى العذاب واختلفوا فى سبب نزول هذه الاية فقال الشعبى نزلت فى اناس كانوا بمكة قد
اقروا بالاسلام ثم هاجروا فتبعهم الكفار فمنهم من قتل ومنهم من نجى فانزل الله تعالى هاتين الايتين وعن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال انها نزلت فى عمار بن ياسر وعياش بن ابى ربيعة والوليد
ابن الوليد وسلمة بن هشام كانوا يعذبون بمكة وقال ابن جريج نزلت فى عمار بن ياسر كان يعذب
فى الله عز وجل وقال مقاتل نزلت فى مهجع بن عبد الله مولى عمر كان اول قتيل قتل من المسلمين
يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه
الامة فجزع عليه ابواه وامرأته فانزل الله تعالى فيهم هذه الاية وقيل وهم لا يفتنون بالاوامر والنواهى وذلك
ان الله تعالى امرهم فى الابتداء بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلوة والزكوة وسائر الشرائع
فشق على بعض فانزل الله تعالى هذه الاية ثم عزاهم فقال وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ اى
من الانبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنو اسرائيل بفرعون فكان
يسومهم سوء العذاب فذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها فلا ينبغى ان يتوقع خلافه فَلَيَعْلَمَنَّ
اللَّهُ اى الذى له الكمال كله الَّذِينَ صَدَقُوا فى ايمانهم علم مشاهدة للخلق والا فالله تعالى
لا يخفى عليه خافية وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ فيه اى فيظهر الله الصادقين من الكاذبين فى الايمان
+ فائدة + لبعض المحبين الهوى اية + اى علامة + بها يعرف الصادق فى عشقه من الكذاب
سهر الليل دائما ونحول الجسم والموت فى رضا الاحباب أَمْ حَسِبَ اى ظن الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ اى الشرك
والمعاصى فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح أَن يَسْبِقُونَا اى يفوتونا فلا ننتقم منهم وهذا ساد
مسد مفعولى حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحساب ابطل من الاول لان صاحب
ذلك يقدر ان لا يمتحن لايمانه وصاحب هذا يظن ان لا يجازى بمساويه ولهذا عقبه بقوله تعالى
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ اى بئس الذى يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم ولما بين
بقوله احسب الناس ان يتركوا ان العبد لا يترك فى الدنيا سدى وبين فى قوله ام حسب
الذين يعملون السيئات ان من ترك ما كلف به يعذب عذابا بين ان من يعترف بالاخرة ويعمل
لها لا يضيع عمله بقوله تعالى مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ اى الملك الاعلى قال ابن عباس ومقاتل
من كان يخشى البعث والحساب والرجاء بمعنى الخوف وقال سعيد بن جبير من كان يطمع (٤٠)

في ثواب الله ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ أي الوقت المضروب للقائه ﴿لَآتٍ﴾ أي لجاء لا محالة فإنه لا يجوز عليه إخلاف
الوعد فإن قيل كيف وقع فإن أجل الله لآت جوابا للشرط أجيب بأنه إذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء
آتيا لا محالة كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة قريب إذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة
وقال مقاتل يعني يوم القيامة لكائن ومعنى الآية أن من يخشى الله تعالى ويأمله فليستعد له وليعمل
لذلك اليوم كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ أي لما قالوه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمن
صدق فيما قال وبمن كذب فيثيب ويعاقب على حسب ذلك قال الرازي وههنا لطيفة وهي أن
العبد له أمور هي أصناف حسناته عمل قلبه وهو التصديق وهو لا يرى ولا يسمع وإنما يعلم وعمل لسانه
وهو يسمع وعمل أعضائه وجوارحه وهو يرى فإذا أتى بهذه الأشياء جعل الله تعالى لمسموعه ما لا أذن
سمعت ولمرئيه ما لا عين رأت ولعمل قلبه ما لا خطر على قلب بشر كما وصف في الخبر في وصف الجنة
اهـ تنبيه لم يذكر الله تعالى من الصفات غير هاتين الصفتين كالعزيز والحكيم وذلك لأنه سبق
القول في قوله أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وسبق الفعل بقوله تعالى وهم لا يفتنون
وبقوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وبقوله تعالى أم حسب الذين يعملون السيئات ولا شك
أن القول يدرك بالسمع والعمل منه ما يدرك بالبصر ومنه ما لا يدرك به كما علم ما في والعلم
يشملهما ولما بين تعالى أن التكليف حسن واقع وأن عليه وعدا وإيعادا ليس لهما دافع بين أن
طلب الله تعالى ذلك من المكلف ليس لنفع يعود إليه بقوله تعالى ﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ أي بذل جهده في جهاد حرب
أو نفس حتى كأنه يسابق آخر في الأعمال الصالحة ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن منفعة جهاده له لا لله تعالى
فإنه غني مطلق كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ أي المتصرف في عباده بما يشاء ﴿لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أي الإنس والجن
والملائكة وعن عبادتهم ومثل هذا كثير في القرآن كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه وقوله تعالى
إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم فينبغي للعبد أن يكثر من العمل الصالح ويخلصه لأن من عمل فلا يطلب به
ملكا ويعلم أن الملك يراه يحسن العمل ويتقنه وإذا علم أن عمله لنفسه لا لأحد يكثر منه نسأل الله الكريم
الفتاح أن يوفقنا للعمل الصالح وأن يفعل ذلك بأهلينا وذريتنا ومحبينا محمد وآله ولما بين تعالى
حال المسيء مجملا بقوله تعالى أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا إشارة إلى التعذيب مجملا
وذكر حال المحسن بقوله تعالى ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه وكان التقدير فالذين جاهدوا وإن
الذين عملوا السيئات لنجزينهم أجمعين ولكنه طواه لأن السياق لأهل الرجاء عطف عليه قوله تعالى
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾ تصديقا لإيمانهم ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ أي في الشدة والرخاء على حسب طاقتهم وفي ذلك
إشارة إلى أن رحمته تعالى أتم من غضبه وفضله أتم من عدله وأشار بقوله تعالى ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾
إلى أن الإنسان وإن اجتهد لا بد من أن يزل عن الطاعة لأنه مجبول على النقص فالصلاة إلى الصلاة
كفارة لما بينهما ما لم تؤت الكبائر والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان ونحو ذلك مما وردت به الأخبار عن النبي
صلى الله عليه وسلم المختار فالصغائر تكفر بعمل الصالحات وأما الكبائر فتكفر بالتوبة ولما بشرهم

واصحابه كانوا مامورين بالجهاد فشق على البعض ذلك فقال تعالى أَحَسِبَ النَّاسُ اى كافة أَنْ يُتْرَكُوا
اى اظنوا انهم يتركون بغير اختبار وابتلاء فى وقت ما بوجه من الوجوه + تنبيه + ان يتركوا سدّ
مسدّ مفعولى حسب عند الجمهور أَنْ اى بان يَقُولُوا اى بقولهم آمَنَّا وَهُمْ اى والحال انهم لَا يُفْتَنُونَ
اى يختبرون بما تتميز به حقيقة ايمانهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات
وانواع المصائب فى الانفس والاموال ليتبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب لينالوا
بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص
من الخلود فى العذاب واختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فقال الشعبى نزلت فى اناس كانوا بمكة قد
اقروا بالاسلام ثم هاجروا فتبعهم الكفار فمنهم من قتل ومنهم من نجى فانزل الله تعالى هاتين الآيتين وعن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال انها نزلت فى عمار بن ياسر وعياش بن ابى ربيعة والوليد
ابن الوليد وسلمة بن هشام كانوا يعذبون بمكة وقال ابن جريج نزلت فى عمار بن ياسر كان يعذب
فى الله عز وجل وقال مقاتل نزلت فى مهجع بن عبد الله مولى عمر كان اول قتيل قتل من المسلمين
يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه
الامة فجزع عليه ابواه وامرأته فانزل الله تعالى فيهم هذه الآية وقيل وهم لا يفتنون بالاوامر والنواهى وذلك
ان الله تعالى امرهم فى الابتداء بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلوة والزكوة وسائر الشرائع
فشق على بعض فانزل الله تعالى هذه الآية ثم عزاهم فقال وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ و
من الانبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنو اسرائيل بفرعون فكان
يسومهم سوء العذاب فذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها فلا ينبغى ان يتوقع خلافه فَلَيَعْلَمَنَّ
اللَّهُ اى الذى له الكمال كله الَّذِينَ صَدَقُوا فى ايمانهم علم مشاهدة للخلق والا فالله تعالى
لا يخفى عليه خافية وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ فيه اى فيظهر الله الصادقين من الكاذبين فى الايمان
+ فائدة + لبعض المحبين الهوى آية + اى علامة + بها يعرف الصادق فى عشقه من الكذاب
سهر الليل اثما ونحول الجسم والموت فى رضا الاحباب أَمْ حَسِبَ اى ظن الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ اى الشرك
والمعاصى فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح أَنْ يَسْبِقُونَا اى يفوتونا فلا ننتقم منهم وهذا ساد
مسدّ مفعولى حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحساب ابطل من الاول لان صاحب
ذلك يقدر ان لا يمتحن لايمانه وصاحب هذا يظن ان لا يجازى بمساويه ولهذا عقبه بقوله تعالى
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ اى بئس الذى يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم ولما بين
بقوله احسب الناس ان يتركوا ان العبد لا يترك فى الدنيا سدى وبين فى قوله ام حسب
الذين يعملون السيئات ان من ترك ما كلف به يعذب عذابا بين ان من يعترف بالآخرة ويعمل
لها لا يضيع عمله بقوله تعالى مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ اى الملك الاعلى قال ابن عباس ومقاتل
من كان يخشى البعث والحساب والرجاء بمعنى الخوف وقال سعيد بن جبير من كان يطمع

في ثواب الله فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ اي الوقت المضروب للقائه لَآتٍ اي لجاء لا محالة فانه لا يجوز عليه اخلاف
الوعد فان قيل كيف وقع قوله ان اجل الله لآت جوابا للشرط اجيب بانه اذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء
آتيا لا محالة كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة
وقال مقاتل يعني يوم القيامة لكائن ومعنى الآية ان من يخشى الله تعالى ويأمله فليستعد له وليعمل
لذلك اليوم كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وَهُوَ السَّمِيعُ اي لما قالوه وَالْعَلِيمُ بمن
صدق فيما قال ومن كذب فيثيب ويعاقب على حسب عمله قال الرازي وههنا لطيفة وهي ان
العبد اتى باصناف حسناته عمل قلبه وهو التصديق وهو لا يرى ولا يسمع وانما يعلم وعمل لسانه
وهو يسمع وعمل اعضائه وجوارحه وهو يرى فاذا اتى بهذه الاشياء يجعل الله تعالى لمسموعه ما لا اذن
سمعته ولمرئيه ما لا عين رأت ولعمل قلبه ما لا خطر على قلب بشر كما وصف في الخبر في وصف الجنة
اهـ تنبيه لم يذكر الله تعالى من الصفات غير هذين الصفتين كالعزيز والحكيم وذلك لانه سبق
القول في قوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وسبق الفعل بقوله تعالى وهم لا يفتنون
وبقوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وبقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ولا شك
ان القول يدرك بالسمع والعمل منه ما يدرك بالبصر ومنه ما لا يدرك به كما لعلم سامع والعلم
يشملهما ولما بين تعالى ان التكليف حسن واقع وان عليه وعدا وايعادا ليس لهما دافع بين ان
طلب الله تعالى ذلك من المكلف ليس لنفع يعود اليه بقوله تعالى وَمَنْ جَاهَدَ اي بذل جهده في جهاد حرب
او نفس حتى كأنه يسابق آخر في الاعمال الصالحة فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ لان منفعة جهاده له لا لله تعالى
فانه غني مطلق كما قال تعالى إِنَّ اللَّهَ اي المتصرف في عباده بما شاء لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ اي الانس والجن
والملائكة وعن عباداتهم ومثل هذا كثير في القرآن كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه وقوله تعالى
ان احسنتم احسنتم لانفسكم فينبغي للعبد ان يكثر من العمل الصالح ويخلصه لان من عمل فلا يطلب
ملكا ويعلم ان الملك يراه يحسن العمل ويتقنه واذا علم ان عمله لنفسه لا لاحد يكثر منه نسأل الله الكريم
الفتاح ان يوفقنا للعمل الصالح وان يفعل ذلك باهلينا وذريتنا ومحبينا محمد وآله ولما بين تعالى
حال المسيء مجملا بقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اشارة الى التعذيب مجملا
وذكر حال المحسن بقوله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه وكان التقدير فالذين جاهدوا والـ
الذين عملوا السيئات لنجزينهم اجمعين ولكنه طواه لان السياق لاهل الرجاء عطف عليه قوله تعالى
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا تصديقا لايمانهم الصَّالِحَاتِ اي في الشدة والرخاء على حسب طاقتهم وفي ذلك
اشارة الى ان رحمته تعالى اتم من غضبه وفضله اتم من عدله واشار بقوله تعالى لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
الى ان الانسان وان اجتهد لا بد من ان يزل عن الطاعة لانه مجبول على النقص فالصلاة الى الصلاة
كفارة لما بينهما ما لم تؤت الكبائر والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان ونحو ذلك مما وردت به الاخبار عن النبي
صلى الله عليه وسلم المختار فالصغائر تكفر بعمل الصالحات واما الكبائر فتكفر بالتوبة ولما بشرهم

بالعفو عن انقلاب اثم الشرك بالامتنان بالثواب فقال عاطفا على ما تقديره ولنثبتن لهم حسناتهم
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ اى احسن جزاء ما عملوه وهو الصالحات واحسن نصب بنزع
الخافض وهو الباء ولما كان من جملة العمل الصالح الاحسان الى الوالدين ذكر ذلك بقوله تعالى
وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ اى وان عليه حُسْنًا اى برا بهما وعطفا عليهما اى وصيناه بايتاء والديه
حسنا او بايلاء والديه حسنا لانهما سبب وجود الولد وسبب بقائه بالتربية المعتادة والله تعالى سببه
فى الحقيقة بالارادة وسبب بقائه بالاعادة للسعادة فهو اولى بان يحسن العبد حاله معه فيطيعهما ما لم يأمرا
بمعصية الله كما قال تعالى وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي وقوله تعالى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ اى لا علم لك بالهيته
موافق الواقع فلا مفهوم له وانه اذا كان لا يجوز ان يتبع فيما لا يعلم صحته فبالاولى ان لا يتبع فيما يعلم بطلانه
فَلَا تُطِعْهُمَا فى ذلك كما جاء فى الحديث لا طاعة لمخلوق فى معصية الله تعالى ولا بد من اضمار القول ان
لم يضمر قبل ثم علل ذلك بقوله تعالى إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ اى من آمن منكم ومن كفر ومن بر والديه ومن عق
ثم تسبب عنه قوله تعالى فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اى اخبركم بصالح اعمالكم وسيئها فاجازيكم عليها
نزلت هذه الآية فى سعد بن ابى وقاص الزهرى وامه حمنة بنت ابى سفيان بن امية بن عبد شمس
روى انها لما سمعت باسلامه قالت له يا سعد بلغنى انك قد صبأت فوالله لا يظلنى سقف بيت
من الضح وهو بكسر الضاد المعجمة وبحاء مهملة الشمس والريح وان الطعام والشراب على حرام حتى تكفر
بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد ولبثت ثلاثة ايام لا تنتقل من الضح ولا تأكل ولا تشرب
فلم يطعها سعد بل قال والله لو كانت مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم جاء
سعد الى النبى صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية وهى التى فى لقمان والتى فى الاحقاف
فامره صلى الله عليه وسلم ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروى انها نزلت فى عياش بن ابى ربيعة
المخزومى وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج
ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امرأة من بنى تميم بن حنظلة فنزلا
بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تأكل ولا تشرب ولا تأوى
بيتا حتى تراك وهى اشد حبا لك منا فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك على ان اقسم مالى بينى
وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير
يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتى قد كلت فاحملنى معك
قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه وشداه واوثقاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى
امه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت رضى تعالى الله عنه وارضاه ونفعنا به فى الدنيا
والآخرة ولما كان التقدير فالذين كفروا وعملوا السيئات لندخلنهم فى المفسدين لكنه طواه لدلالة السياق
عليه عطف عليه زيادة فى الحث على الاحسان الى الوالدين قوله تعالى وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا تحقيقا لايمانهم
الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ اى الانبياء والاولياء بان نحشرهم معهم او ندخلهم ومع

مع

الجنة والصلاح منتهى درجات المؤمنين ومنتهى انبياء الله والمرسلين + ولما بين سبحانه وتعالى
المؤمن بقوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وبين الكافرين بقوله تعالى وليعلمن الكاذبين بين
انه بقي قسم ثالث مذبذب بقوله تعالى وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ بأن
عذبهم الكفرة على الايمان جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ اى له بما يصيبه من اذيتهم فى منعه عن الايمان الى الكفر
كَعَذَابِ اللَّهِ اى فى الصرف عن الكفر الى الايمان وَلَئِنْ لام قسم جَاءَ نَصْرٌ اى للمؤمنين
مِنْ رَبِّكَ اى بفتح وغنيمة لَيَقُولُنَّ حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع
لالتقاء الساكنين إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ فى الايمان فاشركونا فى الغنيمة واما عند الشدة فيجبنون كما قال الشاعر
وما اكثر الاصحاب حين تعدهم + ولكنهم فى النائبات قليل + قال الله تعالى أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ
اى بعالم بِمَا فِي صُدُورِ اى قلوب الْعَالَمِينَ من الايمان والنفاق وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا اى
بقلوبهم وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ فيجازى الفريقين واللام فى الفعلين لام قسم + ولما بين الفرق الثلاثة
واحوالهم ذكر ان الكافر يدعوا من يقول آمنت الى الكفر بقوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
اى ظاهرا وباطنا لِلَّذِينَ آمَنُوا اى ظاهرا وباطنا متحملين الاذى والذل اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا اى الذى
نسلكه فى ديننا تدفعوا عن انفسكم ذلك فقالوا نخاف من عذاب الله تعالى على خطيئة اتباعكم
فقالوا لهم اتبعونا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومواخذة قال الجلال المحلى
والامر بمعنى الخبر وهو اولى من قول البيضاوى وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم
بالاتباع مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان تشجيعا للمؤمنين
على الاتباع وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وَمَا هُمْ اى الكفار بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ
اى المؤمنين مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فى ذلك قال الزمخشرى وترى فى المتسمين بالاسلام من
يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه
فى عنقى وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى
ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت
الحاجة العظمى قال وما هى قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك
وهؤلاء فانهم قطاع الطريق فى المأمن فان قيل كيف سماهم الله تعالى كاذبين وانما ضمنوا شيئا
علم الله تعالى انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا
لا حين ضمن ولا حين عجز لانه فى الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشئ لا على
ما هو عليه اجيب بان الله تعالى شبه حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به
فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه
ويجوز ان يراد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشئ
وفى قلوبهم نية الخلف تنبيه + من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وماهم بحاملين

شيئا من خطاياهم فان قيل قال الله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء ثم قال الله تعالى
وليحملن اى الكفرة اثقالهم اى اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم اى اثقالا لقولهم
للمؤمنين اتبعوا سبيلنا واضلالهم مقلديهم فكيف الجمع بينهما اجيب بان قول القائل حمل
فلان عن فلان يريد ان حمل فلان خفف فاذا لم يخفف حمله فلا يكون قد حمل منه شيئا فقوله تعالى
وما هم بحاملين من خطاياهم يعني لا يرفعون عنهم خطيئة بل يحملون اوزارهم انفسهم واوزارا
بسبب اضلالهم كقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها
من غير ان ينقص من وزره شيء وقال تعالى في اية اخرى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار
الذين يضلونهم بغير علم من غير ان ينقص من وزر من تبعهم شيء وليسألن يوم القيامة اى سؤال توبيخ وتقريع
عما كانوا يفترون اى يختلقون من الاكاذيب الاباطيل واللام في الفعلين لام قسم وحذفت فاعلهما الواو
ونون الرفع ولما كان السياق للابتلاء والامتحان والصبر على الهوان ذكر من الرسل الكرام عليهم السلام من
طال صبره على البلاء ولم يفتر عزمه عن نصيحة العباد بقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا اى اول رسل الله
الى المخالفين من العباد وهو نوح الى قومه وعمره اربعون سنة فان الكفر كان قد عم اهل الارض
وكان عليه السلام اطول الانبياء ابتلاء بهم ولذلك قال الله تعالى مسببا عن ذلك ومعقبا فلبث
فيهم اى بعد الرسالة الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى توحيد الله تعالى فكذبوه فاخذهم الطوفان
اى الماء الكثير فغرقوا وهم ظالمون قال ابن عباس مشركون وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
ولتابعيه رضي الله تعالى عنهم وتثبيت لهم وتهديد لقريش قال ابن عباس كان عمر نوح عليه السلام الفا
وخمسين سنة بعث على رأس اربعين سنة ولبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان
ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وروي عن ابن عباس انه بعث وهو ابن اربعمائة وثمانين سنة
وعاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فان كان هذا محفوظا عن ابن عباس فيضاف الى لبثه في
قومه وهو تسعمائة وخمسون سنة فيكون قد عاش الف سنة وسبعمائة وثمانين سنة واما قبره
عليه السلام فروى ابن جرير والازرقي حديثا مرسلا ان قبره بالمسجد الحرام وقيل ببلدة البقاع يعرف
اليوم بكرك نوح وهناك جامع قد بني بسبب ذلك وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة والاية تدل
على خلاف قول الاطباء العمر الانساني لا يزيد على مائة وعشرين سنة ويسمونه العمر الطبيعي قال الرازي
ونحن نقول ليس طبيعيا بل هو عطاء الهي واما العمر الطبيعي فلا يدوم عندنا ولا تحديد له فضلا عن
مائة او اكثر فان قيل هلا قال تسعمائة سنة وخمسين في مجيء التمييز اولا بالسنة وثانيا بالعام
اجيب عن الاول بان ما اورده الله تعالى احكم لانه لو قيل كما قيل لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد
على اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك فكأنه قال تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد
الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملأ بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي
به نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذى لا رأس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع
مدة صبره وعن الثانى بان تكرير اللفظ الواحد فى الكلام الواحد حقيق بالاجتناب فى البلاغة
الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك والطوفان لغة
ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام او نحو ذلك قال العجاج * وعم طوفان
الظلام الاثأبا * فانجيناه اى نوحا عليه السلام واصحاب السفينة اى الذين كانوا فيها من الغرق
وكانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث
ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمسة نسوة وقد روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وجعلناها اى السفينة
او الحادثة والقصة آية اى عبرة وعلامة على قدرة الله تعالى وعلمه وانجائه للطائع واهلاكه للعاصى
للعالمين اى لمن بعدهم من الناس ان عصوا رسلهم فانه لم يقع فى الدهر حادثة اعظم منها
ولا اغرب ولا اشهر فى تطبيق الماء جميع الارض بطولها والعرض واغراق جميع ما عليها من حيوان
وانسان وغيره ولما ذكر تعالى قصة نوح وكان بلاء ابراهيم عليه السلام عظيما فى قذفه فى النار
واخراجه من بلاده اتبعه به بقوله تعالى وابراهيم وهو منصوب اما باذكر ويكون اذ قال لقومه
اعبدوا الله واتقوه اى خافوا عقابه بدل اشتمال لان الاحيان تشتمل ما فيها واما معطوفا على نوحا
واذ ظرف لارسلنا اى ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض
عليهم الحق ويامرهم بالعبادة والتقوى ذلكم اى الامر العظيم الذى هو اخلاصكم فى عبادتكم له وتقواكم
خير لكم اى من كل شئ ان كنتم تعلمون اى فى عداد من يتجدد له علم فينظر فى الامور
بنظر العلم دون نظر الجهل ولما امرهم بما تقدم ونفى العلم عمن جهل خيريته دل عليه بقوله انما تعبدون
من دون الله اى غيره اوثانا اى اصناما لا تستحق العبادة لانها حجارة منحوتة لا تصرف لها
وتخلقون اى تصورون بايديكم افكا اى شيئا مصروفا عن وجهه فانه مصنوع
وانتم تسمونه باسم الصانع ومربوب وانتم تسمونه ربا وتقولون كذبا فى تسميتها آلهة واعتقاد
شفاعتها عند الله ثم ان الله تعالى نفى عنها النفع بقوله تعالى ان الذين تعبدون ضلالا وعدولا
عن الحق الواضح من دون الله اى غير الله الذى له الملك كله لا يملكون لكم رزقا اى
شيئا من الرزق الذى لا قوام لكم بدونه وانتم تعبدونها فكيف بغيركم تسبب عن ذلك قوله
تعالى فابتغوا اى اطلبوا عند الله اى الذى له صفات الكمال الرزق اى كله فانه
لا شئ منه الا هو بيده فان قيل لم نكر الرزق فى قوله تعالى لا يملكون لكم رزقا وعرفه
فى قوله تعالى فابتغوا عند الله الرزق اجيب بانه نكره فى معرض النفى اى لا رزق
عندهم اصلا وعرفه عند الاثبات عند الله تعالى اى كل رزق عنده فاطلبوه منه وايضا الرزق
من الله معروف لقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها والرزق من الاوثان غير

معلوم فنكره لعدم حصول العلم به وَاعْبُدُوهُ اى عبادة يقبلها وهى ما كانت خالصة من الشرك
وَاشْكُرُوا لَهُ اى اوقعوا الشكر له خاصة على ما افاض عليكم من النعم ثم علل ذلك بقوله تعالى إِلَيْهِ وحده
تُرْجَعُونَ اى معنى فى الدنيا والآخرة فانه لا حكم فى الحقيقة لاحد سواه وحسا بالنشر والحشر
باليسر من فيثيب الطائع ويعذب العاصى ولما فرغ من بيان التوحيد اتى بعده بالتهديد
فقال وَإِنْ تُكَذِّبُوا اى وان تكذبونى فَقَدْ اوفيتكم فى الوعظ والتهديد بمعرفتكم بانه قد
كَذَّبَ أُمَمٌ اى فى الازمان الكائنة مِنْ قَبْلِكُمْ اى من قبل من الرسل فجرى الامر فيهم على سنن
ولهذا لم يختلف قط فى نجاة المطيع للرسول وهلاك العاصى له ولم يضر ذلك الرسول شيئا وما ضروا
به الا انفسهم وَمَا عَلَى الرَّسُولِ ان يقهركم على التصديق بل ما عليه إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ الموضح مع ظهوره فى
نفسه بالامر بالآية بحيث لا يبقى فيه شك باظهار المعجزة واقامة الادلة على الوحدانية + تنبيه فى المخاطب
بهذه الآية والآيات بعدها الى قوله تعالى فما كان جواب قومه وجهان + الاول انه قوم ابراهيم
عليه السلام لان القصة له فكان ابراهيم عليه السلام قال لقومه ان تكذبونى فقد كذب امم من
قبلكم وانما اتيت بما على من التبليغ فان الرسول ليس عليه الا التبليغ والبيان فان قيل ان
ابراهيم عليه السلام لم يسبقه الا قوم نوح وهم امة واحدة اجيب بان قبل قوم نوح ايضا كان اقوام
كقوم ادريس وقوم شيث وآدم وايضا فان نوحا عليه السلام عاش اكثر من الف سنة
وكان القرن يموت ويجئ اولاده والآباء يوصون الابناء بالامتناع من الاتباع فكفى بقوم نوح امما ولقد
عاش ادريس الف سنة فى قومه الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان منهم على عدد سنيه
واعقابهم على التكذيب + الثانى ان الآية مع قوم محمد صلى الله عليه وسلم لان هذه القصص اكثرها
المقصود منه تذكير قومه بحال من مضى حتى يمتنعوا من التكذيب ويرتدعوا خوفا من التعذيب
فقال فى اثناء حكاياتهم ياقوم ان تكذبوا فقد كذب قبلكم اقوام هلكوا فان كذبتم فانى اخاف عليكم ان يقع
بكم ما وقع بهم وعلى هذا اقتصر الجلال المحلى والبقاعى وهذه الآية تدل كما قال ابن عادل على انه
لا يجوز تاخير البيان عن وقت الحاجة لان الرسول اذا بلغ شيئا ولم يبينه فلم يأت بالبلاغ المبين
أَوَلَمْ يَرَوْا اى ينظروا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ اى الذى له كل كمال الْخَلْقَ اى يخلقهم الله تعالى ابتداء
نطفة ثم مضغة ثم علقة ثُمَّ هو لا غيره يُعِيدُهُ اى الخلق كما كان إِنَّ ذَلِكَ اى المذكور من الخلق الاول
والثانى عَلَى اللَّهِ اى الجامع لكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص يَسِيرٌ فكيف ينكرون الثانى
فان قيل متى رأى الانسان بدء الخلق حتى يقال اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق اجيب بان المراد
بالرؤية العلم الواضح الذى هو كالرؤية فالعاقل يعلم ان البدء من الله تعالى لان الخلق الاول
لا يكون من مخلوق والا لما كان الخلق الاول خلقا اول فهو من الله تعالى فان قيل
علق الرؤية بالكيفية لا بالخلق ولم يقل اولم يروا ان الله خلق او بدأ الخلق والكيفية
غير معلومة اجيب بان هذا القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يك شيئا مذكورا

وانه خلقه من نطفة هي من غذاء هو من ماء وتراب وهذا القدر كاف في حصول العلم بامكان الاعادة فان قيل لم ابرز اسمه تعالى في ان ذلك على الله يسير ولم يقل ان ذلك عليه كما قال ثم يعيده من غير ابراز اجيب بانه مع اقامة البرهان على انه يسير اكده باظهار اسمه فانه يوجب المعرفة ايضا بكون ذلك يسيرا فان الانسان اذا سمع لفظ الله وفهم معناه انه الحي القادر بقدرة كاملة لا يعجزه شيء محيط بذرات كل نافذ الارادة يقطع بجواز الاعادة وقرأ حمزة والكسائي وخلف تروا بالتاء على الخطاب على تقدير القول والباقون بالياء على الغيبة ولما ساق تعالى هذا الدليل الذي حاج به الخليل قومه قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قُلْ اي لهؤلاء الذين تعبدوا بما قلدوا بمذاهب ابائهم سِيرُوا ان لم تقتدوا بابيكم ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتتاملوا ما اقام من الدليل القاطع والبرهان الساطع فِي الْأَرْضِ ان لم يكفكم النظر في احوال بلادكم فَانْظُرُوا اي نظر اعتبار كَيْفَ بَدَأَ ربكم الذي خلقكم ورزقكم الْخَلْقَ من الحيوان والنبات والزروع والاشجار وغير ذلك مما تضمنته الجبال والسهول ثُمَّ اللَّهُ اي الحائز لجميع صفات الكمال يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ بعد النشأة الاولى وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الشين والف بعد الشين ممدودة قبل الهمزة والباقون بسكون الشين والهمزة بعد الشين ثم علل ذلك بقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لان نسبة الاشياء كلها اليه واحدة فان قيل ابرز اسم الله في الاية الاولى عند البدء فقال كيف يبدئ الله واضمره عند الاعادة وههنا اضمره عند البدء وابرزه عند الاعادة فقال ثم الله ينشئ اجيب بانه في الاية الاولى لم يسبق ذكر الله تعالى بفعل حتى يسند اليه البدء فقال كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده اكتفاء بالاولى وفي الثانية كان ذكر البدء مسندا الى الله تعالى فاكتفى به ولم يبرزه واما اظهاره عند الانشاء ثانيا فقال ثم الله ينشئ مع انه كان يكفي ان يقول ثم ينشئ النشأة الآخرة فلحكمة بالغة وهي انه مع اقامة البرهان على امكان الاعادة اظهر اسمه حتى يفهم به صفات كماله ونعوت جلاله فيقطع بجواز الاعادة فقال ثم الله مظهرا ليقع في ذهن الانسان من اسمه كمال قدرته وشمول علمه ونفوذ ارادته فيعترف بوقوع بدئه وجواز اعادته فان قيل قال في الاولى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق بلفظ المستقبل وههنا قال فانظروا كيف بدأ الخلق بلفظ الماضي فما الحكمة اجيب بان الدليل الاول هو الدليل النفسي الموجب للعلم وهو موجب للعلم ببدء الخلق واما الدليل الثاني فمعناه ان كان ليس لكم علم بان الله يبدأ الخلق فانظروا الى الاشياء المخلوقة يحصل لكم العلم بان الله بدأ خلقها ويحصل من هذا القدر العلم بانه ينشئ كما بدأ فان قيل قال في هذه الاية ان الله على كل شيء قدير وقال في الاولى ان ذلك على الله يسير فما فائدته اجيب بان فيه فائدتين الاولى ان الدليل الاول هو الدليل النفسي وهو وان كان موجبا للعلم التام ولكن عند انضمام الدليل الآفاقي اليه يحصل العلم التام لانه بالنظر الى نفسه علم حاجته الى غيره ووجوده منه فيتم علمه بان كل شيء من الله تعالى فقال عند تمام الدليل ان الله على كل شيء قدير وقال عند الدليل الواحد ان ذلك وهو الاعادة على

الله يسير الثانية ان العلم الاول اتم وان كان الثانى اعم وكون الاعم يسيرا على الفاعل اتم من كونه مقدورا
له بدليل قولك لمن يحمل مائة رطل انه قادر عليه فاذا سئلت عن حمله عشرة ارطال تقول ذلك
سهل يسير عليه فتقول كان التقدير ان لم يحصل لكم العلم التام بان هذه الامور عند الله سهلة
يسيرة فسيروا فى الارض لتعلموا انه مقدور ونفس كونه مقدورا كاف فى امكان الاعادة
ولما تم الدليل على الاعادة انتج لا محالة انه يُعَذِّبُ اى بعدله مَنْ يَّشَآءُ تعذيبه اى
منكم ومن غيركم فى الدنيا والاخرة وَيَرْحَمُ اى بفضله ورحمته مَنْ يَّشَآءُ رحمته فلا يسئله
سوء فان قيل لم قدم التعذيب فى الذكر على الرحمة مع ان رحمته سابقة كما قال صلى الله عليه وسلم
عن الله تعالى سبقت رحمتى غضبى اجيب بان السابق ذكر الكفار فذكر العذاب لسبق ذكر مستحقه
بحكم الايعاد وعقبه بالرحمة فذكر الرحمة وقع تبعا لئلا يكون العذاب مذكورا وحده وهذا تحقيق
قوله رحمتى سبقت غضبى وَاِلَيْهِ وحده تُقْلَبُوْنَ اى تردون بعد موتكم بايسر سعى وَمَآ اَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ
ربكم عن ادراككم فِى الْاَرْضِ كيف تقلبتم فى ظاهرها وباطنها واختلف فى معنى قوله
تعالى وَلَا فِى السَّمَآءِ لان الخطاب مع الادميين وهم ليسوا فى السماء فقال الفراء معناه ولا من
فى السماء بمعجز ان عصى كقول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه ❊ فمن يهجو رسول الله منكم ❊
ويمدحه وينصره سواء ❊ اراد ومن يمدحه وينصره فاضمر من يريد انه لا يعجز اهل الارض
من فى الارض ولا اهل السماء من فى السماء فالمعنى ان من فى السماء عطف بتقدير ان يعصى
وقال الفراء وهذا من غوامض العربية وقال قطرب وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء لو
كنتم فيها كقول القائل ما يفوتنى فلان هنا ولا فى البصرة اى ولا فى البصرة لو كان بها وكقوله تعالى
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض اى على تقدير ان تكونوا فيها وقال ابن عادل
وليس من ذلك من تقدير موصولين محذوفين اى وما انتم بمعجزين من فى الارض من الجن
والانس ولا من فى السماء من الملائكة فكيف تعجزون خالقهما وعلى قول الجمهور يكون المفعول
محذوفا اى وما انتم بمعجزين اى فائتين ما يريد الله تعالى وقال البقاعى ويمكن ان يكون له نظر
الى قصة نمروذ وبنائه الصرح الذى اراد به التوصل الى السماء لا سيما والايات مكتنفة بقصة ابراهيم
عليه السلام من قبلها ومن بعدها ❊ ولما اخبرهم بانهم مقدور عليهم وكان ربما توهم ان غيرهم
ينصرهم صرح بنفيه فى قوله تعالى وَمَا لَكُمْ اى اجمعين واشار الى سفول رتبة كل من سواه
بقوله تعالى مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اى غيره واكد النفى باثبات الجار بقوله مِنْ وَّلِيٍّ اى
قريب يحميكم لاجل القرابة وَّلَا نَصِيْرٍ ينصركم من عذابه ❊ ولما بين الاصلين التوحيد
والاعادة وقررهما بالبرهان هدد كل من خالفه على سبيل التفصيل بقوله تعالى وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا
اى ستروا ما اظهرت لهم انوار العقول بِاٰيٰتِ اللّٰهِ اى بسبب دلائل الملك الاعظم المرئية
والمسموعة التى لا اوضح منها وَلِقَآئِهٖ بالبعث بعد الموت الذى اخبر به واقام الدليل عليه

أولئك اي البعداء البغضاء يئسوا اي متحققين يأسهم من الآن بل من الأزل لانهم لم يرجوا
لقاء الله يوما ولا قال قائل منهم رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين من رحمتي اي من ان افعل بهم
من الاكرام بدخول الجنة وغيرها فعل الراحم وأولئك لهم عذاب أليم اي مؤلم بالغ ألمه
فان قيل هلا اكتفي بقوله تعالى اولئك مرة واحدة اجيب بان ذلك كرر تفخيما للامر فاليأس
وصف لهم لان المؤمن دائما يكون راجيا خائفا واما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف وعن
قتادة ان الله تعالى ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي وقال ولا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وان لا يأمن عذابه وعقابه
فصفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا ثم ان الله تعالى اخبر عن فظاظة قوم ابراهيم وتكبرهم بقوله تعالى
فما كان جواب قومه لما امرهم بالتوحيد وتقوى الله تعالى الا ان قالوا اي قال بعضهم لبعض او قاله
واحد منهم وكان الباقون راضين اقتلوه او حرقوه بالنار فان قيل كيف سمى قولهم اقتلوه
او حرقوه جوابا مع انه ليس بجواب اجيب عنه من وجهين احدهما انه خرج مخرج كلام
المتكبر كما يقول الملك لرسول خصمه جوابكم السيف مع ان السيف ليس بجواب
وانما معناه لا اقابل بالجواب وانما اقابل بالسيف وثانيهما ان الله تعالى اراد بيان ضلالتهم
وانهم ذكروا ما ليس بجواب في معرض الجواب فبين انهم لم يكن لهم جواب اصلا وذلك ان
من لا يجيب غيره وسكت لا يعلم انه يقدر على الجواب ام لا لجواز ان يكون سكوته عن الجواب لعدم
الالتفات واما اذا اجاب بجواب فاسد علم انه قصد الجواب وما قدر عليه ثم انهم استقر رأيهم
على الاحراق فجمعوا له حطبا الى ان ملؤا ما بين الجبال واضرموا فيه النار حتى احرقت ما دنا منها
لعظيم الاشتعال وقذفوه فيها بالمنجنيق فانجاه الله بما له من كمال العظمة من النار اي من احراقها
واذاها ونفعته بان احرقت وثاقه ان في ذلك اي ما ذكر من امره وما اشتملت عليه قصته من الحكم
لآيات اي براهين قاطعة في الدلالة على جميع امر الله من تصرفه في الاعيان والمعاني لكون النار
لم تحرقه واحرقت وثاقه وكل ما مر عليها من طائر واخمادها مع عظمتها في زمان يسير وانشاء
روض مكانها وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم الذي القي فيه ابراهيم عليه السلام بالنار وذلك
لذهاب حرها لقوم يؤمنون اي يصدقون بتوحيد الله وقدرته لانهم المنتفعون بالفحص
عنها والتأمل فيها وقال اي ابراهيم عليه السلام غير هائب لتهديدهم بقتل او غيره انما اتخذتم
اي اخذتم باصطناعكم وتكلفكم اشار الى عظمة الله وعلو شانه من دون الله الذي كل شيء تحت
قهره اوثانا اي اصناما تعبدونها وما مصدرية مودة بينكم اي توادكم على عبادتها في الحياة الدنيا
بالاجتماع عندها والتواصل في امرها بالتناصر والتعاضد كما يتفق ناس على مذهب فيكون ذلك
سبب تصادقهم وهذا دال على ان جميع الفسوق لاهل الدنيا والعادة المستمرة وان الحب في الله
والاجتماع لدعوته جدا لما فيه من قطع علائق الدنيا وشهواتها التي زينت للناس على ما فيها من الالتباس

وعظيم اليأس وقرأ نافع وابن عامر وشعبة مودة بالنصب والتنوين وبينكم بنصب النون فنصب
مودة على انه مفعول له اى لاجل مودة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى برفع مودة من غير
تنوين وكسر النون على ان مودة خبر مبتدأ محذوف اى هى مودة والباقون بنصب مودة من
غير تنوين وكسر النون وهذا ايضا كاعراب المنونة + ولما اشار الى هذا النفع الذى هو فى الحقيقة
ضر اتبع ذلك ما يعقبه من الضر البالغ معبرا باداة البعد بقوله ثُمَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فينكر
كل منكم محاسن اخيه ويتبرأ منه تلعن الاتباع القادة وتلعن القادة الاتباع كما قال تعالى
وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وتنكرون كلكم عبادة الاوثان تارة اذ تحققتم انها ضرر لا نفع لها وتقرون
بها اخرى طالبين نصرتها راجين منفعتها وتنكر الاوثان عبادتكم وتجحد منفعتكم وَمَأْوٰىكُمُ اى
جميعا انتم والاوثان النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نّٰصِرِيْنَ يخرجونكم منها + ثم بين تعالى اول من امن بابراهيم
بقوله تعالى فَاٰمَنَ لَهٗ اى لاجل دعائه له مع ما رأى من الآيات لُوْطٌ وكان ابن اخيه هاران وهو
اول من صدقه من الرجال وَقَالَ اى ابراهيم عليه السلام لما هو جدير بالانكار من الهجرة
لصعوبتها اِنِّىْ مُهَاجِرٌ اى خارج من ارضى وعشيرتى على وجه الهجر فمنتقل ومنحاز اِلٰى رَبِّىْ اى
الى ارض ليس فيها انيس ولا عشير ولا من ترجى نصرته ولا من تنفع مودته فهاجر من كوثى
من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى الارض المقدسة فكانت هجرتان ومن ثم قالوا لكل نبى هجرة
ولابراهيم عليه السلام هجرتان وهو اول من هاجر فى الله وكان معه فى هجرته لوط وامرأته سارة
قال مقاتل وكان اذ ذاك ابن خمس وسبعين سنة فان قيل لم يقل انى مهاجر الى حيث امرنى ربى
مع ان المهاجرة توهم الجهة اجيب بان هذا القول ليس فى الاخلاص كقوله الى ربى لان الملك اذا صدر
منه امر بمرام الاخيار ثم ان واحدا منهم سار الى ذلك الموضع لغرض نفسه فقد هاجر الى حيث امره
الملك ولكن ليس لاخلاصا لوجهه فلذا قال مهاجر الى ربى يعنى بوجهى الى الجهة المامور بالهجرة اليها
ليس طلبا للجهة وانما هو طلب لله ثم علل ذلك بما يسليه عن فراق ارضه واهل وده من ذوى رحمه
وانسابه بقوله اِنَّهٗ هُوَ اى وحده الْعَزِيْزُ اى فهو جدير باعزاز من انقطع اليه الْحَكِيْمُ فهو اذا اعز
احدا منعته حكمته من التعرض له بالاذلال بفعل ومقال + ولما كان التقدير فاعززناه بما ظن
بنا عطف عليه قوله وَوَهَبْنَا لَهٗ اى بعظيم قدرتنا شكرا على هجرته اِسْحٰقَ من زوجته سارة رضى الله
تعالى عنها التى جمعت الى العقم فى شبابها اليأس فى كبرها وَيَعْقُوْبَ من ولده اسحق عليهما السلام
فان قيل لم يذكر اسمعيل عليه السلام وذكر اسحق وعقبه اجيب بان هذه السورة لما كان
السياق فيها للامتحان وكان ابراهيم عليه السلام قد ابتلى فى اسمعيل بفراقه مع امه ووضعهما
فى مضيعة من الارض لا انيس فيها لم يذكره تصريحا فى سياق الامتنان وافرد اسحق لانه لم يبتل
فيه بشئ من ذلك ولان الامتنان به لكون امه عجوزا عقيما اكبر واعظم لانها اعجب وذكر اسمعيل
تلويحا فى قوله تعالى وَجَعَلْنَا اى بعظمتنا فى ذُرِّيَّتِهٖ من ولد اسحق واسمعيل

عليهما السلام النبوّة فلم يكن بعده نبيّ اجنبيّ عنه بل جميع الانبياء من ذرية اسحق الا نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فانه من ذرية اسمعيل قاله بعض العلماء فان قيل ان الله تعالى جعل فى ذريته النبوّة
اجابة لدعائه والوالد يسوّى بين اولاده فكيف صارت النبوّة فى ولد اسحق عليه السلام اكثر
اجيب بانّ الله تعالى قسم الزمان من وقت ابراهيم الى يوم القيمة قسمين والناس اجمعين فالقسم
الاوّل من الزمان بعث الله تعالى فيه انبياء فيهم فضائل جمّة وجاؤا تترى واحدا بعد واحد ومجتمعين
فى عصر واحد كلهم من ذرية اسحق عليه السلام ثم فى القسم الثانى من الزمان اخرج من ذرية
ولده اسمعيل عليه السلام واحدا اجتمع فيه ما كان فيهم وارسله الى كافة الخلق وهو محمد صلى الله
عليه وسلم وجعله خاتم النبيين وقد دام الخلق على دين اولاد اسحق اكثر من اربعة الاف سنة
ولا يبعد ان تبقى الخلق على دين ذرية اسمعيل ذلك المقدار والكتاب فلم ينزل كتاب الا على اولاده
فان قيل لم افرد الكتاب مع انها اربعة التورية والانجيل والزبور والفرقان اجيب بانه افرده ليدل
مع تناوله جنسية الكتب الاربعة انه لا شئ يستحق ان يكتب الا ما انزل فيها او كان راجعا اليها ولو جمع
لم يفد هذا المعنى وآتيناه اجره على هجرته فى الدنيا بما خصصناه به مما لا يقدر عليه غيرنا
من سعة الرزق ورغد العيش وكثرة الولد والحزم فى الشيخوخة وكثرة النسل والثناء
الحسن والمحبة من جميع الخلق وغير ذلك قال الرازى وفى الآية لطيفة وهى ان الله تعالى بدّل جميع
احوال ابراهيم عليه السلام فى الدنيا باضدادها لما اراد القوم تعذيبه بالنار كان وحيدا فريدا فبدل الله
تعالى وحدته بالكثرة حتى ملأ الدنيا من ذريته ولما كان اوّلا بعث الى قومه واقاربه الاقربين ضالين
مضلين من جملتهم آزر بدل الله تعالى اقاربه باقارب مهتدين هادين وهم ذرّيته الذين جعلت فيهم
النبوّة والكتاب وكان اوّلا لا جاه له ولا مال وهما غاية اللذة الدنيوية آتاه الله تعالى من المال والجاه حتى كان
له من المواشى ما علم الله تعالى عدده حتى قيل ان كان له اثنا عشر الف كلب حارس باطواق الذهب
واما الجاه فصار بحيث تقرن الصلوة عليه بالصلوة على سائر الانبياء الى يوم القيمة فصار معروفا
بشيخ المرسلين بعد ان كان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وهذا الكلام لا يقال
الا للمجهول عند الناس وانه فى الآخرة اى التى هى الدار ومحل الاستقرار لمن الصالحين اى الذين
خصصناهم بالسعادة وجعلنا لهم الحسنى وزيادة قال ابن عباس مثل آدم ونوح وفى اعراب قوله
تعالى ولوطا ما تقدّم فى اعراب نصب ابراهيم اذ اى حين قال لقومه اهل سدوم الذين سكن
فيهم وصاهرهم وانقطع اليهم فصاروا قومه حين فارق عمه الخليل ابراهيم عليهما السلام منكرا
ما رأى من حالهم وقبيح فعالهم مؤكدا له انكم لتأتون الفاحشة وهى ادبار الرجال المجاوزة الحدّ
فى القبح فكانها لذلك لا فاحشة غيرها ثم علل كونها فاحشة استئنافا بقوله ما سبقكم بها وهى
حالة مبينة لعظيم جرأتهم على المنكر اى غير مسبوقين به واغرق فى النفى بقوله من احد وزاد
بقوله من العالمين اى كلهم من الانس والجن اى فضلا عن خصوص الناس ثم كرر الانكار

تاكيد التهاون بقبحها الذي ينكره بقوله أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ اتيان الشهوة وعطف عليها ما ضموه
اليها من المناكر بقوله وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ اى طريق المارة بالقتل واخذ المال بفعلكم الفاحشة
بمن يمر بكم فترك الناس الممر بكم او تقطعون سبيل النساء بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس
بحرث وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ اى تفعلون فى مجلسكم فعل الفاحشة بعضكم ببعض وهو مما
تنكره الشرائع والمروآت والعقول وانتم لا تتحاشون عن شئ منه فى المجمع الذى يتحاشى فيه
الانسان من فعل خلاف الاولى من غير ان يستحيي بعضكم من بعض قال ابن عباس المنكر هو الخذف فيه
بالحصا والرمى بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب
والتضارط فى مجالسهم والفحش والمزاح وعن عائشة رضى الله تعالى عنها كانوا يتحابقون وقيل
السخرية بمن يمر بهم وقيل المجاهرة فى ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها
ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناديا الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا
عنه لم يسم ناديا وعن مكحول فى اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازار و
الصفير والخذف واللوطية ودل على عنادهم بقوله تعالى مسببا عن هذه الفضائح بالنهى عن
تلك القبائح فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ اى الذين فيهم قوة ونجدة بحيث يخشى شرهم ويتقى اذاهم
لما انكر عليهم ما انكر إِلَّا أَنْ قَالُوا عنادا وجهلا واستهزاء ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ وعبروا بالاسم الاعظم
زيادة فى الجرأة إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ اى فى استقباح ذلك وان العذاب نازل بفاعليه
فان قيل قال قوم ابراهيم عليه السلام اقتلوه او حرقوه وقال قوم لوط ائتنا بعذاب الله ان كنت
من الصادقين وما هددوه مع ان ابراهيم كان اعظم من لوط فان لوطا كان من قومه اجيب بان
ابراهيم كان يقدح فى دينهم ويشتم آلهتهم ويعدد صفات نقصهم بقوله لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يغنى
والسب فى الدين صعب فجعلوا جزاءه القتل والتحريق ولوط كان ينكر عليهم فعلهم وينسبهم الى
ارتكاب المحرم وهم ما كانوا يقولون ان هذا واجب من الدين فلم يصعب عليهم مثل ما صعب على قوم
ابراهيم كلام ابراهيم فقالوا له انك تقول ان هذا حرام والله يعذب عليه فان كنت صادقا فائتنا بالعذاب
فان قيل ان الله تعالى قال فى موضع آخر فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط
من قريتكم وقال هنا فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله فكيف الجمع
اجيب بان لوطا كان ثابتا على الارشاد مكررا على النهى والوعيد فقالوا اولا ائتنا ثم لما كثر ذلك
منه ولم يسكت عنهم قالوا اخرجوا ولما يئس منهم طلب النصرة من الله بان قَالَ اى لوط
عليه السلام معرضا عنهم مقبلا بكليته على المحسن اليه رَبِّ اى ايها المحسن الىّ انْصُرْنِي عَلَى
الْقَوْمِ اى الذين فيهم من القوة ما لا طاقة لى بهم معه الْمُفْسِدِينَ اى العاصين باتيان الرجال ع
ووصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب فلما
دعا لوط على قومه بقوله رب الى آخره استجاب الله تعالى دعاءه وامر ملائكته باهلاكهم

وارسلهم مبشرين ومنذرين كما قال تعالى وَلَمَّا جَاءَتْ واسقط ان لانه لم يتصل القول باول المجئ
بل كان قبله السلام والضيافة وعظم الرسل بقوله تعالى رُسُلُنَا اى من الملائكة تعظيما لهم في الفصيح
إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى اى باسحق ولده ويعقوب ولد لاسحق عليهما السلام قَالُوا اى الرسل عليهم
السلام لابراهيم عليه السلام بعد ان بشروه وتوجهوا نحو سدوم إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
اى قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ثم عللوا ذلك بقولهم إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا
ظَالِمِينَ اى غريقين في هذا الوصف فلا حيلة في رجوعهم عنه فان قيل قال تعالى في قوم نوح
فاخذهم الطوفان وهم ظالمون ففي ذلك اشارة الى انهم كانوا على ظلمهم حين اخذهم ولم يقل فاخذهم
وكانوا ظالمين وههنا قال ان اهلها كانوا ظالمين ولم يقل وهم ظالمون اجيب بانه لا فرق في موضعين
في كونهما مهلكين وهم مصرون على الظلم لكن هناك الاخبار من الله تعالى عن الماضي حيث
قال فاخذهم وهم عند الوقوع في العذاب ظالمون وههنا الاخبار من الملائكة عن المستقبل حيث
قالوا انا مهلكو فذكروا ما امروا به فان الكلام عن الملك بغير اذنه سوء ادب وهم كانوا ظالمين
في وقت الامر وكونهم يبقون كذلك لا علم لهم به ٭ ولما قالت الملائكة لابراهيم عليه السلام
ذلك قال لهم مؤكدا تنبيها على حالة ابن اخيه إِنَّ فِيهَا لُوطًا ولم يقل عليه السلام ان منهم لوطا
لانه نزيل عندهم فلذا جاء بالتصريح بالسؤال عنه قَالُوا اى الرسل عليهم السلام له نَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَنْ فِيهَا اى من لوط وغيره لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ اى الباقين
في العذاب فهم البحرة لتم وجهها معهم الغبرة وقرأ حمزة والكسائي بسكون النون الثانية وتخفيف
الجيم بعدها والباقون بفتح النون وتشديد الجيم بعدها وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا اى المعظمون
سِيءَ اى حصلت المساءة والغم بِهِمْ اى بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء لما رأى من حسن
اشكالهم وهو يظن انهم من الناس لانهم جاؤا من عند ابراهيم عليه السلام اليه على صورة
البشر روي انهم كانوا يجلسون مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصا فاذا مر بهم عابر سبيل
حذفوه فايهم اصابه كان اولى به قيل انه كان ياخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض
بذلك ولهذا يقال اجور من قاضي سدوم وَضَاقَ اى باعمال الحيلة في الدفع عنهم بِهِمْ ذَرْعًا
اى ذرعه اى طاقته والاصل في ذلك ان من طالت ذراعه نال ما لا يناله قصيرها فضرب مثلا
في العجز والقدرة ولما رأوه على هذه الحالة خفضوا عليه وَقَالُوا له لَا تَخَفْ انا رسل ربك لاهلاكهم
وَلَا تَحْزَنْ اى على تمكنهم منا او على احد ممن يهلك فانه ليس في احد منهم خير يؤسف عليه
بسببه فانهم وصلوا في الخبث الى حد لا مطمع في الرجوع عنه مع ملازمته لدعائهم من غير
ملل ولا ضجر ثم عللوا ذلك بقولهم مبالغين في التاكيد إِنَّا مُنَجُّوكَ اى مبالغون في انجائك وقولهم
وَأَهْلَكَ منصوب على محل الكاف إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ فان قيل القوم عذبوا
بسبب ما صدر منهم من الفاحشة وامرأته لم يصدر منها ذلك فكيف كانت من الغابرين معهم

اجيب بان الدال على الشر كفاعله كما ان الدال على الخير كفاعله وهي كانت تدل القوم على ضيوف لوط حتى كانوا يقصدونهم فبالدلالة صارت كاحدهم فان قيل ما مناسبة قولهم انا منجوك لقولهم لا تخف ولا تحزن فان خوفه ما كان على نفسه اجيب بان لوطا لما ضاق عليهم وحزن لاجلهم قالوا له لا تخف اي علينا ولا تحزن لاجلنا فانا ملائكة ثم قالوا له يا لوط خفت علينا وحزنت لاجلنا ففي مقابلة خوفك وقت الخوف نزيل خوفك في نجيك وفي مقابلة حزنك نزيل حزنك في لا نتركك تفجع في اهلك فقالوا انا منجوك واهلك وقرأ ابن كثير وشعبة وحمزة والكسائي بسكون النون وتخفيف الجيم والباقون بفتح النون وتشديد الجيم ثم انهم بعد بشارة لوط بالتنجية قالوا له إِنَّا مُنزِلُونَ اي لا محالة عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا اي عذابا مِّنَ السَّمَاءِ فهو عظيم وقعه شديد صدعه واختلف في ذلك الرجز فقيل حجارة وقيل نار وقيل خسف وعلى هذا يكون المراد ان الامر بالخسف والقضاء به من السماء وقرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد الزاي والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي + تنبيه + كلام الملائكة مع لوط جرى على نمط كلامهم مع ابراهيم عليه السلام فقدموا البشارة على انزال العذاب ثم قالوا انا منجوك ثم قالوا انا منزلون ولم يعلل التنجية فلم يقولوا انا منجوك لانك نبي او عابد وعللوا الاهلاك فقالوا بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ اي يخرجون في كل وقت من دائرة العقل والحياء كقولهم هناك ان اهلها كانوا ظالمين + ولما كان التقدير ففعلت رسلنا ما وعدوه به من انجائه واهلاك جميع قراهم فتركناها كان لم يسكنها احد عطف عليه قوله تعالى وَلَقَد تَّرَكْنَا اي بما لنا من العظمة مِنْهَا اي من تلك القرى آيَةً اي علامة على قدرتنا على كل ما نريد بَيِّنَةً اي ظاهرة قال ابن عباس منازلهم الخربة وقال قتادة هي الحجارة التي اهلكوا بها ابقاها الله تعالى حتى ادركها اوائل هذه الامة وقال مجاهد هو ظهور الماء الاسود على وجه الارض + فائدة + اتفق القراء على ادغام الدال في التاء + تنبيه + في هذه الاية اشارة الى غفلة المخاطبين بهذه القصة من العرب وغيرهم وانه ليس بينهم وبين الهدى الا تفكرهم في امرهم مع الانخلاع من الهوى وانما يكون ذلك لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ اي يتدبرون فمن لم يستبصر بذلك فهو غير عاقل + تنبيه + ههنا اسئلة الاول كيف جعل الاية في نوح وابراهيم عليهما السلام بالنجاة فقال فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية وقال فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات وجعل ههنا الهلاك آية الثاني ما الحكمة في قوله تعالى في السفينة جعلناها آية ولم يقل بينة وقال ههنا آية بينة الثالث ما الحكمة في قوله تعالى هناك للعالمين وقال ههنا لقوم يعقلون اجيب عن الاول بان الاية في ابراهيم كانت في النجاة لان في ذلك الوقت لم يكن اهلاك واما في نوح فلان الانجاء من الطوفان الذي علا الجبال باسرها امر عجيب الهي ومايه النجاة وهو السفينة كان باقيا والغرق لم يبق له بعده اثر محسوس في البلاد فجعل الباقي آية واما ههنا فنجاة لوط لم تكن بامر يبقى اثره للحس والهلاك اثره محسوس في البلاد فجعل الآية الامر الباقي ههنا البلاد وهناك السفينة وههنا لطيفة وهي ان الله تعالى آية قدرته موجودة

في الانجاء والاهلاك فذكر من كل باب آية وقدم آيات الانجاء لانها اثر الرحمة واخر آيات الهلاك
لانها اثر الغضب ورحمته سابقة وعن الثاني بان الانجاء بالسفينة لا يفتقر الى امر آخر واما الآية ههنا
الخسف وجعل ديارهم المعمورة عاليها سافلها وهو ليس بمعتاد وانما ذلك بارادة قادر يخصصه
بمكان دون مكان وبزمان دون زمان فهي بينة لا يمكن الجاهل ان يقول هذا امر يكون كذلك
وكان له ان يقول في السفينة امرها يكون كذلك فيقال له فلو دام الماء حتى ينفد زادهم كيف كانت
تحصل لهم النجاة ولو سلط الله تعالى عليهم الريح العاصفة كيف تكون احوالهم وعن الثالث بان
السفينة موجودة معلومة في جميع اقطار العالم فعند كل قوم مثال السفينة يتذكرون بها حالة نوح
واذا ركبوها يطلبون من الله النجاة منه ولا يثق احد بمجرد السفينة بل يكون دائما مرتجف القلب
متضرعا الى الله تعالى طالبا النجاة واما اثر الهلاك في بلاد لوط ففي موضع مخصوص لا يطلع عليه الا من
يمر بها فيصل اليها ويكون له عقل يعلم ان ذلك من الله تعالى وارادته بسبب اختصاصه بمكان دون
مكان ووجوده في زمان دون زمان ولما كان شعيب عليه السلام ايضا قد ابتلي بتكذيب قومه
اتبع قصته بقصة لوط بقوله تعالى وَإِلَى مَدْيَنَ اي ولقد ارسلنا وبعثنا الى مدين أَخَاهُمْ اي
من النسب والبلد شُعَيْبًا ومدين قيل اسم رجل في الاصل وحصل وله ذرية فاشتهر في القبيلة
كتميم وقيس وغيرهما وقيل اسم ماء نسب القوم اليه فاشتهر في القوم قال الرازي والاول
كانه اصح لان الله تعالى اضاف الماء الى مدين بقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ولو كان اسما للماء لكانت
الاضافة غير صحيحة او غير حقيقية والاصل في الاضافة التغاير والحقيقة فان قيل قال تعالى في نوح
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقدم نوحا في الذكر وعرف القوم بالاضافة اليه وكذلك في ابراهيم
ولوط وههنا ذكر القوم اولا واضاف اليهم اخاهم شعيبا فما الحكمة في ذلك اجيب بان الاصل في الجميع
ان يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لان الرسل لا تبعث الى غير معينين وانما تبعث الرسل الى قوم محتاجين
الى الرسل فيرسل الله تعالى اليهم من يختاره غير ان قوم نوح وابراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاصة
ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها فعرفوا بنبيهم عليه السلام فقيل قوم نوح وقوم لوط فاما قوم شعيب و
هود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس فجرى الكلام على اصله وقال تعالى والى عاد
اخاهم هودا والى مدين اخاهم شعيبا فَقَالَ اي فتسبب عن ارساله وبعثه ان قال يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
اي الملك الاعلى وحده ولا تشركوا به شيئا فان العبادة التي فيها شرك ظاهر او خفي عدم لان الله تعالى
اغنى الشركاء فهو لا يقبل الا ما كان له خالصا فان قيل لم يذكر عن لوط عليه السلام انه امر
قومه بالعبادة والتوحيد وذكر عن شعيب ذلك اجيب بان لوطا كان من قوم ابراهيم وفي زمانه
وكان ابراهيم سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند الخلق من ابراهيم فلم يحتج
لوط الى ذكره وانما ذكر ما اختص به من المنع من الفاحشة وغيرها وان كان هو ايضا يامر بالتوحيد
اذ ما من رسول الا ويكون اكثر كلامه في التوحيد واما شعيب فكان بعد انقراض ذلك الزمن

وذلك القوم فكان هو اصلا فى التوحيد فبدأ به ولما كان السياق لاقامة الادلة على البعث الذى
هو من مقاصد السورة قال وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ اى وافعلوا ماترجون به العاقبة فاقيم المسبب
مقام السبب او امروا بالرجاء والمراد اشتراط مايسوّغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات
على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ حال كونكم مُفْسِدِينَ اى
متعمدين الفساد ولما تسبب عن هذا النصح وتعقبه تكذيبهم تسبب عنه وتعقبه اهلاكهم تحقيقا
لان اهل السيئات لايسبقونا قال تعالى فَكَذَّبُوهُ فى ذلك فان قيل ماحكاه الله تعالى عن شعيب
امر ونهى والامر لايكذب ولايصدق فان من قال لغيره اعبد الله لايقال له كذبت اجيب بان
شعيبا كان يقول الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فلاتقربوه وهذه فيها
اخبارات فكذبوه فيما اخبر به فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ اى الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل
لان القلوب رجفت بها فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ اى فى بلدهم اودورهم فاكتفى بالواحد ولم يجمع لامن
اللبس جَاثِمِينَ اى باركين على الركب ميتين فان قيل قال تعالى فى الاعراف وههنا فاخذتهم
الرجفة وقال فى هود فاخذتهم الصيحة والحكاية واحدة اجيب بانه لاتعارض بينهما فان
الصيحة كانت سببا للرجفة لان جبريل لما صاح تزلزلت الارض من صيحته فرجفت قلوبهم
والاضافة الى السبب لاتنافى الاضافة الى سبب السبب فان قيل ما الحكمة فى انه تعالى اذا قال
فاخذتهم الصيحة قال فى ديارهم وحيث قال فاخذتهم الرجفة قال فى دارهم اجيب بان المراد
من الدار هو الديار والاضافة الى الجمع يجوز ان تكون بلفظ الجمع وان تكون بلفظ الواحد اذا
امن اللبس كما مر وانما اختلف اللفظ للطيفة وهى ان الرجفة هائلة فى نفسها فلم يحتج الى تهويلها
واما الصيحة فغير هائلة فى نفسها لكن تلك الصيحة لما كانت عظيمة حتى احدثت الزلزلة فى الارض ذكر الديار
بلفظ الجمع حتى تعلم هيئتها والرجفة بمعنى الزلزلة عظيمة عند كل احد فلم يحتج الى معظم للامر ولما
كان معنى ختام قصة مدين فاهلكناهم عطف عليه على ذلك المعنى قوله تعالى وَعَادًا اى واهلكنا ايضا عادا
وَثَمُودَ مع ما كانوا فيه من العتو والتكبر والعلو لان من المقاصد العظيمة الدلالة على اتباع بعض
هذه الامم بعضا فى الخير والشر على نسق والجرى بهم فى اهلاك المكذبين وانجاء المصدقين طبقا
عن طبق وقرأ حمزة وحفص فى الوصل وثمود بغير تنوين على تاويل القبيلة وفى الوقف بسكون
الدال والباقون بالتنوين وفى الوقف بالالف وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ اى ماحل بهم مِنْ مَسَاكِنِهِمْ اى اوصاف
من هلاكهم وما كانوا فيه من شدة الاجسام وسفه الاحلام وعلو الاهتمام وتقريب الاذهان فى
عظم الشان عند مروركم بتلك المساكن ونظركم اليها فى ضربكم فى التجارة الى الشام فصرفوا
فى الاقبال على الاستمتاع بما تمحض الفانى من هذه الدنيا فاملوا بعيدا وبنوا مشيدا ولم يغن عنهم شئ من ذلك
شيئا من امر الله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ البعيد من الرحمة المحترق باللعنة بقوة احتياله وحبوب ضلاله
ومحاله أَعْمَالَهُمْ اى الفاسدة من الكفر والمعاصى فاقبلوا بكليتهم عليها فَصَدَّهُمْ اى

فتسبب عن ذلك صدّهم عَنِ السَّبِيْلِ اى منعهم عن سلوك الطريق الذى لاطريق الاهو لكونه
يوصل الى النجاة وغيره يوصل الى الهلاك + ولما كان ذلك ربما ظن لفرط غباوتهم قال وَكَانُوْا
مُسْتَبْصِرِيْنَ اى معدودين بين الناس من البصراء العقلاء + ولما كان فرعون ومن ذكر معه
من العتوّ بمكان لايخفى لما اوتوا من القوّة بالاموال والرجال قال وَقَارُوْنَ اى واهلكنا قارون
وقدمه لان وقوعه فى اسباب الهلاك اعجب لكونه من بنى اسرائيل ولانه ابتلى بالمال والعلم فكان
ذلك سبب اعجابه فتكبر على موسى وهرون عليهما السلام فكان ذلك سبب هلاكه وَفِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وزيره الذى اوقد له على الطين فباع سعادته لكونه ذنبا لغيره وَلَقَدْ جَآءَهُمْ من قبل
مُوْسٰى بِالْبَيِّنَاتِ اى بالحجج الظاهرات التى لم تدع لبسا فَاسْتَكْبَرُوْا اى طلبوا ان يكونوا اكبر من كل
كبير بان كانت افعالهم افعال من يطلب ذلك فِى الْاَرْضِ بعد مجئ موسى عليه السلام اليهم اكثر مما
كانوا قبله وَمَا كَانُوْا سَابِقِيْنَ اى فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فَكُلًّا اى فتسبب عن
تكذيبهم ان كلا اَخَذْنَا اى بما لنا من العظمة بِذَنْبِهٖ اى اخذ عقوبة ليعلم انه لا احد يعجزنا فَمِنْهُمْ مَّنْ اَرْسَلْنَا
عَلَيْهِ حَاصِبًا اى ريحا عاصفا فيها حصباء كقوم لوط وعاد وَمِنْهُمْ مَّنْ اَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ اى التى تظهر شدتها
الريح الحاملة لها الموافقة لقصدها فترجف لعظمتها الارض كمدين وثمود وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا
بِهِ الْاَرْضَ اى غيبناه فيها كقارون وجماعته وَمِنْهُمْ مَّنْ اَغْرَقْنَا بالغمر فى الماء كقوم نوح وفرعون
وقومه عذاب قوم صالح المعدّ فى الاغراق والمعدّ فى الخسف فتارة يهلك بريح تقذفت بالحجارة من
السماء كقوم لوط او من الارض كعاد وَمَا كَانَ اللّٰهُ اى الذى لاشئ من الجمال والكمال الا له
لِيَظْلِمَهُمْ اى فيعذبهم بغير ذنب وَلٰكِنْ كَانُوْا اَنْفُسَهُمْ لا غيرها يَظْلِمُوْنَ بارتكاب المعاصى ولم يقبلوا
النصح مع عجزهم ولا خافوا العقوبة على ضعفهم ولما بين تعالى انه اهلك من اشرك عاجلا وعذب
من كذب اجلا ولم ينفعه معبوده مثل تعالى اتخاذه ذلك معبودا باتخاذ العنكبوت بيتا فقال
مَثَلُ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا اى تكلفوا ان اخذوا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اى الذى لاكفء له فرضوا بالدون
الذى لاينفع ولا يدفع عوضا عمن لا تكيفه الاوهام والظنون اَوْلِيَآءَ ينصرونهم بزعمهم من
معبودات وغيرها فى الضعف والوهن كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوْتِ اى الدابة المعروفة ذات
الارجل الكثيرة الطوال اِتَّخَذَتْ بَيْتًا اى تكلفت اخذه فى صنعتها له ليقيها الردى ويحميها البلاء
كما كلفت هؤلاء الاصطناع اربابهم ليقوهم ويحفظوهم بزعمهم فكان ذلك البيت مع تكلفها فى امره وتعبها
الشديد فى شأنه فى غاية الوهن وَاِنَّ اى والحال ان اَوْهَنَ الْبُيُوْتِ اى اضعفها لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوْتِ
لايدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الاصنام لاتنفع عابديها لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَ اى لو كانوا
يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن وايضا انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه
فى دينهم ببيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون اى لو كان لهم
نوع ما من العلم لانتفعوا به ولعلموا ان هذا مثلهم فابعدوا عن اعتقاد ما هذا مثلهم ولقائل

ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا بآجر وجص او ينحته من صخر وكان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان فان قيل لم مثل تعالى باتخاذ العنكبوت ولم يمثل بنسجها اجيب بان نسجها فيه فائدة لولاه لما حصلت وهو اصطياد الذباب به من غير ان يفوتها ما هو اعظم منه واتخاذهم الاوثان يفيدهم ما هو اقل من الذباب من متاع الدنيا ولكن يفوتهم ما هو اعظم منها وهو الدار الآخرة التي هي خير وابقى فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت + تنبيه + نون العنكبوت اصلية والواو والتاء زائدتان بدليل جمعه على عناكب وتصغيره عنيكب ويذكر ويؤنث فمن التانيث قوله تعالى اتخذت و من التذكير قول القائل * على هطالهم منهم بيوت * كان العنكبوت هو ابتناها + وهذا مطرد في اسماء الاجناس تذكر وتؤنث وقرأ ورش وابو عمرو وحفص البيوت بضم الباء والباقون بكسرها + ولما كان ضرب المثل بالشيء لا يعلم الا من العالم بذلك الشيء قال الله تعالى انّ الله اي الذي له صفات الكمال يعلم ما اي الذي يدعون اي يعبدون من دونه اي غيره من شيء اي سواء كان صنما ام انسيا ام جنيا وهو العزيز في ملكه الحكيم في صنعه وقرأ ابو عمرو وعاصم يدعون بالياء التحتية والباقون بالفوقية ولما ذكر مثلهم وما توقفت صحته عليه كان كانه قيل على وجه التعظيم هذا المثل مثلهم فعطف عليه قوله تعالى اشارة على امثال القرآن كلها تفخيما لها وتنبيها على جليل قدرها وعلو شأنها وتلك الامثال اي العالية عن ان تنال بنوع احتيال ثم استأنف قوله تعالى نضربها اي بما لنا من العظمة بيانا للناس اي تصويرا للمعاني المعقولات بصور المحسوسات لعلها تقرب من عقولهم فينتفعوا بها وهكذا حال التشبيهات كلها هي طرق الى افهام المعاني المحتجبة في الاستار تبرزها وتكشف عنها وتصورها روي ان الكفار قالوا كيف يضرب خالق الارض والسموات الامثال بالهوام والحشرات كالذباب والبعوض والعنكبوت فقال الله تعالى تجهيلا لهم وما يعقلها اي حق تعقلها فينتفع بها الا العالمون اي الذين هيؤا للعلم وجعل طبعا لهم بما ثبت في قلوبهم من النور واشرق في صدورهم من اسراره فهم يضعون الاشياء مواضعها + وروى الحرث بن ابي اسامة عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العالم الذي عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب سخطه قال البغوي والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالاول يريد امثال القرآن التي يشبه بها احوال كفار هذه الامة باحوال كفار الامم المتقدمة + ولما تقدم تعالى انه لا معجز له سبحانه ولا ناصر لمن خذله استدل على ذلك بقوله تعالى خلق الله اي الذي لا يداني في عظمته السموات والارض بالحق اي الامر الذي يطابقه الواقع او بسبب اثبات الحق وابطال الباطل او بسبب انه محق غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الجود والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار

اليه بقوله تعالى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً اى دلالة ظاهرة على قدرته تعالى لِّلْمُؤْمِنِينَ واختص المؤمنون
بذلك لانهم المنتفعون به + ثم خاطب تعالى رأس اهل الايمان بقوله تعالى اتْلُ مَا أُوحِيَ
إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ اى القرآن الجامع لكل خير لتعلم ان نوحا ولوطا وغيرهما
كانوا على ما انت عليه بلغوا الرسالة وبالغوا فى اقامة الدلالة ولم ينقذوا قومهم من الضلالة وهذا تسلية
للنبى صلى الله عليه وسلم + ولما ارشد تعالى الى مفتاح العلم دل على قانون العمل بقوله تعالى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
اى التى هى احق العبادات ثم علل ذلك بقوله تعالى إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ اى توجد النهى وتجدده للمواظب
على اقامتها بجميع حدودها عَنِ الْفَحْشَاءِ اى عن الخصال التى بلغ قبحها وَالْمُنكَرِ وهو ما لا يعرف
فى الشرع فان قيل كم من مصل يرتكب الفحشاء اجيب بان المراد الصلوة التى هى الصلوة
عند الله تعالى المستحق بها الثواب بان يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل
الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روى عن حاتم كان رجلى على الصراط والجنة
عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت من فوقى واصلى بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد ان يصليها
ولا يحبطها فهى الصلوة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال ابن مسعود وابن عباس ان الصلوة
تنهى وتزجر عن معاصى الله عز وجل فمن لم تامره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته
من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فصلوته وبال عليه
وقيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان ينتهى عن السيئات يوما ما فقد روى انه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلى بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه وقد روى ان
فتى من الانصار كان يصلى معه الصلوة ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان
صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وقال ابن عوف معنى الاية ان الصلوة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر
ما دام فيها وعلى كل حال فان المراعى للصلوة لا بد ان يكون ابعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وايضا
فكم من مصلين تنهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضى ان لا يخرج واحد من المصلين عن
قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكر وانما تريد ان هذه
الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء العموم وقيل المراد بالصلوة القرآن كما قال تعالى
ولا تجهر بصلوتك اى بقراءتك واراد به من يقرأ القرآن فى الصلوة فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر
روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله ويصبح سارقا قال
ستنهاه قراءته ولما كان الناهى فى الحقيقة انما هو ذكر الله اتبع ذلك بقوله تعالى وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ اى
لان ذكر المستحق لكل صفات الكمال اكبر من كل شئ فذكر الله تعالى افضل الطاعات قال صلى الله عليه
وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير من اعطاء الذهب
والفضة وان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله
وسئل صلى الله عليه وسلم اى العباد افضل عند الله درجة يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا

يا رسول الله ومن الغازين في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب
دما لكان الذاكر الله كثيرا افضل منه درجة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على
جبل في طريق مكة يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون
يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات او والصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها
بذكر الله كما قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله اكبر ليستقل بالتعليل كانه قال
والصلوة اكبر لانها ذكر الله وعن ابن عباس ولذكر الله تعالى اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته
وقال عطاء ولذكر الله اكبر من ان تبقى معه معصية والله اي المحيط علما وقدرة يعلم اي في كل
وقت ما تصنعون من الخير والشر فيجازيكم على ذلك ولما بين تعالى طريقة ارشاد المشركين بين
طريقة ارشاد اهل الكتاب بقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب اي اليهود والنصارى ظنا منكم
ان الجدال ينفع او يزيد في اليقين او يرد واحدا عن ضلال مبين الا بالتي اي المجادلة التي
هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والدعاء الى الله تعالى باياته
والتنبيه على حججه كما قال تعالى ادفع بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم بان حاربوا و
ابوا ان يقروا بالجزية فجادلوهم بالسيف الى ان يسلموا او يعطوا الجزية وقيل الا الذين اذوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وعن قتادة الاية
منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا مجادلة اشد من السيف ولما
بين تعالى نفي موجب الخلاف امر بالاستعطاف بقوله تعالى وقولوا اي لمن قبل الاقرار بالجزية
اذا اخبروكم بشيء مما في كتبهم امنا بالذي انزل الينا اي من هذا الكتاب المعجز وانزل اليكم
من كتبكم اي لانه في اصله حق وان كان قد نسخ منه ما نسخ وان حدثوكم بشيء منه وليس عندكم
ما يصدقه ولا ما يكذبه فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم لما روى ابو داود انه صلى الله عليه وسلم قال لا تصدقوا
اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا
لم تكذبوهم اي فان هذا ادعى الى الانصاف وانفى للخلاف ولما لم يكن هذا جامعا للفريقين اتبعه
بما يجمعهم بقوله تعالى والهنا والهكم واحد اي لا اله لنا غيره وان ادعى بعضكم عزيرا والمسيح ونحن له
خاصة مسلمون اي خاضعون منقادون اتم انقياد فيما يامرنا به بعد الاصول من الفروع سواء
كانت موافقة لفروعكم كالتوجه بالصلوة الى بيت المقدس او ناسخة كالتوجه الى الكعبة
ولا نتخذ الاحبار والرهبان اربابا من دون الله لناخذ ما يشرعونه لنا مخالفا للكتاب وسنة نبيه
صلى الله عليه وسلم وكذلك اي ومثل ذلك الانزال الذي انزلناه الى انبيائهم من التورية وغيرها
انزلنا اليك الكتاب اي القران مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله تعالى فالذين
اتيناهم الكتاب اي التورية كعبد الله بن سلام وغيره يؤمنون به اي بالقران ومن هؤلاء اي
اهل مكة او ممن في عهده صلى الله عليه وسلم من اهل الكتابين من يؤمن به وهم مؤمنو اهل

مكة واهل الكتابين وما يجحد اى ينكر قال قتادة والجحود انما يكون بعد المعرفة بآياتنا اى التى جاوزت
اقصى غايات العظمة حتى انها استحقت الاضافة الينا الا الكافرون اى اليهود ظهر لهم ان القرآن
حق والجائى به محق وجحدوا ذلك وهذا تنفير لهم عما هم عليه يعنى انكم آمنتم بكل شئ وامتزتم
عن المشركين بكل فضيلة الا هذه المسئلة الواحدة وبانكارها تلتحقون بهم وتبطلون مزاياكم
فان الجاحد بآية يصير كافرا وما اى وانزلنا اليك الكتاب والحال انك ما كنت تتلوا اى تقرأ اصلا
من قبله اى هذا الكتاب الذى انزلناه اليك واكد استغراق الكتب بقوله تعالى من كتاب اصلا
ولا تخطه اى تجدده وتلازم خطه وصور الخط واكده بقوله بيمينك فان قيل ما فائدة قوله بيمينك
اجيب بانه ذكر اليمين التى هى اقوى الجارحتين وهى التى يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفى
عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت فى الاثبات رأيت الامير يخط هذا الكتاب
بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبه فكذلك النفى وفى ذلك اشارة الى انه لا تحدث الريبة
فى امره لعاقل الا بالمواظبة القوية التى ينشأ عنها ملكة فكيف اذا لم يحصل اصل الفعل ولذلك قال
تعالى اذا اى لو كنت ممن يخط ويقرأ لارتاب اى شك المبطلون اى اليهود فيك وقالوا الذى
فى التوراة انه امى لا يقرأ ولا يكتب او لارتاب مشركوا مكة وقالوا لعله تعلمه او التقطه من
كتب الاولين وكتبه بيده فان قيل لم سماهم مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذى نجده فى
كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق فى قولهم لعله تعلمه او كتبه بيده فانه رجل
كاتب قارئ اجيب بانه سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امى بعيد من الريب فكانه قال هؤلاء
المبطلون فى كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحينئذ ليس بقارئ ولا كاتب فلا وجه
لارتيابهم وايضا سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤا
به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذى
آمنوا منه بموسى وعيسى على ان المنزل اليهم معجز وهذا المنزل معجز فاذا هم مبطلون حيث لم يؤمنوا
وهو امى ومبطلون حيث لم يؤمنوا وهو غير امى ولما كان التقدير ولكنه لا ريب لهم اصلا
ولا شبهة لقولهم انه باطل قال تعالى بل هو اى القرآن الذى جئت به وارتابوا فيه فكانوا
مبطلين لذلك على كل تقدير آيات اى دلالات بينات اى واضحات جدا فى الدلالة على
صدقك فى صدور الذين اوتوا العلم اى المؤمنين يحفظونه فلا يقدر احد على تحريف شئ منه
لبيان الحق لديهم وفى ذلك اشارة الى ان خفاءه عن غيرهم وقال ابن عباس وقتادة بل هو
يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب لانهم
يجدونه بنعته وصفته فى كتبهم وما يجحد وكان الاصل به ولكنه اشار الى عظمته بقوله تعالى
بآياتنا اى ينكرها بعد المعرفة على ما لها من العظمة باضافتها الينا والبيان الذى لا يجهله
احد الا الظالمون اى المتوغلون فى الظلم المكابرون فان قيل ما الحكمة فى قوله تعالى

ههنا الا الظالمون ومن قبل قال الا الكافرون اجيب بان ما من حيث دلالته كلمة في القرآن الا
وفيه فائدة ثم ان العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل الى اكثرها وما ادرك البشر لعلم الا
قليلا ولكن الحكمة هنا انهم قبل بيان المعجزة قيل لهم ان لكم الشرايا فلا تبطلوها بالكلية صلى الله
عليه وسلم فتكونوا كافرين فالمعتذ الكافر هنا لنبالغ فمنعهم عن ذلك استنكافهم عن الكفر ثم بعد
بيان المعجزة قال لهم ان جحدتم هذه الاية لزمكم انكار ارسال الرسل فتلتحقون في اول الامر
بالمشركين حكما وتلحقون عند جحود هذه الآيات بالمشركين حقيقة فتكونوا ظالمين اي مشركين
كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم فهذا اللفظ هنا ابلغ ولما كانت اتفقا بجحدها بالجحود الوسيع
في الظلم ولم يبدو بما ايات فضلا عن كونها بينات عطف عليه قوله تعالى ﴿وقالوا﴾ اي مشركون مسكوا
انكرهم بالصفة بادنى ما يدل على الصدق ﴿لولا﴾ اي هلا ﴿انزل عليه﴾ اي محمد صلى الله عليه وسلم
على اي وجه كان من وجوه الانزال ﴿آيات من ربه﴾ تدل قطعا على صدق الانزال بها من [illegible]
اي الذي يدعي احسانه اليه كما انزل على الانبياء قبله كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى
عليهم السلام ليستدل بها على صدق مقاله ووجه ما يدعيه من [illegible] وقرأ نافع وابن عامر [illegible]
وحفص آيات بالجمع لان بعده قل انما الآيات بالجمع اجماعا والباقون آية بالافراد لان غالب ما جاء
في القرآن كذلك ولما كان هذا انكارا للشمس بعد شروقها مكابرة فيما تضمن به من المعجزات بعد ان
حقق فيها اشار اليه بقوله تعالى ﴿قل﴾ اي لهم ارخاء للعنان حتى كانك ما أتيتهم بشيء ﴿انما الآيات عند الله﴾
اي الذي له الامر كله ينزل ايها شاء فلا يقدر غيره على انزال شيء منها فانا الا آله ولو شاء
ان ينزل ما يقترحونه لفعل ﴿وانما انا نذير مبين﴾ اي فليس من شاني الا الانذار بما اعطيته
من الآيات ليس لي ان اقترح عليه الآيات فاقول انزل على آية كذا دون آية كذا على ان المقصود
من الآيات الدلالة على الصدق وفي كلها في الحكم آية واحدة في ذلك ثم بين كفاية القرآن لانه ليس
من اسلوبها بقوله تعالى ﴿اولم يكفهم﴾ جوابا لقولهم لولا انزل عليه آيات من ربه اي ان كانوا طالبين
للحق غير متعنتين آية مغنية عن كل آية ﴿انا انزلنا﴾ اي بما لنا من العظمة ﴿عليك الكتاب﴾ اي الجامع
لسعادة الدارين بحيث صار علما ﴿يتلى عليهم﴾ اي تتجدد قراءته عليهم شيئا بعد شيء في كل
مكان وفي كل زمان من كل قائل مصدقا لما في الكتب القديمة [illegible] الآيات
الله الذي على صدقك فنعظم به آية باقية لا تندرس [illegible]
وتكون في مكان دون مكان فان [illegible] من كل [illegible]
وما دامت فان قلب العصا ثعبانا واحياء الميت لم يبق لنا منه اثر [illegible] لم يمكن اثباته
بدون الكتاب واما القرآن فهو باق لو انكره واحد فيقال له فأت بآية من مثله الثاني ان قلب العصا ثعبانا
كان في آن واحد ولم يره من لم يكن في ذلك المكان واما القرآن فقد وصل الى المشرق والمغرب وسمعه كل احد
وههنا لطيفة وهي ان آيات نبينا صلى الله عليه وسلم كانت اشياء لا تختص بمكان دون مكان لان من

جملتها انشقاق القمر وهو يعم الارض لان الخسوف اذا وقع عم وذلك لان نبوته كانت عامة لا تختص
بقطر دون قطر وغاض بحر ساوة في قطر وسقط ايوان كسرى في قطر وانهدمت الكنيسة
بالروم في قطر آخر اعلاما بانه يكون امر عام الثالث ان غير هذه المعجزة يقول الكافر المعاند هذا
سحر وعمل بدواء والقرآن لا يمكن هذا القول فيه وقال ابو العباس المرسي خشم بعض الصحابة من بعض
اليهود فقرأ التوراة فعتبوا اذ تشاغلوا من غير القرآن وهم انما تشاغلوا من التوراة وهي
كلام الله تعالى فما ظنك بمن اعرض عن كتاب الله وتشاغل بالملاهي والغناء ولما كان هذا القرآن
اعظم من كل آية بقيت نعمته قال تعالى ان في ذلك اي انزال الكتاب على هذا الوجه البعيد المثال
البديع المثال لرحمة اي نعمة عظيمة في كل لحظة وتطهير للخبث النفيس في كل لمحة وذكرى اي
عظة عظيمة مستمرة تذكرها ولما عم بالقول خص من حيث النفع فقال لقوم يؤمنون ع لانهم المنتفعون
بذلك ولما كان من المعلوم انهم يقولون نحن لا نصدق ان هذا الكتاب من عند الله فضلا
عن ان نكتفي به قال تعالى قل اي جوابا لما قد يقولونه من نحو هذا كفى بالله اي الحاوي لجميع العظمة
وسائر الكمالات بيني وبينكم شهيدا اني قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم ونصحتكم وانذرتكم وانكم
قابلتم بالجحد والتكذيب وقد صدقني بالمعجزات وروي ان كعب بن الاشرف وغيره قالوا يا محمد
من يشهد لك انك رسول الله فنزلت ثم وصف الشهيد وعلل كفايته بقوله يعلم ما في السموات
اي كلها والارض اي كذلك لا يخفى عليه شيء من ذلك فهو عليم بما تنسبونه اليه من التقول عليه
وبما انسبه انا اليه من هذا القرآن الذي يشهد لي به عجزكم عنه فهو شاهد والله في الحقيقة
هو الشاهد لي فيه بالثناء علي والشهادة لي بالصدق لانه قد ثبت بالمعجزة انه كلامه ولما بين
تعالى الطريقين في ارشاد الفريقين المشركين واهل الكتاب عاد الى الكلام الشامل لهما وللاخرين العام
فقال والذين آمنوا بالباطل اي وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله اي الذي يجب الايمان
به والشكر له لان له الكمال كله وكل ما سواه هالك ليس له من ذاته الا العدم اولئك اي البعداء
البغضاء هم الخاسرون اي العريقون في الخسارة فانهم خسروا انفسهم ابدا لا بد من ذلك فان قيل
قوله اولئك هم الخاسرون يقتضي الحصر في من آمن بالباطل وكفر بالله فمن يأتي باحدهما دون
الآخر لا يكون كذلك اجيب بانه يستحيل ان يكون الآتي باحدهما لا يكون آتيا بالآخر لان
المؤمن بما سوى الله تعالى مشرك لانه جعل غير الله مثله وغير الله عاجز ممكن باطل فيكون الله
تعالى كذلك ومن كفر بالله تعالى وانكره فيكون قائلا بان العالم واجب الوجود اله فيكون قائلا بان
غير الله اله فيكون اثباتا لغير الله وايمانا به فان قيل اذا كان الايمان بما سواه كفرا به فيكون كل
من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التاكيد الذي في قول القائل
قم ولا تقعد واقرب مني ولا تبعد اجيب بان فيه فائدة غيرها وهو انه ذكر الثاني لبيان قبح الاول
كقول القائل اتقول بالباطل وتترك الحق لبيان ان القول بالباطل قبيح ولما انذرهم صلى الله عليه وسلم

واوعد بالعذاب ان لم يؤمنوا اخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ نزلت في النضر
ابن الحرث حين قال فامطر علينا حجارة من السماء ان كنت من الصادقين ويجعلون تأخيره عنهم
شبهة لهم فيما يزعمون من التكذيب ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ قد ضربه لوقت عذابهم فلا تقدم فيه
ولا تأخر ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ وقت استعجالهم لان القدرة تامة والعلم محيط ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ اى
فجاءة في الدنيا كوقعة بدر او الاخرة عند نزوله بهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بل هم في غاية
الغفلة عنه والاشتغال بما ينسيه ثم زاد في التعجب من جهلهم بقوله تعالى مبدلا ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾
اى يطلبون منك ايقاعه بهم ناجزا ولو كان في غير وقته الالبق به ولو علموا انهم صائرون اليه لتمنوا
انهم لم يخلقوا فضلا عن ان يستعجلوا ولا عملوا جهدهم في الخلاص منه ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ﴾ التي هي من عذاب
الاخرة ﴿لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ اى ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الان لاحاطة الكفر
والمعاصي التي توجبها بهم واتى بالظاهر موضع المضمر تنبيها على ما استحقوا به عذابها وتعميما لكل
من اتصف به ثم ذكر تعالى كيفية احاطتها بهم بقوله عز وجل ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ اى يلحقهم ويلصق
بهم ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ فعلم بذلك احاطته من جميع الجوانب فان قيل لم خص
الجانبين ولم يذكر اليمين والشمال وخلف وقدام اجيب بان المقصود ذكر ما تتميز به نار جهنم
عن نار الدنيا ونار الدنيا تحيط بالجوانب الاربعة فان من يدخلها تكون الشعلة قدامه وخلفه
ويمينه ويساره واما النار من فوق فلا تنزل وانما تصعد من سفل في العادة ومن تحت الاقدام لا تبقى الشعلة
بل تنطفئ الشعلة التي تحت القدم ونار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفئ بالدوس موضع القدم فان قيل
ما الحكمة في قوله تعالى من فوقهم ومن تحت ارجلهم ولم يقل من فوق رؤسهم ولا قال من فوقهم ومن
تحتهم بل ذكر المضاف اليه عند ذكر تحت ولم يذكره عند ذكر فوق اجيب بان نزول النار من فوق
سواء كان من سمت الرأس ام من موضع اخر عجيب لان طبع النار الصعود الى فوق فلهذا لم يخصه
بالرأس واما بقاء النار تحت القدم فهو عجيب والا فجانب القدم في الدنيا تكون الشعلة
فذكر العجيب هو ما تحت الارجل حيث لم ينطفئ بالدوس واما فوق فعلى الاطلاق وقوله تعالى ﴿وَيَقُولُ﴾
قرأ نافع والكوفيون بالياء اى الموكل بالعذاب من ملائكته بامره والباقون بالنون اى نأمر بالقول
لما بين عذاب اجسامهم بين عذاب ارواحهم وهو ان يقال لهم على سبيل التنكيل والاهانة
﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ جعل ذلك عين ما كانوا يعملون مبالغة بطريق اسم المسبب على السبب فان
عملهم كان سببا لعذابهم وهذا كثير في الاستعمال ✦ ولما ذكر تعالى حال المشركين على حدة وحال
اهل الكتاب على حدة وجمعهما في الانذار وجعلهما من اهل النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم
وسعوا في ايذاء المؤمنين ومنعهم من العبادة قال تعالى ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فشرفهم بالاضافة
اليه ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ اى في الذات والرزق وكل ما تريدون من الرفق ان لم تتمكنوا بسبب هؤلاء
المعاندين الذين يفتنونكم في دينكم قال مقاتل والكلبي نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول الله تعالى

ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها فان ارض المدينة واسعة آمنة وقال مجاهد
ان ارضي واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير اذا عمل في ارض بالمعاصي فاخرجوا
منها فان ارضي واسعة وكذا يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان
يهاجر الى حيث تتهيأ له العبادة ولكن صارت البلدان في زماننا كلها متساوية فلا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم وقرأ بفتح الياء ابن عامر والباقون بتسكينها وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة
بمكة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم
بترك الخروج وقال مطرف بن عبد الله ارضي واسعة اي رزقي لكم واسع فاخرجوا وروى الثعلبي عن
الحسن البصري من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق
ابراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما + تنبيه + قوله تعالى يا عبادي لا يدخل فيه الكافر لوجوه
الاول قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والكافر تحت سلطنة الشيطان فلا يدخل في قوله تعالى
يا عبادي الثاني قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الثالث ان
العباد ماخوذ من العبادة والكافر لا يعبد الله فلا يدخل في قوله تعالى يا عبادي وانما يختص
بالمؤمنين الذين يعبدونه الرابع الاضافة بين الله تعالى والعبد يقول العبد الهي ويقول الله عبدي
فان قيل اذا كان عبادي لا يتناول الا المؤمنين فما الفائدة في قوله الذين آمنوا مع ان الوصف انما يذكر
لتمييز الموصوف كما يقال يا ايها المكلفون المؤمنون يا ايها الرجال العقلاء تمييزا بين الكافر والجاهل
اجيب بان الوصف يذكر لا للتمييز بل لمجرد بيان ان فيه الوصف كما يقال الانبياء المكرمون والملائكة
المطهرون مع ان كل نبي مكرم وكل ملك مطهر وانما يقال لبيان ان فيهم الاكرام والطهارة ومثله
قولنا الله العظيم فههنا ذكر لبيان انهم مؤمنون + ولما كانت الاقامة بمكة قبل الفتح مؤدية الى الفتنة
قال تعالى فاياي اي خاصة بالهجرة الى ارض تامنون فيها فاعبدون اي وحدون وان كان
بالهجرة وكانت هجرة الاهل والاوطان شديدة فان قيل قوله تعالى يا عبادي يفهم منه كونهم
عابدين فما الفائدة في الامر بالعبادة اجيب بان فيه فائدتين احداهما المداومة اي يا من عبدتموني
في الماضي اعبدوني في المستقبل الثانية الاخلاص اي يا من تعبدني اخلص العمل لي ولا تعبد غيري
فان قيل ما معنى الفاء في فاعبدون اجيب بان الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي
واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها + ولما امر الله تعالى عباده بالحرص
على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يطلبوا لها اوفق البلاد وان بعدت شق عليهم ترك الاوطان
ومفارقة الاخوان خوفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة بقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت اي
كل نفس مفارقة ما الفته حتى بدنها الذي لابسته ولابسها واستانست به فان اطاعت بها بلغت نفسها
لم تنقصها الطاعة من الاجل شيئا ولا زادت نفسها ولم تزدها المعصية في الاجل شيئا فاذا ايقن الانسان
انه ميت سهلت عليه الهجرة فانه ان لم يفارق بعض ما الفه بها فارق كل ما الفه بالموت ثم رد [illegible]

من ذكره ما دام الثبات اى الحياة فانه ما ذكر فى قليل اى من العمل الا كثره ولا ذكر فى كثير اى من امل الدنيا
الا قلله ولما هونت امر الهجرة بتصغير من يخشى فى دينه بنقص شئ من الاشياء حثا على
الاستعداد بتذكير الموعد فى الترقى والمعاد بقوله تعالى ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ على ايسر وجه فنجازى
كلا منكم بما عمل وقرأ ابو بكر بالياء التحتية والباقون بالتاء الفوقية وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا اى
تصديقا لايمانهم الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ اى لننزلنهم مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا اى بيوتا عالية قال البقاعى
تحتها قاعات واسعة وقرأ حمزة والكسائى بعد النون بثاء مثلثة ساكنة وبعدها واو مكسورة وبعد
الواو ياء مفتوحة اى لنثوينهم اى لنقيمنهم من الثواء وهو الاقامة يقال ثوى الرجل اذا اقام
فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض اتساعا اى فى غرف او تشبيه
الظرف المؤقت بالمبهم كقوله لاقعدن لهم صراطك والباقون بعد النون بباء موحدة وبعدها واو
مشددة وبعدها اى بعد الواو همزة مفتوحة وعلى هذه القراءة فانتصابها على انها مفعول ثان لان بوأ يتعدى
لاثنين قال الله تعالى تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ويتعدى باللام قال تعالى واذ بوأنا لابراهيم
+ ولما كانت العلالى لا تروق الا بالرياض قال تعالى تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ومن المعلوم
انه لا يكون فى موضع انهار الا ان يكون فيه بساتين كبار وزروع ورياض وازهار فيشرفون
عليها من تلك العلالى + ولما كانت بحالة لا يكدر فيها بوجه حسرة فى فقده ما كان عنه بقوله تعالى
خَالِدِينَ فِيهَا اى لا يبغون عنها حولا ثم عظم امرها وشرف قدرها بقوله تعالى نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ اى
هذا الاجر هذا فى مقابلة قوله تعالى للكفار ذوقوا ما كنتم تعملون ثم وصفهم بما يرغب فى الهجرة
بقوله تعالى الَّذِينَ صَبَرُوا اى اوجدوا هذه الحقيقة حتى استقرت عندهم فكانت سجية
لهم فادتهم على كل شاق من التكاليف من هجرة وغيرها فان الانسان قل ان ينفك عن امر
شاق ينبغى الصبر عليه ثم رغب فى الاستراحة بالتفويض اليه بقوله تعالى وَعَلَى رَبِّهِمْ اى المحسن اليهم
وحده لا على اهل ولا وطن يَتَوَكَّلُونَ اى يوجدون التوكل ايجادا مستمرا لتجدد كل مهم يعرض
لهم + ولما اشار بالتوكل الى انه الكافى فى امر الرزق فى الوطن والغربة لا مال ولا اهل قال عاطفا
على ما تقديره فكاين من متو[illegible] كفاه وهجرة الى احد سواه قليلا
من انقذه من الهلكة وهداه الى الهجرة [illegible] وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ اى كثير
من الدواب العاقلة وغيرها لَا تَحْمِلُ اى لا تطيق ان تحمل رِزْقَهَا اى لا تدخر شيئا لساعة
اخرى ولانها قد لا تدرك نفع ذلك وقد تدركه وتتوكل وعن الحسن لا تدخر
انما تصبح فيرزقها الله تعالى وعن ابن عيينة ليس شئ يخبأ الا الانسان والنملة والفارة وعن
بعضهم قال رأيت البلبل يدخر فى حضنه ويقال للعقعق مخابئ الا انه ينساها ولا يجدها او لا تطيق
حمله لضعفها ثم كانه قيل فمن يرزقها فقيل اللَّهُ اى المحيط علما وقدرة المتصف بكل كمال يَرْزُقُهَا
على ضعفها وهى لا تدخر وَإِيَّاكُمْ مع قوتكم واحتيالكم واجتهادكم لا فرق بين تيسر رزقه لها على

ضعفها وعدم ادخارها وترزيقه لكم على قوتكم وادخاركم فانه هو المسبب وحده فان الفريقين
تارة يجدون وتارة لا يجدون فصار الادخار وعدمه غير معتد ولا منظور اليه وقرأ ابن كثير بعد
الكاف بالف وبعد الالف همزة مكسورة والباقون بعد الكاف همزة مفتوحة وبعدها
ياء مشددة ووقف ابو عمرو على الياء ووقف الباقون على النون وحمزة في الوقف يسهل
الهمزة على اصله + تنبيه + كاين كلمة مركبة من كاف التشبيه واي التي تستعمل استعمال من وما ركبتا
وجعل المركب بمعنى كم ثم لم تكتب الا بالنون ليفصل بين المركب وغير المركب لان كاي تستعمل غير
مركبة كما يقول القائل رأيت رجلا كاي رجل يكون وحينئذ لا يكون كاي مركبا فاذا كان
كاي ههنا مركبا كتب بالنون للتمييز وهو السميع لاقوالكم الخفي القصد والضمير العليم
بما في ضمائركم واختلف في سبب نزول هذه الآية فعن ابن عمر انه قال دخلت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط الانصار فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلتقط الرطب بيده ويأكل فقال كل يا ابن عمر قلت لا اشتهيه يا رسول الله
قال لكني اشتهيه وهذه صبح رابعة لم اطعم طعاما ولم اجده فقلت يا رسول الله ان الله المستعان
فقال لو سألت يا ابن عمر ربي لاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر اضعافا مضاعفة ولكني اجوع يوما
واشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبئون
رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت وكاين من دابة وذكر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة واذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج
الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا ويسقينا فنزلت وعن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان لا يدخر شيئا لغد وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم ايها الناس ليس شيء يقربكم الى
الجنة ويباعدكم من النار الا قد امرتكم به وليس شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا قد
نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعي انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا
الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله فانه لا يدرك ما عند الله
الا بطاعته ولئن اللام لام قسم سألتهم اي كفار مكة وغيرهم من خلق السموات والارض وسواهما
على هذا النظام العظيم وسخر الشمس والقمر لاصلاح الاقوات ومعرفة الاوقات وغير ذلك
من المنافع ليقولن الله اي الذي له جميع صفات الكمال لما تقرر في فطرهم من ذلك وتلقوه
من ابائهم موافقة للحق في نفس الامر قال اي فكيف ومن اي وجه يؤفكون اي
يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك فان قيل ذكر في السموات والارض الخلق وفي الشمس
والقمر التسخير اجيب بان مجرد خلق السموات والارض آية فلا حاجة بخلاف
خلق الشمس والقمر فانهما لو كانا في موضع واحد لا يتحركان ما حصل الليل والنهار

ولا الصيف ولا الشتاء فاذا الحكمة الظاهرة فى تحريكهما وتسخيرهما + ولما كان قد يشكل على
ذلك التفاوت فى الرزق عند من لم يتامل حق التامل فيقول ما بال الخلق متفاوتين فى الرزق قال تعالى
اَللّٰهُ اى بما له من الاحاطة بصفات الكمال يَبْسُطُ الرِّزْقَ بقدرته التامة امتحانا لِمَنْ يَّشَآءُ مِنْ
عِبَادِهٖ على حسب ما يعلم من بواطنهم وَيَقْدِرُ اى يضيق لَهٗ بعد البسط او لمن يشاء ابتلاء
فظهر من ذلك قدرته وحكمته وانت ترى الملوك وغيرهم من الاقوياء يفاوتون
فى الرزق بين عمالهم بحسب ما يعلمون من علمهم الناقص باحوالهم فما ظنك بملك الملوك العالم
علما لا تدنو من ساحته ظنون ولا شكوك كما قال تعالى اِنَّ اللّٰهَ اى الذى له صفات الكمال بِكُلِّ شَيْءٍ
اى من المرزوقين ومن الارزاق وكيف يمنع او يساق وغير ذلك عَلِيْمٌ يعلم مقادير الحاجات
والارزاق فهو على ذلك كله قدير يعلم ما يصلح العباد من ذلك وما يفسدهم ويعطيهم بحسب ذلك
ان شاء وكم رام بعض الاقوياء اغناء فقير وافقار غنى فكشف الحال عن فساد ما راموا من الانتقال
+ ولما قال الله تعالى الله يبسط الرزق ذكر اعترافهم بذلك بقوله تعالى وَلَئِنْ اللام لام قسم
سَاَلْتَهُمْ مَّنْ نَّزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بعد ان كان مضبوطا فى جهة العلو فَاَحْيَا بِهِ الْاَرْضَ الغبراء
والقفار باثبات النبات الى قرب الانبات من زمان الممات فقال مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا فصارت خضراء
تهتز بعد ان لم يكن لها شئ من ذلك لَيَقُوْلُنَّ اللّٰهُ معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها
وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لا يقدر على شئ من ذلك فلما ثبت انه الخالق
بداء واعادة كما يشاهد فى كل زمان قال منبها على عظمة صفاته اللازم من اثباتها صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم قُلِ يا افضل الخلق متعجبا منهم فى جحودهم كيف يقرون بما يلزمهم التوحيد ثم
لا يوحدون الْحَمْدُ لِلّٰهِ الذى لا سمى له وليس لغيره احاطة من الانتفاء فلزمتهم الحجة بما اقروا به
من احاطته وهم لا يثبتون ذلك باعراضهم بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ فيناقضون حيث يقرون بانه ع
المبدئ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به غيره مما هم معترفون بانه خلقه فهم لا يعرفون معنى الحمد
حيث لم يعملوا به ومنهم من آمن بعد ذلك فكان فى الذروة من كمال العقل فى التوحيد الذى
يلزمه سائر الفروع ومنهم من كان دون ذلك فكان نفى العقل عنه مقيدا بالكمال + ولما تبين
بهذه الآيات ان الدنيا مبنية على الفناء والزوال والتقلب والارتحال وصرف المسرة بها فى
غير موضعه فلذلك قال مشيرا بعد سلب العقل عنهم الى انهم فيها كالبهائم يتهايجون وَمَا هٰذِهِ
الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا محقرا بالاشارة ولفظ الدناءة مع الاشارة الى هذه الاعتراف فهذا الاسم كانت
فى الالزام بالاعتراف الاخرى اِلَّا لَهْوٌ وهو الاستمتاع بلذات الدنيا وَّلَعِبٌ وهو العبث وسميت
بهما لانها فانية وقيل اللهو الاعراض عن الحق واللعب الاقبال على الباطل فان قيل قد قال
تعالى فى الانعام وما الحيوة الدنيا ولم يقل وما هذه الحيوة وقال ههنا وما هذه الحيوة فما فائدته
اجيب بان المذكور من قبل ههنا امر الدنيا فاحيا به الارض من بعد موتها فقال

هذه والمذكور قبلها هناك الآخرة حيث قال يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على
ظهورهم فلم تكن الدنيا فى ذلك الوقت فى خاطرهم فقال تعالى وما الحيوة الدنيا فان قيل ما الحكمة
فى تقديمه هناك اللعب على اللهو وههنا اخر اللعب عن اللهو اجيب بانه لما كان المذكور من قبل
هناك الآخرة واظهارهم للحسرة ففى ذلك الوقت يبعد الاستغراق فى الدنيا بل نفس الاشتغال بها
فاخذ الابعد وههنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهى خداعة تدعو النفوس الى الاقبال عليها والاشتغال
فيها اللهم الا المانع يمنع من الاستغراق فيشتغل بها من غير استغراق فيها ولعاصم يعصمه فلا يشتغل
بها اصلا وكان الاستغراق اقرب من عدمه فقدمه اللهو ولما كانوا ينكرون الحيوة بعد الموت
اخبر على سبيل التاكيد انه لاحيوة غيرها بقوله تعالى وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ اى خاصة الْحَيَوَانُ
اى الحيوة التامة الباقية فان قيل ما الحكمة فى قوله تعالى هناك وللدار الآخرة خير وقال ههنا وان
الدار الآخرة لهى الحيوان اجيب بانه لما كان الحاصل هناك حال اظهار الحسرة ما كان المكلف يحتاج
الى وازع قوى فقال الآخرة خير ولما كان الحال هنا حال الاشتغال بالدنيا احتاج الى وازع قوى
فقال لاحيوة الاحيوة الآخرة والحيوان مصدر حيى وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا
وبه سمى ما فيه حيوة حيوانا وهو ابلغ من الحيوة لما فى بناء فعلان من الحركة والاضطراب
اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا ولما كانوا قد غلطوا فى الدارين كليهما فنزلوا كل واحدة
منهما غير منزلتها فعدوا الدنيا وجودا دائما على هذه الحالة وعدوا الآخرة عدما لا وجود لها نبههم
قال تعالى لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ اى لم يؤثروا عليها الدنيا التى اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة
الزوال فان قيل ما الحكمة فى قوله تعالى فى الانعام افلا يعقلون وقال ههنا لو كانوا يعلمون اجيب
بان المثبت هناك كون الآخرة خيرا ولانه ظاهر لا يتوقف الا على العقل والمثبت ههنا ان لاحيوة
الاحيوة الآخرة وهذا دقيق لا يعرف الا بعلم نافع فَإِذَا اى فتسبب عن عدم عقلهم المستلزم
لعدم علمهم انهم اذا رَكِبُوا البحر فِي الْفُلْكِ اى السفن دَعَوُا اللَّهَ اى الملك الاعلى مُخْلِصِينَ
بالتوحيد لَهُ الدِّينَ معرضين عن الشركاء بالقلب واللسان حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون
سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فَلَمَّا نَجَّاهُمْ اى الله سبحانه وتعالى موصلا لهم إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ
اى حين الوصول الى البر يُشْرِكُونَ به كما كانوا فهذا اخبار عنهم بانهم عند الشدائد مقرون ان القادر
على كشفها هو الله عز وجل وحده فاذا زالت عادوا الى كفرهم قال عكرمة كان اهل الجاهلية
اذا ركبوا فى البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتدت عليهم الريح القوها فى البحر وقالوا يا رب يا رب قال
الرازى فى اللوامع وهذا دليل على ان معرفة الرب فطرة كل انسان وانهم ان غفلوا فى السراء فلا
شك انهم يلوذون اليه فى الحال الضراء انتهى فعلم ان الاشتغال بالدنيا هو الصاد عن كل خير وان
الانقطاع عنها معين للفطرة الاولى المستقيمة ولهذا تجد الفقراء اقرب الى كل خير وفى اللام فى قوله
تعالى لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وجهان اظهرهما ان اللام فيه لام كى اى يشركون ليكونوا كافرين

وقف لازم

بشركهم نعمة النجاة فيكون ذلك فعل من لا عقل له اصلا وهم يتحاشون عن مثل ذلك والثاني كونها للامر وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها وقرأ ورش وابو عمرو وابن عامر وعاصم بالكسر فهي محتملة للوجهين المتقدمين والباقون بالسكون وهي ظاهرة في الامر فان كانت اللام لام للامر فقد عطف امرا على مثله فان قيل كونها للامر مشكل اذ كيف يامر الله تعالى بالكفر وهو متوعد عليه اجيب بان ذلك على سبيل التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وان كانت للعلة فقد عطف كلاما على كلام فيكون المعنى لا فائدة لهم في الاشراك الا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ يومئذ يحل بهم من العقاب + ولما كان الانسان يكون في البحر على اخوف ما يكون وفي بيته يكون على امن ما يكون لا سيما اذا كان بيته في بلد حصين فلما ذكر الله المشركين عند الخوف الشديد ورأوا انفسهم في تلك الحالة راجعة الى الله ذكرهم حالهم عند الامن العظيم بقوله تعالى أَوَلَمْ يَرَوْا اى اهل مكة بعيون بصائرهم أَنَّا جَعَلْنَا بعظمتنا لهم حَرَمًا وقال آمِنًا لانه لا خوف على من دخله فلما امن كل من دخله كان كانه هو نفسه الامن وهو حرم مكة فانها سد بينهم وبين بلدهم وفيها سكناهم ومولدهم وهي حصينة بحصن الله وامنة موجبة التوحيد والاخلاص لانكم في اخوف ما انتم دعوتم الله وفي امن ما حصلتم عليه كفرتم بالله وهذا متناقض لان دعاءكم في ذلك الوقت على سبيل الاخلاص فما كان الا لقطعكم بان النعمة من الله لا غير وهذه النعمة العظيمة التي حصلتم وقد اعترفتم بانها لا تكون الا من الله فكيف تكفرون بها والاصنام التي قلتم في حال الخوف انها لا امن لها كيف امنتم بها في حال الامن وَ الحال انه يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ اى من حول من فيه من كل جهة قتلا وسبيا مع قلة من بمكة وكثرة من حولهم فالذي خرق العادة في فعل ذلك حتى صار على هذا السنن قادر على ان يعكس الحال فيجعل من بالحرم متخطفا ومن حوله امنا او يجعل الكل في الخوف على منهاج واحد أَفَبِالْبَاطِلِ من الشياطين والاديان وغيرهما يُؤْمِنُونَ والحال انه لا يشك عاقل في بطلانه وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ التي احدثها لهم من الانجاء وارسال محمد صلى الله عليه وسلم يَكْفُرُونَ حيث جعلوا موضع شكرهم له على النجاة وغيرها اشراكهم بعبادة غيره وَمَنْ أَظْلَمُ اى اشد وضعا للاشياء في غير مواضعها مِمَّنِ افْتَرَى اى تعمد عَلَى اللَّهِ كَذِبًا اى اى كذب كان من الشرك وغيره كما كانوا يقولون اذا فعلوا فاحشة وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ اى النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن المعجز المبين على لسان هذا الرسول الامين الذي ما اخبر خبرا الا طابقه الواقع لَمَّا اى حين جَاءَهُ من غير امهال الى ان ينظر ويتامل بل سارع الى التكذيب اول ما سمعه وقوله تعالى أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ استفهام تقرير لثوائهم كقوله ؎ الستم خير من ركب المطايا + واندى العالمين بطون راح
قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة

الانكار دخلت على النفى فرجع الى معنى التقرير والمعنى اما لهذا الكافر المكذب مثوى فى جهنم حتى
اجترأ مثل هذه الجرأة وَالَّذِينَ جَاهَدُوا اى اوقعوا الجهاد بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة فِينَا
اى بسبب حقنا ومراقبتنا خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار وغيرهم من كل ما ينبغى الجهاد
فيه بالقول والفعل فى الشدة والرخاء ومخالفة الهوى عند هجوم الفتن وشدائد المحن مستحضرين
لعظمتنا لَنَهْدِيَنَّهُمْ مما نجعل لهم من النور الذى لا يضل من صحبه هداية تليق بعظمتنا سُبُلَنَا اى
طريق السير الينا وهى الطريق المستقيمة والطرق المستقيمة هى التى توصل الى رضا الله عز وجل
قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله تعالى قال والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال الحسن الجهاد مخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين
جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فى طاعتنا
لنهدينهم سبل ثوابنا وقال ابو سليمان الدارانى والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن
بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لم يعلم وقيل ان الذى نرى من جهلنا بما لم نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم
وقيل المجاهدة هى الصبر على الطاعة وقرأ ابو عمرو بسكون الباء الموحدة والباقون بضمها وَإِنَّ اللَّهَ اى
بعظمته وجلاله وكبريائه لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ اى المؤمنين بالنصرة والمعونة فى دنياهم والمغفرة والثواب فى عقباهم ع ٤
+ وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد المؤمنين والمنافقين فهو حديث موضوع ورواه ابن عادل عن ابى امامة عن ابى بن كعب

سورة الروم مكية

وهى ستون اية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة الاف وخمسمائة واربعة وثلاثون حرفا
بِسْمِ اللَّهِ الذى يملك الامر كله الرَّحْمَٰنِ الذى رحم الخلق كلهم بنصب الدلائل الرَّحِيمِ الذى
لطف باوليائه وقوله تعالى الٓمٓ تقدم الكلام على ذلك فى اول سورة البقرة وقال
البقاعى لما ختم سبحانه وتعالى التى قبلها بانه مع المحسنين قال الم مشيرا بالف القيام والعلو
ولام الوصلة وميم التمام الى ان الله الملك الاعلى القيوم ارسل جبريل عليه الصلوة والسلام
الذى هو وصلة بينه وبين انبيائه عليهم السلام الى اشرف خلقه محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث
لاتمام مكارم الاخلاق يوحى اليه وحيا معلما بالشاهد والغائب فيأتى الامر على ما اخبر
به دليلا على صحة رسالته وكمال علم مرسله وشمول قدرته ووجوب وحدانيته غُلِبَتِ الرُّومُ
وهم اهل كتاب غلبتهم فارس وليسوا اهل كتاب بل يعبدون الاوثان فِىٓ أَدْنَى الْأَرْضِ اى
اقرب ارض الروم الى فارس بالجزيرة التقى فيها الجيشان والبادى بالغزو الفرس وَهُم اى
الروم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ اضيف المصدر الى المفعول اى غلبة فارس اياهم سَيَغْلِبُونَ فارس
فِى بِضْعِ سِنِينَ وهو ما بين الثلاث الى التسع والعشر فالتقى الجيشان فى السنة السابعة

من الالتقاء الاول وغلبت الروم فارس وسبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان
بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودّون ان تغلب فارس لان اهل فارس كانوا مجوسا
اميين والمسلمون يودّون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل
عليه رجلا يقال له شهريار وبعث قيصر جيشا واستعمل عليه رجلا يدعى يخنس فالتقى مع شهريار باذرعات
وبصرى وهي ادنى الشام الى ارض العرب فغلبت فارس الروم وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه وهم بمكة فشق ذلك عليهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان تظهر الاميون
من المجوس على اهل الكتاب من الروم وفرح كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى
اهل كتاب ونحن اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من اهل الروم ولنظهرن عليكم
فنزلت هذه الآية فخرج ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الى الكفار فقال فرحتم بظهور اخوانكم
فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال له
ابي بن خلف الجمحي كذبت يا ابا افضل فقال ابو بكر انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا
اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل منهما فان ظهرت الروم على
فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت وجعلا الاجل ثلاث سنين فجاء ابو بكر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث
الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فخرج ابو بكر فلقي ابيا فقال لعلك ندمت قال لا فتعال ازايدك
في الخطر واماذك في الاجل فاجعلها مائة قلوص الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين قال قد فعلت
فلما خشي ابي بن خلف ان يخرج ابو بكر من مكة اتاه فلزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فاقم
لي كفيلا فكفله له ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد ابي بن خلف ان يخرج الى احد اتاه عبد الله بن ابي بكر
فلزمه وقال والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى احد ثم رجع ابي بن خلف
فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على
فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر فاخذ ابو بكر الخطر
من ذرية ابيّ وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدّق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة
على صحة النبوة وان القرآن من عند الله لانه انبأ عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى فان قيل
كيف صحت المناحبة وانما هي قمار اجيب بان قتادة رحمه الله تعالى قال كان ذلك قبل تحريم القمار قال
الزمخشري ومذهب ابي حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب
بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر رضي الله عنه بينه وبين ابي بن خلف
ولما كان تغلب ملك على ملك من الامور الهائلة وكان الاخبار به قبل كونه اهول ذكر علة ذلك
بقوله تعالى لِلّٰهِ اي وحده الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ اي قبل دولة فارس على الروم ثم دولة الروم على فارس
وَمِنْ بَعْدُ اي بعد دولة الروم عليهم ودولتهم على الروم ولما اخبر تعالى بهذه المعجزة اخبر بمعجزة

اخرى بقوله تعالى ويومئذ اى تغلب الروم على فارس يفرح المؤمنون اى العريقون فى هذا الوصف
من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بنصر الله اى الذى لا راد لامره الروم على فارس وقد فرحوا
بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل عليه السلام بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم
على المشركين فيه قال السدى فرح النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم
بدر وظهور اهل الكتاب على اهل الشرك وعن ابى سعيد الخدرى وافق ذلك يوم بدر وفى هذا
اليوم نصر المؤمنون ينصر من يشاء من ضعيف وقوى لانه لا مانع له ولا يسئل عما يفعل فالغلبة
لا تدل على الحق بل الله قد يزيد ثواب المؤمن فيبتليه ويسلط عليه الاعادى وقد يختار تعجيل العذاب
الادنى دون العذاب الاكبر قبل يوم المعاد وهو العزيز فلا يعز من عادى ولا يذل من والى وقرأ
قالون وابو عمرو والكسائى بسكون الهاء والباقون بالضم ولما كان السياق لبشارة المؤمنين قال
الرحيم فيخصهم بالاعمال الزكية والاخلاق المرضية وعد الله اى الذى له جميع صفات الكمال مصدر
مؤكد ناصبه مضمر اى وعدهم الله ذلك وعدا بظهور الروم على فارس لا يخلف الله اى الذى
له الامر كله وعده به وهذا مقرر لمعنى هذا المصدر ويجوز ان يكون قوله تعالى لا يخلف الله وعده
حالا من المصدر فيكون كالمصدر الموصوف فهو مبين للنوع كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف
ولكن اكثر الناس بجهلهم وعدم تفكرهم لا يعلمون ذلك وقوله تعالى يعلمون بدل من قوله تعالى
لا يعلمون وفى هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك
انه لا فرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى لا يتجاوز الدنيا ظاهرا من الحياة الدنيا
يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من امر معايشهم كيف يكسبون ويتجرون
ومتى يغرسون ومتى يزرعون ويحصدون وكيف يبنون ويعرشون قال الحسن ان احدهم لينقر الدرهم
بطرف ظفره فيذكر وزنه وهو لا يخطئ وهو لا يحسن يصلى وامثال هذا الهم كثير وهو وان كان
عند اهل الدنيا عظيما فهو عند الله حقير فلذلك حقره لانهم ما زادوا فيه على ان ساووا البهائم
فى ادراكها ما ينفعها فتستجلبه بضرب من الحيل وما يضرها فتدفعه بانواع من الخداع واما علم
باطنها وهو انها مجاز الى الاخرة يتزود منها بالطاعة فهو ممدوح وفى تنكير الظاهر اشارة الى انهم
لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم اى هؤلاء الموصوفون خاصة عن الاخرة
اى التى هى المقصودة بالذات وما خلقت الدنيا الا للتوصل بها اليها ليظهر الحكم بالقسط وجميع
صفات العز والكبر والجلال والاكرام هم غافلون اى فى غاية الاستغراق والاضراب عنها بحيث لا تخطر
فى خواطرهم + تنبيه + هم الثانية يجوز ان تكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى وان
تكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى واية كانت فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة
عن الاخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع اولم يتفكروا اى يجتهدوا فى
اعمال الفكر وقوله تعالى فى انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا الفكر فى انفسهم

اى فى قلوبهم الفارغة من التفكر والتفكر لا يكون الا فى القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين
كقولك اعتقده فى قلبك واضمره فى نفسك وان يكون صلة اى اولم يتفكروا فى احوالها خصوصا
فيعلموا ان من كان منهم قادرا كاملا لا يجانف عداه وهو انسان ناقص فكيف بالاله الحق ويعلموا
ان الذى ساوى بينهم فى الايجاد من العدم وطورهم فى اطوار الصور وفاوت بينهم فى القوى والقدر
وبين احوالهم فى الطول والقصر وسلط بعضهم على بعض بانواع الضرر ومات اكثرهم مظلوما قبل
القصاص والظفر لابد فى حكمته البالغة من جمعهم للعدل بينهم فى جزاء من وفى او غدر او شكر
او كفر ففى ذلك دلالة على وحدانية الله تعالى وعلى الحشر ثم ذكر تعالى نتيجة ذلك وعلله
بقوله فى اسلوب التاكيد لاجل انكارهم وعلى التقدير الاول يكون المتفكر فيه مَا خَلَقَ اللّٰهُ اى بعز
جلاله وعلوه فى كماله السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ على ما هما عليه من النظام المحكم والقانون المتقن قال
البقاعى وافرد الارض لعدم دليل حسى او عقلى يدلهم على تعددها بخلاف السماء اهـ وقد
يرد هذا بقوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وَمَا بَيْنَهُمَا من المعانى التى بها كمال
منافعهما اِلَّا خلقا متلبسا بِالْحَقِّ اى الامر الثابت الذى يطابقه الواقع فاذا ذكر البعث الذى
هو مبدأ الاخرة التى هذا اسلوبها وجد الواقع فى تصوير النطفة ونفخ الروح وتمييز الصالح
منهما للتصوير من الفاسد يطابق ذلك واذا تدبر النبات بعد ان كان هشيما قد نزل عليه الماء فربها
واهتز وربا وجده مطابقا لامر البعث واذا ذكر القدرة فرأى اختلاف الليل والنهار وسير الكواكب الصغار
والكبار وامطار الامطار واجراء الانهار ونحو ذلك من الاسرار رآه مطابقا لكل ما يخطر بالبال ولما
كان عندهم ان هذا الوجود حياة وموت لا الى نفاد قال تعالى وَاَجَلٍ لا بد ان ينتهى اليه مُسَمًّى
اى فى العلم من الازل لذلك يفنى عند انتهائه وبعده البعث ولما كانوا ينكرون انهم على كفر اكد
قوله تعالى وَاِنَّ كَثِيْرًا مِّنَ النَّاسِ مع ذلك على وضوحه بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ اى الذى ملأهم احسانا
برجوعهم فى الاخرة الى العرض عليه للثواب والعقاب لَكٰفِرُوْنَ اى لا يؤمنون بالبعث بعد الموت
فان قيل ما الفائدة فى قوله تعالى ههنا وان كثيرا من الناس وقال من قبل ولكن اكثر الناس اجيب
بان فائدته انه من قبل لم يذكر دليلا على الاصلين وههنا قد ذكر الدلائل الراسخة والبراهين اللائحة
ولا شك فى ان الايمان بعد الدليل اكثر من الايمان قبل الدليل فبعد الدليل لابد ان يؤمن من ذلك
جمع فلا يبقى الاكثر كما هو فقال بعد اقامة الدليل وان كثيرا وقال قبله ولكن اكثر الناس لانه بعد
الدليل لا يمكن الذهول عنه وهو السموات والارض لان من البعيد ان يذهل الانسان عن السماء
التى فوقه والارض التى تحته فلهذا ذكره ما يقع الذهول عنه وهو امثالهم وحكاية اشكالهم فقال
اَوَلَمْ يَسِيْرُوْا فِى الْاَرْضِ اى سير اعتبار وبقوله تعالى فَيَنْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الامم
وهى اهلاكهم بتكذيبهم رسلهم تقرير لسيرهم فى اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين كعاد وثمود
كَانُوْا اَشَدَّ مِنْهُمْ اى العرب قُوَّةً اى فى ابدانهم وعقولهم وَاَثَارُوا الْاَرْضَ اى

حرثوها وقلبوها للزرع والغرس والمعادن والمياه وغير ذلك وَعَمَرُوهَا اى اولئك السالفون
أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا اى هؤلاء الذين ارسلت اليهم بل ليس لهم من اثارة الارض وعمارتها كبير
امر فان بلاد العرب انما هى فى جبال سود وفيافى غبر فما هو الا تهكم بهم وبيان لضعف حالهم
فى دنياهم التى لا فخر لهم بغيرها وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ اى بالحجج الظاهرات مثل ما اتاكم به رسولنا
من وعودنا الصادقة وامورنا الخارقة كأمر الاسراء وما اظهر فيه من الغرائب كالاخبار بان العير تقدم
فى يوم كذا يقدمها جمل صفته كذا وغرائره كذا فظهر كذلك وما امنتم به كما لم يؤمن من كان اشد
منكم قوة فما اى تسبب انه ما كَانَ اللَّهُ اى على ماله من اوصاف الكمال مريدا لِيَظْلِمَهُمْ بان يفعل
معهم فعل من تعدونه انتم ظالما بان يهلكهم فى الدنيا ثم يقتص منهم فى القيامة قبل اقامة الحجة
عليهم بارسال الرسل بالبينات وَلَٰكِنْ كَانُوا بغاية جهدهم أَنفُسَهُمْ اى خاصة يَظْلِمُونَ اى
يجددون الظلم لها بايقاع الضر موقع جلب النفع ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ اى اخر امر الَّذِينَ أَسَاءُوا وقوله تعالى
السُّوأَىٰ تانيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا فى الدنيا
بالدمار ثم كان عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر اى العقوبة التى هى اسوأ العقوبات
فى الاخرة وهى جهنم التى اعدت للكافرين وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وعاقبة بالرفع على انها
اسم كان والسوأى خبرها والباقون بالنصب على انها خبر كان وقيل السوأى اسم جهنم كما ان
الحسنى اسم للجنة واساءتهم أَن اى بان كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ اى القران وقيل تفسير السوأى
ما بعده وهو قوله تعالى ان كذبوا اى ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملتهم تلك السيئات على ان كذبوا
بايات الله وَكَانُوا بِهَا مع كونها ابعد شئ عن الهزء يَسْتَهْزِئُونَ اى يستمرون على ذلك يجددونه فى كل ع
حين + ولما كان حاصل ما مضى انه تعالى قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء صرح بذلك فى قوله
تعالى اللَّهُ اى المحيط علما وقدرة يَبْدَأُ الْخَلْقَ اى بدأ منه ما رأيتم وهو يجدد فى كل وقت ما يريد من
ذلك كما تشاهدون ثُمَّ يُعِيدُهُ اى خلقهم بعد موتهم احياء ولم يقل يعيدهم لرده الى الخلق
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ للجزاء فيجزيهم باعمالهم وقرأ ابو عمرو وشعبة بالياء على الغيبة على النسق الماضى
والباقون بالتاء على الخطاب اى اليه ترجعون معنى فى اموركم كلها فى الدنيا وان كنتم لقصور النظر
تنسبونها للاسباب وحسا بعد قيام الساعة وهى ابلغ من القراءة الاولى لانها انص على المقصود + ولما
ذكر الرجوع اتبعه ببعض احواله بقوله تعالى وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ سميت بذلك اشارة الى عظيم القيام
فيها مع كثرة الخلائق على ما هم فيه من العظماء والكبراء والرؤساء يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ اى يسكت
المشركون لانقطاع حجتهم فالابلاس ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس ومنه الناقة
المبلاس اى التى لا ترغو وقال مجاهد مفتضحون وقال قتادة المعنى ييأس المشركون من كل خير
+ ولما كان الساكت ربما اغناه عن الكلام غيره نفى ذلك بقوله تعالى محققا له بجعله ماضيا وَلَمْ يَكُن
ومعناه لا يكون لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ اى ممن اشركوهم بالله وهم الاصنام شُفَعَاءُ اى ينقذونهم

هاما فيه ليتبين لهم غلطهم وجهلهم المفرط في قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولما ذكر تعالى حال الشفعاء معهم ذكر حالهم مع الشفعاء بقوله تعالى وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ اي خاصة كَافِرِينَ اي متبرئين منهم بانهم ليسوا بآلهة وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعاء في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علماء بني اسرائيل وكذلك كتب السوأى بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ اي ويا له من يوم وزاد في تهويله بقوله تعالى يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ اي المؤمنون الذين يفرحون بنصر الله والكافرون فرقة لا اجتماع بعدها هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل سافلين كما قال عز من قائل فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا اي اقروا بالايمان بانفسهم وَعَمِلُوا تصديقا لاقرارهم الصَّالِحَاتِ فَهُمْ اي خاصة فِي رَوْضَةٍ وهي ارض عظيمة جدا منبسطة واسعة ذات ماء غدق ونبات معجب بهيج مثل اصلها في اللغة قال الطبري ولا تجد احسن منظرا ولا اطيب نشرا من الرياض اهـ والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء ومن امثالهم احسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة يُحْبَرُونَ قال ابو بكر ابن عياش التيجان على رؤسهم وقال ابو عبيدة لا يسرون اي على سبيل التجدد كل وقت سرورا تشرق له الوجوه وتبسم الافواه وتزهر العيون فيظهر حسنها وبهجتها فتظهر النعمة بظهور آثارها على اسهل الوجوه وايسرها وقال ابن عباس يكرمون وقال قتادة ينعمون وقال الاوزاعي عن يحيى ابن كثير يحبرون هو السماع في الجنة وقال الاوزاعي اذا اخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة الا وردت وقال ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع سموات صلوتهم وتسبيحهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم اعرابي قال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا اي غطوا ما كشفته انوار العقول وَكَذَّبُوا عنادا بِآيَاتِنَا التي لا اصدق منها ولا اضوأ من انوارها بما لها من عظمتنا وهو القرآن وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ اي بالبعث وغيره فَأُولَئِكَ اي البغضاء البعداء فِي الْعَذَابِ الكامل لا غيره مُحْضَرُونَ اي مدخلون لا يغيبون عنه فَسُبْحَانَ اللَّهِ اي سبحوا الله تعالى بمعنى صلوا حِينَ تُمْسُونَ اي حين تدخلون في المساء وفيه صلوتان المغرب والعشاء وَحِينَ تُصْبِحُونَ اي تدخلون في الصباح وفيه صلوة الصبح وقوله تعالى وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اعتراض ومعناه يحمده اهلهما وقوله تعالى وَعَشِيًّا عطف على حين وفيه صلوة العصر وَحِينَ تُظْهِرُونَ اي تدخلون في الظهيرة وفيه صلوة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في مواقيتها في القرآن فقرأ هاتين الآيتين وقال

جمعت الآيتان الصلوات الخمس ومواقيتها وانما خص هذه الاوقات مع ان افضل الاعمال ادومها لان الانسان لا يقدر ان يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يدفع به من ماكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة فى غالب الاوقات وامره بها فى اول النهار ووسطه وآخره وفى اول الليل ووسطه فاذا صلى العبد ركعتى الفجر فكانما سبح قدر ساعتين وكذلك باقى الركعات وهى سبع عشرة مع ركعتى الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس فى اوقاتها فكانما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقى عليه سبع ساعات من جميع الليل والنهار وهى مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته بالتسبيح فى العبادة او بمعنى تنزيهه من السوء بالثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعم الله تعالى الظاهرة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال وزاد عليه وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وعن جويرية بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها انه خرج ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسماها جويرية فكره ان يقال خرج من عند برة فخرج وهى فى مسجدها اى مصلاها فرجع بعد ما تعالى النهار فقال ما زلت فى مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وعن سعد بن ابى وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايعجز احدكم ان يكتسب فى كل يوم الف حسنة فسأله سائل من جلسائه كيف يكتسب كل يوم الف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة او يحط عنه الف خطيئة وفى غير رواية مسلم ويحط بغير الف .. ولما كان الانسان عند الاصباح يخرج من سنة النوم الى سنة الوجود وهى اليقظة وعند العشاء يخرج من اليقظة الى النوم اتبعه الاحياء والاماتة حقيقة بقوله تعالى يُخْرِجُ الْحَيَّ كالانسان والطائر مِنَ الْمَيِّتِ كالنطفة والبيضة وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ كالبيضة والنطفة مِنَ الْحَيِّ على عكس ذلك او يعقب الحياة الموت وبالعكس وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وَيُحْيِي الْأَرْضَ اى بالمطر واخراج النبات بَعْدَ مَوْتِهَا اى يبسها وَكَذَٰلِكَ اى ومثل هذا الاخراج تُخْرَجُونَ اى بيسر امر من الارض بعد تفرق اجسامكم فيها باحياء للبعث والحساب وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائى الميت بكسر الياء المشددة والباقون بالسكون وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان بخلاف عنه بفتح التاء قبل الخاء وضم الراء على البناء للفاعل والباقون بضم التاء وفتح الراء على البناء للمفعول وَمِنْ آيَاتِهِ اى ومن جملة علاماته فى حياته وكمال قدرته أَنْ خَلَقَكُمْ اى اصلكم وهو آدم عليه السلام مِنْ تُرَابٍ

ع

لم يكن له اصلا اتصاف بالحياة او انه خلقكم من نطفة والنطفة من الغذاء والغذاء انما يتولد من الماء والتراب ثم اى بعد اخراجكم منه اذا انتم بشر تنتشرون فى الارض كقوله تعالى وبث منهما رجالا كثيرا ونساء تنبيه الترتيب والمهلة ههنا ظاهران فانهم يصيرون بشرا بعد اطوار كثيرة وتنتشرون حال واذا هى الفجائية الا ان الفجائية اكثر ما تقع بعد الفاء لانها تقتضى التعقيب ووجه وقوعها مع ثم بالنسبة الى ما يليق بالحالة الخاصة اى بعد تلك الاطوار التى قصها علينا فى موضع آخر من كونها نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما مجردا ثم عظما مكسوا لحما فاجأ البشرية والانتشار ومن آياته اى على ذلك ان خلق لكم اى لاجلكم ليبقى نوعكم بالتوالد وفى تقديم الجار وهو قوله تعالى من انفسكم اى جنسكم بعد ايجادها من ذات ابيكم آدم عليه السلام ازواجا اناثا من شفعكم دلالة ظاهرة على حرمة التزوج من غير الجنس كالجن قال البقاعى والتعبير بالنفس اظهر فى كونها من بدن الرجل اى فخلق حواء من ضلع آدم لتسكنوا اى مائلين اليها بالشهوة والالفة من قولهم سكن اليه اذا مال والقطع واطمأن اليه ولم يجعلها من غير جنسكم لئلا تنفروا منها قال ابن عادل والصحيح ان المراد من جنسكم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ويدل عليه قوله تعالى لتسكنوا اليها يعنى ان الجنسين المختلفين لا يسكن احدهما الى الآخر اى لا تثبت نفسه معه ولا يميل قلبه اليه ولما كان المقصود بالسكن لا ينتظم الا بدوام الالفة قال تعالى وجعل اى بسبب الخلق على هذه الصفة بينكم مودة اى معنى من المعانى يوجب ان لا يبغى احد من الزوجين ان يصل الى صاحبه شئ يكرهه ورحمة اى معنى يحمل كلا على ان يجتهد للآخر فى جلب الخير ودفع الضر وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد تمسكا بقوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقوله تعالى ورحمة منا ان فى ذلك اى الذى تقدم من خلق الازواج على الحال المذكور وما يتبعه من المنافع لآيات اى دلالات واضحات على قدرة فاعله وحكمته لقوم يتفكرون اى يستعملون افكارهم على القوانين المحررة ويجتهدون فى ذلك فيعلمون ما فى ذلك من الحكم ولما بين تعالى دلائل الانفس ذكر دلائل الآفاق بقوله تعالى ومن آياته اى الدالة على ذلك خلق السموات على علوها واحكامها والارض على اتساعها واتقانها وقدم السماء على الارض لان السماء كالذكر لها ولما اشار الى دلائل الانفس والآفاق ذكر ما هو من صفات الانفس بقوله تعالى واختلاف السنتكم اى لغاتكم من العربية والعجمية وغيرهما او نغماتكم وهيئاتها فلا تكاد تسمع منطقين متفقين فى همس ولا جهارة ولا شدة ولا رخاوة ولا لكنة ولا فصاحة ولا غير ذلك من صفات النطق واشكالها وانتم من نفس واحدة واختلاف الوانكم من ابيض واسود واشقر واسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وانتم بنو رجل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة فى ذلك ان الانسان يحتاج الى التمييز بين الاشخاص ليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق ليحترز قبل وصول العدو اليه وليقبل على الصديق قبل ان يفوته الاقبال عليه وذلك قد يكون بالبصر لخلق اختلاف الصور وقد يكون

بالسمع فخالق اختلاف الاصوات واما اللمس والشم والذوق فلا يفيد فائدة في معرفة العلم والصانع
فلا يقع التمييز بين كل واحد بشكله وحليته وصورته ولو اتفقت الصور والاصوات وتشاكلت وكانت
ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان في الحلية
فيعروك الخطأ في التمييز بينهما فسبحان من خلق الخلق على ما اراد وكيف اراد وفي ذلك آية بينة حيث
ولدوا من اب واحد وتفرعوا من اصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله تعالى مختلفون
متفاوتون + ولما كان هذا مع كونه في غاية الوضوح لا يختص بجنس من الخلق دون غيره قال
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ اي الامر العظيم العالي الرتبة في بيانه وظهور برهانه لَآيَاتٍ اي دلالات واضحات
جدا على وحدانيته تعالى لِّلْعَالِمِينَ اي ذوي العقول والعلم ولا يختص به صنف منهم دون صنف من
جن وانس لا غيرهم فهذا هو حكمة قوله تعالى هنا للعالمين وفيما تقدم بقوله تعالى لقوم يتفكرون وقرأ
حفص وحده بكسر اللام + ولما ذكر تعالى بعض العرضيات اللازمة وهو الاختلاف ذكر الاعراض
المفارقة ومن جملتها النوم بالليل والحركة في النهار طلبا للرزق كما قال تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ الدالة
على القدرة والعلم مَنَامُكُم اي نومكم ومكانه وزمانه الذي يغلبكم بحيث لا تستطيعون له دفعا
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ قيلولة وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ اي منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة
القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما فان كثيرا ما يكسب الانسان بالليل او منامكم بالليل وابتغاؤكم
بالنهار خلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين وهما الواوان اشعارا بان كلا من الزمانين وان
اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده آيات اخر كقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا
وجعلنا النهار معاشا وقوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة ويكون التقدير هكذا ومن آياته منامكم
وابتغاؤكم بالليل والنهار من فضله واخر الابتغاء وقرنه في اللفظ بالفضل اشارة الى ان العبد ينبغي
ان لا يرى الرزق من كسبه وحذقه بل من فضل ربه ولهذا قرن الابتغاء بالفضل في كثير من المواضع منها
قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقوله تعالى ولتبتغوا من فضله
+ تنبيه + قدم الله تعالى المنام بالليل على الابتغاء بالنهار في الذكر لان الاستراحة مطلوبة لذاتها
والطلب لا يكون الا لحاجة فلا يبتغي الا محتاج في الحال او خائف من المال إِنَّ فِي ذَٰلِكَ اي الامر
العظيم العلي الرتبة من ايجاد النوم بعد النشاط والنشاط بعد النوم الذي هو الموت الاصغر وايجاد كل
من الملوين بعد اعدامهما والجد في الابتغاء بعد المفارقة في التحصيل لَآيَاتٍ عديدة على القدرة
والعلم لا سيما البعث لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ اي من الدعاة والنصاح سماع تفهم واستبصار فان الحكمة
فيه ظاهرة + تنبيه + قال هنا آيات لقوم يسمعون وقال تعالى من قبل لقوم يتفكرون وقال تعالى
للعالمين لان المنام بالليل والابتغاء يظن الجاهل والغافل انهما مما يقتضيه طبع الحيوان فلا يظهر
لكل احد كونهما من نعم الله تعالى فلم يقل آيات للعالمين ولان الامرين الاولين وهما اختلاف
الالسنة والالوان من اللوازم والمنام والابتغاء من الامور المفارقة فالنظر اليهما لا يدوم

لزوالهما في بعض الاوقات ولا كذلك اختلاف الالسنة والالوان فانهما يدومان بدوام الانسان
فجعلها آيات عليه واما قوله تعالى لقوم يتفكرون فلان من الاشياء ما يعلم من غير تفكر ومنها ما يكفي
فيه مجرد الفكر ومنها ما يحتاج الى موقف يوقف عليه ومرشد يرشد اليه فيفهمه اذا سمعه من ذلك
المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهمه الى امثال حسية كالاشكال الهندسية لان خلق الازواج
لا يقع لاحد انه بالطبع الا اذا كان جامد الفكرة فاذا تفكر علم كون ذلك الخلق آية واما المنام والابتغاء
فقد يقع لكثير انهما من افعال العباد وقد يحتاج الى مرشد معين لفكره فقال لقوم يسمعون ويجعلون
بالهم من كلام المرشد ولما ذكر تعالى العرضيات اللازمة للانفس والمفارقة ذكر العرضيات التي
للآفاق بقوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على عظيم قدرته ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ اي ان اريكم لهيئات
وكيفيات طال ما شاهدتم مرة بعد مرة تأتي بما يضر وتارة بما يسر كما قال تعالى ﴿خَوْفًا﴾ اي للاخافة
من الصواعق المحرقة ﴿وَطَمَعًا﴾ اي وللاطماع في المياه العذبة ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ اي الذي
لا يمكن لاحد غيره جعله وقرأ ابن كثير وابو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون
وتشديد الزاي ﴿فَيُحْيِي بِهِ﴾ اي بذلك الماء خاصة لان اكثر الارض لا يسقى بغيره ﴿الْأَرْضَ﴾ اي بالنبات
الذي هو لها كالروح لجسد الانسان ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ اي يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ اي الامر العظيم العالي القدر
﴿لَآيَاتٍ﴾ لا سيما على القدرة على البعث ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ اي يتدبرون فيستعملون عقولهم في استنباط
اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع + تنبيه + كما قدم السماء على الارض قدم ما هو
من السماء وهو البرق والمطر على ما هو من الارض وهو الانبات والاحياء وكما ان في انزال المطر وانبات
الشجر منافع كذلك في تقديم الرعد والبرق على المطر منفعة وهي ان البرق اذا لاح فالذي لا يكون
تحت كن يخاف الابتلال فيستعد له والذي له صهريج او مصنع يحتاج الى الماء او زرع يسوي
مجاري الماء وايضا اهل البوادي لا يعلمون البلاد المعشبة ان لم يكونوا قد رأوا البرق اللائح من جانب
دون جانب واعلم ان دلائل البرق وفوائده وان لم تظهر للمقيمين في البلاد فهي ظاهرة للبادين
فلهذا جعل تقديم البرق على تنزيل الماء من السماء نعمة وآية فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى هنا آيات
لقوم يعقلون وفيما تقدم لقوم يتفكرون اجيب بانه لما كان حدوث الولد من الوالد امرا عاديا
مطردا قليل الاختلاف كان يتطرق الى الاوهام العامية ان ذلك بالطبيعة لان المطرد اقرب الى الطبيعة
من المختلف والبرق والمطر ليس امرا مطردا غير مختلف بل هو مختلف اذ يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت
دون وقت وتارة يكون قويا وتارة يكون ضعيفا فهو اظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار فقال هو آية
لمن كان له عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما ثم ذكر تعالى من لوازم السماء والارض قيامهما بقوله تعالى
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ اي على تمام القدرة وكمال الحكمة ﴿أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ قال ابن مسعود
قامتا على غير عمد بامره اي بارادته فان الارض لثقلها يتعجب الانسان من وقوفها وعدم
نزولها وكون السماء في علوها يتعجب من علوها وثباتها من غير عمد وهذا من اللوازم فان

الارض لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه وانما قدم السماء والارض لان السماء الاولى والارض الاولى
لا تقبل الزوال لانها مشاهدة قدم صلاحية النفس بالكل لانه جنس + تنبيه + ذكر تعالى من
كل باب امرين اما من الانفس فقوله تعالى خلقكم وخلق لكم واستدل بخلق الزوجين ومن الآفاق
السماء والارض فقال تعالى خلق السموات والارض ومن لوازم الانسان اختلاف السنة واختلاف
الالوان ومن عوارض الآفاق البرق والامطار ومن لوازمهما قيام السماء والارض لان الواحد
يكفي للاقرار بالحق والثاني يفيد الاستقرار ومن هذا اعتبر شهادة شاهدين فان قول احدهما
يفيد الظن وقول الآخر يفيد تاكيده ولهذا قال ابراهيم عليه السلام بلى ولكن ليطمئن قلبي فان قيل
ما الفائدة في قوله تعالى هنا ومن آياته ان تقوم وقال تعالى قبله ومن آياته يريكم البرق ولم يقل
ان يريكم ليصير كالمصدر اجيب بان القيام لما كان غير متغير اخرج الفعل بان وجعل الفعل
المستقبل ولم يذكر معه الحروف المصدرية فان قيل ما الحكمة في انه تعالى ذكر ست دلائل وذكر
في اربع منها ان في ذلك لآيات ولم يذكر في الاول وهو قوله تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب ولا في الآخر
وهو قوله ومن آياته ان تقوم السماء والارض اجيب عن ذلك اما عن الاول فلان قوله بعده
ومن آياته ان خلق لكم ايضا دليل الانفس فخلق الانفس وخلق الازواج من باب واحد على ما تقدم
من انه تعالى ذكر من كل باب امرين للتقرير والتوكيد فلما قال في الثانية ان في ذلك لآيات كان
عائدا اليهما واما في قيام السماء والارض فلانه ذكر في الآيات السماوية انها آيات للعالمين لقوم
يعقلون وذلك لظهورهما فلما كان في اول الامر ظاهرا ففي آخر الامر بعد سرد الادلة يكون اظهر
فلم يميزها في ذلك عن الآخر + ثم انه تعالى لما ذكر الدليل على القدرة والتوحيد ذكر مدلوله وهو قدرته على
الاعادة بقوله تعالى ثم اذا دعاكم واشار الى هيهات ذلك القول بعده بقوله عز وجل دعوة اي واحدة من الارض
بان ينفخ اسرافيل في الصور للبعث في القبور فيقول ايها الموتى اخرجوا اذا انتم تخرجون اي منها
احياء بعدما فصلكم بالموت والبلا فلا يبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال تعالى
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فان قيل بم يتعلق من الارض بالفعل ام بالمصدر اجيب
بهيهات اذا جاء نهر الله من الفعل بطل فهو متعلق وهو المصدر ثم اما للتراخي زمانه او لعظم
ما فيه فان قيل ما الفرق بين اذا واذا اجيب بان الاولى للشرط والثانية للمفاجاة وهي
تنوب مناب الفاء في جواب الشرط ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى + تنبيه
قال هنا اذا انتم تخرجون وقال تعالى في خلق الانسان اولا ثم اذا انتم بشر تنتشرون لان هناك
يكون خلق وتقدير وتدريج حتى يصير التراب قابلا للحياة فينفخ فيه روحه فاذا هو بشر واما
في الاعادة فلا يكون تدريج وتراخ بل يكون بدا نشر ونجر فلم يقل هنا ثم + ولما ذكر تعالى الآيات التي
تدل على القدرة على الحشر الذي هو الاصل الآخر والوحدانية التي هي الاصل الاول اشار اليهما
بقوله تعالى وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ملكا وخلقا كُلٌّ لَهُ قَانِتُوْنَ قال ابن عباس كل له

مطيعون في الحيوة والفناء والموت والبعث وان عصوا في العبادة وقال الكلبي هذا خاص بمن
كان منهم مطيعا ونفس السموات والارضين له وملكه فكل له منقادون فلا شريك له
اصلا ثم ذكر المدلول الآخر بقوله تعالى وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ اى على سبيل التجديد كما تشاهدون
+ واشار الى تعظيم الاعادة باداة التراخي فقال ثُمَّ يُعِيدُهُ اى بعد الموت للبعث وفي قوله تعالى
وَهُوَ اَهْوَنُ عَلَيْهِ اقوال احدها انها للتفضيل على بابها وعلى هذا يقال كيف يتصور التفضيل
والاعادة والبداءة بالنسبة الى الله تعالى على حد سواء وفي ذلك اجوبة احدها ان ذلك بالنسبة
الى اعتقاد البشر باعتبار المشاهدة من ان اعادة الشيء اهون من اختراعه لاحتياج الابتداء الى
اعمال فكر غالبا وان كان هذا منتفيا عن الباري سبحانه وتعالى فخوطبوا بحسب ما الفوه
ثانيها ان الضمير في عليه ليس عائدا على الله تعالى انما يعود على الخلق اى والعود اهون على الخلق
اى اسرع لان البداءة فيها تدريج من طور الى طور الى ان صار انسانا والاعادة لا تحتاج الى
هذه التدريجات فكأنه قيل وهو اقصر عليه وايسر واقل انتقالا والمعنى يقومون بصيحة واحدة
فيكون اهون عليهم يعني ان يقوموا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا ونساء وهي رواية
الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ثالثها ان الضمير في عليه يعود على المخلوق بمعنى والاعادة اهون
على المخلوق اى اعادته شيئا بعد ما انشأه هذا في عرف المخلوقين فكيف ينكرون ذلك في جانب
الله تعالى والثاني ان اهون ليس للتفضيل بل هي صفة بمعنى هين كقولهم الله اكبر اى كبير وهي
رواية العوفي عن ابن عباس وقد يجيء افعل بمعنى الفاعل كقول الفرزدق شعر ان الذي سمك السماء
بنى لنا + بيتا دعائمه اعز واطول + اى عزيزة طويلة وعود الضمير على الباري تعالى اولى ليوافق
الضمير في قوله تعالى وَلَهُ الْمَثَلُ اى الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة والحكمة الشاملة
قال ابن عباس هو انه ليس كمثله شيء وقال قتادة هو انه لا اله الا هو قال البيضاوي ومن
فسره بلا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية الْاَعْلٰى اى الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه
+ ولما كان الخلق لقصورهم مقيدين بما الهم به نوع مشاهدة قال فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ
اى اللتين خلقهما ولم يستعصيا عليه فكيف يستعصي عليه شيء فيهما وَهُوَ اى وحده الْعَزِيْزُ
اى الذي اذا اراد شيئا كان له في غاية الانقياد كائنا ما كان الْحَكِيْمُ اى الذي اذا اراد ربع
شيئا اتقنه فلم يقدر غيره الى التوصل الى نقض شيء منه ولا تتم حكمة هذا الكون على هذه الصورة
الا بالبعث بل هي الحكمة العظمى ليصل كل ذي حق الى حقه باقصى التحرير + ولما ابان من هذا
انه تعالى المنفرد بالملك بشمول العلم وتمام القدرة وكمال الحكمة اتصل بحسن امثاله واحكام
مقاله فقال قوله تعالى ضَرَبَ اى جعل لَكُمْ بحكمته ايها المشركون في امر الاصنام
وبيان الابطال من يشرك بها وفساد قوله باجلى ما يكون من التقرير مَثَلًا مبتدأ مِنْ
اَنْفُسِكُمْ التي هي اقرب الاشياء اليكم ثم بين المثل بقوله تعالى هَلْ لَكُمْ اى يا من جعلوا مع الله

غيره مِنْ مَّا اى من بعض مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ اى من العبيد والاماء الذين هم بشر مثلكم وعمم فى النفى
الذى هو المراد بالاستفهام بزيادة الجار بقوله تعالى مِنْ شُرَكَآءَ اى فى حالة من الحالات يسوغ
لكم بذلك ان تجعلوا لله شركاء فِى مَا رَزَقْنَاكُمْ من الاموال وغيرها مع ضعف ملككم فيه
فائدة + فى مقطوعة عن ما فَاَنْتُمْ اى يا معاشر الاحرار والعبيد فِيْهِ اى الشئ الذى وقعت فيه
الشركة سَوَآءٌ فيكون انتم وهم شركاء يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم فان قيل
اى فرق بين من الاولى والثانية والثالثة فى قوله تعالى من انفسكم اجيب بان الاولى للابتداء
كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شئ منكم وهى من انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة
مزيدة لتاكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى ثم بين المساواة بقوله تعالى تَخَافُوْنَهُمْ اى
معاشر السادة فى التصرف فى ذلك الشئ المشترك كَخِيْفَتِكُمْ اَنْفُسَكُمْ اى كما تخافون بعض من
تشاركونه ممن يساويكم فى الحرية والعظمة ان تتصرفوا فى الامر المشترك بشئ لا يرضيه وبدون
اذنه وظهر ان حالكم فى عبيدكم مثل له فيما اشركتموهم به موضح لبطلانه فاذا لم ترضوا هذا لانفسكم
وهو ان تستوى عبيدكم معكم فى الملك فكيف ترضونه لخالقكم فى هذه الشركاء التى
زعمتموها فتسوونها به وهى من اضعف خلقه افلا تستحيون كَذٰلِكَ اى مثل هذا التفصيل
العالى نُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ اى نبينها فان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها لِقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ اى يتدبرون
هذه الدلائل بعقولهم والامر لا يخفى بعد ذلك الا على من لا عقل له بَلِ اتَّبَعَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْٓا اى اشركوا فانهم
وضعوا الشئ فى غير موضعه فعل الماشى فى الظلام اَهْوَآءَهُمْ وهى ما تميل اليه نفوسهم بِغَيْرِ عِلْمٍ
اى جاهلين لا يكفهم شئ فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه + ثم بين تعالى ان ذلك بارادته
بقوله تعالى فَمَنْ يَّهْدِىْ مَنْ اَضَلَّ اللّٰهُ اى الذى له الامر كله اى لا يقدر احد على هدايته وَمَا لَهُمْ
مِّنْ نّٰصِرِيْنَ اى مانعين يمنعونهم من عذاب الله لا من الاصنام ولا من غيرها + ولما تحررت
الادلة وانتصبت الاعلام اقبل تعالى على خلاصة خلقه ايذانا بانه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره بقوله سبحانه
فَاَقِمْ وَجْهَكَ اى قصدك كله لِلدِّيْنِ اى اخلص دينك لله قال سعيد بن جبير وقال غيره سدد
عملك والوجه ما يتوجه اليه وقيل اقبل بكلك على الدين عبر بالوجه عن الذات كقوله تعالى كل شئ هالك
الا وجهه اى ذاته بصفاته وقوله تعالى حَنِيْفًا حال من فاعل اقم او مفعوله او من الدين ومعنى حنيفا
اى مائلا اليه مستقيما عليه ومل عن كل شئ لا يكون فى قلبك شئ اخر وهذا قريب من معنى قوله تعالى
ولا تكونن من المشركين وقوله تعالى فِطْرَتَ اللّٰهِ اى خلقته منصوب على الاغراء او المصدر بما دل عليه
ما بعدها وهى بتاء مجرورة وقف عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائى بالهاء والباقون بالتاء
ثم اكد ذلك بقوله تعالى الَّتِىْ فَطَرَ النَّاسَ قال ابن عباس خلق الناس عَلَيْهَا وهو دينه وهو التوحيد
قال صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا وهو يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
فقوله على الفطرة على العهد الذى اخذه عليهم بقوله تعالى الست بربكم قالوا بلى وكل مولود فى العالم

تعلى ذلك الاقرار وهى الحنيفية التى وقعت الخلقة عليها وان عبد غيره قال الله تعالى ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ولكن لاعبرة بالايمان
الفطرى فى احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى المامور به وهذا قول ابن عباس وجماعة
من المفسرين وقيل الاية مخصوصة بالمؤمنين وهم الذين فطرهم الله تعالى على الاسلام وروى عن
عبد الله بن المبارك قال معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته اى على خلقته التى جبل عليها
فى علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر فى العاقبة الى ما فطر عليه وعامل فى الدنيا
بالعمل المشاكل لها فمن علامات الشقاوة ان يولد بين يهوديين او نصرانيين فيحملانه لشقائه على
اعتقاد دينهما وقيل معنى الحديث ان كل مولود يولد فى مبدأ الفطرة على الخلقة اى الجبلة
السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود
حسنه فى العقول وانما يعدل عنه من يعدل الى غيره لآفة من الآفات والتقليد فمن يسلم من تلك الآفات
لم يعتقد غيره ذكر هذه المعانى ابو سليمان الخطابى فى كتابه ولما كانت سلامة الفطرة امرا مستمرا قال
تعالى لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ اى الملك الاعلى الذى لا كفء له فلا يقدر احد ان يبدله فمن حمل الفطرة
على الدين قال معناه لا تبديل لدين الله فهو خبر بمعنى النهى اى لا تبدلوا دين الله قال مجاهد
وابراهيم والمعنى الزموا فطرة الله اى دين الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك ومن حملها على
الخلقة قال معناه لا تبديل لخلق الله اى ما جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد
شقيا ولا الشقى سعيدا وقال عكرمة معناه تحريم اخصاء البهائم اى فى غير الماكول وفى الماكول الكبير
اما الماكول الصغير فانه يجوز ويلحق بالخصى المحرم كل تغيير محرم كالوشم ذَلِكَ اى الشأن العظيم
الدِّينُ الْقَيِّمُ اى المستقيم الذى لا عوج فيه توحيد الله تعالى وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ان ذلك
هو الدين المستقيم لعدم تدبرهم وقوله تعالى مُنِيبِينَ اى راجعين اليه تعالى فيما امر به ونهى عنه
حال من فاعل اقم قال الزمخشرى فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد
ذلك للبيان والتلخيص وَاتَّقُوهُ اى خافوه فانكم وان عبدتم غيره فلا امر لكم ان تزيغوا عن سبيله
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ اى داوموا عليها وعلى ادائها فى اوقاتها وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ اى لا تكونوا ممن
يدخل فى عدادهم بموادة او معاشرة او عمل تشابهونهم فيه فانه من تشبه بقوم فهو منهم وهو
عام فى كل مشرك سواء كان بعبادة صنم او نار او غير ذلك وقوله تعالى مِنَ الَّذِينَ بدل من المشركين
باعادة الجار فَرَّقُوا دِينَهُمْ اى الذى هو الفطرة الاولى فعبد كل قوم منهم شيئا واولدوا تعصبا
دينا من سواهم وهو معنى وَكَانُوا شِيَعًا اى فرقا متفرقة كل واحدة منهم تشايع من دان
بدينها على من خالفهم حتى كفر بعضهم بعضا واستباحوا الدماء والاموال فعلم قطعا انهم كلهم
ليسوا على الحق وقرأ حمزة والكسائى بالف بعد الفاء وتخفيف الراء والباقون بغير الف وتشديدها

الواو فعلى القراءة الاولى فارقوا اى تركوا دينهم الذى امروا به + ولما كان هذا امرا يتعجب منه وفيه
زاده عجبا بقوله تعالى استئنافا كُلُّ حِزْبٍ اى منهم بِمَا لَدَيْهِمْ اى عندهم فَرِحُونَ اى مسرورون
ظنا منهم انهم صادفوا الحق وفازوا به دون غيرهم + ولما بين تعالى التوحيد بالدليل وبالمثل
بين ان لهم حالة يعترفون بها وان كانوا ينكرونها فى وقت وهى حالة الشدة بقوله تعالى
وَاِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ اى قحط وشدة دَعَوْا رَبَّهُمْ اى الذى لم يشركه فى الاحسان اليهم احد مُنِيبِينَ
اى راجعين من جميع ما لا ينفعهم اِلَيْهِ اى دون غيره علما منهم بانه لا فرج لهم عند شئ غيره قال الرازى
فى اللوامع فى اواخر العنكبوت وهذا دليل على ان معرفة الرب فى فطرة كل انسان وانهم ان غفلوا
فى السراء فلا شك انهم يلوذون اليه فى حال الضراء ثُمَّ اِذَا اَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً اى خلاصا من
ذلك الضر اِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ اى المحسن اليهم دائما المجدد لهم هذا الاحسان من هذا الضر
يُشْرِكُونَ اى فاجأ فريق منهم الاشراك بربهم الذى عافاهم فاذا الفجائية وقعت جواب الشرط
لانها كالفاء فى انها للتعقيب ولا تقع اول كلام وقد تجامعها الفاء زائدة فان قيل ما الحكمة
فى قوله ههنا اذا فريق منهم وقال فى العنكبوت فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ولم يقل فريق
اجيب بان المذكور هناك غير معين وهو ما يكون من هول البحر والمتخلص منه بالنسبة الى
الخلق قليل والذى لا يشرك منهم بعد الخلاص فرقة منهم فهم فى غاية القلة فلم يجعل المشركين فريقا
لقلة من خرج من الشرك واما المذكور ههنا الضر مطلقا فيتناول ضر البحر والامراض والاهوال
والمتخلص من انواع الضر خلق كثير بل جميع الناس قد يكونون قد وقعوا فى ضر ما فتخلصوا منه والذى
لا يبقى بعد الخلاص مشركا من جميع الانواع اذا اجتمع فهم خلق عظيم وهو جميع المسلمين فانهم تخلصوا
من ضر ولم يبقوا مشركين واما المسلمون فلم يتخلصوا من ضر البحر باجمعهم فلما كان الناجى
من الضر المؤمن جمعا كثيرا سمى الباقى فريقا وقوله تعالى لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ يجوز ان تكون اللام
فيه لام كى وان تكون لام الامر ومعناه التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا
هذا خطاب تهديد بقوله تعالى فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ عاقبة تمتعكم فى الاخرة وفى هذا التفات
من الغيبة اَمْ اَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا اى دليلا واضحا قاهرا او ذا سلطان اى ملكا معه برهان فقوله تعالى
فَهُوَ يَتَكَلَّمُ على الاول كلاما مجازيا وعلى الثانى كلاما حقيقيا وعلى كلا الحالين هو جواب
الاستفهام الذى تضمنته ام المنقطعة بِمَا اى بصحة ما كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ اى يأمرهم بالاشراك
بحيث لا يجدوا بدا من متابعته لتزول عنهم الملامة وهذا الاستفهام بمعنى الانكار اى ما انزلنا
بما يقولون سلطانا قال ابن عباس حجة وعذرا وقال قتادة كتابا يتكلم بما كانوا به يشركون
اى ينطق بشركهم + ولما بين تعالى حال المشرك الظاهر شركه بين تعالى حال المشرك الذى
دونه وهو من تكون عبادته للدنيا بقوله تعالى وَاِذَا معبرا باداة التحقيق اشارة الى ان الرحمة اكثر
من النقمة واسند الفعل اليه فى مقام العظمة اشارة الى سعة جوده فقال اَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً

اى نعمة من خصب وكثرة مطر وغنى ونحوه لا سبب لها الا رحمتنا فَرِحُوا بِهَا اى فرح بطر مطمئنين من زوالها ناسين شكر من انعم بها ولا ينبغى ان يكون العبد كذلك فان قيل الفرح بالرحمة مأمور به قال تعالى بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وههنا ذمهم على الفرح برحمة اجيب بانه هناك فرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله وههنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم اذا كان من الله تعالى وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ اى شدة من جدب وقلة مطر وفقر ونحوه بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ من السيئات إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ اى ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمنين فانهم يشكرون ربهم عند النعمة ويرجونه عند الشدة وقرأ ابو عمرو والكسائى بكسر النون بعد القاف والباقون بالفتح أَوَلَمْ يَرَوْا اى يعلموا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ اى يوسعه لِمَن يَشَاءُ امتحانا وَيَقْدِرُ اى يضيق لمن يشاء ابتلاء وهذا شأنه دائما تشاهد الشخص الواحد فى اوقات متعاقبة متباعدة ومتقاربة ومع الاشخاص فى الوقت الواحد فلو اعتبروا حال قبضه سبحانه لم يبطروا ولو اعتبروا حال بسطه لم يقنطوا بل كان حالهم الصبر فى البلاء والشكر فى الرخاء والاقلاع من السيئة التى نزل بسببها القضاء ولم تغن عن احد منهم فى استجلاب الرزق قوته وغزارة عقله ودقة مكره وكثرة حيله ولا ضره ضعفه وقلة عقله وعجز حيلته وكان ذلك امرا عظيما ومع ذلك مع شدة ظهوره وجلائه خفيا دقيقا قال بعضهم كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا * اشار سبحانه الى عظمته بقوله مؤكدا لانكارهم فى شدة اهتمامهم بالسعى فى الدنيا عمل من يظن ان تحصيله انما هو على قدر الاجتهاد فى الاسباب إِنَّ فِي ذَٰلِكَ اى الامر العظيم من الاقتار فى وقت الاغناء فى امر والتوسيع على شخص والتقتير على آخر والامن من زوال الحاضر من النعم مع تكرر المشاهدة للزوال فى النفس والغير والياس من حصول ما عند المحنة مع كثرة وجدان الفرج وغير ذلك من اسرار الآية لَآيَاتٍ اى دلالات واضحات على الوحدانية لله تعالى وتمام العلم وكمال القدرة وانه لا فاعل فى الحقيقة الا هو ولكن لِّقَوْمٍ اى ذوى همم وكفاية القيام بما يحق لهم ان يقوموا به يُؤْمِنُونَ اى يوجدون هذا الوصف ويداومون تجديده كل وقت لما يتواصل عندهم من قيام الادلة بادامة التأمل والامعان والتفكر والاعتماد فى الرزق على من قال ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر اى من طالب علم فيعان عليه فلا يفرحون بالنعم اذا حصلت ولا من زوالها اذا ارادت القاهرة ذلك ولا يعتنون بها اذا انسلت رجاء فى اقبالها فضلا من الرازق لان افضل العبادة انتظار الفرج بل همهم ما عليهم من وظائف العبادة واجبها ومندوبها معرضون عما سوى ذلك فلما وكلوا امر الرزق الى من تولى امره وفرغ من قسمه وقام بضمانه وهو القدير العليم * ولما افهم ذلك عدم الاكتراث بالدنيا لان الاكتراث بها لا يزيدها والتهاون بها لا ينقصها قال تعالى مخاطبا لاعظم المتأهلين لتنفيذ اوامره فَآتِ يا خير الخلق ذَا الْقُرْبَىٰ اى القرابة حَقَّهُ اى من البر والصلة

لانه احق الناس بالبر صلة للرحم جودا وكرما وَالْمِسْكِينَ سواء كان ذا قرابة ام لا وَابْنَ السَّبِيلِ وهو المسافر
كذلك من الصدقة وامة النبي صلى الله عليه وسلم تبع له في ذلك + تنبيه + عدم ذكر بقية الاصناف
يدل على ان ذلك في صدقة التطوع ودخل الفقير من باب اولى لانه اسوأ حالا من المسكين فان قيل
كيف تعلق قوله تعالى فآت ذا القربى حقه بما قبله حتى جيء بالفاء اجيب بانه لما ذكر ان السيئة اصابتهم
بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك وقد احتج ابو حنيفة بهذه الآية
في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي رضي الله عنه لا نفقة
بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابة على ابن العم لانه لا ولادة بينهم + ولما امر بالايثار
رغب فيه بقوله تعالى ذَلِكَ اي الايثار العالي الرتبة خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ اي ذاته او جهته
وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا لوجهه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اي
يقصدون بجهة التقرب الى الله تعالى لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة
وَأُولَئِكَ اي العالو الرتبة لغناهم عن كل فان هُمُ الْمُفْلِحُونَ اي الفائزون الذين لا يشوب فلاحهم
شيء واما غيرهم فخائب اما من لم ينفق فواضح واما من انفق على وجه الرياء فقد خسر ماله والقى عليه
وباله كما قال تعالى وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا اي مال على وجه الربا المحرم بزيادة في المعاملة او المكروه بعطية
يتوقع بها مزيد مكافاة وكان هذا محرما على النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر
اي لا تعط وتطلب اكثر مما اعطيته تشريفا له وكره لامته الناس فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة
فالربا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي ليس بحرام ان يستدعي بهديته
او بهبته اكثر منها وقرأ ابن كثير بقصر الهمزة بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا والباقون بمدها لِيَرْبُوَ
اي يزيد ويكثر ذلك فِي أَمْوَالِ النَّاسِ اي يحصل فيه زيادة تكون اموال الناس ظرفا لها فهو
كناية عن ان الزيادة التي ياخذها المرابي من اموالهم لا يملكها اصلا وقرأ نافع بتاء الخطاب بعد
اللام مضمومة وسكون الواو والباقون بالياء التحتية مفتوحة وفتح الواو فَلَا يَرْبُو اي يزكو وينمي
فلا ثواب فيه عِنْدَ اللَّهِ اي الملك الاعلى الذي له الغنى المطلق وصفات الكمال وكل ما لا يرضاه
الله فهو ممحوق لا وجود له فماله الى فناء وان كثر يمحق الله الربا ويربي الصدقات + ولما ذكر ما زيادته
نقص اتبعه ما نقصه زيادة بقوله وَمَا آتَيْتُمْ اي اعطيتم مِنْ زَكَاةٍ اي صدقة وعبر عنها بذلك
ليفيد الطهارة والزيادة اي تطهرون بها اموالكم من الشبه وابدانكم من مواد الخبث واخلاقكم
من الغل والدنس + ولما كان الاخلاص عزيزا اشار الى عظمته بتكريره بقوله عز وجل تُرِيدُونَ
اي بها وَجْهَ اللَّهِ اي عظمة الملك الاعلى فيعرفون من حقه ما يتلاشى عندهم كل ما سواه
فيخلصون له فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ اي ذوو الاضعاف الذين ضاعفوا اموالهم في الدنيا بسبب ذلك
بالحفظ والبركة وفي الآخرة بكثرة الثواب عند الله من عشرة امثال الى ما لا حصر له نظير المضعف
المقوي والموسر لذي القوة واليسار + ولما وقع بهذا انه لا زيادة الا فيما يزيده الله ولا نقص الا فيما ينقصه

الله بين تعالى ذلك بطريق لا اوضح منه بقوله تعالى اَللّٰهُ اى بعظيم جلاله لا غيره اَلَّذِىْ خَلَقَكُمْ اى
اوجدكم على ما انتم عليه من التقدير لا تملكون شيئا ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيْتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ هَلْ
مِنْ شُرَكَائِكُمْ اى ممن اشركتم بالله مَنْ يَّفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مشيرا الى علو رتبته باداة البعد وخطابا لكل
+ ولما كان الاستفهام الانكارى التوبيخى فى معنى النفى قال مؤكدا مستغرقا لكل ما يمكن
منه ولو قل جدا مِّنْ شَيْءٍ اى يستحق هذا الوصف الذى تطلقونه عليه + ولما الزمهم قطعا ان يقولوا
لا وعزتك ما لهم ولا لاحد منهم فعل شئ من ذلك قال تعالى معرضا عنهم منزها لنفسه الشريفة
سُبْحٰنَهٗ اى تنزه تنزها لا يحيط به الوصف من ان يكون محتاجا الى شريك وَتَعٰلٰى اى
علا الا تصل اليه العقول عَمَّا يُشْرِكُوْنَ فى ان يفعلوا شيئا من ذلك + تنبيه يجوز فى خبر الجلالة ع
الكريمة وجهان اظهرهما انه الموصول بعدها والثانى انه الجملة من قوله تعالى هل من شركائكم
والموصول صفة والراجع من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية يفيد ان شيوع الحكم
فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم النفى فكل منها مستقلة بتاكيد لتعجيز الشركاء
وقرا حمزة والكسائى بتاء الخطاب والباقون بالياء التحتية + ولما بين لهم تعالى من حقارة شركائهم
ما كان حقهم به ان يرجعوا فلم يفعلوا اتبعه ما اصابهم به على غير ما كان فى اسلافهم عقوبة لهم
على قبيح ما ارتكبوا استعطافا للتوبة بقوله تعالى ظَهَرَ الْفَسَادُ اى النقص فى جميع ما ينفع الخلق
فِى الْبَرِّ بالقحط والخوف وقلة المطر ونحو ذلك وَالْبَحْرِ بالغرق وقلة الفوائد من الصيد ونحوه من كل
ما كان يحصل منه وقلة المطر كما تؤثر فى البر تؤثر فى البحر فتخلو اجواف الاصداف من اللؤلؤ وذلك
لان الصدف اذا جاء المطر يرتفع على وجه الماء وينفتح فما وقع فيه من المطر صار لؤلؤا وقالوا اذا انقطع
القطر عميت دواب البحر وقيل المراد بالبر البوادى والمفاوز وبالبحر المدائن والقرى التى على المياه
الجارية قال عكرمة العرب تسمى المصر بحرا تقول اجدب البر وانقطعت مادة البحر ثم بين سببه
بقوله تعالى بِمَا كَسَبَتْ اَيْدِى النَّاسِ اى بسبب شؤم ذنوبهم ومعاصيهم كقوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم قال ابن عباس الفساد فى البر قتل احد بنى ادم اخاه وفى البحر
غصب الملك الجبار السفينة قال الضحاك كانت الارض خضرة مونقة لا ياتى ابن ادم شجرة الا وجد
عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت
الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوانات بعضها بعضا وقال قتادة هذا قبل
مبعث نبينا صلى الله عليه وسلم امتلأت الارض ظلما فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم رجع
راجعون من الناس وقيل اراد بالناس كفار مكة + ولما ذكر تعالى علة البداية ثنى بعلة الجزائية بقوله تعالى
لِيُذِيْقَهُمْ بَعْضَ الَّذِىْ عَمِلُوْا اى وبالها ويعفو عن كثير اما اصلا ورأسا واما عن المعاجلة به ويؤخره
الى وقت ما فى الدنيا او الاخرة وقرأ قنبل بالنون بعد اللام والباقون بالياء التحتية ثم ثلث بالعلة الغائية
١٠ بقوله تعالى لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ اى عما هم عليه + ولما بين تعالى حالهم بظهور الفساد فى احوالهم بسبب

فساد اقوالهم بين لهم ضلال اعمالهم واشكالهم الذين كانت افعالهم كافعالهم بقوله تعالى لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم قُلْ اى لهؤلاء الذين لاهمّ لهم سوى الدنيا سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فان سيركم
الماضى لكونه لم تصحبه عبرة عدم فَانْظُرُوا نظر اعتبار كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ اى من قبل
ايامكم لتروا منازلهم ومساكنهم خالية فتعلموا ان الله تعالى اذاقهم وبال امرهم واوقعهم فى
حفائر مكرهم كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ اى فلذلك اهلكناهم ولم تغن عنهم كثرتهم وانجينا
المؤمنين وما ضرتهم قلتهم + ولما نهى الله تعالى الكفار عما هم عليه امر المؤمنين بما هم عليه فخاطب
النبى صلى الله عليه وسلم ليعلم المؤمن فضيلة ما هو مكلف به فانه امر به اشرف الانبياء بقوله تعالى
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ اى المستقيم وهو دين الاسلام مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ اى عظيم لَا مَرَدَّ لَهُ
اى لا يقدر ان يرده احد وقوله تعالى مِنَ اللَّهِ يجوز ان يتعلق بياتى او بمحذوف يدل عليه المصدر
اى لا يرده من الله احد والمراد به يوم القيمة لا يقدر احد على رده من الله وغيره عاجز عن رده
فلابد من وقوعه يَوْمَئِذٍ اى اذ يأتى يَصَّدَّعُونَ اى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير ثم
اشار الى التفرق بقوله تعالى مَنْ كَفَرَ اى منهم فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ اى وبال كفره وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا اى بالايمان
وما يترتب عليه فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ اى يوطئون منازلهم فى القبور وفى الجنة بل وفى الدنيا
فان الله تعالى يعزهم بعز طاعته + تنبيه + اظهر قوله تعالى صالحا ولم يضمر لئلا يتوهم عود الضمير على
من كفر وبشارة بان اهل الجنة كثير وان كانوا قليلا لان الله تعالى هو مولاهم فهو مزكيهم وافرد الشرط و
جمع الجزاء فى قوله تعالى فلانفسهم يمهدون اشارة الى ان الرحمة اعم من الغضب فتشمله واهله وذريته
وفيه ترغيب فى العمل من غير نظر الى مساعد وبانه ينفع نفسه وغيره لان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد
بعضه بعضا واقل ما ينفع والديه وشيخه فى ذلك العمل وقوله تعالى لِيَجْزِيَ اى الله سبحانه وتعالى الذى
انزل هذه السورة لبيان انه ينصر اولياءه لاحسانه مع المحسنين ولذلك اقتصر هنا على ذكرهم بقوله تعالى
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اى تصديقا لايمانهم مِنْ فَضْلِهِ علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار
على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء عن فحوى قوله تعالى إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
فان فيه اثبات البغض لهم فيعذبهم والمحبة للمؤمنين فيثيبهم وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم
من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل لهم وقوله تعالى من فضله دال على ان الاثابة محض
الفضل + ولما ذكر تعالى ظهور الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر انه
بسبب العمل الصالح لان الكريم لا يذكر لاحسانه عوضا ويذكر لاضداده سببا لئلا يتوهم به الظلم
قال تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ اى الدلالات الواضحة أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ اى بالمطر كما قال تعالى نشرا
بين يدى رحمته اى قبل المطر وقيل مبشرات بصلاح الاهوية والاحوال فان الرياح لو لم تهب لظهر
الوباء والفساد وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح بالافراد على ارادة الجنس والباقون بالجمع وهى الجنوب
والشمال والصبا لانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقوله تعالى وليذيقكم اى بها من رحمته اى من نعمته من المياه
العذبة والاشجار الرطبة وصحة الابدان وما يتبع ذلك من امور لا يحصيها الا خالقها معطوف على
مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم او على علة محذوفة دل عليها مبشرات او على
يرسل باضمار فعل معلل دل عليه اى وليذيقكم ارسلها ولتجري الفلك اى السفن فى جميع البحار
وما جرى مجراها عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون موافقة فلا بد من
ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت واغرقتها ولتبتغوا اى تطلبوا من فضله من رزقه
بالتجارة فى البحر ولعلكم اى ولتكونوا اذا فعل بكم ذلك على رجاء من انكم تشكرون على ما انعم
عليكم من نعمه ودفع عنكم من نقمه ✦ تنبيه ✦ قال تعالى فى ظهر الفساد ليذيقهم بعض الذى عملوا
وقال ههنا وليذيقكم من رحمته فخاطبهم ههنا تشريفا ولان رحمته قريب من المحسنين فحينئذ
فالمحسن قريب فيخاطب والمسئ بعيد فلم يخاطب وقال هناك بعض الذى عملوا فاضاف ما اصابهم
الى انفسهم واضاف ما اصاب المؤمن الى رحمته فقال تعالى من رحمته لان الكريم لا يذكر لرحمته
واحسانه عوضا فلا يقول اعطيتك لانك فعلت كذا بل يقول هذا لك منى واما ما فعلت من الحسنة
فجزاؤه بعد عندى وايضا فلو قال ارسلت بسبب فعلكم لا يكون بشارة عظيمة واما اذا قال من رحمته
كان غاية البشارة وايضا فلو قال بما فعلتم لكان ذلك موهما لنقصان ثوابهم فى الآخرة واما فى حق الكفار
فاذا قال بما فعلتم انبأ عن نقصان عقابهم وهو كذلك وقال هناك لعلهم يرجعون وقال هنا ولعلكم تشكرون
قالوا واشارة الى توفيقهم للشكر فى النعم وعطف على النعم قوله تعالى ولقد ارسلنا اى بما لنا من القوة
وقال تعالى من قبلك رسلا تنبيها على انه خاتم النبيين بتخصيص ارسال غيره بما قبل زمانه وقال
الى قومهم اعلاما بان امر الله اذا جاء لا ينفع فيه قريب ولا بعيد فجاؤهم بالبينات فانقسم قومهم
الى مسلمين ومجرمين فانتقمنا اى فكانت معاداة المسلمين للمجرمين فينا سببا لانا انتقمنا
بما لنا من العظمة من الذين اجرموا اى اهلكنا الذين كذبوهم لاجرامهم وهو قطع
ما امرناهم بوصله ✦ ولما كان محط الفائدة الزامه سبحانه لنفسه بما تفضل به قدمه تعجيلا
للسرور وتطييبا للنفوس فقال تعالى وكان اى على سبيل الثبات والدوام حقا علينا اى بما اوجبنا
بوعدنا الذى لا خلف فيه نصر المؤمنين اى الفريقين فى ذلك الوصف فى الدنيا والآخرة ولم يزل
هذا دابنا فى كل ملة على مدى الدهر فليحذر هؤلاء لمثل هذا وليأخذوا لمثل ذلك اهبة
لينظروا من المغلوب هل ينفعهم شئ روى الترمذى وحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله تعالى وكان
حقا علينا نصر المؤمنين قال البقاعى فالآية من الاحتباك اى وهو ان يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما ما
يكون نظمهما بحيث يدل ما اثبت فى كل على ما حذف من الآخر فحذف اولا الاهلاك الذى هو اثر
الخذلان لدلالة النصر عليه وثانيا الانعام لدلالة الانتقام عليه ✦ ثم نبه تعالى على كمال قدرته فهو

الناصر للمؤمنين بقوله تعالى اَللّٰهُ اي وحده الَّذِي يُرْسِلُ مرة بعد اخرى الرِّيٰحَ مضطربة هائجة
بعد ان كانت ساكنة فَتُثِيرُ سَحَابًا اي تزعجه وتنشره فَيَبْسُطُهُ بعد اجتماعه فِي السَّمَاءِ اي جهة العلو
كَيْفَ يَشَاءُ في اي ناحية شاء قليلا تارة كسير ساعة وكثيرا اخرى كسير ايام على حسب
ارادته واختياره لا مدخل فيه لطبيعة ولا غيرها وَيَجْعَلُهُ اذا اراد كِسَفًا اي قطعا غير متصل بعضها
ببعض اتصالا يمنع نزول الماء وقرأ ابن عامر بسكون السين بخلاف عن هشام والباقون بفتحها
فَتَرَى بسبب ارسال الله له او بسبب جعله ذا امسام وفروج يا من هو من اهل الرؤية او يا اشرف
خلقنا الذي لا يعرف هذا حق معرفته سواه الْوَدْقَ اي المطر يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ اي السحاب الذي
هو اسم جنس في حالتي الاتصال والانفصال فَاِذَا اَصَابَ اي الله بِهِ اي بالودق مَنْ اي ارض من
يَشَاءُ ونبه على ان ذلك فضل منه لا يجب عليه لاحد شيء اصلا بقوله تعالى مِنْ عِبَادِهِ اي
الذين لم تزل عبادته واجبة عليهم جديرون بملازمة شكره والخضوع لامره اِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
اي يظهر عليهم البشر وهو السرور الذي تشرق له البشرة حال الاصابة ظهورا بالغا عظيما لما يرجون
مما يحدث عنه من الاثر النافع من الخصب والرطوبة واللين ثم بين تعالى عجزهم بقوله تعالى وَاِنْ
اي والحال انهم كَانُوْا في الزمن الماضي مِنْ قَبْلِ اَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ اي المطر وقرأ ابو عمرو وابن كثير
بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي وقوله تعالى مِنْ قَبْلِهِ
من باب التكرير والتاكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد
فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول بعد ما استحكم ياسهم وقوله تعالى لَمُبْلِسِيْنَ اشارة
الى انهم تمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم بذلك وقيل الاولى ترجع الى المطر والثانية الى
انشاء السحاب فلا تاكيد فَانْظُرْ اِلٰى اٰثٰرِ رَحْمَتِ اللّٰهِ والرحمة هي الغيث واثرها هو النبات وقرأ ابن عامر
وحفص وحمزة والكسائي بالف بعد الثاء المثلثة والباقون بغير الف ورسمت رحمت هنا مجرورة
فوقف ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء كَيْفَ يُحْيِي اي الله الْاَرْضَ باخراج النبات
بَعْدَ مَوْتِهَا اي يبسها اِنَّ ذٰلِكَ اي القادر العظيم الشان الذي قدر على احياء الارض
لَمُحْيِ الْمَوْتٰى كلها من الحيوانات والنباتات اي ما زال قادرا على ذلك قال تعالى وَهُوَ عَلٰى كُلِّ
شَيْءٍ من ذلك وغيره قَدِيْرٌ لان نسبة القدرة منه سبحانه وتعالى الى كل ممكن على حد سواء
+ ولما بين انهم عند توقف الخير يكونون ايسين وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين ان تلك
الحالة ايضا لا يدومون عليها بقوله تعالى وَلَئِنْ اَرْسَلْنَا اي بعد وجود هذا الاثر الحسن رِيْحًا عقيما
فَرَاَوْهُ اي الاثر لان الرحمة هي الغيث واثرها هو النبات او الزرع لدلالة السياق عليه مُصْفَرًّا
قد بدل واخذ في التلف من شدة يبس الريح اما بالحر او البرد وقيل رأوا السحاب لانه اذا كان
مصفرا لم يمطر ويجوز ان يكون الضمير للريح من التعبير بالسبب عن المسبب + تنبيه + اللام موطئة
للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله تعالى لَظَلُّوْا اي لصاروا مِنْ بَعْدِهِ اي اصفراره

يكفرون اى ييأسهم من رحمة الله جواب سدّ مسدّ الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال + تنبيه +
سمى النافعة رياحا والضارة ريحا لوجوه احدها ان النافعة كثيرة الانواع كثيرة الافراد فجمعها لان
فى كل يوم وليلة تهب نفحات من الرياح النافعة ولا تهب الريح الضارة فى اعوام بل الضارة
لا تهب فى الدهور ثانيها ان النافعة لا تكون الا رياحا واما الضارة فنفخة واحدة تقتل كريح السموم
ثالثها جاء فى الحديث ان ريحا هبت فقال عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها
ريحا اشارة الى قوله تعالى فارسلنا عليهم الريح العقيم وقوله تعالى ريحا صرصرا الى قوله تنزع الناس
+ ولما علم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وجوه الادلة ووعد واوعد ولم يزدهم دعاؤه الا فرارا
وكفرا واصرارا قال تعالى فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى اى ليس فى قدرتك اسماع الذين لا حياة لهم فلا تطمع
لاسماع اموات القلوب اسماعا ينفعهم لانه مما اختص به الله تعالى وهؤلاء مثل الاموات لان الله
تعالى قد ختم على مشاعرهم وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ اى الذين لا اسماع لهم الدُّعَاءَ اذا دعوتهم + ولما
كان الاصم قد يحس بدعائك اذا كان مقبلا بحاسة بصره قال تعالى إِذَا وَلَّوْا وذكر الفعل ولم يقل
ولت اشارة الى قوة التولى لئلا يظن انه اطلق على الجانبة مثلا ولهذا قال تعالى مُدْبِرِينَ
وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية فى الوصل والباقون بالتحقيق
واذا وقف حمزة وهشام على الدعاء ابدلا الهمزة الفا مع المد والتوسط والقصر وَمَا أَنْتَ
بِهَادِ الْعُمْيِ اى بموجد لهم هداية عَنْ ضَلَالَتِهِمْ اذا ضلوا عن الطريق وقرأ حمزة بتاء
الخطاب مفتوحة وسكون الهاء والعمى بنصب الياء والباقون بالباء الموحدة مكسورة وفتح الهاء والعمى
بالخفض + تنبيه + قد جعل الله تعالى الكافر بهذه الصفات وهوانه شبهه اولا بالميت وارشاد
الميت محال والمحال ابعد من الممكن ثم بالاصم وارشاد الاصم صعب فانه لا يسمع الكلام وانما يفهم
بالاشارة والافهام بالاشارة صعب ثم بالاعمى وارشاد الاعمى ايضا صعب فانك اذا قلت له مثلا الطريق
عن يمينك فانه يدور الى يمينه لكنه لا يبقى عليه بل يحيد عن قريب فارشاد الاصم اصعب ولهذا
تكون المعاشرة مع الاعمى اسهل من المعاشرة مع الاصم الذى لا يسمع لان غاية الافهام ليس بكل
ما يفهم بالكلام يفهم بالاشارة فان المعدوم والغائب لا اشارة اليه فبدأ اولا بالميت لانه اعلى ثم بالادون
منه وهو الاصم وقيده بقوله تعالى اذا ولوا مدبرين ليكون ادخل فى الامتناع لان الاصم وان كان
يفهم فانما يفهم بالاشارة فاذا ولى لا يكون نظره الى المشير فامتنع افهامه بالاشارة ايضا ثم بالادنى
منه وهو الاعمى لما مر ثم قال تعالى إِنْ اى ما تُسْمِعُ اى سماع افهام وقبول إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا اى
القرآن فاثبت للمؤمن استماع الآيات فلزم ان يكون المؤمن حيا سميعا بصيرا لان المؤمن ينظر
فى البراهين ويسمع زواجر الوعظ فتظهر منه الافعال الحسنة ويفعل ما يجب عليه فَهُمْ
مُسْلِمُونَ اى مطيعون كما قال تعالى عنهم وقالوا سمعنا واطعنا + ولما اعاد تعالى دليل الآفاق
بقوله تعالى الله الذى يرسل الرياح اعاده دليلا من دلائل الانفس وهو خلق الآدمى وذكر

احوال بقوله تعالى اَللّٰهُ اى الجامع لصفات الكمال الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِنْ ضُعْفٍ اى ماء ذى ضعف لقوله تعالى
الم نخلقكم من ماء مهين ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضُعْفٍ آخر وهو ضعف الطفولية قُوَّةً اى قوة الشباب
ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا اى ضعف الكبر وَشَيْبَةً اى شيب الهرم وهى بياض فى الشعر
يحصل اوله فى الغالب فى السنة الثالثة والاربعين وهو اول سن الاكتهال والاخذ فى النقص
بالفعل بعد الخمسين الى ان يزيد النقص فى الثالثة والستين وهو اول سن الشيخوخة ويقوى الضعف
الى ما شاء الله وقرأ عاصم وحمزة بخلاف عن حفص بفتح الضاد فى الثلاثة وهو لغة تميم والباقون بضم
وهو لغة قريش وهذا كله انما هو على العادة الغالبة وكان الناس متفاوتين فيها وكان من الناس
من يطعن فى السن وهو قوى ونتيجة ذلك كله انه لابد ان يكون التغير بالاختيار مع شمول
العلم وتمام القدرة كما قال تعالى يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ اى من هذا وغيره وَهُوَ الْعَلِيْمُ بتدبير خلقه الْقَدِيْرُ
على ما يشاء فان قيل ما الحكمة فى قوله تعالى هنا وهو العليم القدير وقوله تعالى من قبل وهو العزيز
الحكيم والعزة اشارة الى كمال القدرة والحكمة اشارة الى كمال العلم فقدم القدرة هناك على
العلم اجيب بان المذكور هناك الاعادة بقوله تعالى وهو اهون عليه وله المثل الاعلى فى السموات
والارض وهو العزيز الحكيم لان الاعادة بقوله تعالى كن فيكون فالقدرة هناك اظهر وههنا المذكور
الابداء وهو اطوار واحوال والعلم بكل حال حاصل فالعلم ههنا اظهر ثم ان قوله تعالى وهو العليم
القدير فيه تبشير وانذار لانه اذا كان عالما باحوال الخلق يكون عالما باحوال المخلوق فان عملوا خيرا علمه
وان عملوا شرا علمه ثم اذا كان قادرا فاذا علم الخير اثاب واذا علم الشر عاقب ولما كان العلم بالاحوال قبل
الاثابة والعقاب اللذين هما بالقدرة والعلم قدم العلم واما الآية الاخرى فالعلم بتلك الاحوال قبل لقا
فقال وهو العزيز الحكيم ولما اثبت قدرته تعالى على البعث وغيره عطف على قوله اول السورة يوم
تقوم الساعة يبلس المجرمون وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ اى القيمة سميت بذلك لانها تقوم فى اخر ساعة من
ساعات الدنيا او لانها تقوم بغتة او اعلاما بتيسيرها على الله تعالى وصارت علما عليها بالغلبة كالكوكب
للزهرة يُقْسِمُ اى يحلف الْمُجْرِمُوْنَ اى الكافرون وقوله تعالى مَا لَبِثُوْا جواب قوله تعالى يقسم
وهو على المعنى اذ لو حكى قولهم بعينه لقيل ما لبثنا اى فى الدنيا غَيْرَ سَاعَةٍ استقلوا اجل الدنيا لما عاينوا
فى الآخرة وقال مقاتل والكلبى ما لبثوا فى قبورهم غير ساعة كما قال تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا
الا عشية او ضحاها وكما قال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقيل
فيما بين فناء الدنيا والبعث وفى حديث رواه الشيخان ما بين النفختين اربعون وهو محتمل للساعات
والايام والاعوام كَذٰلِكَ اى مثل ذلك الصرف عن حقائق الامور الى شكوكها كَانُوْا فى الدنيا كونا
هو كالجبلة لهم يُؤْفَكُوْنَ اى يصرفون عن الحق فى الدنيا وقال مقاتل والكلبى كذبوا فى قولهم غير
ساعة كما كذبوا فى الدنيا ان لا بعث والمعنى ان الله تعالى اراد ان يفضحهم فحلفوا على شئ تبين لاهل
الجمع انهم كاذبون فيه ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم بقوله تعالى وَقَالَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْعِلْمَ وَالْاِيْمَانَ

وهم الملائكة والانبياء والمؤمنون لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللّٰهِ اى فيما كتب الله لكم فى سابق علمه وقضائه
او فى اللوح المحفوظ او فيما وعد به فى كتابه من الحشر والبعث فيكون فى كتاب الله متعلق
بلبثتم وقال مقاتل وقتادة فيه تقديم وتاخير معناه وقال الذين اوتوا العلم بكتاب الله والايمان لقد لبثتم
اِلٰى يَوْمِ الْبَعْثِ وفى ذلك رد على الباء قد ردوا ما قال هؤلاء الكفار وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم
وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فَهٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ الذى انكرتموه وقرأ نافع وابن كثير وعاصم
باظهار الثاء المثلثة عند التاء المثناة والباقون بالادغام + تنبيه + سبب اختلاف الفريقين ان
الموعود بوعد اذا ضرب له اجل ان علم ان مصيره الى النار وهو الكافر يستقل مدة اللبث ويختار
تاخير الحشر والابقاء فى القبر وان علم ان مصيره الى الجنة وهو المؤمن فيستكثر المدة ولا يريد
تاخيرها فيختلف الفريقان وفى هذه الفاء قولان اظهرهما انها عاطفة هذه الجملة على لبثتم وقال
الزمخشرى هى جواب شرط مقدر اى ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اى فقد تبين
بطلان ما قلتم + ولما كان التقدير قد اتى فقد تبين انه كما كنا به عالمين فلو كان لكم نوع من العلم
لصدقتمونا فى اخبارنا به فنفعكم ذلك لان عطف عليه قوله تعالى وَلٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ اى كونا هو كالجبلة لكم
فى انكاركم له لَا تَعْلَمُوْنَ اى ليس لكم علم اصلا لتفريطكم فى طلب العلم من ابوابه والتوصل اليه باسبابه فلذلك
كذبتم به فاستوجبتم جزاء ذلك التكذيب اليوم + ولما كانت الآية قد ارشدت الى ان هذه الدار دار عمل وان
الآخرة دار جزاء وان البرزخ حائل بينهما فلا يكون فى واحدة منهما ما للاخرى تسبب عن ذلك
قوله تعالى فَيَوْمَئِذٍ اى اذ يقع ذلك ويقول الذين اوتوا العلم تلك المقالة لَا يَنْفَعُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مَعْذِرَتُهُمْ
فى انكارهم له وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُوْنَ اى لا يطلب منهم الرجوع الى ما يرضى الله تعالى كما دعوا اليه فى الدنيا
من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته وقرأ الكوفيون لا ينفع بالياء التحتية
لان المعذرة بمعنى العذر ولان تانيثها غير حقيقى وقد فصل بينهما والباقون بالتاء الفوقية + ثم
اشار تعالى الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار وانه لم يبق من جانب الرسول
صلى الله عليه وسلم تقصير بقوله تعالى وَلَقَدْ ضَرَبْنَا اى جعلنا لِلنَّاسِ فِيْ هٰذَا الْقُرْاٰنِ اى فى هذه السورة
وغيرها مِنْ كُلِّ مَثَلٍ اى معنى غريب هو اوضح واثبت من اعلام الجبال فى عبارة هى ارشق من
سائر الامثال فان طلبوا شيئا آخر غير ذلك فهو عناد محض لان من كذب دليلا حقا لا يصعب
عليه تكذيب الدلائل بل لا يجوز للمستدل ان يشرع فى دليل آخر بعد ذكره دليلا جيدا مستقيما
ظاهر الاشكال عليه وعانده الخصم وهذا من العالم فكيف بالنبى صلى الله عليه وسلم فان قيل الانبياء
عليهم الصلوة والسلام ذكروا انواعا من الدلائل اجيب بانهم سردوها وما سردوا ثم قرروا وفوقوا
لكن يقول الدليل عليه من وجوه الاول كذا والثانى كذا والثالث كذا وفى مثل هذا اعدم
الالتفات الى عناد المعاند لانه يريد تضييع الوقت كى لا يتمكن المستدل من الاتيان بجميع ما وعد
من الدليل فتحبط دعوته والى هذا اشار بقوله تعالى وَلَئِنْ اللام لام قسم جِئْتَهُمْ بافضل

الخلق بآية مثل العصا واليد لموسى عليه السلام ليقولن الذين كفروا منهم إن أي ما أنتم إلا مبطلون أي أصحاب أباطيل فإن قيل لم وحد في قوله تعالى جئتهم وجمع في قوله تعالى إن أنتم أجيب بأن ذلك لنكتة وهي أن الله تعالى أخبر في موضع آخر فقال ولئن جئتهم بكل آية أي جاءت بها الرسل فقال الكفار ما أنتم أيها المدعون للرسالة كلكم إلا كذا وقال الجلال المحلي إن أنتم أي محمد وأصحابه وأما الذين آمنوا فيقولون نحن بصدد الآية مؤمنون كذلك أي مثل هذا الطبع العظيم يطبع الله أي الذي له العظمة والكمال على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله فإن قيل من لا يعلم شيئاً أي فائدة في الإخبار عن الطبع على قلبه أجيب بأن معناه أن من لا يعلم الآن فقد طبع على قلبه من قبل ثم إن الله تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فاصبر أي على أذاهم مع هذا الجفاء والرد بالباطل والأذى فإن الكل فعلنا لم يخرج منه شيء عن إرادتنا إن وعد الله أي الذي له الكمال كله بنصرك وإظهار دينك على الدين كله وفي كل ما وعد به حق أي ثابت جداً يطابقه الواقع كما يكشف عنه الزمان وتأتي به مطايا الحدثان ولما كان التقدير فلا تهمل عطف عليه قوله تعالى ولا يستخفنك أي يحملنك على الخفة ويطلب أن تخف باستعجال النصر خوفاً من عواقب تأخيره وتنفيرك عن التبليغ الذين لا يوقنون أي أذى الذين لا يصدقون بوعدنا من البعث والحشر وغير ذلك تصديقاً ثابتاً في القلب بل هم إما شاكون أو في شيء يزلزلهم كمن يعبد الله على حرف أو مكذبون فهم يبالغون في العداوة والتكذيب حتى أنهم لا يصدقون في وعد الله بنصر الروم على فارس كأنهم على ثقة وبصيرة من أمرهم في أن ذلك لا يكون فإذا صدق الله وعده في ذلك بإظهارك عن قريب علموا كذبهم عياناً وعلموا إن كان لهم علم أن الوعد بالساعة لا بد منه لإظهار العدل على الظالم والعود بالفضل على المحسن كما ابتدأ وهم صاغرون يحشرون هم داخرون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فقد انعطف آخر السورة على أولها واتصل به اتصال القريب بالقريب وها أنا أسأل الله تعالى القريب المجيب أن يغفر ذنوب من كتب هذا وهو محمد الشربيني الخطيب ويفعل ذلك بوالديه وأولاده ومشايخه وكل محب له وحبيب وقول البيضاوي تبعاً للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته حديث موضوع رواه الثعلبي في تفسيره والله تعالى أعلم بالصواب

سورة لقمن مكية

مكية إلا ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام الآيتين وهي أربع أو ثلاث وثلاثون آية وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف بسم الله أي الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً الرحمن الذي شملت نعمته سائر بريته الرحيم بأوليائه فخصهم بمعرفته قوله تعالى الم تقدم الكلام عليه في أول سورة البقرة وقيل إنه أشار بذلك إلى أن الله الملك الأعلى أرسل جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم بوحي ناطق من الحكم والأحكام بما لم ينطق به من قبله إمام

ولا يلحقه في ذلك نبي مدى الايام فهو المبدأ وهو الختام والى ذلك اوما بتعبيره باداة البعد في
قوله تعالى تِلْكَ اي الآيات التي هي من العلو والعظمة بمكان آيَاتُ الْكِتَابِ اي الجامع لجميع
انواع الخير الْحَكِيمِ بوضع الاشياء في حواق مراتبها فلا يستطاع نقض شيء من ابرامه ولا معارضة شيء
من كلامه الدال ذلك على تمام علم منزله وشمول عظمته وقدرته والاضافة بمعنى من وقوله تعالى
هُدًى وَرَحْمَةٌ بالرفع وهي قراءة حمزة خبر مبتدأ مضمر هي او هو وقرأ الباقون بالنصب على الحال
من آيات والعامل ما في اسم الاشارة من معنى الفعل وقال تعالى لِلْمُحْسِنِينَ اشارة الى ان رحمة الله قريب
من المحسنين فانه تعالى قال في البقرة ذلك الكتاب ولم يقل الحكيم وههنا قال الحكيم لانه لما زاد ذكر
وصف في الكتاب زاد ذكر من احواله فقال هدى ورحمة وقال هناك هدى للمتقين فقوله تعالى
هدى في مقابلة قوله تعالى الكتاب وقوله تعالى ورحمة في مقابلة قوله تعالى الحكيم ووصف الكتاب بالحكيم
على معنى ذي الحكمة كقوله تعالى في عيشة راضية اي ذات رضا وقوله تعالى هناك للمتقين وقوله تعالى
هنا للمحسنين لانه لما ذكر انه هدى ولم يذكر شيئا آخر قال للمتقين اي يهدي به من يتقي الشرك
والعناد وههنا زاد قوله تعالى ورحمة فقال للمحسنين كما قال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فلما
زاد قوله تعالى ورحمة ولان المحسن متقي وزيادة ثم وصف المحسنين بقوله تعالى الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ
اي يجعلونها كانها قائمة بسبب اتقان جميع ما امر به فيها او ندب اليه ودخل فيها الحج لانه لا يعظم
البيت في كل يوم خمس مرات الا معظم له بالحج فعلا او قوة وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ اي كلها فيدخل فيها الصوم
لانه لا يؤدي زكوة الفطر الا من صامه فعلا او قوة + ولما كان الايمان اساس هذه الاركان وكان
الايمان بالبعث جامعا للجميع لاواعيه وحاملا على سائر وجوه الاحسان قال تعالى وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
اي التي تقدم ان المجرمين عنها غافلون هُمْ يُوقِنُونَ اي يؤمنون بها ايمان موقن فهو لا يفعل شيئا
ينافي الايمان ولا يغفل عنه طرفة عين فهو في الذروة العليا من ذلك فهو يعبد الله تعالى كانه يراه
فاية البقرة بداية وهذه نهاية + ولما كانت هذه الخلال امهات الافعال الموجبة للكمال وكانت مساق
من وجه الاية البقرة ختمها بختامها بعد ان زين اساسها فقال أُولٰئِكَ اي العالو الرتبة الحائزون
من منازل القرب اعظم رتبة عَلٰى هُدًى اي متمكنون منه تمكن المستعلي على الشيء وقال مِنْ رَبِّهِمْ
تذكيرا لهم بانه لولا احسانه لما وصلوا الى شيء ليلزموا تمريغ الجباه على الاعتاب خوفا من الاعجاب
وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ اي الظافرون بكل مراد + ولما بين سبحانه وتعالى حال من جعل
بهذه الحال فترقى الى حلية اهل الكمال بين حال اضدادهم بقوله تعالى وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ اي ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار
فيها والمضاحك وفضول الكلام فان قيل ما معنى اضافة اللهو الى الحديث اجيب بان معناها
التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج
والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث

والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة
الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض
الحديث الذي هو اللهو قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث بن كلدة كان يتجر فيأتي
الحيرة ويشتري اخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا
احدثكم بحديث رستم واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن
فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد يعني شراء المغنيات والمغنين ووجه الكلام على هذا
التأويل من يشتري ذات او ذا لهو الحديث وقيل كان النضر يشتري المغنيات ولا يظفر باحد
يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير لك مما يدعوك اليه
محمد من الصلوة والصيام وان تقاتل بين يديه وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن واثمانهن حرام وفي مثل هذا نزلت الآية وما من رجل يرفع صوته
بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه
بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة وقال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها
وضربها مقيما عليه حتى يموت لم اصل عليه ان الله يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث
الآية وعن الحسن وغيره قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشتري لهو
الحديث يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال ابو الصهباء سألت ابن مسعود
عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغناء
ينبت النفاق في القلب قال وكان اصحابنا يأخذون بافواه السكك يخرقون الدفوف وقال ابن جريج
لهو الحديث هو الطبل وقال الضحاك هو الشرك وقال قتادة هو كل لهو ولعب وقيل الغناء مفسدة
للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ اي الطريق الواضح الموصل للملك الاعلى
المستجمع لصفات الكمال ضد ما كان على المستمرين من الهدى وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء
قبل الضاد من الضلالة بمعنى ليثبت على ضلاله والباقون بضمها وذكر قوله تعالى ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ليفيد
السلب العام لكل نوع من انواع العلم اي لا علم له بحال السبيل ولا بحال غيرها علما
يستحق اطلاق العلم عليه فان قيل ما معنى قوله تعالى بغير علم أجيب بانه تعالى لما جعله مشتريا لهو
الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى
والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما كانوا مهتدين بالتجارة
وبصراء بها ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ اي السبيل التي لا اشرف منها مع ما يثبت له من الجهل المطلق ﴿هُزُوًا﴾ اي
مهزوا بها وقرأ حمزة والكسائي وحفص بنصب الذال عطفا على يضل والباقون بالرفع عطفا على يشتري
وسكن حمزة زاي هزوا وضمها الباقون ولما انتج هذا الشقاء الدائم بينه بقوله تعالى

أُولَٰئِكَ اى هؤلاء البعداء البغضاء لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ لاهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه + ولما كان الانسان قد يكون غافلا فاذا نبه انتبه نبه سبحانه وتعالى على ان هذا الانسان المنهمك فى اسباب الخسران لا يزداد على ممر الزمان الا مفاجأة لكل ما يرد عليه من البيان بقوله تعالى وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا اى تتجدد عليه تلاوتها اى تلاوة القرآن من كل تال كان وَلَّى اى بعد السماع مطلق التولية سواء كان على المجانبة او مدبرا مُسْتَكْبِرًا اى طالبا للكبر موجدا له بالاعراض عن الطاعة كَأَنْ اى كانه لَمْ يَسْمَعْهَا فهو لم يزل على حالة التكبر كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا اى صمما يستوى معه تكليم غيره له وسكوته + تنبيه + جملتا التشبيه حالان من ضمير ولى او الثانية بيان للاولى وقرأ نافع بسكون الذال والباقون بضمها + ولما تسبب عن ذلك استحقاقه لما يزيل كبره وعظمته قال تعالى فَبَشِّرْهُ اى اعلمه بِعَذَابٍ أَلِيمٍ اى مؤلم وذكر البشارة تهكم به وهو النضر بن الحرث كما مرت الاشارة اليه + ولما بين تعالى حال المعرض عن سماع الآيات بين حال من يقبل على تلك الآيات بقوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اى اوجدوا الايمان وَعَمِلُوا اى تصديقا له الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ اى بساتين النَّعِيمِ اى نعيم جنات فعكس للمبالغة كما ان لهؤلاء العذاب المهين ووحد العذاب وجمع الرحمة اشارة الى ان الرحمة واسعة اكثر من الغضب + ولما كان ذلك قد لا يكون دائما وكان السرور بشئ قد ينقطع قال تعالى خَالِدِينَ فِيهَا اى دائما وقوله تعالى وَعْدَ اللَّهِ اى الذى لا شئ اجل منه مصدر مؤكد لنفسه لان قوله تعالى جنات فى معنى وعدهم الله تعالى ذلك وقوله تعالى حَقًّا مصدر مؤكد لغيره اى لمضمون تلك الجملة الاولى وعاملهما مختلف فتقدير الاولى وعد الله ذلك وعدا وتقدير الثانية احق ذلك حقا فاكد نعيم الجنات ولم يؤكد العذاب المهين وَهُوَ الْعَزِيزُ اى فلا يغلبه شئ الْحَكِيمُ اى الذى لا يضع شيئا الا فى محله + ولما ختم بصفتى العزة وهى غاية القدرة والحكمة وهى ثمرة العلم دل عليهما باتقان افعاله بقوله تعالى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ على علوها وكبرها وضخامتها بِغَيْرِ عَمَدٍ وقوله تعالى تَرَوْنَهَا فيه وجهان احدهما انه راجع الى السموات اذ ليست بعمد اصلا وانتم ترونها كذلك بغير عمد الثانى انه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرئية وعلى كلا الوجهين هى ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدرة قادر مختار + تنبيه + اكثر المفسرين ان السموات مبسوطة كصحف مستوية لقوله تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وقال بعضهم انها مستديرة وهو قول جميع المهندسين والغزالى رحمه الله تعالى حيث قال ونحن نوافقهم فى ذلك فان لهم على دليلا من المحسوسات ومخالفة الحس لا تجوز وان كان فى الباب خبر يؤول بما يحتمله فضلا عن ان ليس فى القرآن والخبر ما يدل على ذلك صريحا بل فيه ما يدل على الاستدارة كقوله تعالى كل فى فلك يسبحون والفلك اسم لشئ مستدير بل الواجب ان السموات سواء كانت مستديرة او صفيحة مستقيمة هى مخلوقة لله تعالى باختيار لا بايجاب وطبع + ولما ذكر تعالى العمد المقلة ذكر الاوتاد المقرة بقوله تعالى وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ اى التى انتم عليها جبالا رَوَاسِيَ والعجب انها من فوقها

وجميع الرواسي التي تعرفونها تكون من تحت ثبتها عن أن تميد اي تتحرك بكم كما هو شان ما على
ظهر الماء وبث اي فرق فيها من كل دابة وقوله تعالى وانزلنا اي بما لنا من القوة من السماء ماء
فيه التفات عن الغيبة ولما تسبب عن ذلك تدبير الاقوات وكان من آثار الحكمة التابعة للعلم
دل عليه بقوله تعالى فانبتنا اي بما لنا من العلو في الحكمة فيها اي الارض بخلط الماء بترابها من
كل زوج اي صنف من النبات متشابه كريم بما له من البهجة والنضرة الجالبة للسرور
وفي هذا دليل على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة
التوحيد وقررها بقوله تعالى هذا اي الذي تشاهدونه كله خلق الله اي الذي له جميع الكمال
فلا كفؤ له فان ادعيتم ذلك فاروني ماذا خلق الذين من دونه اي غيره بكتهم بان هذه
الاشياء العظيمة مما خلقه تعالى وانشأه فاروني ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة
تنبيه ما استفهام انكار مبتدأ وذا بمعنى الذي بصلته خبره واروني معلق عن العمل
وما بعده سد مسد المفعولين ثم اضرب عن تبكيتهم بقوله تعالى بل منبها على ان الجواب ليس
لهم خلق مما كان الاصل ولكنه قال تعالى الظالمون الغريقون في الظلم تعميما
وتنبيها على الوصف الذي اوجب لهم كونهم في ضلال عظيم مما يحيط بهم مبين اي في غاية
الوضوح وهو كونهم يضعون الاشياء في غير مواضعها لانهم في مثل الظلام لا نور لهم لانحجاب
شمس الانوار عنهم بجبل الهوى فلا حكمة لهم ثم انه تعالى لما نفاها عنهم اثبتها لبعض اوليائه بقوله تعالى
ولقد آتينا بما لنا من العظمة والحكمة لقمان وهو عبد من عبيدنا المطيعين لنا الحكمة وهو العلم
المؤيد بالعمل او العمل المحكم بالعلم قال ابن قتيبة لا يقال الشخص حكيم حتى يجتمع له الحكمة في القول والفعل
قال ولا يسمى المتكلم بالحكمة حكيما حتى يكون عاملا بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي العقل
والفهم والفطنة واختلف في نسبه وفي سبب حكمته فقيل هو لقمان بن باعوراء ابن اخت ايوب
عليه السلام او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود عليه السلام
واخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا
اكتفي اذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل واكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا اخرج
ابن ابي حاتم عن وهب بن منبه انه سئل اكان لقمان نبيا قال لا لم يوح اليه وكان رجلا حكيما وعن
ابن عباس لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله تعالى العتق ورضي قوله
ووصيته فقص امره في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال ابن المسيب كان اسود من سودان مصر
خياطا وقال مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين مشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل كان
راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة حطب وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير
بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني اسود فقلبي ابيض
وعن عكرمة قال كان لقمان اهون مملوك على سيده واول ما روي من حكمته انه بينما هو

مع مولاه اذ دخل المخرج واطال فيه الجلوس فنادى لقمان ان طول الجلوس على الحاجة ييجع منه
الكبد ويكون منه الباسور ويصعد الحر الى الرأس فخرج وكتب حكمته على الحش قال وسكر مولاه فخاطر
قوما على ان يشرب ماء بحيرة فلما افاق عرف ما وقع منه فدعا لقمان فقال لمثل هذا كنت
اخبؤك قال اجمعهم فلما اجتمعوا قال على اى شئ خاطرتموه قالوا على ان يشرب ماء هذه البحيرة
قال فان لها موادا فاحبسوا موادها عنه قال وكيف نستطيع ان نحبس موادها قال فكيف يستطيع
ان يشربها ولها مواد واخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول عن ابى مسلم الخولانى قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لقمان كان عبدا كثير التفكر حسن الظن كثير الصمت احب الله
فاحبه الله فمن عليه بالحكمة نودى بالخلافة قبل داود فقيل له يا لقمان هل لك ان يجعلك الله
خليفة فى الارض تحكم بين الناس قال لقمان ان اجبرنى ربى قبلت فانى اعلم انه ان فعل ذلك
اعاننى وعلمنى وعصمنى وان خيرنى اخترت العافية ولم اسأل البلاء فقالت الملائكة يا لقمان لم قال
لان الحاكم باشد المنازل واكدها يغشاه الظلم من كل مكان فيخذل او يعان فان اصاب
فبالحرى ان ينجو وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا فهو خير من ان يكون
شريفا ضائعا ومن يختر الدنيا على الاخرة تفته الدنيا ولا يصيب الاخرة فتعجبت الملائكة من حسن
منطقه فنام نومة فاعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودى داود بعده بالخلافة فقبلها ولم يشترط
ما اشترط لقمان فوقع فى الذى حكاه الله عنه فصفح الله تعالى عنه وتجاوز وكان لقمان يوازره
اى يساعده بعلمه وحكمته فقال داود طوبى لك يا لقمان اوتيت الحكمة فصرفت عنك البلية واوتى
داود الخلافة فابتلى بالذنب والفتنة واخرج ابن ابى حاتم عن قتادة قال خير الله تعالى لقمان بين
الحكمة والنبوة فاختار الحكمة فاتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة فاصبح ينطق بها فقيل له كيف اخترت
الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال انه لو ارسل الى بالنبوة عزمة لرجوت فيها الفوز منه
ولكنت ارجو ان اقوم بها ولكنه خيرنى فخفت ان اضعف عن النبوة فكانت الحكمة احب الى
وروى انه دخل على داود وهو يصنع الدروع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يسأله
فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة
وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروى ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها
اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك وان يخرج اخبث مضغتين فاخرج
اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وروى انه
لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال الست فلان الراعى فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث
واداء الامانة وترك ما لا يعنينى وعن ابن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير
الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى ـــ ولقمان كان اسود نوبيا عمر
ذا مشافر وروى سادات السودان اربعة لقمان الحبشى والنجاشى وبلال ومهجع وعن

ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في العزلة وواحد
في الصمت وقال لقمان لا مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقال ضرب الوالد لولده كالسماد للزرع ولما
كانت الحكمة هي الاقبال على الله قال الله تعالى أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ اي وقلنا له ان اشكر لله على
اعطاك من الحكمة وَمَن يَشْكُرْ اي يجدد الشكر ويتعاهده بنفسه كائنا من كان فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ
اي لان ثواب شكره له وَمَن كَفَرَ اي النعمة فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عن الشكر وغيره حَمِيدٌ اي لجميع المحامد
وان كفره جميع الخلق واذكر إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ تصغير اشفاق وقرأ حفص
بفتح الياء وسكنها ابن كثير وكسرها الباقون لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ اي الملك الاعظم إِنَّ الشِّرْكَ
اي بالله لَظُلْمٌ عَظِيمٌ فرجع اليه واسلم ثم قال له ايضا يا بني اتخذ تقوى الله تعالى تجارة ياتيك الفرج
من غير بضاعة يا بني احضر الجنائز ولا تحضر العرس فان الجنائز تذكر الآخرة والعرس يشهيك الدنيا
يا بني لا تأكل شبعا من شبع فانك ان تلقيه للكلب خير من ان تأكله يا بني لا تكونن اعجز من
هذا الديك الذي يصوت بالاسحار وانت النائم على فراشك يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت
ياتي بغتة يا بني لا ترغب في ود الجاهل فيرى انك ترضى عمله يا بني اتق الله ولا تري الناس انك
تخشى ليكرموك بذلك وقلبك فاجر يا بني ما ندمت على الصمت قط فان الكلام اذا كان من فضة
كان السكوت من ذهب يا بني اعتزل الشر كما يعتزلك فان الشر للشر خلق يا بني اياك وشدة الغضب
فان شدة الغضب ممحقة لفؤاد الحكيم يا بني عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكماء فان الله تعالى
يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل المطر فان من كذب ذهب ماء وجهه ومن ساء خلقه
كثر غمه ونقل الصخور من مواضعها ايسر من افهام من لا يفهم يا بني لا ترسل رسولا جاهلا
فان لم تجد حكيما فكن رسول نفسك يا بني لا تنكح امة غيرك فتورث بنيك حزنا طويلا يا بني يأتي
على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم يا بني اختر المجالس على عينك فاذا رأيت المجلس يذكر فيه الله
عز وجل فاجلس معهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك وان تك غبيا يعلموك وان يطلع الله عز وجل
عليهم برحمة تصبك معهم يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر فيه الله تعالى فانك ان تكن عالما لا ينفعك
علمك وان تكن غبيا يزيدوك غباوة وان يطلع الله تعالى عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم يا بني لا يأكل
طعامك الا الاتقياء وشاور في امرك العلماء يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير
فاجعل سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك ان تنجو ولا اراك
ناجيا يا بني اني حملت الجندل والحديد فلم احمل شيئا اثقل من جار السوء وذقت المرارة كلها فلم اذق
اشد من الفقر يا بني كن ممن لا يبتغي محمدة الناس ولا يكسب مذمتهم فنفسه منه في عناء والناس
منه في راحة يا بني ان الحكمة اجلست المساكين مجالس الملوك يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك
فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض الميتة بوابل السماء يا بني لا تتعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم
يا بني اذا اردت ان تواخي رجلا فاغضبه قبل ذلك فان انصفك عند غضبه والا فاحذره يا بني انك

منذ نزلت الى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة فدار انت اليها تسير اقرب من دار انت عنها
تباعد يا بني عود لسانك ان يقول اللهم اغفر لي فان لله ساعات لا ترد يا بني اياك والدين فانه ذل
النهار وهم الليل يا بني ارج الله رجاء لا يجرئك على معصيته وخف الله خوفا لا يؤيسك من رحمته اه
وانما اكثرت من ذلك لعل الله ينفعني ومن طالعه بذلك وسيأتي في كلام الله تعالى زيادة على
ذلك واقتصرت على هذا القدر والا فمواعظه لابنه لو اراد شخص الاكثار منها لجعل منها مجلدات
فقد اخرج ابن ابي الدنيا عن حفص بن عمر الكندي قال وضع لقمان عليه السلام جرابا من خردل الى جنبه
وجعل يعظ ابنه موعظة ويخرج خردلة فنفد الخردل فقال يا بني وعظتك موعظة لو وعظتها جبلا
لتفطر فتفطر ابنه فسبحان من يعز ويذل ويغني ويفقر ويشفي ويمرض ويرفع من يشاء وان كان
عبدا فلا بدع ان يخص محمدا صلى الله عليه وسلم ذا النسب العالي والمنصب المنيف بالرسالة من بين
قريش وان لم يكن من اهل الدنيا المتعظمين بها + ولما ذكر سبحانه ما اوصى به ولده من شكر المنعم
الاول الذي لم يشركه في ايجاده احد وذكر ما عليه الشرك من الفظاعة والشناعة اتبعه وصيته سبحانه للولد
بالوالد لكونه المنعم الثاني بالسببية في وجوده بقوله تعالى وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ اي امرناه ان
يبرهما ويطيعهما ويقوم بهما ثم بين تعالى السبب في ذلك بقوله تعالى حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا اي حال
كونها ذات وهن بحمله وبالغ في جعلها نفس الفعل دلالة على شدة ذلك الضعف عَلَىٰ وَهْنٍ اي
ضعف الحمل وضعف الطلق وضعف الولادة ثم اشار الى ما لها عليه من المنة بعد ذلك بالشفقة
وحسن الكفالة وهو لا يملك لنفسه شيئا بقوله تعالى وَفِصَالُهُ اي فطامه من الرضاع بعد وضعه
فِي عَامَيْنِ تقاسي فيهما في منامه وقيامه ما لا يعلمه حق علمه الا الله تعالى فان قيل وصى الله تعالى
بالوالدين وذكر السبب في حق الام مع ان الاب وجد منه اكثر من الام لانه حمله في صلبه سنين
ورباه بكسبه سنين فهو ابلغ اجيب بان المشقة الحاصلة للام اعظم فان الاب حمله خفيفا لكونه من
جملة جسده والام حملته ثقيلا ادميا مودعا فيها وبعد وضعه وتربيته ليلا ونهارا وبينهما ما لا يخفى
من المشقة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك
ثم اباك وقوله تعالى أَنِ اشْكُرْ لِي لاني المنعم في الحقيقة وَلِوَالِدَيْكَ اي لكونهما سببا لوجودك
والاحسان بتربيتك تفسير لوصينا او علة له ثم علل الامر بالشكر محذرا بقوله تعالى إِلَيَّ لا الى غيري
الْمَصِيرُ فاحاسبك على شكرك ومعاصيك وعن القيام بحقوقهما قال سفيان بن عيينة في هذه نصف
الاية من صلى الصلوة الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات الخمس فقد شكر للوالدين
+ ولما ذكر تعالى وصيته بهما واكد حقهما اتبعه الدليل على ما ذكر لقمان من قباحة الشرك بقوله تعالى
وَإِنْ جَاهَدَاكَ اي مع ما امرتك به من طاعتهما عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي وقوله تعالى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
موافق للواقع لانه لا يمكن ان يدل علم من انواع العلوم على شيء من الشرك بل العلوم كلها دالة على
الوحدانية + ولما قرر ذلك على هذا المنوال البديع قال مسببا عنه فَلَا تُطِعْهُمَا اي في ذلك ع

ولو اجتمعا على المجاهدة لك عليه بل خالفهما وان ادى ادى الامر الى السيف فجاهدهما به لان امرهما
بذلك مناف للحكمة حامل على محض الجور والسفه ففيه تنبيه لقريش على محض الغلط في التقليد
لابائهم في ذلك وربما افهم ذلك الاعراض عنهما بالكلية فلهذا قال تعالى وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا
اي في امورها التي لا تتعلق بالدين ما دمت حيا بهما مَعْرُوْفًا ببرهما ان كانا على دين يقران عليه
ومعاملتهما بالحلم والاحتمال وما تقتضيه مكارم الاخلاق ومعالي الشيم + ولما كان ذلك قد يجر الى نوع
وهن في الدين بعض محاباة نفى ذلك بقوله تعالى وَاتَّبِعْ اي بالغ في ان تتبع سَبِيْلَ اي دين وطريق
مَنْ اَنَابَ اي اقبل خاضعا اِلَيَّ لم يلتفت الى عبادة غيري وهم المخلصون فان ذلك لا يخرجك عن برهما
ولا عن توحيد الله تعالى ولا عن الاخلاص له + تنبيه + في هذا حث على معرفة الرجال بالحق وامر
بعرض المشائخ وغيرهم على محك الكتاب والسنة فمن كان عمله موافقا لهما اتبع ومن كان عمله مخالفا
لهما اجتنب واذا كان مرجع امورهم كلها اليه في الدنيا ففي الاخرة كذلك كما قال تعالى ثُمَّ اِلَيَّ اي
في الاخرة مَرْجِعُكُمْ فَاُنَبِّئُكُمْ اي افعل فعل من يبالغ في التعقيب والاختبار عقب ذلك وتبيينه لان
ذلك انسب شئ للحكمة وتعقب كل شئ بحسب ما يليق به بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ اي تجددون عمله
من صغير وكبير وجليل وحقير فاجازي من اريد واغفر لمن اريد فاعد لذلك عدة ولا تعمل
عمل من ليس له مرجع يحاسب فيه ويجازي على مثاقيل الذر من اعماله والآيتان معترضتان
في تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال تعالى وصينا بمثل ما وصى
وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلوا الباري في استحقاق التعظيم والطاعة
لا يجوز ان يتبعا في الاشراك فما ظنكم بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه
ثلاثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب اليّ هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه
فان سعدا اسلم بدعوة ابي بكر له ثم ان ابن لقمان قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني
احد كيف يعلمها الله تعالى فقال يَا بُنَيَّ مجيبا له مستعطفا مصغرا له بالنسبة الى حمل شئ من غضب الله
تعالى اِنَّهَا اي الخطيئة اِنْ تَكُ واسقط النون لغرض الايجاز في الايصاء مِثْقَالَ اي وزن
ثم حقر ما يقوله حَبَّةٍ وزاد في ذلك بقوله مِنْ خَرْدَلٍ اي ان تكن في الصغر كحبة
الخردل وقرأ نافع مثقال بالرفع على ان الهاء ضمير الخطيئة مبهما او القصة وكان
تامة وتانيثها للاضافة المثقال الى الحبة كقول الاعشى — وتشرق بالقول الذي قد ذكرته + كما
شرقت صدر القناة من الدم + والشرق الغصة يقال شرق بريقه اي غص والشاهد في شرقت حيث
انثه لاضافة الصدر الى القناة وصدرها ما فوق نصفها ثم اثبت النون في قوله مبينا عن صغرها فتكن
اشارة الى ثباتها في مكانها وليزداد شوق النفس الى محط الفائدة ويذهب الوهم كل مذهب معيدا
عن اعظم الخفاء واتم الاحوال فِيْ صَخْرَةٍ اي صخرة كانت ولو انها اشد الصخور واخفاها ولما اخفى وبين
الظهور ووسع ورفع وخفض لكون اعظم لضياعها لحقارتها بقوله اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ

اى فى اىّ مكان منها على سعة ارجائها وتباعد انحائها وابعادها ونصا على ارادة كل منهما على حدته بقوله اَوْ فِى الْاَرْضِ اى كذلك وهذا كما ترى لاينفى ان تكون الصخرة فيهما او فى غيرهما او فى احدهما واخرج ابن ابى حاتم عن على بن رباح انه لما وعظ لقمان ابنه وقال انها ان تك الاية اخذ حبة من خردل فاتى بها الى اليرموك فالقاها فى عرضه ثم مكث ماشاء الله تعالى ثم ذكرها وبسط يده فاقبل بها ذباب حتى وضعها فى راحته وقال بعض المفسرين المراد بالصخرة صخرة عليها الثور وهى لا فى الارض ولا فى السماء وقال الزمخشرى فيه اضمار تقديره ان تكن فى صخرة او فى موضع اخر فى السموات او فى الارض وقيل هذا من تقديم الخاص وتاخير العام وهو جائز فى مثل هذا التقسيم وقيل خفاء الشئ يكون بطرق منها ان يكون فى غاية الصغر ومنها ان يكون بعيدا ومنها ان يكون فى ظلمة ومنها ان يكون وراء حجاب فاذا امتنعت هذه الامور فلا يخفى فى العادة فاثبت الله الرؤية والعلم مع انتفاء الشرائط بقوله ان تك مثقال حبة من خردل اشارة الى الصغر وقوله فتكن فى صخرة اشارة الى الحجاب وقوله او فى السموات اشارة الى البعد فانها ابعد الابعاد وقوله او فى الارض اشارة الى الظلمات فان جوف الارض اظلم الاماكن وقوله يَأْتِ بِهَا اللّٰهُ ابلغ من قول القائل يعلمها الله لان من يظهر له شئ ولا يقدر على اظهاره لغيره يكون حاله فى العلم دون حال من يظهر له الشئ ويظهره لغيره فقوله يأت بها الله اى يظهرها للاشهاد يوم القيمة فيحاسب بها عاملها اِنَّ اللّٰهَ اى الملك العظيم لَطِيْفٌ اى نافذ القدرة يتوصل علمه الى كل خفى عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خَبِيْرٌ اى عالم ببواطن الامور فيعلم مستقرها روى فى بعض الكتب ان هذه اخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها فمات قال الحسن معنى الاية هو الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها ولما نبهه على احاطة علمه سبحانه واقامته للحساب امره بما يدل خضوعه لذلك توسلا اليه وتخشعا لديه وهو رأس ما يصلح به العمل ويصحح التوحيد ويصدقه بقوله يٰبُنَىَّ مكررا للمناداة تنبيها على فرط النصيحة لفرط الشفقة اَقِمِ الصَّلٰوةَ اى بجميع حدودها وشروطها ولا تغفل عنها تسببا فى نجاة نفسك وتصفية سرك فان اقامتها وهو الاتيان بها على النحو المرضى مانعة من الخلل فى العمل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر لانها الاقبال على من وحدته باعتقادك انه الفاعل وحده واعرضت عن كل ما سواه لانه فى التحقيق عدم ولهذا الاقبال والاعراض كانت ثابتة للتوحيد وبهذا يعلم ان الصلوة كانت فى سائر الملل غير ان هيأتها اختلفت وترك ذكر الزكوة تنبيها على انه من حكمته والحكمة تخليه وتخلى ولده من الدنيا حتى ما يكفيهم لقوتهم + ولما امره بتكميله فى نفسه توفية لحق الحق عطف على ذلك تكميله لغيره بقوله وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ اى كل من تقدر على امره تهذيبا لغيرك وشفقة على نفسك لتخليص ابناء جنسك وَانْهَ اى كل من قدرت على نهيه عَنِ الْمُنْكَرِ حبا لاخيك ما تحب لنفسك تحقيقا لنصيحتك وتكميلا لعبادتك ومن هذا الطراز قول ابى الاسود رحمه الله تعالى ❊ ابدأ بنفسك فانهها عن غيها + فاذا انتهت عنه فانت حكيم +

لانه امره اولا بالمعروف وهو الصلوة الناهية عن الفحشاء والمنكر فاذا امر نفسه ونهاها ناسب ان يأمر
غيره وينهاه وهذا وان كان من قول لقمان الا انه لما كان في سياق المدح لحكمته كالمخاطبين به
فان قيل كيف قدم في وصيته لابنه الامر بالمعروف على النهي عن المنكر وحين امر ابنه قدم النهي
عن المنكر على الامر بالمعروف فقال لا تشرك بالله ثم قال اقم الصلوة اجيب بانه كان يعلم
ان ابنه معترف بوجود الاله فما امره بهذا المعروف بل نهاه عن المنكر الذي ترتب على هذا المعروف
واما ابنه فامره امرا مطلقا والمعروف يقدم على المنكر ولما كان القابض على دينه في غالب الازمان
كالقابض على الجمر قال له وَاصْبِرْ صبرا عظيما بحيث تكون مستعليا عَلَىٰ مَا اي الذي أَصَابَكَ اي في
عباداتك وغيرها من الامر بالمعروف وغيره سواء اكان بواسطة العباد ام لا كالمرض وقد بدأ
هذه الوصية بالصلوة وختمها بالصبر لانهما ملاك الاستعانة قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة
واخرج احمد عن هشام بن عروة عن ابيه قال مكتوب في الحكمة يعني حكمة لقمان عليه السلام لتكن
كلمتك طيبة وليكن وجهك بسيطا تكن احب الى الناس ممن يعطيهم العطايا وقال مكتوب في الحكمة
او في التورية الرفق راس الحكمة وقال مكتوب في التورية كما ترحمون ترحمون وقال مكتوب
في الحكمة كما تزرعون تحصدون وقال مكتوب في الحكمة احبب خليلك وخليل ابيك وقيل
للقمان اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيئا ومن حكمته انه قال اتمهر عن
اللجاجة ولا انطق فيما لا يعنيني ولا اكون مضحاكا من غير عجب ولا مشاء لغير ارب ومنها من كان
له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ ومن انصف الناس من نفسه زاده الله بذلك عزا والذل
في طاعة الله اقرب من التعزز بالمعصية ومنها انه كان يقول ثلاثة لا يعرفون الا في ثلاثة مواطن الحليم
عند الغضب والشجاع عند الحرب واخوك عند حاجتك اليه + ولما كان ما امره به لولا عظيم الجدوى
وجعل ختامه الصبر الذي هو ملاك الاعمال نبه بذلك بقوله على سبيل الاستئناف او التعليل إِنَّ
ذَٰلِكَ اي الامر العظيم الذي اوصيك به لاسيما الصبر على المصائب مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ اي معزوماتها
تسمية لاسم المفعول او الفاعل بالمصدر اي الامور المقطوع بها المفروضة او القاطعة الجازمة بجزم فاعلها
ثم حذره عن الكبر معبرا عنه بلازمه لان نفي الاعم نفي للاخص بقوله وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ اي لا تمله
متعمدا امالته بامالة العنق متكلفا لها صرفا عن الحالة القاصدة قال ابو عبيدة واصل الصعر داء يصيب
البعير يلوي منه عنقه وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم بغير الف بعد الصاد وتشديد العين والباقون
بالف بعد الصاد وتخفيف العين والرسم يحتملهما فانه رسم بغير الف وهما لغتان لغة الحجاز التخفيف
وتميم التثقيل + ولما كان ذلك قد يكون لغرض من الاغراض التي لا تدوم اشار الى المقصود بقوله
لِلنَّاسِ بلام العلة اي لا تفعل ذلك لاجل الامالة عنهم وذلك لا يكون الا تهاونا بهم من الكبر بل اقبل
عليهم بوجهك كله مستبشرا منبسطا من غير كبر ولا عتو وعن ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس
وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه الشحنة فيلقاك فتعرض

عنه وقيل هو الذي اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحتقر الفقير ليكن الفقير والغني عندك سواء ثم اتبع ذلك ما يلزمه بقوله وَلَا تَمْشِ واشار بقوله فِي الْأَرْضِ الى ان اصله تراب وهو لا يقدر ان يعدوه وسيصير اليه واوقع المصدر موقع الحال والعلة في قوله مَرَحًا اي اختيالا وتبخترا اي لا تكن منك هذه الحقيقة لان ذلك مشي اشر بطر متكبر فهو جدير بان يظلم صاحبه ويفحش ويبغي بل امش هونا فان ذلك يفضي بك الى التواضع فتصل الى كل خير فترفق بك الارض اذا صرت في بطنها إِنَّ اللَّهَ اي الذي له الكبرياء والعظمة لَا يُحِبُّ اي يعذب كُلَّ مُخْتَالٍ اي مراء للناس في مشيه متبختر يرى له فضلا على الناس فَخُورٍ على الناس بنفسه يظن ان اسباغ النعم الدنيوية من محبة الله تعالى وذلك من جهله فان الله يسبغ نعمه على الكافر الجاحد فينبغي للعارف ان لا يتكبر على عباده فان المتكبر هو الذي تردى به سبحانه فمن نازعه فيه قصمه ؛ ولما كان النهي عن ذلك امرا بضده قال وَاقْصِدْ اي اقتصد واسلك الطريق الوسطى فِي مَشْيِكَ بين ذلك قواما اي ليكن مشيك قصدا لا تخيلا ولا اسراعا اي بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما قول عائشة في عمر رضي الله تعالى عنهما كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقال عطاء امش بالوقار والسكينة لقوله تعالى يمشون على الارض هونا وعن ابن مسعود كانوا ينهون عن وثب اليهود ودبيب النصارى والقصد في الافعال كالقسط في الاوزان قال الرازي في اللوامع وهو المشي الهون الذي ليس فيه تصنع للخلق لا بتواضع ولا بتكبر وَاغْضُضْ اي انقص مِنْ صَوْتِكَ لئلا يكون صوتك منكرا وتكون برفع الصوت فوق الحاجة كالاذان فهو مامور به وكانت الجاهلية يتمدحون برفع الصوت قال القائل ـه جهير الكلام جهير العطاس ؛ جهير الرواء جهير النعم ؛ وقال مقاتل اخفض من صوتك فان قيل لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي اجيب بان رفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوة وربما يخرق الغشاء الذي داخل الاذن واما سرعة المشي فلا تؤذي وان اذت فلا تؤذي غير من في طريقه والصوت يبلغ من على اليمين واليسار ولان المشي يؤذي آلة المشي والصوت يؤذي آلة السمع وآلة السمع على باب القلب فان الكلام ينتقل من السمع الى القلب ولا كذلك المشي وايضا فلان قبح القول اقبح من قبح الفعل وحسنه احسن لان اللسان ترجمان القلب ؛ ولما كان رفع الصوت فوق الحاجة منكرا كان خفضه دونها تماوتا وتكبرا وكان قد اشار الى النهي عن هذا بمن فافهم ان الطرفين مذمومان علل النهي عن الاول بقوله إِنَّ أَنْكَرَ اي افظع وابشع واوحش الْأَصْوَاتِ كلها المشتركة في المكاره برفعها فوق الحاجة واخلى الكلام من لفظ التشبيه واخرجه مخرج الاستعارة تصويرا للصوت الرافع صوته فوق الحاجة بصورة النهاق وجعل المصوت كذلك حمارا مبالغة في التهجين وتنبيها على انه من الكراهة بمكان

ع

فقال لصوت الحمير اي هذا الجنس لماله من العلو المفرط من غير حاجة فان كل حيوان قد يفهم
من صوته انه يصيح من ثقل او تعب كالبعير او لغير ذلك والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل
لا يصيح وفي بعض اوقات عدم الحاجة يصيح وينهق بصوت اوله زفير وآخره شهيق وهما فعل
اهل النار وافرد الصوت ليكون نصا على ارادة الجنس لئلا يظن ان الاجتماع شرط في ذلك ولذكر
الحمار مع ذلك من بلاغة الشتم والذم ما ليس لغيره ولذلك يستهجن التصريح باسمه بل يكنون عنه
ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في
مساوي الآداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من ذوي المروءة ومن العرب من لا يركب
الحمار استنكافا وان بلغت منه الرحلة وانما ركبه صلى الله عليه وسلم لمخالفته عادتهم واظهارا للتواضع
من نفسه واما الرفع مع الحاجة فغير مذموم فانه ليس بمستنكر ولا مستبشع فان قيل كيف يفهم
كونه انكر الاصوات مع ان حز المنشار بالمبرد ودق النحاس بالحديد اشد صوتا اجيب من وجهين الاول
ان المراد انكر اصوات الحيوانات صوت الحمير فلا يرد السؤال والثاني ان صوت الشديد للحاجة
ومصلحة لا يستبشع ولا ينكر صوته كما مرت الاشارة اليه بخلاف صوت الحمير قال موسى بن اعين
سمعت سفيان الثوري يقول في قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير قال صياح كل شيء
تسبيح الله تعالى الا الحمار وقال جعفر الصادق في ذلك هي العطسة القبيحة المنكرة وقال وهب تكلم
لقمان باثني عشر الف كلمة من الحكمة ادخلها الناس في كلامهم قال خالد الربعي كان لقمان عبدا ومن
حكمته انه دفع اليه مولاه شاة فقال له اذبحها وائتني باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب ثم دفع
اليه مولاه شاة فقال له اذبحها وائتني باخبث مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فسأله مولاه
فقال ليس شيء اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا وقد مرت الاشارة الى ذلك ومن
حكمته انه قال لابنه يا بني لا ينزلن بك امر رضيته او كرهته الا جعلت في الضمير منك ان ذلك خير
لك ثم قال لابنه يا بني ان الله قد بعث نبيا هلم حتى نأتيه نصدقه فخرج على حمار وابنه على حمار
وتزودا ثم سارا اياما وليالي حتى لقيتهما مفازة فاخذا اهبتهما لها فدخلاها فسارا ما شاء الله تعالى
حتى ظهرا وقد تعالى النهار واشتد الحر ونفد الماء والزاد واستبطآ حماريهما فنزلا وجعلا يشتدان
على سوقهما فبينما هما كذلك اذ نظر لقمان امامه فاذا هو بسواد ودخان فقال في نفسه السواد الشجر
والدخان العمران والناس فبينما هما يشتدان اذ وطئ ابن لقمان على عظم ناتئ على الطريق فخر
مغشيا عليه فوثب اليه لقمان فضمه الى صدره واستخرج العظم باسنانه ثم نظر اليه لقمان فذرفت
عيناه فقال يا ابت انت تبكي وانت تقول هذا خير لي وقد نفد الطعام والماء وبقيت انا وانت في
هذا المكان فان ذهبت وتركتني على حالي ذهبت بهم وغم ما بقيت وان اقمت معي متنا جميعا فقال
يا بني اما بكائي فرقة الوالدين واما ما قلت كيف يكون هذا خيرا فلعل ما صرف عنك اعظم مما ابتليت
به ولعل ما ابتليت به ايسر مما صرف عنك ثم نظر لقمان امامه فلم ير ذلك الدخان والسواد

واذا بشخص اقبل على فرس ابلق عليه ثياب بياض وعمامة بيضاء مسح الهواء مسحا فلم يزل يرمقه
بعينه حتى كان منه قريبا فتوارى عنه ثم صاح به انت لقمان قال نعم قال انت الحكيم قال كذلك يقال قال ما قال
لك ابنك قال يا عبد الله من انت اسمع كلامك ولا ارى وجهك قال انا جبريل امرني ربي بخسف
هذه القرية ومن فيها فانبئت انكما تريدانها فدعوت ربي ان يحبسكما عني بما شاء فحبسكما
بما ابتلى به ابنك ولولا ذلك لخسفت بكما مع من خسفت ثم مسح جبريل عليه السلام بيده على قدم
ابنه فاستوى قائما ومسح بيده على الذي كان فيه الطعام فامتلأ طعاما وعلى الذي كان فيه الماء
فامتلأ ماء ثم حملهما وحماريهما فزجل بهما كما يزجل الطير فاذا هما في الدار التي خرجا بعد ايام وليال
منها وعن عبد الله بن دينار ان لقمان قدم من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال ما فعل ابي فقال
مات فقال الحمد لله ملكت امري قال ما فعلت امي قال ماتت قال ذهب همي قال ما فعلت امرأتي قال ماتت
قال جدد فراشي قال ما فعلت اختي قال ماتت قال سترت عورتي قال ما فعل اخي قال مات قال انقطع
ظهري وعن ابي قلابة قال قيل للقمان اي الناس اصبر قال صبر لا معه اذى قيل فاي الناس اعلم
قال من ازداد من علم الناس الى علمه قيل فاي الناس خير قال الغني قيل الغني من المال قال لا ولكن الغني
من التمس عنده خير وجد والا اغنى نفسه عن الناس وعن سفيان قيل للقمان اي الناس شر قال الذي
لا يبالي ان يراه الناس مسيئا وعن عبد الله بن زيد قال قال لقمان الا ان يد الله على افواه الحكماء
لا يتكلم احدهم الا ما هيأ الله تعالى له ولما استدل سبحانه بقوله تعالى خلق السموات بغير عمد على الوحدانية
وبين بحكمة لقمان ان معرفة ذلك غير مختصة بالنبوة استدل ثانيا على الوحدانية بالنعم بقوله تعالى
﴿الم تروا﴾ اي تعلموا علما هو في ظهوره كالمشاهدة ﴿ان الله﴾ اي الجامع لكل كمال ﴿سخر لكم﴾ اي لاجلكم
﴿ما في السموات﴾ من الانارة والاظلام والشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر والبرد وغير ذلك
من الانتفاعات مما لا يحصى كما قال والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ﴿و﴾ سخر لكم ﴿ما في الارض﴾
من البحار والثمار والآبار والانهار والدواب والمعادن وغير ذلك مما لا يحصى ﴿واسبغ﴾ اي وسع
واتم ﴿عليكم﴾ وقوله تعالى ﴿نعمه﴾ قرأ نافع وابو عمرو وحفص بفتح العين وبعد الميم هاء مضمومة والباقون
بسكون العين وبعد الميم تاء مفتوحة منونة ومعناها الجمع ايضا كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
واختلف في قوله عز وجل ﴿ظاهرة وباطنة﴾ على اقوال فقال عكرمة عن ابن عباس النعمة الظاهرة القرآن
والاسلام والباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة وقال الضحاك الظاهرة حسن
الصورة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقال مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام
والباطنة ما ستر من الذنوب وقال الربيع الظاهرة بالجوارح والباطنة بالقلب وقال عطاء الظاهرة
تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقال مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة
الامداد بالملائكة وقال سهل بن عبد الله الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته وقيل الظاهرة تمام
الرزق والباطنة تمام الخلق وقيل الظاهرة الامداد بالملائكة والباطنة القاء الرعب في قلوب

الكفار وقيل الظاهرة الاقرار باللسان والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة البصر والسمع
واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى في دعاء
موسى عليه السلام الهي دلني على اخفاء نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى
ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس ونزل في النضر بن الحرث وابي بن خلف واشباههم
كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله تعالى وفي صفاته وَمِنَ النَّاسِ اى اهل مكة مَنْ
يُجَادِلُ اى يحاجج فلا اعظم من جداله ولا كبر مثل كبره ولا ضلال مثل ضلاله واظهر زيادة
التشنيع على هذا المجادل بقوله تعالى فِي اللهِ اى المحيط علما وقدرة ثم بين تعالى مجادلته انها بِغَيْرِ عِلْمٍ
اى مستفاد من دليل بل بالفاظ في ركاكة معانيها لعدم اسنادها الى حس ولا عقل ملحقة
باصوات الحيوانات العجم فكان بذلك حاديا تابعا للهوى وَلَا هُدًى اى من رسول عهد منه سداد
الاقوال والافعال بما ابدى من المعجزات والآيات البينات فوجب اخذ اقواله مسلمة وان لم يظهر
معناها وَلَا كِتَابٍ اى من الله تعالى ثم وصفه بما هو لازم له بقوله تعالى مُنِيرٍ اى بين غاية البيان بل
انما يجادل بالتقليد كما قال تعالى وَاِذَا قِيلَ اى من اى قائل كان لَهُمُ اى المجادلين هذا الجدال
اتَّبِعُوا مَا اَنْزَلَ اللهُ اى الذى خلقكم وخلق اباءكم الاولين قَالُوا جحودا لا نفعل بَلْ نَتَّبِعُ وان اتيتنا بكل
دليل مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ اٰبَاءَنَا لانهم اثبت منا عقولا واقوم قيلا واهدى سبيلا فهذه المجادلة في
غاية القبح فان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى كلام الله وهم يأخذون بكلام ابائهم وبين
كلام الله تعالى وبين كلام العلماء بون عظيم فكيف ما بين كلام الله تعالى وكلام الجهال اَوَلَوْ اى ايتبعونهم
ولو كَانَ الشَّيْطَانُ اى البعيد من الرحمة المحترق باللعنة يَدْعُوهُمْ الى الضلال فيوقعهم فيما يسخط الرحمن
فيؤديهم ذلك اِلٰى عَذَابِ السَّعِيرِ وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام
للانكار والتعجب والمعنى ان الله تعالى يدعوهم الى الثواب والشيطان يدعوهم الى العذاب وهم
مع هذا يتبعون الشيطان ولما بين تعالى حال المشرك والمجادل في الله بين تعالى حال المسلم المستسلم
لامر الله تعالى بقوله تعالى وَمَنْ يُسْلِمْ اى في الحال والاستقبال وَجْهَهُ اى قصده وتوجهه وذاته
كلها اِلَى اللهِ اى الذى له صفات الكمال بان فوض امره اليه فلم يبق لنفسه امرا اصلا فهو لا يتحرك
الا بامر من اوامره سبحانه وَهُوَ اى والحال انه مُحْسِنٌ اى مخلص بباطنه كما انه مخلص بظاهره فهو
دائما في حال الشهود فَقَدِ اسْتَمْسَكَ اى اوجد الامساك بغاية ما يقدر عليه من القوة في
تادية الامور بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقٰى اى اعتصم بالعهد الاوثق الذى لا يخاف انقطاعه لان اوثق العرى
جانب الله تعالى فان كل ما عداه هالك منقطع وهو باق لا انقطاع له وهذا من باب التمثيل
مثل حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق جبل فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق
عروة من حبل متين مأمون انقطاعه فان قيل كيف قال ههنا ومن يسلم وجهه الى الله فعداه بالى
وقال في البقرة بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فعداه باللام اجيب بان اسلم يتعدى تارة

باللام وتارة بالى كما يتعدى ارسل تارة باللام وتارة بالى قال تعالى وارسلناك للناس رسولا وقال تعالى كما
ارسلنا الى فرعون رسولا وَإِلَى اللّٰهِ اى الملك الاعلى عَاقِبَةُ الْأُمُورِ اى مصير جميع الاشياء اليه كما ان
منه باديتها وانما خص العاقبة لانهم مقرون بالبادية ولما بين تعالى حال المسلم رجع الى بيان
حال الكافر فقال تعالى وَمَنْ كَفَرَ اى ستر ما ادّاه اليه عقله من ان الله تعالى لا شريك له
وان لا قدرة اصلا لاحد سواه ولم يسلم وجهه اليه فَلَا يَحْزُنْكَ اى يهمك ويوجعك كُفْرُهُ كائنا من
كان فانه لم يفتك شئ فيه ولا معجز لنا ليحزنك ولا تبعة عليك بسببه فى الدنيا وفى الاخرة وافرد الضمير
فى كفره اعتبارا بلفظ من لارادة التنصيص على كل فرد وفى التعبير هنا بالماضى وفى الاول بالمضارع
بشارة بدخول كثير فى هذا الدين وانهم لا يرتدون بعد اسلامهم وترغيب فى الاسلام لكل من
كان خارجا عنه فالاية من الاحتباك ذكر الحزن ثانيا دليلا على حذف ضده اولا وذكر الاستمساك
اولا دليلا على حذف ضده ثانيا اِلَيْنَا اى فى الدارين مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ اى بسبب احاطتنا بامرهم
وعقب رجوعهم بِمَا عَمِلُوا اى ونجازيهم عليه ان اردنا اِنَّ اللّٰهَ اى الذى لا كفء له عَلِيمٌ اى
محيط العلم بماله من الاحاطة باوصاف الكمال بِذَاتِ الصُّدُورِ اى لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم
فينبئهم بما اسرت صدورهم نُمَتِّعُهُمْ اى نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا قَلِيلًا اى الى انقضاء
آجالهم فان كل آت قريب فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ اى نلجئهم
ونردّهم فى الاخرة اِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ اى شديد ثقيل لا ينقطع عنهم اصلا ولا يجدون لهم
منه محيصا من جهة من جهاته كانه فى شدته وثقله جرم عظيم غليظ جدا اذا ترك على شئ لا يقدر
على الخلاص منه ثم انه تعالى لما سلى قلب النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فلا يحزنك كفره اى لا تحزن
على تكذيبهم فان صدقك وكذبهم يتبين عن قريب وهو رجوعهم الينا على انه لا يتأخر الى ذلك اليوم
بل يتبين قبل يوم القيمة كما قال تعالى وَلَئِنْ اللام لام قسم سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ اى باسرها ومن
فيها وَالْاَرْضَ كذلك وقوله تعالى لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ اى المسمى بهذا الاسم حذف منه نون الرفع لتوالى الامثال
وواو الضمير لالتقاء الساكنين فقد اقروا بان كل ما اشركوا به بعض خلقه ومصنوع من مصنوعاته ولما
تبين بذلك صدقه صلى الله عليه وسلم وكذبهم قال الله تعالى مستأنفا قُلِ الْحَمْدُ اى الاحاطة بجميع اوصاف
الكمال لِلّٰهِ اى الذى له الاحاطة الشاملة من غير تقييد بخلق الخافقين ولا غيره على ظهور الحجة
عليهم بالتوحيد بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ اى ليس لهم علم يمنعهم من تكذيبك مع اعترافهم
بما يوجب تصديقك ولما اثبت لنفسه سبحانه الاحاطة باوصاف الكمال استدل على
ذلك بقوله تعالى لِلّٰهِ اى الملك الاعظم مَا فِى السَّمٰوٰتِ كلها وَالْاَرْضِ كذلك
ملكا وخلقا فلا يستحق العبادة فيهما غيره ولما ثبت ذلك انتج قطعا قوله تعالى اِنَّ اللّٰهَ اى
الذى لا كفء له هُوَ اى وحده الْغَنِىُّ مطلقا لان جميع الاشياء له ومحتاجة اليه وليس محتاجا

لسان من السنة الاحوال والاقوال لانه هو الذى انطقها ومن قيد الخرس اطلقها + ولما قال تعالى
لله ما فى السموات والارض اوهم تناهى ملكه لانحصار ما فى السموات والارض فيهما وحكم العقل الصحيح
بتناهيهما بين تعالى انه لاحد ولا ضبط لمعلوماته ومقدوراته الموجبة لحمده بقوله تعالى
وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ اى كلها ودل على الاستغراق وتقضى كل فرد فرد من افراد الجنس بقوله تعالى
مِنْ شَجَرَةٍ حيث وحدها أَقْلَامٌ اى والشجرة يمدها من بعدها على سبيل المبالغة سبع شجرات
وان ما فى الارض من البحر مداد لتلك الاقلام وَالْبَحْرُ اى والحال ان البحر يَمُدُّهُ اى يكون مدادا له
وزيادة فيه مِنْ بَعْدِهِ اى من ورائه سَبْعَةُ أَبْحُرٍ تكتب بتلك الاقلام وذلك المداد الذى
الارض كلها دواة مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ وفنيت الاقلام والمداد قال المفسرون نزل بمكة قوله تعالى
ويسئلونك عن الروح الاية فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه احبار اليهود فقالوا يا محمد
بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا ام قومك فقال صلى الله عليه وسلم كلا قد عنيت
فقالوا الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التورية وفيها علم كل شئ فقال صلى الله عليه وسلم هى فى
علم الله تعالى قليل وقد اتاكم ما ان عملتم به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن
يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله تعالى هذه الاية
وقال قتادة ان المشركين قالوا ان القرآن وما ياتى به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فنزلت فان
قيل كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد اجيب بانه اغنى عن ذكر المداد
قوله تعالى يمده لانه من مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة
مملوءة مدادا فهى تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود
بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد
كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى لان المحصور لا يفى
بما ليس بمحصور فيالها من عظمة لا تتناهى ومن كبرياء لا يجارى ولا يضاهى فان قيل لم قيل من شجرة
على التوحيد دون اسم الجنس اجيب بانه اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من
جنس الشجر ولا واحدة الا وقد بريت اقلاما فان قيل الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير
لا التقليل فهلا قيل كلم الله اجيب بان معناه ان كلماته لا تفى بها البحار فكيف بكلمه وقرأ
ابو عمرو والبحر بنصب الراء وذلك من وجهين احدهما العطف على اسم ان اى ولو ان البحر
ويمده الخبر والثانى النصب بفعل مضمر يفسره يمده والواو حينئذ للحال والجملة حالية ولم يحتج الى
ضمير رابط بين الحال وصاحبها للاستغناء عنه بالواو والتقدير ولو ان الذى فى الارض حال كون
البحر ممدودا بكذا وقرأ الباقون برفع الراء وذلك من وجهين ايضا احدهما عطف على ان وما فى
حيزها والثانى انه مبتدا ويمده الخبر والجملة حالية والرابط الواو + تنبيه + قوله تعالى سبعة ليس
لانحصارها فى سبعة وانما الاشارة الى المدد والكثرة ولو بالف بحر وانما خصصت السبعة

بالذكر من بين الاعداد لانها عدد كثير يحصر المعدودات في العادة ويدل على ذلك وجهان الاول ان المعلوم عند كل احد لحاجته اليه هو الزمان والمكان فالزمان منحصر في سبعة ايام والمكان منحصر في سبعة اقاليم ولان الكواكب السيارة سبعة والمنجمون ينسبون اليها امورا فصارت السبعة كالعدد الحاصر للكثرات الواقعة في العادة فاستعملت في كل كثير ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء الثاني ان في السبعة معنى يخصها ولذلك كانت السموات سبعا والارضون سبعا وابواب جهنم سبعا وابواب الجنة ثمانية لانها الحسنى وزيادة فالزيادة هي الثامن لان العرب عند الثامن يزيدون واوا تقول الفراء لها واو الثمانية وليس ذلك الا للاستئناف لان العدد تم بالسبعة ثم بين نتيجة ذلك بقوله تعالى إِنَّ اللّٰهَ اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما عَزِيزٌ اي كامل القدرة لا نهاية لمقدوراته حَكِيمٌ اي كامل العلم لا نهاية لمعلوماته تنبيه قد علم مما تقرر ان الاية من الاحتباك ذكر الاقلام دليلا على حذف مدادها وذكر السبعة في مبالغة الابحر دليلا على حذفها في الاشجار ولما ختم تعالى بهاتين الصفتين بعد اثبات القدرة على الابداع من غير انتهاء ذكر بعض اثارهما في البعث بقوله تعالى مَا خَلْقُكُمْ اي كلكم في عزته وحكمته الا كخلق نفس واحدة واعاد النافي نصا على كل واحد من الخلق والبعث على حدته بقوله تعالى وَلَا بَعْثُكُمْ اي كلكم إِلَّا كَنَفْسٍ اي كبعث نفس وبين الافراد تحقيقا للمراد تأكيدا للسهولة بقوله تعالى وَاحِدَةٍ فان كلماته مع كونها غير نافدة نافذة وقدرته مع كونها باقية بالنسبة فنسبة القليل والكثير الى قدرته على حد سواء لانه لا يشغله شان عن شان ثم دل على ذلك بقوله تعالى مؤكدا إِنَّ اللّٰهَ اي الملك الاعلى سَمِيعٌ اي بالغ السمع يسمع كل مسموع بَصِيرٌ اي بليغ البصر يبصر كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء ولما قرر تعالى هذه الاية الخارقة دل عليها بامر محسوس يشاهد كل يوم مرتين بقوله تعالى أَلَمْ تَرَ وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر وكأنه تعالى ترك الخطاب مع غيره لان من هو غيره من الكفار لا فائدة في الخطاب معهم ومن هو غيره من المؤمنين فهم تبع له والوجه الثاني المراد منه الوعظ والواعظ يخاطب ولا يعين احدا فيقول لجمع عظيم يا مسكين الى الله مصيرك فمن نصيرك ولماذا تقصيرك أَنَّ اللّٰهَ اي بجلاله وعز كماله يُولِجُ اي يدخل ادخالا لا مرية فيه اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ فيغيب فيه بحيث لا يرى شيء منه فاذا النهار قد عم الارض كلها اسرع من اللمح وَيُولِجُ النَّهَارَ اي يدخله كذلك فِي اللَّيْلِ فيخفى حتى لا يبقى له اثر فاذا الليل قد طبق الافاق مشارقها ومغاربها في مثل الطرف فيميز سبحانه كلا منهما من الاخر بعد اضمحلاله فكذلك الخلق والبعث في قدرته لعزته وحكمته لبلوغ سمعه ونفوذ بصره وَسَخَّرَ الشَّمْسَ اية النهار يدخل الليل فيه وَالْقَمَرَ اي اية الليل كذلك ثم استأنف ما سخرا فيه بقوله تعالى كُلٌّ اي منهما يَجْرِي اي في فلكه سائرا متماديا وبالغا ومنتهيا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى لا يتعداه في منازل معروفة في جميع الفلك ع

لا يزيد ولا ينقص هذا في الشهر مرة وتلك في السنة مرة لا يقدر واحد منهما ان يتعدى طوره
ولا ان ينقص دوره ولا ان يغير سيره ✦ تنبيه قال تعالى يولج بصيغة المستقبل وقال في الشمس
والقمر وسخر بصيغة الماضي لان ايلاج الليل في النهار امر يتجدد كل يوم وتسخير الشمس والقمر امر
مستمر كما قال تعالى حتى عاد كالعرجون القديم وقال ههنا الى اجل وفي الزمر لاجل لان المعنيين
لائقان بالحرفين فلا عليك في ايهما وقد قال الاكثرون هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين وقيل عام ✦ ولما كان الليل والنهار محل الافعال بين ان ما يقع في هذين الزمانين
اللذين هما بتصرف الله لا يخفى عليه بقوله تعالى وَاَنَّ اللّٰهَ اي بما له من صفات الكمال بِمَا تَعْمَلُوْنَ اي
في كل وقت على سبيل التجديد خَبِيْرٌ اي لا يخفى عليه شيء منه لانه الخالق له كله دقه وجله ✦ ولما ثبت
بهذه الاوصاف الحسنى والافعال العليا انه لا موجد بالحقيقة الا الله تعالى ذٰلِكَ اي المذكور
بِاَنَّ اي بسبب ان اللّٰهَ اي الذي لا عظيم سواه هُوَ وحده الْحَقُّ اي بسبب انه الثابت في ذاته
الواجب من جميع جهاته المستحق للعبادة وَاَنَّ مَا يَدْعُوْنَ اي هؤلاء المختوم على مداركهم
واشار الى سفول رتبتهم بقوله تعالى مِنْ دُوْنِهِ اي غيره الْبَاطِلُ اي العدم في حد
ذاته لا يستحق ان تضاف اليه الالهية بوجه من الوجوه وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي
وحفص يدعون بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب وان مقطوعة من ما في الرسم
وَاَنَّ اللّٰهَ اي الملك الاعظم وحده هُوَ الْعَلِيُّ على خلقه بالقهر فله الصفات العليا والاسماء الحسنى
الْكَبِيْرُ اي العظيم في ذاته وصفاته ✦ ولما قال تعالى الم تر ان الله يولج الليل في النهار وسخر الشمس
والقمر ذكر آية سماوية واشار الى السبب والمسبب ذكر بعده آية ارضية تدل على باهر قدرته ع٣
وكمال نعمته وشمول انعامه واشار الى السبب والمسبب بقوله تعالى اَلَمْ تَرَ وفي المخاطب بذلك ما تقدم
اَنَّ الْفُلْكَ اي السفن كبارا وصغارا تَجْرِيْ اي بكم حاملة ما تعجزون عن نقل مثله في البر فِي الْبَحْرِ اي
على وجه الماء بِنِعْمَتِ اللّٰهِ اي بانعام الملك الاعلى المحيط علما وقدرة المحسن اليكم بتعليم صفتها حتى
تهيأت لذلك على يد ابيكم نوح العبد الشكور عليه السلام وقيل نعمة الله هنا هي الريح التي تتحرك
بامر الله لِيُرِيَكُمْ مِنْ اٰيٰتِهٖ اي عجائب قدرته ودلائله التي تدلكم على انه الحق الذي اثبت بوجوب
وجوده ما ترون من الاحمال الثقال على وجه الماء الذي ترسب فيه الابرة فما دونها
اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ اي الامر الهائل البديع الرفيع لَاٰيٰتٍ اي دلالات واضحات على ما له من صفات
الكمال لِكُلِّ صَبَّارٍ اي على المشاق فيبعث نفسه في التفكر في عدم غرقه وفي مسيره الى البلاد الشاسعة
والاقطار البعيدة وفي كون سيره ذهابا وايابا تارة بريحين وتارة بريح واحدة في انجاء ابيه
نوح عليه السلام ومن اراد الله تعالى من خلقه بها واغراق غيرهم من جميع اهل الارض وفي غير
ذلك من شؤنه واموره شَكُوْرٍ اي مبالغ في كل من الصبر والشكر لانهما الايمان كما ورد الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر وعلم من صيغة المبالغة في كل منهما انه لا يعرف في الرخاء من

عظمة الله ما كان يعرفه في الشدة الا من طبعهم الله تعالى على ذلك ووفقهم لرعاية ما عليه ولهذا
قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وها انا اسأل الله الحنان المنان من فضله ان يجعلني منهم ويفعل
ذلك باهلي واحبابي فانه كريم جواد ولما ذكر تعالى ان في ذلك لآيات ذكر ان الكل معترفون غير
ان البصير يدركه اولا ومن في بصيرته ضعف لا يدركه اولا كما قال تعالى وَإِذَا غَشِيَهُمْ اي علاهم
وهم في الفلك حتى صار كالمغطي لهم مَوْجٌ اي هذا الجنس وافرده لشدة اضطرابه واتيانه شيئا
في اثر شيء متتابعا يركب بعضه بعضا كأنه شيء واحد واصله من الحركة والازدحام واختلف في
قوله تعالى كَالظُّلَلِ فقال مقاتل كالجبال وقال الكلبي كالسحاب والظلل جمع ظلة تشبه بها الموج في
كثرتها وارتفاعها فان قيل كيف جعل الموج وهو واحد كالظلل وهو جمع اجيب بان الموج يأتي منه
شيء بعد شيء فلما صاروا الى هذه الحالة دَعَوُا اللهَ اي مستحضرين لما يقدر عليه الانسان من
كمال جلاله وجماله عالمين بجميع مضمون الآية السابقة من حقيته وعلوه وكبريائه وبطلان
ما يدعونه من دونه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ اي الدعاء بان ينجيهم لا يدعون شيئا سواه بانفسهم
ولا قلوبهم لما اضطرهم الى ذلك فَلَمَّا نَجَّاهُمْ اي خلصهم من تلك الاهوال إِلَى الْبَرِّ نزلوا عن تلك
المرتبة التي اخلصوا فيها الدين وانقسموا قسمين فَمِنْهُمْ اي تسبب عن نعمة الانجاء انه كان منهم
مُقْتَصِدٌ اي عدل موف في البر بما قد عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له بمعنى انه ثبت على
ذلك وهم قليل كما دل عليه التصريح بالتبعيض قيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل هرب في عام الفتح
الى البحر فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن انجاني الله من هذه لارجعن الى محمد صلى الله عليه
وسلم ولاضعن يدي في يده فسكنت الريح فرجع عكرمة الى مكة فاسلم وحسن اسلامه قال مجاهد
مقتصد في القول مضمر للكفر وقال الكلبي مقتصد في القول اي من الكفار لان بعضهم كان اشد
قولا واعلى في الافتراء من بعض ومنهم جاحد للنعمة ملق لجلباب الحياء في التصريح بذلك وهو الاكثر
كما دل عليه ترك التصريح فيه بالتبعيض فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى في العنكبوت فلما نجاهم الى البر
اذا هم يشركون وقال هنا فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اجيب بانه لما ذكر ههنا امرا عظيما وهو الموج
الذي كالجبال بقي اثر ذلك في قلوبهم فخرج منهم مقتصد وهناك لم يذكر مع ركوب البحر معاينة
مثل ذلك الامر فذكر اشراكهم حيث لم يبق عندهم اثر وقوله تعالى وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ
اي غدار فانه نقض للعهد الفطري اي لما كان في البحر والختر اشد الغدر كَفُورٍ اي للنعم في مقابلة
قوله تعالى ان في ذلك لآيات اي يعترف بها الصبار الشكور ويجحدها الختار الكفور فالصبار
في موازنة الختار لفظا ومعنى والكفور في موازنة الشكور كذلك اما لفظا فيهما فظاهر واما كون
الختار في موازنة الصبار معنى فلان الختار هو الغدار الكثير الغدر او شديد الغدر مثال مبالغة في الختر
وهو اشد الغدر والغدر لا يكون الا من قلة الصبر لان الصبور لا يعهد منه الاضرار فانه يصبر ويفوض
الامر الى الله تعالى واما الغدار فيعاهد ولا يصبر على العهد فينقضه واما ان الكفور في

بمقابلة الشكور معنى فظاهر ولما ذكر تعالى الدلائل من اول السورة الى هنا وعظ بالتقوى بقوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اى عامة وقيل اهل مكة اتَّقُوا رَبَّكُمْ اى الذى لا محسن اليكم غيره وَاخْشَوْا اى خافوا يَوْمًا لا يشبهه الايام ولا يعد هول البحر ولا غيره عنده ادنى هول من اهواله شيئا بوجه لَا يَجْزِي اى لا يقضى ولا يغنى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ والراجع الى الموصوف محذوف اى لا يجزى فيه وفى التعبير بالمضارع اشارة الى ان الوالد لا تزال تدعوه الولادة الى الشفقة على الولد ويتجدد عنده العطف والرقة والمفعول اما محذوف لانه اشد فى النفى واما مدلول عليه بما فى الشق الذى بعده وقوله تعالى وَلَا مَوْلُودٌ عطف على والد او مبتدأ خبره هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ اى فيه شيئا من الجزاء وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر فى الآخرة إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ اى الذى له معاقد العز والجلال حَقٌّ اى ان هذا اليوم الذى هذا شانه هو كائن لان الله تعالى وعد به ووعده حق وقيل ان وعد الله حق بان لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا لانه وعد بان لا تزر وازرة وزر اخرى ووعد الله حق فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بزخرفها ورونقها فانها زائلة لوقوع اليوم المذكور بالوعد الحق وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ اى الذى لا اعظم منه ولا مكافئ مع ولايته معكم الْغَرُورُ اى الكثير الغرور المبالغ فيه وهو الشيطان الذى لا احقر منه لما جمع من البعد والطرد والاحتراق مع عداوته بما يزين لكم من امرها ويلهيكم به من تعظيم قدرها وينسيكم كيدها وغدرها وتعبها واذاها فيوجب ذلك لكم الاعراض عن ذلك اليوم فلا تعدون له معادا فلا تتخذون له زادا لما تقترون بغروره من حلم الله تعالى وامهاله قال سعيد بن جبير الغرة بالله ان يعمل المعصية ويتمنى المغفرة + وروى ان الحرث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة وانى قد القيت حبا فى الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتى اذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزل قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ اى بماله من العظمة وجميع اوصاف الكمال عِنْدَهُ اى خاصة عِلْمُ السَّاعَةِ اى وقت قيامها لا علم لغيره بذلك اصلا وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ اى فى اوانه المقدر له والمحل المعين له فى علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاى والباقون بسكون النون وتخفيف الزاى وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ اى من ذكر او انثى او حى او ميت تام او ناقص وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ اى من الانفس البشرية وغيرها مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا اى من خير او شر وربما تعزم على شئ وتفعل خلافه وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ اى كما لا تدرى فى اى وقت تموت ويعلمه الله تعالى وروى ابن ابى حاتم عن مجاهد قال جاء رجل من اهل البادية فقال يا رسول الله ان امرأتى حبلى فاخبرنى ما تلد وبلادنا مجدبة فاخبرنى متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرنى متى اموت فانزل الله تعالى هذه الآية وعن عكرمة ان رجلا يقال له الوارث من بنى مازن جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد متى قيام الساعة وقد اجدبت بلادنا فمتى تخصب وقد تركت امرأتى حبلى فمتى تلد وقد علمت ما كسبت اليوم فماذا اكسب غدا وقد علمت باى ارض ولدت

نبای ارض اموت فنزلت هذه الاية وعن قتادة قال خمس من الغيب استاثر الله بهن فلم يطلع
عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ان الله عنده علم الساعة فلا يدرى احد من الناس متى تقوم الساعة
فى اى سنة ولا فى اى شهر ليلا ام نهارا وينزل الغيث فلا يعلم احد متى ينزل ليلا ام نهارا ويعلم ما
فى الارحام فلا يعلم احد ما فى الارحام اذكر ام انثى احمر ام اسود ولا تدرى نفس ماذا تكسب غدا اخير
ام شرا وما تدرى نفس باى ارض تموت ليس احد من الناس يدرى اين مضجعه من الارض
افى بحر ام فى بر ام سهل ام جبل وعن احمد بن ابى شيبة موقوفا على شهر بن حوشب ان ملك الموت
مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا فقال ملك الموت
فقال فكانه يريدنى فمر الريح ان تحملنى وتلقينى بالهند فامر سليمان الريح فحملته الى بلاد الهند فى
سحابة فلما استقر فيها قبض روحه ملك الموت عليه السلام ثم جاء الى سليمان عليه السلام فسأله
عن نظره الى الرجل فقال ملك الموت كان دوام نظرى اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه
بالهند وهو عندك وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس
لا يعلمهن الا الله لا يعلم ما فى غد الا الله ولا متى تقوم الساعة الا الله ولا ما فى الارحام الا الله ولا متى
ينزل الغيث الا الله وما تدرى نفس باى ارض تموت الا الله وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه
ان رجلا قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من السائل ولكن ساحدثكم باشراطها
اذا ولدت الامة ربتها فذاك من اشراطها واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول
رعاء الغنم فى البنيان فذاك من اشراطها وخمس من الغيب لا يعلمهن الا الله ثم تلا ان الله عنده علم
الساعة الى اخر الاية وعن ابى امامة ان اعرابيا وقف على النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر على ناقة
له عشراء فقال يا محمد ما فى بطن ناقتى هذه فقال له رجل من الانصار دع عنك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهلم الى حتى اخبرك وقعت انت عليها وفى بطنها ولد منك فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال ان الله يحب كل حيى كريم ويبغض كل فاحش اثيم متفحش ثم اقبل على الاعرابى فقال خمس لا يعلمهن
الا الله ان الله عنده علم الساعة الاية وعن سلمة بن الاكوع قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة
حمراء اذ جاء رجل على فرس فقال له من انت قال انا رسول الله قال متى الساعة قال غيب وما يعلم الغيب
الا الله قال ما فى بطن فرسى قال غيب وما يعلم الغيب الا الله قال فمتى تمطر قال غيب وما يعلم الغيب
الا الله وعن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اوتيت مفاتيح كل شئ الا الخمس ان الله عنده
علم الساعة الاية وعن ابن مسعود قال اوتى نبيكم صلى الله عليه وسلم مفاتيح كل شئ غير خمس ان الله
عنده علم الساعة الاية وعن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه لم يعم على نبيكم الا الخمس من سرائر
الغيب هذه الاية فى اخر لقمان ان الله عنده علم الساعة الى اخر السورة وعن ربعى قال حدثنى رجل
من بنى عامر انه قال يا رسول الله هل بقى من العلم شئ لا تعلمه فقال لقد علمنى الله خيرا وان من العلم ما لا يعلمه
الا الله الخمس ان الله عنده علم الساعة الاية وعن بنت معوذ قالت دخل على رسول الله صلى الله

عليه وسلم صبيحة عرسي وعندي جاريتان تغنيان وتقولان وفينا نبي يعلم ما في غد فقال اما هذا فلا تقولاه
ما يعلم ما في غد الا الله وعن ابي عزة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله
قبض عبد بارض جعل له اليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما تدري نفس باي ارض تموت وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في مجلس
فيه اصحابه جاء جبريل في غير صورته يحسبه رجلا من المسلمين فسلم فرد عليه السلام ثم وضع يديه
على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله ما الاسلام قال ان تسلم وجهك لله وتشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة قال فاذا فعلت ذلك
فقد اسلمت قال نعم ثم قال ما الايمان قال ان تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين
والموت والحياة بعد الموت والجنة والنار والحساب والميزان والقدر خيره وشره قال فاذا فعلت
ذلك فقد آمنت قال نعم ثم قال ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
قال فاذا فعلت ذلك فقد احسنت قال نعم ثم قال فمتى الساعة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبحان الله خمس من الغيب لا يعلمها الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما
في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله اي
المختص باوصاف الكمال عليم اي شامل علمه للامور كلها كلياتها وجزئياتها فاثبت العلم المطلق
لنفسه سبحانه بعد ان نفاه عن الغير في هذه الخمس خبير اي يعلم خبايا الامور وخفايا الصدور كما يعلم
ظواهرها وجلاياها الكل عنده على حد سواء فهو العالم في ذاته وصفاته ولذلك اخفى هذه المفاتيح عن عباده
لانه لو اطلعهم عليها لفاتت كثير من الحكم باختلال هذا النظام على ما فيه من الاحكام فقد انطبق آخر
السورة باثبات العلم والخبر مع تقرير امر الساعة التي هي مفتاح الدار الآخرة على اولها المخبر
بحكمة صفته التي من علمها حق علمها وتخلق بما دعت اليه وحضت عليه لا سيما الايقان بالآخرة
كان حكيما فسبحانه من هذا كلامه وتعالى كبرياؤه وعز مرامه وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري
من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة
واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل المعروف ونهى عن المنكر حديث موضوع

سورة السجدة مكية

وهي ثلاثون آية وثلثمائة وثمانون كلمة والف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا بسم الله
ذي الجلال والاكرام الرحمن بعموم البشارة والنذارة الرحيم الذي سكن في قلوب احبابه
الشوق اليه والخضوع بين يديه وتقدم في البقرة وغيرها الكلام على الم وما ينبغي
انها اشارة الى ان الله تعالى ارسل جبريل عليه السلام الى محمد الفاتح الخاتم صلى الله عليه وسلم
بكتاب معجز دال باعجازه على صحة رسالته ووحدانية مرسله وسموه سبحانه [illegible]

فی اوائل اربع من هذه السور فزادت علی الطواسین بواحدة اشارة الی ان هذه المعانی فی غایة الثبات لا انقطاع لها + ولما کان المقصود فی التی قبلها اثبات الحکمة لمنزل هذا الکتاب الذی فیه تبیان کل شیٔ اخبر سبحانه وتعالی عن هذا بانه من عنده بقوله تعالی تَنْزِيْلُ الْكِتَابِ ای الجامع لکل هدی علی ما ترون من التدریج من السماء لَا رَيْبَ ای لا شک فِيْهِ لانّ نافی الشک هو الاعجاز معه لا ینفک عنه فکل ما تقولونه مما یخالف ذلک تعنت او جهل من غیر ریب حال کونه مِنْ رَّبِّ الْعَالَمِيْنَ ای الخالق لهم المدبر لمصالحهم فلا یجوز فی عقل ولا یخطر فی بال ولا یقع فی وهم ولا یتصور فی خیال انه یصل شیٔ من کتابه تعالی الی هذا النبی الکریم بغیر امره ولا یتخیل ان شیئا منه لیس بقول الله تعالی ثم لا یتخیل انه من کلامه ولکنه اخذه من بعض اهل الکتاب لانّ هذا لا یفعل مع بعض الملوک فکیف بملک الملوک فکیف بمن هو عالم بالسر والجهر محیط علمه بالخفی والجلی + تنبیه فی تنزیل الکتاب اعرابات مختلفة واظهرها ما جری علیه الجلال المحلی من انّ تنزیل الکتاب مبتدأ ولا ریب فیه خبر اول ومن رب العالمین خبر ثان وقوله تعالی اَمْ يَقُوْلُوْنَ ای مع ذلک الذی لا یمتری فیه عاقل افْتَرَاهُ ای تعمد کذبه ام فیه هی المنقطعة والاضراب للانتقال لا للابطال وقیل المیم صلة ای اتقولون افتراه وقوله تعالی بَلْ هُوَ الْحَقُّ ای الثابت ثباتا لا یضاهیه ثبات شیٔ من الکتب قبله اضراب ثان ولو قیل بانه اضراب ابطالیّ لنفس افتراه وحده لکان صوابا وعلی هذا یقال کل ما فی القرآن اضراب فهو اضراب انتقالیّ الا هذا فانه یجوز ان یکون ابطالیا لانه ابطال لقولهم ای لیس هو کما قالوا مفتری بل هو الحق وفی کلام الزمخشری ما یرشد الی هذا فانه قال والضمیر فی فیه راجع الی مضمون الجملة کانه قیل لا ریب فی ذلک ای فی کونه من رب العالمین قال ابن عادل ویشهد لوجاهته ام یقولون افتراه لانّ قولهم هذا مفتری انکار لان یکون من رب العالمین وکذلک قوله بل هو الحق من ربک وما فیه من تقریر انه من عند الله وهذا اسلوب صحیح محکم انتهی وقوله تعالی مِنْ رَّبِّكَ ای المحسن الیک بانزاله واحکامه حال من الحق والعامل فیه محذوف علی القاعدة وهو العامل ایضا فی لِتُنْذِرَ ویجوز ان یکون العامل فی لتنذر غیره ای انزله لتنذر قَوْمًا ای ذوی قوة وجلد ومنعة مَّا اَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيْرٍ ای رسول فی هذه الازمان القریبة لقول ابن عباس انّ المراد الفترة ویؤیده اثبات الجار فی قوله تعالی مِنْ قَبْلِكَ ولما ذکر تعالی علة الانزال اتبعه علة الانذار بقوله تعالی لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُوْنَ ای لیکون حالهم فی مجاری العادات حال من ترجی هدایته الی کمال الشریعة واما التوحید فلا عذر لاحد فیه مع اقامة الله تعالی من جهة العقل ومع ما تقدمه الرسل علیهم الصلوة والسلام ادم فمن بعده من اوضح النقل باثار دعواتهم وبقایا دلالاتهم ولذلک قال صلی الله علیه وسلم لمن سأله عن ابیه ابی وابوک فی النار وغیر ذلک من الادلة الدالة علی انّ من مات قبل دعوته علی الشرک فهو فی النار لکن ذکر بعض العلماء انّ من خصائصه صلی الله علیه وسلم انّ الله تعالی احیا له ابویه واسلما علی یدیه ولا بدع فی ذلک فانّ الله تعالی اکرمه باشیاء لا تحصی + ولما ذکر

تعالى الرسالة وبين ما على الرسول من الدعاء الى توحيده ...
لجميع صفات الكمال وحده ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ كلها ﴿وَالْأَرْضَ﴾ باسرها ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من المنافع
العينية والمعنوية ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ كما يأتي تفصيله في فصلت ان شاء الله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهو
في اللغة سرير الملك استواء يليق به تعالى لم تعهدوا مثله وهو انه تعالى اخذ في تدبيره وتدبير ما حواه
بنفسه لا شريك له ولا نائب فيه ولا وزير كما تعهدون من ملوك الدنيا اذا امتنعت ممالكهم وتباعدت
اطرافها وتنابذت اقطارها ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ لان كل ما سواه دونه وتحت قهره ودل على عموم النفي
بقوله تعالى ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ اي يلي اموركم ويقوم بمصالحكم وينصركم اذا حل بكم شيء مما تحذرونه ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾
يشفع عنده في تدبيركم او في احد منكم بغير اذن ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون + ولما نفى ان يكون
له وزير او شريك في الخلق ذكر كيف يفعل في هذا الملك العظيم الذي ابدعه فقال مستأنفا
مفسرا للمراد بالاستواء ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ اي كل امر هذا العالم بان يفعل في ذلك فعل الناظر في ادباره
لاتقان خواتمه ولوازمه كما نظر في اقباله لاحكام فواتحه وعوازمه لا يكل شيئا منه الى احد من
خلقه قال الرازي في اللوامع وهذا دليل على ان استواءه على العرش بمعنى اظهار القدرة والعرش
مظهر التدبير لا مقر للمدبر + ولما كان المقصود للقريب انما هو تدبير ما يمكن مشاهدتهم له من العالم
قال تعالى مفردا ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ اي فينزل ذلك الامر الذي اتقنه كما يتقن من ينظر في ادبار ما يعمله
﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ اي غير متعرض الى ما فوق ذلك على ان السماء تشمل كل عال فيدخل جميع العالم العلوي
والارض تشمل كل ما سفل فيشمل ذلك العالم السفلي + تنبيه + ههنا همزتان مكسورتان فقالون
وابن كثير يسهل الاولى كالياء مع المد والقصر وورش وقنبل يسهل الثانية ولهما ايضا ابدالها
من غير مد واسقط ابو عمرو الاولى مع المد والقصر والباقون بتحقيقهما + ولما كان الصعود اشق
من النزول على ما جرت به العوائد فكانت بذلك مستبعدا اشار الى ذلك بقوله تعالى ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ اي
يصعد ﴿إِلَيْهِ﴾ اي بصعود الملك الى الله تعالى اي الى الموضع الذي شرفه او امره بالكون فيه كقوله تعالى
اني ذاهب الى ربي ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ونحو ذلك والى الموضع الذي
ابتدأ منه نزول التدبير الى السماء كانه صاعد في معاريج وهي الدرج على ما تتعارفون بينكم في
اسرع من لمح البصر ﴿فِي يَوْمٍ﴾ اي من ايام الدنيا ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ﴾ لو كان الصاعد واحدا منكم على ما تعهدون
﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ من سنيكم التي تعهدونه قال البقاعي والذي دل على هذا التقدير شيء
من العرف وشيء من اللفظ اما اللفظ فالتعبير بكان مع انتظام الكلام بدونها لو اريد غير ذلك واما
العرف فهو ان الانسان المتمكن يبني البيت العظيم العالي في سنة مثلا فاذا فرغه صعد اليه خادمه الى اعلاه
في اقل من دقيقتين من درج الوصل فلا تكون نسبة ذلك من زمن بنائه الا جزءا ولا يعد هذا خلق يحتاج
فما ظنك بمن خلق الخلق في ستة ايام ولو شاء لخلقهم في لمحة وهو غني عن كل شيء قادر على كل شيء انتهى
فنزول الامر وعروج العمل في مسافة الف سنة مما تعدون وهو ما بين السماء والارض ...

مسافته خمسمائة فينزل في مسيرة خمسمائة سنة ويعرج في خمسمائة سنة فهو مقدار ألف سنة كأنه تعالى
يقول لو سار أحد من بني آدم لم يقطعه الا في ألف سنة والملائكة يقطعونه في يوم واحد هذا في وصف
عروج الملك من الارض الى السماء واما قوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة فاراد مدة المسافة من الارض الى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام
يسير جبريل والملائكة الذين معه من اهل مقامه مسيرة خمسين الف سنة في يوم واحد من ايام الدنيا
قال مجاهد والضحاك وورد انه صلى الله عليه وسلم قال بين السماء والارض خمسمائة ثم قال اتدرون
ما الذي فوقها قلنا الله ورسوله اعلم قال سماء اتدرون كم بينهما قلنا الله ورسوله اعلم
قال خمسمائة عام حتى عد سبع سموات ثم قال اتدرون ما فوق ذلك قلنا الله ورسوله اعلم قال
العرش ثم قال اتدرون ما بينه وبين السماء السابعة قلنا الله ورسوله اعلم قال مسيرة خمسمائة عام ثم قال
ما هذه تحتكم قلنا الله ورسوله اعلم قال ارض اتدرون ما تحتها قلنا الله ورسوله اعلم قال ارض اخرى
اتدرون كم بينهما قلنا الله ورسوله اعلم قال مسيرة سبعمائة عام حتى عد سبع ارضين ثم قال وايم الله
لو دليتم بحبل لهبط على علم الله وقدرته وورد في مثل السموات والارض في الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة
وان فضل الكرسي على السموات والارض كفضل الفلاة على تلك الحلقة وقوله تعالى وسع كرسيه
السموات والارض يدل على ان الكرسي محيط بالكل وقيل مقدار الف سنة وخمسين الف سنة
كلها في القيامة ومعناه حينئذ يدبر الامر من السماء الى الارض مدة ايام الدنيا ثم يعرج اي يرجع الامر
والتدبير اليه بعد فناء الدنيا في يوم كان مقداره ذلك وذلك اليوم يتفاوت فهو على الكافر
كخمسين الف سنة وعلى المؤمن دون ذلك بل جاء في الحديث انه يكون على المؤمن كمثل صلوة
مكتوبة صلاها في الدنيا وقيل ان ذلك اشارة الى امتداد نفاذ الامر وذلك لان من نفذ امره غاية
النفاذ في يوم او يومين وانقطع لا يكون مثل من ينفذ امره في سنين متطاولة فقوله في يوم كان مقداره الف سنة
يعني يدبر الامر في زمان يوم منه الف سنة فكم يكون شهر منه وكم يكون سنة منه وكم يكون دهر منه وعلى
هذا فلا فرق بين هذا وبين قوله مقداره خمسين الف سنة لان ذلك اذا كان اشارة الى دوام نفاذ الامر
فسواء يعبر بالالف سنة او بخمسين الف سنة لا يتفاوت الا ان المبالغة بالخمسين اكثر وسيأتي بيان فائدتها
في موضعها ان شاء الله تعالى + ولما قرر هذا من عالم الاشباح للخلق ثم عالم الارواح والامر بين انه
تعالى عالم بما كان وما يكون بقوله تعالى ذلك اي الاله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي
ما غاب عن الخلق ومنه الذي تفردت بمفاتحه وما حضر لهم فيدبر امرهما العزيز اي الغالب
على امره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه تعالى يراعي المصالح تفضلا واحسانا + ولما
ذكر تعالى الدليل على الوحدانية من الآفاق بقوله تعالى خلق السموات والارض وما بينهما ذكر
الدليل عليها من الانفس بقوله تعالى الذي احسن كل شيء خلقه قال ابن عباس اتقنه واحكمه
فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان

في احسن تقويم وقال مقاتل علم كيف يخلق كل شيء من قول القائل فلان يحسن كذا اذا كان يتقنه
وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض وقيل معناه احسن الى
كل خلقه وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام فعلا ماضيا والجملة صفة للمضاف او المضاف اليه والباقون
بسكونها على انه بدل من كل شيء بدل اشتمال والضمير عائد على كل شيء + ولما كان الحيوان اشرف
الاجناس وكان الانسان اشرفه خصه بالذكر ليقوم دليل الوحدانية بالانفس كما قام بالآفاق فقال دالا
على البعث وبدأ خلق الانسان اي آدم عليه السلام من طين قال الرازي ويمكن ان يقال الطين
ماء وتراب مجتمعان فالآدمي اصله مني والمني اصله غذاء والاغذية اما حيوانية او نباتية والحيوانية
ترجع الى النباتية والنبات وجوده بالماء والتراب الذي هو الطين ثم جعل نسله اي ذريته من
سلالة اي نطفة سميت سلالة لانها تسل من الانسان اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه
قولهم للولد سليل هذا على التفسير الاول لان آدم كان من الطين ونسله من سلالة من ماء
مهين اي ضعيف وعلى التفسير الاول هو ان اصله من طين ثم يوجد من ذلك الاصل سلالة هي
ماء مهين وهو نطفة الرجل واشار الى عظمة ما بعد ذلك من خلقه وتطويره بقوله تعالى ثم سوّاه
قومه بتصوير اعضائه وابداع المعاني على ما ينبغي ونفخ فيه اي آدم من روحه اي جعله حيا
حساسا بعد ان كان جمادا واضافة الروح الى الله تعالى اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله فيا له
من شرف ما اعلاه ففيه اشعار بانه خلق عجيب ان له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية قال
البيضاوي ولاجله اي ولاجل كون ان له شأنا الى آخره ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه هذا
الحديث لا اصل له وتقدم ان له اصلا ليس معناه ما ذكر بل معناه من عرف نفسه وتامل في
حقيقتها عرف ان لها صانعا موجدا له واليه اشار بقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون ثم ذكر ما يترتب
على نفخ الروح في الجسد مخاطبا للذرية بقوله تعالى وجعل لكم بعد ان كنتم نطفا امواتا السمع اي
لتدركوا ما يقال لكم والابصار اي لتدركوا بها الاشياء على ما هي عليه والافئدة اي القلوب المودعة
غرائز العقول فان قيل ما الحكمة في تقديم السمع على البصر والبصر على الافئدة اجيب بان الانسان
يسمع اولا كلاما فينظر الى قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه فان قيل
ما الحكمة في ذكر المصدر في السمع وفي البصر والفؤاد الاسم ولهذا جمع الابصار والافئدة
ولم يجمع السمع لان المصادر لا تجمع اجيب بان السمع قوة واحدة ولها محل واحد وهو الاذن
ولا اختيار لها فيه وان الصوت من اي جانب كان يصل اليه ولا قدرة للاذن على تخصيص
السمع بادراك البعض دون البعض واما البصر فمحله العين ولها فيه اختيار فانها تتحرك الى جانب
المرئي دون غيره وكذلك الفؤاد محل الادراك وله نوع اختيار يلتفت الى ما يريد دون غيره فالسمع
اصل دون محله لعدم الاختيار له والعين كالاصل وقوة الابصار آلتها والفؤاد كذلك وقوة الفهم آلته
فذكر في السمع المصدر الذي هو القوة وفي الابصار والافئدة الاسم الذي هو محل القوة ولان السمع

قوة واحدة لها محل واحد ولهذا لا يسمع الانسان فى زمان واحد كلامين على وجه يضبطهما ويرى
فى زمان واحد صورتين فاكثر ويثبتهما فان قيل لم قدم السمع ههنا وقدم القلب فى قوله تعالى
فى البقرة ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم اجيب بانه تعالى عند الاعطاء ذكر الادنى
ثم ارتقى الى الاعلى فكانه قال اعطاكم السمع ثم اعطاكم ما هو اشرف منه وهو القلب وعند السلب قال ليس
لهم قلب يدركون به ولا ما هو دونه وهو السمع الذى يسمعون به ممن له قلب يفهم الحقائق ويستخرجها
ولما لم يبادروا الى الايمان عند التذكير بهذه النعم الجسام قال تعالى قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ اى تشكرون
شكرا قليلا فما مزيدة مؤكدة للقلة وقوله تعالى وَقَالُوا معطوف على ما سبق منهم فانهم قالوا محمد
ليس برسول والاله ليس بواحد والبعث ليس بممكن فدل على صحة الرسالة بنفى الريب عن الكتاب
ثم على الوحدانية بشمول القدرة واحاطة العلم بابداع الخلق على وجه هو نعمة لهم وختم بالتعجب
من كفرهم وكان استبعادهم البعث الذى هو الثابت الاصل من اعظم كفرهم وهو قولهم
أَإِذَا اى انبعث اذا ضَلَلْنَا اى غبنا فِى الْأَرْضِ اى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه واصله
من ضل الماء فى اللبن اذا ذهب فيه وقولهم أَإِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ اى يجدد خلقنا استفهام انكار فيه
زيادة فى الاستبعاد فان قيل انه تعالى ذكر الرسالة من قبل وذكر دليلها وهو التنزيل الذى
لا ريب فيه وذكر الوحدانية وذكر دليلها وهو خلق السموات والارض وخلق الانسان من طين
ولما ذكر انكارهم الحشر لم يذكر الدليل اجيب بانه ذكر دليله ايضا وهو ان خلقه الانسان ابتداء دليل
على قدرته على الاعادة ولهذا استدل تعالى على انكار الحشر بالخلق الاول ثم يعيده وهو اهون عليه
وقوله تعالى الذى انشأها اول مرة وايضا خلق السموات والارض كما قال اوليس الذى خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وقرأ نافع والكسائى ائذا ضللنا فى الارض انا الاول
بالاستفهام والثانى بالخبر وقرأ ابن عامر الاول بالخبر والثانى بالاستفهام والباقون بالاستفهام فيهما
ومذهب قالون وابى عمرو فى الاستفهام تسهيل الثانية وادخال الالف بينها وبين همزة
الاستفهام وورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير ادخال وهشام يسهل الثانية ويحققها
مع الادخال والباقون بتحقيقهما من غير ادخال وقوله تعالى بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ
اى جاحدون اضراب عن الاول اى ليس انكارهم لمجرد الخلق ثانيا بل يكفرون بجميع احوال الآخرة
حتى لو صدقوا بالخلق الثانى لما اعترفوا بالعذاب والثواب ويكون المعنى لم ينكروا البعث لنفسه بل لكفرهم بلقاء
الله فانهم كرهوه فانكروا المفضى اليه ثم بين لهم ما يكون من الموت الى العذاب بقوله تعالى قُلْ اى يا افضل
الخلق لهم يَتَوَفَّاكُم اى يقبض ارواحكم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ اى بقبض ارواحكم وهو عزرائيل
عليه السلام والتوفى استيفاء العدد معناه ان يقبض ارواحهم حتى لا يبقى احد من العدد
الذى كتب عليه الموت روى ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها
ما احب من غير مشقة فهو يقبض انفس الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان

ملائكة الرحمة واعوان من ملائكة العذاب وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خطوة ملك الموت
ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وفى
بعض الاخبار ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فتنزع اعوانه روح الانسان فاذا بلغ
ثغرة نحره قبضه ملك الموت وعن معاذ بن جبل ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب
وهو يتصفح وجوه الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم فى كل يوم مرتين فاذا رأى انسانا
قد انقضى اجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال الآن يزار بك عسكر الموت فيصير ملقى لا روح فى شئ منه
وهو على حاله كاملا لا نقص فى شئ منه يدعى الخلل بسببه فاذا كان هذا فعل عبد من عبيده تعالى اصرفه
فى ذلك فقام به كما ترونه مع ان ممازجة الروح للبدن اشد من ممازجة تراب البدن لبقية التراب
لانه ربما يستدل بعض الحذاق على بعض ذلك بنوع دليل من شم ونحوه فكيف يستبعد شئ من الاشياء
على رب العالمين ومدبر الخلائق اجمعين نسأل الله تعالى ان يقبضنا على التوحيد وان يستعملنا فى
طاعته ما احيانا ويفعل ذلك باهلنا واحبابنا + ولما قام هذا البرهان القطعى على قدرته التامة علم
ان التقدير ثم يعيدكم خلقا جديدا كما كنتم اول مرة فحذفه كما هو عادة القرآن فى حذف كل ما دل عليه السياق
ولم يدع داع الى ذكره وعطف عليه قوله تعالى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ اى الذى ابتدأ خلقكم وتربيتكم
واحسن اليكم غاية الاحسان تُرْجَعُونَ اى تصيرون اليه احياء فيجزيكم باعمالكم + ولما تقرر ع
دليل البعث بما لا خفاء فيه ولا لبس شرع فى بعض احواله بقوله تعالى وَلَوْ تَرَىٰ اى تبصر إِذِ الْمُجْرِمُونَ
اى الكافرون نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ اى مطأطؤها خضوعا وخجلا وحزنا وذلا عِنْدَ رَبِّهِمْ المحسن
اليهم المتوحد بتدبيرهم قائلين بغاية الذل والرقة رَبَّنَا اى المحسن الينا أَبْصَرْنَا اى ما كنا
نكذب به وَسَمِعْنَا منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه فَارْجِعْنَا بما لك من هذه
الصفة المقتضية للاحسان الى الدنيا دار العمل نَعْمَلْ صَالِحًا فيها إِنَّا مُوقِنُونَ اى ثابت لنا الآن
الايقان بجميع ما اخبرنا به عنك فلا ينفعهم ذلك ولا يرجعون وجواب لو محذوف تقديره لرأيت
امرا فظيعا والخاطب يحتمل ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم شفاء لصدره فانهم كانوا
يؤذونه بالتكذيب ويحتمل ان يكون عاما واذ على بابها من المضى لان لو تصرف المضارع للمضى
وانما جئ هنا ماضيا لتحقق وقوعه نحو اتى امر الله وجعله ابو البقاء مما وقع فيه اذ موقع اذا ولا حاجة
اليه وقوله تعالى وَلَوْ شِئْنَا اى بما لنا من العظمة لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ اى مكلفة لان الكلام فيها
هُدَاهَا فتهتدى بالايمان والطاعة باختيار منها جواب عن قولهم ربنا ابصرنا وسمعنا وذلك ان الله
تعالى قال انى لو اردت منكم الايمان لهديتكم فى الدنيا ولما لم اهدكم تبين انى ما اردت ايمانكم
فلا اردكم وهذا صريح فى الدلالة على صحة مذهب اهل السنة حيث قالوا ان الله تعالى
ما اراد الايمان من الكافر وما شاء منه الا الكفر وَلَٰكِنْ لم اشأ ذلك لانه حَقَّ

من ذلك يليق بجنابي لايجمل بساحتي فالاجمل انكارهم فقال مقسما لأملأن جهنم اى
التى هى محل اهانتى من الجنة اى الجن طائفة ابليس وكانه تعالى اشار بتقديمهم تحقيرا لهم عند من يستعظم
امرهم وبدأ بهم لاستعظامهم لهم ولانهم الذين اضلوهم والناس اجمعين
حيث قلت لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فلذلك شئت كفر
الكافر وعصيان العاصى بعد ان جعلت لهم اختيارا وغيبت العاقبة عنهم فصار الكسب سببا
اليهم ظاهرا والخلق فى الحقيقة والمشيئة لى وحدى السبب عن هذا القول الصادق انه لا محيص
لهم عن عذابهم قال لهم الخزنة اذا دخلوا جهنم فذوقوا العذاب بما اى بسبب ما
نسيتم لقاء يومكم هذا وحققه وبين ذلك بقوله تعالى هذا اى بترككم الايمان به
انا نسيناكم اى عاملناكم بما لنا من العظمة ولكم من الحقارة معاملة الناسى الذى تركه فى النار
وذوقوا عذاب الخلد اى المختص بانه لا اخر له بما اى بسبب ما كنتم تعملون اى
من الكفر والتكذيب وانكار البعث ولما ذكر تعالى علامة اهل الكفران ذكر علامة
اهل الايمان بقوله تعالى انما يؤمن باياتنا اى الدالة على عظمتنا الذين اذا ذكروا بها
اى من اى مذكر كان فى اى وقت كان خروا سجدا اى بادروا الى السجود مبادرة من
كأنه سقط من غير قصد خضوعا لله من شدة تواضعهم وخشيتهم واخباتهم خضوعا ثابتا
دائما وسبحوا اى اوقعوا التسبيح به عن كل شائبة نقص متلبسين بحمد ربهم اى قالوا
سبحان الله وبحمده وقيل صلوا بامر ربهم ولما تضمن هذا تواضعهم صرح به فى قوله تعالى
وهم لا يستكبرون اى عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصير مستكبرا وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التى فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد بعضنا مكانا لموضع
جبهته فى غير وقت الصلوة وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ
ابن ادم السجدة فسجد اعتزل ابليس يبكى يقول يا ويلتى امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة
وامرت بالسجود فابيت فلى النار وهذه من عزائم سجود القرآن فتسن للقارئ والمستمع والسامع
ولما كان التواضع وبما ينسب الى الكسل نفى ذلك عنهم مبينا لما تضمنته الاية
السالفة من خوفهم بقوله تعالى تتجافى اى ترتفع وتنبو جنوبهم عن المضاجع عبر به عن ترك النوم
قال ابن رواحة يبيت يجافى جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع
والمضاجع جمع مضجع وهو الموضع الذى يضطجع عليه يعنى الفراش وهم المتهجدون الذين يقيمون
الصلوة قال انس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلى المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلى
العشاء مع النبى صلى الله عليه وسلم وعن انس ايضا قال نزلت فى اناس من اصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم كانوا يصلون صلوة المغرب الى صلوة العشاء وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا
[illegible] فى جماعة [illegible]

كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة وعن انس كنا نجتنب الفرش قبل صلوة
العشاء وعنه ايضا قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم راقدا قط قبل العشاء ولا متحدثا بعدها
فان هذه الآية نزلت في ذلك وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الذين لا ينامون
قبل العشاء فاثنى عليهم فلما ذكر ذلك جعل الرجل يعتزل فراشه مخافة ان تغلبه عينه فوقه قبل ان
ينام الصغير ويكسل الكبير وعن مالك بن دينار قال سألت انسا عن هذه الآية فقال كان قوم من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الاولين يصلون المغرب ويصلون بعدها
الى العشاء الآخرة فنزلت هذه الآية فيهم وعن ابن ابي حاتم قال هي ما بين المغرب والعشاء صلوة الاوابين
وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام العبد
من الليل وعن معاذ بن جبل ايضا قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما قريبا
منه وهو يسير فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت
عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة و
تصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلوة
الرجل من جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال الا اخبرك برأس
الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله فقلت بلى يا نبي الله فاخذ
بلسانه فقال كف عنك هذا فقلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك
يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد السنتهم وعن كعب قال اذا حشر الناس
نادى مناد هذا يوم الفصل اين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع اين الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم ثم يخرج عنق من نار فيقول امرت بثلاث بمن جعل مع الله الها آخر وبكل
جبار عنيد وبكل معتد لانا اعرف بالرجل من الوالد بولده والمولود بوالده ويؤمر بفقراء المسلمين
الى الجنة فيحبسون فيقولون تحبسونا ما كان لنا اموال وما كنا امراء وعن ابي امامة الباهلي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير للسيئات
ومنهاة عن الآثام ومطردة للداء وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عجب
ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه بين حبه واهله الى صلوته رغبة فيما عندي وشفقا مما
عندي ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع اصحابه فعلم ما عليه من الانهزام وما عليه في الرجوع فرجع
حتى هريق دمه وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تتفطر
قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا
شكورا وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها
من ظاهرها اعدها الله لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام واخرج
البيهقي في شعب الايمان عن ربيعة الجرشي قال يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد

فيكونون ما شاء الله ان يكونوا ثم ينادي مناد سيعلم اهل الجمع لمن يكون العز اليوم والكرم ليقم الذين
تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا فيقومون وفيهم قلة ثم يلبث ما شاء الله
ان يلبث ثم يعود فينادي المنادي سيعلم اهل الجمع لمن العز اليوم والكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله فيقومون وهم اكثر من الاولين ثم يلبث ما شاء الله ان يلبث ثم يعود فينادي سيعلم اهل الجمع لمن العز
اليوم والكرم ليقم الحامدون على كل حال فيقومون وهم اكثر من الاولين واخرج ابن جرير
عن ابن عباس تتجافى جنوبهم عن المضاجع يقول تتجافى لذكر الله اما في الصلوة واما في قيام او قعود
او على جنوبهم لا يزالون يذكرون الله + ولما كان هجران المضجع قد يكون لغير العبادة بين انه
لها بقوله تعالى مبينا لحالهم يَدْعُوْنَ اي داعين رَبَّهُمْ الذي عودهم باحسانه ثم علله
بقوله تعالى خَوْفًا اي من سخطه وعقابه فان اسباب الخوف من نقائصهم كثيرة سواء اعرفوا سببا يوجب
خوفا او لا لانهم لا يأمنون مكر الله لانه يفعل ما يشاء وَطَمَعًا في رضاه الموجب لثوابه وقال ابن عباس
خوفا من النار وطمعا في الجنة وعبر به دون الرجاء اشارة الى انهم لشدة معرفتهم بنقائصهم لا يعدون
اعمالهم شيئا بل يطلبون فضله بغير سبب وان كانوا مجتهدين في طاعته + ولما كانت العبادة
تقطع غالبا عن التوسع في الدنيا ربما دعت نفس العابد الى التمسك بما في يده خوفا من نقص
العبادة عند الحاجة وصفهم الله تعالى وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ اي بعظمتنا لا بحول منهم ولا قوة يُنْفِقُوْنَ
من غير اسراف ولا اقتار في جميع وجوه القرب التي شرعناها لهم فلا يبخلون بما عندهم اعتمادا
على الخلاق الرزاق الذي ضمن الخلق فهم بما ضمن لهم اوثق منهم بما عندهم + ولما ذكر تعالى
جزاء المتكبرين ذكر جزاء المتواضعين بقوله عز من قائل فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ اي من جميع النفوس مقربة
ولا غيرها مَا اُخْفِيَ اي خبئ لَهُمْ اي لهؤلاء المذكورين من مخازن الغيوب فخزنها كما كانوا يخفون
اعمالهم في الصلوة في جوف الليل وبالصدقة وبغير ذلك وقرأ حمزة بسكون الياء والباقون بالفتح
+ ولما كانت العين لا تقر فتهجع الا عند الامن والسرور قال تعالى مِنْ قُرَّةِ اَعْيُنٍ اي من شيء
نفيس تقر به اعينهم لاجل ما اقلقها عن قرارها بالنوم ثم صرح بما افهمته فاء السبب بقوله تعالى جَزَاءً
اي اخفاها لهم لجزائهم بِمَا اي بسبب مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ اي من الطاعات في دار الدنيا روى
البخاري في التفسير عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال ابو هريرة اقرؤا ان شئتم
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم الاية وعن ابن مسعود قال انه لمكتوب في التورية لقد اعد الله تعالى للذين
تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على قلب بشر ولا يعلمه ملك مقرب
ولا نبي مرسل وانه لفي القران فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن ابن عمر قال ان الرجل
من اهل الجنة ليجيئ فتشرف عليه النساء فيقلن يا فلان بن فلان ما انت بمن خرجت من عندنا باولى
بك منا فيقول ومن انتن فيقلن نحن من اللاتي قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين

جزاء بما كانوا يعملون وعن عامر بن عبد الواحد قال بلغنى ان الرجل من اهل الجنة يمكث فى مكان سبعين سنة ثم يلتفت فاذا هو بامرأة احسن مما كان فيه فتقول له قد ان لك ان يكون لنا منك نصيب فيقول من انت فتقول انا مزيد فيمكث معها سبعين سنة ويلتفت فاذا هو بامرأة احسن مما كان فيه فتقول قد ان لك ان يكون لنا منك نصيب فيقول من انت فتقول انا التى قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وعن سعيد بن جبير قال يدخلون عليهم على مقدار كل يوم من ايام الدنيا ثلاث مرات معهم التحف من الله من جنات عدن ما ليس فى جناتهم وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وعن كعب قال سأصف لكم منزل رجل من اهل الجنة كان يطلب حلالا ويأكل حلالا حتى لقى الله تعالى على ذلك فانه يعطى يوم القيامة قصرا من لؤلؤة واحدة ليس فيها صدع ولا وصل فيها سبعون الف غرفة واسفل الغرف سبعون الف بيت كل بيت سقفه صفائح الذهب والفضة ليس بموصول ولولا ان الله تعالى سخر له النظر لذهب بصره من نوره غلظ الحائط خمسة عشر ميلا وطوله فى السماء سبعون ميلا فى كل بيت سبعون الف باب يدخل عليه فى كل بيت من كل باب سبعون الف خادم لا يراهم من فى هذا البيت ولا يراهم من فى هذا البيت فاذا خرج من قصره سار فى ملكه مثل عمر الدنيا يسير فى ملكه عن يمينه وعن يساره ومن ورائه وازواجه معه وليس معه ذكر غيره ومن بين يديه ملائكة قد سخروا له وبين ازواجه ستر وبين يديه ستر ووصائف ووصائف قد الهموا ما يشتهى وما تشتهى ازواجه ولا يموت هو ولا ازواجه ولا خدامه ابدا نعيمهم يزداد كل يوم من غير ان يبلى الاول وقرة عين لا تنقطع ابدا لا يدخل عليه فيه روعة ابدا وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لو ان لاحد اهل الجنة رجل اضاف ادم فمن دونه فوضع لهم طعاما وشرابا حتى خرجوا من عنده لا ينقصه ذلك شيئا مما اعطاه الله وعن سهل بن سعد قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصف الجنة حتى انتهى ثم قال فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال تتجافى جنوبهم عن المضاجع الايتين قال القرطبى انهم اخفوا عملا واخفى لهم ثوابا فقدموا على الله فقرت تلك الاعين وعن ابى اليمان قال الجنة مائة درجة اولها درجة فضة وارضها فضة ومساكنها فضة وانيتها فضة وترابها المسك والثانية ذهب وارضها ذهب ومساكنها ذهب وانيتها ذهب وترابها المسك والثالثة لؤلؤ وارضها لؤلؤ وانيتها لؤلؤ وترابها المسك وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتلا هذه الاية فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين الاية وعن المغيرة بن شعبة يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام سأل ربه فقال اى رب اى اهل الجنة ادنى منزلة فقال رجل يجئ بعد ما دخل اهل الجنة الجنة فيقال له ادخل فيقول كيف ادخل وقد نزلوا منازلهم واخذوا اخذاتهم فيقال له اترضى ان يكون لك مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا فيقول نعم اى رب قد رضيت فيقال له فان لك هذا وعشرة امثاله معه فيقول قد رضيت اى رب فيقال له فان لك هذا وما اشتهت نفسك ولذت عينك فقال موسى

اى رب فاى اهل الجنة ارفع منزلة قال اياها اردت وسأحدثك عنهم انى غرست كرامتهم بيدى
وختمت عليها فلا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال ومصداق ذلك فى كتاب الله
فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين + ونزل فى على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه والوليد بن عقبة بن
ابى معيط اخى عثمان لامه حين تنازعا فقال الوليد بن عقبة لعلى اسكت فانك صبى وانا شيخ وانا والله ابسط
منك لسانا واحد منك سنانا واشجع جنانا واملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال له على اسكت فانك فاسق
أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا اى راسخا فى التصديق بجميع ما اخبرت به الرسل كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا اى راسخا فى الفسق
خارجا عن دائرة الاذعان وقال تعالى لَا يَسْتَوُونَ ولم يقل تعالى لا يستويان لانه لم يرد مومنا واحدا
ولا فاسقا واحدا بل اراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين فلا يستوى جمع من هؤلاء بجمع من اولئك
ولا فرد بفرد قال قتادة لا يستوون لا فى الدنيا ولا عند الموت ولا فى الآخرة + ولما نفى استواءهم
اتبعه حال كل على سبيل التفصيل وبدأ بحال المؤمن بقوله تعالى أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا تصديقا
لايمانهم الصَّالِحَاتِ اى الطاعات فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى اى التى ياوى اليها المؤمنون فانها المأوى
الحقيقى والدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وهى نوع من الجنات قال الله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى
عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روى عن ابن عباس قال تاوى
اليها ارواح الشهداء وقيل هى عن يمين العرش نُزُلًا اى اعدادا لهم اول قدومهم قال البقاعى
كما يهيأ للضيف على ما لا اخر اى عند قدومه بِمَا اى بسبب ما كَانُوا يَعْمَلُونَ
من الطاعات فان اعمالهم من رحمة ربهم واذا كانت هذه الجنات نزلا فما ظنك بما بعد ذلك هو
لعمرى ما اشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهم كل لحظة
فى زيادة لان قدرة الله تعالى لا نهاية لها فاياك ان تخادع او يغرنك ملحد + ثم ثنى بحال الكافر بقوله تعالى
وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا اى خرجوا عن دائرة الايمان الذى هو معدن التواضع واهل للمصاحبة والملازمة
فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ اى التى لا صلاحية فيها للايواء بوجه من الوجوه ملجؤهم ومنزلهم اى فالنار لهم
مكان جنة المأوى للمؤمنين كُلَّمَا أَرَادُوا اى وهم مجتمعون فكيف اذا اراد بعضهم أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا بان
يخيل اليهم ما يظنون به القدرة على الخروج منها كما كانوا يخرجون نفوسهم من محيط الادلة ومن
دائرة الطاعات الى ميدان المعاصى والزلات فيعالجون الخروج فاذا ظنوا انه تيسر لهم وهم بعد
فى غمراتها أُعِيدُوا فِيهَا فهو عبارة عن خلودهم فيها وَقِيلَ لَهُمْ اى من اى قائل وكل بهم ذُوقُوا
عَذَابَ النَّارِ اهانة لهم وزيادة فى تغيظهم وقوله تعالى الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ صفة لعذاب وجوز
ابو البقاء ان يكون صفة للنار قال وذكر على معنى الجحيم والحريق + ولما كان للمؤمنين الآن يتمنون
اصابتهم بشئ من الهوان قال تعالى وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى اى عذاب الدنيا قال الحسن
هو مصائب الدنيا واسقامها وقال عكرمة الجوع بمكة سبع سنين اكلوا فيها الجيف والعظام
والكلاب وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ وهو عذاب

الآخرة فان عذاب الدنيا لا نسبة له الى عذاب الآخرة فان قيل ما الحكمة فى مقابلة الادنى بالاكبر والادنى انما هو فى مقابلة الاقصى والاكبر انما هو فى مقابلة الاصغر اجيب بانه حصل فى عذاب الدنيا امران احدهما انه قريب والآخر انه قليل صغير وحصل فى عذاب الآخرة ايضا امران احدهما انه بعيد والآخر انه عظيم كبير لكن الغرض فى عذاب الدنيا هو انه الذى يصلح للتخويف فان العذاب العاجل وان كان قليلا قد يحترز عنه بعض الناس اكثر مما يحترز من العذاب الشديد اذا كان آجلا وكذا الثواب العاجل قد يرغب فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الآجل واما فى عذاب الآخرة فالذى يصلح للتخويف به هو العظيم والكبير لا البعيد لما ذكر فقال فى عذاب الدنيا العذاب الادنى ليحترز العاقل ولو قال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الاصغر ما كان يحترز عنه لصغره وعدم فهم كونه عاجلا وقال فى عذاب الآخرة الاكبر لذلك المعنى ولو قال من العذاب الابعد الاقصى لما حصل التخويف به مثل ما يحصل بوصفه من الكبر لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ الى الايمان اى من بقى منهم بعد بدر فان قيل ما الحكمة فى هذا الترجى وهو على الله تعالى محال اجيب بوجهين احدهما معناه لنذيقنهم اذاقة الراجى كقوله تعالى انا نسيناكم يعنى تركناكم كما يترك الناسى حيث لا يلتفت اليه اصلا كذلك ههنا والثانى نذيقهم العذاب اذاقة يقول القائل لعلهم يرجعون بسببه وَمَنْ اى لا احد اَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ اى القرآن ثُمَّ اَعْرَضَ عَنْهَا فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما فى بيت الحماسة وما يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها * اى لا يكشف الامر العظيم الا رجل كريم موصوف بما ذكر والغماء بتشديد الميم والمد اى فى مدة اقتحام الحرب والشاهد فى قوله ثم يزورها فالمعنى انه استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها اِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ اى الكافرين مُنْتَقِمُونَ ع
وعبر بصيغة العظمة تنبيها على ان الذى يحصل لهم من العذاب لا يدخل تحت الوصف على مجرد العد فى الظالمين فكيف اذا كانوا اظلم الظالمين والجملة الاسمية تدل على دوام ذلك عليهم فى الدنيا اما باطنا بالاستدراج بالنعم واما ظاهرا باحلال النقم وفى الآخرة بدوام العذاب على مر الآباد ولما قرر الاصول الثلاثة وعاد الى الاصل الذى بدأ به وهو الرسالة المذكورة فى قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير بين انه ليس بدعا من الرسل بقوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ اى الجامع للاحكام وهو التوراة فكان قبلك رسل مثلك وذكر موسى عليه السلام لقربه من النبى صلى الله عليه وسلم وهو اول من انزل عليه كتاب من انبياء بنى اسرائيل بعد فترة كثيرة من الانبياء بينه وبين يوسف عليهما السلام ولم يختر عيسى عليه السلام للذكر والاستدلال لان اليهود ما كانوا يتفقون على نبوته واما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة موسى عليه السلام فذكر المجمع عليه فَلَا تَكُنْ فِى مِرْيَةٍ واختلف فى الهاء فى قوله تعالى مِنْ لِقَائِهِ على

اقوال احدها انها عائدة على موسى عليه السلام والمصدر مضاف لمفعوله اى من لقائك موسى ليلة الاسراء وامتحن المبرد الزجاج فى هذه المسئلة فاجاب بما ذكر قال ابن عباس عن النبى صلى الله فلا تكن فى شك من لقاء موسى فانك تراه وتلقاه روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت ليلة اسرى بى موسى رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوأة ورأيت عيسى رجلا مربوعا الى الحمرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكا خازن النار والدجال فى آيات اراهن الله اياه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت على موسى ليلة اسرى بى عند الكثيب الاحمر وهو يصلى فى قبره فان قيل قد صح فى حديث المعراج انه رآه فى السماء السادسة ومراجعته فى امر الصلوة فكيف الجمع بين هذين الحديثين اجيب بانه يحتمل ان تكون رؤيته فى قبره عند الكثيب الاحمر قبل صعوده الى السماء وذلك فى طريقه الى بيت المقدس فلما صعد الى السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريده الله تعالى وهو على كل شئ قدير فان قيل كيف تصح منه الصلوة فى قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو فى الدار الآخرة وهى ليست دار عمل وكذلك قد رأى النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبياء وهم يحجون اجيب عن ذلك باجوبة الاول ان الانبياء افضل من الشهداء والشهداء احياء عند ربهم فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا كما صح فى الحديث وان يتقربوا الى الله تعالى بما استطاعوا لانهم وان كانوا قد توفوا لكنهم بمنزلة الاحياء فى هذه الدار التى هى دار العمل الى ان تفنى ويفضوا الى دار الجزاء التى هى الجنة الجواب الثانى انه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم التى كانوا عليها فى حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وصلوتهم الجواب الثالث ان التكليف وان ارتفع عنهم فى الآخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس فالعبد يعبد ربه تعالى فى الجنة اكثر مما كان يعبده فى دار الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار مثل حال الملائكة الذين قال الله تعالى فى حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما فى الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هى مقتضى الطبع ثانيها ان الضمير يعود الى الكتاب وحينئذ يجوز ان تكون الاضافة للفاعل اى من لقاء الكتاب لموسى او المفعول اى من لقاء موسى الكتاب لان اللقاء تصح نسبته الى كل منهما لان من لقيك فقد لقيته قال السدى المعنى فلا تكن فى مرية من لقائه اى تلقى موسى كتاب الله تعالى بالرضا والقبول ثالثها ان يعود على الكتاب على حذف مضاف اى من لقاء مثل كتاب موسى رابعها انه عائد على ملك الموت عليه السلام لتقدم ذكره خامسها عوده على الرجوع المفهوم من قوله الى ربكم ترجعون اى لا تكن فى مرية من لقاء الرجوع سادسها انه يعود على ما يفهم من سياق الكلام مما ابتلى به موسى من الابتلاء والامتحان قال الحسن اى لا بد ان تلقى ما لقى موسى من قومه واختار موسى عليه السلام لحكمة وهى ان احدا من الانبياء لم يؤذه من قومه الا الذين لا يؤمنون واما الذين آمنوا به فلم يخالفوه غير قوم موسى عليه السلام فان من لم يؤمن به آذاه كفرعون ومن آمن به من

بنى اسرائيل اذاه ايضا بالمخالفة فطلبوا اشياء مثل رؤية الله جهرة وكقولهم اذهب انت وربك فقاتلا
واظهر هذه الاقوال ان الضمير اما لموسى واما للكتاب واختلف فى الضمير ايضا فى قوله تعالى وَجَعَلْنَاهُ على
قولين احدهما يرجع الى موسى اى وجعلنا موسى هُدًى اى هاديا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ كما جعلناك هاديا
لامتك والثانى انه يرجع الى الكتاب اى وجعلنا كتاب موسى هاديا كما جعلنا كتابك كذلك
وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ اى من انبيائهم واحبارهم أَئِمَّةً يَهْدُونَ اى يرفعون البيان ويعملون على حسبه
بِأَمْرِنَا اى بما انزلنا فيه من الاوامر كذلك جعلنا من امتك صحابة يهدون كما قال النبى صلى الله عليه
وسلم اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة
قبل الميم ولهم ايضا ابدالها ياء وحققها الباقون ومد هشام بين الهمزتين بخلاف عنه وقوله تعالى
لَمَّا صَبَرُوا قرأ حمزة والكسائى بكسر اللام وتخفيف الميم اى بسبب صبرهم على دينهم وعلى البلاء
من عدوهم ولاجله وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم اى حين صبرهم على ذلك وان كان
الصبر ايضا انما هو بتوفيق الله تعالى وَكَانُوا بِآيَاتِنَا الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا لما لها من العظمة
يُوقِنُونَ اى لا يرتابون فى شئ منها ولا يعملون فعل الشاك فيها بالاعراض ولما افهم قوله تعالى
منهم انه كان منهم من يضل عن امر الله قال الله تعالى إِنَّ رَبَّكَ اى المحسن اليك بارسالك
ليعظم ثوابك هُوَ اى وحده يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ اى بين الهادين والمهديين والضالين والمضلين
يَوْمَ الْقِيَامَةِ بالقضاء الحق فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اى من امر الدين لا يخفى عليه شئ منه واما
غير ما اختلفوا فيه فللحكم فيه لهم او عليهم وما اختلفوا فيه لا على وجه القصد فيقع فى محل العفو ولما
اعاد ذكر الرسالة اعاد ذكر التوحيد بقوله تعالى أَوَلَمْ يَهْدِ اى يبين كما رواه البخارى عن
ابن عباس لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا اى كثرة من اهلكنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ الماضين
من المعرضين عن الآيات ونجينا من آمن بها وقوله تعالى يَمْشُونَ حال من ضمير لهم فِي مَسَاكِنِهِمْ
اى فى اسفارهم الى الشام وغيرها لمساكن عاد وثمود وقوم لوط فيعتبروا وَإِنَّ فِي ذَلِكَ اى الامر
العظيم لَآيَاتٍ اى دلالات على قدرتنا أَفَلَا يَسْمَعُونَ سماع تدبر واتعاظ فيتعظوا بها أَوَلَمْ او ايقولون
فى انكار البعث ائذا ضللنا فى الارض ولم يَرَوْا أَنَّا بما لنا من العظمة نَسُوقُ الْمَاءَ اى من السماء
او الارض إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ اى التى جرز نباتها اى قطع باليبس والتهشم او بايدى الناس فصارت
ملساء لا نبات فيها وفى البخارى عن ابن عباس انها التى لا تمطر الا مطرا لا يغنى عنها شيئا ولا يقال
التى لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله تعالى فَنُخْرِجُ بِهِ من اعماق الارض بذلك الماء زَرْعًا
اى نبتا لا ساق له باختلاط الماء بالتراب وقيل الجرز اسم موضع باليمن تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ اى من
حبه وورقه وتبنه وحشيشه وَأَنْفُسُهُمْ اى من الحبوب والاقوات وقدم الانعام لوقوع الامتنان بها
لان بها قوامهم فى معايشهم وابدانهم ولان الزرع غذاء الدواب لا بد منه واما غذاء الانسان
فقد يصلح للحيوان فكان الحيوان يأكل الزرع ثم الانسان يأكل من الحيوان فان قيل

فی سورة عبس قدّمه للانسان اولاً فما الحکمة اجیب بانّ السیاق فیها لطعام الانسان الذی هو نهایة الزرع حیث قال فلینظر الانسان الی طعامه ثم قال فانبتنا فیها حبا وذکر من طعامه من العنب وغیره مالا یصلح للانعام فقدّمه وهذا السیاق لمطلق اخراج الزرع واول صلاحه انما هو لاکل الانعام ولا یصلح للانسان، ولما کانت هذه الاية مبصرة قال اَفَلَا يُبْصِرُوْنَ هذا فیعلموا انا نقدر علی اعادتهم بخلاف الاية الماضیة فانها کانت مسموعة فقال افلا یسمعون، ثم لما بین الرسالة والتوحید بین الحشر بقوله تعالی وَيَقُوْلُوْنَ ای مع هذا البیان الذی لیس معه خفاء مَتٰى هٰذَا الْفَتْحُ ای یوم القیمة وهو یوم الفصل بین المؤمنین واعدائهم ویوم نصرهم علیهم وقیل هو یوم بدر وعن مجاهد والحسن یوم فتح مکة اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ای عریقین فی الصدق بالاخبار بانه لابدّ من وقوعه حتی نؤمن اذا رأیناه قال الله تعالی لنبیه صلی الله علیه وسلم قُلْ ای لهؤلاء الجهلة يَوْمَ الْفَتْحِ ای الذی تستهزؤن به وهو یوم القیامة لَا يَنْفَعُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا ای غطوا اٰیات ربهم التی لاخفاء بها سواء فی ذلک انتم وغیرکم ممن اتصف بهذا الوصف اِيْمَانُهُمْ لانه لیس ایمانا بالغیب وَلَا هُمْ يُنْظَرُوْنَ ای یمهلون فی ایقاع العذاب بهم لحظة ما من منتظر ما فان قیل قد سألوا عن وقت الفتح فکیف ینطبق هذا الکلام جوابا عن سؤالهم اجیب بانه کان غرضهم فی السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم علی وجه التکذیب والاستهزاء فاجیبوا علی حسب ما علم من غرضهم فی سؤالهم فقیل لهم لاتستعجلوا به ولا تستهزؤا فکانی بکم وقد حصلتم فی ذلک الیوم وامنتم فلم ینفعکم الایمان واستنظرتم فی ادراک العذاب فلم تنظروا فان قیل فمن فسره بیوم الفتح او بیوم بدر کیف یستقیم علی تفسیره ان لاینفعهم الایمان وقد نفع الطلقاء یوم فتح مکة وناسا یوم بدر اجیب بانّ المراد انّ المقتولین منهم لاینفعهم ایمانهم فی حال القتل کما لم ینفع فرعون ایمانه حال ادراک الغرق وقوله تعالی فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ ای لاتبال بتکذیبهم وَانْتَظِرْ ای انزال العذاب بهم اِنَّهُمْ مُّنْتَظِرُوْنَ ای بک حادث موت او قتل فیستریحون منک کان ذلک قبل الامر بقتالهم وقیل انتظر عذابهم بیقینک انهم منتظرون بلفظهم استهزاء کما قالوا فاتنا بما تعدنا وعن ابی هریرة قال کان رسول الله صلی الله علیه وسلم یقرأ فی الفجر الجمعة الم تنزیل ای فی الرکعة الاولی وهل اتی علی الانسان ای فی الرکعة الثانیة وعن جابر قال کان النبی صلی الله علیه وسلم لاینام حتی یقرأ تبارک والم تنزیل ویقول هما یفضلان علی کل سورة فی القراٰن بسبعین حسنة ومن قرأهما کتب له سبعون حسنة ورفع له سبعون درجة وعن ابی بن کعب ان النبی صلی الله علیه وسلم قال من قرأ سورة الم تنزیل اعطی من الاجر کمن احیا لیلة القدر وقول البیضاوی تبعا للزمخشری عنه صلی الله علیه وسلم من قرأ الم تنزیل فی بیته لم یدخل الشیطان بیته ثلاثة ایام قال شیخ شیخنا ابن حجر لم اجده والله تعالی اعلم بالصواب

ثلثة ارباع

ع

سورة الاحزاب مدنية

وهي ثلاث وسبعون اية والف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وتسعمائة وتسعون حرفا وعن
ابي ذرّ قال قال ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قال ثلاثا وسبعين اية قال والذي يحلف
به ابي ابن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرأنا منها اية الرجم الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي انّ ذلك من جملة ما نسخ من القرآن
واما ماحكى انّ تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة والروافض
بسم الله الذي مهما اراد كان الرحمن الذي شملت رحمته كل موجود بالكرم والجود الرحيم
لمن توكل عليه بالعطف عليه ونزل في ابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن
سفيان السلمي لما قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن ابي رأس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم
النبيّ صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن
ابيرق فقالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة
وقل انّ لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي صلى الله عليه وسلم قولهم فقال عمر يا رسول
الله ائذن لي في قتلهم فقال اني قد اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه وامر النبيّ
صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال انّ اهل مكة منهم الوليد بن مغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبيّ صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن
قوله على ان يعطوه شطر اموالهم وخوّفه المنافقون من اليهود بالمدينة ان لم يرجع قتلوه فانزل الله تعالى
يا ايها النبي اتق الله اي دم على التقوى كما يقول الرجل لغيره وهو قائم قم قائما اي اثبت قائما فسقط بذلك
ما يقال الامر بالشيء لا يكون الا عند اشتغال المامور بغير المامور به اذ لا يصح ان يقال للجالس اجلس
وللساكت اسكت والنبيّ صلى الله عليه وسلم كان متقيا لان الامر بالمداومة يصح في ذلك فيقال
للجالس اجلس هنا حتى اتيك ويقال للساكت قد احسنت فاسكت تسلم اي دم على ما انت عليه
وايضا من جهة العقل انّ الملك يتقى منه عادة على ثلاثة اوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف
من قطع ثوابه وثالث يخاف من احتجابه فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالتقوى بالاول ولا
بالثاني واما الثالث فالمخلص لا يأمنه ما دام في الدنيا فكيف والامور الدنيوية شاغلة فالآدمي
في الدنيا تارة مع الله واخرى مقبل على ما لا بدّ منه وان كان معه الله ولهذا اشار بقوله عليه
الصلوة والسلام انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ يعني يرفع الحجاب عني وقت الوحي ثم اعود اليكم
كاني منكم فامر بتقوى توجب ادامة الحضور وقال الضحاك معناه اتق الله ولا تنقض الذي بينك
وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد الامة تنبيه جعل الله تعالى نداءه نبيه
صلى الله عليه وسلم بالنبيّ والرسول في قوله تعالى يا ايها النبيّ اتق الله يا ايها النبيّ لم تحرم يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال تعالى يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة وتشريفا وتنويها
بفضله فان قيل ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله تعالى محمد رسول الله

وما خوطب الا رسول آخر بان ذلك لتعليم الناس انه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه
به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره
بنحو ما ذكر في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ولو كانوا يؤمنون بالله
والنبي ان الله وملائكته يصلون على النبي وقرأ نافع النبيء بالهمز والباقون بغير الهمز ولما وجه
اليه صلى الله عليه وسلم الامر بخشية الله لانه الودود اتبعه النهي عن الالتفات لغيره من العدو والحسود بقوله
تعالى وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ في شيء من الاشياء لم يتقدم اليك من الخالق فيه امر وان
لاح لاخ خوف او برق رجاء فجانبهم واحترس منهم فانهم اعداء الله تعالى واعداء المؤمنين
لا يريدون الا المضارة والمضادة قال ابو حيان سبب نزولها انه روي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
كان يحب اسلام اليهود فتابعه ناس على النفاق وكان يلين لهم جانبه وكانوا يظهرون النصائح من
طريق المخادعة فنزلت تحذيرا له منهم وتنبيها على عداوتهم انتهى وبهذا سقط ما قيل لم خص الكافر في
والمنافق بالذكر ولان ذكر غيرهما لا حاجة اليه لانه لا يكون عنده الا مطاعا ولان كل من طلب من النبي
صلى الله عليه وسلم طاعته فهو كافر او منافق لان من يامر النبي صلى الله عليه وسلم بامر ايجاب معتقدا
انه ان لم يفعله يعاقبه بحق يكون كافرا وقرأ ابو عمرو والبزي ورش عن الكسائي الكافرين بالامالة المحضة
وورش بين بين والباقون بالفتح ثم علل تعالى الامر والنهي بما يزيل الهموم ويوجب الاقبال عليهما
واللزوم بقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ اي بعظيم كماله كَانَ ازلا وابدا عَلِيمًا اي شامل العلم حَكِيمًا اي بالغ الحكمة
فهو تعالى لم يامرك بامر الا وقد علم ما يترتب عليه واحكم اصلاح الحال فيه ولما كان ذلك مفهما
للمخالفة كل ما يدعوا اليه كافر وكان الكافر ربما دعا الى شيء من مكارم الاخلاق قيده بقوله تعالى
وَاتَّبِعْ اي بغاية جهدك مَا يُوحَى اي يلقى القاء خفيا كما يفعل المحب مع حبيبه إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
اي المحسن اليك بصلاح جميع امرك واتى موضع الضمير بالظاهر ليدل على الاحسان في التربية
ليقوى على امتثال ما امرت به الآية السابقة ولما امره باتباع الوحي رغبه فيه بالتعليل باوضح
من التعليل الاول في ان مكرهم خفي بقوله تعالى مذكرا بالاسم الاعظم جميع ما يدل عليه من الاسماء
الحسنى زيادة في التقوى على الامتثال مؤكدا للترغيب إِنَّ اللَّهَ اي بعظمته وكماله كَانَ
ازلا وابدا بِمَا تَعْمَلُونَ اي الفريقان من المكائد وان دق خَبِيرًا اي فلا تهتم بشانهم فانه
كافيكه وان تعاظم وقرأ ابو عمرو بما يعملون خبيرا وبما يعملون بصيرا بالياء على الغيبة
على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين والباقون بالتاء على الخطاب فيهما ولما كان الادمي موضع
الحاجة قال تعالى وَتَوَكَّلْ اي دع الاعتماد على التدبير في امورك واعتمد فيها عَلَى اللَّهِ اي المحيط
علما وقدرة فانه يكفيك في جميع امورك وَكَفَى بِاللَّهِ اي الذي له الامر كله على الاطلاق وَكِيلًا
اي موكولا اليه الامور كلها فلا تلتفت في شيء من امرك الى غيره لانه ليس لك قلبان تصرف كل

واحد منهما الى واحد كما قال تعالى ﴿ما جعل الله﴾ اى الذى له الحكمة البالغة والعظمة الباهرة
﴿لرجل﴾ اى لاحد من بنى آدم ولا غيره فعبر بالرجل لانه اقوى جسما وفهما فيفهم غيره من باب
اولى واشار الى التاكيد بقوله تعالى ﴿من قلبين﴾ واكد الحقيقة وقررها وجلاها وصورها بقوله تعالى
﴿فى جوفه﴾ اى ما جمع الله تعالى قلبين فى جوف لان القلب معدن الروح الحيوانى المتعلق
للنفس الانسانى اولا ومنبع القوى باسرها ومدبر للبدن باذن الله تعالى وذلك يمنع التعدد
﴿وما جعل ازواجكم اللائى﴾ اى اباح لكم التمتع بهن ﴿تظهرون منهن﴾ كما يقول الانسان للواحدة منهن
انت على كظهر امى ﴿امهاتكم﴾ بما حرم عليكم من الاستمتاع بهن حتى تجعلوا ذلك على التأبيد وترتبوا
على ذلك احكام الامهات كلها ﴿وما جعل ادعياءكم﴾ جمع دعى وهو من يدعى لغير ابيه
﴿ابناءكم﴾ حقيقة ليجعل لهم ارثكم ويحرم عليكم حلائلهم وغير ذلك من احكام الابناء
والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كما لم ير فى حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلوان يفعل
باحدهما مثل ما يفعل بالآخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليها واما ان يفعل
بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدى الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا
شاكا فى حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون المرأة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة
مخفوض لها الجناح والمرأة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان
متنافيتان ولم ير ايضا ان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة فى النسب وعراقة
فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع فى الشئ الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل
وهذا مثل ضربه الله تعالى فى زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبى صغيرا وكانت العرب فى
جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها النبى صلى الله
عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ابوه هو يا زيد
اتختار العبودية على الربوبية قال ما انا بمفارق هذا الرجل فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرصه عليه اعتقه وتبناه قبل الوحى وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج امرأة ابنه وهو ينهى الناس
عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية وكذا قوله تعالى ﴿ما كان محمد ابا احد من رجالكم﴾ وروى ان
رجلا كان يسمى ابا معمر جميل بن معمر الفهرى وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ
ابو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لى قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد
فلما هزم الله تعالى المشركين يوم بدر انهزم ابو معمر فيهم فلقيه ابو سفيان وهو معلق احدى نعليه
بيده والاخرى فى رجله فقال له ما فعل الناس فقال له هم بين مقتول وهارب فقال له فما بال
احدى نعليك فى رجلك والاخرى فى يدك فقال ما شعرت الا انهما فى رجلى فاكذب الله تعالى قوله وقولهم
وضربه مثلا فى الظهار والتبنى وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم

الله تعالى وقيل سها في صلوته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن
نزلت في ان الواحد يقول لي نفسان نفس تأمرني ونفس تنهاني فان قيل ما وجه تعدية الظهار
واخواته بمن اجيب بان الظهار كان طلاقا في الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون
المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها جهة الظهار فلما تضمن معنى التباعد منها عدى بمن
فان قيل ما معنى قولهم انت علي كظهر امي اجيب بانهم ارادوا ان يقولوا انت علي حرام
كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج لانه عمود البطن
ومنه حديث عمر يجيء به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه اخر وهو ان اتيان
المرأة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المرأة
ووجهها الى الارض جاء الولد احول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها
بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله كظهر امه وهو منكر وزور وفيه كفارة كما سيأتي ان شاء الله تعالى
في سورة المجادلة وقرأ ابن عامر والكوفيون اللائي بالهمزة المكسورة والياء بعدها في الوصل و
سهل الياء كالهمزة ورش والبزي وابو عمرو مع المد والقصر وعن ابي عمرو والبزي ايضا ابدالها
ياء ساكنة مع المد لا غير وقالون وقنبل بالهمز ولا ياء بعدها وقرأ تظهرون عاصم بضم التاء وتخفيف
الظاء والف بعدها وكسر الهاء مخففة وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والظاء مخففتين والف بعد الظاء وفتح
الهاء مخففة وابن عامر كذلك الا انه يشدد الظاء والباقون بفتح التاء والظاء والهاء مع تشديد الظاء
والهاء ولا الف بعد الظاء وقوله تعالى ذٰلِكُمْ اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ
اي مجرد قول لسان من غير حقيقة كالهذيان وَاللّٰهُ اي المحيط علما وقدرة وله جميع صفات الكمال
يَقُوْلُ الْحَقَّ اي ماله حقيقة الثابت الذي يوافق ظاهره باطنه فلا قدرة لاحد على نقضه فان اخبر
عن شيء فهو كما قال وَهُوَ اي وحده يَهْدِي السَّبِيْلَ اي يرشد الى سبيل الحق ولما كان كانه قيل فما نقول
اهدنا الى سبيل الحق قال تعالى اُدْعُوْهُمْ اي الادعياء لِاٰبَآئِهِمْ اي الذين ولدوهم ان علموا ولذا قال
زيد بن حارثة قال صلى الله عليه وسلم من دعي الى غير ابيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام واخرجه
الشيخان عن سعد بن ابي وقاص ثم علل تعالى ذلك بقوله تعالى هُوَ اي هذا الدعاء اَقْسَطُ
اي اقرب الى العدل من التبني وان كان انما هو لتربية الشفقة على المتبنى والاحسان اليه عِنْدَ اللّٰهِ
اي الجامع لصفات الكمال وعن ابن عمر ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القران ادعوهم لاباءهم الاية وقيل كان الرجل في الجاهلية
اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب ذكر من اولاده من ميراثه وكان
ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان اما اذا جهلوا فهو ما ذكر بقوله تعالى فَاِنْ لَّمْ تَعْلَمُوْا اٰبَآءَهُمْ لجهل اصلي
او طارئ فَاِخْوَانُكُمْ اي فهم اخوانكم فِي الدِّيْنِ ان كانوا دخلوا في دينكم اي قولوا لهم اخوانا وَمَوَالِيْكُمْ
ان كانوا محررين اي قولوا موالي فلان وعن مقاتل ان لم تعلموا لهم ابا فانسبوهم

اخوانكم في الدين اي ان تقولوا عبد الله وعبد الرحمن وعبيد الله واشباههم من الاسماء وان يدعى
الى اسم مولاه وقيل مواليكم اولياؤكم في الدين * ولما كان عادتهم الخوف مما سبق من احوالهم
على النهي لشدة ورعهم اخبرهم انه تعالى اسقط عنهم ذلك لكونه خطأ وساقه على وجه يعم
ما بعد النهي ايضا بقوله تعالى وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اي اثم وميل واعوجاج وعبر بالظرف ليفيد ان
الخطأ لا اثم فيه بوجه ولو عبر بالباء لظن ان فيه اثما ولكن يعفى عنه فقال تعالى فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ اي
من الدعاء بالنبوة والمظاهرة او في شيء قبل النهي او بعده ودل قوله تعالى وَلَٰكِن مَّا اي الاثم فيما
تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ على زوال الحرج ايضا فيما وقع بعد النهي على سبيل النسيان او سبق اللسان ودل
تأنيث الفعل على انه لا يعتمد بعد البيان الشافي الا قلب فيه رخاوة الانوثة ودل جمع الكثرة على عموم
الاثم ان لم ينته المعتمد * تنبيه * يجوز في هذه وجهان احدهما ان تكون مجرورة المحل عطفا على
ما المجرورة قبلها بفي والتقدير ولكن الجناح فيما تعمدت كما مرت الاشارة اليه والثاني انها
مرفوعة المحل بالابتداء والخبر محذوف تقديره تؤاخذون به او عليكم فيه الجناح ونحوه ولما
كان هذا الكرم خاصا بما تقدم عمم سبحانه وتعالى بقوله وَكَانَ اللَّهُ ازلا وابدا غَفُورًا اي من صفته
الستر البليغ على المذنب التائب رَّحِيمًا به * ولما نهى تعالى عن التبني وكان النبي صلى الله عليه
وسلم قد تبنى زيد بن حارثة مولاه لما اختاره على ابيه وعمه كما مر علل تعالى النهي فيه بالخصوص
بقوله تعالى دالا على ان الامر اعظم من ذلك النَّبِيُّ اي الذي ينبئه الله تعالى بدقائق الاحوال في بدائع
الاقوال ويرفعه دائما في مراقي الكمال ولا يريد ان يشغله بولد ولا مال أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ
اي الراسخين في الايمان فغيرهم اولى في كل شيء من امور الدين والدنيا لما حازه من الحضرة الربانية
مِنْ أَنفُسِهِمْ فضلا عن ابائهم في نفوذ حكمه فيهم ووجوب طاعته عليهم روى ابو هريرة رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة اقرؤا ان
شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فاي مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا فان ترك
دينا او ضياعا فليأتني فانا مولاه وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يقول انا اولى بكل مؤمن من نفسه
فايما رجل مات وترك دينا فالي ومن ترك مالا فهو لورثته وعن ابي هريرة قال كان المؤمن اذا توفي في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل هل عليه دين فان قالوا نعم قال هل ترك وفاء لدينه فان قالوا نعم صلى عليه
وان قالوا لا قال صلوا على صاحبكم وانما لم يصل عليه صلى الله عليه وسلم اولا فيما اذا لم يترك وفاء لان شفاعته
صلى الله عليه وسلم لا ترد وقد ورد ان نفس المؤمن محبوسة عن مقامها الكريم ما لم يوف دينه وهو
محمول على من قصر في وفائه في حال حياته اما من لم يقصر لفقره مثلا فلا كما اوضحت ذلك في
شرح المنهاج في باب الرهن انما كان صلى الله عليه وسلم اولى بهم من انفسهم لانه لا يدعوهم الا الى العقل
والحكمة ولا يأمرهم الا بما ينجيهم وانفسهم انما تدعوهم الى الهوى والفتنة فتأمرهم بما يرديهم فهو
يتصرف فيهم تصرف الاباء بل اعظم بهذا السبب الرباني فاي حاجة الى السبب الجسماني

وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ اى المؤمنين اى مثلهن فى تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن وطاعتهن
اكراما له صلى الله عليه وسلم لا فى حكم الخلوة والنظر والظهار والمسافرة والنفقة والميراث وهو
صلى الله عليه وسلم اب للرجال والنساء واما قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم فمعناه
ليس احد من رجالكم ولد صلبه وسيأتى ذلك بتحريم سؤالهن الا من وراء حجاب وسيأتى ما يتعلق بذلك
ان شاء الله تعالى فى محله وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بغلام وهو يقرأ فى المصحف النبى
اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فقال يا غلام حكها فقال هذا مصحف ابى فذهب
اليه فسأله فقال انه كان يلهينى القرآن ويلهيك الصفق بالاسواق ومعنى ذلك ان هذا كان يقرأ
اولا ونسخ لما روى عن عكرمة انه قال كان فى الحرف الاول النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو
ابوهم وعن الحسن قال فى القراءة الاولى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقوله تعالى
وَأُولُو الْأَرْحَامِ اى القرابات بانواع النسب من النبوة وغيرها بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بحق القرابة بِبَعْضٍ اى
فى التوارث ثم نسخ لما كان فى صدر الاسلام فانهم كانوا فيه يتوارثون بالحلف والنصرة فيقول ذمتى
ذمتك ترثنى وارثك ثم نسخ بالاسلام والهجرة ثم نسخ باية المواريث وبالاية التى فى اخر الانفال واعادها
تاكيدا فان اية المواريث مقدمة ترتيبا ونزولا على اية الانفال على هذه وكذلك وقوله
تعالى فِي كِتَابِ اللَّهِ يحتمل ان ذلك فى اللوح المحفوظ او فيما انزل وهو هذه الايات
المذكورة او فيما فرض الله ولما بين انهم اولى بسبب القرابة بين المفضل عليه بقوله تعالى مِنَ
اى هم اولى بسبب القرابة من الْمُؤْمِنِينَ الانصار من غير قرابة مرجحة وَالْمُهَاجِرِينَ اى ومن المهاجرين
المؤمنين من غير قرابة كذلك وقوله تعالى إِلَّا أَن تَفْعَلُوا استثناء منقطع كما جرى عليه الجلال المحلى
اى لكن ان تفعلوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا بوصية فجائز ويجوز ان يكون استثناء من اعم العام كما
قاله الزمخشرى فى معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبى الا فى الوصية تريد
انه احق منه فى كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا فى الوصية والمراد بفعل
المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بالى لانه فى معنى تسدوا والمراد بالاولياء
المؤمنون والمهاجرون للولاية فى الدين كَانَ ذَٰلِكَ اى ما ذكر من آيتى ادعوهم والنبى اولى وقيل
[illegible] ما نسخ من الايات الارث بالايمان والهجرة ثابتا فِي الْكِتَابِ اى اللوح المحفوظ والقرآن مَسْطُورًا
قال الاصبهانى وقيل فى التوراة قال البقاعى لان فى التوراة اذا نزل رجل بقوم من اهل دينه فعليهم
ان يكرموه ويواسوه وميراثه لذوى قرابته فالاية من الاحتباك اثبت وصف الايمان اولا دليلا
على حذفه ثانيا والهجرة ثانيا دليلا على حذف النصرة اولا وَإِذْ اى واذكر حين أَخَذْنَا
بعظمتنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ اى عهودهم فى تبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم فى النشط والكره
وفى تصديق بعضهم لبعض وفى اتباعك فيما اخبرنا به فى قولنا لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وقولهم اقررنا ولما ذكر ما اخذ على جميع الانبياء من

العهد في ابلاغ ما يوحى اليهم والعمل بمقتضاه ذكر ما اخذ عليهم من العهد في التبليغ بقوله تعالى
﴿وَمِنْكَ﴾ اي في قولنا في هذه السورة اتق الله واتبع ما يوحى اليك وفي المائدة يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فلا تقم بمراعاة
عدو ولا خليل حقير ولا جليل ولما كان المراد اخذ الاوثق وخصه صلى الله عليه وسلم مع الباقين مبتدئا
به لقوله صلى الله عليه وسلم كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث بيانا لتشريفه لانه المقصود
بالذات ثم اتبعه بقية اولي العزم الذين هم اصحاب الكتب مشاهير ارباب الشرائع ورتبهم على ترتيبهم في الزمان
لانه لم يقصد المفاضلة بينهم بل التأسيس بالمتقدمين والمتأخرين فقال ﴿وَمِنْ نُوحٍ﴾ اول الرسل الى المخالفين
﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ ابي الانبياء ﴿وَمُوسَى﴾ اول اصحاب الكتب من بني اسرائيل ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ ختام انبياء
بني اسرائيل ونسبه الى امه منادياً على من ضل فيه بدعوى الالوهية وبالتوبيخ والتبجيل بالفضيحة
تنبيه : ذكر هذه الخمسة من عطف الخاص على العام كما علم مما تقرر وقوله تعالى ﴿وَأَخَذْنَا﴾
اي بما لنا من العظمة في ذلك ﴿مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ اي شديدا بالوفاء بما حملوه وهو الميثاق الاول وانما كرر
لزيادة وصفه بالغلظ وهو استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في بابه
وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا ثم اخذ الميثاق ﴿لِيَسْأَلَ﴾ اي الله تعالى
يوم القيامة ﴿الصَّادِقِينَ﴾ اي الانبياء الذين صدقوا عهدهم ﴿عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ اي عما قالوه لقومهم تبكيتا
للكافرين بهم وقيل ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت
كان صادقا في قوله وقيل ليسأل الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وقيل ليسأل الصادقين بافواههم
عن صدقهم بقلوبهم وقوله تعالى ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ اي مؤلما معطوف على اخذنا من
النبيين لان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين واعد للكافرين
عذابا اليما ويجوز ان يعطف على ما دل عليه ليسأل الصادقين كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين
وقيل انه قد حذف من الثاني ما اثبت مقابله في الاول ومن الاول ما اثبت مقابله في الثاني والتقدير
ليسأل الصادقين عن صدقهم فاثابهم ويسأل الكافرين عما كذبوا به رسلهم واعد لهم عذابا اليما
ثم حقق الله تعالى ما سبق لهم من الامر بتقوى الله تعالى بحيث لا يبقى معه خوف من احد بقوله تعالى
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا﴾ ورغبهم في الشكر بذكر الاحسان في التصريح بالاسم الاعظم بقوله تعالى ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾
اي الملك الاعلى الذي لا كفؤ له ﴿عَلَيْكُمْ﴾ اي لتشكروه عليها بالنفوذ لامره وعبر بالنعمة لانها المقصودة
بالذات والمراد النعمة يوم الاحزاب وهو يوم الخندق ثم ذكر وقت تلك النعمة زيادة في تصويرها
ليذكرهم ما كان فيه منها بقوله تعالى ﴿إِذْ﴾ اي حين ﴿جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ اي الاحزاب وهم قريش وغطفان
ويهود قريظة والنضير وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بالاظهار والباقون بالادغام
﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ اي تسبب عن ذلك انا لما رأينا عجزكم عن مقاومتهم ومقاومتهم ارسلنا ﴿عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ وهي ريح
الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقالت الشمال ان الحرة لاتسرى بالليل فكانت الريح التى ارسلت لهم الصبا لما روى
ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
لان الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون الا زال حزنه وَجُنُودًا اى وارسلنا جنودا من
الملائكة لَّمْ تَرَوْهَا وكانوا الفا ولم تقاتل يومئذ فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحا باردة فقلعت
الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفأت النيران واكفأت القدور وجالت الخيل بعضها
على بعض وكثر تكبير الملائكة فى جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حى يقول يا بنى
فلان هلم الى واذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهزموا من غير قتال لما بعث الله تعالى عليهم
من الرعب وَكَانَ اللّٰهُ اى الذى له جميع صفات الجلال والجمال بِمَا تَعْمَلُونَ اى الاحزاب
من التحزب والتجمع والمكر وغير ذلك بَصِيْرًا اى بالغ الابصار والعلم + تنبيه + قال
البخارى قال موسى بن عقبة كانت غزوة الخندق وهى الاحزاب فى شوال سنة اربع روى
محمد بن اسحق عن مشائخه قال دخل حديث بعضهم فى بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام
ابن ابى الحقيق وحيى بن اخطب وكنانة بن الربيع بن ابى الحقيق وهودة بن قيس وابو عمار
الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر يهود انكم اهل
الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير ام دينه قالوا دينكم خير من
دينه وانتم اولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله تعالى وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم
ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعوا على ذلك ثم
خرج اولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان فدعوهم الى ذلك واخبروهم انهم سيكونون
معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فاجابوهم فخرجت قريش وقائدهم ابو سفيان بن حرب
وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبما جمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذى اشار به على النبى صلى الله
عليه وسلم سلمان الفارسى رضى الله عنه وكان اول مشهد شهده سلمان رضى الله عنه مع النبى
صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا
فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى اكملوه واحكموه قال انس رضى الله عنه
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون فى غداة باردة ولم يكن لهم عبيد
يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال ٭ اللهم ان العيش عيش الاخرة +
فاغفر للانصار والمهاجرة + فقالوا مجيبين له ٭ نحن الذين بايعوا محمدا + على الجهاد ما بقينا ابدا +

قال البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه وهو يقول
والله لولا الله ما اهتدينا + ولا تصدقنا ولا صلينا + فانزلن سكينة علينا + وثبت الاقدام ان لاقينا +
ان الاولى قد بغوا علينا + اذا ارادوا فتنة ابينا + ويرفع بها صوته ابينا ابينا فلما فرغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الخندق واقبلت قريش في عشرة الاف من الاحابيش وبني كنانة
واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان حتى نزلت بمجمع الاسيال من رومة بين الجرف والغابة واقبلت
غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل من هوازن
وانضافت لهم اليهود من قريظة والنضير حتى نزلوا الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب هنالك
عسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا الى الآطام ومضى على الفريقين
قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة وكان بنو غطفان من اعلى الوادي
من قبل المشرق وقريش من اسفل الوادي من قبل المغرب كما قال تعالى ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ﴾ وهو
بدل من اذ جاءتكم ﴿مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ اي من اعلى الوادي ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ اي من اسفل الوادي ﴿وَإِذْ﴾
اي واذكر حين ﴿زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ اي مالت عن سداد القصد فعل الواله الجزع بما حصل لهم من الغفلة
الحاصلة من الرعب وقوله تعالى ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم كناية
عن شدة الرعب والخفقان قال البقاعي ويجوز وهو الاقرب ان يكون ذلك حقيقة بجذب
الطحال والرئة لها عند ذلك بانتفاخهما الى اعلى الصدر ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره اي رئته
فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرث
ابن عمرو وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله اشئ انزل الله
تعالى به لا بد لنا من عمل به ام امر تحبه فتصنعه ام شئ تصنعه لنا قال لا والله بل لكم والله ما اصنع ذلك
الا لاني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب فاردت ان اكسر عنكم
شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة
الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان ياكلوا منا تمرة الا قرى او بيعا فحين اكرمنا الله تعالى
بالاسلام واعزنا الله تعالى بك نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى
يحكم الله بيننا وبينهم فقال صلى الله عليه وسلم انت وذلك فتناول سعد رضي الله تعالى عنه
الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدوهم
محاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا فوارس من قريش عمرو بن عبد ود اخو بني عامر بن

الخطاب ومرداس اخو محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم ومروا على
بني كنانة فقالوا تهيأوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه
فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا
خيولهم فاقتحمت فيه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي رضي الله تعالى عنه
في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم واقبلت الفرسان تعنق نحوهم
وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج
معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال له علي يا عمرو انك كنت تعاهد الله تعالى لا يدعوك رجل
من قريش الى خصلتين الا اخذت منه احداهما قال اجل قال له علي فاني ادعوك الى الله تعالى والى رسوله صلى
الله عليه وسلم والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فاني ادعوك الى البراز قال ولم يا ابن اخي
فوالله ما احب ان اقتلك قال علي ولكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن
فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة
حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان اصابه سهم فمات بمكة ونوفل
ابن عبد الله المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتلة
احسن من هذه فنزل اليه علي رضي الله تعالى عنه فقتله فغلب المسلمون على جسده فسألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة
لنا في جسده وثمنه فشأنكم به فخلى بينهم وبينه ✱ ولما نشأ عن هذا تقلب القلوب وتجدد ذهابها
الافكار كل مذهب عبر بالمضارع الدال على دوام التجدد بقوله تعالى وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الذي له
صفات الكمال الظُّنُونَا اي انواع الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى منجز وعده في
اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وروي ان المسلمين قالوا بلغت القلوب الحناجر فهل من شيء
نقوله فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا واما الضعاف القلوب
والمنافقون فقالوا ما حكى الله عنهم فيما سيأتي وقرأ نافع وابن عامر الظنونا هنا والرسولا والسبيلا
في اخر السورة باثبات الالف في الثلاثة وقفا ووصلا وابو عمرو وحمزة بحذف الالف وقفا ووصلا قال الزمخشري
وهو القياس والباقون بالالف في الوقف دون الوصل زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية قال
اقلي اللوم عاذل والعتابا ✱ ورسم الثلاثة بالالف ✱ ولما كانت الشدة في الحقيقة انما هي للثابت
لانه ما عنده الا الهلاك او النصرة قال تعالى هُنَالِكَ اي في ذلك الوقت العظيم البعيد الرتبة ابْتُلِيَ
الْمُؤْمِنُونَ اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وَزُلْزِلُوا اي حركوا وازعجوا
ما يرون من الاهوال بتظافر الاعداء مع الكثرة وتظاهر الاراجيف زِلْزَالًا شَدِيدًا فثبتوا بتثبيت الله
تعالى لهم على عدوهم وعن صفية قالت مر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت
[illegible] فسمعنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم واصحابه في نحور عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذ اتانا آت قالت
فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن واني والله ما آمنه ان يدل على عوراتنا
من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله فقال
يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا قالت فلما قال ذلك لم ار عنده شيئا
احتجزت ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى
الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل قال ما لي بسلبه من حاجة
يا ابنة عبد المطلب واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر
عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن اسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فانما الحرب خدعة فخرج
نعيم بن مسعود حتى اتى قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم
وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤا لحرب محمد
وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به اموالكم واولادكم ونساؤكم
لا تقدرون على ان تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان اموالهم وابناؤهم
ونساؤهم بغيره ان رأوا نهزة وغنيمة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم
وبين الرجل والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا
من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا صلى الله عليه وسلم حتى تناجزوه
قالوا لقد اشرت برأي ونصح ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال
قريش قد عرفتم ودي اياكم وفراقي محمدا وقد بلغني امر رأيت ان حقا علي ان ابلغكم نصحا لكم فاكتموا
علي قالوا نفعل قال تعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه
انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا ان نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من
اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فارسل اليهم ان نعم فان
بعث اليكم اليهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان
فقال يا معشر غطفان انتم اهلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا اراكم تتهموني قالوا صدقت قال
فاكتموا علي قالوا نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت في شوال سنة
خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ارسل ابو سفيان ورؤس غطفان الى بني قريظة
عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر
فاعدوا للقتال حتى نناجز محمدا صلى الله عليه وسلم ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم
ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان احدث فيه بعضنا حدثا فاصابه ما لم يخف

عليكم ولسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى
نناجز محمدا صلى الله عليه وسلم فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتدت عليكم ان تسيروا الى بلادكم
وتتركونا والرجل ببلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد صلى الله عليه وسلم فلما رجعت اليهم الرسل
بالذى قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق
فارسلوا الى بنى قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا
فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل اليهم بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد
القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان يكن غير ذلك استمروا الى بلادهم وخلوا بينكم
وبين الرجل فى بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم
وخذل الله تعالى بينهم وبعث الله تعالى عليهم الريح فى ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ
قدورهم وتطرح ابنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من امرهم قال من
يقوم فيذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم ادخله الله تعالى الجنة قال حذيفة فما قام منا رجل ثم
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فاسكت القوم وما قام منا
رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال الا من رجل يقوم فينظر لنا
ما فعل القوم على ان يكون رفيقى فى الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة البرد فلما لم يقم احد
دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى فقلت
لبيك يا رسول الله وقمت حتى اتيته وان جنبى يضطربان فمسح رأسى ووجهى ثم قال ائت هؤلاء
القوم حتى تأتينى بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع الى ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمى وشددت على اسلابى ثم انطلقت امشى
نحوهم كانى امشى فى حمام فذهبت فدخلت فى القوم وقد ارسل الله عليهم ريحا وجنود الله تعالى تفعل بهم
ما تفعل وابوسفيان قاعد يصطلى فاخذت سهما فوضعته فى كبد قوسى فاردت ان ارميه ولو رميته
لاصبته فذكرت قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تحدثن شيئا حتى ترجع فرددت سهمى فى كنانتى فلما رأى
ابوسفيان ما تفعل الريح وجنود الله تعالى بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يا معشر قريش
ليأخذن كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسى فقلت من انت قال سبحان الله
اما تعرفنى انا فلان فاذا رجل من هوازن فقال ابوسفيان يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار
مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون
فارتحلوا فانى مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما اطلق
عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانى امشى فى حمام فاتيته وهو قائم يصلى فلما اخبرته الخبر ضحك حتى
بدت انيابه فى سواد الليل قال فلما اخبرته وفرغت قررت وذهب عنى الدفء فادنانى النبى صلى

الله عليه وسلم فانامنى عند رجليه والقى علىّ طرف ثوبه والصق صدرى ببطن قدميه فلم ازل
نائما حتى اصبحت فقال قم يا نومان + ثم ان الله تعالى بين حال غير الثابتين بقوله تعالى وَإِذْ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ معتب بن قشير وقيل عبد الله بن ابى واصحابه وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ اى
ضعف اعتقاد مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا اى باطلا استدرجنا به الى الانسلاخ عما كنا
عليه من دين ابائنا والى الثبات على ما صرنا اليه بعد ذلك الانسلاخ بما وعدنا به من ظهور هذا
الدين على الدين كله والتمكين فى البلاد حتى حفر الخندق فانه قال انه ابصر بما برق له من ضوء
صخرة سلمان مدينة صنعاء من اليمن وقصور كسرى من الحيرة من ارض فارس وقصور الشام
من ارض الروم وان تابعيه ليظهرون على ذلك كله وقد صدق الله وعده فى جميع ذلك حتى
فى لبس سراقة بن مالك بن جعشم سوار كسرى بن هرمز كما هو مذكور فى دلائل النبوة للبيهقى
وكذبوا فى شكهم ففاز المصدقون وخاب الذين هم فى ريبهم يترددون وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ
مِنْهُمْ اى من المنافقين وهم اوس بن قيظى واصحابه يَا أَهْلَ يَثْرِبَ اى المدينة وقال ابو عبيدة
يثرب اسم ارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ناحية منها وفى بعض الاخبار
ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال هى طابة كانه كره تلك اللفظة
فعدلوا عن هذا الاسم الذى سماها به النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسم الذى كانت تدعى به
قديما مع نهيه عنه واحتمال قبحه باشتقاقه من الثرب الذى هو اللوم والتعنيف وقال اهل
اللغة يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التى فيها المدينة وامتنع صرفها اما للعلمية والوزن او العلمية
والتانيث واما يترب بالمثناة وفتح الراء فموضع آخر باليمن قال الشاعر وعدت وكان الخلف
منك سجية + مواعيد عرقوب اخاه بيثرب + وقال آخر وقد وعدتك موعدا لو وفيت به
مواعيد عرقوب اخاه بيثرب + لَا مُقَامَ حفص بضم الميم اى لا اقامة لَكُمْ فى مكان القتال
ومصارعة الابطال والباقون بفتحها اى لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه فَارْجِعُوا الى منازلكم
عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال الى منازلكم + ولما بين تعالى هؤلاء الذين
هتكوا الستر وبينوا ما هم فيه من سفول الامر اتبعهم آخرين تستروا ببعض الستر متمسكين
باذيال النفاق خوفا من اهوال الشقاق بقوله تعالى وَيَسْتَأْذِنُ اى يجدد كل وقت طلب الاذن لاجل
الرجوع الى البيوت والكون مع النساء فَرِيقٌ مِنْهُمُ اى طائفة شانها الفرقة النَّبِيَّ فى الرجوع
وقد راوا ما حواه من علو المقدار بما له من حسن الخلق والخلق وما له من جلالة الشمائل وكرم
الخصائل وهم بنو حارثة وبنو سلمة يَقُولُونَ اى فى كل قليل مؤكدين لعلمهم بكذبهم وتكذيب
المؤمنين قولهم إِنَّ بُيُوتَنَا اتوا بجمع الكثرة اشارة الى كثرة اصحابهم من المنافقين عَوْرَةٌ
اى غير حصينة بها خلل كبير يمكن كل من اراد من الاحزاب ان يدخلها يدخلها منه وقيل
قصيرة الجدران فاذا ذهبنا اليها حفظناها منهم وكنا ممن يأتى الينا من مفسد بهم حماية للدين

وذبا عن الاهلين وقرأ ورش وابو عمرو وحفص بضم الباء والباقون بالكسر ثم اكذبهم الله تعالى بقوله تعالى وما اى والحال انما هي بعورة في ذلك الوقت الذي قالوا هذا فيه ولا يريدون بذهابهم حمايتها ان اى ما يريدون باستئذانهم الا فرارا من القتال + ولما كانت عنايتهم مشتدة بملازمة دورهم فاظهروا اشتداد العناية بحمايتها ذودا بين تعالى ذلك بقوله تعالى ولو دخلت اى بيوتهم او المدينة وانث الفعل نصا على المراد واشارة الى ان ما ينسب اليهم جدير بالضعف واتى باداة الاستعلاء بقوله تعالى عليهم اشارة الى انه دخول غلبة من اقطارها اى جوانبها كلها بحيث لا يكون لهم مكان للهرب وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء الاحزاب وغيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا من اى سائل كان الفتنة اى الشرك ومقاتلة المسلمين وقرأ لاتوها نافع وابن كثير بقصر الهمزة لجاؤها وفعلوها والباقون بالمد اى لاعطوها اجابة لسؤال من سألهم وما تلبثوا بها اى ما احتبسوا عن الفتنة الا يسيرا اى لاسرعوا الى الاجابة للشرك طيبة بها نفوسهم فعلم بذلك انهم لا يقصدون الا الفرار لا حفظ البيوت من المضار وهذا قول اكثر المفسرين وقال الحسن المراد بالفتنة الخروج من البيوت سمي بذلك لان الانسان لا يخرجه من بيته الا الموت او ما هو يقاربه فكانه فتنة وعلى هذا يكون الضمير في بها راجعا للبيوت او المدينة اى ما لبثوا بالبيوت وبالمدينة بعد اعطاء الكفر الا يسيرا حتى هلكوا ولقد كانوا اى هؤلاء الذين اسرعوا الاجابة الى الفرار عاهدوا الله الذي لا اجل منه من قبل اى من قبل غزوة الخندق لا يولون الادبار اى لا ينهزمون وقال يزيد بن رومان هم بنو حارثة هموا يوم احد ان يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها وقال قتادة هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر فرأوا ما اعطى الله تعالى اهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله تعالى اليهم ذلك وقال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم واولادكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الاخرة قالوا قد فعلنا فذلك عهدهم قال البغوي وهذا القول ليس بمرضي لان الذين بايعوا ليلة العقبة كانوا سبعين نفرا ليس فيهم شاك ولا من يقول مثل هذا القول وانما الاية في قوم عاهدوا الله تعالى ان يقاتلوا ولا يفروا فنقضوا العهد انتهى ولما كان الانسان قد يتهاون بالعهد لاعراض اما عنه قال تعالى وكان عهد الله المحيط بصفات الكمال مسئولا اى عن الوفاء به ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى قل اى لهم واكد لظنهم نفع الفرار لن ينفعكم الفرار في تأخير اجالكم في وقت من الاوقات الذي ما كان استئذانكم الا بسببه ان فررتم من الموت او القتل اى الذي كتب لكم لان الاجل ان كان قد حضر لم يتأخر بالفرار وان لم يقصد بالثبات كما كان علي رضي الله

تعالى عنه يقول دهم الأمور وتوقفا للعمر واشتد من الحرب الفرار يوم من الموت اى يوم لا يقدر
او يوم قدر وذلك ان اجل الله الذي جعله محيطا بالانسان لا يقدر ان يتعداه اصلا وَإِذًا اى ان
فررتم لَا تُمَتَّعُونَ فى الدنيا بعد فراركم إِلَّا قَلِيلًا اى مدة آجالكم وهى قليل فالعاقل لا يرغب فى شئ قليل
يفوت عليه شيئا كثيرا + ولما كان ربما يقولون لن ينفعنا الا ناظا لما رأينا من هرب فسلم ومن ثبت
فاصطلم امره الله تعالى بالجواب عن هذا بقوله تعالى قُلْ اى لهم منكرا عليهم مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ
اى يجيركم ويمنعكم مِنَ اللَّهِ المحيط بكل شئ قدرة وعلما فى حال الفرار وقبله وبعده إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا اى
هلاكا او هزيمة فيرد ذلك عنكم او يصيبكم بسوء ان أَرَادَ اى الله بِكُمْ رَحْمَةً اى خيرا سماه بها لانه اثرها
والمعنى هل احترزتم فى جميع اعمالكم عن سوء اراده فنفعكم الاحتراز او اجتهد غيره فى منعكم رحمة منه
فتم له امره او اوقع الله بكم شيئا من ذلك ففقد راحة مع بذل الجهد على كشفه بدون اذنه ويمكن ان
تكون الآية من الاحتباك ذكر السوء اولا دليلا على حذف ضده ثانيا وذكر الرحمة ثانيا دليلا على حذف
ضدها اولا وهذا بيان لقوله تعالى لن ينفعكم الفرار وقوله تعالى وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ اى فى وقت
من الاوقات مِنْ دُونِ اللَّهِ اى غيره وَلِيًّا اى يواليهم فينفعهم بنوع نفع وَلَا نَصِيرًا اى ينصرهم
من امره فيرد ما اراده بهم من السوء عنهم تقرير لقوله تعالى من ذا الذي يعصمكم من الله
الآية + ولما اخبرهم تعالى بما علم مما اوقعوه من اسرارهم وامره صلى الله عليه وسلم بوعظهم هددهم
بدوام علمه بمن يعوق منهم بقوله تعالى قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الذي له احاطة الجلال والجمال الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ
اى المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ اى ساكنى البلد
هَلُمَّ اى ائتوا واقبلوا إِلَيْنَا موهمين ان ناحيتهم مما يقام فيها القتال ويواظب فيها على صالح الاعمال
قال قتادة هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يثبطون انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون
لاخوانهم ما محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه الا اكلة رأس ولو كانوا لحما لالتقمهم ابو سفيان
واصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقال مقاتل نزلت فى المنافقين وذلك ان اليهود ارسلت
الى المنافقين وقالوا ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابى سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم فى هذه المرة
لم يستبقوا منكم احدا فانا نشفق عليكم انتم اخواننا وجيراننا فهلم الينا فاقبل عبد الله بن ابى واصحابه
على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابى سفيان ومن معه وقالوا ما ترجون من محمد ما عنده خير
ما هو الا ان يقتلنا هنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعنى اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا و
احتسابا + تنبيه + هلم اسم صوت سمى به فعل متعد مثل احضر وقرب واهل الحجاز يسوون فيه
بين الواحد والجماعة وبلغتهم جاء القرآن العزيز واما بنو تميم فتقول هلم يا رجل هلما يا رجلان
هلموا يا رجال وَلَا اى والحال انهم لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ اى الحرب او مكانها إِلَّا قَلِيلًا اى للرياء والسمعة
بقدر ما يراهم المخلصون فاذا اشتغلوا بالمعاركة وكفى كل منهم ما اليه تسللوا عنه لواذا وعاذوا بمن لا ينفعهم

نفع منهم او من غيرهم نفس او مال + تنبيه + اشحة جمع شحيح وهو جمع لا قياس اذ قياس فعيل الوصف الذي عينه ولامه من واد واحد ان يجمع على افعلاء نحو خليل واخلاء وضنين واضناء وقد سمع اشحاء وهو القياس والشح البخل ووصفهم الله تعالى بالبخل ثم بالجبن بقوله تعالى فاذا جاء الخوف اى بمجيء اسبابه من الحرب ومقدماتها رأيتهم اى ايها المخاطب وقوله تعالى ينظرون في محل حال من مفعول رأيتهم لان الرؤية بصرية وبين بعدهم حسا ومعنى عن الغاية بقوله تعالى اليك اى حال كونهم تدور فهي اما حال ثانية واما حال من ينظر يمينا وشمالا بادارة الطرف اعينهم اى زائغة رعبا ثم شبهها في سرعة تقلبها لغير قصد صحيح بقوله تعالى كالذي اى كدوران عين الذي يغشى عليه مبتدأ غشيانه من الموت اى من معالجة سكراته خوفا ولواذا بك وذلك لان قريب الموت وغشية اسبابه تذهب عقله وتشخص بصره فلا يطرف فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم اى تناولوكم تناولا صعبا بانواع الاذى ناسين ما وقع منهم عن قريب من الجبن والخور واصل السلق البسط بقهر باليد او اللسان ومنه سلق امرأته اى بسطها وجامعها قال القائل

فقد شفى لنا المجهم + فان شئت سلقناك + وان شئت على اربع والسليقة الطبيعة المباينة والسليق المطمئن من الارض بالسنة حداد اى ذربة قاطعة فصيحة بعد ان كانت عند الخوف في غاية العجمة لا تقدر على الحركة من قلة الريق ويبس الشفاه وهذا لطلب العرض الفاني من الغنيمة وغيرها يقال للخطيب الذرب اللسان الفصيح مسلق وقال ابن عباس سلقوكم اى عضهوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقال قتادة يبسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة ويقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال ولستم باحق بالغنيمة منا ثم بين المراد بقوله تعالى اشحة اى شحا مستعليا على الخير اى المال الذي عندكم وفي اعتقادهم انه لا خير غيره لا يريدون ان يصل شيء منه اليكم ولا يفوتهم شيء منه فهم عند الغنيمة اشح قوم وعند البأس اجبن قوم ولما وصفهم تعالى بهذه الصفات الدنية اخبر تعالى ان اساسها الذي نشأت عنه عدم الوثوق بالله تعالى لعدم الايمان فقال اولئك اى البعداء البغضاء لم يؤمنوا اى لم يوجد منهم ايمان بقلوبهم وان اقرت بالسنتهم فاحبط الله اى بجلاله وتفرده في كبريائه وكماله اعمالهم التي كانوا يأتونها مع المسلمين اى اظهر بطلانها اذ لم تثبت لهم الاعمال فتبطل وقال قتادة ابطل الله تعالى جهادهم وكان ذلك اى الاحباط على الله بما له من صفات العظمة يسيرا اى هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه وقوله تعالى يحسبون الاحزاب لم يذهبوا يجوز ان يكون مستأنفا اى هم من الخوف بحيث انهم لا يصدقون ان الاحزاب قد ذهبوا عنهم ويجوز ان يكون حالا من احد الضمائر المتقدمة اذا صح المعنى بذلك ولو بعد العامل قاله ابو البقاء والمعنى ان هؤلاء المنافقين يحسبون الاحزاب يعني قريشا وغطفان واليهود ولم يتفرقوا عن قتالهم من غاية الجبن عند ذهابهم كانهم غائبون عنهم

والباقون بالكسر وَاِنْ يَأْتِ الْاَحْزَابُ بعد ما ذهبوا كرة اخرى يَوَدُّوْا اى يتمنوا لَوْ اَنَّهُمْ بَادُوْنَ
فِى الْاَعْرَابِ اى كائنون فى البادية بين الاعراب الذين هم عندهم فى محل نقص وممن تكره مخالطته
ثم ذكر حال فاعل بادون بقوله تعالى يسئلون كل وقت عَنْ اَنْبَآئِكُمْ اى اخباركم العظيمة
مع الكفار وما آل اليه امركم جريا على ما هم عليه من النفاق ليبقوا لهم عندكم وجها كانهم مهتمون
بكم يظهرون بذلك تحرقا على غيبتهم عن هذه الحرب وَلَوْ اى والحال انهم لو كَانُوْا هؤلاء
المنافقون فِيْكُمْ هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال مَا قَاتَلُوْا معكم اِلَّا قَلِيْلًا نفاقا كما فعلوا قبل ع
ذهاب الاحزاب من حضورهم معكم تارة واستئذانهم فى الرجوع الى منازلهم اخرى
ولما اخبر تعالى عنهم بهذه الاحوال التى هى غاية فى الدناءة اقبل عليهم اقبالا يدلهم على تناهى
الغضب بقوله تعالى مؤكدا محققا لاجل انكارهم لَقَدْ كَانَ لَكُمْ ايها الناس كافة الذين
المنافقون فى غمارهم فِىْ رَسُوْلِ اللّٰهِ الذى جلاله من جلاله وكماله من كماله اُسْوَةٌ اى قدوة حَسَنَةٌ
اى صالحة وهو المؤتسى به اى المقتدى به كما تقول فى البيضة عشرون منا حديد اى هى فى نفسها
هذا المبلغ من الحديد او ان فيه خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب
ومقاسات الشدائد اذ كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه واوذى بضروب الاذى فواساكم
مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك واستنوا بسنته + تنبيه + الاسوة اسم وضع موضع المصدر وهو الائتساء
فالاسوة من الائتساء كالقدوة من الاقتداء وائتسى فلان بفلان اى اقتدى به وقرأ عاصم بضم الهمزة
والباقون بكسرها وهما لغتان كالعدوة والعدوة والقدوة والقدوة وقوله تعالى لِمَنْ كَانَ اى كونا
كانه جبلة له يَرْجُوا اللّٰهَ اى فى جبلته انه يجدد الرجاء مستمرا للذى لا اعظم فى الحقيقة سواه فيؤمل سعادة
ويخشى ابعاده تخصيص بعد التعميم للمؤمنين اى ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله وقال مقاتل يخشى الله وَالْيَوْمَ الْاٰخِرَ اى يخشى يوم
البعث الذى فيه جزاء الاعمال وَذَكَرَ اللّٰهَ اى الذى له صفات الكمال وقيده بقوله تعالى كَثِيْرًا
تحقيقا لما ذكر فى معنى الرجاء الذى به الفلاح او ان المراد به الدائم فى حال السراء والضراء + ولما بين
تعالى حال المنافقين ذكر حال المؤمنين عند لقاء الاحزاب بقوله تعالى وَلَمَّا رَاَ الْمُؤْمِنُوْنَ اى الكاملون
فى الايمان الْاَحْزَابَ اى الذين ادهشت رؤيتهم القلوب قَالُوْا اى مع ما حصل لهم من الزلزال
وتعاظم الاهوال هٰذَا اى الذى نراه من الهول مَا وَعَدَنَا اللّٰهُ اى الذى له الامر كله من تصديق
دعوانا الايمان بالبلاء والامتحان وَرَسُوْلُهُ المبلغ نحو قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما
يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
احسب الناس ان يتركوا وامثال ذلك ثم قالوا فى مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله
الا غرورا وَصَدَقَ اللّٰهُ اى الذى له صفات الكمال وَرَسُوْلُهُ اى الذى كماله من كماله اى ظهر
صدقهما فى عالم الشهادة فى كل ما وعدابه من السراء والضراء كما رأيناه وهما صادقان فيما غاب عنا مما

وعنانا به من نصره وغيره واظهار الاسمين للتعظيم والتيمن بذكرهما قال بعض المفسرين ولو اعيدا
مضمرين لجمع بين البارى تعالى واسم رسوله صلى الله عليه وسلم فكان يقال وصدقا وقد رد صلى الله
عليه وسلم على من جمعهما بقوله من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وانكر عليه
بقوله بئس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله قصدا الى تعظيم الله تعالى وقيل انما رد عليه
لانه وقف على يعصهما واستشكل بعضهم الاول بقوله حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
فقد جمع بينهما فى ضمير واحد واجيب بانه صلى الله عليه وسلم اعرف بقدر الله تعالى منا فليس لنا
ان نقول كما يقول وقد يقال اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فالله جل وعلا اولى
وحينئذ فالقائل بانه انما رد عليه لانه وقف على يعصهما اولى ولما كان هذا قولا يمكن ان يكون
لسانيا فقط كقول المنافقين اكد ذلك نفيا لظن المنافقين ذلك بقوله تعالى شاهدا لهم وَمَا زَادَهُمْ اى ما رأوه
من مرهم او الرعب اِلَّا اِيمَانًا بالله ورسوله وَتَسْلِيمًا بجميع جوارحهم فى جميع القضاء والقدر ثم وصف
الله تعالى بعض المؤمنين بقوله تعالى مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ اى المذكورين سابقا وغيرهم رِجَالٌ
اى فى غاية العظمة عندنا ثم وصفهم بقوله تعالى صَدَقُوْا مَا عَاهَدُوا اللّٰهَ المحيط علما وقدرة
عَلَيْهِ اى اتموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به فَمِنْهُمْ مَنْ قَضٰى نَحْبَهٗ اى نذره بان قاتل حتى
استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر واستعير للموت لانه كنذر
لازم فى رقبة كل حيوان وقيل النحب الموت ايضا قال قتادة قضى نحبه اى اجله وقيل قضى
نحبه اى بذل جهده فى الوفاء بالعهد من قول العرب نحب فلان فى سيره يومه وليلته اى اجتهد وقيل
قضى نحبه قتل يوم بدر او يوم احد روى ان انسا قال غاب عمى انس بن النضر عن قتال بدر فقال
يا رسول الله غبت عن اول قتال قاتلت المشركين لئن اشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما اصنع
فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون قال اللهم انى اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى اصحابه وابرأ
اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم واستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال
واها لريح الجنة اجدها دون احد فقاتل حتى قتل قال انس بن مالك فوجدنا فى جسده بضعا
وثمانين ضربة بالسيف او طعنة برمح او رمية بسهم فوجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه
احد الا اخته ببنانه قال انس كنا نرى او نظن ان هذه الاية نزلت فيه وفى اشباهه وَمِنْهُمْ اى الصادقين
مَنْ يَّنْتَظِرُ اى الشهادة كعثمان وطلحة وَمَا بَدَّلُوْا اى العهد ولا غيروه تَبْدِيْلًا اى شيئا من التبديل
روى ان ممن لم يقتل فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله احد العشرة المشهود
لهم بالجنة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وفعل ما لم يفعله غيره لزم النبى صلى الله
عليه وسلم فلم يفارقه وذب عنه ووقاه بيده حتى شلت اصبعه قال اسمعيل بن قيس رأيت يد طلحة
شلاء وقى بها النبى صلى الله عليه وسلم يوم احد وعن معاوية سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى
نحبه وعن طلحة لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم من احد صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قرأ رجال

رجال

صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية كلها فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من هؤلاء فقال ايها السائل هذا منهم وعنه ايضا ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه من هو وكانوا لا يجترؤن على مسئلته يهابونه ويوقرونه فسأله الاعرابي فاعرض عنه ثم سأله فاعرض عنه ثم سأله فاعرض عنه ثم انى طلعت من باب المسجد فقال اين السائل عمن قضى نحبه قال الاعرابي انا فقال هذا ممن قضى نحبه وهذا يقوى القول بان المراد بالنحب بذل الجهد فى الوفاء بالعهد وعن خباب بن الارت هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله نبتغى وجه الله فوجب اجرنا على الله فمنا من مضى لم يأكل من اجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم احد فلم يوجد له شئ يكفن فيه الا نمرة فكنا اذا وضعناها على راسه خرجت رجلاه منها واذا وضعناها على رجليه خرج رأسه منها فقال صلى الله عليه وسلم ضعوها مما يلى رأسه واجعلوا على رجليه من الاذخر قال ومنا من اينعت له ثمرته فهو يهدبها اينعت اى ادركت ونضجت له ثمرتها ويهدبها اى يجتنيها وهذا كناية عما فتح الله تعالى لهم من الدنيا وعن زيد بن ثابت قال لما نسخنا المصحف من المصاحف فقدت اية من سورة الاحزاب كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها لم اجدها مع احد الا مع خزيمة بن ثابت الانصارى الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقتها فى سورتها فى المصحف ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ﴾ اى الذى يريد اظهار جميع صفاته يوم البعث للخاص والعام ظهورا تاما ﴿الصَّادِقِينَ﴾ اى فى الوفاء بالعهد وادعاء انهم امنوا ﴿بِصِدْقِهِمْ﴾ اى بفعل امرهم وينعمهم فى الآخرة فالصدق سبب ان كان فضلا منه لانه الموفق له + تنبيه + فى لام ليجزى وجهان احدهما انها لام العلة والثانى انها لام الصيرورة وفيما تتعلق به اوجه اما بصدقوا واما بزادهم واما بما بدلوا وعلى هذا جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا فى طلبهما والسعى لتحصيلهما ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ اى الذين اخفوا الكفر واظهروا الاسلام فى الدين بكذبهم فى دعواهم الايمان المقتضى لبيع النفس والمال ﴿إِنْ شَاءَ﴾ بان يميتهم على نفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ ان شاء بان يهديهم الى التوبة فيتوبوا فالكل بارادته + تنبيه + جواب ان شاء مقدر وكذا مفعول شاء اى ان شاء تعذيبهم عذبهم وقرأ قالون والبزى وابو عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل ورش وقنبل الثانية وابدلاها ايضا حرف مد وحققها الباقون وفى الابتداء بالثانية الجميع بالتحقيق + ولما كانت توبة المنافقين مستبعدة لما يرون من صلابتهم فى الخداع وخبث سرائرهم قال معللا ذلك كله على وجه التأكيد ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ اى بما له من الجلال والجمال ﴿كَانَ﴾ ازلا وابدا ﴿غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمًا﴾ بهم ثم بين تعالى بعض ما جازاهم الله تعالى بصدقهم بقوله تعالى ﴿وَرَدَّ اللَّهُ﴾ اى بما له من صفات الكمال ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم من تحزب من العرب وغيرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بلادهم عن المدينة ومضايقة المؤمنين حال كونهم

بغيظهم اى متغيظين لم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا بل تفرقوا عن غير طائل حال كونهم لم ينالوا
خيرا لا من الدين ولا من الدنيا بل ذلا وندامة فهو حال ثانية او حال من الحال الاولى فهى متداخلة
وكفى الله اى الذى له العزة والكبرياء المؤمنين القتال بما القى فى قلوبهم من الداعية للانصراف
بالريح والجنود من الملائكة وغيرهم منهم نعيم بن مسعود لما تقدم من الحيلة التى فعلها قال سعيد
ابن المسيب لما كان يوم الاحزاب حصر النبى صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حتى خلص
الى كل امرئ منهم الكرب وحتى قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انى انشدك عهدك ووعدك
اللهم انك ان تشأ لا تعبد فبينما هم على ذلك اذ جاء نعيم بن مسعود الاشجعى وكان يأمنه الفريقان
جميعا فخذل بين الناس فانطلق الاحزاب منهزمين من غير قتال فذلك قوله تعالى وكفى الله المؤمنين
القتال وكان الله اى الذى له صفات الكمال ازلا وابدا قويا على احداث ما يريده عزيزا
غالبا على كل شئ + ولما اتم الله تعالى حال الاحزاب اتبعه حال من عاونهم بقوله تعالى وانزل
الذين ظاهروهم اى عاونوا الاحزاب من اهل الكتاب وهم بنو قريظة ومن دخل معهم فى حصنهم
من بنى النضير من صياصيهم اى حصونهم متعلق بانزل ومن لابتداء الغاية والصياصى جمع
صيصية وهى الحصون والقلاع والمعاقل ويقال لكل ما يمتنع به ويتحصن فيه صيصية ومنه قيل لقرن
الثور والظبى ولشوكة الديك صيصية عن سعيد بن جبير قال كان يوم الخندق بالمدينة جاء
ابو سفيان بن حرب ومن تبعه من قريش ومن تبعه من كنانة وعيينة بن حصن ومن تبعه من
غطفان وطليحة ومن تبعه من بنى اسد وابو الاعور ومن تبعه من بنى سليم وقريظة كان بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا ذلك وظاهروا المشركين فانزل الله تعالى فيهم وانزل الذين
ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وكانت غزوة بنى قريظة فى اخر ذى القعدة سنة خمس من الهجرة
وعن موسى بن عقبة انها فى سنة اربع قال العلماء بالسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصبح فى الليلة
التى انصرفت الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن
الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر اتى جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس والسرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة
قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله
ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله تعالى يامرك بالسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فان الله داقهم دق
البيض على الصفا وانهم لك طعمة فاذن فى الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلى العصر الا فى بنى قريظة
وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب برايته اليهم وابتدرها الناس فسار على حتى
اذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخباث قال اظنك سمعت
فى منهم اذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله

عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا
ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه قبل ان يصل الى بني قريظة فقال هل مر بكم احد
قالوا مر بنا دحية بن خليفة على بغلة شهباء عليها قطيفة من ديباج قال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل
بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف في قلوبهم الرعب ولما اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بني قريظة نزل على بئر من آبارها فتلاحق به الناس فاتاه رجال من بعد صلوة العشاء الاخرة
ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي احد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر
بها بعد العشاء الاخرة فما عابهم الله تعالى بذلك ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
حيي بن اخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن اسد
بما كان عاهده فلما ايقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال
كعب بن اسد يا معشر يهود انه قد نزل بكم من الامر ما نزل واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها
شئتم قالوا وما هي قال نبايع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه
في كتابكم فتأمنوا على دياركم وابنائكم واموالكم ونسائكم قالوا لا نفارق حكم التورية ابدا ولا نستبدل به
غيره قال فاذا ابيتم هذا فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد واصحابه فان
نهلك نهلك ولم نترك وراءنا احدا ولا شيئا نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنتخذن النساء والابناء قالوا
نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان ابيتم هذه فان الليلة ليلة السبت فعسى ان يكون
محمد واصحابه قد امنوا فانزلوا لعلنا ان نصيب منهم غرة قالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن احدث
فيه من كان قبلنا فتركهم قال علماء السير وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة
حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فابوا وكانوا قد طلبوا
ابا لبابة بن عبد المنذر اخا بني عمرو بن عوف وكانوا احلفاء الاوس يستشيرونه في امرهم فارسله رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال والنساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا
يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى الحلقه يعني انه يقتلكم قال ابو لبابة فوالله
ما زالت قدماي حتى قد عرفت اني خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يأت رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال لا ابرح من مكاني حتى يتوب الله
تعالى علي مما صنعت وعاهد الله تعالى لا يطأ بني قريظة ابدا ولا يراني الله تعالى في بلد خنت فيه الله
ورسوله فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطأ عليه قال اما لو جاءني لاستغفرت له فاما
اذ فعل فما انا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنزلون على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم
فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم

وخنادق فى سوق المدينة خندق فأتى بهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير ﴿وقذف﴾ اى الله تعالى ﴿فى قلوبهم الرعب﴾ حتى سلموا انفسهم للقتل واولادهم ونساءهم للسبى كما قال الله تعالى ﴿فريقا تقتلون﴾ وهم الرجال يقال كانوا ستمائة ﴿وتأسرون فريقا﴾ وهم النساء والذرارى يقال كانوا سبعمائة وخمسين ويقال تسعمائة فان قيل ما فائدة تقديم المفعول فى الاول حيث قال تعالى فريقا تقتلون وتأخيره فى الثانى حيث قال وتأسرون فريقا اجيب بان الرازى قال ما من شئ من القرآن الا وله فائدة منها ما يظهر ومنها ما لا يظهر والذى يظهر من هذا والله اعلم ان القائل يبدأ بالاهم فالاهم والاقرب فالاقرب فالرجال كانوا مشهورين وكان القتل واردا عليهم وكان الاسراء هم النساء والذرارى ولم يكونوا مشهورين والسبى والاسر اظهر من القتل لانه يبقى فيظهر لكل احد انه اسير فقدم من المحلين ما اشتهر على الفعل القائم به ومن الفعلين ماهو اشهر قدمه على المحل الخفى انتهى وقرأ ابن عامر والكسائى الرعب بضم العين والباقون بسكونها ولما ذكر الناطق بقسميه ذكر الصامت بقوله تعالى ﴿واورثكم ارضهم﴾ من الحدائق والمزارع ﴿وديارهم﴾ اى حصونهم لانه بها امتنعوا عليها لا بغيرها ﴿واموالهم﴾ من النقد والماشية والسلاح والاثاث وغيرها فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم للفارس ثلاثة اسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم واخرج منها الخمس وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان هذا اول فئ وقع فيه السهمان وجرى على سنته فى المغازى واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سباياهم ريحانة بنت عمرو من قريظة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله تتركنى فى ملكك فهو اخف على وعليك فتركها وكانت حين سباها كرهت الاسلام وابت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد فى نفسه من امرها فبينما هو مع اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن شعبة يبشرنى باسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد اسلمت ريحانة فسره ذلك وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار فى ذلك فقال انكم فى منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه طعمة لى دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وانزل الله تعالى توبة ابى لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقالت مم تضحك يا رسول الله اضحك الله تعالى سنك فقال تيب على ابى لبابة فقالت الا ابشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله تعالى عليك فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح اطلقه ومات سعد ابن معاذ بعد انقضاء غزوة بنى قريظة قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فوالذى نفس محمد بيده انى لاعرف بكاء عمر من بكاء ابى بكر وانا فى حجرتى قالت وكانوا كما قال

الله

الله تعالى بجماعتهم واختلف في تفسير قوله تعالى وَأَرْضًا اى واورثكم ارضا لَمْ تَطَئُوهَا فعن مقاتل
انها خيبر وعليه اكثر المفسرين وعن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن
عكرمة كل ارض تفتح الى القيمة ومن بدع التفاسير انه ارض نساءهم انتهى ولما كان ذلك امرا
باهرا سهله بقوله تعالى وَكَانَ اللَّهُ اى ازلا وابدا بماله من صفات الكمال عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
من هذا وغيره قَدِيرًا اى شامل القدرة روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ع
كان يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلا شيء
بعده ولما ارشد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم الى ما ينبغي بجانب التعظيم لله تعالى بقوله تعالى
يا ايها النبي اتق الله ذكر ما يتعلق بجانب الشفقة وبدأ بالزوجات فانهن اولى الناس بالشفقة ولهذا
قدمهن في النفقة فقال يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ اى نسائك إِن كُنتُنَّ اى كونا راسخا تُرِدْنَ اى
اختيارا على الْحَيَاةَ ووصفها بما يزهد فيها ذوي الهمم ويذكر من له عقل بالاخرة بقوله تعالى
الدُّنْيَا اى ما فيها من السعة والرفاهية والنعمة وَزِينَتَهَا اى المنافية للامر فيه رغبة من الاعراض
عنه واحتقاره من امرها لانها ابغض خليقة اليه لانها قاطعة عنه فَتَعَالَيْنَ اصله ان الامر يكون
اعلى من المأمور فيدعوه ان يرفع نفسه اليه ثم كثر حتى صار معناه اقبل وهو هنا كناية عن
الاختيار والارادة بعلاقة ان المخير يدنو الى من يخيره أُمَتِّعْكُنَّ اى بما احسن به اليكن
من متعة الطلاق وهي واجبة لزوجة لم يجب لها نصف مهر فقط بان يجب لها جميع المهر
او كانت مفوضة لم توطأ ولم يفرض لها شيء صحيح اما في الاولى فلان المهر في مقابلة منفعة بضعها وقد
استوفاها الزوج فتجب للايحاش المتعة واما في الثانية فلان المفوضة لم يحصل لها شيء فيجب لها متعة
للايحاش بخلاف من وجب لها النصف فلا متعة لها لانه لم يستوف منفعة بضعها فيكفي نصفها
للايحاش هذا اذا كان الفراق لا بسببها وسن ان لا تنقص عن ثلاثين درهما او ما قيمته ذلك وان
لا تبلغ نصف المهر فان تراضيا على شيء فذاك والا قدرها قاض باجتهاده بقدر حالهما من يساره
واعساره ونسبها وصفاتها قال تعالى ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وَأُسَرِّحْكُنَّ
اى من حبالة عصمتي سَرَاحًا جَمِيلًا اى طلاقا من غير مضارة ولا نوع حطة ولا مقاهرة وَإِن كُنتُنَّ اى
بما لكن من الجبلة تُرِدْنَ اللَّهَ اى الامر بالاعراض عن الدنيا وَرَسُولَهُ اى المؤتمر بما امره به من الانسلاخ
عنها المبلغ للعباد جميع ما ارسله به من امر الدنيا والدين لا يدع منه شيئا لما له عليكن وعلى
سائر الناس من الحق بما يبلغهم عن الله تعالى وَالدَّارَ الْآخِرَةَ اى التي هي الحيوان بما لها من البقاء
والعلو والارتقاء فَإِنَّ اللَّهَ بما له من جميع صفات الكمال أَعَدَّ اى في الدنيا والاخرة لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ
اى اللاتي يفعلن ذلك أَجْرًا عَظِيمًا تستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للبيان لانهن كلهن
محسنات قال المفسرون سبب نزول هذه الاية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألنه من
عرض الدنيا شيئا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن

رسول الله صلی الله علیه وسلم وآلی ان لا یقربهن شهراً ولم یخرج الی اصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا
یقولون طلق رسول الله صلی الله علیه وسلم نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شأنه قال فدخلت علی رسول الله
صلی الله علیه وسلم فقلت یا رسول الله اطلقتهن قال لا فقلت یا رسول الله انی دخلت المسجد والمسلمون
یقولون طلق رسول الله صلی الله علیه وسلم نساءه افأنزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت
فقمت علی باب المسجد فنادیت باعلی صوتی لم یطلق رسول الله صلی الله علیه وسلم نساءه ونزل قوله
تعالی واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الی الرسول والی اولی الامر منهم لعلمه
الذین یستنبطونه منهم فكنت انا الذی استنبط ذلك الامر وانزل الله تعالی آیة التخییر وكان تحت رسول الله
صلی الله علیه وسلم تسع نسوة خمس من قریش عائشة بنت ابی بكر وحفصة بنت عمر وام حبیبة بنت ابی سفیان
وام سلمة بنت ابی امیة وسودة بنت زمعة واربع من غیر القرشیات زینب بنت جحش الاسدیة ومیمونة
بنت الحرث الهلالیة وصفیة بنت حیی بن اخطب الخیبریة وجویریة بنت الحرث المصطلقیة فلما
نزلت آیة التخییر عرض علیهن رضی الله تعالی عنهن ذلك وبدأ رسول الله صلی الله علیه وسلم
بعائشة رأس المحسنات اذ ذاك وكانت احب اهله الیه فخیرها وقرأ علیها القرآن فاختارت الله ورسوله
والدار الآخرة فرؤی الفرح فی وجه رسول الله صلی الله علیه وسلم وتابعنها علی ذلك قال قتادة
فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله علی ذلك وقصره علیهن فقال تعالی لا یحل لك النساء من بعد
وعن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر رضی الله عنه یستأذن علی رسول الله صلی الله علیه وسلم فوجد الناس
جلوساً ببابه لم یؤذن لاحد منهم فاذن لابی بكر فدخل ثم اقبل عمر ثم استأذن فاذن له فوجد النبی صلی
الله علیه وسلم جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً قال فقال لاقولن شیئاً اضحك النبی صلی
الله علیه وسلم فقال یا رسول الله لو رأیت بنت خارجة سألتنی النفقة فقمت الیها فوجأت عنقها
فضحك النبی صلی الله علیه وسلم وقال هن حولی كما تری یسألننی النفقة فقام ابو بكر الی عائشة یجأ عنقها وقام عمر
الی حفصة یجأ عنقها كلاهما یقول لا تسألن رسول الله صلی الله علیه وسلم شیئاً ابداً لیس عنده ثم اعتزلهن
شهراً او تسعاً وعشرین یوماً ثم نزلت هذه الآیة یا ایها النبی قل لازواجك حتی بلغ للمحسنات منكن اجراً
عظیماً قال فبدأ بعائشة فقال یا عائشة انی اعرض علیك امراً لا احب ان تعجلی فیه حتی تستشیری ابویك
قالت وما هو یا رسول الله فتلا علیها الآیة فقالت افیك یا رسول الله استشیر ابوی بل اختار الله ورسوله والدار
الآخرة واسألك ان لا تخبر امرأة من نسائك بالذی قلت قال لا تسألنی امرأة منهن الا اخبرتها ان الله
لم یبعثنی معنتاً ولكن بعثنی معلماً میسراً قوله واجماً ای مهتماً والواجم الذی اسكته الهم وعلته الكآبة و
قیل الوجوم الحزن وقوله فوجأت عنقها ای دققته وقوله یعنتنی معنتاً العنت المشقة والصعوبة وروی
الزهری ان النبی صلی الله علیه وسلم اقسم ان لا یدخل علی ازواجه شهراً قال الزهری فاخبرنی عروة عن عائشة
قالت فلما مضت تسع وعشرون اعدهن دخل علی فقلت یا رسول الله انه مضی تسع وعشرون اعدهن
فقال ان الشهر تسع وعشرون ✤ تنبیه ✤ اختلف العلماء فی هذا الخیار هل كان ذلك تفویضاً للطلاق

اليهنّ حتى يقع بنفس الاختيار او لا ذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق
وانما خيرهنّ على انهنّ اذا اخترن الدنيا فارقهنّ لقوله تعالى فتعالين امتعكنّ واسرحكنّ
ويدل عليه انه لم يكن جوابهنّ على الفور فانه قال لعائشة لا تعجلي حتى تستشيري ابويك وفي تفويض
الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب آخرون الى انه كان تفويض طلاق ولو اخترن انفسهنّ
كان طلاقا واختلف العلماء في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس اذا خير الرجل امرأته
فاختارت زوجها لا يقع شئ ولو اختارت نفسها وقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى
وسفيان والشافعي واصحاب الرأي الا ان عند اصحاب الرأي انه يقع طلقة بائنة اذا اختارت نفسها وعند الآخرين
رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج تقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها فثلاث
وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي انها اذا اختارت زوجها تقع طلقة واحدة
رجعية وان اختارت نفسها فطلقة بائنة واكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع
شئ وعن مسروق قال ما ابالي خيرت امرأتي واحدة او مائة او الفا بعد ان تختارني قال الرازي
وهنا مسائل منها هل كان هذا التخيير واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم ام لا والجواب
ان التخيير كان قولا واجبا من غير شك لانه ابلاغ للرسالة لان الله تعالى لما قال له قل لهنّ صار
من الرسالة واما التخيير معنى فمبني على ان الامر للوجوب ام لا والظاهر انه للوجوب ومنها ان واحدة
منهنّ لو اختارت نفسها وقلنا انها لا تبين الا بابانة النبيّ صلى الله عليه وسلم فهل كان يجب على النبيّ
صلى الله عليه وسلم الطلاق ام لا الظاهر نظرا الى منصب النبيّ صلى الله عليه وسلم انه كان يجب لان
الخلف في الوعد من النبيّ صلى الله عليه وسلم غير جائز بخلاف احدنا فانه لا يلزمه شرعا الوفاء بما يعد
ومنها ان المختارة بعد البينونة هل كانت تحرم على غيره ام لا الظاهر انها لا تحرم والا لم يكن التخيير
ممكنا لها من التمتع بزينة الدنيا ومنها ان من اختارت الله ورسوله هل كان يحرم على النبيّ صلى الله عليه
وسلم طلاقها ام لا الظاهر الحرمة نظرا الى منصب الرسول صلى الله عليه وسلم معنى ان النبي صلى الله عليه
وسلم لا يباشره اصلا لا بمعنى انه لو اتى به لعوقب او عوتب انتهى ولما خيرهنّ واخترن الله ورسوله هدّهنّ
الله للتوقي عما يسوء النبيّ صلى الله عليه وسلم واوعدهنّ بتضعيف العذاب بقوله تعالى يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ
اي المختارات له لما بينه وبين الله تعالى مما يطهر شرفه مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ اي سيئة
من قول او فعل كالنشوز وسوء الخلق واختيار الحيوة الدنيا وزينتها على الله تعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم وغير ذلك وقال ابن عباس المراد هنا بالفاحشة النشوز وسوء الخلق وقيل هو
كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقرأ ابن كثير وشعبة مُبَيَّنَةٍ بفتح الياء التحتية اي ظاهر فحشها
والباقون بكسرها اي واضحة ظاهرة في نفسها يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ اي بسبب ذلك ضِعْفَيْنِ
اي ضعفي عذاب غيرهنّ اي مثليه وانما ضوعف عذابهنّ لان ما قبح من سائر النساء كان اقبح منهنّ
واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم

اشدّ منه للعاصى الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك جعل حدّ الحرّ ضعفى حدّ العبد وعوتب
الانبياء بما لم يعاتب به غيرهم وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائى بالياء التحتية والف بعد الضاد و
تخفيف العين مفتوحة العذاب بالرفع وابن كثير وابن عامر بالنون ولا الف بعد الضاد وتشديد
العين مكسورة العذاب بالنصب وابو عمرو بالياء وتشديد العين مفتوحة العذاب بالرفع وقوله تعالى
وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيْرًا فيه ايذان بان كونهنّ نساء للنبىّ صلى الله عليه وسلم ليس بمغن عنهنّ
شيئا وكيف يغنى عنهنّ وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهنّ غير
صارف عنه + ولما بين تعالى زيادة عقابهنّ اتبعه زيادة ثوابهنّ بقوله تعالى وَمَنْ يَقْنُتْ اى يطع
مِنْكُنَّ لِلّٰهِ الذى هو اهل لان لا يلتفت الى غيره وَرَسُوْلِهٖ الذى لا ينطق عن الهوى فلا تخالفه فيما امر به
ولا تختار عيشا غير عيشه وَتَعْمَلْ اى مع ذلك بجوارحها صَالِحًا اى فى جميع ما امر به سبحانه او نهى عنه
فلا تقتصر على عمل القلب نُؤْتِهَا اَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ اى مثل ثواب غيرهنّ من النساء قال مقاتل مكان
كل حسنة عشرين حسنة فمرّة على الطاعة ومرة لطلبهنّ رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة + تنبيه + قوله تعالى نؤتها اجرها مرّتين فى مقابلة قوله
تعالى يضاعف لها العذاب ضعفين وفيه لطيفة وهى انه عند ايتاء الاجر ذكر المؤتى وهو الله تعالى
وعند العذاب لم يصرح بالمعذب بل قال يضاعف وهذا اشارة الى كمال الرحمة والكرم وقرأ حمزة
والكسائى بالياء التحتية فى يعمل ويؤتها حملا على لفظ من وهو الاصل والباقون بالتاء الفوقية فى يعمل
على معنى من والنون فى نؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى وَاَعْتَدْنَا اى هيأنا بما لنا من العظمة
لَهَا اى بسبب قناعتها مع النبىّ صلى الله عليه وسلم المريد للتخلى من الدنيا التى يبغضها الله تعالى مع
ما فى ذلك من توفير الحظ فى الاخرة رِزْقًا كَرِيْمًا اى فى الدنيا والاخرة زيادة على اجرها اما فى الدنيا
فلان ما يرزقهنّ منه يوفقن لصرفه على وجه يكون فيه اعظم الثواب ولا يخشى من اجله نوع عتاب
واما فى الاخرة فلا يوصف ولا يحد ولا نكد فيه اصلا ولا كدّ وهذا ما جرى عليه البقاعى وهو اولى مما
جرى عليه كثير من المفسرين من الاقتصار على رزق الجنة وعلله الرازى بقوله ووصف رزقا
بكونه كريما مع انّ الكريم لا يكون وصفا الا للرّازق وذلك اشارة الى انّ الرزق فى الدنيا مقدر
على ايدى الناس فان التاجر يسترزق من السوقة والعاملون والصناع من المستعملين والملوك
من الرعية والرعية منهم فالرزق فى الدنيا لا يأتى بنفسه انما هو مسخر للغير يكتسبه ويرسله الى الاغيار
واما فى الاخرة فلا يكون له مرسل وممسك فى الظاهر فهو الذى يأتى بنفسه فلاجل هذا لا يوصف فى الدنيا
بالكريم الا الرازق وفى الاخرة يوصف بالكريم نفس الرزق انتهى + ولما ذكر تعالى ان عذابهنّ ضعف
عذاب غيرهنّ واجرهنّ مثلا اجر غيرهنّ صرن كالحرائر بالنسبة الى الاماء قال تعالى يٰنِسَآءَ النَّبِيِّ
لَسْتُنَّ كَاَحَدٍ قال البغوى ولم يقل كواحدة لان الاحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر
والمؤنث والمعنى لستنّ كجماعة واحدة مِنْ جماعات النِّسَآءِ اذا تقصيت جماعة النساء

الجزء الثانى والعشرون

واحدة

واحدة واحدة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن فى الفضل والسابقة ومنه قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم فى انهم على الحق المبين وقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين والحمل على الافراد بان يقال ليست كل واحدة منكن كواحدة من آحاد النساء صحيح بل اولى ليلزم تفضيل الجماعة بخلاف الحمل على الجمع وعن ابن عباس معنى لستن كاحد من النساء يريد ليس قدركن عندى مثل قدر غيركن من النساء الصالحات انتن اكرم على وثوابكن اعظم لدى + ولما كان المعنى بل انتن اعلى النساء ذكر شرط ذلك بقوله تعالى إِنِ اتَّقَيْتُنَّ الله تعالى اى جعلتن بينكن وبين غضب الله تعالى وغضب رسوله صلى الله عليه وسلم وقاية ثم سبب عن هذا النهى قوله تعالى فَلَا تَخْضَعْنَ اى اذا تكلمتن بحضرة اجنبى بِالْقَوْلِ اى بان يكون لينا عذبا رخيما والخضوع التطامن والتواضع واللين ثم سبب عن الخضوع قوله تعالى فَيَطْمَعَ اى فى الخيانة الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ اى فساد وريبة من فسق ونفاق او نحو ذلك وعن زيد بن على قال المرض مرضان مرض زنا ومرض نفاق وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق قال اخبرنى عن قوله تعالى فيطمع الذى فى قلبه مرض قال الفجور والزنا قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم اما سمعت الاعشى وهو يقول ــ حافظ الفرج راض بالتقى + ليس ممن قلبه فى مرض + والتعبير بالطمع للدلالة على ان امنيته لا سبيل لها فى الحقيقة لان اللين فى كلام النساء خلق لهن لا تكلف فيه واريد من نساء النبى صلى الله عليه وسلم التكلف للاتيان بضده بل المرأة مندوبة الى الغلظة فى المقالة اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع + ولما نهاهن عن الاسترسال مع سجية النساء فى رخاوة الصوت امرهن بضده بقوله تعالى وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا اى يعرف انه بعيد عن محل الطمع من ذكر الله وما تحتجن اليه من الكلام مما يوجب الدين والاسلام بتصريح وبيان من غير خضوع + ولما امرهن بالقول وقدمه لعمومه اتبعه الفعل بقوله تعالى وَقَرْنَ اى اسكن وامكثن دائما فِي بُيُوتِكُنَّ فمن كسر القاف وهم غير نافع وعاصم جعله الماضى قرر بفتح العين ومن فتحه وهو نافع وعاصم فهو عنده قرر بكسرها وهما لغتان قال البغوى وقيل وهو الاصح انه امر من الوقار كقوله من الوعد عدن ومن الوصل صلن اى كن اهل وقار وسكون من قولهم وقر فلان يقر وقورا اذا سكن واطمأن انتهى ومن فتح القاف فخم الراء ومن كسرها رقق الراء وعن محمد بن سيرين قال نبئت انه قيل لسودة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ما لك لا تحجين ولا تعتمرين كما تفعل اخواتك فقالت قد حججت واعتمرت وامرنى الله ان اقر فى بيتى فوالله لا اخرج من بيتى حتى اموت قال فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى خرجت بجنازتها + واختلف فى معنى التبرج فى قوله تعالى وَلَا تَبَرَّجْنَ فقال مجاهد وقتادة هو التكسر والتغنج وقال ابن جريج هو التبختر وقيل هو ابراز الزينة وابراز المحاسن للرجال وقرأ البزى بتشديد التاء فى الوصل والباقون بالتخفيف واختلفوا ايضا

في معنى قوله تعالى تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى فقال الشعبي هي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقال ابو العالية هي زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تتخذ قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلقها منه وقال الكلبي كان ذلك في زمن نمروذ الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال الجاهلية الاولى فيما بين نوح وادريس عليهما السلام وكانت الف سنة وان بطنين من ولد آدم كان احدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل واجر نفسه منهم فكان يخدمهم واتخذ شيئا مثل الذي يزمر به الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فاتوه وهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فيتبرج النساء للرجال ويتزين الرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة بينهم فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقال قتادة ما قبل الاسلام وقيل الجاهلية الاولى ما ذكرنا والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل الجاهلية الاولى ما كانوا عليه قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم لابي ذر كما في الصحيحين ان فيك جاهلية كفر او اسلام وقول البيضاوي عن ابي الدرداء قال ابن حجر لم اجده عن ابي الدرداء وقيل قد تذكر الاولى وان لم تكن لها اخرى كقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى ولم تكن لها اخرى ولما امرهن بلزوم البيوت للتخلية عن الشوائب ارشدهن الى التحلية بالرغائب بقوله تعالى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ اي فرضا ونفلا وصلة لما بينكن وبين الخالق ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وَآتِينَ الزَّكَاةَ احسانا الى الخلائق وفي هذا بشارة بالفتوح وتوسيع الدنيا عليهن فان العيش وقت نزولها كان ضيقا عن القوة فضلا عن الزكوة ولما امرهن بخصوص ما تقدم لانهما اصل الطاعات البدنية والمالية ومن اعتنى بهما حق الاعتناء جرتاه الى ما وراءهما ثم عمم في قوله تعالى وَأَطِعْنَ اللَّهَ اي الذي له صفات الكمال وَرَسُولَهُ اي الذي لا ينطق عن الهوى فيما امر به ونهى عنه إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ اي الذي هو ذو الجلال والاكرام بما امركن به ونهاكن عنه من الاعراض عن الزينة وما يتبعها والاقبال عليه لِيُذْهِبَ اي لاجل ان يذهب عَنْكُمُ الرِّجْسَ اي الاثم الذي نهى الله تعالى عنه النساء قاله مقاتل وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس فيه رضا الرحمن وقال قتادة يعني السوء وقال مجاهد الرجس الشك وقوله تعالى أَهْلَ الْبَيْتِ في نصبه اوجه احدها النداء اي يا اهل البيت او المدح اي امدح اهل البيت والاختصاص اي اخص اهل البيت كما قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث والاختصاص في المخاطب اقل منه في المتكلم ومنه بك الله نرجو الفضل والاكثر انما هو في المتكلم كقولها

نحن بنات طارق + نمشي على النمارق + وقولهم نحن بنی ضبة اصحاب الجمل + الموت احلی
عندنا من العسل + وقولهم نحن العرب اقرى الناس للضيف + واختلف فی اهل البيت والاولى فيهم
ما قال البقاعی انهم كل من يكون من الزام النبیّ صلی الله عليه وسلم من الرجال والنساء والازواج
والاماء والاقارب وكلما كان الانسان منهم اقرب وبالنبیّ صلی الله عليه وسلم اخص والزم كان
بالارادة احق واجدر ويؤيده قول البيضاوی وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلی
وابنيهما رضی الله تعالى عنهم لما روی انه عليه الصلوة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط
مرجّل من شعر اسود فجلس فجاءت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علی فادخله فيه ثم جاء الحسن
والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك
علی عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف وعن ابن عباس انهم نساء النبیّ صلی الله عليه وسلم
لانهنّ فی بيته وتلا قوله تعالى واذكرن ما يتلى فی بيوتكنّ من آيات الله وعن ام سلمة رضی الله تعالى
عنها قالت فی بيتی انزل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قالت فارسل رسول الله
صلی الله عليه وسلم الى فاطمة وعلی والحسن والحسين فقال هؤلاء اهل بيتی فقلت يا رسول الله اما
انا من اهل البيت فقال بلی ان شاء الله وقال زيد بن ارقم اهل بيته من حرم الصدقة بعده آل علی
وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال الرازی والاولى ان يقال هم اولاده وازواجه والحسن
والحسين وعلی منهم لانه كان من اهل بيته لمعاشرته بنت النبیّ صلی الله عليه وسلم وملازمته له
ولما استعار للمعصية الرجس استعار للطاعة الطهر ترغيبا لاصحاب الطباع السليمة والعقول المستقيمة
فی الطاعة وتنفيرا لهم عن المعصية بقوله تعالى وَيُطَهِّرَكُمْ اى يفعل فی طهركم الصيانة عن جميع
القاذورات الحسية والمعنوية فعل المبالغ فيه وزاد ذلك عظما بالمصدر بقوله تعالى تَطْهِيرًا
وعن ابن عباس قال شهدنا رسول الله صلی الله عليه وسلم تسعة اشهر ياتی كل يوم باب علی بن ابی طالب
عند وقت كل صلوة فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا الصلوة رحمكم الله كل يوم خمس مرات ثم بيّن تعالى ما انعم الله به عليهنّ
من انّ بيوتهنّ مهابط الوحی بقوله تعالى وَاذْكُرْنَ اى فی انفسكنّ ذكرا دائما واذكرنه لغيركنّ علی
جهة الوعظ والتعليم مَا يُتْلَى اى ما يتابع ويوالى ذكره فِي بُيُوتِكُنَّ اى بواسطة النبیّ صلی الله عليه وسلم
الذی عمر بيوتكنّ وقوله تعالى مِنْ آيَاتِ اللَّهِ اى القرآن بيان للموصول فيتعلق باعنی ويجوز ان يكون
حالا اما من الموصول واما من عائده المقدر فيتعلق بمحذوف ايضا واختلف فی قوله تعالى
وَالْحِكْمَةِ فقال قتادة يعنی السنة وقال مقاتل احكام القرآن ومواعظه إِنَّ اللَّهَ اى الذی له
جميع العصمة كَانَ اى ولم يزل لَطِيفًا اى يوصل الى المقاصد بلطائف الاسباب خَبِيرًا ع
اى بجميع خلقه يعلم ما يسرّون وما يعلنون لا يخفى عليه خافية فيعلم من يصلح لبيت النبیّ
صلی الله عليه وسلم ومن لا وما يصلح الناس دينا ودنيا وما لا يصلحهم والطرق الموصلة

لكل ما قضاه وقدره وان كانت على غير ما يألفه الناس من انقطع الى الله كفاه الله تعالى مؤنته ورزقه
من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها ولقد صدق الله تعالى وعده في لطفه
وحقق بره في خبره بان فتح على نبيه صلى الله عليه وسلم خيبر فافاض بها من رزقه الواسع ولما توفى
نبيه صلى الله عليه وسلم يحميه من زهرة الحيوة الدنيا فتح الفتوحات الكبار من بلاد فارس والروم
ومصر وما بقي من اليمن ثم الفتح بجميع الاقطار الشرق والغرب والجنوب والشمال ومكن اصحاب
نبيه صلى الله عليه وسلم من كنوز تلك البلاد وذخائر اولئك الملوك حتى صار الصحابة رضوان
الله تعالى عليهم يكيلون المال كيلا وزاد الامر حتى دون عمر رضي الله تعالى عنه الدواوين
وفرض للناس عامة ارزاقهم حتى للرضعاء وكانوا لا يفرض للمولود حتى يفطم فكانوا
يستعجلون بالفطام فنادى مناديه لا تعجلوا اولادكم بالفطام فانا نفرض لكل مولود في الاسلام وفاوت
بين الناس في العطاء بحسب القرب من النبي صلى الله عليه وسلم والبعد منه وبحسب السابقة
في الاسلام والهجرة ونزل الناس منازلهم بحيث ارضى جميع الناس حتى قدم عليه خالد
ابن عرفطة فسأله عما وراءه فقال تركتهم يسألون الله تعالى ان يزيد في عمرك من اعمارهم
قال عمر انما هو حقهم وانا اسعد بادائه اليهم واني لاعم بنصيحتي كل من طوقني الله امره فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات غاشا لرعيته لم يرح ريح الجنة فكان فرضه لازواج النبي
صلى الله عليه وسلم اثنا عشر الفا لكل واحدة وهي نحو الف دينار في كل سنة واعطى عائشة خمسة
وعشرين الفا لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فابت ان تأخذ الا ما تأخذه صواحباتها وروى
عن برزة بنت رافع قالت لما خرج العطاء ارسل عمر الى زينب بنت جحش بالذي لها فلما ادخل اليها قالت
غفر الله لعمر غيري من اخواتي اقوى على قسم هذا مني قالوا هذا كله لك قالت سبحان الله ثم قالت صبوه
واطرحوا عليه ثوبا ثم قالت لي ادخلي يدك واقبضي منه قبضة فاذهبي بها الى بني فلان وبني فلان
من ذوي رحمها وايتام لها فقسمته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب قالت برزة بنت رافع غفر الله
لك يا ام المؤمنين والله لقد كان لنا في هذا الحق قالت فلكم ما تحت الثوب قالت فوجدنا تحته
خمسمائة وثمانين درهما ثم رفعت يديها الى السماء وقالت اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا
فماتت قال البقاعي ذكر ذلك البلاذري في كتاب فتوح البلاد انتهى وعن مقاتل قال قالت ام سلمة بنت
ابي امية ونسيبة بنت كعب الانصارية للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء
في شيء من كتابه نخشى ان لا يكون فيهن خير فانزل الله تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ اي الداخلين في الاسلام
المنقادين لحكم الله في القول والعمل ولما كان الاسلام مع كونه اكمل الاوصاف واعلاها يمكن ان يكون
بالظاهر فقط اتبعه المحقق له وهو اسلام الباطن بالتصديق التام بغاية الاذعان فقال عاطفا له
ولما بعده من الاوصاف التي يمكن اجتماعها بالواو للدلالة على تمكن الجامعين لهذه الاوصاف
في كل وصف منها ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ اي المصدقين بما يجب ان يصدق به ولما كا

المؤمن المسلم قد لا يكون في اعماله مخلصا قال وَالْقٰنِتِيْنَ وَالْقٰنِتٰتِ اي المخلصين في ايمانهم واسلامهم المداومين على الطاعة + ولما كان القنوت قد يطلق على الاخلاص المقتضي للمداومة وقد يطلق على مطلق الطاعة قال وَالصّٰدِقِيْنَ وَالصّٰدِقٰتِ اي في ذلك كله من قول وعمل + ولما كان الصدق وهو اخلاص القول والعمل عن شوب يلحقه او شيء يدنسه قد لا يكون دائما قال مشيرا الى ان ما لا يكون دائما لا يكون صدقا في الواقع وَالصّٰبِرِيْنَ وَالصّٰبِرٰتِ اي على الطاعات وعن المعاصي + ولما كان الصبر قد يكون بحمية دل على صرفه الى الله بقوله تعالى وَالْخٰشِعِيْنَ وَالْخٰشِعٰتِ اي المتواضعين لله تعالى بقلوبهم وجوارحهم + ولما كان الخشوع والخضوع والاخبات والسكون لا يصح مع توفير المال فانه سكون اليه قال معلما انه اذ ذاك لا يكون على حقيقته وَالْمُتَصَدِّقِيْنَ وَالْمُتَصَدِّقٰتِ بما وجب في اموالهم وبما استحب سرا وعلانية تصديقا لخشوعهم + ولما كان بذل المال قد لا يكون مع الايثار اتبعه ما يعين عليه بقوله تعالى وَالصّٰٓئِمِيْنَ وَالصّٰٓئِمٰتِ اي فرضا ونفلا للايثار بالقوت وغير ذلك + ولما كان الصوم يكسر شهوة الفرج وقد يثيرها قال تعالى وَالْحٰفِظِيْنَ فُرُوْجَهُمْ وَالْحٰفِظٰتِ اي عما لا يحل لهم وحذف مفعول الحافظات لتقدم ما يدل عليه والتقدير والحافظاتها وكذلك والذاكرات وحسن الحذف رؤس الفواصل + ولما كان حفظ الفرج وسائر الاعمال لا يكاد يوجد الا بالذكر وهو الذي يكون عنده المراقبة الموصلة الى المحاضرة المحققة للمشاهدة الموجبة للفناء قال تعالى وَالذّٰكِرِيْنَ اللّٰهَ كَثِيْرًا وَّالذّٰكِرٰتِ اي بقلوبهم والسنتهم في كل حالة ومن علامات الاكثار من الذكر اللهج به عند الاستيقاظ من النوم وقال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله تعالى قائما وقاعدا ومضطجعا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون قال الذاكرون الله تعالى كثيرا والذاكرات قال عطاء بن ابي رباح من فوض امره الى الله عز وجل فهو داخل في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات ومن اقر بان الله تعالى ربه ومحمدا صلى الله عليه وسلم رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله تعالى والمؤمنين والمؤمنات ومن اطاع الله تعالى في الفرض والرسول صلى الله عليه وسلم في السنة فهو داخل في قوله تعالى والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله تعالى والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعات وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله تعالى والصابرين والصابرات ومن صلى ولم يعرف من عن يمينه وعن يساره فهو داخل في قوله تعالى والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل اسبوع بدرهم فهو داخل في قوله تعالى والمتصدقين والمتصدقات ومن صام في كل شهر ايام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله تعالى والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عن الحرام فهو داخل في قوله تعالى والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اَعَدَّ اللّٰهُ اي الذي لا يقدر احد ان يقدره حق قدره لانه لا تناهي لعظمته

شئ لهم مغفرة اى لما اقترفوه من الصغائر لانها مكفرات بفعل الطاعات في الاية عليه وفضل الله
تعالى واسع + ولما ذكر تعالى الفضل بالتجاوز اتبعه الفضل بالكرم والرحمة بقوله تعالى وَاَجْرًا عَظِيْمًا اى
على طاعتهم والاية وعد لهن ولامثالهن بالاثابة على الطاعة والتدرع بهذه الخصال وروى ان
سبب نزول هذه الاية ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن
ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فانزل الله تعالى هذه الاية وروى
ان اسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابى طالب فدخلت على نساء النبى صلى الله
عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شئ من القرآن قلن لا فاتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
ان النساء لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن بخير كما تذكر الرجال فانزل الله
عز وجل هذه الاية وقيل لما نزل في نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل
فينا شئ فنزلت + تنبيه + عطف الاناث على الذكور لاختلاف جنسيهما والعطف فيه ضرورى لاختلافهما
ذاتا وعطف الزوجين وهو مجموع المؤمنين والمؤمنات على الزوجين وهو مجموع المسلمين والمسلمات
لتغاير وصفيهما وليس العطف فيه بضرورى بخلافه في الاول لان اختلاف الجنس اشد من اختلاف
الصفة وفائدة العطف عند تغاير الاوصاف الدلالة على ان اعداد المعد من المغفرة والاجر العظيم اى
رهينة المذكورين بجمع بين هذه الصفات فصار المعنى ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر
اعد الله تعالى لهم مغفرة واجرا عظيما وقوله تعالى وَمَا كَانَ اى وما صح لِمُؤْمِنٍ وَّلَا مُؤْمِنَةٍ اِذَا قَضَى اللّٰهُ وَرَسُوْلُهٗ
اَمْرًا اى اذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى لتعظيم امره والاشعار بانه قضاء الله تعالى
نزلت في زينب بنت جحش الاسدية واخيها عبد الله بن جحش وامهما اميمة بنت عبد المطلب عمة النبى
صلى الله عليه وسلم لما خطب النبى صلى الله عليه وسلم زينب على مولاه زيد بن حارثة وكان اشتراه زيدا
في الجاهلية بعكاظ فاعتقه وتبناه فلما خطب النبى صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها
لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد بن حارثة ابت وقالت انا ابنة عمتك يا رسول الله فلا ارضاه
لنفسي وكانت بيضاء جميلة فيها حدة وكذلك كره اخوها ذلك رواه الدارقطني بسند ضعيف وقيل
في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد اَنْ يَّكُوْنَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ
اَمْرِهِمْ اى ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله تعالى ولرسوله
صلى الله عليه وسلم + تنبيه + الخيرة مصدر من تخير كالطيرة من تطير على غير قياس وجمع الضمير في قوله
تعالى لهم وفي قوله تعالى من امرهم لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي ويجوز ان يكون
الضمير في من امرهم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وجمع للتعظيم كما جرى عليه البيضاوي وقرأ
ان يكون الكوفيون وهشام بالياء التحتية والباقون بالفوقية ولانه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى
ومن عصاه فقد عصى الله تعالى كما قال تعالى وَمَنْ يَّعْصِ اللّٰهَ اى الذى لا امر لاحد معه
وَرَسُوْلَهٗ اى الذى معصيته معصية الله تعالى لكونه بينه وبين الخلق في بيان ما ارسل به اليهم

وقوله تعالى فَقَدْ ضَلَّ قرأه قالون وابن كثير وعاصم بالاظهار والباقون بالادغام وزاد ذلك بقوله تعالى ضَلَالًا مُّبِينًا اى فقد اخطأ خطأ ظاهر الاخفاء فيه فالواجب على كل احد ان يكون معه صلى الله عليه وسلم فى كل ما يختاره وان كان فيه اعظم المشقات عليه تمثلا بقول الشاعر
ـه وقف الهوى بى حيث انت فليس لى + متأخر عنه ولا متقدم + واهنتنى فاهنت نفسى جاهدا + ما من يهون عليك ممن يكرم + فلما نزلت هذه الاية رضيت زينب بذلك وجعلت امرها بيد النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك اخوها فانكحها صلى الله عليه وسلم زيدا فدخل بها وساق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وازارا وملحفة وخمسين مدا من الطعام وثلاثين صاعا من تمر ومكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصر زينب قائمة فى درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من اتم نساء قريش فوقعت فى نفسه واعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت ذلك له ففطن زيد فالقى فى نفس زيد كراهتها فى الوقت فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى اريد ان افارق صاحبتى قال مالك ارابك منها شئ قال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعاظم على لشرفها وتؤذينى بلسانها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك يعنى زينب بنت جحش واتق الله فى امرها فانزل الله تعالى وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ اى الملك الذى له كل الكمال عَلَيْهِ وتولى نبيه عليه الصلاة والسلام اياه وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بالاظهار والباقون بالادغام ثم بين تعالى منزلته من النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ اى بالعتق والتبنى حيث استشارك فى فراق زوجته التى اخبرك الله تعالى انه يفارقها وتصير زوجتك أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ اى زينب رضى الله عنها وَاتَّقِ اللَّهَ الذى له جميع العظمة فى جميع امرك وَتُخْفِي اى والحال انك تخفى اى تقول قولا مخفيا مَا فِي نَفْسِكَ اى ما اخبرك الله من انها ستصير احدى زوجاتك عند طلاق زيد مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ اى مظهره بحمل زيد على تطليقها وان امرته بامساكها وتزويجك بها وامرك بالدخول عليها وهذا دليل على انه ما اخفى غير ما اعلمه الله تعالى من انها ستصير زوجته عند طلاق زيد لان الله تعالى ما ابدى غير ذلك ولو اخفى غيره لابداه سبحانه لانه لا يبدل قوله وقول ابن عباس كان فى قلبه حبها بعيد وكذا قول قتادة ود لو انه لو طلقها زيد وكذا قول غيرهما كان فى قلبه لو فارقها زيد تزوجها ولما ذكر تعالى اخفاءه ذلك ذكر علته بقوله تعالى عاطفا على تخفى وَتَخْشَى النَّاسَ اى من ان تخبر بما اخبر الله تعالى به فيصوبوا اليك مرجمات الظنون لا سيما اليهود والمنافقون وقال ابن عباس والحسن تستحييهم وقيل تخاف لائمة الناس ان يقولوا امر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها وَاللَّهُ اى والحال ان الذى لا شئ اعظم منه أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ اى وحده ولا تجمع خشية الناس مع خشيته فى ان تؤخر شيئا اخبرك به حتى يأتيك فيه امر قال عمر وابن مسعود

وعن عائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي اشد عليه من هذه وروى عن مسروق قال قالت عائشة لو كتم النبي صلى الله عليه وسلم شيئا مما اوحى اليه لكتم هذه الآية وتخفي في نفسك ما الله مبديه ويؤيد ما مر ما روى سفيان بن عيينة عن علي عن زيد بن جدعان قال سألني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه قال قلت يقول لما جاء زيد الى النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله اني اريد ان اطلقها فقال له امسك عليك زوجك فقال علي بن الحسين ليس كذلك لان الله تعالى قد اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال اني اريد ان اطلقها قال له امسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو اللائق والاليق بحال الانبياء عليهم السلام وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى اعلم انه يبدي ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ اي حاجة من زواجها والدخول بها وذلك بانقضاء عدتها منه لان به يعرف انه لا حاجة له فيها وانه قد تقاصرت عنها همته والا راجعها ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ اي ولم نحوجك الى ولي من الخلق يعقد لك عليها تشريفا لك ولها بما لنا من العظمة التي خرقنا بها عوائد الخلق حتى اذعن لذلك كل من علم به وسرت به جميع النفوس ولم يقدر منافق ولا غيره على الخوض في ذلك ببنت شفة مما يوهنه ويؤثر فيه فلو كان الذي اضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها او ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما اعلمه الله تعالى من انها ستكون زوجة له وانما اخفاه استحياء ان يقول لزيد ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون امرأتي قال البغوي وهذا هو الاولى والاليق وان كان الآخر وهو انه اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الانبياء عليهم السلام لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المأثم لان الود وميل النفس من طبع البشر وقوله امسك عليك زوجك واتق الله امر بالمعروف وهو خشية الاثم فيه وقوله والله احق ان تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلوة والسلام قال انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكن المعنى الله احق ان تخشاه وحده ولا تخشى احدا معه فانت تخشاه وتخشى الناس ايضا ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله احق بالخشية في عموم الاحوال وفي جميع الاشياء انتهى وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها اذا طلقت وانقضت عدتها روى مسلم في صحيحه عن انس رضي الله عنه قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي قال فانطلق زيد حتى اتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة شيئا [illegible] صلى الله عليه وسلم

[illegible]

فدخل عليها بغير اذن قال ولقد رأيتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد
النهار فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته
فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت اهلك قال فما ادري انا اخبرته
ان القوم خرجوا او اخبرني قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه فالقى الستر بيني وبينه
ونزل الحجاب وعن انس رضي الله عنه قال ما اولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما اولم
على زينب اولم بشاة وفي رواية اكثر وافضل ما اولم على زينب قال ثابت فبما اولم قال اطعمهم خبزا
ولحما حتى تركوه قال انس رضي الله عنه كانت زينب تفخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
تقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي
صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن جدي وجدك واحد
وانكحنيك الله في السماء وان السفير جبريل عليه السلام واخرج ابن سعد والحاكم عن محمد بن
يحيى بن حبان قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه وكان زيد يقال
له زيد بن محمد فربما فقده رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة فيقول اين زيد فجاء منزله
يطلبه فلم يجده وتقوم اليه زينب بنت جحش زوجته فضلا فاعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنها فقالت ليس هو ههنا يا رسول الله فادخل فابى ان يدخل فاعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فولى وهو
يهمهم بشيء لا يكاد يفهم منه الا ربما اعلن بسبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب فجاء زيد الى منزله
فاخبرته امرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى منزله فقال زيد الا قلت له ان يدخل قالت
قد عرضت ذلك عليه فابى قال فسمعت شيئا منه قالت سمعته حين ولى تكلم بكلام لا افهمه وسمعته
يقول سبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب فجاء زيد حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
بلغني انك جئت منزلي فهلا دخلت يا رسول الله لعل زينب اعجبتك فافارقها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك فما استطاع زيد اليها سبيلا بعد ذلك اليوم فيأتي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيخبره فيقول امسك عليك زوجك ففارقها زيد واعتزلها وانقضت عدتها
فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عائشة اذ اخذته غشية فسري عنه وهو
يتبسم ويقول من يذهب الى زينب يبشرها ان الله زوجنيها من السماء وقرأ واذ تقول للذي الآية
قالت عائشة فاخذني ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها واخرى هي اعظم الامور واشرفها
زوجها الله من السماء وقلت هي تفخر علينا بهذا + ولما ذكر تعالى التزويج على ما له من العظمة ذكر
علته بقوله تعالى لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ اى ضيق واثم فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ اى الذين
تبنوهم واجروهم في تحريم ازواجهم مجرى ازواج البنين على الحقيقة إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا
اى حاجة بالدخول بهن ثم الطلاق وانقضاء العدة + فائدة + لا مقطوعة في الرسم من كي
+ تنبيه + الادعياء جمع دعي وهو المتبنى اى زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته

ليعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبنى وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب لا تحل للاب وَكَانَ اَمْرُ اللّٰهِ من الحكم بتزويجها وان كرهت وتركت اظهار ما اخبرك الله تعالى به كراهية لسوء المقالة واستحياء من ذلك وكذا كل امر يريده سبحانه مَفْعُوْلًا اى قضاء الله تعالى ماضيا وحكمه نافذا فى كل ما اراده لا معقب لحكمه مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ اى الذى منزلته من الله تعالى الاطلاع على ما لا يطلع عليه غيره من الخلق مِنْ حَرَجٍ فِيْمَا فَرَضَ اى قدر الله بما له من صفات الكمال واوجبه له لانه لم يكن على المؤمنين مطلقا حرج فى ذلك فليمت براس المؤمنين قوله تعالى سُنَّةَ اللّٰهِ منصوب بنزع الخافض اى كسنة الله فِى الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ من الانبياء عليهم السلام انه لا حرج عليهم فيما اباح لهم قال الكلبى ومقاتل اراد داود عليه السلام حين جمع بينه وبين المرأة التى هويها فكذلك جمع بين محمد وبين زينب وقيل اراد بالسنة النكاح فانه من سنة الانبياء عليهم السلام فكان من كان من الانبياء عليهم السلام هذا سنتهم فقد كان لسليمان بن داود عليهما السلام الف امرأة وكان لداود مائة امرأة وَكَانَ اَمْرُ اللّٰهِ اى قضاء الملك الاعظم فى ذلك وغيره قَدَرًا واكده بقوله تعالى مَقْدُوْرًا اى لا خلف فيه لا بد من وقوعه فى حينه الذى حكم بكونه فيه وقوله تعالى اَلَّذِيْنَ نعت للذين قبله يُبَلِّغُوْنَ اى الى اممهم رِسٰلٰتِ اللّٰهِ اى الملك الاعظم سواء كانت فى نكاح ام غيره وَيَخْشَوْنَهٗ اى فيخبرون بكل ما اخبرهم به وَلَا يَخْشَوْنَ اَحَدًا قل او جل اِلَّا اللّٰهَ فلا يخشون قالة الناس فيما احل الله لهم وَكَفٰى بِاللّٰهِ اى المحيط بجميع صفات الكمال حَسِيْبًا اى حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم ÷ ولما افاد هذا كله ان الدعى ليس ابنا وكانوا قد قالوا لما تزوج زينب كما رواه الترمذى عن عائشة تزوج حليلة ابنه قال تعالى مَا كَانَ اى بوجه من الوجوه مُحَمَّدٌ اى على كثرة نسائه واولاده اَبَا اَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ لا مجازا بالتبنى ولا حقيقة بالولادة فثبت بذلك انه يحرم عليه زوجة الابن ولم يقل تعالى من بنيكم لانه لم يكن له فى ذلك الوقت سنة خمس ما دانا هاابن ذكر لعلمه تعالى انه سيولد له ابنه ابراهيم عليه السلام مع ما كان له قبله من البنين الطاهر والطيب والقاسم وانه لم يبلغ احد منهم الحلم عليهم السلام قال البيضاوى ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم انتهى وهذا انما ياتى على ان المراد التبنى وقال البغوى والصحيح انه اراد باحد من رجالكم الذين لم يلدهم انتهى ومع هذا الاول اوجه كما جرى عليه البقاعى ÷ ثم لما نفى تعالى ابوته عنهم قال وَلٰكِنْ كان فى علم الله غيبا وشهادة رَّسُوْلَ اللّٰهِ اى الملك الاعظم الذى كل من سواه عبده وَخَاتَمَ النَّبِيّٖنَ اى آخرهم الذى ختمهم لان رسالته عامة ومعها اعجاز القرآن فلا حاجة مع ذلك الى استنباء ولا ارسال وذلك مقتض لئلا يبلغ له ولد اذ لو بلغ له ولد لا يمنصبه ان يكون نبيا اكراما له لانه اعلى النبيين رتبة واعظمهم شرفا وليس لاحد من الانبياء كرامة الا وله مثلها واعظم منها ولو صار احد من ولده رجلا لكان نبيا بعد ظهور نبوته وقد قضى الله تعالى ان لا يكون بعده نبى اكراما له روى احمد وابن ماجة عن انس وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم

قال في ابنه ابراهيم عليه السلام لو عاش لكان صديقا نبيا وللبخاري نحوه عن البراء بن عازب وللبخاري
من حديث ابن ابي اوفى لو قضى ان يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي لعاش ابنه ولكن لا نبي بعده
وقال ابن عباس رضي الله عنه يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون من بعده نبيا وروى
عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه لما حكم انه لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا وقيل
من لا نبي بعده يكون اشفق على امته واهدى لهم اذ هو كالوالد لولد ليس له غيره والحاصل انه
لا يأتي بعده نبي مطلقا بشرع جديد ولا يتجدد بعده مطلقا استنباء وهذه الآية مثبتة لكونه خاتما
على ابلغ وجه واعظمه وذلك انها في سياق الانكار بان يكون بينه وبين احد من رجالهم بنوة
حقيقية او مجازية لو كانت بعده لاحد لم يكن ذلك الا لولده ولان فائدة اثبات النبي تتميم شيء لم يأت
به من قبله وقد حصل به صلى الله عليه وسلم التمام فلم يبق بعد ذلك مرام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
واما تجديد ما وهي مما احدثه بعض الفسقة فالعلماء كافون فيه لوجود ما خص به صلى الله عليه وسلم
من هذا القرآن المعجز الذي من سمعه فكأنما سمعه من الله عز وجل لوقوع التحقق والقطع بانه لا يقدر
غيره ان يقول شيئا منه فمهما حصل ذهول عن ذلك قرره من يريد الله تعالى من العلماء فيتجدد به
الاستبصار كما روي في بعض الآثار علماء امتي كانبياء بني اسرائيل واما اتيان عيسى عليه السلام بعد
تجديد الهدى بجميع ما وهي من اركان المكارم فلاجل فتنة الدجال ثم طامة ياجوج وماجوج ونحو ذلك
مما لا يستقل باعبائه غير نبي وما احسن قول حسان بن ثابت في مرثية لابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم
مضى ابنك محمود العواقب لم يشب + بعيب ولم يذمم بقول ولا فعل + رأى انه ان عاش ساواك في العلا
فآثر ان يبقى وحيدا بلا مثل + وقال الغزالي في آخر كتابه الاقتصاد ان الامة فهمت من هذا
اللفظ ومن قرائن احواله صلى الله عليه وسلم انه افهم عدم نبي بعده ابدا وعدم رسول
بعده ابدا وانه ليس فيه تأويل ولا تخصيص وقال ان من اوله بتخصيص النبيين باولي العزم
من الرسل ونحو هذا فكلامه من انواع الهذيان لا يمنع الحكم بتكفيره لانه مكذب لهذا النص الذي
اجمعت الامة على انه غير مؤول ولا مخصوص انتهى وقد بان بهذا ان اتيان عيسى عليه السلام
غير قادح في هذا النص فانه من امته صلى الله عليه وسلم المقررين لشريعته وهو قد كان نبيا قبله
لم يتجدد له شيء لم يكن فلم يكن ذلك قادحا في الختم وهو مثبت لشرف نبينا صلى الله عليه وسلم اذ لولاه
لما وجد وذلك انه لم يكن لنبي من الانبياء شرف الا وله صلى الله عليه وسلم مثله او اعلى منه
وقد كانت الانبياء تأتي مقررة لشريعة موسى عليه السلام مجددة لها فكان المقرر لشريعة نبينا
صلى الله عليه وسلم المتبع لملته من كان ناسخا لشريعة موسى صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بفتح التاء
والباقون بكسرها فالفتح اسم للآلة التي يختم بها كالطابع والقالب لما يطبع به ويقلب فيه
والكسر على انه اسم فاعل وقال بعضهم هو بمعنى المفتوح يعني بمعنى آخرهم
لانه ختم النبيين فهو خاتمهم وكان الله اي الذي له كل صفة كمال ازلا وابدا بكل شيء من

ذلك وغيره عليماً فيعلم من يليق بالختم ومن يليق بالبدء قال الاستاذ ولى الدين الملوى فى
كتابه حسن النفوس فى سؤال القبر واختصاصه صلى الله عليه وسلم بالاحمدية والمحمدية اعلام وصفه
برهان على ختمه اذ الحمد مقرون بانقضاء الامور مشروع عنده واخر دعواهم ان الحمد لله
رب العالمين وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلى فى مثل الانبياء
كمثل قصر احكم بنيانه ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه الا موضع
تلك اللبنة لا يعيبون بسواها فكنت انا موضع تلك اللبنة ختم بى البنيان وختم بى الرسل وقال
عليه الصلوة والسلام ان لى اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى يمحو الله تعالى بى الكفر وانا الحاشر
الذى يحشر الله تعالى الناس على قدمى وانا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى ولما
كان ما اثبته لنفسه سبحانه من احاطة العلم مستلزما للاحاطة باوصاف الكمال قال تعالى
يَآيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اى ادعوا ذلك بالسنتهم اذْكُرُوا اللّٰهَ الذى هو اعظم من كل شئ تصديقا
لدعواكم ذلك ذِكْرًا كَثِيْرًا قال ابن عباس لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها حدا
معلوما ثم عذر اهلها فى حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر احدا فى
تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم به فى الاحوال فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا اى بالليل والنهار والبر والبحر والصحة والسقم فى السر والعلانية
وقال مجاهد الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا فيعم ذلك سائر الاوقات وسائر ما هو اهله من التقديس والتهليل
والتمجيد وَسَبِّحُوْهُ بُكْرَةً وَّاَصِيْلًا اى اول النهار واخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما
على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقال
البغوى وسبحوه اى صلوا له بكرة اى صلوة الصبح واصيلا يعنى صلوة العصر وقال الكلبى اصيلا يعنى
صلوة الظهر والعصر والعشائين وقال مجاهد معناه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله فعبر بالتسبيح عن اخواته وقيل المراد من قوله تعالى ذكرا كثيرا هذه الكلمات يقولها
الطاهر والجنب والمحدث وعن انس لما انزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى وقال
ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله ما انزل الله تعالى عليك خيرا الا اشركنا فيه انزل الله تعالى
هُوَ الَّذِىْ يُصَلِّىْ عَلَيْكُمْ اى يرحمكم وَمَلٰٓئِكَتُهٗ اى يستغفرون لكم فالصلوة من الله تعالى رحمة ومن الملائكة
استغفار للمؤمنين فذكر صلوته تحريضا للمؤمنين على الذكر والتسبيح قال السدى قالت بنو اسرائيل
لموسى عليه السلام ايصلى ربنا فكبر هذا الكلام على موسى فاوحى الله تعالى اليه قل لهم انى اصلى
وان صلوتى رحمتى وقد وسعت رحمتى كل شئ وقيل الصلوة من الله هى اشاعة الذكر الجميل له فى
عباده وقيل الثناء عليه واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم وهو سبب للرحمة من حيث
انهم مجابو الدعوة فقد اشتركت الصلاتان والفظ الاشتراك يجوز استعماله فى معنييه معا وكذلك
الجمع بين الحقيقة والمجاز فى لفظ جائز قال الرازى وينسب هذا القول للشافعى رحمه الله تعالى

وهو غير بعيد وذلك لان الرحمة والاستغفار مشتركان فى العناية بحال المرحوم والمستغفر له والمراد
هو القدر المشترك فتكون الدلالة تضمنية + ولما كان فعل الملائكة منسوبا اليه قال تعالى ليخرجكم
اى ليديم اخراجه اياكم بذلك من الظلمات اى الكفر والمعصية الى النور اى الايمان والطاعة
او ليخرجكم من الجهل الموجب للضلال الى العلم المثمر للهدى وكان اى ازلا وابدا بالمؤمنين
اى الذين صار الايمان وصفا لهم رحيما اى بليغ الرحمة بتوفيقهم حيث اعتنى بصلاح امرهم
واستعمل فى ذلك ملائكته المقربين فحملهم ذلك على الاخلاص فى الطاعات فرفع لهم الدرجات
فى روضات الجنات تحيتهم اى المؤمنين يوم يلقونه اى يرون الله تعالى سلام اى يسلم الله تعالى
عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروى عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام
يعنى يلقون ملك الموت فلا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه وعن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت
ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم حين يخرجون من
قبورهم واعد اى والحال انه اعد لهم اى بعد السلامة الدائمة اجرا كريما هو الجنة وتقدم ذكر
الكريم فى الرزق فان قيل الاعداد انما يكون ممن لا يقدر عند الحاجة الى الشئ عليه واما الله تعالى
فغير محتاج ولا عاجز بحيث يلقاه يؤتيه ما يرضى به وزيادة فما معنى الاعداد من قبل اجيب بان
الاعداد للاكرام لا للحاجة قال البيضاوى ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو
اهم يا ايها النبى اى الذى نخبره بما لا يطلع عليه غيره انا ارسلناك اى بعظمتنا الى سائر خلقنا شاهدا
اى عليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالتهم او شاهدا للرسل بالتبليغ وهو حال مقدرة
او مقارنة لقرب الزمان ومبشرا اى لمن آمن بالجنة ونذيرا اى لمن كذب بالنار وداعيا الى الله
اى الى توحيده وطاعته وقوله تعالى باذنه حال اى متلبسا بتسهيله ولا يريد حقيقة الاذن لانه
مستفاد من ارسلناك وسراجا اى مثله فى الاهتداء به يمد البصائر فيجلى ظلمات الجهل بالعلم
المبصر لمواقع الزلل كما يمد النور الحسى نور الابصار منيرا اى نيرا على من اتبعه فيصير فى اعظم ضياء ومن تخلف
عنه كان فى اشد ظلام وعبر به دون الشمس مع ان الشمس اشد اضاءة من السراج لان نور الشمس لا يؤخذ
منه شئ والسراج يؤخذ منه انوار كثيرة اذا انطفأ الاول يبقى الذى اخذ منه وكذلك ان غاب النبى
صلى الله عليه وسلم كان كل صحابى سراجا يؤخذ منه نور الهداية كما قال صلى الله عليه اصحابى كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم قال ابن عادل وفى هذا الخبر لطيفة وهى ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يجعل صحابه
كالسرج وجعلهم كالنجوم لان النجم لا يؤخذ منه نور بل له فى نفسه نور اذا غرب لا يبقى نور يستفاد
منه فكذلك الصحابى اذا مات فالتابعى يستنير بنور النبى صلى الله عليه وسلم فلا يؤخذ الا قول
النبى صلى الله عليه وسلم وفعله فانوار المجتهدين كلهم من النبى صلى الله عليه وسلم ولو جعلهم كالسرج
والنبى صلى الله عليه وسلم كان سراجا كان للمجتهد ان يستنير بمن اراد منهم ويأخذ النور ممن
اختار وليس كذلك فان مع نص النبى صلى الله عليه وسلم لا يعمل بقول الصحابى بل يؤخذ

النور من النبيّ صلى الله عليه وسلم ولا يؤخذ من الصحابي فلم يجعله سراجا + تنبيه + جوّز الفراء
ان يكون الاصل وتاليا سراجا ويعني بالسراج القرآن وعلى هذا فيكون من عطف الصفات
وهي الذات واحدة لان التالي هو المرسل وقوله تعالى وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ عطف على محذوف مثل
فراقب احوال امتك ولم يقل انذر المعرضين اشارة الكرم وقوله تعالى بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا
كقوله تعالى اعد لهم اجرا عظيما والعظيم والكبير متقاربان + ولما امره سبحانه وتعالى بما يسرّ نهاه
عما يضر بقوله تعالى وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ اى لا تترك ابلاغ شئ مما انزلت اليك من الانذار
وغيره كراهة لشئ من مقالهم وافعالهم فى امر زينب وغيرها فانهم اعداء لك ولذا جمعهم الى
ما في اول السورة بحيث الفائدة في قوله مصرحا بما اقتضاه ما قبله وَدَعْ اى اترك على حالة حسنة لك امر حمل
بك أَذَاهُمْ فلا تحسب له حسابا اصلا واصبر عليه فان الله تعالى دافع عنك لانك داع باذنه وَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ اى الملك الاعلى وَكَفَى بِاللَّهِ اى الذى له الاحاطة الكاملة وَكِيلًا اى حافظا قال البغوى
وهذا منسوخ باية القتال ولما بدأ الله تعالى بتاديب النبيّ صلى الله عليه وسلم بذكر ما يتعلق
بجانب الله تعالى بقوله تعالى يا ايها النبيّ اتق الله وثنى بما يتعلق بجانب من هو تحت يده من ازواجه
الشريفات بقوله تعالى بعده يا ايها النبيّ قل لازواجك وثلث بما يتعلق بذكر العامة بقوله تعالى يا ايها
النبيّ انا ارسلناك شاهدا وكان تعالى كلما ذكر لنبيه مكرمة وعلمه ادبا ذكر للمؤمنين ما يناسبه فلذلك بدأ
في ارشاد المؤمنين بجانب الله تعالى فقال يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم ثنى بما يتعلق بجانب
من تحت ايديهم بقوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ اى عقدتم على الموصوفات
بهذا الوصف الشريف المقتضي لغاية الرغبة فيهن ودوام الوصلة بينكم وبينهن ثم كما ثلث في
تاديب النبيّ صلى الله عليه وسلم بجانب الامة ثلث في حق المؤمنين بما يتعلق بهم فقال بعد هذا
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبيّ يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فان قيل اذا كان
هذا ارشادا بما يتعلق بجانب من هو من خواص المرأة فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل
المسيس بقوله تعالى ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ اى تجامعوهن اطلق المس على الجماع لانه
طريق له كما سمي الخمر اثما لانها سببه أجيب بان هذا ارشاد الى اعلى درجات المكرمات ليعلم منها
ما دونها وبيانه ان المرأة اذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تاكيد العهد ولهذا قال تعالى في
حق الممسوسة وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا فاذا امر الله
تعالى بالتمتع والاحسان مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بمن حصلت المودة بالنسبة اليها
بالافضاء او حصل تاكدها بحصول الولد بينهما وهذا كقوله تعالى فلا تقل لهما اف ولو قال لا تضربهما
ولا تشتمهما ظن انه حرام لمعنى يختص بالضرب او الشتم لهما فاما اذا قال لا تقل لهما اف علم
منه معان كثيرة فكذلك هنا امر بالاحسان مع من لا مودة معها فعلم منه الاحسان الى الممسوسة
ومن لم تطلق [illegible] منه وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء والف بعد الميم والباقون بفتح

التاء ولا الف بعد الميم + ولما كانت العدة حقا للرجال وان كانت لا تسقط باسقاطهم لما فيها من حق الله تعالى
قال تعالى فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ اى ايام يتربصن فيها بانفسهن تَعْتَدُّونَهَا اى تحصونها وتستوفونها
بالاقراء وغيرها فتعتدونها صفة لعدة وتعتدونها اما من العدد واما من الاعتداد اى تحسبونها
او تستوفون عددها من قولك عد الدراهم فاعتدها اى استوفى عددها نحو كلته فاكتاله ووزنته
فاتزن فان قيل ما الفائدة فى الاتيان بثم وحكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك اجيب
بان ذلك ازاحة لما قد يتوهم ان تراخى الطلاق ريثما تمكن الاصابة كما يؤثر فى النسب فيؤثر
فى العدة وظاهره يقتضى عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام
للتنبيه على ان شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفة المؤمن وفى هذه الاية دليل على ان
تعليق الطلاق قبل النكاح لا يصح لان الله تعالى رتب الطلاق بكلمة ثم وهى للتراخى حتى لو قال لاجنبية
اذا نكحتك فانت طالق او كل امرأة اتزوجها فهى طالق فنكح لا يقع الطلاق وهو قول على وابن مسعود
وجابر ومعاذ وعائشة رضى الله تعالى عنهم وبه قال اهل العلم منهم الشافعى واحمد رضى الله تعالى
عنهما وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قال يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعى
واصحاب الرأى وقال ربيعة ومالك والاوزاعى ان عين امرأة يقع وان عم فلا يقع وروى
عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كذبوا على ابن مسعود رضى الله عنه ان كان قالها
فزلة من عالم فى الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهى طالق يقول الله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم
طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن وروى عطاء عن جابر لا طلاق قبل النكاح وقوله
تعالى فَمَتِّعُوهُنَّ اى اعطوهن ما يستمتعن به بحاله كما قال ابن عباس رضى الله عنه اذا لم يكن سمى لها
صداقا والا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الاية منسوخة بقوله تعالى فنصف
ما فرضتم اى فلا متعة لها مع وجوب نصف الفرض واختلف فى المتعة هل هى واجبة او مندوبة
وهى عندنا واجبة بشروط وقد تقدم الكلام عليها عند قوله تعالى فتعالين امتعكن وعند بعض الائمة
انها مندوبة وقال بعضهم هى مندوبة عند استحقاقها نصف المهر واجبة عند عدمه وذهب بعضهم
الى انها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الاية وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا اى خلوا سبيلهن بالمعروف
من غير ضرار وليس لكم عليهن عدة وقيل السراح الجميل ان لا يطالب بما دفعه اليها بان يخلى
لها جميع المهر وقوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ اى مهورهن
لان المهر اجر على البضع بيان لايثار الافضل له لا لتوقف الحل عليه وليفيد احلال المملوكة
بكونها مسبية بقوله تعالى وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ اى الذى له الامر كله عَلَيْكَ مثل صفية
بنت حيى النضيرية وريحانة القرظية وجويرية بنت الحرث الخزاعية مما كان فى ايدى الكفار
وتقييد الاقارب بكونهن مهاجرات معه فى قوله تعالى وَبَنَاتِ عَمِّكَ اى الشقيق وغيره
وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ اى نساء قريش وللابداء بالعمومة لشرفها اتبعها قوله تعالى وَبَنَاتِ خَالِكَ جاريا

في الافراد والجمع على رد النحو وبنت خالتك من نساء بني زهرة وقال البقاعي ويمكن في ذلك
احتباك عجيب وهو بنات اعمامك وبنات عماتك وبنات عمتك وبنات خالك وبنات خوالك
وبنات خالاتك انتهى وقوله تعالى اللّٰتي هاجرن معك يحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة
ويعضده ما روى الترمذي والحاكم عن ام هانئ بنت ابي طالب انها قالت فخطبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله تعالى انا احللنا لك ازواجك الاية قالت فلم اكن
لاحل له لاني لم اهاجر كنت من الطلقاء اي الاسراء الذين اطلقوا من الاسر وخلي سبيلهم قال
ابن عادل ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل انتهى ثم ان الله تعالى ذكر ما خص به نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي اي الذي اعطيناه قدرة
بما خصصناه به ان يستنكحها اي يوجد نكاحه بها بجعلها من منكوحاته فتصير له بمجرد ذلك بلا مهر
ولا ولي ولا شهود وخرج بالمؤمنة الكتابية فلا تحل له لانها تكره صحبته ولانه اشرف من ان يضع ماءه
في رحم كافرة ولقوله تعالى وازواجه امهاتهم ولا يجوز ان تكون المشركة ام المؤمنين ولخبر
سألت ربي ان لا ازوج الا من كان معي في الجنة فاعطاني رواه الحاكم وصحح اسناده واما التسري
بالكتابية فلا يحرم عليه قال الماوردي لانه صلى الله عليه وسلم تسرى بريحانة وكانت يهودية من
بني قريظة واستشكل بهذا تعليلهم السابق بانه اشرف من ان يضع ماءه في رحم كافرة واجيب
بان القصد بالنكاح اصالة التوالد فاحتيط له وبانه يلزم فيه ان تكون الزوجة المشركة ام المؤمنين بخلاف الملك وفيها
وخرج بالحرة الرقيقة وان كانت مؤمنة لان نكاحها معتبر بخوف العنت وهو معصوم وبفقدان
مهر حرة ونكاحه غني عن المهر ابتداء وانتهاء وبرق الولد ومنصبه صلى الله عليه وسلم منزه عنه
تنبيه في نصب امرأة وجهان احدهما انه عطف على مفعول احللنا اي واحللنا لك امرأة موصوفة
بهذين الشرطين قال ابو البقاء وقد رد هذا قوم وقالوا احللنا ماض وان وهبت وهو صفة المرأة مستقبل
فاحللنا في موضع جوابه وجواب الشرط لا يكون ماضيا في المعنى قال وهذا ليس بصحيح لان معنى الاحلال
هنا الاعلام بالحل اذا وقع الفعل على ذلك كما تقول ابحت لك ان تكلم فلانا ان سلم عليك والثاني
انه نصب بمقدر تقديره ويحل لك امرأة وفي قوله تعالى ان وهبت ان اراد اعتراض الشرط
على الشرط والثاني هو قيد في الاول ولذلك نعربه حالا لان الحال قيد ولهذا اشترط الفقهاء ان
يتقدم الثاني على الاول في الوجود فلو قال لزوجته ان اكلت ان ركبت فانت طالق فلا بد ان يتقدم
الركوب على الاكل وهذا لتحقق الحالية والتقييد كما ذكر اذ لو لم يتقدم لخلا جزء من الاكل غير مقيد
بركوب فلهذا اشترط تقدم الثاني ولكن يشترط ان لا يكون ثم قرينة تمنع من تقدم الثاني على الاول
كقوله لامرأته ان تزوجتك ان طلقتك فعبدي حر لا يتصور هنا تقدم الطلاق على التزوج قال بعض
المفسرين وقد عرض لي اشكال على ما قاله الفقهاء بهذه الاية وذلك ان الشرط الثاني هنا لا يمكن تقدمه
في الوجود بالنسبة الى الحكم بالنبي صلى الله عليه وسلم لا انه لا يمكن عقلا وذلك ان المفسرين

فسروا قوله تعالى ان اراد بمعنى قبل الهبة لان بالقبول منه صلى الله عليه وسلم يتم نكاحه وهذا لا يتصور
تقدمه على الهبة اذ القبول متأخر فان العصمة كانت فى تأخر ارادته عن هبتها ولما جاء ابو حيان الى
هنا جعل الشرط الثانى مقدما على الاول على القاعدة العامة ولم يستشكل شيئا مما ذكر قال ذلك
البعض وقد عرضت هذا الاشكال على جماعة من اعيان زماننا فاعترفوا به ولم يظهر عنه جواب الا
ما قدمته من انه ثم قرينة مانعة من ذلك كما مثلته انفا + ولما كان ربما توهم ان غير النبى صلى الله عليه وسلم
يشاركه فى هذا المعنى قال الله مبينا الخصوصية خَالِصَةً لَكَ وزاد المعنى بيانا بقوله تعالى مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ اى من الانبياء وغيرهم + تنبيهات + الاول فى اعراب خالصة وفيه اوجه احدها انه
منصوب على الحال من فاعل وهبت اى حالة كونها خالصة لك دون غيرك ثانيها انه نعت مصدر مقدر
اى هبة خالصة فنصبه بوهبت ثالثها انه حال من امرأة لانه وصفت فتخصصت وهو بمعنى الاول واليه
ذهب الزجاج وقيل غير ذلك والمعنى انا احللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق
التنبيه الثانى + فى انعقاد النكاح بلفظ الهبة فى حق الامة وفيه خلاف فقال سعيد بن المسيب والزهرى
ومجاهد وعطاء لا ينعقد الا بلفظ الانكاح او التزويج وبه قال مالك وربيعة والشافعى ومعنى الاية
ان اباحة الوطء بالهبة وحصول التزويج بلفظها من خواصه صلى الله عليه وسلم وقال النخعى
وابو حنيفة واهل الكوفة ينعقد بلفظ الهبة والتمليك وان معنى الاية ان تلك المرأة صارت خالصة
لك زوجة من امهات المؤمنين لا تحل لغيرك ابدا بالتزويج وأجيب بان هذا التخصيص بالواهبة
لا فائدة فيه فان ازواجه صلى الله عليه وسلم كلهن خالصات له وما مر فللتخصيص فائدة + التنبيه
الثالث + فى التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم هل كانت عنده امرأة منهن فقال عبد الله
ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبى صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة
الا بعقد نكاح او ملك يمين وقوله تعالى وهبت نفسها على طريق الشرط والجزاء وقال غيرهما بل
كانت موهوبة وهو ظاهر الاية واختلفوا فيها فقال الشعبى هى زينب بنت خزيمة الهلالية يقال
لها ام المساكين وقال قتادة هى ميمونة بنت الحرث وقال على بن الحسين والضحاك ومقاتل هى
ام شريك بنت جابر من بنى اسد وقال عروة بن الزبير هى خولة بنت حكيم من بنى سليم + التنبيه
الرابع + فى ذكر شئ من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت منها اشياء كثيرة بشرح المصدر
بها فى شرح التنبيه فلا اطيل بذكرها هنا ولكن اذكر منها طرفا يسيرا تبركا ببركة صاحبها عليه افضل
الصلوة والسلام فان ذكرها مستحب قال النووى فى روضته ولا يبعد القول بوجوبها لئلا يرى
الجاهل بعض الخصائص فى الخبر الصحيح فيعمل به اخذا باصل التاسى فوجب بيانها لتعرف وهى انواع
انواع + احدها الواجبات وهى اشياء كثيرة + منها الضحى والوتر والاضحية وفى الحديث ما يدل على
ان الواجب اقل الضحى وقياسه ان الوتر كذلك + ومنها السواك لكل صلوة والمشاورة لذوى الاحلام
فى الامر وتخيير نسائه بين مفارقته طلبا للدنيا واختياره طلبا للاخرة ولا يشترط الجواب لفظا منهن

فورا فلو اختارته واحدة لم يحرم عليه طلاقها او كرهته توقفت الفرقة على الطلاق وليس قولها
اخترت نفسي بطلاق كما مرت الاشارة اليه وله تزوجها بعد الفراق + النوع الثاني المحرمات وهي
اشياء كثيرة منها الزكوة والصدقة وتعلم الخط والشعر ومد العين الى متاع الدنيا وخائنة الاعين وهي
الايماء بما يظهر خلافه دون الخديعة في الحرب وامساك من كرهت نكاحه + ومنها نكاح كتابية
لا التسري بها كما مر ولا يحرم عليه اكل الثوم ونحوه ولا الاكل متكئا + النوع الثالث التخفيفات والمباحات
وهي كثيرة جدا منها تزوجه من شاء من النساء ان شاء ولو لنفسه بغير اذن من المرأة ووليها متوليا
للطرفين وزوجه الله تعالى وابيح له الوصال وصفي المغنم ويحكم ويشهد لولده ولو لنفسه وابيح له نكاح
تسع وقد تزوج صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ومات عن تسع قال الائمة وكثرة الزوجات في حقه
صلى الله عليه وسلم للتوسعة في تبليغ الاحكام عنه الواقعة سرا مما لا يطلع عليه الرجال ونقل محاسنه
الباطنة فانه صلى الله عليه وسلم تكمل له الظاهر والباطن وحرم عليه الزيادة عليهن ثم نسخ وسيأتي
ذلك ان شاء الله تعالى وينعقد نكاحه محرما وبلفظ الهبة ايجابا لا قبولا بل يجب لفظ النكاح او التزويج
للظاهر قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها ولا مهر للواهبة له وان دخل بها وتجب اجابته
على امرأة رغب فيها ويجب على زوجها طلاقها لينكحها + النوع الرابع الفضائل وهي كثيرة لا تدخل
تحت الحصر منها تحريم منكوحاته على غيره سواء كن موطوآت ام لا مطلقات باختيارهن
ام لا وتحريم سراريه وهن اماؤه الموطوآت بخلاف غير الموطوآت وتقدم ان نساءه
امهات المؤمنين لا المؤمنات بخلافه صلى الله عليه وسلم فانه ابو الرجال والنساء وتقدم
الكلام على قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وان ثوابهن وعقابهن مضاعف ومنها انه
يحرم سؤالهن الا من وراء حجاب وافضلهن خديجة ثم عائشة وافضل نساء العالمين مريم بنت
عمران اذ قيل بنبوتها ثم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم عائشة ثم آسية
امرأة فرعون واما خبر الطبراني خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت
محمد صلى الله عليه وسلم ثم آسية امرأة فرعون فاجيب عنه بان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة
لا باعتبار السيادة وتقدم انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ومنها انه اول النبيين خلقا وافضل
الخلق على الاطلاق وخص بتقديم نبوته فكان نبيا وادم منجدل في طينته وبتقديم اخذ الميثاق عليه
وبانه اول من قال بلى وقت الست بربكم وبخلق ادم وجميع المخلوقات من اجله وبكتابة اسمه الشريف
على العرش والسموات والجنات وسائر ما في الملكوت وبشق صدره الشريف وبجعل خاتم النبوة
بظهره بازاء قلبه وبحراسة السماء من استراق السمع والرمي بالشهب وباحياء ابويه حتى امنا به وبانه
اول من تنشق عنه الارض يوم القيمة واول من يقرع باب الجنة واول شافع واول مشفع واكرم بالشفاعات
الخمس يوم القيمة اولها العظمى في الفصل بين اهل الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبياء
+ الثانية في ادخال خلق الجنة بغير حساب جعلنا الله واحبابنا منهم الثالثة في ناس استحقوا

دخول النار فلا يدخلونها + الرابعة في ناس دخلوا النار فيخرجون منها + الخامسة في رفع درجات
ناس في الجنة وكلها ثبتت بالاخبار وخص منها بالعظمى ودخول خلق من امته الجنة بغير حساب
وهي الثانية قال النووي في روضته ويجوز ان يكون خص بالثالثة والخامسة ايضا ونصر بالرعب مسيرة
شهر وجعلت له الارض مسجدا وترابها طهورا واحلت له الغنائم وارسل الى الكافة ورسالة غيره
خاصة واما عموم رسالة نوح عليه السلام بعد الطوفان فلانحصار الباقين فيمن كان معه في السفينة
وهو اكثر الانبياء اتباعا وامته خير الامم وافضلها اصحابه وافضلهم الخلفاء الاربعة على ترتيبهم
في الخلافة ثم باقي العشرة وهي معصومة لا تجتمع على ضلالة وصفوفهم كصفوف الملائكة ولها فضائل
كثيرة على سائر الامم + ومنها انها اول من يدخل الجنة بعد الانبياء عليهم السلام + ومنها وضع الاصر
وليلة القدر والجمعة ورمضان على احد قولين ونظر الله تعالى اليهم ومغفرته لهم اول ليلة منه
وطيب خلوف فم صائمها عنده تعالى واستغفار الملائكة عليهم السلام في ليلة ونهاره وامر الله تعالى
الجنة ان تتزين لهم ورد صدقاتهم الى فقرائهم والغرة والتحجيل من اثر الوضوء وسلسلة الاسناد
والحفظ عن ظهر قلب واخذ العلم عن الاحداث والمشائخ وكتابه صلى الله عليه وسلم معجز محفوظ
من التغيير والتبديل واقيم بعده حجة على الناس ومعجزات سائر الانبياء انقرضت وشريعتنا مؤبدة
ناسخة لغيرها من الشرائع وتطوعه قاعدا كقائم ويحرم رفع الصوت فوق صوته قال القرطبي وكره بعضهم
رفعه عند قبره صلى الله عليه وسلم ولا تبطل صلوة من خاطبه بالسلام وتجب اجابته في الصلوة ولو بالفعل ولا تبطل
ويحرم نداؤه من وراء الحجرات ويحرم نداؤه باسمه كيا محمد صلى الله عليه وسلم لا بكنيته كيا ابا القاسم
ويحرم التكني بكنيته مطلقا وقيل يختص بزمنه وقيل على من اسمه محمد وكان يتبرك ويستشفى
ببوله ودمه وفضلاته النازلة من الدبر لا تزى بخلافهما من القبل والذي صوبه بعض المتاخرين
طهارتها وهو الصواب واولاد بناته ينسبون اليه واعطي جوامع الكلم وكان يؤخذ عن الدنيا عند تلقي
الوحي ولا يسقط عنه التكليف ورؤيته في النوم حق ولا يعمل بها فيما يتعلق بالاحكام لعدم ضبط النائم والكذب
عمدا عليه كبيرة ولا يجوز الجنون على الانبياء ولا الاحتلام ولا تاكل الارض لحومهم وفي هذا القدر كفاية
ومن اراد الزيادة على ذلك فعليه بكتب الخصائص فان العلماء قد صنفوا في ذلك تصانيف انا نسأل الله
تعالى من فضله وكرمه ان يشفعه فينا ويدخلنا معه الجنة ويفعل ذلك باهلينا ومشائخنا واخواننا ومحبينا
ولا يحرمنا زيارته ولا رؤيته قبل الممات + ولما كانت التخصيص لا يصح ولا يتصور الا من محيط العلم بان هذا الامر
ما كان لغير المخصوص تام القدرة لمنع غيره من ذلك قال تعالى قد اي اخبرناك بان هذا امر يخصك
غيرهم لانا قد عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا اي قدرنا بعظمتنا عَلَيْهِمْ اي على المؤمنين فِيْٓ اَزْوَاجِهِمْ اي
من شرائط العقد وانهم لا تحل لهم امرأة بلفظ الهبة منها ولا بد من مهر ولا بد من ولي وشهود
وهذا عام لجميع المؤمنين المتقدمين والمتاخرين وفي مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ من الاماء بشراء وغيره بان
تكون الامة ممن تحل لمالكها كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية وان تستبرأ قبل الوطء وقبل

المراد ان احدا غيرك لا يملك رقبة بهبتها نفسها فيكون احق من سيدها + ولما فرغ من تحليل الدنية
على التخصيص لها وتشريفا شرفها بقوله تعالى لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ اى ضيق فى شىء من امر النساء
حيث احللنا لك انواع المنكوحات وزدناك الواهبة فلكيلا متعلق بخالصة وما بينهما اعتراض
ومن دون متعلق بخالصة كما تقول خلص من كذا وَكَانَ اللّٰهُ اى المتصف بصفات الكمال
ازلا وابدا غَفُورًا رَّحِيمًا اى بليغ الستر على عباده + ولما ذكر تعالى ما فرض فى الازواج والاماء الشامل
للعدل فى عشرتهن وكان صلى الله عليه وسلم اعدل الناس فيهما واشدهم لله خشية
وكان يعدل بينهن ويعتذر مع ذلك عن ميل القلب الذى هو خارج عن طوق البشر بقوله اللهم
هذا قسمى فيما املك فلا تلمنى فيما لا املك خفف سبحانه وتعالى بقوله تُرْجِي اى تؤخر وتترك مصاحبتها
مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي اى تضم إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وتصاحبها وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائى بياء
ساكنة بعد الجيم من الارجاء اى تؤخرها مع افعال تكون بها راجية لعطفك والباقون بهمزة مضمومة
وهو مطلق التاخير وَمَنِ ابْتَغَيْتَ اى طلبت مِمَّنْ عَزَلْتَ اى من القسمة فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ اى فى
وطئها وضمها اليك + تنبيه + اختلف المفسرون فى معنى هذه الاية فاشهر الاقوال انها فى القسم
بينهن وذلك ان التسوية بينهن فى القسم كانت واجبة عليه فلما نزلت هذه الاية سقط عنه
وصار الاختيار اليه فيهن وقال ابن زيد نزلت هذه الاية حين غار بعض امهات المؤمنين
على النبى صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة فى النفقة فهجرهن النبى صلى الله عليه وسلم شهرا
حتى نزلت اية التخيير فامره الله عز وجل ان يخيرهن بين الدنيا والاخرة وان يخلى سبيل من
اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن امهات المؤمنين ان لا ينكحن ابدا وعلى ان
يؤوى اليه من يشاء ويرجى من يشاء فيرضين قسم لهن او لم يقسم قسم لبعضهن دون بعض او فضل
بعضهن فى النفقة والقسمة فيكون الامر فى ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين
بذلك واخترنه على هذا الشرط وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى امته نسبة السيد المطاع
والرجل وان لم يكن نبيا فالزوجة فى ملك نكاحه والنكاح عليها رق فكيف زوجات النبى صلى الله عليه وسلم
بالنسبة اليه فاذا هن كالمملوكات له ولا يجب القسم بين المملوكات واختلفوا هل اخرج احدا منهن عن القسم
فقال بعضهم لم يخرج احدا منهن عن القسم بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له
من ذلك يسوى بينهن فى القسم الا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة
وقيل اخرج بعضهن روى جرير عن منصور عن ابى رزين قال لما نزلت اية التخيير اشفقن ان يطلقهن
فقلن يا رسول الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فنزلت هذه الاية فارجا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعضهن واوى اليه بعضهن فكان ممن اوى عائشة وحفصة وزينب
وام سلمة وكان يقسم بينهن سواء وارجا منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان
لا يقسم لهن ما شاء وقال مجاهد ترجى من تشاء منهن اى تعزل من تشاء منهن بغير طلاق وترد

اليك من تشاء بعد العزل بلا تجديد عقد وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء
وقال الحسن تترك نكاح من شئت من نساء امتك قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة
لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات
اللاتي يهبن انفسهن لك فتؤويها اليك وتترك من تشاء فلا تقبلها وروى هشام عن ابيه قال
كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اما تستحيي المرأة
ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع
في هواك ﴿ذٰلِكَ﴾ اي التفويض الى مشيئتك ﴿اَدْنٰى﴾ اي اقرب ﴿اَنْ﴾ اي الى ان ﴿تَقَرَّ اَعْيُنُهُنَّ﴾ اي يحصل
لهن من عشرتك الكريمة وهو كناية عن السرور والطمانينة ببلوغ المراد لان من كان كذلك كانت عينه
قارة ومن كان مهموما كانت عينه كثيرة التقلب هذا اذا كان من القرار بمعنى السكون ويجوز ان
يكون من القر الذي هو ضد الحر لان المسرور تكون عينه باردة والمهموم تكون عينه حارة فلذلك
يقال للصديق اقر الله تعالى عينك وللعدو اسخن الله عينك ﴿وَلَا يَحْزَنَّ﴾ اي بالفراق وغيره مما يحزن
من ذلك ﴿وَيَرْضَيْنَ﴾ لعلمهن ان ذلك من الله تعالى ﴿بِمَا اٰتَيْتَهُنَّ﴾ اي من الاجور ونحوها من نفقة وقسم
وايثار وغيرها ثم اكد ذلك بقوله تعالى ﴿كُلُّهُنَّ﴾ اي ليس منهن واحدة الا هي كذلك لان حكم كلهن
فيه سواء ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله تعالى
فتطمئن نفوسهن وزاد ذلك تاكيدا لما لذلك من الغرابة بقوله تعالى ﴿وَاللّٰهُ﴾ اي بما له من الاحاطة
بصفات الكمال ﴿يَعْلَمُ مَا فِيْ قُلُوْبِكُمْ﴾ اي الخلائق كلهم فلا بدع ان يعلم ما في قلوب هؤلاء ﴿وَكَانَ اللّٰهُ﴾
اي ازلا وابدا ﴿عَلِيْمًا﴾ اي بكل شيء من يطيعه ومن يعصيه ﴿حَلِيْمًا﴾ لا يعاجل من عصاه بل يديم احسانه اليه
في الدنيا فيجب ان يتقى لعلمه وحلمه فعلمه موجب لخوف منه وحلمه مقتض للاستحياء منه واخذ
الحليم شديد فينبغي للعبد اذا احب له ان يحلم عمن يعلم تقصيره في حقه فانه سبحانه يأجره على ذلك
بان يحلم عنه فيما علمه منه ويرفع قدره ويعلي ذكره وروى البخاري في التفسير عن معاذ عن عائشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد ان انزلت هذه الاية ترجي
من تشاء الاية قلت لها ما كنت تقولين قالت كنت اقول له ان كان ذلك الي فاني لا اريد يا رسول الله
ان اوثر عليك احدا ولما امره الله تعالى بالتخيير وخيرهن واخترن الله ورسوله زاد الله تعالى
سرورهن بقوله تعالى ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ مِنْ بَعْدُ﴾ اي بعد من معك من هؤلاء التسع اللاتي اخترنك
شكرا من الله لهن لكونهن لما نزلت اية التخيير اخترن الله ورسوله فحرم عليه النساء سواهن
ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن بقوله تعالى ﴿وَلَا اَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ اي هؤلاء التسع
واغرق في النفي بقوله تعالى ﴿مِنْ﴾ اي شيئا من ﴿اَزْوَاجٍ﴾ اي بان تطلقهن اي هؤلاء المعينات او بعضهن
وتاخذ بدلها من غيرهن ﴿وَلَوْ اَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ اي النساء المغايرات لمن معك قال ابن عباس يعني
اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب فلما استشهد اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

يخطبها فنهى عن ذلك وقرأ ابو عمرو لا تحل لك بالتاء الفوقية والباقون بالياء التحتية وشدد البزى التاء
من ان تبدل * تنبيه * فى الآية دليل على اباحة النظر الى من يريد نكاحها لكن من غير العورة فى الصلوة
فينظر الرجل من الحرة الوجه والكفين ومن الامة ما عدا ما بين السرة والركبة واحتج لذلك بقوله
صلى الله عليه وسلم للمغيرة وقد خطب امرأة انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما اى تدوم المودة
والالفة رواه الحاكم وصححه وقوله تعالى إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ استثناء من النساء لانه يتناول الازواج
والاماء اى فتحل لك وقد ملك بعدهن مارية وولدت له ابراهيم ومات واختلفوا هل ابيح له النساء
من بعد قالت عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل الله له النساء اى فنسخ ذلك
وابيح له ان ينكح اكثر منهن بآية انا احللنا لك ازواجك فان قيل هذه الآية متقدمة وشرط الناسخ
ان يكون متأخرا اجيب بانها مؤخرة فى النزول ومقدمة فى التلاوة وهذا اصح الاقوال وقال انس
مات على التحريم وقال عكرمة والضحاك معنى الآية لا تحل لك النساء بعد التى احللنا لك بالصفة
التى تقدم ذكرها وقيل لابى بن كعب لو مات نساء النبى صلى الله عليه وسلم اكان يحل له ان يتزوج
فقال وما يمنعه من ذلك قيل قوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد قال انما احل الله تعالى له ضربا
من النساء فقال يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك ثم قال لا تحل لك النساء من بعد قال
ابو صالح امر ان لا يتزوج اعرابية ولا غريبة ويتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شاء
ثلثمائة وقال مجاهد معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا ان تبدل بهن
يقول ولا ان تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى وقال ابن زيد فى قوله تعالى ولا ان تبدل بهن
من ازواج كانت العرب فى الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل بادلنى بامرأتك
وابادلك بامرأتى تنزل لى عن امرأتك وانزل لك عن امرأتى فانزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من
ازواج يعنى تبادل بازواجك غيرك بان تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته الا ما ملكت يمينك فلا باس ان
تبادل بجاريتك من شئت فاما الحرائر فلا روى عطاء بن يسار عن ابى هريرة قال دخل عيينة بن حصن
على النبى صلى الله عليه وسلم بغير اذن ومعه عائشة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستئذان
قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه الحميراء الى جنبك فقال
هذه عائشة ام المؤمنين فقال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال هذا احمق مطاع وانه على
ما ترين لسيد قومه * ولما امر تعالى فى هذه الآيات باشياء ونهى عن اشياء وحد حدودا واحذر
من التهاون بشئ منها ولو بنوع تأويل بقوله تعالى وَكَانَ اللّٰهُ اى الذى لا شئ اعظم منه وهو المحيط
بجميع صفات الكمال عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا اى حافظا عالما بكل شئ قادرا عليه فتحفظوا امركم ولا تتخطوا
ما حد لكم وهذا من اشد الاشياء وعيدا * ولما ذكر حالة النبى صلى الله عليه وسلم مع امته فى قوله
تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ذكر حالهم معه من الاحترام له صلى الله عليه وسلم بقوله

تعالى يا ايها الذين آمنوا اى ادعوا الايمان صدقوا دعواكم فيه بان لا تدخلوا بيوت النبى اى الذى
تاتيه الانباء من علام الغيوب مما فيه رفعته فى حال من الاحوال اصلا الا فى حال ان يؤذن لكم
اى ممن له الاذن فى بيوته صلى الله عليه وسلم منه او ممن ياذن له فى الدخول بالدعاء الى طعام
اى اكله حال كونكم غير ناظرين اى منتظرين انيه اى نضجه وهو مصدر انى يانى وقرأ هشام وحمزة
والكسائى بالامالة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ولما كان هذا الدخول بالاذن
مطلقا وكان يراد تقييده قال تعالى ولكن اذا دعيتم اى ممن له الدعوة فادخلوا اى لاجل ما دعاكم
ثم تسبب عنه قوله تعالى فاذا طعمتم اى اكلتم طعاما او شربتم شرابا فانتشروا اى اذهبوا حيث شئتم
فى الحال ولا تمكثوا بعد الاكل والشرب لا مستريحين لقرار الطعام ولا مستانسين لحديث
اى طالبين الانس لاجله * فائدة * قال الحسن حسبك بالثقلاء ان الله لم يتجوز فى امورهم
وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت حسبك بالثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم ثم علل ذلك
بقوله تعالى مصوبا الخطاب الى جميعهم معظما له باداة البعد ان ذلكم اى الامر الشديد وهو
المكث بعد الفراغ كان يؤذى النبى اى الذى هيأناه لسماع ما ننبئه به مما يكون سبب شرفكم وعلوكم
فى الدارين فاحذروا ان تشغلوه عن شئ منه ثم تسبب عن ذلك المانع له من مواجهتهم لما يزيل
اذاه بقوله تعالى فيستحيى منكم اى بان يامركم بالانصراف والله اى الذى له جميع الامر
لا يستحيى من الحق اى لا يفعل فعل المستحيى فيؤديه ذلك الى ترك الامر به * تنبيه * قال اكثر المفسرين
نزلت هذه الآية فى شان وليمة زينب حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما روى ابن شهاب
قال اخبرنى انس بن مالك انه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
قال فكانت امهاتى توطننى على خدمة النبى صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفى وانا
ابن عشرين سنة فكنت اعلم الناس بشان الحجاب حين انزل وكان اول ما انزل فى مبتنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش اصبح النبى صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا
من الطعام ثم خرجوا وبقى رهط منهم عند النبى صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام النبى
صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكى يخرجوا فمشى النبى صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى
جاء عتبة حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل
على زينب فاذا هم جلوس لم يخرجوا فرجع النبى صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا بلغ حجرة
عائشة فظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبى صلى الله عليه وسلم
بينى وبينه الستر ونزلت آية الحجاب وقال ابو عثمان واسمه الجعد عن انس قال فدخل يعنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم البيت وارخى الستر وانى لفى الحجرة وهو يقول يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت
النبى الا ان يؤذن لكم الى قوله تعالى والله لا يستحيى من الحق وروى عن ابن عباس انها نزلت فى ناس
من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى

ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاذى بهم فنزلت الاية
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية وروى ابو يعلى الموصلي عن انس قال بعثتني ام سليم
برطب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته بين يديه فاصاب منه ثم اخذ بيدي فخرجنا وكان
حديث عهد بعرس زينب بنت جحش قال فمر بنساء من نسائه وعندهن رجال يتحدثون فهنينه
وهناه الناس فقالوا الحمد لله الذي بعينك يا رسول الله فمضى حتى اتى عائشة فاذا عندها رجال قال فكره ذلك
وكان اذا كره الشئ عرف في وجهه قال فاتيت ام سليم فاخبرتها فقال ابو طلحة لئن كان كما قال ابنك
ليحدثن امر قال فلما كان من العشي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم تلا هذه
الاية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا الاية وروى البخاري وغيره عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
عروسا بزينب فقالت لي ام سليم لو اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم هدية فقلت لها افعلي فعمدت
الى تمر واقط وسمن فاتخذت حيسة في برمة وارسلت بها معي اليه فقال لي ضعها ثم امرني فقال
ادع لي رجالا سماهم وادع لي من لقيت ففعلت الذي امرني فرجعت فاذا البيت غاص باهله وفي
رواية الترمذي ان الراوي قال قلت لانس كم كانوا قال زهاء ثلثمائة فرأيت النبي صلى الله عليه
وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله تعالى ثم يدعو عشرة عشرة ياكلون منه
ويقول لهم اذكروا اسم الله تعالى وليأكل كل رجل مما يليه حتى تصدعوا كلهم عنها قال
الترمذي فقال لي يا انس ارفع فرفعت فما ادري حين وضعت كانت اكثر او حين رفعت فخرج معي
من خرج وبقي قوم يتحدثون فنزلت + ولما كان البيت يطلق على المرأة الملازمة له عادة اعاد الضمير
عليه مرادا به النساء استخداما فقال تعالى وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ اي الازواج مَتَاعًا اي شيئا من الات
البيت فَسْئَلُوهُنَّ اي ذلك المتاع كائنين وكائنات مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ اي ستر يستركم عنهن ويسترهن
عنكم وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين ولا همزة بعدها والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة
بعدها ذَلِكُمْ اي الامر العالي الرتبة أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ اي من وساوس الشيطان والريب
لان العين وزيرة القلب فاذا لم تر العين لم يشته القلب فاما اذا رات العين فقد يشتهي القلب
وقد لا يشتهي فالقلب عند عدم الرؤية اطهر وعدم الفتنة حينئذ اظهر روى ابن شهاب
عن عروة عن عائشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن
الى المناصع وهو صعيد افيح فكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب
نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر الا قد عرفناك يا سودة حرصا على ان
ينزل الحجاب فانزل الله عز وجل الحجاب وعن انس قال قال عمر وافقت ربي في ثلاثة قلت يا رسول الله
لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فانزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قلت يا رسول الله يدخل عليك
البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فانزل الله تعالى اية الحجاب قال وبلغني ما اوذين

رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قال فدخلت عليهن فجعلت استقريهن واحدة واحدة فقلت
والله لتنتهن او ليبدله الله تعالى ازواجا خيرا منكن حتى اتيت على زينب فقالت يا عمر اما كان في
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن انت قال فخرجت فانزل الله تعالى عسى ربه
ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن الآية + ولما بين تعالى للمؤمنين الادب اكده بما يعلمهم
على ملاطفة نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى وَمَا كَانَ اى وما صح وما استقام لَكُمْ في حال
من الاحوال أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّٰهِ فله اليكم من الاحسان ما يستوجب به منكم غاية الاكرام والاجلال
فضلا عن الكف عن الاذى فلا تؤذوه بالتحول الى شيء من بيوته بغير اذنه او المكث بعد فراغ الحاجة
ولا بغير ذلك + ولما كان قد قصر صلى الله عليه وسلم عليهن احل له غيرهن وقصرهن الله
عليه بقوله تعالى وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا اى فيما يستقبل من الزمان أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ اى فراقه بموت او
طلاق سواء ادخل بها ام لا أَبَدًا زيادة لشرفه واظهار المزيته ولانهن امهات المؤمنين ولانهن
ازواجه في الجنة ولان المرأة في الجنة مع آخر ازواجها كما قال ابن القشيري وروى ان هذه
الآية نزلت في رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانكحن عائشة قال مقاتل بن سليمان هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله تعالى ان ذلك
محرم وقال إِنَّ ذَٰلِكُمْ اى الايذاء بالنكاح وغيره كَانَ عِنْدَ اللّٰهِ اى القادر على كل شيء عَظِيمًا اى
ذنبا عظيما فان قيل روى معمر عن الزهري ان العالية بنت ظبيان التي طلقها النبي صلى الله
عليه وسلم تزوجت رجلا وولدت له اجيب بان ذلك كان قبل تحريم ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم على الناس وقيل لا تحرم غير الموطوءة لما روى ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر
فهم برجمهما فاخبر بانه صلى الله عليه وسلم فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير فاما اماؤه صلى
الله عليه وسلم فيحرم منهن الموطوآت على غيره اكراما له بخلاف غير الموطوآت وقيل لا تحرم الموطوآت
ايضا ونزل فيمن اضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إِنْ تُبْدُوا اى بالسنتكم وغيرها
شَيْئًا اى من ذلك او غيره أَوْ تُخْفُوهُ في صدوركم فَإِنَّ اللّٰهَ اى الذي له جميع صفات الكمال كَانَ
اى ازلا وابدا به هكذا كان الاصل ولكنه اتى بما يعمه وغيره فقال بِكُلِّ شَيْءٍ اى من ذلك وغيره
عَلِيمًا فهو يعلم ما اسررتم وما اعلنتم وان بالغتم في كتمه فيجازي عليه من ثواب وعقاب وفي
هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد + ولما نزلت آية الحجاب قال
الآباء والابناء والاقارب ونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزل قوله تعالى لَا جُنَاحَ اى
لا اثم عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ دخولا وخلوة من غير حجاب سواء كان الاب من النسب او من الرضاع
وَلَا أَبْنَائِهِنَّ اى من البطن او الرضاعة وَلَا إِخْوَانِهِنَّ لان عارهن عارهم فلا فرق ان يكونوا
من النسب او الرضاع وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ فانهن بمنزلة آبائهم وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ فانهن بمنزلة
امهاتهم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بابدال الهمزة الثانية ياء خالصة في الوصل وحققها

الباقون وفى الابتداء بالثانية الجميع بالتحقيق وَلَا نِسَآئِهِنَّ اى المسلمات القربى منهن والبعدى بمنزلة واحدة واما الكافرات فهن بمنزلة الاجانب من الرجال لكن رجح النووى انه يجوز ان تنظر منها ما يبدو عند المهنة وَلَا مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُنَّ من العبيد لانهم لما لهن عليهم من السلطان يبعد منهم الريبة هيبة لهن مع مشقة الاحتجاب عنهم + تنبيه + قدم تعالى الآباء لان اطلاعهم على بناتهم اكثر وكيف وهم قد راوا جميع بدن البنات فى حال صغرهن ثم الابناء ثم الاخوة وذلك ظاهر وانما الكلام فى بنى الاخوة حيث قدمهم الله تعالى على بنى الاخوات لان بنى الاخوات اباؤهم ليسوا بمحارم خالات بناتهم وبنى الاخوات اباؤهم محارم ففى بنى الاخوات مفسدة ما وهى ان الابن ربما يحكى خالته عند ابيه وهو ليس بمحرم ولا كذلك فى بنى الاخوة فان قيل لم يذكر الله تعالى من المحارم الاعمام والاخوال فلم يقل ولا اعمامهن ولا اخوالهن اجيب عن ذلك بوجهين احدهما ان ذلك معلوم من بنى الاخوة وبنى الاخوات لان من علم ان بنى الاخ للعمات محارم علم ان بنات الاخ للاعمام محارم وكذلك الحال فى امر الخالة وثانيهما ان الاعمام ربما يذكرون بنات الاخ عند ابنائهم وهم غير محارم وكذلك الحال فى ابن الخال وذكر ملك اليمين بعد هذا كله لان المفسدة فى التكشف لهم ظاهرة وقوله تعالى وَاتَّقِيْنَ عطف على محذوف اى امتثلن ما امرتن به واتقين الله اى الذى لا شئ اعظم منه فلا تقربن شيئا مما يكرهه وانما امرهن لان الريبة من جهة النساء اكثر لانه لا يكاد الرجل يتعرض الا لمن ظن بها الاجابة لما يرى من مخايلها ومخايل اشكالها + ولما كان الخوف لا يعظم الا ممن كان حاضرا مطلعا قال اِنَّ اللّٰهَ اى العظيم الشان كَانَ اى ازلا وابدا عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ من افعالكن وغيرها شَهِيْدًا اى لا يغيب عنه شئ وان دق فهو مطلع عليكن حال الخلوة فلا تخفى عليه خافية + ولما امر تعالى بالاستئذان وعدم النظر الى نسائه احتراما له كمل بيان حرمته بقوله تعالى اِنَّ اللّٰهَ وَمَلٰٓئِكَتَهٗ يُصَلُّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ اى محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اراد ان الله تعالى يرحم النبى والملائكة يدعون له وعن ابن عباس ايضا يصلون يبركون والصلوة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابو العالية صلوة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء + تنبيه + بيان كمال حرمته فى ذلك ان حالاته منحصرة فى حالتين حالة خلوة فذكر ما يدل على احترامه فى تلك الحالة بقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبى وحالة تكون فى ملأ والملأ اما الملأ الاعلى واما الملأ الادنى اما احترامه فى الملأ الاعلى فان الله وملئكته يصلون عليه واما احترامه فى الملأ الادنى فقوله تعالى يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا صَلُّوْا عَلَيْهِ اى ادعوا له بالرحمة وَسَلِّمُوْا تَسْلِيْمًا اى حيوه بتحية الاسلام واظهروا شرفه بكل ما تصل قدرتكم اليه من حسن متابعته وكثرة الثناء الحسن عليه والانقياد لامره فى كل ما يأمر به ومنه الصلوة والسلام عليه بالسنتكم روى عبد الرحمن بن ابى ليلى لقينى كعب بن عجرة فقال الا اهدى لك هدية سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فاهدها لى قال قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ٤٦

كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وروى ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله
كيف نصلي عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد وروى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بي يوم القيمة
اكثرهم علي صلوة وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي واحدة صلى الله
عليه عشرا وروى عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جاء ذات يوم
والبشرى ترى في وجهه فقلنا انا لنرى البشرى في وجهك فقال جاءني جبريل فقال يا محمد ان
ربك يقرئك السلام ويقول اما يرضيك ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم
عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وروى عامر بن ربيعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
من صلى علي صلوة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل العبد من ذلك او ليكثر وروى انس ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلوة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر
خطيات ورفعت له عشر درجات وروى عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام + تنبيه + دلت الآية على وجوب الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم لان الامر للوجوب قالوا وقد اجمع العلماء انها لا تجب في غير الصلوة
فتعين وجوبها فيها والمناسب لها من الصلوة التشهد آخرها فتجب في التشهد آخر الصلوة اي بعده
وهو مذهب الشافعي واحدى الروايتين عن احمد فالقائل بوجوبها في العمر مرة في غيرها محجوج
باجماع من قبله ولحديث كيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم الى آخره وقيل تجب كلما ذكر واختاره الطحاوي من الحنفية
والحليمي من الشافعية لقول جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رقي المنبر فلما رقي الدرجة الاولى قال آمين
ثم رقي الثانية فقال آمين ثم رقي الثالثة فقال آمين فقالوا يا رسول الله سمعناك تقول آمين ثلاث
مرات فقال لما رقيت الدرجة الاولى جاءني جبريل فقال شقي عبد ادرك رمضان فانسلخ منه ولم يغفر
له فقلت آمين ثم قال شقي عبد ادرك والديه او احدهما فلم يدخلاه الجنة فقلت آمين ثم قال شقي عبد
ذكرت عنده ولم يصل عليك فقلت آمين وفي رواية رقي المنبر فقال آمين آمين آمين قيل يا رسول الله
ما كنت تصنع هذا فقال قال لي جبريل رغم انف رجل ادرك والديه او احدهما لم يدخلاه الجنة فقلت
آمين ثم قال رغم انف عبد دخل عليه رمضان لم يغفر له فقلت آمين ثم قال رغم انف امرئ ذكرت عنده
لم يصل عليك فقلت آمين وكذلك قوله وسلموا امر فيجب السلام ولم يجب في غير الصلوة فيجب فيها وهو
قولنا في التشهد سلام عليك ايها النبي الخ وذكر في السلام المصدر للتاكيد ولم يذكره في الصلوة لانها كانت
مؤكدة بقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي واقل الصلوة عليه اللهم صل على محمد واكملها اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد

كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وال ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما + فائدة
كل الانبياء من بعد ابراهيم عليه السلام من ولد اسحق الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه من نسل
اسمعيل ولم يكن من نسله نبي غيره وخص ابراهيم عليه السلام بالذكر لان الرحمة والبركة لم يجتمعا لنبي
غيره فقال الله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فان قيل اذا صلى الله وملائكته عليه فاي حاجة
به الى صلاتنا اجيب بان الصلوة عليه ليست لحاجة اليها والا فلا حاجة الى صلوة الملائكة مع صلوة الله
تعالى عليه وانما هو اظهاره وتعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا وفي رواية اخرى وملائكته سبعين ويجوز الصلوة على غيره تبعا
له ويكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان
كان عزيزا جليلا + ولما امر الله تعالى باحترام نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نهى عن ايذاء نفسه وايذاء
رسوله بقوله تعالى اِنَّ الَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ اللّٰهَ اي الذي لا اعظم منه ولا نعمة عندهم الا من فضله
وَرَسُوْلَهٗ اي الذي استحق عليهم بما يخبرهم به عن الله تعالى ما لا يقدرون على القيام بشكره
لَعَنَهُمُ اللّٰهُ اي ابعدهم وابغضهم فِي الدُّنْيَا بالحمل على ما يوجب السخط وَالْاٰخِرَةِ بادخال دار الاهانة كما
قال تعالى وَاَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِيْنًا اي ذا اهانة وهو النار ومعنى يؤذون الله يقولون فيه ما صورته اذى
وان كان تعالى لا يلحقه ضرر ذلك حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الانداد ونسبة الولد
والزوجة اليه قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله
وقالوا يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن اغنياء واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة
واما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه
اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ
الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وعن ابي هريرة ايضا عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال قال الله تعالى يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار
معنى الحديث انه كان من عادة العرب في الجاهلية ان يسبوا الدهر ويذموه عند النوازل لاعتقادهم
ان الذي يصيبهم من افعال الدهر فقال تعالى انا الدهر اي انا الذي احل بهم النوازل وانا فاعل
لذلك الذي تنسبونه للدهر في زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقيل هم
اصحاب التصاوير وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز
وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة او شعيرة ويحتمل ان يكون ذلك على
حذف مضاف اي اولياء الله كقوله تعالى واسأل القرية قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من عادى لي
وليا فقد اذنته بالحرب قال من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة امر الله

وجل منزه عن ما لا يليق به اذى من

احد وقال بعضهم اتى بالجلالة تعظيما والمراد يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى
انما يبايعون الله واما ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس انه شج فى وجهه وكسرت رباعيته
وقيل ساحر شاعر مجنون + ولما كان من اعظم اذاه اذى من تابعه وكان الاتباع لكونهم غير معصومين
يتصور ان يؤذوا على الحق قال تعالى مقيدا للكلام وَالَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ اى الراسخين فى
صفة الايمان بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوْا اى بغير شئ واقعوه متعمدين له حتى اباح اذاهم فَقَدِ احْتَمَلُوْا اى كلفوا انفسهم
ان حملوا بُهْتَانًا اى كذبا وفجورا زائدا على الحد موجبا للجزاء فى الدنيا والاخرة وَّاِثْمًا مُّبِيْنًا اى ذنبا
ظاهرا جدا موجبا للعقاب فى الاخرة + تنبيه + اختلفوا فى سبب نزول هذه الاية فقال مقاتل
نزلت فى على بن ابى طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقال نزلت فى شان عائشة وقال الضحاك
والكلبى نزلت فى الزناة الذين كانوا يمشون فى طريق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل
لقضاء حوائجهن فيغمزون المرأة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون
الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زى الكل كان واحدا يخرجن فى درع وخمار
الحرة والامة فشكوا ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت هذه الاية والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الاية ثم نهى الحرائر ان يتشبهن
بالاماء بقوله تعالى يٰاَيُّهَا النَّبِىُّ ذكره بالوصف الذى هو منبع المعرفة والحكمة
قُلْ لِّاَزْوَاجِكَ بدأ بهن لما لهن به من الوصلة بالنكاح وَبَنٰتِكَ ثنى بهن لما لهن من الوصلة
ولهن فى القسمين من الشرف واخرهن عن الازواج لان ازواجه يكفونه امرهن وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِيْنَ
يُدْنِيْنَ اى يقربن عَلَيْهِنَّ اى على وجوههن وجميع ابدانهن فلا يدعن شيئا منها مكشوفا مِنْ
جَلَابِيْبِهِنَّ ولا يتشبهن بالاماء فى لباسهن اذا خرجن لحاجتهن بكشف الشعور ونحوها ظنا ان ذلك
اخفى لهن واستر والجلباب القميص وثوب واسع دون الملحفة تلبسه المرأة والملحفة ما ستر اللباس
والخمار وهو كل ما غطى الرأس وقال البغوى الجلباب الملاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار
وقال حمزة الكرمانى قال الخليل كل ما يستر به من دثار وشعار وكساء فهو جلباب والكل تصح ارادته
هنا فان كان المراد القميص فادناؤه اسباغه حتى يغطى بدنها ورجليها وان كان ما يغطى الرأس
فادناؤه ستر وجهها وعنقها وان كان المراد ما يغطى الثياب فادناؤه تطويله وتوسيعه بحيث
يستر جميع بدنها وثيابها وان كان المراد ما دون الملحفة فالمراد ستر الوجه واليدين قال ابن عباس
وعبيدة امر نساء المؤمنين ان يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن
حرائر + ولما امر تعالى بذلك علله بقوله تعالى ذٰلِكَ اى الستر اَدْنٰى اى اقرب من تركه فى
اَنْ يُّعْرَفْنَ انهن حرائر بما يميزهن عن الاماء فَلَا اى فتسبب عن معرفتهن ان لا يُؤْذَيْنَ ممن يتعرض
للاماء فلا يشتغل قلبك عن تلقى ما يرد عليك من الانباء الالهية قال ابن عادل ويمكن ان يقال
المراد يعرفن انهن لا يزنين لان من تستر وجهها مع انه ليس بعورة اى فى الصلوة لا يطمع فيها انها

تكشف عورتها فيفرض انهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن انتهى + ولما كان قهرهن تعالى لهذا
الامر خفف عاقبة ما كان فيه من التشبيه بالاماء فاخبرهن تعالى بوسع كرمه وجوده بقوله تعالى
وَكَانَ اللّٰهُ اى الذى له الكمال المطلق ازلا وابدا غَفُوْرًا اى لما سلف منهن من ترك الستر فهو محاء
للذنوب عينا واثرا رَحِيْمًا بهن اذ سترهن ومن يمتثل اوامره ويجتنب نواهيه قال البغوى قال
انس مرت بعمر جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين بالحرائر القى القناع ويظهر
ان عمر انما فعل ذلك خوفا من ان تلتبس الاماء بالحرائر فلا يعرف الحرائر فيعود الامر كما كان + ولما
كان المؤذون بما مضى وغيره اهل النفاق ومن داناهم حذرهم بقوله تعالى مؤكدا دفعا لظنهم دوام
الحلم عليهم لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ عن الاذى الْمُنٰفِقُوْنَ اى الذين يبطنون الكفر ويظهرون الاسلام وَالَّذِيْنَ
فِىْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ اى غل مقرب من النفاق حامل على المعاصى وَالْمُرْجِفُوْنَ فِى الْمَدِيْنَةِ المؤمنين
اى بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذيعون فى الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد اتاكم العدو ونحو ذلك واصل الرجفة
التحريك من الرجفة وهى الزلزلة سمى به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ
اى لنسلطنك عليهم بالقتل والجلاء او بما يضطرهم الى طلب الجلاء وقوله تعالى ثُمَّ لَا يُجَاوِرُوْنَكَ
اى يساكنونك فِيْهَا اى المدينة عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعظم ما يصيبهم اِلَّا قَلِيْلًا اى زمانا او جوارا قليلا ثم يخرجون منها وقيل نسلطك
عليهم حتى تقتلهم وتخلى منهم المدينة وقوله تعالى مَّلْعُوْنِيْنَ اى مبعدين عن الرحمة حال من فاعل
يجاورونك قاله ابن عطية والزمخشرى وابو البقاء اَيْنَمَا ثُقِفُوْا اى وجدوا اُخِذُوْا وَقُتِّلُوْا
ثم اكده بالمصدر بتصفيتهم دارها ارهابا لهم بقوله تعالى تَقْتِيْلًا اى الحكم فيهم هذا على وجه الامر به
وقوله تعالى سُنَّةَ اللّٰهِ اى المحيط بجميع العظمة مصدر مؤكد اى سن الله ذلك فِى الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ
اى فى الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا فى وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا
وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّٰهِ اى طريقة الملك الاعظم تَبْدِيْلًا اى ليست هذه السنة مثل الحكم الذى
يتبدل وينسخ فان النسخ يكون فى الاقوال اما الافعال اذا وقعت والاخبار فلا تنسخ + ولما بين
تعالى حالهم فى الدنيا انهم ملعونون ومهانون ويقتلون اراد ان يبين حالهم فى الآخرة
فذكرهم بالقيامة وذكر ما يكون لهم فيها بقوله يَسْئَلُكَ يا اشرف الخلق النَّاسُ اى المشركون
استهزاء منهم وتعنتا وامتحانا عَنِ السَّاعَةِ اى متى تكون فى اى وقت قُلْ اى لهم فى جوابهم
اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّٰهِ الذى احاط علمه بجميع الاشياء وَمَا يُدْرِيْكَ اى اى شىء يعلمك من الساعة
ومتى يكون قيامها انت لا تعرفه لَعَلَّ السَّاعَةَ اى التى لا ساعة فى الحقيقة غيرها لما لها من العجائب
تَكُوْنُ اى توجد وتحدث على وجه مهول عجيب قَرِيْبًا اى فى زمن قريب قال البقاعى ويجوز
ان يكون التذكير لاجل الوقت لان السؤال عنها انما هو عن تعيين وقتها قال البخارى

في الصحيح اذا وصفت صفة المؤنث قلت قريبة واذا جعلته ظرفا او بدلا ولم ترد الصفة نزعت الهاء
من المؤنث وكذلك لفظها في الاثنين والجمع للذكر والانثى + ثم استأنف الاخبار بحال السائلين عنها
بقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ اي الملك الاعلى لَعَنَ اي ابعد ابعادا عظيما من رحمته الْكَافِرِينَ اي الساترين
لما من شأنه ان يظهر مما دلت عليه العقول السليمة من امرها وَأَعَدَّ اي اوجد وهيأ لَهُمْ من الآن
سَعِيرًا اي نارا شديدة الاضطرام والتوقد لتكذيبهم بها وبغيرها مما اوضح لهم ادلته خَالِدِينَ
اي مقدرا خلودهم فِيهَا اي السعير واعاد عليها الضمير مؤنثا لانها مؤنثة او لانه في معنى جهنم
وقوله تعالى أَبَدًا بيان لارادة الحقيقة لئلا يتوهم بالخلود المكث الطويل لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا
اي يتولى امرا مما يصيبهم بشفاعة او غيرها وَلَا نَصِيرًا ينصرهم وقوله تعالى يَوْمَ معمول الخالدين
اي مقدرا خلودهم فيها على تلك الحال يوم تُقَلَّبُ اي تقلبا كثيرا وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ
اي ظهرا لبطن كاللحم يشوى بالنار حالة كونهم يَقُولُونَ وهم في محل الجزاء وقد
فات المحل القابل للعمل متمنين بقولهم يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اي في الدنيا اللَّهَ اي الذي لا امر لاحد
معه لما لا يدركون تلافيه لانهم لا يجدون ما يعتقدانه يبرد غلتهم من ولي ولا نصير ولا غيرهما
سوى هذا التمني + ولما كان المقام للمبالغة في الاذعان للخضوع اعادوا العامل بقولهم وَأَطَعْنَا
الرَّسُولَا اي الذي بلغنا عنه حتى لا نبتلي بهذا العذاب + تنبيه + تقدم الكلام على القراءة
في الرسولا والسبيلا اول السورة عند الظنونا وَقَالُوا اي الاتباع منهم لما لم ينفعهم شيء متبرئين
بالدعاء على من اضلهم بما لا يبرئ عليلا ولا يشفي غليلا رَبَّنَا اي ايها المحسن الينا واسقطوا اداة
النداء على عادة اهل الخصوص بالحضور زيادة في التوثيق باظهار انه لا واسطة لهم الا ذلهم
وانكسارهم إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر بالف
بعد الدال وكسر التاء على جمع الجمع للدلالة على الكثرة والباقون بغير الف بعد الدال وفتح التاء
على انه جمع تكسير غير مجموع بالف وتاء فَأَضَلُّونَا اي فتسبب عن ذلك انهم اضلونا بما كان لهم
من نفوذ الكلمة السَّبِيلَا اي طريق الهدى فاحالوا ذلك على غيرهم كما هي عادة المخطئ من الاحالة
على غيره مما لا ينفعه ثم كانه قيل فما تريدون لهم فقالوا مبالغين في الرقة للاستعطاف باعادة الرب
رَبَّنَا اي المحسن الينا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ اي مثلي عذابنا لانهم ضلوا واضلوا وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا
اي اطردهم عن محال الرحمة طردا متناهيا وقرأ عاصم بالباء الموحدة اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه
والباقون بالثاء المثلثة اي كثير العدد ولما بين تعالى ان من يؤذي الله ورسوله يلعن ويعذب
ارشد المؤمنين الى الامتناع من الايذاء بقوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اي صدقوا بما يتلى عليهم
لَا تَكُونُوا بايذائكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بامر زينب وغيره كونا هو كالطبع لكم كَالَّذِينَ
آذَوْا مُوسَى من قومه بني اسرائيل اذوه بانواع الاذى كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم حين قسم
قسما فتكلم فيه بعضهم فقال لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر واختلفوا فيما اوذي به موسى

فروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من
جلده شيء استحياء منه فاذاه من اذاه من بني اسرائيل فقالوا ما تستر هذا الستر الا من عيب بجلده
اما برص واما ادرة واما افة وان الله تعالى اراد ان يبرئه مما قالوا كما قال تعالى فَبَرَّأَهُ اي فتسبب عن
اذاهم ان برأه الله الذي له صفات الجلال والكمال مِمَّا قَالُوا فخلا يوما وحده ليغتسل فوضع ثيابه
على حجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه لياخذها ففر الحجر بثوبه فجمح موسى عليه السلام واخذ عصاه
وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عريانا احسن
ما خلق الله وابرأه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه واستتر به وطفق بالحجر يضربه بعصاه فوالله ان
بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا او خمسا والادرة عظم الخصية لنفخة فيها وقوله فجمح اي اسرع
وقوله ندبا هو بفتح النون والدال واصله اثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به الضرب بالحجر وقال
قوم ايذاؤهم اياه لما مات هرون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله الملائكة عليهم السلام
حتى مروا به على بني اسرائيل فعرفوا انه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقال ابو العالية هو ان قارون
استاجر مومسة اي زانية لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمها الله تعالى وبرأ موسى عن
ذلك وكان ذلك سبب الخسف بقارون ومن معه وقال عبد الله بن مسعود لما كان يوم حنين
اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى فلانا
كذا الناس من العرب اثرهم في القسمة فقال رجل هذه قسمة والله ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله فقلت
والله لاخبرن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فاخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال
فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر والصرف بكسر
الصاد صبغ احمر يصبغ به الاديم ولما كان قصدهم بهذا الاذى اسقاط وجاهته قال تعالى وَكَانَ اي
موسى عليه السلام كونا راسخا عِنْدَ اللَّهِ اي الذي لا يذل من والاه وَجِيهًا اي معظما رفيع القدر
ذا وجاهة يقال وجه الرجل يوجه فهو وجيه اذا كان ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان عظيما عند الله
تعالى لا يسأله شيئا الا اعطاه وقال الحسن كان مجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا ولما نهاهم
عن الاذى امرهم بالنفع ليصيروا ذوي وجاهة عنده مكررا للنداء استعطافا واظهارا للاهتمام
بقوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اي ادعوا ذلك اتَّقُوا اللَّهَ اي صدقوا دعواكم بمخافة من له
جميع العظمة فاجعلوا لكم وقاية من سخطه بان تبذلوا له جميع ما اودعكم من الامانة
وَقُولُوا في حق النبي صلى الله عليه وسلم في امر زينب وغيرها في حق بناته ونسائه وفي
حق المؤمنين ونسائهم وغير ذلك قَوْلًا سَدِيدًا قال ابن عباس صوابا وقال قتادة عدلا
وقال الحسن صدقا وقال عكرمة هو قول لا اله الا الله وقيل مستقيما يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ قال ابن عباس
يتقبل حسناتكم وقال مقاتل يزكي اعمالكم وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ اي يمحها عينا واثرا
فلا يعاقبكم عليها ولا يعاتب وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ اي الذي لا اعظم منه وَرَسُولَهُ

اى الذى عظمته من عظمته فى الاوامر والنواهى فَقَدْ فَازَ واكد ذلك بقوله تعالى فَوْزًا عَظِيمًا
اى ظفر بجميع مراداته يعيش فى الدنيا حميدا وفى الاخرة سعيدا • ولما ارشد الله تعالى
المؤمنين الى مكارم الاخلاق وادب النبى صلى الله عليه وسلم باحسن الآداب بين ان التكليف
الذى وجهه الله تعالى الى الانسان امر عظيم بقوله تعالى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ واختلف فى هذه الامانة
المعروضة فقال ابن عباس اراد بالامانة الطاعة من الفرائض التى فرضها الله تعالى على عباده
عرضها عَلَى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ على انهم ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم وقال
ابن مسعود الامانة اداء الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء
الدين والعدل فى المكيال والميزان واشد من هذا كله الودائع وقال مجاهد الامانة الفرائض
وحدود الدين وقال ابو العالية ما امروا به ونهوا عنه وقال زيد بن اسلم هو الصوم والغسل
من الجنابة وما يخفى من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله تعالى
من الانسان فرجه وقال هذه امانتى استودعتكها فالفرج امانة والعين امانة واليد امانة والرجل
امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وقال بعضهم هى امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن ان
لا يغش مؤمنا ولا معاهدا فى شئ قليل ولا كثير وهى رواية الضحاك عن ابن عباس وجماعة من التابعين
واكثر السلف ان الله تعالى عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال فقال لهن اتحملن هذه الامانة
بما فيها قلن وما فيها فقال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن فَأَبَيْنَ على عظم اجرامها
وقوة اركانها وسعة ارجائها أَنْ يَحْمِلْنَهَا اى قلن لا يا رب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا
عقابا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا اى وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لله تعالى ان لا يقوموا بها لا معصية
ومخالفة وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمن لم يمتنعن من حملها فالجمادات كلها خاضعة
لله عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال تعالى للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين وقال فى الحجارة وان منها لما يهبط من خشية الله وقال تعالى الم تر ان الله يسجد له من فى السموات
ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال الاية وقال بعض اهل العلم ركب الله فيهن العقل والفهم
حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن وقال بعضهم المراد بالعرض
على السموات والارض هو العرض على اهل السموات والارض عرضها على من فيهما من الملائكة
كقوله تعالى واسأل القرية اى اهلها وقيل المراد المقابلة اى قابلنا الامانة مع السموات والارض
والجبال فرجحت الامانة قال البغوى والاول اصح وهو قول اكثر العلماء + تنبيه + قوله تعالى فابين
اتى بضمير هذه كضمير الاناث لان جمع تكسير غير العاقل يجوز فيه ذلك وانما ذكر ذلك لئلا يتوهم
انه قد غلب المؤنث وهو السموات على المذكر وهو الجبال فان قيل ما الفرق بين ابائهن واباء ابليس
فى قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين اجيب بان الاباء هناك كان استكبارا لان السجود كان فرضا
وههنا استصغارا لان الامانة كانت عرضا وانما امتنعن خوفا كما قال تعالى واشفقن منها اى خفن

من الامانة لا يؤدّيها فيلحقهنّ العقاب وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ اى آدم قال الله تعالى لآدم انى عرضت
الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت آخذها بما فيها قال يا رب وما فيها
قال ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت فتحملها آدم عليه السلام وقال بين اذنى وعاتقى
فقال الله تعالى اما اذا تحملت فسأعينك اجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى ما لا يحل فارخ
عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلقا فاذا خشيت فاغلق واجعل لفرجك سترا فاذا خشيت فلا تكشفه
على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الا قدر ما بين الظهر
والعصر وحكى النقاش باسناده عن ابن مسعود انه قال مثلت الامانة بصخرة ملقاة ودعيت السموات
والارض والجبال اليها فلم يقربوا منها وقالوا لا نطيق حملها وجاء آدم عليه السلام من غير ان يدعى
وحرك الصخرة وقال لو امرت بحملها لحملتها فقلن احمل فحملها الى ركبتيه ثم وضعها
وقال والله لو اردت ان ازداد لازددت فقلن له احمل فحملها الى حقويه وقال والله لو اردت
ان ازداد لازددت فقلن له احمل فحملها حتى وضعها على عاتقه فاراد ان يضعها فقال له الله تعالى
مكانك فانها فى عنقك وعنق ذريتك الى يوم القيمة إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا قال ابن عباس ظلوما
لنفسه جهولا بامر الله تعالى وما احتمل من الامانة وقال الكلبى ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدرى
ما العقاب فى ترك الامانة وقال مقاتل ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تحمل وذكر الزجاج وغيره من
اهل المعانى فى قوله تعالى وحملها الانسان قولا آخر فقالوا ان الله تعالى ائتمن آدم واولاده على
شئ وائتمن السموات والارض والجبال على شئ فالامانة فى حق بنى آدم ما ذكرنا من الطاعة والقيام
بالفرائض والامانة فى حق السموات والارض والجبال هى الخضوع والطاعة لما خلقن له وقوله تعالى
فابين ان يحملنها اى ابين الامانة يقال فلان حمل الامانة اى اثم فيها بالخيانة قال تعالى وليحملن
اثقالهم انه كان ظلوما جهولا حكى عن الحسن على هذا التاويل انه قال وحملها الانسان يعنى الكافر
والمنافق حملا الامانة اى خانا فيها والاول قول السلف وهو الاولى وقيل المراد بالامانة العقل
والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباءهن الاباء الطبيعى الذى
هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب
عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل
ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدى ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف
تعديلهما وكسر سورتهما وعن ابى هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث
القوم جاء اعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع
ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها انا يا رسول
الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة
الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان من اعظم الامانة عند الله يوم القيمة الرجل يفضى الى امراته وتفضى اليه ثم ينشر سرها وقوله
تعالى لِيُعَذِّبَ اللّٰهُ اى الملك الاعظم متعلق بعرضنا المترتب عليه حمل الانسان الْمُنٰفِقِيْنَ وَالْمُنٰفِقٰتِ وَ
الْمُشْرِكِيْنَ وَالْمُشْرِكٰتِ اى المضيعين الامانة + تنبيه + لم يعد اسمه تعالى فلم يقل و يعذب الله المشركين
و اعاده فى قوله تعالى وَيَتُوْبَ اللّٰهُ اى بما له من العظمة عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ اى المؤدين الامانة
ولو قال تعالى ويتوب على المؤمنين و المؤمنات كان المعنى حاصلا و لكنه اراد تفضيل المؤمن على
المنافق فجعله كالكلام المستأنف + و لما ذكر تعالى فى الانسان وصفين الظلوم والجهول ذكر تعالى
من اوصافه وصفين بقوله تعالى وَكَانَ اللّٰهُ اى على ما له من الكبرياء و العظمة غَفُوْرًا
للمؤمنين حيث عفا عن فرطاتهم رَّحِيْمًا بهم حيث اثابهم بالعفو على طاعتهم مكرما لهم
بانواع الكرم وما رواه البيضاوى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الاحزاب
وعلمها اهله و ما ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر حديث موضوع رواه الثعلبى

سورة سبا مكية

الا ويرى الذين اوتوا العلم الاية وهى اربعة او خمس وخمسون اية وثمانمائة وثلاث وثمانون
كلمة واربعة الاف وخمسمائة واثنا عشر حرفا بِسْمِ اللّٰهِ اى الذى من شمول قدرته اقامة الحساب
الرَّحْمٰنِ اى الذى من عموم رحمته ترتيب الثواب و العقاب الرَّحِيْمِ اى الذى يمن على اهل
كرامته بطاعته حتى لا عقاب يلحقهم ولا عتاب + و لما ختم السورة التى قبل هذه بصفتى المغفرة
والرحمة بدأ هذه بقوله اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اى ذى الجلال والجمال على هذه النعم + فائدة + السور
المفتتحة بالحمد خمس سورتان فى النصف الاول وهو الانعام و الكهف وسورتان فى النصف
الاخير وهما هذه السورة وسورة الملائكة والخامسة هى فاتحة الكتاب تقرأ مع النصف الاول
ومع النصف الثانى الاخير والحكمة فيها ان نعم الله مع كثرتها وعدم قدرتنا على احصائها منحصرة فى
قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقاء فان الله تعالى خلقنا اولا برحمته وخلق لنا ما نقوم به وهذه النعمة
توجد مرة اخرى بالاعادة فانه يخلقنا مرة اخرى ويخلق لنا ما ندوم به فلنا حالتان الابتداء والاعادة وفى كل حالة
له تعالى نعمتان نعمة الايجاد ونعمة الابقاء فقال فى النصف الاول الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل
الظلمات والنور اشارة الى الشكر على نعمة الايجاد ويدل عليه قوله تعالى هو الذى خلقكم من
طين فاشار الى الايجاد الاول وقال فى السورة الثانية الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل
له عوجا قيما فاشار الى الشكر على نعمة الابقاء فان الشرائع بها البقاء ولولا شرع تنقاد له الخلق لاتبع
كل واحد هواه و وقعت المنازعات وادت الى التقاتل والنفاق وقال ههنا الحمد لله اَلَّذِىْ لَهٗ مَا
فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ ملكا وخلقا اشارة الى نعمة الايجاد الثانى بدليل قوله تعالى وَلَهُ اى وحده
الْحَمْدُ اى الاحاطة بالكمال فِى الْاٰخِرَةِ اى ظاهرا لكل من يجمعه الحشر وله كل ما فيهما لا يدعى

احد ذلك فى شئ منه ظاهرا ولا باطنا وقال فى سورة الملائكة الحمد لله فاطر السموات والارض اشارة الى نعمة الابقاء بدليل قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اى يوم القيمة يرسلهم الله تعالى مسلمين على المسلمين كما قال تعالى وتتلقاهم الملائكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فالفاتحة الكتاب لما اشتملت على ذكر نعمتين اشار بقوله تعالى الحمد لله رب العالمين الى النعمة العاجلة واشار بقوله تعالى مالك يوم الدين الى النعمة الآجلة فرتب الافتتاح والاختتام عليهما فان قيل قد ذكرتم ان الحمد هٰهنا اشارة الى النعم التى فى الآخرة فلم ذكر الله تعالى السموات والارض اجيب بان نعم الآخرة غير مرئية فذكر الله تعالى النعم المرئية وهى ما فى السموات وما فى الارض ثم قال وله الحمد فى الآخرة ليقابل نعم الآخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بدوامها وقيل الحمد فى الآخرة هو حمد اهل الجنة كما قال تعالى وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن والحمد لله الذى صدقنا وعده وتقدم الكلام على الحمد لغة واصطلاحا والشكر كذلك فى اول الفاتحة فتح الله علينا بكل خير وفعل ذلك باحبابنا ❊ ولما تقررت الحكمة لانه لا يتم الا بايجاد الآخرة قال تعالى وَهُوَ الْحَكِيمُ اى الذى بلغت حكمته النهاية التى لا مزيد عليها والحكمة هى العلم بالامور على وجه الصواب متصلا بالعمل على وفقه الْخَبِيرُ اى البليغ الخبر وهو العلم بظواهر الامور وبواطنها حالا ومآلا ثم بين كمال خبره بقوله تعالى يَعْلَمُ مَا يَلِجُ اى يدخل فِي الْأَرْضِ اى هذا الجنس من المياه والاموال والاموات وغيرها وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا من المياه والمعادن والنبات وغيرها وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ اى من هذا الجنس من قرآن وملائكة وماء وحرارة وبرودة وغير ذلك وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا من الكلام الطيب قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والملائكة والاعمال الصالحة قال تعالى والعمل الصالح يرفعه ❊ تنبيه ❊ قدم ما يلج فى الارض على ما ينزل من السماء لان الحبة تبذر اولا ثم تسقى ثانيا وقال تعالى ما يعرج فيها ولم يقل ما يعرج اليها اشارة الى قبول الاعمال الصالحة لان الكلمة الى للغاية فلو قال وما يعرج اليها لفهم الوقوف عند السموات فقال وما يعرج فيها ليفهم نفوذه فيها وصعوده وتمكنه فيها ولهذا قال فى الكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لان الله تعالى هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول اليه وَهُوَ اى والحال انه وحده مع كثرة نعمه المقيمة للابدان الرَّحِيمُ اى المنعم بانزال الكتب وارسال الرسل لاقامة الاديان وغير ذلك الْغَفُورُ اى المحاء للذنوب للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها او فى الآخرة مع ماله من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر ❊ تنبيه ❊ قدم تعالى صفة الرحمة على صفة الغفور ليعلم ان رحمته سبقت غضبه ❊ ثم بين تعالى ان هذه النعمة التى يستحق الله تعالى بها الحمد وهى نعمة الآخرة انكرها قوم فقال وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا اى ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من براهينها الظاهرة لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ اى انكروا مجيئها او استبطاءها استهزاء بالوعد به وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قُلْ اى لهم بَلَىٰ رد لكلامهم وايثار لما نفوه ... [illegible] بما خصني به منكم ... بما خصني من تنبيئى وارسالى اليكم الى غير ذلك من امور

لا يحصيها إلا هو لتأتينكم أي الساعة لتظهر فيها ظهوراً تاماً الحكمة بالعدل والفضل وغير ذلك
من عجائب الحكم والفضل وقوله تعالى عالم الغيب قرأه نافع وابن عامر برفع الميم على هو عالم الغيب
أو مبتدأ وخبره ما بعده وابن كثير وأبو عمرو وعاصم بجره نعتاً لربي وقرأ حمزة والكسائي بعد
العين بلام ألف مشددة وخفض الميم لا يعزب أي لا يغيب عنه مثقال أي وزن ذرة أي من
ذات ولا معنى والذرة النملة الحمراء الصغيرة جداً صارت مثلاً في أقل القليل فهي كناية عنه
وقرأ الكسائي بكسر الزاي والباقون بضمها وقوله تعالى في السموات ولا في الأرض
فيه لطيفة وهي أن الإنسان له جسم وروح فالأجسام أجزاؤها في الأرض والأرواح في السماء
فقوله تعالى في السموات إشارة إلى علمه بالأرواح وما فيها من الملائكة وغيرهم وقوله تعالى ولا
في الأرض إشارة إلى علمه بالأجسام وما في الأرض من غيرها فإذا علم الأرواح والأجسام قدر
على جمعهما فلا استبعاد في الإعادة وقوله تعالى ولا أصغر أي ولا يكون شيء أصغر من ذلك أي
المثقال ولا أكبر أي منه إلا في كتاب مبين أي بين هو اللوح المحفوظ جملة مؤكدة لنفي العزوب
فإن قيل فأي حاجة إلى ذكر الأكبر فإن من علم الأصغر من الذرة لا بد وأن يعلم
الأكبر أجيب بأنه تعالى أراد بيان إثبات الأمور في الكتاب فلو اقتصر على الأصغر لتوهم
متوهم أنه يثبت الصغار لكونها محل النسيان وأما الأكبر فلا ينسى فلا حاجة إلى إثباته فقال
الإثبات في الكتاب ليس كذلك فإن الأكبر أيضاً مكتوب ثم بين علة ذلك كله بقوله ليجزي
الذين آمنوا وعملوا أي تصديقاً لإيمانهم الصالحات أي وأنه ما خلق الأكوان إلا لأجل الإنسان
فلا يدعه بغير جزاء ثم بين جزاءهم بقوله تعالى أولئك أي العالو الرتبة لهم مغفرة أي لزلاتهم
وهفواتهم لأن الإنسان المبني على النقصان لا يقدر أن يقدر العظيم السلطان حق قدره ورزق
كريم أي جليل عظيم دائم لذيذ نافع شهي لا كدر فيه وهو رزق الجنة تنبيه ذكر تعالى في الذين
آمنوا وعملوا الصالحات أمرين الإيمان والعمل الصالح وذكر لهم أمرين المغفرة والرزق الكريم
فالمغفرة جزاء الإيمان فكل مؤمن مغفور له لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ومن في قلبه وزن ذرة من
إيمان والرزق الكريم على العمل الصالح وهذا مناسب فإن من عمل لسيد كريم عملاً فعند فراغه لا بد
وأن ينعم عليه وقوله تعالى كريم بمعنى ذي كرم أو مكرم أو لأنه يأتي من غير طلب بخلاف رزق الدنيا
فإنه إن لم يطلب ويتسبب فيه لا يأتي غالباً فإن قيل ما الحكمة في تمييز الرزق بأنه كريم ولم يصف المغفرة
أجيب بأن المغفرة واحدة وهي للمؤمنين وأما الرزق فمنه شجرة الزقوم والحميم ومنه الفواكه والشراب
الطهور فميز الرزق لحصول الانقسام فيه ولم يميز المغفرة لعدم الانقسام فيها ولما بين تعالى حال
المؤمنين يوم القيامة بين حال الكافرين في ذلك اليوم بقوله سبحانه والذين سعوا أي فعلوا فعل
الساعي في آياتنا أي القرآن بالإبطال وتزهيد الناس فيها وقوله تعالى معجزين قرأه ابن كثير وأبو عمرو

بغير الف بعد العين وتشديد الجيم اى مبطئين عن الايمان من اراده والباقون بالف بعد العين
وتخفيف الجيم وكذا فى اخر السورة اى مسابقين كى يفوتونا اُولٰٓئِكَ الخفيرون عن ان يبلغوا مرادنا
بمعاجزتهم لَهُمۡ عَذَابٌ واى عذاب مِّن رِّجۡزٍ اى سئ العذاب اَلِيۡمٌ اى مؤلم وقرأ ابن كثير وحفص
اليم بالرفع على انه صفة لعذاب والباقون بالجر على انه صفة لرجز قال الرازى قال هناك لهم رزق
كريم ولم يقل من التبعيضية فلم يقل لهم نصيب من رزق ولا رزق من جنس كريم وقال ههنا لهم عذاب
من رجز اليم بلفظة صالحة التبعيض وذلك اشارة الى سعة الرحمة وقلة الغضب وقوله وَيَرَى الَّذِيۡنَ
اُوۡتُوا الۡعِلۡمَ اى الذى قذفه الله تعالى فى قلوبهم سواء كانوا ممن اسلم من العرب اهل الكتاب وقيل
مؤمنوا اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل الصحابة ومن شايعهم فيه وجهان احدهما انه عطف على
ليجزى اى وليعلم الذين اوتوا العلم والثانى انه مستأنف اخبر عنهم بذلك الَّذِىۡۤ اُنۡزِلَ اِلَيۡكَ مِنۡ رَّبِّكَ
اى المحسن اليك بانزاله هُوَ الۡحَقَّ اى انه من عند الله تعالى + تنبيه + الذى انزل هو المفعول
الاول وهو ضمير فصل والحق مفعول ثان لان الرؤية علمية وقوله تعالى وَيَهۡدِىۡۤ اِلٰى صِرَاطِ اى طريق
الۡعَزِيۡزِ الۡحَمِيۡدِ فى فاعله وجهان اظهرهما انه ضمير الذى انزل وهو القرآن والثانى ضمير اسم الله تعالى
وهاتان الصفتان يفيدان الرهبة والرغبة العزيز يفيد التخويف والانتقام من المكذب والحميد يفيد
الترغيب فى الرحمة للمصدق وَقَالَ الَّذِيۡنَ كَفَرُوۡا اى قال بعضهم على وجه التعجب لبعض هَلۡ نَدُلُّكُمۡ
عَلٰى رَجُلٍ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يُّنَبِّئُكُمۡ اى يخبركم اخبار الا اعظم منه بما عداه من العجب
الخارج عما نعقله انكم اِذَا مُزِّقۡتُمۡ اى تقطعتم وفرقتم بعد موتكم وقوله تعالى كُلَّ مُمَزَّقٍ يحتمل ان يكون
اسم مفعول اى كل تمزيق فلم يبق شئ من اجسادكم مع شئ بل صار الكل بحيث لا يميز بين ترابه
وتراب الارض ويحتمل ان يكون ظرف مكان بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم الرياح والسيول كل مذهب
اِنَّكُمۡ لَفِىۡ خَلۡقٍ جَدِيۡدٍ اى تنشؤن خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا والهمزة فى قوله اَفۡتَرٰى
اى تعمد عَلَى اللّٰهِ اى الذى لا اعلم منه كَذِبًا اى بالاخبار بخلاف الواقع وهو عاقل صحيح القصد
همزة استفهام فالقراء الجميع يحققونها واستغنى بها عن همزة الوصل فانها تحذف
لاجلها فلذلك تثبت هذه الهمزة ابتداء ووصلا قال البغوى هذه الالف استفهام دخلت على
الف الوصل فلذلك نصبت اَمۡ بِهٖ جِنَّةٌ اى جنون يحكى به ذلك واستدل الجاحظ بهذه الاية على
ان الكلام ثلاثة اقسام صدق وكذب ولا صدق ولا كذب ووجه الدلالة منه على القسم الثالث
ان قولهم ام به جنة لا جائز ان يكون كذبا لانه قسيم الكذب وقسيم الشئ غيره ولا جائز ان يكون
صدقا لانهم لم يعتقدوه فثبت قسم ثالث واجيب عنه بان المعنى ام لم يفتر ولكن عبر عن هذا بقولهم
ام به جنة لان المجنون لا افتراء له + تنبيه + قوله افترى يحتمل ان يكون من تمام قول الكافرين اولا اى من
كلام القائلين هل ندلكم ويحتمل ان يكون من كلام السامع المجيب للقائل هل ندلكم كان القائل لما قال
له هل ندلكم على رجل قال له هل افترى على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه ام به جنة اى جنون

ان كان لا يعتقد خلافه + ولما كان الجواب ليس به شئ من ذلك عطف عليه قوله تعالى بَلِ الَّذِيْنَ
لَا يُؤْمِنُوْنَ اى لا يوجدون الايمان لانهم طبعوا على الكفر بِالْاٰخِرَةِ اى المشتملة على البعث والعذاب
فِي الْعَذَابِ اى فى الاخرة وَالضَّلٰلِ الْبَعِيْدِ اى عن الصواب فى الدنيا فرد الله تعالى عليهم ترديدهم
واثبت لهم سبحانه ما هو اقطع من القسمين فقوله تعالى بل الذين كفروا فى العذاب فى مقابلة قولهم
افترى على الله كذبا وقوله تعالى والضلال البعيد فى مقابلة قولهم ام به جنة وكلاهما مناسب اما
العذاب فلان نسبة الكذب الى الصادق مؤد الى انه شهادة عليه بانه يستحق العذاب فجعل العذاب
عليهم حيث نسبوا الكذب الى البرئ واما الضلال فلان نسبة الجنون الى العاقل دونه فى الايذاء
فانه لا يشهد عليه بانه يعذب وانما ينسبه الى عدم الهداية فبين تعالى انهم هم الضالون + ثم وصف
ضلالهم بالبعد ووصف الضلال به للاسناد المجازى لان من يسمى المهدى ضالا يكون اضل
والنبى صلى الله عليه وسلم هادى كل مهتد + ولما ذكر تعالى الدليل على كونه عالم الغيب وكونه مجازيا
على السيئات والحسنات ذكر دليلا اخر فيه التهديد والتوحيد بقوله تعالى اَفَلَمْ يَرَوْا اى ينظروا
الى مَا بَيْنَ اَيْدِيْهِمْ اى امامهم وَمَا خَلْفَهُمْ وذلك اشارة الى جميع الجوانب من كلا الخافقين
فقوله تعالى مِنَ السَّمَآءِ وَالْاَرْضِ دليل التوحيد فانهما يدلان على الوحدانية ويدلان على الحشر
والاعادة لانهما يدلان على كمال القدرة لقوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم واما دليل التهديد فقوله تعالى اِنْ نَّشَاْ اى بما لنا من العظمة
نَخْسِفْ بِهِمُ الْاَرْضَ اى كما فعلنا بقارون وذويه لانه ليس نفوذ بعض افعالنا فيه باولى من
غيره اَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا اى قطعا مِّنَ السَّمَآءِ فتهلكهم بها وقرأ حفص بفتح السين والباقون بسكونها
+ تنبيه + فى قوله تعالى افلم يروا الرايان المشهوران قدرة الزمخشرى افعموا فلم يروا وغيره
يدعى ان الهمزة مقدمة على حرف العطف وقوله من السماء بيان الموصول فيتعلق بمحذوف
ويجوز ان يكون حالا فيتعلق به ايضا قيل وثم حال محذوفة تقديره افلم يروا الى كذا مقهورا تحت
قدرتنا او محيطا بهم فيعلموا انهم حيث كانوا فان ارضى وسمائى محيطة بهم لا يخرجون من
اقطارها وانا القادر عليهم وقرأ حمزة والكسائى ان يشأ يخسف بهم الارض او يسقط بالياء
فى الثلاثة كقوله تعالى افترى على الله كذبا والباقون بالنون وادغم الكسائى الفاء فى الباء واظهر الباقون
اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ اى فيما ترون من السماء والارض لَاٰيَةً اى علامة بينة تدل على قدرتنا على البعث
لِّكُلِّ عَبْدٍ اى متحقق انه مربوب ضعيف مسخر لما يراد منه مُّنِيْبٍ اى فيه قابلية الرجوع الى ربه ع
بقلبه + ولما ذكر تعالى من ينيب من عباده وكان من جملتهم داود عليه السلام كما قال به فاستغفر ربه
وخر راكعا واناب ذكره بقوله تعالى وَلَقَدْ اٰتَيْنَا اى اعطينا اعطاء عظيما دالا على نهاية المكنة بما لنا
من العظمة دَاوٗدَ مِنَّا فَضْلًا اى النبوة والكتاب او الملك او جميع ما اوتى من حسن الصوت وتليين
الحديد وغير ذلك مما خص به وهذا الاخير اولى + تنبيه + قوله تعالى منا فيه اشارة الى بيان

فضل داود عليه السلام لان قوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا مستقل بالمفهوم وتام كما يقول
القائل آتى الملك زيدا خلعة فاذا قال القائل آتاه منه خلعة يفيد انه كان من خاص ما يكون له
فكذلك ايتاء الله تعالى الفضل عام لكن النبوة من عنده خاص بالبعض ونظيره قوله تعالى يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان فان رحمة الله تعالى واسعة تصل الى كل احد لكن رحمته في الآخرة
على المؤمنين رحمة من عنده لخواصه وقوله تعالى يَا جِبَالُ محكي بقول مضمر ثم ان شئت قدرته
مصدرا ويكون بدلا من فضلا على جهة تفسيره به كانه قيل آتيناه فضلا قولنا يا جبال وان شئت
قدرته فعلا وحينئذ لك وجهان ان شئت جعلته بدلا من آتينا معناه آتيناه قلنا يا جبال
وان شئت جعلته مستأنفا أَوِّبِي اي رجعي مَعَهُ بالتسبيح اذا سبح امر من تأويب وهو الترجيع
وقيل التسبيح بلغة الحبشة وقال القتيبي اصله من التأويب في السير وهو ان يسير النهار كله وينزل
ليلا كانه يقول اوّبي النهار كله بالتسبيح معه وقال وهب نوحي معه وقيل سيري معه وقوله
تعالى وَالطَّيْرَ منصوب باجماع القراء السبعة واختلف في وجه نصبه على اوجه احدها
انه عطف على محل جبال لانه منصوب تقديرا لان كل منادى في موضع نصب الثاني انه عطف
على فضلا قاله الكسائي ولا بد من حذف مضاف تقديره آتيناه فضلا وتسبيح الطير الثالث انه منصوب
باضمار فعل اي وسخرنا له الطير قاله ابو عمرو تنبيه لم يكن الموافق له في التأويب منحصرا في الطير
والجبال ولكن ذكر الجبال لان الصخور للجمود والطير للنفور وكلاهما تستبعد منه الموافقة فاذا
وافقته هذه الاشياء فغيرها اولى ثم من الناس من لم يوافقه وهم القاسية قلوبهم هي اشد قسوة
قال المفسرون كان داود عليه الصلوة والسلام اذا نادى بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت
الطير عليه من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك وقيل كان داود اذا تخلل الجبال
فسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح وقيل كان داود اذا لحقه فتور اسمعه الله تسبيح الجبال
تنشيطا له وقال وهب بن منبه كان يقول للجبال سبحي وللطير اجيبي ثم ياخذ في تلاوة الزبور بين تلك
بصوته الحسن فلا يرى الناس منظرا احسن من ذلك ولا يسمعون شيئا اطيب منه وذلك كما كان الحصى
يسبح في كف نبينا صلى الله عليه وسلم وكف ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وكما كان الطعام يسبح في حضرته
الشريفة وهو يؤكل وكما كان الحجر يسلم عليه واسكفة الباب وحوائط البيت تؤمن على دعائه وحنين الجذع
مشهور وكما كان الضب يشهد له والجمل يشكو اليه ويسجد بين يديه ونحو ذلك وكما جاء الطائر الذي
يسمى الحمرة تشكو الذي اخذ بيضها فامره النبي صلى الله عليه وسلم برده رحمة لها ولما ذكر تعالى طاعة
الكثيف الارض واللطيف الحيوان الذي انشاءه الله تعالى منها ذكر سبحانه وتعالى ما انشاءه من ذلك
الكثيف وهو اصلب الاشياء بقوله تعالى وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ اي الذي ولدناه من الجبال جعلناه في يديه
كالشمع والعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة وذلك في قدرة الله تعالى يسير
كان سبب ذلك ما روي في الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته ان يخرج

للناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه يسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليكم
هذا اى رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله تعالى له ملكا في صورة آدمي فلما رآه
داود تقدم اليه على عادته يسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك وقال ما هي
يا عبد الله فقال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى ان يسبب له
سببا يستغني به عن بيت المال يتقوت منه ويطعم عياله فالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع
وانه اول من اتخذها يقال انه كان يبيع كل درع باربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم منها عياله ويتصدق منها
على الفقراء والمساكين وفي يقال انه كان يعمل كل يوم درعا يبيعها بستة آلاف درهم فينفق منها الفين على نفسه
وعياله ويتصدق باربعة آلاف درهم على فقراء بني اسرائيل وانما اختار الله تعالى له ذلك لانه وقاية للروح
التي هي من امره وتحفظ الآدمي المكرم عند الله تعالى من القتل فالزراد خير من القواس والسياف
وغيرهما لان القوس والسيف وغيرهما من السلاح ربما يستعمل في قتل النفس المحرمة بخلاف
الدرع قال صلى الله عليه وسلم كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده ثم ذكر سبحانه وتعالى
علة الالانة بصيغة الامر اشارة الى ان عمله كان لله تعالى بقوله عز من قائل أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ اى
دروعا طوالا واسعات يجرها لابسها على الارض وذكر الصفة ليعلم منها الموصوف واختلف في معنى
قوله سبحانه وتعالى وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ اى نسج الدروع يقال لصانعه الزراد والسراد فقيل قدر المسامير
في حلق الدروع اى لا تجعل المسامير غلاظا فتكسر الحلق ولا دقاقا فتتقلقل فيها ويقال السرد المسمار
في الحلقة يقال درع مسرودة اى مسمورة الحلق وقدر في السرد اجعله على القصد وقدر الحاجة وقيل
اجعل كل حلقة مساوية لاختها مع كونها ضيقة لئلا ينفذ منها سهم ولتكن في ثخنها بحيث لا يقطعها
سيف ولا تثقل على الدارع فتمنعه خفة التصرف وسرعة الانتقال في الكر والفر والطعن والضرب
في البرد والحر والظاهر كما قال البقاعي انه لم يكن في حلقها مسامير لعدم الحاجة بالالانة الحديد
اليها والا لم يكن بينه وبين غيره فرق ولا كان للالانة كبير فائدة وقد اخبر بعض من رأى ما نسب اليه
بغير مسامير وقال الرازي يحتمل ان يقال السرد هو عمل الزرد قوله تعالى وقدر في السرد اى انك
غير مأمور به امر ايجاب انما هو اكتساب والكسب يكون بقدر الحاجة وباقي الايام والليالي للعبادة فقدر
في ذلك العمل ولا تشغل جميع اوقاتك بالكسب بل حصل به القوت فحسب ويدل عليه قوله تعالى
وَاعْمَلُوا صَالِحًا اى لستم مخلوقين الا للعمل الصالح فاعملوا ذلك واكثروا منه واما الكسب فقدروا فيه
ثم اكد طلب العمل الصالح بقوله تعالى إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اى مبصر فاجازيكم به يريد بهذا داود
وآله + تنبيه + كما الان الله تعالى لداود عليه السلام الحديد الان لنبينا صلى الله عليه وسلم في الخندق
تلك الكدية وذلك بعد ان لم تكن المعاول تعمل فيها وبلغت غاية الجهد منهم فضربها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضربة واحدة وفي رواية رش عليها ماء فعادت كثيبا اهيل لا ترد فاسا وتلك
الصخرة التي اخبر سلمان عنها انها كسرت فؤسهم ومعاولهم وعجزوا عنها فضربها صلى الله

عليه وسلم ثلاث ضربات كسر في كل ضربة ثلثا منها وبرقت مع كل ضربة برقة كبر تكبيرة واضاءت للصحابة رضي الله تعالى عنهم ما بين لابتي المدينة بحيث كانت في النهار كانها مصباح في جوف بيت مظلم فسألوه عن ذلك فاخبرهم صلى الله عليه وسلم ان احدى الضربات اضاءت له صنعاء من ارض اليمن حتى راى ابوابها من مكانه ذلك واخبره جبريل عليه السلام انها ستفتح على امته واضاءت له الاخرى قصور الحيرة البيض كانها انياب الكلاب واخبر انها مفتوحة لهم واضاءت له الاخرى قصور الشام الحمر كانها انياب الكلاب واخبر بفتحها عليهم فصدقه الله تعالى في جميع ما قال واعظم من ذلك تصلب الخشب له عليه السلام حتى صار سيفا فوق المتن جيد الحديدة وذلك ان سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم احد فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فصار في يده سيفا قائمة منه فقاتل به فكان يسمى العرجون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده حتى قتل وهو عنده وعن الواقدي انه انكسر سيف سلمة بن اسلم يوم بدر فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان في يده من عراجين رطاب فقال اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل والحام داود للحديد بايبس باعجب من الحام النبي صلى الله عليه وسلم ليد معوذ بن عفراء لما قطعها ابو جهل يوم بدر فاتى بها يحملها في يده الاخرى فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت ومعجزات مثل اختها كما نقله البيهقي وغيره ومعجزاته صلى الله عليه وسلم لا تنحصر وانما ذكر بعضها تبركا بذكره صلى الله عليه وسلم واسال الله تعالى ان يحشرنا في زمرته ويفعل ذلك باهلينا ومحبينا + ولما اتم الله تعالى المراد من آيات داود عليه السلام اتبعها بعض آيات ابنه سليمان عليه الصلوة والسلام لمشاركته في الانابة بقوله تعالى ﴿وَلِسُلَيْمَانَ﴾ اي عوضا عن الخيل التي عقرها الله تعالى ﴿الرِّيحَ﴾ قرأ شعبة الريح بالرفع على الابتداء والخبر في الجار قبله او محذوف والباقون بالنصب باضمار فعل اي وسخرنا ﴿غُدُوُّهَا﴾ اي سيرها من الغدوة بمعنى الصباح الى الزوال ﴿شَهْرٌ﴾ اي تحمله وتذهب به وبجميع عسكره من الصباح الى نصف النهار مسيرة شهر ﴿وَرَوَاحُهَا﴾ اي من الزوال الى الغروب ﴿شَهْرٌ﴾ اي مسيرته فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وهذا كما سخر الله تعالى الريح لنبينا صلى الله عليه وسلم في غزوة الاحزاب فكانت تهد خيامهم وتضرب وجوههم بالتراب والحجارة وهي لا تجاوز عسكرهم الى ان هزمهم الله تعالى بها وكما حملت شخصين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم في غزوة تبوك فالقتهما بجبل طيء وتحمل من اراد الله تعالى من اولياء امته كما هو في غاية الشهرة ونهاية الكثرة واما امر الاسراء والمعراج فهو من الجلالة والعظم بحيث لا يعلمه الا الله تعالى مع ان الله تعالى صرفه في آيات السماء بحبس المطر تارة وارساله اخرى + ولما ذكر تعالى الريح اتبعها ما هو من اسباب تكوينه بقوله تعالى ﴿وَأَسَلْنَا﴾ اي اذبنا بما لنا من العظمة ﴿لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ اي النحاس حتى صار كانه عين ماء فاجريت ثلاثة ايام بلياليهن تجري الماء وعمل الناس الى اليوم مما اعطى سليمان ﴿وَمِنَ الْجِنِّ﴾ اي الذي سترناهم عن العيون

من الشياطين وغيرهم عطفت على الريح اى وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه اى قد امكنه الله تعالى
منهم غاية الامكان فى غيبته وحضوره باذن اى بامر ربه اى بتمكين المحسن اليه ومن يزغ اى
يمل منهم عن امرنا اى عن امره الذى هو من امرنا نذقه من عذاب السعير اى النار اى
فى الآخرة وقيل فى الدنيا بان يضربه ملك بسوط منها ضربة يحرقه وهذا كما امكن نبينا صلى الله
عليه وسلم من ذلك العفريت فخنقه وهم بربطه حتى تلعب به صبيان المدينة ثم تركه تأدبا مع اخيه سليمان
عليه السلام فيما سأل الله تعالى فيه واما الاعمال التى يدور عليها اقامة الدين فاغناه الله تعالى فيها
عن الجن بالملائكة الكرام عليهم السلام وسلط جماعة من صحابته على جماعة من مردة الجان منهم
ابو هريرة رضى الله تعالى عنه لما وكله النبى صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ومنهم ابى بن كعب
قبض على شخص منهم كان يسرق من تمره وقال لقد علمت الجن انه ليس فيهم من هو اشد منى ومنهم معاذ بن جبل
لما جعله النبى صلى الله عليه وسلم على صدقة المسلمين فاتاه شيطان يسرق وتصور له بصور منها صورة
فيل فضبطه والتفت يداه عليه وقال له يا عدو الله فشكا له الفقر واخبره انه من جن نصيبين وانهم كانت لهم
المدينة فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم اخرجهم منها وسأله ان يخلى عنه على ان لا يعود ومنهم بريدة
ومنهم ابو ايوب الانصارى رضى الله تعالى عنه ومنهم زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه ومنهم عمر بن
الخطاب رضى الله تعالى عنه صارع الشيطان فصرعه عمر ومنهم عمار بن ياسر قاتل الشيطان فصرعه عمار
وادمى انف الشيطان بحجر ذكر ذلك البيهقى فى الدلائل واما عين القطر فهى مما تضمنه قول
النبى صلى الله عليه وسلم اعطيت مفاتيح خزائن الارض والملك فى الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فاخترت
ان اكون نبيا عبدا اجوع يوما واشبع يوما الحديث فشمل ذلك اللؤلؤ الرطب الى عين الذهب الصافى الى
ما دون ذلك وقد روى الترمذى وقال حسن عن ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال عرض
على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت تضرعت اليك
وشكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وللطبرانى باسناد حسن عن ابن عباس ان اسرافيل اتى النبى
صلى الله عليه وسلم بمفاتيح خزائن الارض وقال ان الله امرنى ان اعرض عليك ان تسير معك
جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومأ الى
جبريل عليه السلام ان تواضع فقال نبيا عبدا وقد رواه ابن حبان فى صحيحه مختصرا من حديث
ابى هريرة وله فى الصحيح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت بمقاليد الدنيا
على فرس ابلق عليه قطيفة من سندس وفى البخارى فى غزوة احد عن عقبة بن عامر ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال اعطيت مفاتيح خزائن الارض او مفاتيح الارض هذا ما يتعلق بالارض وقد زاده
صلى الله عليه وسلم على ذلك بان ايده ربه سبحانه بالتصرف فى خزائن السماء تارة بشق القمر وتارة برجم النجوم وتارة
باختراق السموات وتارة بحبس المطر وتارة بارساله الى غير ذلك مما قد اكرمه الله تعالى به مما لا يحيط به الا الله
عز وجل صلى الله عليه وسلم وعلى آله وازواجه وذريته واصحابه وحشرنا وحبينا معهم فى دار

كرامته + ولما اخبر تعالى انه سخر لسليمان الجن ذكر حالهم في اعمالهم بقوله تعالى يَعْمَلُونَ لَهُ اي في
اي وقت شاء مَا يَشَاءُ اي عمله مِنْ مَحَارِيبَ اي ابنية مرتفعة غير مساجد يصعد اليها بالدرج سميت
بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها او مساجد والمحراب مقدم كل مسجد ومجلس وبيت وكان
مما عملوه له بيت المقدس ابتدأه داود عليه السلام ورفعه قامة رجل فاوحى الله تعالى اليه اني لم اقض
ذلك على يدك ولكن ابن لك اسمه سليمان عليه السلام اقضي تمامه على يديه فلما توفاه الله تعالى
استخلف سليمان عليه السلام فاحب اتمام بناء بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال
فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحه له فارسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الابيض من
معادنه وامر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثنا عشر ربضا وانزل على كل ربض سبطا
من الاسباط وكانوا اثنا عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين
فرقا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر وفرقا يقتلعون
الجواهر من الحجارة من اماكنها وفرقا ياتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب من اماكنها فاتي من
ذلك بشيء لا يحصيه الا الله تعالى ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها الواحا
واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلي فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر
وعمده باساطين المها الصافي وسقفه بالواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللآلي واليواقيت
وسائر الجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن يومئذ في الارض ابهى ولا انور من ذلك
المسجد وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع احبار بني اسرائيل فاعلمهم انه بناه
لله تعالى وان كل شيء فيه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا لله تعالى روى عبد الله
ابن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه
ثلاثا فاعطاه اثنتين وانا ارجو ان يكون اعطاه الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فاعطاه اياه وسأله
ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاعطاه اياه وسأله ان لا يأتي هذا البيت احد يصلي فيه ركعتين الا خرج
من ذنوبه كيوم ولدته امه وانا ارجو ان يكون قد اعطاه ذلك قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه
سليمان حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد واخذ ما كان في سقوفه وحيطانه
من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر الى دار مملكته من ارض العراق وبنى الشياطين
باليمن لسليمان حصونا كثيرة عجيبة من الصخرة وَتَمَاثِيلَ جمع تمثال وهو كل شيء مثلته بشيء اي كانوا يعملون
له تماثيل اي صورا من نحاس وزجاج ورخام ونحو ذلك فان قيل كيف استجاز سليمان عليه
السلام عمل التصاوير اجيب بان هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل
كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ التصاوير اذ ذاك محرما ويجوز ان تكون غير صور الحيوان
كصور الاشجار ونحوها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان
او بصورة محذوفة الرؤس روي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين في اعلاه

فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وقيل كانوا
يتخذون صور الانبياء والملائكة والصالحين فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل ان هذا
كان اول الامر فلما تقادم الزمن قال لهم ابليس ان اباءكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوا الاصنام
ولم تكن التصاوير ممنوعة فى شريعتهم كما ان عيسى عليه السلام كان يتخذ صورا من الطين فينفخ فيها
فتكون طيرا وجفان اى قصاع وصحاف يؤكل فيها واحدتها جفنة كالجواب جمع جابية وهى الحوض
الكبير يجبى اليه الماء اى يجمع يقال كان يجلس على الجفنة الواحدة الف رجل ياكلون منها وقرأ
ورش وابو عمرو باثبات الياء بعد الباء الموحدة فى الوصل دون الوقف وابن كثير باثباتها وقفا
ووصلا والباقون بالحذف وقفا ووصلا + ولما ذكر القصاع على وجه يتعجب منه ذكر ما يطبخ فيه
طعام تلك الجفان بقوله تعالى وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اى ثابتات ثباتا عظيما لانها لكبرها كالجبال لها
قوائم لا يحركن عن اماكنها لعظمهن ولا يبدلن ولا يعطلن وكان يصعد عليها بالسلالم وكانت باليمن
+ ولما ذكر المساكن وما يتبعها اتبعها الامر بالعمل بقوله تعالى اِعْمَلُوا اى وقلنا لهم اعملوا اى تمتعوا و
اعملوا ودل على قربهم بحذف اداة النداء وعلى شرفهم بالتعبير بالال بقوله تعالى آلَ دَاوُدَ
وقوله تعالى شُكْرًا يجوز فيه اوجه احدها انه مفعول به اى اعملوا الطاعة سميت الصلاة ونحوها
شكرا لسدها مسده ثانيها انه مصدر من معنى اعملوا كانه قال اشكروا شكرا بعملكم او اعملوا عمل
شكر ثالثها انه مفعول من اجله اى لاجل الشكر واقتصر على هذا البقاعى رابعها انه مصدر واقع
موقع الحال اى شاكرين خامسها انه منصوب بفعل مقدر من لفظه تقديره واشكروا شكرا سادسها
انه صفة لمصدر اعملوا تقديره اعملوا عملا شكرا اى ذا شكر + تنبيه + كما قال تعالى عقب قوله ان
اعمل سابغات اعملوا صالحا قال عقب ما تعمله الجن له اعملوا آل داود شكرا اشارة الى انه لا ينبغى ان يجعل
الانسان نفسه مستغرقة فى هذه الاشياء وانما الاكثار من العمل الصالح الذى يكون شكرا وقوله تعالى
وَقَلِيلٌ خبر مقدم وقوله تعالى مِّنْ عِبَادِيَ صفة له وقوله تعالى الشَّكُورُ مبتدأ والمعنى ان العامل
بطاعتى المتوفر الدواعى بظاهره وباطنه من قلبه ولسانه ويديه على الشكر بان يصرف جميع ما انعم
الله تعالى به عليه فيما يرضيه قليل ومع ذلك لا يوفى حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر
لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وعبر بصيغة فعول اشارة الى ان من
يقع منه مطلق الشكر كثير واقل ذلك حال الاضطرار وقيل المراد من آل داود عليه السلام هو
داود نفسه وقيل داود وسليمان واهل بيتهما عليهما السلام قال جعفر بن سليمان سمعت ثابتا
يقول كان داود عليه السلام نبى الله صلى الله عليه وسلم قد جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتى ساعة
من ساعات الليل والنهار الا وانسان من آل داود عليه السلام قائم يصلى وقال صلى الله عليه وسلم فى صلاة النافلة
افضل الصلاة صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقال فى صوم التطوع افضل
الصيام صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وروى عن عمر رضى الله عنه انه سمع رجلا يقول اللهم

اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور
فانا ادعوه ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر ولما كان الموت مكتوبا على
كل احد قال تعالى فَلَمَّا قَضَيْنَا وحقق صفة القدرة باداة الاستعلاء بقوله تعالى عَلَيْهِ اى سليمان عليه
السلام الْمَوْتَ قال اهل العلم كان سليمان يتحنث في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين
واقل من ذلك واكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة
نابتة قد انطقها الله تعالى فيسألها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لاى شئ خلقت فتقول لكذا وكذا
فيأمر بها فتقلع فان كانت تنبت لغرس غرسها وان كانت تنبت لدواء كتب ذلك حتى نبتت
الخروبة فقال لها ما انت قالت الخروبة قال لاى شئ نبت قالت لخراب مسجدك فقال سليمان عليه السلام
ما كان الله ليخربه وانا حى انت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها
فى حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب لانهم كانوا
يسترقون السمع ويموهون على الناس انهم يعلمون الغيب فقال لملك الموت اذا امرت بى فاعلمنى
فقال امرت بك قد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب
فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض الله روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه
اينما صلى وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه فكانت الجن تعمل الاعمال الشاقة التى كانوا يعملونها فى
حياته وينظرون الى سليمان عليه السلام فيرونه قائما متكئا على عصاه فيحسبونه حيا فلا ينكرون
خروجه الى الناس لطول صلاته فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الارضة عصا
سليمان فخر ميتا فعلموا بموته حينئذ كما قال تعالى مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ اى الارضة لانا ابطلنا
له من سعة العلم ونفوذ الهيبة ونفوذ الامر ما تمكن به من اخفاء موته عنهم تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ قال البخارى يعنى
عصاه فالمنسأة العصا اسم آلة من نسأه اخره كالمكسحة والمكنسة من نسأت الغنم اى زجرتها وسقتها
ومنه نسأ الله فى اجله اى اخره وقرأ نافع وابو عمرو بعد السين بالف وابن ذكوان بعد السين بهمزة
ساكنة والباقون بهمزة مفتوحة بعد السين فاذا وقف حمزة سهل الهمزة وقيل لم يكن شيطان
ينظر اليه فى صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد
خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فَلَمَّا خَرَّ اى سقط على الارض بعد ان قصمت
الارضة عصاه تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ اى علمت علما بينا لا يقدرون معه على تدليس وتلبيس انفسهم امرهم وظهر
ظهورا تاما أَنْ اى انهم لَوْ كَانُوا اى الجن يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ اى علمه مَا لَبِثُوا اى اقاموا حولا
فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ من ذلك العمل الذى كانوا مسخرين فيه ويجوز ان تكون ان تعليلية ويكون
التقدير تبينت حال الجن فيما يظن بهم من انهم يعلمون الغيب لانهم الخ وسبب علمهم مدة كونه
ميتا قبل الخر انهم وضعوا الارضة على موضع من العصا فاكلت منها يوما وليلة مقدارا وحسبوا على ذلك
النحو فوجدوه سنة قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين فى جوف

الخشب + تنبيه + قد تقدم ان كل شئ اثبت لمن قبل نبينا صلى الله عليه وسلم من الانبياء عليهم
السلام من الخوارق ثبت له مثله او اعظم منه اما له نفسه او لاحد من امته وهذا الذى ذكر
سليمان عليه السلام من حفظه بعد موته سنة لا يميل قد ثبت مثله لشخص من هذه الامة من غير
شئ يعتمد عليه قال القشيرى فى رسالته فى باب احوالهم عند الخروج من الدنيا وقال ابو عمران
الاصطخرى رأيت ابا تراب فى البادية قائما ميتا لا يمسكه شئ انتهى + فائدة + روى ان سليمان
عليه السلام كان عمره ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه اربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن
ثلاث عشرة سنة وابتدأ فى بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وروى ان داود
عليه السلام اسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل ان يتم
فوصى به الى سليمان عليه السلام فامر الشياطين باتمامه ولما بقى من عمله سنة سأل الله تعالى
ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروى ان افريدون جاء
ليصعد كرسيه فلما دنا منه ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ان يدنو منه + ولما بين
تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما السلام بين حال الكافرين لانعمه
بحكاية اهل سبا فقال تعالى لقد كان لسبإ اى القبيلة المشهورة روى ابو سبرة النخعى
عن ابى فروة بن مسيك القطيعى قال قال رجل يا رسول الله اخبرنى عن سبا كان رجلا او امرأة
او ارضا قال كان رجلا من العرب وله عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة
فاما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج وانمار وحمير فقال رجل وما انمار قال
الذين منهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان وسبا يجمع هذه
القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب ينقسمون الى قسمين قحطانية وعدنانية فالقحطانية
شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم
نسبها الى قحطان وبعضهم الى عدنان قيل ان قحطان اول من قيل له انعم صباحا وابيت اللعن
قال بعضهم وجميع العرب منسوب الى اسمعيل بن ابراهيم وليس بصحيح فان اسمعيل عليه السلام
نشأ بين جرهم بمكة وكانوا عربا والصحيح ان العرب العاربة كانوا قبل اسمعيل عليه السلام منهم
عاد وثمود وطسم وجديس واميم وجرهم والعماليق يقال ان اميما كان ملكا
ويقال انه اول من سقف البيوت بالخشب المنشور وكانت الفرس تسميه آدم الاصغر وبنو
قبيلة يقال لها وبار هلكوا بالرمل اسأله الله عليهم فاهلكهم وطم مناهلهم وفى ذلك يقول
بعض الشعراء ۞ وكر دهر على وبار + فهلكت عنوة وبار + واسم سبا عبد شمس بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان وسمى سبا قيل لانه اول من سبا فى العرب قاله السهيلى ويقال انه اول من تتوج وذكر
بعضهم انه كان مسلما وله شعر يبشر فيه بوجود النبى صلى الله عليه وسلم وقال فى سليمان عليه السلام
۞ سيملك بعدنا ملك عظيم + نبى لا يرخص فى الحرام + ويملك بعده منهم ملوك + يدينوه القياد بكل دام +

ويملك بعدهم منا ملوك + يصير الملك فينا باقتسام + ويملك بعد قحطان نبي + تقي مخبت خير الانام + يسمى احمدا يا ليت اني + اعمر بعد مبعثه بعام + فاعضده واحبوه بنصري + بكل مدجج وبكل رامي + متى يظهر فكونوا ناصريه + ومن يلقاه يبلغه سلامي + وقرأ البزي وابو عمرو بعد الموحدة بهمزة مفتوحة من غير تنوين لانه صار اسم قبيلة وقنبل بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مكسورة منونة واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الفا ولهما ايضا الروم مع التسهيل وقرأ في مسكنهم اي التي هي في غاية الكثرة حمزة وحفص بسكون السين وفتح الكاف بلا الف بينهما اشارة الى انها لشدة اتصال المنافع والمرافق كالمسكن الواحد وقرأ الكسائي كذلك الا انه يكسر الكاف والباقون بفتح السين والف بعدها وكسر الكاف اشارة الى انها في غاية الملاءمة لهم واللين وكانت بارض مأرب من بلاد اليمن قال حمزة الكرماني قال ابن عباس على ثلاثة فراسخ من صنعاء آية اي علامة ظاهرة على قدرتنا ثم فسر الآية بقوله تعالى جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ اي عن يمين الوادي وشماله قد احاطت الجنتان بذلك الوادي وقيل عن يمين من اتاها وشماله فان قيل كيف عظم الله تعالى جنتي اهل سبا وجعلهما آية ورب قرية من قرى العراق يحتف بها من الجنات ما شئت اجيب بانه لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدتهم واخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال تعالى جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب فكانت اخصب البلاد واطيبها واكثرها ثمارا حتى كانت المرأة تضع على رأسها مكتلا فتطوف به بين الاشجار فيمتلئ المكتل من جميع انواع الفواكه من غير ان تمس شيئا بيدها مما يتساقط فيه من الثمر وقوله تعالى كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ اي المحسن اليكم الذي اخرج لكم منهما ما تشتهون وَاشْكُرُوا لَهُ اي خصوه بالشكر بالعمل في كل ما يرضيه ليديم لكم النعمة حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك ثم استأنف تعظيم ذلك بقوله بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ اي حسنة التربة ليس بها سباخ حسنة الهواء سليمة من الهوام ليس فيها بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية يمر الغريب بها وفي ثيابه القمل فيموت من طيب هوائها واشار الى انه لا يقدر احد ان يقدره حق قدره بقوله تعالى وَرَبٌّ غَفُورٌ اي لذنب من شكره وتقصيره فلا يعاقب عليه ولا يعاتب قال البقاعي واخبرني بعض اهل اليمن انها اليوم مفازة قرب صنعاء قال وفي بعضها عنب يحمل منه زبيب كبار جدا في مقدار در بلي بلاد الشام وهو في غاية الصفاء كانه قطع المصطكي وليس له نوى اصلا انتهى + ولما تسبب عن هذا الانعام

بطرهم الموجب لاعراضهم عن الشكر دل على ذلك بقوله تعالى فَأَعْرَضُوا اى عن الشكر فكفروا قال وهب ارسل الله تعالى الى سبا ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعم الله تعالى عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله تعالى علينا من نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع * ولما تسبب عن اعراضهم مقتهم بينه بقوله تعالى فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ جمع عرمة وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره الى وقت حاجته اى سيل واديهم فاغرق جنتيهم واموالهم * قال ابن عباس رضى الله عنهما ووهب وغيرهما كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير فسدت ما بين الجبلين وجعلت له ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا سدوها فاذا جاء المطر اجتمع اليه ماء اودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه فى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثانى ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله تعالى عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من اسفله فاغرق الماء جنتيهم وخرب ارضهم قال وهب وكانوا فيما يزعمون يجدون فى علمهم وكهانتهم انه يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمانه وما اراد الله تعالى بهم من التغريق اقبلت فيما يذكرون فارة حمراء كبيرة الى هرة من تلك الهرر فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها فتغلغلت فى السد فنقبت وحفرت حتى اوهنته للسيل وهم لا يدرون ذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى اقتلع السد وفاض على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل ففرقوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون صار بنو فلان ايدى سبا وتفرقوا ايادى سبا اى تفرقوا وتبددوا قيل والاوس والخزرج منهم قاله البقاعى وكان ذلك فى الفترة التى كانت بين عيسى ونبينا صلى الله عليهما وسلم * تنبيه * فى العرم اقوال غير ما ذكر احدها انه من باب اضافة الموصوف لصفته فى الاصل اذ الاصل السيل العرم والعرم الشديد واصله من العرامة وهى الشراسة والصعوبة الثانى انه من باب حذف الموصوف واقامة صفته مقامه تقديره فارسلنا عليهم سيل المطر العرم اى الشديد الكثير الثالث ان العرم اسم للوادى الذى كان فيه الماء نفسه قال ابن الاعرابى العرم السيل الذى لا يطاق وقيل كان ماء احمر ارسله الله تعالى عليهم من حيث شاء الرابع انه اسم للجرذ وهو الفار وقيل هو الخلد وانما اضيف اليه لانه تسبب عنه كما مر وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ اى جعلنا لهم بدلهما جَنَّتَيْنِ هما فى غاية ما يكون من مضادة جنتيهم ولذلك فسرهما بقوله تعالى اعلاما بان اطلاق الجنتين عليهما مشاكلة لفظية للتهكم بهم ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ اى ثمر بشع والخمط الاراك وثمره يقال له البرير هذا قول اكثر المفسرين قال المبرد والزجاج كل نبت قد اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله فهو

خمط وقال ابن الاعرابى الخمط ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع به وعن
ابى عبيدة كل شجر ذى شوك وقرأ ابو عمرو اكل بغير تنوين والباقون بالتنوين وسكن الكاف نافع و
ابن كثير وضمها الباقون قال البغوى فمن جعل الخمط اسما للماكول فالتنوين فى اكل احسن ومن جعله
اصلا وجعل الاكل ثمرة فالاضافة فيه ظاهرة والتنوين سائغ تقول العرب فى بستان فلان اعناب
كرم واعناب كرم فتصف الاعناب بالكرم لانها منه وقوله تعالى وَأَثْلٍ اى وذواتى اثل وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ
قَلِيلٍ معطوفا على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقيل هو شجر يشبه الطرفاء اعظم منه
واجود عودا وقيل هو نوع من الطرفاء ولا يكون عليه ثمر الا فى بعض الاوقات يكون عليه شئ
كالعفص اخضر فى طعمه وطبعه والسدر شجر معروف وهو شجر النبق وينتفع بورقه لغسل اليد ويغرس
فى البساتين ولم يكن هذا من ذاك بل كان سدرا بريا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشئ ولهذا قال
بعضهم السدر سدران سدر له ثمرة عفصة لا تؤكل ولا ينتفع بورقه فى الاغتسال وهو الضال وسدر له
ثمرة تؤكل وهى النبق ويغسل بورقه والمراد فى الاية الاول وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فغيره الله
تعالى من شر الشجر باعمالهم + تنبيه + قد نبهت فى شرح المنهاج على ان الباء فى الابدال والتبديل
والتبدل والاستبدال هل تدخل على المتروك او على المأخوذ عند قول المنهاج ولو ابدل ضادا بظاء
ذَلِكَ اى الجزاء العظيم بالتبديل جَزَيْنَاهُمْ بما لنا من العظمة بِمَا كَفَرُوا اى غطوا الدليل الواضح و
هو ما جاءت به الرسل اذ روى انه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وقيل بكفرانهم النعمة وَهَلْ نُجَازِي
اى مثل هذا الجزاء الذى هو على وجه العقاب إِلَّا الْكَفُورَ اى الا البليغ فى الكفر وقال مجاهد يجازى اى
يعاقب ويقال فى العقوبة يجازى وفى المثوبة يجزى قال الفراء المؤمن يجزى ولا يجازى اى يجزى
الثواب بعمله ولا يكافأ بسيأته وقال بعضهم المجازاة تقال فى النقمة والجزاء فى النعمة لكن قوله تعالى ذلك
جزيناهم يدل على ان يجزى فى النقمة ايضا قال ابن عادل ولعل من قال ذلك اخذه من ان المجازاة
مفاعلة وهى فى اكثر الامر تكون ما بين اثنين يوجد من كل واحد جزاء فى حق الآخر وفى النعمة
لا تكون مجازاة لان الله تعالى مبتدئ بالنعم وقيل المؤمن تكفر سيأته بحسناته والكافر يحبط عمله
فيجازى بجميع ما يفعله من السوء وليس لقائل ان يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على
اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للمؤمن والكافر لانه لم يرد الجزاء العام انما اراد الخاص
وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا
وهل يجازى الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين انما يتخيل من السؤال مضمحل وان
الصحيح الذى لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون مضمومة وكسر الزاى الكفور بالنصب والباقون بالياء
المضمومة ونصب الزاى الكفور بالرفع + ولما تم الخبر عن الجنان التى بها القوام نعمة ونقمة اتبعه
مواضع السكان بقوله تعالى وَجَعَلْنَا اى بما لنا من العظمة بَيْنَهُمْ اى بين سبا وهم باليمن

وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بٰرَكْنَا فِيْهَا اى بالتوسعة على اهلها بالماء والشجر وغيرهما وهى قرى الشام التى
يسيرون اليها للتجارة قُرًى ظَاهِرَةً اى متواصلة من اليمن الى الشام وَقَدَّرْنَا فِيْهَا السَّيْرَ اى بحيث
يقيلون فى واحدة ويبيتون فى اخرى الى انتهاء سفرهم ولا يحتاجون فيه الى حمل زاد وماء من سبا
الى الشام وقيل كانت قراهم اربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا الى الشام فلا يحملون شيئا مما
جرت به عوائد السفار فكان سيرهم فى الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم و
صلوا الى قرية ذات مياه واشجار وقال قتادة كانت المرأة تخرج ومعها مغزلها وعلى راسها مكتلها
فتمتهن بمغزلها فلا تأتى بيتها حتى يمتلئ مكتلها من الثمار فكان ما بين اليمن والشام كذلك فهى حقيقة
بان يقال لاهلها والنازلين بها على سبيل الامتنان بلسان القال او الحال سِيْرُوْا ودل على تقاربها
جدا قوله تعالى فِيْهَا ودل على كثرتها وطول مسافتها وصلاحيتها للسير اى وقت اريد مقدما ما هو
ادل على الامن واعدل السير فى البلاد الحارة بقوله تعالى لَيَالِيَ واشار الى كثرة الظلال والرطوبة
والاعتدال الذى يمكن معه السير فى جميع النهار بقوله تعالى وَاَيَّامًا اى فى اى وقت شئتم والى عظيم
امانها فى كل وقت بالنسبة الى كل مسير بقوله اٰمِنِيْنَ اى لا تخافون فى ليل او نهار وان طالت مدة
سفركم فيها او سيروا فيها ليالى اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن فلا تخافون عدوا ولا جوعا
ولا عطشا وقيل تسيرون فيها ان شئتم ليالى وان شئتم اياما لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان
بعضها يسلك ليلا لعدم علم العدو بسيرهم وبعضها يسلك نهارا لئلا يقصدهم عدو واذا كان العدو غير
مجاهر بالقصد والعداوة ولما انقضى الخبر عن هذه الاوصاف التى تستدعى غاية الشكر لما فيها
من الالطاف دل على بطرهم للنعمة بها بانهم جعلوها سببا للضجر والملال بقوله تعالى فَقَالُوْا اى على
وجه الدعاء رَبَّنَا بٰعِدْ بَيْنَ اَسْفَارِنَا اى الى الشام اى اجعلها مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب
الرواحل وتزود الازواد والماء فبطروا النعمة وملوا العافية كبنى اسرائيل لما طلبوا الثوم والبصل
فاجابهم الله تعالى بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بتشديد العين
بلا الف قبلها فعل طلب والباقون بالف قبل العين وتخفيف العين وقرئ بلفظ الخبر
على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا فى الترفه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم
فيه وَظَلَمُوْا حيث عدوا النعمة نقمة والاحسان اساءة اَنْفُسَهُمْ بالكفر فَجَعَلْنٰهُمْ اى بما لنا من العظمة
اَحَادِيْثَ اى عبرة لمن بعدهم يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون
ذهبوا ايدى سبا وتفرقوا ايادى سبا قال كثير ـه ايادى سبا يا عز ما كنت بعدكم + فلم يحل
للعينين بعدك منظر + وَمَزَّقْنٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ اى فرقناهم فى كل جهة من البلاد كل التفريق قال
الشعبى لما غرقت قراهم تفرقوا فى البلاد اما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة
الى تهامة ومر خزيمة الى العراق والاوس والخزرج الى يثرب وكان الذى قدم منهم المدينة عمرو
ابن عامر وهو جد الاوس والخزرج اِنَّ فِىْ ذٰلِكَ اى المذكور لَاٰيٰتٍ اى عبرا ودلالات بينة

جداً على قدرة الله تعالى على التصرف فيما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض بالإيجاد والإعدام
للذوات والصفات والخسف والمسخ فإنه لا فرق بين خارق وخارق وعلى أن بطرهم لتلك النعمة حتى
ملوها ودعوا بإزالتها دليل على أن الإنسان ما دام حياً فهو في نعمة يجب عليه شكرها كائنة ما كانت وإن
كان يراها بلية لأنه لما طبع عليه من القلق كثيراً ما يرى النعم نقماً والآفة ألماً فلذا لم تختم الآية بالصبر
بصيغة المبالغة بقوله تعالى لِكُلِّ صَبَّارٍ على طاعة الله وعن معصيته شَكُورٍ لنعمه قال مقاتل يعني المؤمن
من هذه الأمة صبور على البلاء شكور على النعماء قال مطرف هو المؤمن إذا أعطى شكر
وإذا ابتلي صبر ثم قرأ قوله تعالى وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ أي الذي هو من البلس وهو ما لا
خير عنده أو الإبلاس وهو الإياس من كل خير ليكون ذلك أبلغ في التبكيت والتوبيخ ظَنَّهُ قرأ
الكوفيون بتشديد الدال بعد الصاد أي ظن فيهم ظناً حيث قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الآيات
ولا تجد أكثرهم شاكرين فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم إياه والباقون
بالتخفيف أي صدق عليهم في ظنه بهم أي على أهل سبأ كما قال أكثر المفسرين حين رأى انهماكهم
في الشهوات أو الناس كلهم كما قاله مجاهد أي حين رأى أباهم آدم ضعيف العزم أو ما ركب فيهم
من الشهوة والغضب أو سمع من الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها فقال لأضلنهم ولأغوينهم
أو الكفار ومنهم سبأ كما قاله الجلال المحلي فَاتَّبَعُوهُ أي بغاية الجهد بميل الطبع وقوله إِلَّا فَرِيقًا
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ استثناء متصل على قول مجاهد ومنقطع على قول غيره وقال السدي عن ابن عباس
رضي الله عنه يعني المؤمنين كلهم لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين وقليلهم بالإضافة إلى الكفار
أو إلا فريقاً من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون قال ابن قتيبة إن إبليس لعنه الله تعالى
لما سأل النظرة فأنظره الله تعالى وقال لأغوينهم ولأضلنهم لم يكن مستيقناً وقت هذه المقالة أن
ما قاله فيهم يتم وإنما قاله ظناً فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم + ولما كان ذلك ربما أوهم
أن لإبليس أمراً بنفسه نفاه بقوله تعالى وَمَا أي والحال أنه ما كَانَ أصلاً لَهُ عَلَيْهِمْ أي الذين اتبعوه ولا غيرهم
وأغرق فيما هو الحق من النفي بقوله تعالى مِنْ سُلْطَانٍ أي تسلط قاهر بشيء من الأشياء بوجه من الوجوه
لأنه مثلهم في كونه عبداً عاجزاً مقهوراً ذليلاً خائفاً مدحوراً قال القشيري هو مسلط ولو أمكنه أن
يضل غيره أمكنه أن يمسك على الهداية نفسه والمعنى أن الأمر لله وحده إِلَّا أي لكن نحن سلطناه
عليهم بسلطاننا وملكناه قيادهم بقهرنا وعبر عن التمييز الذي هو سبب العلم بالعلم فقال لِنَعْلَمَ أي
بما لنا من العظمة مَنْ يُؤْمِنُ أي يوجد الإيمان لله بِالْآخِرَةِ أي يتعلق علمنا بذلك في عالم الشهادة
في حال تميزه تعلقاً تقوم به الحجة في مجاري عادات البشر كما كان متعلقاً به في عالم الغيب مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا
أي الآخرة فِي شَكٍّ فهو لا يجدد لها إيماناً أصلاً لأن الشك ظرف له محيط به وإنما استعار الأمر علماً لكن
إشارة إلى أنه مكنه تمكيناً تاماً صار به كمن له سلطان حقيقي + تنبيه + قال الرازي إن علم الله تعالى
من الأزل إلى الأبد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير وهو في كونه عالماً لا يتغير ولكن يتغير تعلق

علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر فيها كل ما فى نفس الامر فعلم الله تعالى فى الازل ان العالم
سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا عدم علمه معدوما ومثال ذلك المرآة المصقولة
الصافية يظهر فيها صورة زيد ان قابلها ثم اذا قابلها عمرو تظهر فيها صورته والمرآة لم تتغير
فى ذاتها ولا تبدلت فى صفاتها وانما التغير فى الخارجيات كذا هنا قوله لا لنعلم اى ليقع فى العلم صدور
الكفر من الكافر والايمان من المؤمن وكان علم الله تعالى انه سيكفر زيد ويؤمن عمرو وقال البغوى المعنى الا
لنميز المؤمن من الكافر واراد علم الوقوع والظهور وقد كان معلوما عنده بالغيب قوله تعالى وَرَبُّكَ
اى المحسن اليك باغراء الشيطان بشوقك واجتنابه عن امتك عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ من المكلفين وغيرهم
حَفِيظٌ اى محافظ اتم حفظ تحقيق ذلك ان الله تعالى قادر على منع ابليس عنهم عالم بما سيقع فالحفظ يدخل
فى مفهومه العلم والقدرة اذ الجاهل بالشئ لا يمكنه حفظه ولا العاجز ۔ ولما بين تعالى حال الشاكرين
وحال الكافرين وذكرهم بمن مضى عاد الى خطابهم فقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم
قُلِ اى يا اعلم الخلق باقامة الادلة لهؤلاء الذين اشركوا من لا يشك فى حقارته من له ادنى
مسكة ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم اى انهم الهة كما تدعون الله تعالى لاسيما فى وقت الشدائد وحذف
مفعولى زعم وهما ضميرهم والهة تنبيها على استهجان ذلك واستبشاعه وليس المذكور فى الآية مفعو
لى زعم ولا قائما مقام المفعول لفساد المعنى ثم بين حقارتهم بقوله تعالى مِّن دُونِ اللَّهِ اى الذى حاز
جميع العظمة وللعلو دعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صحت دعواكم ثم اجاب
عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ من خير او شر فِي السَّمَاوَاتِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ اى فى امر ما وذكرهما للعموم العرفى او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب
وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استئناف
لبيان حالهم ۔ ولما كان هذا ظاهرا فى نفى الملك الخاص عن ثبوت المشاركة ايضا بقوله تعالى
مؤكدا لتكذيبا لهم فيما يدعونه وَمَا لَهُمْ اى الالهة فِيهِمَا اى فى السموات والارض ولا فى غيرهما
ولا فى فيما بينهما واغرق فى النفى بقوله تعالى مِن شِرْكٍ اى شركة لا خلقا ولا ملكا وَمَا لَهُ اى الله مِنْهُم
واكد النفى باثبات الجار فقال مِّن ظَهِيرٍ اى معين على شئ مما يريده من تدبيرهما وغيرهما
فكيف يصح مع هذا العجز ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى ويعبدوا كما يعبد ۔ ولما كان
قد بقى من اقسام النفع الشفاعة وكان المقصود منها اثرها لا عينها نفاه بقوله تعالى وَلَا تَنفَعُ
الشَّفَاعَةُ عِندَهُ اى فلا تنفعهم شفاعة كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ
اى وقع منه اذن له على لسان من شاء من جنوده بواسطة واحدة او اكثر فى ان يشفع فى غيره وفى ان
يشفع فيه غيره وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى بضم الهمزة والباقون بفتحها وقوله تعالى حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ
عَن قُلُوبِهِمْ غاية لمفهوم الكلام من ان ثم انتظار الاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين
للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملى من الزمان

وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليها قوله عز من قائل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قيل يتربصون ويتربصون مليا فزعين ذاهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اى كشف الفزع عن قلوبهم اى كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى اطلاق الاذن قالوا اى قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم اى فى الشفاعة ذاكرين صفة الاحسان لين جمع اليهم رجاؤهم فتسكن بذلك قلوبهم قالوا قال القول الحق اى الثابت الذى لا يمكن ان يبدل بل يطابق الواقع فلا يكون شئ يخالفه وهو الاذن فى الشفاعة لمن ارتضى منهم وهم المؤمنون وهو العلى الكبير اى ذو العلو فلا رتبة الا دون رتبته والكبرياء فليس لملك ولا نبى ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه روى البخارى فى التفسير عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة ويلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى من السماء وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله ان يوحى بالامر وتكلم بالوحى اخذت السماء رجفة او قال رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع بذلك اهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع راسه جبريل عليه السلام فيكلمه الله تعالى من وحيه بما اراد ثم يمر جبريل عليه السلام على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل عليه السلام قال الحق وهو العلى الكبير فيقولون كلهم مثل ما يقول جبريل عليه السلام فينتهى جبريل عليه السلام بالوحى حيث امره الله تعالى وقال مقاتل والكلبى والسدى كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام خمسمائة وخمسين سنة وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيا فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل عليه السلام بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا انه الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات من اشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل عليه السلام جعل يمر بكل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق يعنى الوحى وهو العلى الكبير وقال الحسن وابن زيد حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت اقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة عليهم السلام ماذا قال ربكم فى الدنيا قالوا الحق فاقروا به حيث لم ينفعهم الاقرار ولما سلب تعالى عن شركائهم

ان يملكوا شيئا من الاكوان واثبت جميع الملك له وحده وامر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يقررهم
بما يلزم منه ذلك بقوله تعالى قُلْ مَنْ يَّرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمٰوٰتِ اي بالمطر وَالْاَرْضِ اي بالنبات
ونحوها من الارض لانهم لا يعلمون غيرها ثم امره تعالى ان يتولى الاجابة بقوله تعالى
قُلِ اللّٰهُ اي ان لم يقولوا رازقنا الله فقل انت ان رازقكم الله وذلك للاشعار بانهم يقرون
بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن من صدورهم من العناد وحب
الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله تعالى
رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على
الرزق الا ترى الى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار
حتى قال فسيقولون الله ثم قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون
بالسنتهم مرة ومرة يتلعثمون عنادا وضرارا وحذرا من الزام الحجة ونحوه قوله عز وجل
قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا
ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر
عنه وَاِنَّآ اَوْ اِيَّاكُمْ اي احد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والارض
بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لَعَلٰى هُدًى اي في متابعة
ما ينبغي ان يعمل مستعليا عليه اَوْ فِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ اي بين في نفسه داع لكل احد
الى معرفة انه ضلال وهذا ليس على طريق الشك لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك انه على
هدى ويقين وان الكفار على ضلال مبين وانما هذا الكلام جار على ما تخاطب به العرب من
استعمال الانصاف في محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير ويسميه اهل البيان الاستدراج
وهو ان يذكر المخاطب امرا يسلمه وان كان بخلاف ما يذكر حتى يصغي الى ما يلقيه اليه اذ لو بداه
بما يكره لم يصغ ونظيره قولهم اخزى الله الكاذب مني ومنك ومثله قول حسان رضي الله
تعالى عنه يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا سفيان اتهجوه ولست له بكفء + فشركما
لخيركما الفداء + فان ابي ووالده وعرضي + لعرض محمد منكم وقاء + مع العلم لكل احد انه صلى الله
عليه وسلم خير خلق الله كلهم تنبيه + ذكر تعالى في الهدى كلمة على وفي الضلال كلمة في لان المهتدي
كانه مرتفع مطلع فذكره بكلمة التعالي فكانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال منغمس
في الظلام غريق فيها فاتى بكلمة في فكانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه قال البغوي
وقال بعضهم او بمعنى الواو والالف فيه صلة كانه يقول وانا وايكم لعلى هدى وفي ضلال مبين يعني نحن على
الهدى وانتم في الضلال قُلْ اي لهم لَّا تُسْـَٔلُوْنَ اي من سائل ما عَمَّآ اَجْرَمْنَا اي لا تؤاخذون به وَلَا نُسْـَٔلُ
اي في وقت من الاوقات من سائل ما عَمَّا تَعْمَلُوْنَ اي من الكفر والتكذيب هذا ادخل في الانصاف
وابلغ في التواضع حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين وقيل المراد

بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وباهل الكفر والمعاصي العظام قل اي لهم يجمع بيننا ربنا اي يوم القيمة ثم يفتح اي يحكم بيننا بالحق اي الامر الثابت الذي لا يقدر احد منا ولا منكم على التخلف عنه وهو العدل والفضل من غير ظلم ولا ميل فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح اي الحاكم الفاصل في القضايا المغلقة البليغ الفتح لما انغلق فلا يقدر احد على فتحه العليم اي البليغ العلم بكل دقيق وجليل فلا تخفى عليه خافية قل اي لهم أروني اي اعلموني الذين الحقتم به اي بالله شركاء اي في العبادة هل يخلقون وهل يرزقون وقوله تعالى كلا اي لا يخلقون ولا يرزقون ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال المقايسة كما قال ابراهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم بقوله تعالى بل هو الله العزيز اي الغالب على امره الذي لا مثل له وكل شيء محتاج اليه الحكيم اي المحكم لكل ما يفعله فلا يستطيع احد نقض شيء منه فكيف يكون له شريك وانتم تردون له من هاتين الصفتين المنافيتين للالهية وفي هذا الضمير وهو هو قولان احدهما انه عائد الى الله تعالى اي ذلك الذي الحقتم به شركاء هو الله العزيز الحكيم صفتان والثاني انه ضمير الامر والشان والله مبتدأ والعزيز الحكيم خبران والجملة خبر هو فان قيل ما معنى قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم اجيب بانه اراد بذلك ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله تعالى وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به ولما بين تعالى مسئلة التوحيد شرع في الرسالة بقوله سبحانه وتعالى وما ارسلناك اي بعظمتنا الا كافة للناس اي ارسالا عاما شاملا لكل ما شمله ايجادنا فكافة حال من الناس قدم للاهتمام وقول البيضاوي ولا يجوز جعلها حالا من الناس اي لان تقديم حال المجرور عليه كتقديم المجرور على الجار رده ابو حيان بقوله هذا ما ذهب اليه الجمهور وذهب ابو علي وابن كيسان وابن برهان وابن ملكون الى جوازه وهو الصحيح انتهى وهذا هو الذي ينبغي اعتماده ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة ومن امثلة ابي علي زيد خير ما يكون خير منك والتقدير زيد خير منك خير ما يكون وانشد

اذا المرء اعيته المعالي صغيرا فمطلبها كهلا عليه شديد

اي فمطلبها عليه كهلا وانشد ايضا

تسليت طرا عنكم بعد بينكم بذكراكم حتى كانكم عندي

اي عنكم طرا وقيل انه حال من كاف ارسلناك والمعنى الا جامعا للناس في الابلاغ والكافة بمعنى الجامع والهاء فيه للمبالغة كهي في علامة وراوية قاله الزجاج وقيل ان كافة صفة لمصدر محذوف وتقديره الا ارسالة كافة قال الزمخشري الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم قال ابو حيان اما كافة بمعنى عامة فالمنقول عن النحويين انها لا تكون الا حالا ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها صفة لمصدر

محذوف

محذوف نحو خرج عما قبله ولا يحفظ ايضا استعمال الكافة لموصوف محذوف وقد قال البقاعي انه الحق
فيما العلم مشهود اى لانه رسول اليهم واما الملائكة فالظاهر على الارسال اليهم في غاية الغموض
انتهى هذا هو اللائق بعموم رسالته وان خالف في ذلك الجلال المحلي في شرحه على جمع الجوامع وفي عموم
رسالته صلى الله عليه وسلم فضيلة على جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام فلئن كان داود عليه السلام
فضل بطاعة الجبال له والطير والانة الحديد وسليمان عليه السلام بما ذكر له فقد فضل محمد صلى الله عليه وسلم
بان ارسله الى الناس كافة والحصا سبح في كفه والجبال امرت بالسير معه ذهبا وفضة والشجرة شكت اليه
ثم خلت قرابتها وبيضها والضب شهد له بالرسالة والجمل شكا اليه وعيده له والاشجار اطاعته والاحجار
سلمت عليه واشتوت باحد وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر وانما ذكرت ذلك تبركا بذكره
صلى الله عليه وسلم وانا اسأل الله تعالى ان يشفع فيّ وفي والديّ وجميع احبابي وبقية المسلمين
اجمعين ولما كانت البشارة هي الخبر الاول الصادق السار وكان في ذكرها مدد لقلوبهم في الكتب
والمعجزة قال تعالى ﴿بَشِيرًا﴾ اى مبشرا للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ اى منذرا للكافرين بالعذاب ﴿وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ اى كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيحملهم جهلهم على مخالفتك ولما سلب عنهم العلم اتبعه
دليله كقوله تعالى معبرا بصيغة المضارع الدال على ملازمة التكرير الاعلام بانه على
سبيل الاستهزاء لا الاسترشاد ﴿وَيَقُولُونَ﴾ من فرط جهلهم بعاقبة ما يوعدونه ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾
اى البشارة والنذارة في يوم الجمع وغيره فسموه وعدا زيادة في الاستهزاء ولما كان قول الجماعة
اجدر بالقبول وابعد عن الرد من قول الواحد اشار الى زيادة جهلهم بقوله تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾
اى ايها النبي واتباعه ﴿صَادِقِينَ﴾ اى متمكنين في الصدق ﴿قُلْ لَكُمْ﴾ اى ايها الجاحدون من الاجلاف الذين
لا يجوزون من الممكنات او لا يتدبرون ما وضحها من الدلالات ﴿مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ اى لا يحتمل القول
وصف عظمه لما يأتي فيه لكم من العقاب سواء كان يوم الموت كما قاله الضحاك او البعث كما قاله
اكثر المفسرين ﴿لَا تَسْتَأْخِرُونَ﴾ اى لا يوجد تاخركم ﴿عَنْهُ سَاعَةً﴾ لان الآتي به عظيم القدرة محيط العلم
ولذلك قال ﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ اى لا يوجد تقدمكم لحظة فما دونها ولا تتمكنون من طلب ذلك
فان قيل كيف نطبق هذا جوابا عن سؤالهم اجيب بانهم ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له
الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار
والتعنت وانهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تاخرا عنه ولا تقدما عليه ﴿وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مؤكدين قطعا للاطماع عن رجوعهم ﴿لَنْ نُؤْمِنَ﴾ اى نصدق ابدا وصرحوا بالمنزل
عليه صلى الله عليه وسلم بالاشارة فقالوا ﴿بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ اى وان جمع جميع الحكم والمقاصد المتضمنة
لبقية الكتب ﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ اى قبله من الكتب التوراة والانجيل وغيرهما الآخر فانا نحن بما وجدنا
عليه اباءنا وذلك لما روي ان كفار مكة سألوا بعض اهل الكتاب فاخبروهم ان صفة هذا النبي عندهم
في كتبهم فاغضبهم ذلك فقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر بها فكفروا بها

ولا بالذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله وان يكون
لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة + ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومآلهم في الاخرة فقال تعالى لرسوله
صلى الله عليه وسلم او للمخاطب وَلَوْ اي والحال انك لو تَرَى اي يوجد منك رؤية لحالهم اِذِ الظّٰلِمُوْنَ
اي الذين يضعون الاشياء في غير محالها بتصديق آبائهم لاحسان يسير مكدر من غير دليل ولا يصدقون
ربهم الذي لا نعمة عندهم ولا عند آبائهم الا منه مَوْقُوْفُوْنَ اي بعد البعث بايدي جنوده او غيرها
بايسر امر منه عِنْدَ رَبِّهِمْ اي في موضع المحاسبة يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ اي على وجه الخصام عداوة كان
سببها موادة في الدنيا بطاعة بعضهم لبعض في معاصي الله تعالى اِلٰى بَعْضِ الْقَوْلَ اي بالملاومة
والمباكتة والمخاصمة + تنبيه + مفعول ترى وجواب لو محذوف للفهم اي لو ترى حال الظالمين
وقت وقوفهم راجعا بعضهم الى بعض القول لرأيت حالا فظيعة وامرا منكرا ويرجع حال من ضمير
موقوفون والقول مفعول يرجع لانه يتعدى قال تعالى فان رجعك الله وقوله تعالى يَقُوْلُ
الَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا اي وقع استضعافهم ممن هو فوقهم في الدنيا وهم الاتباع في تلك الحال
على سبيل اللوم لِلَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا اي اوجدوا الكبر وطلبوه بما وجدوا من اسبابه التي ادت
الى استضعافهم للاولين وهم الرؤس المتبوعون لَوْلَا اَنْتُمْ اي لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان
لَكُنَّا مُؤْمِنِيْنَ اي باتباع الرسول تفسير لقوله تعالى يرجع فلا محل له قال ابن عادل وانتم بعد
لولا مبتدأ على احسن المذاهب وهذا هو الافصح اعني وقوع ضمائر الرفع بعد لولا اي وغيره
فصيح خلافا للمبرد حيث جعل خلاف هذا لحنا وانه لم يرد الا في قول زياد وكم موطن
لولاي ولا اتيتني جعل الياء ضمير نصب او جر قام مقام ضمير الرفع وسيبويه جعله ضمير جر
+ ولما يتضمن كلامهم سوى شبهة واحدة ذكر الجواب عنها بقوله تعالى قَالَ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا على
طريق الاستئناف لِلَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا ردا عليهم وانكارا لقولهم انهم هم الذين صدوهم اَنَحْنُ
صَدَدْنٰكُمْ اي منعناكم عَنِ الْهُدٰى بَعْدَ اِذْ جَآءَكُمْ اي على السنة الرسل عليهم الصلوة والسلام لم نفعل
ذلك لان المانع ينبغي ان يكون ارجح من المقتضي حتى يعمل عمله والذي جاء به الرسل هو الهدى
والذي صدر من المستكبرين لم يكن شيئا يوجب الامتناع من قبول ما جاؤا به فلم يصح تعلقكم
بالمانع وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال عند الجيم والباقون بالادغام واما ل
الالف بعد الجيم حمزة وابن ذكوان وفتحها الباقون وكذا الاظهار والادغام في اذ تأمروننا واذا وقف
حمزة على جاءكم سهل الهمزة مع المد والقصر وله ايضا ابدالها الفا مع المد والقصر بَلْ كُنْتُمْ اي جبلة وخلقا
مُجْرِمِيْنَ اي كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا فان قيل اذ واذا من الظروف الملازمة للظرفية
فلم وقعت اذ مضافا اليها اجيب بانه قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف
الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ + ولما انكر المستكبرون بقولهم
نحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان

ذلك بتكبرهم واختيارهم كرتعليهم المستضعفون كما قال تعالى وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا رداً لانكارهم صدّهم بَلْ اى الصادّ لنا مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ اى الواقع فيهما من مكركم فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم بنا ليلاً ونهاراً إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ اى الملك الاعظم بالاستمرار على ما كنا عليه قبل اتيان الرسل وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا اى شركاء نعبدهم من دونه فان قيل لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا اجيب بان الذين استضعفوا مرّ اولا كلامهم فجئ بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف ثم جئ بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول + تنبيه + يجوز رفع مكر من ثلاثة اوجه احدها الفاعلية تقديره بل صدنا مكركم فى هذين الوقتين كما مرّ الثانى ان يكون مبتدأ خبره محذوف اى مكر الليل صدّنا الثالث العكس اى سبب كفرنا مكركم واضافة المكر الى الليل والنهار اما على الاسناد المجازى كقولهم ليل ماكر والعرب تضيف الفعل الى الليل والنهار على توسع الكلام كقول الشاعر ونمت وما ليل المطى بنائم + فيكون مصدراً مضافاً لمرفوعه واما على الاتساع فى الظرف فجعل كالمفعول به فيكون مصدراً مضافاً لمفعوله قال ابن عادل وهذا احسن من قول من ان الاضافة بمعنى فى اى مكر فى الليل لان ذلك لم يثبت فى محل النزاع وقيل مكر الليل والنهار طول السلامة وطول الامل فيهما كقوله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم + تنبيه + قوله تعالى اولاً يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا بلفظ المستقبل وقوله تعالى فى الآيتين الاخيرتين وقال الذين استكبروا وقال الذين استضعفوا بلفظ الماضى مع ان السؤال والمراجعة فى القول لم يقع اشار به الى ان ذلك لا بدّ من وقوعه فان الامر الواجب الوقوع كانه وقع كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون واما الاستقبال فعلى الاصل وَأَسَرُّوا اى الفريقان النَّدَامَةَ من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون فى قوله تعالى اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين لَمَّا اى حين رَأَوُا الْعَذَابَ اى حين رؤية العذاب اخفاها كل عن رفيقه مخافة التعيير وقيل معنى الاسرار الاظهار وهو من الاضداد اى اظهروا الندامة قال ابن عادل ويحتمل ان يقال انهم لما تراجعوا فى القول رجعوا الى الله تعالى بقولهم ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا واجيبوا بان الامر دلكم فاسروا ذلك القول وقوله تعالى وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ اى الجوامع التى تغل اليد الى العنق فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا يعم الاتباع والمتبوعين جميعا وكان الاصل فى اعناقهم ولكن جاء بالظاهر تنويها بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وهذا اشارة على كيفية عذابهم هَلْ يُجْزَوْنَ اى بهذه الاغلال إِلَّا مَا اى الاجزاء ما كَانُوا يَعْمَلُونَ اى على سبيل التجديد والاستمرار + ولما كان فى هذا تسلية اخروية للنبى صلى الله عليه وسلم اتبعه التسلية الدنيوية بقوله تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا اى بعظمتنا فِي قَرْيَةٍ وأكد النفى بقوله تعالى مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا اى رؤساؤها

الذين لا شغل لهم الا التنعم بالفانى حتى ألبسهم البغى والطغيان ولذلك قالوا لرسلهم إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ اى ايها المنذرون كَافِرُونَ اى واذا قال المتنعمون ذلك تبعهم المستضعفون وَقَالُوا اى المترفون ايضا متفاخرين نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا اى فى هذه الدنيا ولو لم يرض منا ما نحن عليه ما رزقنا ذلك فاعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ اى ان الله تعالى قد احسن الينا فى الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا فى الآخرة ثم ان الله سبحانه وتعالى بين خطأهم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قُلْ اى لهم إِنَّ رَبِّي اى المحسن الى بالانعام بالسعادة الباقية يَبْسُطُ الرِّزْقَ اى يوسعه فى كل وقت اراده بالاموال والاولاد وغيرها لِمَنْ يَشَاءُ امتحانا وَيَقْدِرُ اى يضيقه على من يشاء ابتلاء بدليل مقابلته بيبسط وهذا هو الطباق البديعى فالرزق فى الدنيا لا تدل سعته على رضا الله تعالى ولا ضيقه على سخطه فربما وسع على العاصى وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فكم من موسر شقى وكم من معسر تقى وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ اى كفار مكة لَا يَعْلَمُونَ اى ليس لهم علم يتدبرون به ما ذكرنا من الامر فيعلمون انه ليس كل موسع عليه فى دنياه سعيدا فى عقباه ولا كل مضيق عليه فى دنياه شقيا ثم بين تعالى فساد استدلالهم بقوله سبحانه وتعالى وَمَا أَمْوَالُكُمْ اى ايها الخلق الذى انتم من جملتهم وان كثرت وكررنا فى تصريحا بان كلا على حياله فقال وَلَا أَوْلَادُكُمْ كذلك بِالَّتِي اى بالاموال والاولاد التى تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا اى على ما لنا من العظمة زُلْفَى اى درجة علية وقربة مكينة

تنبيه قوله تعالى بالتى تقربكم صفة للاموال والاولاد كالتقرير لان جمع التكسير غير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة وقال الفراء والزجاج انه حذف من الاول لدلالة الثانى عليه قالا والتقدير وما اموالكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم بالتى تقربكم ولا حاجة الى هذا ونقل عن الفراء ما تقدم من ان التى صفة للاموال والاولاد معا وهو الصحيح وجعل الزمخشرى التى صفة لموصوف محذوف قال ويجوز ان تكون التى هى التقوى وهى المقربة عند الله تعالى زلفى وحدها اى ليست اموالكم ولا اولادكم بتلك الموصوفة عند الله بالتقريب قال ابو حيان ولا حاجة الى هذا الموصوف انتهى وزلفى مصدر من معنى الاول اذ التقدير تقربكم قربى وقال الاخفش زلفى اسم مصدر كانه قال بالتى تقربكم عندنا تقريبا وامالها حمزة والكسائى محضة وابو عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا اى تصديقا لايمانه على ذلك الاساس استثناء من مفعول تقربكم اى الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اى الاموال والاولاد من آمن وعمل صالحا فَأُولَئِكَ اى العالى الرتبة لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ اى ان يأخذوا جزاءهم مضاعفا فتضاعف الحسنة من عشرة امثالها الى ما لا نهاية له بِمَا عَمِلُوا اى ان اعمالهم ثابتة محفوظة

باساس الايمان ثم زاد وقال تعالى وَهُمْ فِي الْغُرُفٰتِ اى العلالى المبنية فوق البيوت فى الجنات زيادة على ذلك اٰمِنُوْنَ اى ثابت امانهم دائما لاخوف عليهم من شئ من الاشياء اصلا واما غيرهم وهم المرادون بما بعده فاموالهم واولادهم وبال عليهم وقرأ حمزة بسكون الراء ولا الف بعد الفاء على التوحيد على ارادة الجنس ولعدم اللبس لانه معلوم ان لكل احد غرفة تخصه وقد اجمع على التوحيد فى قوله تعالى يجزون الغرفة ولان لفظ الواحد اخف فوضع موضع الجمع مع امن اللبس والباقون بضم الراء والف بعد الفاء على الجمع جمع سلامة وقد اجمع على الجمع فى قوله تعالى لنبوئنهم من الجنة غرفا ثم بين حال المسئ وهو من يبعده ماله وولده من الله تعالى بقوله سبحانه وتعالى وَالَّذِيْنَ يَسْعَوْنَ اى يجددون السعى من غير توبة باموالهم واولادهم فِيْٓ اٰيٰتِنَا اى فى ابطال حجتنا على ما لها من عظمة الانتساب الينا مُعٰجِزِيْنَ اى طالبين تعجيزها اى تعجيزا لا تين بها عن انفاذ مرادهم بها بما يلقون من الشبه فيضلون غيرهم بها او سعينا عليهم واعجزناهم به من الاموال والاولاد اُولٰٓئِكَ اى هؤلاء البعداء البغضاء فِى الْعَذَابِ اى المزيل للعذوبة مُحْضَرُوْنَ اى يحضرهم فيه الموكلون بهم من جندنا على اهون وجه واسهله قُلْ اى يا اشرف الخلق ومنبههم هؤلاء اِنَّ رَبِّيْ اى المحسن الى بهذا البيان وغيره يَبْسُطُ الرِّزْقَ اى يوسعه لِمَنْ يَّشَآءُ متى شاء مِنْ عِبَادِهٖ وَيَقْدِرُ اى يضيقه لَهٗ بعد البسط ابتلاء قال البيضاوى فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق فى شخصين فلا تكرار ولما بين بهذا البسط ان فعله بالاختيار بعد ان بين بالاول كذبهم فى انه سبب السلامة من النار دل على انه الفاعل لا غيره بقوله تعالى وَمَآ اَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهٗ اى فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التى هى كنز لا ينفد واما اجلا بالثواب الذى كل خلف دونه وعن سعيد بن جبير ما كان فى غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه وعن الكلبى ما تصدقتم من صدقة وانفقتم فى خير من نفقة فهو يخلفه على المنفق اما ان يعجله فى الدنيا واما ان يدخره فى الاخرة وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما فى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر ولا يتاول وما انفقتم من شئ فهو يخلفه فان هذا فى الاخرة ومعنى الاية وما كان من خلف فهو منه فدل ذلك على انه المختص بالاخلاف لانه ضمن الاخلاف لكل ما ينفق على اى وجه كان وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك وكسلم يا ابن ادم انفق انفق عليك وعن ابى هريرة ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وعنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله عز وجل وعن عبد الحميد بن الحسن الهلالى قال انبأنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة

وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه كتب له بها صدقة
قلت ما معنى وقى به عرضه قال ما اعطى الشاعر وذا اللسان المتقى وما انفق المؤمن نفقة فعلى الله
خلفها ضامنا الا ما كان من نفقة فى بنيان او معصية الله عز وجل قوله قلت ما معنى مقول عبد الحميد
لمحمد بن المنكدر وَهُوَ خَيْرُ الرّٰزِقِيْنَ فان قيل قوله تعالى خير الرازقين ينبئ عن كثرة الرازقين ولا رازق
الا الله تعالى اجيب بان الله تعالى هو خير الرازقين الذين يظنونهم هذا الظن ممن يقيمهم الله تعالى
فيضيفون الرزق اليهم لان كل من يرزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده
او رجل يرزق عياله فهو واسطة لا يقدر الا على ما قدره الله واما هو سبحانه فهو يوجد المعدوم و
يرزق من يطيعه ومن يعصيه ولا يضيق رزقه باحد ولا يشغله فيه احد عن احد وعن بعضهم الحمد لله الذى
اوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فيجد فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهى وقرأ ابو عمرو وقالون والكسائى
فهو يخلفه بسكون الهاء والباقون بالضم ولما بين تعالى ان حال النبى صلى الله عليه وسلم كحال من تقدمه
من الانبياء وحال قومه كحال من تقدم من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة اموالهم واولادهم
بين ما يكون عاقبة حالهم بقوله تعالى وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ اى نجمعهم جمعا بكره بعد البعث وهم التابع
والمتبوع بقوله تعالى جَمِيْعًا فلم نغادر منهم احدا وقرأ حفص يحشرهم ثم يقول بالياء والباقون
بالنون ولما كانت مواقف الحشر طويلة وزلازله مهولة قال تعالى ثُمَّ يَقُوْلُ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اى
توبيخا للكافرين واقناطا مما يرجون منهم من الشفاعة اَهٰٓؤُلَآءِ اى الضالون واشار الى انه
لا ينفع من العبادة الا ما كان خالصا بقوله تعالى اِيَّاكُمْ اى خاصة كَانُوْا يَعْبُدُوْنَ
فهذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر + اياك اعنى واسمعى يا جارة +
ونحوه قوله عز وجل أانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله وقد علم سبحانه كون
الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض ان يقول
ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم ولذلك قالوا اى الملائكة
متبرئين منهم متنحين بالتنزيه خضعا بين يدى البراءة خوفا سُبْحٰنَكَ اى تنزهك تنزيها يليق
بجلالك ان نحن نستحق احدا غيرك ان يعبد اَنْتَ وَلِيُّنَا اى معبودنا الذى لا وصلة بيننا وبين احد
الا باذنه مِنْ دُوْنِهِمْ اى ليس بيننا وبينهم ولاية بل عداوة وكذا كل من تقرب الى شخص بمعصية
الله تعالى فانه يقسى الله تعالى قلبه عليه ويبغضه فيه فيجانبه ويعاديه + ثم اضربوا عن ذلك فقالوا انهم
عبدوهم على الحقيقة بقولهم بَلْ كَانُوْا يَعْبُدُوْنَ الْجِنَّ اى ابليس وذريته الذين زينوا لهم عبادتنا
من غير رضا منا بذلك وكانوا يدخلون فى اجواف الاصنام ويخاطبونهم ويستجيبون بهم فى الاماكن
المخوفة ومن هذا تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة وقيل صورت الشياطين لهم صور
قوم من الجن وقالوا هذه صور الجن فاعبدوها اَكْثَرُهُمْ اى الانس بِهِمْ اى الجن
مُؤْمِنُوْنَ اى راسخون فى الاشراك لا يقصدون بعبادتهم غيرهم وقيل الضمير الاول

للمشركين والاكثر بمعنى الكل وقيل منهم من يقصد بعبادته بتزيين الجن غيرهم وهم مع ذلك يصدقون ما يرد عليهم من اخبارات الجن على السنة الكهان وغيرهم مع ما يرون فيها من الكذب فى كثير من الاوقات. ولما بطلت تمسكاتهم وانقطعت تعلقاتهم تسبب عن ذلك تقريعهم الناشئ عن تنديمهم بقوله تعالى بلسان العظمة فاليوم اى يوم مخاطبتهم بهذا التبكيت وهو يوم الحشر لا يملك اى شيئا من الملك بعضكم لبعض اى من المقربين والمبعدين نفعا ولا ضرا بل تنقطع الاسباب التى كانت فى دار التكليف من دار الجزاء التى المقصود فيها تمام اظهار العظمة لله وحده على اتم الوجوه فان قيل قوله تعالى نفعا مفيد للحسرة فما فائدة ذكر الضر مع انهم لو كانوا يملكون الضر لما نفع الكافرين ذلك اجيب بان العبادة لما كانت تقع لدفع ضرر المعبود كما يعبد الجبار ويخدم مخافة شره بين انه ليس فيهم ذلك الوجه الذى تحسن لاجله عبادتهم وقوله تعالى ونقول اى فى ذلك الحال من غير امهال للذين ظلموا اى بوضع العبادة فى غير موضعها عندما ادخلهم النار ذوقوا عذاب النار التى كنتم اى جبلة وطبعا بها تكذبون عطف على لا يملك بين المقصود من تمهيده فان قيل قوله ههنا التى كنتم بها صفة للنار وفى السجدة وصف العذاب فجعل المكذب هنا النار وجعل المكذب فى السجدة العذاب وهم كانوا يكذبون بالكل فما فائدته اجيب بانهم كانوا متلبسين بالعذاب مترددين فيه بدليل قوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون فوصف لهم ما لابسوه وهنا لم يلابسوه بعد لانه عقب حشرهم وسؤالهم فهو اول ما رأوا النار فقيل لهم هذه النار التى كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم اى فى وقت من الاوقات من اى تال كان آياتنا اى من القرآن حال كونها بينات اى واضحات بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الا رجل اى مع كونه واحدا هو مثل واحد من رجالكم وتزيدون انتم عليه بالكثرة يريد ان يصدكم بهذا الذى يتلوه عما كان يعبد آباؤكم من الاصنام اى لا قصد له الا ذلك لتكونوا له اتباعا فعارضوا البرهان بالتقليد وقالوا ما هذا اى القرآن وقيل القول بالوحدانية الا افك اى كذب مصروف عن وجهه مفترى باضافته الى الله تعالى كقوله تعالى فى حقهم افكا آلهة دون الله تريدون كقولهم للرسول اجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا وقال الذين كفروا اى ستروا ما دلت عليه العقول من عجائب القرآن للحق اى الهدى الذى لا اثبت منه باعتبار كمال الحقية فيه لما جاءهم من غير نظر ولا تأمل ان اى ما هذا اى الثابت الذى لا شئ اثبت منه الا سحر اى خيال لا حقيقة له مبين اى ظاهر قال ابن عادل وهذا انكار للتوحيد وكان مختصا بالمشركين واما انكار القرآن والمعجزة فكان متفقا عليه بين المشركين واهل الكتاب فقال تعالى وقال الذين كفروا على العموم انتهى ولم يحملهم على ذلك الا الحظوظ النفسانية والعلق الشهوانية قال الطفيل بن عمرو الدوسى ذو النور لقد اكثروا على فى امره صلى الله عليه وسلم حتى حشوت فى اذنى ماء الكرسف خوفا من ان يخلص الى

شئ من كلامهم فيفتنني ثم اراد الله تعالى الخير فقلت واثكل امى انى والله للبيب عاقل شاعر ولى
معرفة بنقد الكلام من سمينه فما لى لا اسمع منه فان كان حقا تبعته وان كان باطلا كنت منه على
بصيرة او كما قال قال فقصدت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت اعرض على ما جئت به فلما عرضه على
قلت بابى وامى ما سمعت قولا قط هو احسن منه ولا امرا اعدل منه فما توقفت فى ان اسلمت ثم سألت
النبى صلى الله عليه وسلم فى ان يدعو له الله تعالى ان يعطيه آية يعينه بها على قومه فلما اشرف على حاضر
قومه كان له نور فى جبهته فخشى ان يظنوا انها مثلة فدعا الله تعالى بتحويله فتحول فى طرف سوطه
فاعانه الله تعالى على قومه فاسلموا + تنبيه + فى تكرير الفعل وهو قال والتصريح بذكر الكفرة وما فى لام
الذين والحق من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى لما من المفاجاة الى البت بهذا القول
انكار عظيم للقول وتعجيب بليغ منه + ولما بادروا بهذا القول من غير اثارة من علم ولا خبر من سمع
بين ذلك بقوله تعالى وَمَا اى قالوا ذلك والحال انا ما آتَيْنٰهُمْ اى هؤلاء العرب مِنْ كُتُبٍ اصلا
لانهم لم ينزل عليهم قط قبل القرآن كتاب واتى بصيغة الجمع مع تاكيد النفى قبل كتابك الجامع
يَدْرُسُوْنَهَا اى يجددون دراستها كل حين فيها دليل على صحة الاشراك وَمَا اَرْسَلْنَا اى رسالة لا شبهة
فيه لمناسبته لما الناس لعظمة اِلَيْهِمْ اى خاصة بمعنى ان ذلك الرسول مامور بهم باعيانهم فهم مقصودون
بالذات لانهم داخلون فى عموم او مقصودون من باب الامر بالمعروف فى جميع ازمان الذى
قَبْلَكَ اى قبل رسالتك الجامعة لكل رسالة مِنْ نَّذِيْرٍ اى يكون عندهم قول منه يدعوهم الى الاشراك
او ينذرهم على تركه وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى وَكَذَّبَ
الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ اى من قوم نوح ومن بعدهم بادروا الى ما بادر اليه هؤلاء من التكذيب
لان التكذيب كان فى طباعهم لما عندهم من الجلافة والكبر وَمَا بَلَغُوْا اى هؤلاء مِعْشَارَ مَا اٰتَيْنٰهُمْ
اى عشرا صغيرا مما آتيناه اولئك من القوة فى الابدان والاموال والمكنة فى كل شئ من العقول و
طول الاعمار والخلو من الشواغل فَكَذَّبُوْا اى بسبب ما طبعوا عليه من العناد رُسُلِىْ اليهم فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيْرِ اى انكارى على المكذبين لرسلى بالعقوبة والاهلاك اى هو واقع موقعه فليحذر هؤلاء ع
من مثله ولا تكرير فى كذب لان الاول للتكثير اى فعلوا التكذيب كثيرا فكان سببا لتكذيب الرسل او ان
التكذيب او الاول مطلق والثانى مقيد ولذلك عطف عليه قُلْ اِنَّمَآ اَعِظُكُمْ اى ارشدكم وانصح لكم
بِوَاحِدَةٍ اى بخصلة واحدة هى اَنْ تَقُوْمُوْا اى توجهوا نفوسكم الى تعرف الحق وعبر بالقيام
اشارة الى الاجتهاد لِلّٰهِ اى الذى لا اعظم منه على وجه الاخلاص واستحضار ماله من العظمة
بماله لديكم من الاحسان لا للارادة المغالبة حال كونكم مَثْنٰى اى اثنين اثنين قال البقاعى
وقدمه اشارة الى ان اغلب الناس ناقص العقل وَفُرَادٰى اى واحدا واحدا من وثق
بنفسه فى رصانة عقله واصابة رأيه قام وحده ليكون اصفى لسره واعون على خلوص فكره
خاف عليها ضم اليه آخر ليذكره اذا نسى ويقومه اذا زاغ ولم يذكر غيرهما من الاقسام لان الاثنين

يشوش الخواطر ويخلط القول * ولما كان ما طلب منهم هذا لاجله عظيما جدا يا بنى يهتم له هذا الاهتمام اشار اليه باداة التراخى بقوله تعالى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا اى فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيته مَا بِصَاحِبِكُمْ اى رسولكم الذى ارسل اليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم مِنْ جِنَّةٍ اى جنون يحمله على ذلك إِنْ اى ما هُوَ اى المحدث عنه بعينه إِلَّا نَذِيرٌ اى خالص الانذار لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ اى قبل حلول عَذَابٍ شَدِيدٍ اى فى الآخرة ان عصيتموه * روى البخارى عن ابن عباس انه قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم فقال يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا ما لك فقال ارأيتم لو اخبرتكم ان العدو يصبحكم او يمسيكم اما كنتم تصدقونى قالوا بلى قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك الهذا جمعتنا فانزل الله تعالى تبت يدا ابى لهب وتب * ولما انتفى عنه بهذا ما قذفوه به نفى امكان ان يكون لغرض امر دنيوى فنفاه بقوله تعالى قُلْ اى لهم يا اشرف الخلق مَا اى مهما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ اى على دعائى لكم من الانذار والتبليغ فَهُوَ لَكُمْ اى لا اريد منه شيئا وهو كناية عن انى لا اسألكم على دعائى لكم الى الله تعالى اجرا اصلا بوجه من الوجوه فاذا ثبت ان الدعاء ليس لغرض دنيوى وان الداعى ارجح الناس عقلا ثبت ان الذى حمله على تعريض نفسه لتلك الاخطار العظيمة انما هو امر الله تعالى الذى له الامر كله إِنْ اى ما أَجْرِيَ اى ثوابى إِلَّا عَلَى اللَّهِ اى الذى لا اعظم منه فلا ينبغى لذى همة ان يطلب شيئا الا من عنده وَهُوَ اى والحال انه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ اى حفيظ مهيمن بليغ العلم باحوالى فيعلم صدقى وخلوص نيتى * وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص اجرى فى الوصل بفتح الياء والباقون بالسكون قُلْ اى لمن انكر التوحيد والرسالة والحشر إِنَّ رَبِّي اى المحسن الى بانواع الاحسان يَقْذِفُ بِالْحَقِّ اى يلقيه الى انبيائه او يرمى به الباطل الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه عَلَّامُ الْغُيُوبِ اى ما غاب من خلقه فى السموات والارض * تنبيه * فى رفع علام اوجه اظهرها انه خبر ثان لان او خبر مبتدأ مضمر او بدل من الضمير فى يقذف * وقال الزمخشرى رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن فى يقذف يعنى بقوله محمول على محل ان واسمها النعت الا ان ذلك ليس مذهب البصريين لانهم لا يعتبرون المحل الا فى العطف بالحرف بشروط عند بعضهم ويريد بالحمل على الضمير فى يقذف انه بدل منه لا انه نعت له لان ذلك انفرد به الكسائى * وقرأ حمزة وشعبة بكسر الغين والباقون بالضم قُلْ لهؤلاء جَاءَ الْحَقُّ اى الاسلام وقيل القرآن وقيل كل ما ظهر على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وقيل المعجزات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد من مجىء الحق ظهور الحق لان كل ما جاء فقد ظهر واكد تكذيبا لهم فى ظنهم انهم يغلبون بقوله تعالى وَمَا اى والحال انه ما يُبْدِئُ الْبَاطِلُ اى الذى انتم عليه من الكفر وَمَا يُعِيدُ اى ذهب فلم تبق منه بقية ماخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدى ولا يعيد مثلا فى الهلاك ومنه قول عبيد

ـه اثر من اهلكه عليه + اى لم يبدئ ولا يعيد + والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى جاء
الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلثمائة وستون
صنما فجعل يطعنها بعود ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ
الباطل وما يعيد وقيل الباطل ابليس اى ما ينشئ خلقا ولا يعيده والمنشئ والباعث هو الله تعالى
وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اى لا ينفعهم فى الدنيا والآخرة وقال الزجاج
اى شئ ينشئه ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل الشيطان الباطل لانه صاحب الباطل
ولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك وحينئذ يكون غير منصرف وان جعلته من
شطن كان منصرفا ولما لم يبق بعد هذا الا ان يقولوا عنادا انت ضال ليس بك جنون ولا كذب
ولكنك قد عرض لك ما اضلك عن المحجة قال تعالى قُل اى لهؤلاء المعاندين على سبيل
الاستعطاف بما فى ذلك من الانصاف وتعليم الادب إِن ضَلَلتُ اى عن الطريق على سبيل
الفرض فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفسِي اى اثم اضلالى عليها وَإِنِ اهتَدَيتُ فَبِمَا اى فاهتدائى انما هو بما
يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي اى المحسن الى من القرآن والحكمة لا بغيره فلا يكون فيه ضلال لانه لا حظ للنفس
فيه اصلا فان قيل اين التقابل بين قوله تعالى فانما اضل على نفسى وقوله تعالى
فبما يوحى الى ربى وانما كان يقال فانما اضل على نفسى وان اهتديت فانما اهتدى لها
كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله تعالى فمن اهتدى فلنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسى اجيب بانهما متقابلان من جهة المعنى
لان النفس كل ما عليها فهو بسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربه وتوفيقه
وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسنده الى نفسه لان الرسول
اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به وفتح الياء من ربى عند الوصل
نافع وابو عمرو والباقون بالسكون وهم على مراتبهم فى المد ثم علل الضلال والهداية بقوله تعالى
إِنَّهُ اى ربى سَمِيعٌ اى لكل ما يقال قَرِيبٌ اى يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه
ولما ابطل تعالى شبههم وختم من صفاته بما يقتضى البعث بمن خالفه عطف على ولو ترى
اذ الظالمون وَلَو تَرَىٰ اى تبصر يا اشرف الخلق إِذ فَزِعُوا اى عند الموت او البعث او يوم بدر
وجواب لو محذوف نحو لرأيت امرا عظيما فَلَا فَوتَ اى فتسبب عن ذلك الفزع انه لا فوت اى لهم
منا لانهم فى قبضتنا ثم عطف على فزعوا اعلاما بالتمام للمفعول بقوله تعالى وَأُخِذُوا اى عند الفزع من كل
من تأمره باخذهم سواء كان قبل الموت ام بعده مِن مَكَانٍ قَرِيبٍ اى القبور او من الموقف
الى النار او من صحراء بدر الى القليب وقال الكلبى من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من
ظهر الارض الى بطنها وحيثما كانوا فهم من الله تعالى قريب لا يفوتونه والعطف على فزعوا
او لا فوت وَقَالُوا اى عند الاخذ ومعاينة الثواب والعقاب آمَنَّا بِهِ اى القرآن الذى قالوا انما هو

مفترى اى محمد صلى الله عليه وسلم الذى قالوا انه ساحر وَاَنّٰى اى وكيف ومن اين لَهُمُ التَّنَاوُشُ اى
تناول الايمان تناولا سهلا مِنْ مَكَانٍ بَعِيْدٍ اى عن محله اذ هم فى الاخرة ومحله فى الدنيا ولا يمكن
الا برجوعهم الى الدنيا التى هى دار العمل وهذا تمثيل لحالهم فى طلبهم ان ينفعهم ايمانهم فى
ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين ايمانهم فى الدنيا بحال من اراد ان يتناول شيئا من علوه كما يتناوله
الاخر من قدر ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه فان قيل كيف قال تعالى من مكان بعيد وقد قال تعالى
فى كثير من المواضع ان الاخرة من الدنيا قريب وسمى الله تعالى الساعة قريبة فقال اقتربت الساعة
اقترب للناس حسابهم لعل الساعة قريب اجيب بان الماضى كالامس الدابر وهو من ابعد ما يكون
اذ لا وصول اليه والمستقبل وان كان بينه وبين الحاضر سنون فانه آت فيوم القيمة الدنيا بعيدة
منه لمضيها ويوم القيمة فى الدنيا قريب لاتيانه وقرأ ابو عمرو وابو بكر وحمزة والكسائى بعد الالف
بهمزة مضمومة والباقون بعد الالف بواو مضمومة فمعناه على هذا كيف لهم تناول ما بعد عنهم
وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا فى الدنيا فضيعوه واما من همز فقيل معناه هذا ايضا + وقيل
التناوش بالهمز من التنؤش الذى هو حركة فى ابطاء يقال جاء منتئشا اى مبطئا متأخرا والمعنى من اين
لهم الحركة فيما لا حيلة لهم فيه قال ابن عباس يسألون الرد فيقال وانى لهم الرد الى الدنيا من
مكان بعيد اى من الاخرة الى الدنيا وامال انى محضه حمزة والكسائى وابو عمرو بين بين وورش بالفتح
وبين اللفظين والباقون بالفتح وَقَدْ اى كيف لهم ذلك والحال انهم قد كَفَرُوْا بِهٖ اى بالذى طلب منهم
ان يؤمنوا به محمد صلى الله عليه وسلم او القران او البعث مِنْ قَبْلُ اى فى دار العمل و الحال
انهم حال كفرهم يَقْذِفُوْنَ اى يرمون بِالْغَيْبِ ويتكلمون بما يظهر لهم فى الرسول صلى الله عليه
وسلم من المطاعن وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن وفى القران سحر شعر كهانة وقال قتادة
يعنى يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار مِنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍ اى ما غاب علمه عنهم غيبة
بعيدة وهذا تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيئا ولا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن
فى لحوقه وَحِيْلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُوْنَ اى من نفع الايمان يومئذ والنجاة من النار والفوز بالجنة او من الرد
الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا + وقرأ ابن عامر والكسائى بضم الحاء وهو المسمى بالاشمام والباقون
بكسرها كَمَا فُعِلَ اى بايسر وجه بِاَشْيَاعِهِمْ اى اشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم
مِّنْ قَبْلُ اى قبل زمانهم فان حالهم كان كحالهم ولم يختل امرنا فى امة من الامم بل كان كلما كذبت
امة رسولها اخذناها فاذا اذقناهم بأسنا اذعنوا وخضعوا فلم يقبل منهم ذلك ولا نفعهم شيئا
لا بالكف عن هلاكهم ولا لادراكهم شيئا من الخير بعد اهلاكهم ان فى ذلك لذكرى لمن كان له
قلب او القى السمع وهو شهيد ثم علل عدم الوصول الى قصدهم بقوله تعالى مؤكدا لانكارهم ان يكون
عندهم شئ من شك فى شئ من امرهم اِنَّهُمْ كَانُوْا اى فى دار القبول فِىْ شَكٍّ اى فى جميع
ما تخبرهم به رسلنا عنا من الجزاء والبعث وغير ذلك مُّرِيْبٍ اى موقع فى الريبة فهو بليغ

في بابه كما يقال عجب عجيب او هو واقع في الريب كما يقال شعر شاعر اي ذو شعر فهو اسم فاعل من اراب
اي اتى بالريب ودخل فيه اربته اي اوقعته في الريب ونسبة الارابة الى الشك مجاز قال الزمخشري الا ان بينهما
فرقا وهو ان المريب من المتعدي منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى ومن اللازم منقول من صاحب
الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر انتهى قول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا حديث موضوع

سورة فاطر مكية

وهي ست واربعون اية وسبعمائة وسبعون كلمة وثلاثة الاف ومائة وثلاثون حرفا وهي ختام السور
المفتتحة باسم الحمد التي فصلت فيها النعم الاربع التي هي امهات النعم المجموعة في الفاتحة وهي الايجاد الاول
ثم الابقاء الاول ثم الايجاد الثاني المشار اليه بسورة سبأ ثم الابقاء الثاني الذي هو انهاها واحكمها وهو الختام
المشار اليه بهذه السورة المفتتحة بالابتداء الدال عليه بانهاء القدرة واحكمها المفصل امره فيها في
فريقي السعادة والشقاوة تفصيلا شافيا على انه استوفي في هذه السورة النعم الاربع كما ياتي بيانه
في محله بسم الله الذي احاطت دائرة قدرته بالممكنات الرحمن الذي عم الخلق بعموم الرحمة الرحيم
الذي شرف اهل الكرامة بدوام المراقبة ولما اثبت سبحانه في التي قبلها الحشر الذي هو الايجاد
الثاني وكان الحمد يكون بالمنع والاعدام كما يكون بالاعطاء والانعام قال تعالى ما هو نتيجة ذلك
الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال اعداما وايجادا لله اي وحده ولما كان الايجاد من العدم
ادل دليل على ذلك قال تعالى دالا على استحقاقه للمحامد فاطر السموات والارض اي
خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق قاله ابن عباس او شاقهما لنزول الارواح من السماء
وخروج الاجساد من الارض وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم
الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها تنبيه ان جعلت اضافة فاطر محضة
كان نعتا وان جعلتها غير محضة كان بدلا وهو قليل من حيث انه مشتق ولما كانت الملائكة عليهم
السلام مثل الخافقين في ان كلا منهم مبدع من العدم على غير مثال سبق من غير مادة وكان
لا طريق لعامة الناس الى معرفتهم الى الخبر اخبر عنهم بعدما اخبر عما طريقه المشاهدة بقوله تعالى
جاعل الملئكة رسلا اي وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون رسالته
بالوحي والالهام والرؤية الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم اثار صنعه اولي اي اصحاب اجنحة
يهيئهم لما يراد منهم ثم وصفها بقوله تعالى مثنى اي جناحين لكل واحد من صنف منهم وثلث اي ثلاثة
ثلاثة لصنف اخر منهم وربع اي اربعة اربعة لصنف اخر منهم فهم متفاوتون بتفاوت ما لهم
من المراتب ينزلون بها ويعرجون ويسرعون بها نحو ما وكلهم الله تعالى عليه فيتصرفون فيه
على ما امرهم به وانما لم تصرف هذه الصفات لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ

الاعداد من صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ اى يزيد
فى خلق الاجنحة وفى غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين
ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قيل قياس الشفع من الاجنحة
ان يكون فى كل شق نصفه فما صورة الثلاثة اجيب بان الثالث لعله يكون فى وسط الظهر بين الجناحين
يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران قال الزمخشرى فقد مرّ بى فى بعض الكتب ان صنفا من الملائكة
لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما فى الامر من امور الله تعالى
وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله تعالى انتهى وروى ابن ماجة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح ينثر من راسه الدر
والياقوت وروى انه عليه السلام سأل جبريل ان يتراءى فى صورته فقال انك لن تطيق ذلك
فقال انى احب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة مقمرة فاتاه جبريل فى صورته فغشى
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره
والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رايت
اسرافيل عليه السلام له اثنا عشر الف جناح جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على
كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله تعالى حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن
والشعر الحسن وقيل هو الخط الحسن وعن قتادة الملاحة فى العينين والاية كما قال الزمخشرى مطلقة
تتناول كل زيادة فى الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام فى الاعضاء وقوة فى البطش
ومتانة فى العقل وجزالة فى الرأى وجرأة فى القلب وسماحة فى النفس وذلاقة فى اللسان ولباقة
فى التكلم وحسن تأن فى مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف ثم علل تعالى ذلك كله
بقوله مؤكدا لاجل انكارهم البعث اِنَّ اللّٰهَ اى الجامع لجميع اوصاف الكمال عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ
وتخصيص بعض الاشياء دون بعض انما هو من جهة الارادة قال ابو جعفر بن الزبير لما وضحت
سورة سبا انه سبحانه مالك السموات والارض ومستحق الحمد فى الدنيا والاخرة اوضحت هذه
السورة ان ذلك خلقه كما هو ملكه وانه الاهل للحمد والمستحق اذ الكل خلقه وملكه وتجردت
سورة سبا لتعريف العباد بعظيم ملكه سبحانه وتجردت هذه للتعريف بالاختراع والخلق
+ ولما وصف سبحانه نفسه المقدسة بالقدرة الكاملة دل على ذلك بما يشاهده كل احد فى نفسه
من السعة والضيق مع العجز عن دفع شئ من ذلك او اقتناصه وقال مستأنفا او معللا مستنتجا ما
اى مهما فهى شرطية يَفْتَحِ اللّٰهُ اى الذى لا يكافئه شئ لِلنَّاسِ لان كل ما فى الوجود لاجلهم مِنْ رَّحْمَةٍ
اى من الارزاق الحسية والمعنوية من اللطائف والمعارف التى لا تدخل تحت حصر قلت او كثرت
فيرسلها فَلَا مُمْسِكَ لَهَا اى الرحمة بعد فتحه كما يعلمه كل احد فى نفسه من انه اذا حصل له خير

لا يعدمه من يودّ انه لم يحصل ولو قدر على ازالته لازاله ولا يقدر على تاثير ما فيه وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب وفى ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه + ولما كان ربما ادعى احد فجورا حال امساك الرحمة او النعمة انه هو الممسك قال تعالى مِنْ بَعْدِهٖ اى امساكه وارساله وَهُوَ اى هو فاعل ذلك والحال انه هو وحده الْعَزِيْزُ اى القادر على الامساك والارسال الغالب على كل شئ ولا غالب له الْحَكِيْمُ اى الذى يفعل فى كل من الامساك والارسال وغيرهما ما يقتضيه علمه به ويتقن ما اراده على قوانين الحكمة فلا يستطاع نقض شئ منه + ولما بين بما يشاهده كل احد فى نفسه انه المنعم وحده امر بذكر نعمته بالاعتراف انها منه فان الذكر يعود الى الشكر وهو قيد الموجود وصيد المعدوم المفقود قال يَاۤاَيُّهَا النَّاسُ اى الجميع لان جميعهم مغمورون فى نعمة الله تعالى وعن ابن عباس يريد يا اهل مكة اذْكُرُوْا بالقلب واللسان نِعْمَتَ اللّٰهِ اى الذى لا منعم فى الحقيقة سواه عَلَيْكُمْ اى فى دفع ما دفع عنكم من المحن وصنع ما صنع لكم من المنن لتشكروه ولا تكفروه + تنبيه + نعمت هنا مجرورة فى الرسم وقف عليه ابن كثير وابو عمرو والكسائى بالهاء والباقون بالتاء واذا وقف الكسائى امال الهاء + ولما امر بذكر نعمته اكد التعريف بانها منه وحده على وجه بين عزته وحكمته بقوله تعالى منبها لمن غفل موبخا لمن جحد ورادا على اهل القدر الذين يدعون انهم يخلقون افعالهم ومنبها على نعمة الايجاد الاول هَلْ مِنْ خَالِقٍ اى للنعم وغيرها غَيْرُ اللّٰهِ اى فليس لغيره فى ذلك مدخل يستحق ان يشرك به + وقرأ حمزة والكسائى بكسر الراء نعتا لخالق على اللفظ ومن خالق مبتدأ مزاد فيه من والباقون بالرفع وفيه ثلاثة اوجه احدها انه خبر المبتدأ والثانى انه صفة لخالق على الموضع والخبر اما محذوف واما يرزقكم والثالث انه مرفوع باسم الفاعل على جهة الفاعلية لان اسم الفاعل قد اعتمد على اداة الاستفهام + ولما كان جواب الاستفهام قطعا لا بل هو الخالق وحده قال منبها على نعمة الابقاء الاول بقوله تعالى يَرْزُقُكُمْ اى وحده فنعمة الله تعالى مع كثرتها منحصرة فى قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقاء + ولما كانت كثرة الرزق كما هو مشاهد مع وحدة المنعم ادل على العظمة قال مِنَ السَّمَآءِ اى بالمطر وغيره وَالْاَرْضِ اى بالنبات وغيره + ولما بين تعالى انه الرازق وحده قال لَاۤ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ فَاَنّٰى تُؤْفَكُوْنَ اى من اين تصرفون عن توحيده مع اقراركم بانه الخالق الرازق وتشركون المنحوت بمن له الملكوت + ولما بين تعالى الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثانى وهو الرسالة بقوله تعالى وَاِنْ يُّكَذِّبُوْكَ اى يا اشرف الخلق فى مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب وغير ذلك فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فى ذلك فان قيل ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يعقب الشرط وهذا سابق له اجيب بان معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعنى

بالتكذيب عن التأسى فان قيل ما معنى التنكير فى رسل أجيب بان معناه فقد كذبت رسل اى رسل
ذو وعدد كثير واولوا آيات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا
اسلى له واحث على المصابرة قال القشيرى وفى هذا اشارة للحكماء وارباب القلوب مع العوام
والاجانب من هذه الطريقة فانهم لا يقبلون منهم الا القليل واهل الحقائق ابدا منهم فى مقاساة
الاذية والعوام اقرب الى هذه الطريقة من القراء المتعمقين ثم بين من حيث الاجمال ان المكذب فى العذاب
وان المكذب له الثواب بقوله تعالى وَإِلَى اللّٰهِ اى وحده لان له الامور كلها تُرْجَعُ الْأُمُورُ اى فى الآخرة
فيجازيكم واياهم على الصبر والتكذيب ثم بين تعالى الاصل الثالث وهو الحشر بقوله تعالى
يَا أَيُّهَا النَّاسُ ولما كانوا ينكرون البعث اكد قوله تعالى إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ اى الذى له صفات
الكمال بكل ما وعد به من البعث وغيره حَقٌّ اى ثابت لا خلف فيه وقد وعد انه يردكم اليه
فى يوم تنقطع فيه الاسباب ويعرض عن الاحساب والانساب فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ اى بانواع الخداع
من اللهو والزينة الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فانه لا يليق بذى همة علية اتباع الدنى والرضا بالدون
الزائل عن العالى الدائم وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ اى الذى لا يخلف الميعاد وهو الكبير المتعال
الْغَرُورُ اى الذى لا يصدق فى شئ وهو الشيطان العدو ولذلك استأنف قوله تعالى مظهرا
فى موضع الاضمار إِنَّ الشَّيْطَانَ اى المحترق بالغضب البعيد عن الخير لَكُمْ اى خاصة عَدُوٌّ فهو
فى غاية الفراغ لاذاكم بتصويب مكائده لاكلها اليكم وبما سبق له مع ابيكم آدم عليه السلام بما
وصل اذاه اليكم وايضا من عادى اباك فقد عاداك فاجتهدوا فى الهرب منه ولا توالوه كما قال
تعالى فَاتَّخِذُوهُ اى بغاية جهدكم عَدُوًّا اى فى عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم الا ما يدل على
معاداته ومناصبته فى سركم وجهركم قال القشيرى ولا تقوى على عداوته الا بدوام الاستعانة
بالرب فانه لا يغفل عن عداوتك فلا تغفل انت عن مولاك لحظة ثم علل عداوته بقوله إِنَّمَا يَدْعُو
حِزْبَهُ اى الذين يوسوس لهم فيعرضهم لاتباعه والاعراض عن الله تعالى لِيَكُونُوا باتباعه كونا راسخا
مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ وهذا غرضه لا غرض له سواه ولكنه يجتهد فى تعمية ذلك عنهم بان يقرر
فى نفوسهم جانب الرجاء وينسيهم جانب الخوف ويريهم ان التوبة فى ايديهم ويسوف لهم بها
بالفسحة فى الامل والابعاد فى الاجل للافساد فى العمل والرحمن انما يدعو عباده ليكونوا من اهل النعيم
كما قال تعالى والله يدعو الى دار السلام + ثم بين تعالى ما حال حزب الشيطان بقوله تعالى اَلَّذِينَ
كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ اى فى الدنيا بفوات ما يأملونه مع تفرقة قلوبهم وانسداد بصائرهم
وسفالة هممهم حتى انهم رضوا ان يكون الههم حجرا وفى الآخرة بالسعير التى دعاهم الى
صحبتها ثم بين حزبه تعالى بقوله سبحانه وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا اى تصديقا لايمانهم الصَّالِحَاتِ
من صلوة وزكوة وصوم وغير ذلك من المأمورات لَهُمْ مَغْفِرَةٌ اى ستر لذنوبهم فى الدنيا ولولا ذلك
لافتضحوا فى الآخرة بحيث لا عتاب ولا عقاب ولولا ذلك لهلكوا وَأَجْرٌ كَبِيرٌ هو الجنة والنظر الى وجهه

الكريم فالمغفرة فى مقابلة الايمان فلا يؤبد مؤمن فى النار والاجر الكبير فى مقابلة العمل الصالح
ونزل كما قال ابن عباس فى ابى جهل ومشركى العرب ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ اى قبحه الذى من
شانه ان يسوء صاحبه حالا او مآلا بان غلب وهمه وهواه على عقله ﴿فَرَءَاهُ﴾ اى السئ بسبب التزيين
﴿حَسَنًا﴾ اى عملا صالحا ﴿فَإِنَّ﴾ اى السبب فى رؤية الاشياء على غير ما هى عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ اى الذى له الامر
كله ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ فلا يرى شيئا على ما هو به فيقدم على الهلاك البين وهو يراه عين النجاة
﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ فلا يشكل عليه امر ولا يفعل الا حسنا \+ تنبيه \+ من موصول مبتدأ وما بعده
صلته والخبر محذوف واختلف فى تقديره فقدره الكسائى تذهب نفسك عليهم حسرات
لدلالة قوله تعالى تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم حيث حزن على اصرارهم بعد اتيانه بكل اية
ظاهرة وحجة قاهرة ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ اى المزين لهم ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ اى لاجل حسراتك
المترادفة لاجل اعراضهم جمع حسرة وهى شدة الحزن على ما فات من الامر وقدره الزجاج واضله الله
كمن هداه وقدره غيرهما كمن يزين له وهو احسن لموافقته لفظا ومعنى ونظيره افمن كان على بينة
من ربه اى كمن هو اعمى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى قال سعيد بن جبير
نزلت هذه الاية فى اصحاب الاهواء والبدع قال قتادة منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين
واموالهم فاما اهل الكتاب فليسوا منهم لانهم لا يستحلون الكبائر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ اى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿عَلِيمٌ﴾
اى بالغ العلم ﴿بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه ثم عاد تعالى الى البيان بقوله سبحانه ﴿وَٱللَّهُ﴾ اى الذى له صفات
الكمال لا شئ غيره من طبيعة ولا غيرها ﴿ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ اى اوجدها من العدم فهو بها دليل على
الفاعل المختار لان الهواء قد يسكن وقد يتحرك وعند حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى الشمال
وفى حركاته المختلفة قد ينشئ السحاب وقد لا ينشئ فهذه الاختلافات دليل على مسخر مدبر مؤثر مقدر وقوله
تعالى ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ عطف على ارسل لان ارسل بمعنى المستقبل فلذلك عطف عليه واتى بارسل
لتحقيق وقوعه وبتثير لتصور الحال واستحضار الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة كقوله تعالى انزل
من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ولما اسند فعل الارسال اليه تعالى وما يفعله يكون بقوله تعالى كن
فلا يبقى فى العدم لا زمانا ولا جزأ من الزمان فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة تكوينه
فكأنه كان ولانه فرغ عن كل شئ فهو قدر الارسال فى الاوقات المعلومة الى المواضع المعينة
\+ ولما اسند فعل الاثارة الى الريح وهى تؤلف فى زمان فقال تثير اى على هيئتها وقرأ ابن كثير
وحمزة والكسائى بالتوحيد والباقون بالجمع وقوله تعالى ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾
اى لا نبات بها وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائى بتشديد الياء والباقون بالتخفيف
﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ اى بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكر المطر حيث اقيم مقامه او بالسحاب فانه سبب
السبب او الصائر مطرا ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات والكلأ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ اى يبسها \+ تنبيه \+ العدول
فى سقنا واحيينا من الغيبة فى قوله تعالى والله الذى ارسل الرياح الى ما هو ادخل

فى الاختصاص وهو التكلم فيهما من مزيد الصنع والكاف فى قوله تعالى كذلك فى محل رفع اى مثل احياء الموات النشور للاموات ووجه الشبه من وجوه اولها ان الارض الميتة قبلت الحياة كذلك الاعضاء تقبل الحياة ثانيها كما ان الريح يجمع السحاب المقطع كذلك تجمع الاعضاء المتفرقة ثالثها كما ان نسوق الريح والسحاب الى البلد الميت كذلك نسوق الروح الى الجسد الميت فان قيل ما الحكمة فى اختيار هذه الآية من بين الآيات مع ان الله تعالى له فى كل شئ آية تدل على انه واحد اجيب بان الله تعالى لما ذكر كونه فاطر السموات والارض وذكر من الامور السماوية الارواح وارسالها بقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا ذكر من الامور الارضية الرياح وروى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه فقال هل مررت بوادٍ اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا فقال نعم فقال فكذلك يحيى الله الموتى وتلك آيته فى خلقه وقيل يحيى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه اجساد الخلق ولما كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بالسنتهم غير مواطئة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا بين تعالى ان لا عزة الا لله بقوله سبحانه مَنْ كَانَ اى فى وقت من الاوقات يُرِيْدُ الْعِزَّةَ اى الشرف والمنعة فَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ جَمِيْعًا اى فى الدنيا والآخرة والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله تعالى فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشئ لا يطلب الا من عند صاحبه ومالكه ونظيره قولهم من اراد النصيحة فهى عند الابرار يريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه وقال قتادة من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله تعالى ومعناه الدعاء الى طاعة من له العزة اى فليطلب العزة من عند الله بطاعته كما يقال من كان يريد المال فالمال لفلان اى فليطلبه من عنده ثم عرف ان ما تطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله تعالى اِلَيْهِ اى لا الى غيره يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ قال المفسرون هو قول لا اله الا الله وقيل هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا انبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله عز وجل قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله وعن قتادة اليه يصعد الكلم الطيب اى يقبل الله الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعن الحاكم موقوفا وعن الثعلبى مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم قال هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم تقبل وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ اى يقبله فصعود الكلم الطيب والعمل الصالح مجاز عن قبوله

تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحفهما والمستكن في يرفعه الله تعالى وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقال سفيان بن عيينة العمل الصالح هو الخالص يعنى الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال لقوله تعالى فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء + تنبيه + صعود الكلم الطيب والعمل الصالح مجاز عن قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحفهما والمستكن في يرفعه لله تعالى وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة او للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه قال الرازي في اللوامع العلم لا يتم الا بالعمل كما قيل العلم يهتف بالعمل فان اجاب والا ارتحل انتهى وقد قيل ؎ لا ترض من رجل حلاوة قوله + حتى يصدق ما يقول فعاله + فاذا وزنت مقاله بفعاله + فتوازنا فاخاء ذاك جماله + وقال الحسن الكلم الطيب ذكر الله تعالى والعمل الصالح اداء فرائضه فمن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله تعالى عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه الله + ولما بين ما يحصل العزة من علو الهمة بين ما يكسب المذلة ويوجب النقمة من دنى الهمة بقوله تعالى وَالَّذِيْنَ يَمْكُرُوْنَ اى يعملون على وجه المكر اى الستر المكرات السَّيِّاٰتِ اى مكرات قريش بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وتداورهم الرأى فى احدى ثلاث حبسه وقتله واجلائه كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية وقال الكلبى معناه يعملون السيات وقال مقاتل يعنى الشرك وقال مجاهد هم اصحاب الرياء لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ اى لا يؤبه دونه بما يمكرون وَمَكْرُ اُولٰٓئِكَ اى البعداء من الفلاح هُوَ اى وحده دون مكر من يريد بمكره الخير فان الله ينفذه ويعلى امره يَبُوْرُ اى يفسد ولا ينفذ اذ الامور مقدرة فلا تتغير بسبب مكرهم كما دل عليه بقوله تعالى وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ اى بتكوين ابيكم آدم منه فمزجه مزجا لا يمكن لغيره تمييزه ثم احاله عن ذلك الجوهر اصلا وراسا واليه الاشارة بقوله تعالى ثُمَّ اى بعد ذلك فى الزمان والرتبة خلقكم مِنْ نُّطْفَةٍ اى جعلها اصلا ثانيا من ذلك الاصل الترابى اشد امتزاجا منه ثم بعد ان انهى التدبير زمانا ورتبة الى النطفة التى لا مناسبة بينها وبين التراب دلالة على كمال القدرة والفعل بالاختيار جَعَلَكُمْ اَزْوَاجًا اى بين ذكور واناث دلالة هى اظهر مما قبلها على الاختيار وعن قتادة زوج بعضكم بعضا + تنبيه + يصح ان يقال كما قال ابن عادل خلقكم خطاب مع الناس وهم اولاد آدم عليه السلام وكلهم من تراب ومن نطفة لان كلهم من نطفة والنطفة من غذاء والغذاء ينتهى بالاخرة الى الماء والتراب فهم من تراب صار نطفة + ولما بين تعالى بقوله سبحانه خلقكم من تراب كمال قدرته بين بقوله سبحانه وَمَا تَحْمِلُ مِنْ اُنْثٰى وَلَا تَضَعُ اى حملها اِلَّا اى مصحوبا بِعِلْمِهٖ اى فى وقته ونوعه وشكله

رغبي ذلك من شأنه مختصاً بذلك كله حتى من امّه التي هي اقرب اليه فلا يكون الا بقدرته
فيا شاء اتمه وما شاء اخرجه كما علمه ثم بين نفوذ ارادته بقوله تعالى وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ اى
وما يمد في عمره من مصغره الى كبره وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه فمعناه وما يعمر من احد
وفي عود ضمير قوله تعالى وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ قولان احدهما انه يعود على معمر اخر لان المراد
بقوله تعالى من معمر الجنس فهو يعود عليه لفظا لا معنى لانه بعد ان فرض كونه معمرا استحال
ان ينقص من عمره نفسه كما يقال لفلان عندي درهم ونصفه اى نصف درهم اخر والثاني انه
يعود على المعمر نفسه لفظا ومعنى والمعنى انه اذا ذهب من عمره حول احصى وكتب ثم
حول اخر كذلك فهذا هو النقص واليه ذهب ابن عباس وابن جبير وابو مالك ومنه قول الشا
عر حياتك انفاس تعد فكلما مضى نفس منك انتقصت به جزأ + وقال الزمخشري هذا
من الكلام المتسامح فيه ثقة في تاويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه
بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض
يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق قال وفيه تاويل اخر وهو انه لا يطول عمر انسان
ولا يقصر الا في كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج
وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به
الاربعون فقد نقص من عمره الذى هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن
عمر رضي الله تعالى عنه لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله تعالى فاذا جاء اجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فقال هذا اذا حضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز ان يزاد وينقص
وقرأ هذه الآية وقد استفاض على الالسنة اطال الله تعالى بقاءك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن
سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة
ايام حتى ياتي على اخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل
ستين سنة والكتاب في قوله تعالى إِلَّا فِي كِتَابٍ اى مكتوب فيه عمر فلان كذا وكذا وعمر فلان كذا
ان عمل كذا وعمره كذا ان لم يعمل كذا هو اللوح المحفوظ قاله ابن عباس قال الزمخشري ويجوز ان يراد
بكتاب الله علم الله تعالى او صحيفة الانسان + ولما كان ذلك امرا لا يحيط به العد ولا يحصره الحد فكان
في عداد ما ينكره الجهلة قال تعالى موكدا لسهولته إِنَّ ذَلِكَ اى الامر العظيم من كتب
الآجال كلها وتقديرها عَلَى اللَّهِ اى الذى له جميع العزة يَسِيرٌ اى هين وقوله تعالى
وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ اى طيب حلو لذيذ ملائم طبعه فُرَاتٌ اى بالغ العذوبة
سَائِغٌ شَرَابُهُ اى شربه مرئ سهل انحداره لما له من اللذة والملائمة للطبع وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ
اى جمع الى الملوحة المرارة فلا يسوغ شرابه بل لو شرب لالم الحلق واجج في البطن ما هو كالنار

ضرب مثلا للمؤمن والكافر وقوله تعالى ومن كل اى الملح والعذب تاكلون اى من السمك المنوع
الى انواع تفوت الحصر لحماطريا اى شهى المطعم وتستخرجون اى من الملح دون العذب حلية
تلبسونها اى نساؤكم من الجواهر الدر والمرجان وغيرهما ذكر استطرادا فى
صفة البحرين وما فيهما من النعم وتمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا فى
الفوائد لايتساويان من حيث انهما لايتساويان فيما هو مقصود بالذات من الماء فانه خالطه
ما افسده وغيره عن كمال فطرته فلايتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما
فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصة العظمى وهى بقاء
احدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر وقيل تخرج الحلية منهما كما هو ظاهر قوله تعالى
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال البغوى لانه قد يكون فى البحر الاجاج عيون عذبة تمتزج بالملح
فيكون اللؤلؤ من ذلك انتهى + فائدة + عاب المبرد وغيره قول الشافعى رضى الله تعالى
عنه كل ماء من بحر عذب او ملح فالتطهر به جائز وقالوا انه لحن وانما يقال ملح كما قال تعالى
وهذا ملح اجاج وهم مخطئون فى ذلك كما قيل ــ وكم من عائب قولا صحيحا + وآفته من الفهم
السقيم + ولكن تأخذ الاذان منه + على قدر القريحة والفهوم + قال النووى واجاب اصحابنا
باجوبة اصحها ان فيه اربع لغات ملح ومالح ومليح وملاح بضم الميم وتخفيف اللام قال عمر بن
ابى ربيعة ــ ولو تفلت فى البحر والبحر مالح + لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا + وقال اخر
ــ وللرزق اسباب تروح وتغتدى + وانى منها غير غاد ورائح + فنعت بشربة لعدم
من حلة الغض + ومن بارد عذب زلال بمالح + وقال محمد بن حازم ــ تلونت الوانا
على كثيرة + وخالط عذبا من اخائك مالح + وقال خالد بن يزيد بن معاوية فى
رملة بنت الزبير ــ ولو وردت ماء وكانت قبيله + مليحا شربنا ماء بارد اعذبا
وقال الخطابى يقال ماء ملاح كما يقال اجاج وزعاق وزلال قال وانما نزل الشافعى
من اللغة العالية الى التى هى ادنى للايضاح وحسما للاشكال والالتباس لئلا يتوهم متوهم
انه اراد بالملح العذب فيظن ان الطهارة به جائزة وثانى الاجوبة ان الشافعى امام
فى اللغة فقوله فيها حجة وثالثها ان هذه اللفظة ليست من كلام الشافعى
ولم يذكرها بل من كلام المزنى وهذا ليس بشئ وكيف ينسب الخطا الى المزنى وهذه
منداوحة وقولهم لم يذكرها الشافعى غير صحيح وقد انكره البيهقى وقال بل سمى
الشافعى البحر مالحا فى كتابين امالى الحج والمناسك الكبير + فائدة اخرى
وهى ان ابن عمر قال فى البحر التيمم احب الينا منه وقال بحر كم هذا نار وتحت النار بحر
حتى عد سبعة ابحر وسبعة انوار ولكن روى ابوهريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من
لم يطهره البحر فلا طهره الله ويؤول كلام ابن عمر بانه سيصير يوم القيمة نارا او بانه مهلكة

يهلك كما تهلك النار ولما كان الاكل والاستخراج من المنافع العامة عمم الخطاب ولما كان
استقرار شئ فى البحر دون غرق امرا غريبا لكنه صار لشدة الفه لا يقوم بانه من
اكبر الآيات دلالة على القادر المختار الا اهل البصائر خص بالخطاب فقال وَتَرَى الْفُلْكَ
اى السفن سمى فلكا لدورانه وسفينة لتقشره الماء وقدم الظرف فى قوله تعالى فِيهِ لانه
اشد دلالة على ذلك مَوَاخِرَ اى جوارى مستدبرة الريح الشاقة للماء بجريها هذه مقبله وهذه
مدبرة وجهها الى ظهر هذه بريح واحدة يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات
مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذى اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء
كانها تقشره كما تمخره ثم علق بالمخر معللا قوله تعالى لِتَبْتَغُوا اى تطلبوا طلبا شديدا مِنْ فَضْلِهِ
اى الله بالتوصل بذلك الى البلاد الشاسعة للمتاجر وغيرها ولو جعلها ساكنة لم يترتب عليها
ذلك ولم يجر له ذكر فى الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
اى وليكون حالكم بهذه الدلالة على عظيم قدرة الله تعالى ولطفه حال من يرجى شكره
تنبيه: حرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل
كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا + ولما ذكر تعالى اختلاف الذوات الدالة على بديع صنعه اتبعه
اختلاف الازمنة الدالة على بديع قدرته بقوله تعالى يُولِجُ اى يدخل الله اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ
فيصير الظلام ضياء + ولما كان هذا الفعل فى غاية الاعجاب وكان لكثرة تكراره قد
صار مالوفا فغفل عما فيه من الدلالة على تمام القدرة نبه عليه باعادة الفعل بقوله تعالى
وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ فيصير ما كان ضياء ظلاما وتارة يكون التولج بقصر هذا وطول هذا
فدل كل ذلك على انه تعالى فاعل بالاختيار + ولما ذكر الليل والنهار ذكر ما ينشأ عنهما بقوله
تعالى وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ثم استأنف قوله تعالى كُلٌّ اى منهما يَجْرِى اى فى فلكه
لِأَجَلٍ اى لاجل اجل مُسَمًّى مضروب له لا يقدر ان يتعداه فاذا جاء ذلك الاجل غرب
هكذا كل يوم الى ان يأتى الاجل الاعظم فيختل هذا النظام باذن الملك العلام وتقوم الناس
ليوم الزحام وتكون الامور العظام + ولما ذكر سبحانه انه الفاعل المختار القادر على ما يريد
بما يشاهده كل احد فى نفسه وفى غيره وختم بما تكرر مشاهدته فى كل يوم مرتين انتج ذلك
قطعا قوله تعالى معظما باداة البعد وميم الجمع ذَلِكُمُ اى العالى المقدار الذى فعل هذه الافعال
كلها اللّٰهُ الذى له صفة كل كمال ثم نبههم على انه لا مدبر لهم سواه بخبر اخر بقوله تعالى رَبُّكُمْ
اى الموجد لكم من العدم المربى بجميع النعم لا رب لكم سواه ثم استأنف قوله تعالى لَهُ اى
وحده الْمُلْكُ اى كله وهو مالك كل شئ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ اى تعبدون مِنْ دُونِهِ
اى غيره وهم الاصنام وغيرها وكل شئ دونه مَا يَمْلِكُونَ فى حال من الاحوال واغرق
فى النفى بقوله تعالى مِنْ قِطْمِيرٍ وهو كما روى عن ابن عباس لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة الملتفة

عليها كناية عن ادنى الاشياء فكيف بما فوقه فليس لهم شئ من الملك والاية من الاحتباك ذكر الملك
اولا ليدل على حذفه ثانيا والملك ثانيا ليدل على حذفه اولا وقيل القطمير هو القمع وقيل ما بين القمع
والنواة ففي النواة على الاول اربعة اشياء يضرب بها المثل في القلة الفتيل وهو ما في شق النواة والقطمير
وهو اللفافة والنقير وهو ما في ظهر النواة والرقروق وهو ما بين القمع والنواة ثم بين ذلك بقوله
تعالى إِنْ تَدْعُوهُمْ اي المعبودات من دونه دعاء عبادة او استغاثة لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ اي لانهم
جماد وَلَوْ سَمِعُوا اي على سبيل الفرض والتقدير مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ اي لعدم قدرتهم على الانتفاع
+ ولما بين عدم النفع فيهم في الدنيا بين عدم النفع منهم في الاخرة ووجود الضرر منهم في الاخرة
بقوله سبحانه وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ اي حين ينطقهم الله تعالى يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ اي باشراككم
فينكرونه ويتبرؤن منه بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون كما حكى الله تعالى ذلك عنهم في اية اخرى
وَلَا يُنَبِّئُكَ اي يخبرك ايها السامع بالامر مخبر هو مِثْلُ خَبِيرٍ اي عالم به اي ان الخبير بالامر ع
وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به لانه لا يمكن الطعن في شئ مما اخبر به
بخلاف غيره والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت
به + ولما اختص تعالى بالملك ونفى عن شركائهم النفع انتج ذلك قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اي
كافة أَنْتُمُ اي خاصة الْفُقَرَاءُ وقوله سبحانه إِلَى اللَّهِ اعلام بانه لا افتقار الا اليه ولا اتكال الا عليه
وهذا يوجب عبادته لكونه مفتقرا اليه وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار الى غيره فان قيل لم عرف
الفقراء اجيب بانه قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت
الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف
كان احقر وقد شهد الله تعالى على الانسان بالضعف في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وقال
تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء قال القشيري والفقر على
ضربين فقر خلقة وفقر صفة فالاول عام فكل حادث مفتقر الى خالقه في اول حال وجوده
ليبديه وينشئه وفي ثاني حاله ليديمه ويبقيه واما فقر الصفة فهو التجرد وفقر العوام التجرد عن المال
وفقر الخواص التجرد عن الاعلال فحقيقة الفقر المحمود تجرد السر عن المعلولات + ولما ذكر العبد بوصفه
الحقيقي اتبعه ذكر الخالق باسمه الاعظم فقال وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ اي المستغني على الاطلاق فلا يحتاج الى
احد ولا الى عبادة احد من خلقه وانما امرهم بالعبادة لاشفاقه تعالى عليهم ففي هذا رد على
المشركين حيث قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله لعله محتاج الى عبادتنا حتى امرنا بها امرا
بالغا وهددنا على تركها مبالغا فان قيل قد قابل الفقر بالغنى فما فائدة قوله تعالى الْحَمِيدُ اي
المحمود في صنعه بخلقه اجيب بانه لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا
كان الغني منعما جوادا واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به
على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه ان يحمدوه وقوله تعالى ع

إن يشأ يذهبكم أي جميعاً بيان لغنائه وفيه بلاغة كاملة لأن قوله تعالى إن يشأ يذهبكم أي ليس إذهابكم موقوفاً إلا على مشيئته بخلاف الشيء المحتاج إليه فإن المحتاج إلى الشيء لا يقال فيه إن شاء فلان هدم داره وإنما يقال لولا حاجة السكنى إلى الدار لبعتها ثم إنه تعالى زاد على بيان الاستغناء بقوله تعالى ويأت بخلق جديد أي إن كان يتوهم متوهم أن بهذا الملك كماله وعظمته فلو أذهبه لزال ملكه وعظمته فهو قادر أن يخلق خلقاً جديداً أحسن من هذا وأجمل وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئاً وما ذلك أي الأمر العظيم من الإذهاب والإتيان على الله أي المحيط بجميع صفات الكمال خاصة بعزيز أي بممتنع ولا شاق وهو محمود عند الإعدام كما هو محمود عند الإيجاد فإن قيل استعمل تعالى العزيز تارة في القائم بنفسه فقال تعالى في حق نفسه وكان الله قوياً عزيزاً وقال في هذه السورة عزيز غفور واستعمله تارة في القائم بغيره فقال تعالى وما ذلك على الله بعزيز وقال تعالى عزيز عليه ما عنتم فهل هما بمعنى واحد أو بمعنيين أجيب بأن العزيز في اللغة هو الغالب والفعل إذا كان لا يطيقه شخص يقال هو مغلوب بالنسبة إلى ذلك الفعل فقوله تعالى وما ذلك على الله بعزيز أي ذلك الفعل لا يغلبه بل هو هين على الله تعالى وقوله سبحانه عزيز عليه ما عنتم أي يحزنه ويؤذيه كالشغل الغالب وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى فيه حذف الموصوف للعلم به أي ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى فإن قيل كيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم أجيب بأن تلك الآية في الضالين المضلين فإنهم يحملون أثقال إضلالهم وكل ذلك أوزارهم وليس فيها شيء من أوزار غيرهم وإن تدع أي نفس مثقلة أي بالأوزار إلى حملها أي من الأوزار أحداً ليحمل بعضه لا يحمل أي من حامل ما منه شيء أي لا طواعية ولا كرهاً بل لكل امرئ شأن يغنيه ولو كان ذلك الداعي أو المدعو للحمل ذا قربى لمن دعاه فإن قيل ما الفرق بين معنى قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى ومعنى قوله تعالى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء أجيب بأن الأول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه وأنه لا يؤاخذ نفساً بغير ذنبها والثاني في أن لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى أن نفساً قد أثقلتها الأوزار لو دعت إلى أن تخفف بعض وزرها لم تجب ولم تغث وإن كان الداعي أو المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ قال ابن عباس يلقى الأب أو الأم ابنه فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا أستطيع حسبي ما علي + تنبيه + أضمر الداعي أو المدعو بدلالة إن تدع عليه + ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعهم ذلك فلم ينفعهم نزل إنما تنذر أي إنذاراً يفيد الرجوع عن الغي الذين يخشون ربهم أي المحسن إليهم فيرتعون هذا الفعل في الحال ويواظبون عليه في الاستقبال ولما كان أولى الناس عقلاً وأعلاهم همة من كان غيبه مثل حضوره قال تعالى بالغيب وهو حال من الفاعل أي يخشونه غائبين عنه أو من المفعول أي غائباً عنهم + ولما كانت الصلاة جامعة للخضوع الظاهر والباطن فكانت أشرف العبادات كانت إقامتها بمعنى حفظ جميع

حدودها في كل حال ادل الطاعات على الاخلاص قال تعالى معبرا بالماضي لان المواقيت للصلوة مضبوطة وَأَقَامُوا اي دليلا على خشيتهم الصَّلوٰةَ في اوقاتها الخمسة وما يتبع ذلك من السنن وَمَنْ تَزَكَّى اي تطهر اي بفعل الطاعات وترك المعاصي فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ اذ نفعه لها وَإِلَى اللَّهِ اي الذي لا اله غيره الْمَصِيرُ اي المرجع كما كان منه المبدأ فيجازي كلا على فعله ثم لما بين تعالى الهدى والضلالة وهدى الله تعالى المؤمن ولم يهد الكافر ضرب لهما مثلا بقوله تعالى وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى اي عن الهدى وَالْبَصِيرُ بالهدى اي المؤمن والكافر وقيل الجاهل والعالم وقيل هما مثلا الصنم ولله وَلَا الظُّلُمَاتُ اي الكفر وَلَا النُّورُ اي الايمان ولا الباطل ولا الحق وَلَا الظِّلُّ اي الجنة وَلَا الْحَرُورُ اي النار او ولا الثواب ولا العقاب تنبيه قال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وقيل الحرور تكون بالنهار مع الشمس وقيل السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقوله تعالى وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ تمثيل آخر للمؤمن والكافر ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهال تنبيه زيادة لا في الثلاثة لتاكيد نفي الاستواء وجاء ترتيب هذه المنفيات على احسن الوجوه فانه تعالى لما ضرب الاعمى والبصير مثلين للمؤمن والكافر عقب بما كل منهما فيه والكافر في ظلمة والمؤمن في نور لان البصير وان كان حديد البصر لا بد له من ضوء يبصر فيه وقدم الاعمى لان البصير فاصلة فحسن تاخيره ولما تقدم الاعمى في الذكر ناسب تقديم ما هو فيه فلذلك قدمت الظلمة على النور ولان النور فاصلة ثم ذكر ما لكل منهما فللمؤمن الظل وللكافر الحرور واخر الحرور لاجل الفاصلة كما مر وقولنا لاجل الفاصلة اولى من قول بعضهم لاجل السجع لان القرآن ينزه عن ذلك وقد منع الجمهور ان يقال في القرآن سجع وانما كرر الفعل في قوله تعالى وما يستوي الاحياء مبالغة في ذلك لان المنافاة بين الحياة والموت اتم من المنافاة المتقدمة وقدم الاحياء لشرف الحياة ولم يعد لا تاكيدا في قوله تعالى الاعمى والبصير وكررها في غيره لان منافاة ما بعده اتم فان الشخص الواحد قد يكون بصيرا ثم يصير اعمى فلا منافاة الا من حيث الوصف بخلاف الظل والحرور والظلمات والنور فانها متنافية ابدا لا يجتمع اثنان منها في محل فالمنافاة بين الظل والحرور وبين الظلمة والنور دائمة فان قيل الحياة والموت بمنزلة العمى والبصر فان الجسم قد يكون متصفا بالحياة ثم يتصف بالموت اجيب بان المنافاة بينهما اتم من المنافاة بين الاعمى والبصير لان الاعمى والبصير يشتركان في ادراكات كثيرة ولا كذلك الحي والميت فالمنافاة بينهما اتم من المنافاة بين الاعمى والبصير لانه قابل الجنس بالجنس وقد يوجد في افراد العميان من يساوي بعض افراد البصراء كاعمى ذكي له بصيرة يساوي بصيرا بليدا فالتفاوت بين الجنسين مقطوع به لا بين الافراد وجمع الظلمات لانها عبارة عن الكفر والضلال وطرقهما كثيرة متشعبة ووحد النور لانه عبارة عن التوحيد وهو واحد فالتفاوت بين كل فرد من افراد الظلمة وبين هذا الفرد الواحد فالمعنى الظلمات كلها لا يوجد فيها ما يساوي هذا الواحد ثم نبه سبحانه بقوله تعالى

إن الله أي القادر على المفارقة بين هذه الأشياء وعلى كل شيء بما له من الإحاطة من صفات الكمال
يسمع من يشاء على أن الخشية والقسوة إنما هو بيده تعالى وأن الإنذار إنما هو لمن قضى بانتفاعه
فيتعظ ويجيب وما أنت أي بنفسك من غير إقدار الله تعالى لك بمسمع أي بوجه من الوجوه
من في القبور أي الحسية أو المعنوية إسماعاً ينفعهم بل الله يسمعهم إن شاء فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات إن أي ما أنت إلا نذير أي تنبه القلوب الميتة بقوارع الإنذار ولست بوكيل
تقهرهم على الإيمان + ثم بين تعالى أنه ليس نذيراً من تلقاء نفسه إنما هو بإذن الله تعالى وإرساله
بقوله تعالى إنا أي بما لنا من العظمة أرسلناك أي إلى هذه الأمة بالحق أي الأمر الكامل في الثبات
الذي يطابقه الواقع فإن من نظر إلى كثرة ما أوتيه من الدلائل علم مطابقة الواقع لما يأمر به
+ تنبيه يجوز في قوله تعالى بالحق أوجه أحدها أنه حال من الفاعل أي أرسلناك محقين أو
من المفعول أي محقاً أو نعت لمصدر محذوف أي إرسالاً متلبساً بالحق ويجوز أن يكون صلة
لقوله تعالى بشيراً أي لمن أطاع ونذيراً أي لمن عصى وإن أي وما من أمة إلا خلا أي سلف فيها
نذير أي نبي ينذرها + تنبيه + الأمة الجماعة الكثيرة قال تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون
ويقال لكل أهل عصر أمة والمراد ههنا أهل العصر فإن قيل كم من أمة في الفترة بين عيسى
ومحمد صلى الله عليهما وسلم لم يخل فيها نذير أجيب بأن آثار النذارة إذا كانت باقية لم تخل
من نذير إلى أن تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث الله تعالى محمداً صلى الله
عليه وسلم فإن قيل كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما أجيب بأنه لما كانت
النذارة مشفوعة من البشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية على
ذكرهما أولاً لأن الإنذار هو المقصود والأهم من البعثة وإن يكذبوك أي أهل مكة فقد كذب الذين
من قبلهم أي ما أتتهم به رسلهم عن الله تعالى جاءتهم أي الأمم الخالية رسلهم بالبينات
أي الآيات الواضحات الدالة على صحة الرسالة من المعجزات وغيرها وبالزبر أي الأمور
المكتوبة كصحف إبراهيم عليه السلام وبالكتاب أي جنس الكتاب كالتوراة والإنجيل المنير أي الواضح في
نفسه الموضح لطريق الخير والشر كما أنك أتيت قومك مثل ذلك وإن كانت طريقتك أوضح وأظهر وكتابك
أنور وأبين وأظهر وأشهر وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث علم أن غيره كان مثله في
التكذيب وكان محتملاً لأذى القوم + تنبيه + لما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المجيء بها إليهم إسناداً
مطلقاً وإن كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب + ولما سلاه الله
تعالى هدد من خالفه وعصاه بما فعل في تلك الأمم الماضية بقوله تعالى ثم أخذت أي بأنواع الأخذ
الذين كفروا أي ستروا تلك الآيات المنيرة بعد طول صبر الرسل عليهم الصلاة والسلام عليهم ودعائهم لهم
فكيف كان نكير أي إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك أي هو واقع موقعه + تنبيه + أثبت ورش ع
الياء بعد الراء في الوصل دون الوقف والباقون بغير ياء وقفاً ووصلاً + ولما ذكر تعالى الدلائل

ولم ينتفعوا قطع الكلام معهم والتفت الى غيرهم بقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ اى ايها المخاطب ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾
اى الذى له جميع صفات الكمال ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ كما ان السيد اذا نصح بعض عبيده
ولم ينزجر يقول لغيره اسمع ولا تكن مثل هذا ويكرر ما ذكره للاول ويكون فيه اشعار بان الاول
فيه نقيصة لا يصلح للخطاب فيتنبه له ويدفع عن نفسه تلك النقيصة وايضا فلا يخرج الى كلام اجنبى
عن الاول بل يأتى بما يقاربه لئلا يسمع الاول كلام الاخر فيترك التفكر فيما كان وقوله تعالى
﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ اى بما لنا من القدرة والعظمة ﴿بِهِ﴾ اى بالماء ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ اى متعددة الانواع فيه التفات من الغيبة
الى التكلم وانما كان ذلك لان المنة بالاخراج ابلغ من انزال الماء وقوله تعالى ﴿مُخْتَلِفًا﴾ نعت لثمرات وقوله تعالى
﴿أَلْوَانُهَا﴾ فاعل به ولولا ذلك لانث مختلفا ولكنه لما اسند الى جمع تكسير غير عاقل جاز تذكيره ولو انث فقيل
مختلفة كما تقول اختلفت الوانها لجاز اى مختلفة الاجناس من الرمان والتفاح والعنب وغيرها مما لا يحصى
او الهيئات من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها فالذى قدر على المفاوتة بينها وهى من ماء
واحد لا يستبعد عليه ان يجعل الدلائل بالكتاب وغيره نورا لشخص وعمى لاخر ولما ذكر تعالى
تنوع ما من الماء وقدمه لانه الاصل فى التكوين اتبعه التكوين من التراب الذى هو ايضا شئ واحد
بقوله تعالى ذاكرا ما هو اصلب الارض وابعدها عن قابلية التكوين ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ قال
الجلال المحلى رحمه الله تعالى جمع جدة طريق فى الجبل وغيره وقال الزمخشرى الجدد الخطوط والطرائق
وقال ابو الفضل الجدة ما تخالف من الطرائق لون ما يليها ومنه جدة الحمار للخطة السوداء على
ظهره وقد يكون للظبى جدتان مسكيتان تفصلان بين لونى ظهره وبطنه ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ وصفر وقوله
تعالى ﴿مُخْتَلِفٌ﴾ صفة لجدد وقوله تعالى ﴿أَلْوَانُهَا﴾ فاعل به كما مر فى نظيره ويحتمل معنيين احدهما ان البياض
والحمرة يتفاوتان بالشدة والضعف فرب ابيض اشد من ابيض واحمر اشد من احمر فنفس البياض
مختلف وكذا الحمرة فلذلك جمع الوانها فيكون من باب المشكك والثانى ان الجدد كلها على لونين
بياض وحمرة والبياض والحمرة وان كانا لونين الا انهما جمعا باعتبار محالهما وقوله تعالى
﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ فيه ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على حمر عطف ذى لون على ذى لون
ثانيها انه معطوف على بيض ثالثها واقتصر عليه الجلال المحلى انه معطوف على جدد اى صخور
شديدة السواد قال الجلال المحلى يقال كثيرا اسود غربيب وقليلا غربيب اسود وقال البغوى
اى سود غرابيب على التقديم والتاخير يقال اسود غربيب اى شديد السواد تشبيها بلون الغراب
اى طرائق سود وعن عكرمة هى الجبال الطوال السود وقال الزمخشرى الغربيب تاكيد للاسود
ومن حق التوكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع ووجهه ان يضمر المؤكد قبله فيكون الذى
بعده مفسرا لما اضمر كقول النابغة الجعدى ــ والمؤمن العائذات الطير تمسحها ركبان مكة بين
الغيل والسند هما موضعان المؤمن اسم الله وهو مجرور بالقسم والعائذات منصوب بالمؤمن والمراد بها
الحمام لما تأوى بمكة والمأمنات اليها حرم التعرض لها والطير منصوب بالبدل او بعطف البيان

ووجه الاستدلال بذلك ان الطير دال على المحذوف وهو مفعول المؤمن في العائذات الطير قال
ابو حيان وهذا لا يصح الا على مذهب من يجوز حذف المؤكد ومن النحويين من منعه وهو اختيار
ابن مالك ورد عليه بان هذا ليس هو التاكيد المختلف في حذف مؤكده لان هذا من باب الصفة للمؤكد
ومعنى تسمية الزمخشري له توكيدا من حيث انه لا يفيد معنى زائدا وانما يفيد المبالغة والتوكيد في
ذلك اللون والنحويون قد سموا الوصف اذا لم يفد غير الاول توكيدا فقالوا وقد يجيء لمجرد التوكيد نحو
قوله تعالى نفخة واحدة والهين اثنين والتوكيد المختلف في حذف مؤكده انما هو في باب التوكيد
الصناعي ومذهب سيبويه جوازه وقال ابن عادل والاولى فيه ان يسمى توكيدا لفظيا اذ الاصل
سود غرابيب سود ولما ذكر تعالى ما الاغلب فيه الماء مما استحال الى امر اخضر بعيد من الماء
واتبعه التراب الصرف ختم بما الاغلب فيه التراب مما استحال الى ما هو في غاية البعد من التراب
فقال وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ ولما كانت الدابة في الاصل اسما لما دب على الارض ثم غلب
اطلاقها على ما يركب قال وَالْأَنْعَامِ ليعم الكل صريحا مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ اي الوان ذلك البعض الذي
افهمته من كَذَٰلِكَ اي مثل الثمار والاراضي منه ما هو ذو لون ومنه ما هو ذو لونين او اكثر
+ ولما قال تعالى الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته
وآثار صنعه وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس مما يستدل به عليه وعلى صفاته من انه فاعل
بالاختيار فهو يفعل ما يشاء قال تعالى إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ اي الذي له جميع صفات الكمال مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ قال ابن عباس رضي الله عنه يريد انما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني
فالخشية بقدر معرفة المخشي والعالم يعلم الله فيخافه ويرجوه وهذا دليل على ان العالم اعلى درجة
من العابد لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم بين تعالى ان الكرامة بقدر التقوى والتقوى بقدر
العلم لا بقدر العمل فمن ازداد منه علما ازداد منه خشية وخوفا ومن كان علمه به اقل كانت خشيته
اقل قال رسول الله عليه الصلوة والسلام اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية وقال صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى الله كفى بالمرء
جهلا ان يعجب بعمله وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال له العالم من خشي الله تعالى قال
السهروردي في الباب الثالث من معارفه فينتفي العلم عمن لا يخشى الله تعالى كما اذا قال انما
يدخل الدار بغدادي فينتفي دخول غير البغدادي الدار وقيل نزلت هذه الآية في ابي بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى اثرت فيه فان قيل هل يختلف المعنى اذا
قدم المفعول في هذا الكلام واخر اجيب بانه يختلف فانك اذا قدمت اسم الله واخرت
العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم فاذا عملت على
العكس انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله وهما معنيان
مختلفان + تنبيه + رسم العلماء بالواو وقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ اي المحيط بالجلال والاكرام عَزِيزٌ اي

اى غالب على جميع امره غفور اى للذنوب من اراد من عباده تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب
للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه والمعاقب والمثيب حقه ان يخشى + ولما بين سبحانه
العلماء بالله وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم ذكر العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه بقوله تعالى
إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ اى يداومون على تلاوته وهى شانهم وديدنهم وعن مطرف هى اية القراء
وعن الكلبى يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدى هم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن عطاء هم المؤمنون وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ اى اداموها وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ من زكوة
وغيرها سِرًّا وَعَلَانِيَةً قيل السر فى المسنون والعلانية فى المفروض + تنبيه + اشار تعالى بقوله سبحانه وتعالى
يتلون كتاب الله الى الذكر وبقوله تعالى واقاموا الصلوة الى العمل البدنى وبقوله تعالى وانفقوا
مما رزقناهم الى العمل المالى وفى هاتين الآيتين الشريفتين حكمة بالغة وهى ان قوله تعالى انما
يخشى الله اشارة الى عمل القلب وقوله تعالى الذين يتلون اشارة الى عمل اللسان وقوله واقاموا الصلوة
اشارة الى عمل الجوارح ثم ان هذه الاشياء الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله تعالى وقوله تعالى وانفقوا
مما رزقناهم بمعنى الشفقة على خلقه وقوله تعالى سرا وعلانية حث على الانفاق كيفما تهيأ فان تهيأ
سرا فذاك والا فعلانية ولا يمنعه ظنه ان يكون رياء فان ترك الخير مخافة ذلك هو عين الرياء + ولما
احل تعالى هؤلاء بالمحل الاعلى بين حالهم بقوله تعالى يَرْجُونَ اى فى الدنيا والآخرة تِجَارَةً اى
بما عملوا لَنْ تَبُورَ اى تكسد وتهلك بل هى باقية لانها دفعت الى من لا تضيع اليه الودائع وهى
رائجة رابحة لكونه تعالى تام القدرة شامل العلم له الغنى المطلق لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ اى جزاء اعمالهم
بالثواب وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ قال ابن عباس رضى الله عنه يعنى سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع
اذن ويحتمل ان يزيدهم النظر اليه تعالى كما جاء فى تفسير الزيادة وهذا هو النعمة العظمى إِنَّهُ
غَفُورٌ شَكُورٌ قال ابن عباس رضى الله عنه يغفر الذنب العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من اعمالهم وقيل غفور
عند اعطاء الاجر شكور عند اعطاء الزيادة + تنبيه + فى خبر ان من قوله ان الذين يتلون كتاب الله
وجهان احدهما انه الجملة من قوله تعالى يرجون تجارة اى ان التالين يرجون ولن تبور صفة
تجارة وليوفيهم متعلق بيرجون او بتبور او بمحذوف اى فعلوا ذلك ليوفيهم وعلى الوجهين
الاولين يجوز ان تكون لام العاقبة والثانى ان الخبر انه غفور شكور جوزه الزمخشرى على حذف
العائد اى غفور لهم وعلى هذا فيرجون حال من انفقوا اى انفقوا ذلك راجين + ولما بين تعالى
الاصل الاول وهو وجود الله تعالى الواحد بالدلائل فى قوله تعالى الله الذى يرسل الرياح وقوله تعالى
والله خلقكم وقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء ذكر الاصل الثانى وهو الرسالة بقوله تعالى
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا اى بما لنا من العظمة إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ اى الجامع لخيرى الدارين + تنبيه + من الكتاب
يجوز ان تكون من للبيان كما يقال ارسل الى فلان من الثياب جملة وان تكون للجنس وان تكون
لابتداء الغاية كما يقال جاء فى كتاب من الامير وعلى كل فالكتاب يمكن ان يراد به اللوح

المحفوظ يعني الذي اوحينا من اللوح المحفوظ هُوَ الْحَقُّ اى الكامل فى الثبات ومطابقة الواقع ويمكن ان يراد به القرآن وهو ما اقتصر عليه الجلال المحلي يعني الارشاد والتبيين للذين اوحينا اليك من القرآن ويمكن ان تكون من للتبعيض وهو فصل او مبتدأ وقوله تعالى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ اى لما تقدمه من الكتب حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق وهذا تقرير لكونه وحيا لان النبى صلى الله عليه وسلم لما لم يكن قارئا كاتبا واتى ببيان ما فى كتاب الله لا يكون ذلك الا بوحى من الله تعالى فان قيل لم جعل ما تقدم مصدقا للقرآن اجيب بان القرآن كونه معجزة يكفى فى تصديقه بانه وحى واما ما تقدم فلا بد فيه من معجزة تصدقه + تنبيه + قوله تعالى هو الحق اكد من قول القائل الذى اوحينا اليك حق من وجهين احدهما ان التعريف للخبر يدل على ان الامر فى غاية الظهور لان الخبر فى الاكثر يكون نكرة الثانى ان الاخبار فى الغالب تكون اعلاما بثبوت امر لا يعرفه السامع كقولنا زيد قائم فان السامع ينبغى ان يكون عارفا بزيد ولا يعلم قيامه فيخبر به فاذا كان الخبر معلوما فتكون الاخبار للنسبة فتعرف باللام كقولنا ان زيدا العالم فى هذه المدينة اذا كان علمه مشهورا اِنَّ اللّٰهَ اى الذى له جميع صفات الكمال بِعِبَادِهٖ لَخَبِيْرٌ اى عالم ادق العلم واتقنه ببواطن احوالهم بَصِيْرٌ اى بظواهر امورهم وبواطنها اى فهو يسكن الخشية والعلم فى القلوب على قدر ما اوتوا من الكتاب فى علمه فانت احقهم بالكمال لانك اخشاهم واتقاهم فلذلك اتيناك هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب تقديم الخبير للدلالة على ان العمدة فى ذلك الامور الروحانية وقوله تعالى ثُمَّ اَوْرَثْنَا الْكِتٰبَ فى معناه وجهان احدهما انا اوحينا اليك القرآن ثم اورثناه من بعدك اى حكمنا بتوريثه او قال تعالى اورثنا وهو يريد نورثه فعبر عنه بالماضى لتحققه وقال مجاهد اورثنا اعطينا لان الميراث اعطاء واقتصر على هذا الجلال المحلي وقيل اورثنا اخرنا ومنه الميراث لانه تاخر عن الميت ومعناه اخرنا القرآن من الامم السالفة واعطيناكموه واهلناكم له + تنبيه + اكثر المفسرين على ان المراد بالكتاب القرآن وقيل ان المراد جنس الكتاب الَّذِيْنَ اصْطَفَيْنَا اى اخترنا مِنْ عِبَادِنَا قال ابن عباس رضى الله عنه يريد بالعباد امة محمد صلى الله عليه وسلم اى من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة ونقل ابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنه ان الله تعالى اورث امة محمد صلى الله عليه وسلم كل كتاب انزله اى لان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس وخصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله تعالى وحمل الكتاب الذى هو افضل كتب الله ثم قسمهم بقوله تعالى فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهٖ اى فى التقصير بالعمل به وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ اى يعمل به فى اغلب الاوقات وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرٰتِ وهو من يضم الى العمل به التعليم والارشاد الى العمل روى اسامة بن زيد فى هذه الاية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة وروى ابو عثمان النهدى قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية

فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وروى
ابو الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم اورثنا الكتاب الآية قال اما السابق
بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام
حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ قوله تعالى الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الآية وقال عقبة
ابن صهبان سألت عائشة رضى الله عنها عن قول الله عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا الآية فقالت يا بنى كلهم فى الجنة اما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه
حتى لحق بهم واما الظالم فمثلى ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال مجاهد والحسن فمنهم ظالم لنفسه
هم اصحاب المشأمة ومنهم مقتصد هم اصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات السابقون المقربون
من الناس كلهم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائى والظالم
الكافر نعمة الله تعالى غير الجاحد لها لانه تعالى حكم للثلاثة بدخول الجنة وقيل الظالم هو الراجح سيآته
والمقتصد هو الذى تساوت سيآته وحسناته والسابق هو الذى رجحت حسناته وقيل الظالم هو الذى
ظاهره خير من باطنه والمقتصد تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من ظاهره وقيل
الظالم هو الموحد بلسانه الذى تخالفه جوارحه والمقتصد هو الموحد الذى يمنع جوارحه من المخالفة
بالتكليف والسابق هو الموحد الذى ينسيه التوحيد غير التوحيد وقيل الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد
صاحب الصغيرة والسابق المعصوم وقيل الظالم التالى للقرآن غير العالم به والعامل به والمقتصد التالى
العالم غير العامل والسابق التالى العالم العامل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقال
جعفر الصادق بدأ بالظالم اخبارا بانه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر فى الاصطفاء ثم ثنى
بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن احد مكره وكلهم فى الجنة وقال
ابو بكر الوراق رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان احوال العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة
ثم قربة فاذا عصى دخل فى حيز الظالمين فاذا تاب دخل فى جملة المقتصدين فاذا صحت التوبة وكثرت
العبادة والمجاهدة دخل فى عداد السابقين وقيل غير ذلك والله اعلم + ولما كان هذا ليس فى قوة العبد
فى مجارى العادات ولا يوجد بالكسب والاجتهاد اشار الى عظمته بقوله تعالى بِإِذْنِ اللّٰهِ اى بتمكين
من له القدرة التامة والعظمة العامة والفعل بالاختيار وجميع صفات الجمال والجلال والكمال
وتسهيله وتيسيره لئلا يأمن احد مكره تعالى قال الرازى فى اللوامع ثم من السابقين من يبلغ
محل القرب فيستغرق فى وحدانيته تعالى ذٰلِكَ اى ايراثهم الكتاب او السبق او الاصطفاء
هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيْرُ ولما ذكر الله سبحانه وتعالى احوالهم بين جزاءهم ومآلهم بقوله تعالى مستأنفا جوابا
لمن سأل عن ذلك جَنّٰتُ عَدْنٍ اى اقامة بلا رحيل لانه لا سبب للرحيل عنها وقوله تعالى يَدْخُلُوْنَهَا
اى الثلاثة اصناف خبر جنات عدن فمن دخلها لم يخرج منها لانه لا شئ يخرجه ولا هو يريد

الخروج منها وقرأ ابو عمرو بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء + ولما كان الداخل الى مكان اول ما ينظر الى ما فيه من النفائس قال تعالى يُحَلَّوْنَ فِيهَا اى يلبسون على سبيل التزيين والتحلي مِنْ أَسَاوِرَ اى بعض اساور مِنْ ذَهَبٍ فمن الاولى للتبعيض والثانية للتبيين وقوله تعالى وَلُؤْلُؤًا عطف على ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب فى صفاء اللؤلؤ وقرأ عاصم ونافع بالنصب عطفا على محل من اساور والباقون بالجر + تنبيه + اساور جمع اسورة وهى جمع سوار وذكر الاساور من بين سائر الحلى فى مواضع كثيرة كقوله تعالى وحلوا اساور من فضة يدل على كون المتحلى غير متبذل فى الاشتغال لان كثرة الاعمال باليد فاذا حليت بالاساور علم الفراغ من الاعمال ولما كانت هذه الزينة لا تليق الا على اللباس الفاخر قال تعالى وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا اى ويقولون عند دخولهم وعبر عنه بالماضى تحقيقا له الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حزن النار وقال قتادة حزن الموت وقال مقاتل لانهم كانوا لا يدرون ما يصنع بهم وقال عكرمة حزن السيئات والذنوب وخوف رد الطاعات وقال القاسم حزن زوال النعم وخوف العاقبة وقيل حزن اهوال القيمة وقال الكلبى ما كان يحزنهم فى الدنيا من امر يوم القيمة وقال سعيد بن جبير الحزن فى الدنيا وقيل هم المعيشة وقال الزجاج اذهب الله تعالى عن اهل الجنة كل الاحزان ما كان منها لمعاش او معاد اى وهذا اولى الكل قال عليه الصلوة والسلام ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى منشرهم وكانى باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ثم قالوا إِنَّ رَبَّنَا اى المحسن الينا مع اساءتنا لَغَفُورٌ اى محاء للذنوب عينا واثرا للصنفين الاولين ولغيرهما من المذنبين شَكُورٌ للصنف الثالث ولغيره من المطيعين + تنبيه + ذكر الله تعالى عن هذه الثلاثة ثلاثة امور كلها تفيد الكرامة الاول قولهم الحمد لله فان الحامد يثاب الثانى قولهم ربنا فان الله تعالى اذا نودى بهذا اللفظ استجاب للمنادى ما لم يكن يطلب ما لا يجوز الثالث قولهم غفور شكور والغفور اشارة الى ما غفر لهم فى الآخرة بحمدهم فى الدنيا والشكور اشارة الى ما يعطيهم الله ويزيدهم بسبب حمدهم فى الآخرة وقولهم الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ اى الاقامة اشارة الى ان الدنيا منزلة ينزلها المكلف ويرتحل منها الى منزلة القبور ومن القبور الى منزلة العرصة التى فيها الجمع ومنها التفريق الى دار البقاء اما الى الجنة واما الى النار اجارنا الله تعالى ومحبينا منها وقولهم مِنْ فَضْلِهِ اى بلا عمل منا فان حسناتنا انما كانت منا منه تعالى اذ لا واجب عليه متعلق باحلنا ومن اما للعلة واما لابتداء الغاية وقولهم لَا يَمَسُّنَا فِيهَا اى فى وقت من الاوقات نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ حال من مفعول احلنا الاول او الثانى لان الجملة مشتملة على ضمير كل منهما وان كان الحال من الاول اظهر والنصب التعب والمشقة واللغوب الفتور الناشئ عنه وعلى هذا فيقال اذا انتفى السبب انتفى المسبب فاذا قيل لم آكل فيعلم انتفاء الشبع فلا حاجة الى قوله ثانيا فلم اشبع بخلاف العكس الا ترى انه يجوز لم اشبع ولم آكل والآية

الكريمة على ما تقرر من نفي السبب ثم نفي المسبب فما فائدته أجيب بان النصب هو تعب البدن
واللغوب هو تعب النفس وقيل اللغوب الوجع وحينئذ فالسؤال زائل واجاب الرازي
بجواب قال ابن عادل ليس بذاك فتركته ولما بين تعالى ما هم فيه من النعمة في دار السرور
التي قال فيها القائل علياء لا تنزل الاحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء بين ما لاعدائهم
من النقمة زيادة في سرورهم بما قاسوا في الدنيا من تكبرهم عليهم وفخارهم بقوله تعالى
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اي ستروا ما دلت عليه عقولهم من شموس الآيات انوار الدلالات
﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ اي بما تجهموا اولياء الله الدعاة اليه ﴿لَا يُقْضَى﴾ اي يحكم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ اي بموت ثان
﴿فَيَمُوتُوا﴾ اي فيتسبب عن القضاء موتهم فيستريحوا كقوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا
ربك اي بالموت فنستريح بل العذاب دائم تنبيه نصب فيموتوا باضمار ان ولما كانت
الشدائد في الدنيا تنفرج وان طال امدها قال تعالى ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ واغرق في النفي
بقوله تعالى ﴿مِنْ عَذَابِهَا﴾ اي جهنم تنبيه في الآية الاولى ان العذاب في الدنيا ان دام قتل
وان لم يقتل يعتاده البدن ويصير مزاجا فاسدا لا يحس به المعذب فقال عذاب نار الآخرة
ليس كعذاب الدنيا اما ان يفني واما ان يألفه البدن بل هو في كل زمان شديد والمعذب
فيه دائم الثانية وصف العذاب بانه لا يفتر ولا ينقطع ولا بأقوى الاسباب وهو الموت حتى
يتمنوه ولا يجابون كما قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك اي بالموت الثالثة ذكر
في المعذبين الاشقياء انه لا ينقضي عذابهم ولم يقل تعالى نزيدهم عذابا وفي المثابين قال تعالى
ويزيدهم من فضله وقوله تعالى ﴿كَذَلِكَ﴾ اما مرفوع المحل اي الامر كذلك واما منصوبه اي
مثل ذلك الجزاء العظيم ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ اي كافر بالله تعالى وبرسوله وقرأ ابو عمرو بياء مضمومة
وفتح الزاي ورفع كل والباقون بنون مفتوحة وكسر الزاي ونصب كل ﴿وَهُمْ﴾ اي فعل ذلك
بهم والحال انهم ﴿يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ اي يوجدون الصراخ فيها بغاية ما يقدرون عليه
من الجهد في الصياح من البكاء والتوجع يقولون ﴿رَبَّنَا﴾ اي المحسن الينا ﴿أَخْرِجْنَا﴾
اي من النار ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ ثم فسروه وبينوه بقولهم ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ في الدنيا فان قيل
هلا اكتفى بقولهم نعمل صالحا كما اكتفى به بقوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة
زيادة غير الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه
أجيب بان فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم
فزائل بظهور حالهم في الكفر وظهور المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة
كما قال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا
نحسبه صالحا فنعمله فيقال لهم توبيخا وتقريعا ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾ اي نطل اعماركم مع اعطائنا لكم
العقول ولم نعاجلكم بالاخذ ﴿مَا﴾ اي زمانا ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ قال عطاء وقتادة

والكلبي ثماني عشرة سنة وقال الحسن اربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة وروى ذلك عن
علي وروى البزار انه صلى الله عليه وسلم قال العمر الذي اعذر الله تعالى فيه الى ابن ادم ستون سنة
وروى البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال من عمره الله ستين سنة فقد اعذر اليه في العمر
وروى الترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اعمار امتي ما بين
الستين الى السبعين واقلهم من يجوز ذلك وقوله تعالى وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ عطف على اولم نعمركم لانه في معنى
قد عمرناكم كقوله الم نربك ثم قال ولبثت وقال تعالى الم نشرح لك صدرك ثم قال تعالى ووضعنا
عنك وزرك اذ هما في معنى ربيناك وشرحنا واختلف في النذير فقال الاكثرون هو محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل القرآن وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع هو الشيب والمعنى اولم نعمركم حتى شبتم ويقال
الشيب نذير الموت وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب الموت
ولما تسبب عن ذلك ان عذابهم لا ينفك قال تعالى فَذُوقُوا اي ما اعددناه لكم من العذاب
دائما ابدا فَمَا لِلظَّالِمِينَ اي الذين وضعوا اعمالهم واقوالهم في غير موضعها مِن نَّصِيرٍ اي في وقت ع
الحاجة حتى يرفع العذاب عنهم قال البقاعي وهذا عام في كل ظالم ولما كان تعالى عالما بكل ما نفى
وما اثبت قال تعالى إِنَّ اللَّهَ اي الذي احاط بكل شيء قدرة وعلما عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه تعالى احوالهم وقوله تعالى إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ تعليل له لانه
اذا علم مضمرات الصدور قبل ان يعلمها اربابها حتى تكون غيبا محضا كان اعلم بغيره ويعلم انكم لو مدت
اعماركم لم ترجعوا عن الكفر ابدا ولو رددتم لعدتم لما نهيتم عنه وانه لا مطمع في صلاحكم ولما كان
من انشأ شيئا كان اعلم به قال تعالى هُوَ اي وحده لا شركاؤكم ولا غيرهم الَّذِي جَعَلَكُمْ
ايها الناس خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ اي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم امة واحدة خلفت من قبلها
ورأت فيمن قبلها ما ينبغي ان يعتبر به وقال القشيري اهل كل عصر خليفة عمن تقدمهم فمن
قوم هم لسلفهم جمال ومن قوم هم اراذل واسافل تنبيه خلائف جمع خليفة وهو الذي يقوم
بعد الانسان بما كان قائما به والخلفاء جمع خليفة قاله الاصبهاني فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ اي
وبال كفره وَلَا اي والحال انه لا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ اي المغطين للحق كُفْرُهُمْ اي الذي هم
متلبسون به ظانون انه يسعدهم وهم راسخون فيه غير متنقلين عنه عِندَ رَبِّهِمْ اي المحسن اليهم
إِلَّا مَقْتًا اي غضبا لان الكافر السابق كان ممقوتا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ اي الفريقين في صفة
التغطية للحق كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا اي للآخرة لان العمر كرأس مال من اشترى به رضا الله تعالى
ربح ومن اشترى به سخط الله تعالى خسر ولما بين انه سبحانه هو الذي استخلفهم اكد بيان
ذلك عندهم بامره صلى الله عليه وسلم بما يضطرهم الى الاعتراف بقوله تعالى قُلْ اي لهم
أَرَأَيْتُمْ اي اخبروني شُرَكَاءَكُمُ اضافهم اليهم لانهم وان كانوا جعلوهم شركاء لم ينالوا شيئا
من شركته لانهم ما نقصوه شيئا من ملكه وانما شاركوا العابدين في اموالهم بأسوا

وغيرها في اعمالهم فهم شركاؤهم بالحقيقة لا شركاؤه ثم بين المراد من عدّهم لهم شركاء بقوله تعالى الَّذِينَ تَدْعُونَ اي تعبدون مِنْ دُونِ اللّٰهِ اي غيره وهم الاصنام الذين زعمتم انهم شركاء الله تعالى أَرُونِي اي اخبروني مَاذَا اي الذي او اي شيء خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ اي لتصح لكم دعوى الشركة فيهم بالانفراد عاقكم ذلك فيهم كذب محض وانكم تدعون انكم ابعد الناس منه في الامور البينة فكيف بمثل هذا أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ اي شركة مع الله تعالى وان قلت فِي السَّمٰوٰتِ اي اروني ماذا خلقوا لكم من السموات فالاية من الاحتباك حذف اولا الاستفهام عن الشركة في الارض لدلالة مثله في السماء ثانيا عليه وحذف الامر بالاراءة ثانيا لدلالة مثله اولا عليه أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فَهُمْ الاحسن في هذا الضمير ان يعود على الشركاء لتناسق الضمائر وقيل يعود على المشركين قاله مقاتل فيكون التفاتا من خطاب الى غيبة عَلَىٰ بَيِّنَتٍ اي حجة مِّنْهُ بان لهم معي شركة ولما كان التقدير لا شيء لهم من ذلك قال تعالى منبها على ذميم احوالهم وسفه ارائهم وخسة هممهم ونقصان عقولهم بَلْ إِن اي ما يَعِدُ الظَّالِمُونَ اي الواضعون الاشياء في غير موضعها بَعْضُهُم بَعْضًا اي الاتباع للمتبوعين بان شركاءهم تقربهم الى الله تعالى زلفى وانها تشفع وتضر وتنفع إِلَّا غُرُورًا اي باطلا ولما بين تعالى حقارة الاصنام بين عظمته سبحانه بقوله تعالى إِنَّ اللّٰهَ اي الذي له جميع صفات الكمال يُمْسِكُ السَّمٰوٰتِ اي على كبرها وعلوها وَالْأَرْضَ اي على سعتها وبعدها عن التماسك على ما تشاهدون وقوله تعالى أَن تَزُولَا اي برجة عظيمة وزلزلة كبيرة يجوز ان يكون مفعولا من اجله اي كراهة ان تزولا وقيل لئلا تزولا ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا على اسقاط الخافض اي يمنعهما من ان تزولا ويجوز ان يكون بدل اشتمال اي يمنع زوالهما لان ثباتهما على ما هما عليه على غير القياس او لاشلم قدرته وباهر عزته وعظمته فان ادعيتم عنادا ان شركاءكم لا يقدرون على الخلق لعلة من العلل فادعوهم لازالة ما خلق الله تعالى ولما كان في هذا دليل على انهما حادثتان زائلتان اتبعه ما هو ابين منه بقوله تعالى معبرا باداة الامكان وَلَئِن لام قسم زَالَتَا اي بزلزلة خراب او غير ذلك إِنْ اي ما أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ جواب القسم الموطأ له بلام القسم وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم ولذلك كان فعل الشرط ماضيا وقول البيضاوي تبعا للزمخشري والجملة سدت مسد الجوابين فيه تجوز فالمراد بسدها مسدهما انها تدل عليهما لا انها قائمة مقامهما اذ يلزم ان تكون معمولة وغير معمولة لانها باعتبار جواب القسم لا محل لها من الاعراب وباعتبار جواب الشرط لها محل ومن في من احد مزيدة لتاكيد الاستغراق وفي من بعده لابتداء الغاية والمعنى احد سواه او من بعد الزوال إِنَّهُ كَانَ اي ازلا وابدا حَلِيمًا اذ امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا لانه لا يستعجل الا من يخاف الفوت فينتهز الفرصة غَفُورًا اي محاء للذنوب من رجع اليه واقبل

بالاعتراف عليه فلا يعاقبه ولا يعاتبه ولما بلغ كفار مكة ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله
اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم وَأَقْسَمُوا اى كفار مكة بِاللَّهِ اى الذى لا يقسم بغيره جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
اى غاية اجتهادهم فيها لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ اى رسول لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ اى اليهود
والنصارى وغيرهم اى اية واحدة منها لما رأوا من تكذيب بعضها بعضا اذ قالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ اى على ما شرطوا وزيادة
وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذى كانوا يشهدون انه خيرهم نفسا واشرفهم نسبا واكرمهم خلقا
مَا زَادَهُمْ اى مجيئه شيئا مما هم عليه من الاحوال إِلَّا نُفُورًا اى تباعدا عن الهدى لانه كان سببا فى
زيادتهم فى الكفر كالابل التى كانت نفرت من ربها فضلت عن الطريق فدعاها فازدادت
بسبب دعائه نفرة فصارت بحيث يتعذر او يتعسر ردها فتبين انه لا عهد لهم مع ادعائهم انهم
اوفى الناس ولا صدق عندهم مع جزمهم بانهم اصدق الخلق ثم علل نفورهم بقوله تعالى اسْتِكْبَارًا
اى طلبا لايجاد الكبر لانفسهم فِي الْأَرْضِ اى التى من شانها السفول والتواضع والخمول فلم يكن
نفورهم لامر محمود ولا مباح ويجوز ان يكون استكبارا بدلا من نفورا وان يكون حالا اى حال كونهم
مستكبرين قاله الاخفش وقوله تعالى وَمَكْرَ السَّيِّئِ فيه وجهان اظهرهما انه عطف على استكبارا
والثانى انه عطف على نفورا وهذا من اضافة الموصوف الى صفته فى الاصل اذ الاصل والمكر
السيء والبصريون يؤولونه على حذف موصوف اى العمل السيء اى الذى من شانه ان يسوء
صاحبه وغيره وهو ارادتهم لاهانة امر النبى صلى الله عليه وسلم واطفاء نور الله عز وجل قال الكلبى
هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة فى الوصل بهمزة ساكنة اى
بنية الوقف اشارة الى تدقيقهم المكر واتقانه واخفائه جهدهم والباقون بهمزة مكسورة واذا وقف
حمزة ابدل الهمزة ياء وادغم الياء الاولى فى الياء الثانية ووقف الباقون بهمزة ساكنة وَلَا اى والحال
انه لا يَحِيقُ اى يحيط احاطة لازمة ضارة الْمَكْرُ السَّيِّئُ اى الذى هو عريق فى السوء إِلَّا بِأَهْلِهِ اى وان
اذى غير اهله لكنه لا يحيط بذلك الغير فان قيل كثيرا ما نرى الماكر يمكر ويفيده المكر ويغلب الخصم
بالمكر والاية تدل على عدم ذلك اجيب باجوبة احدها ان المكر فى الاية هو المكر الذى
مكروه مع النبى صلى الله عليه وسلم من العزم على القتل والاخراج ولم يحق الا بهم حيث قتلوا
يوم بدر وغيره ثانيها انه عام وهو الاصح ويدل له قول الزهرى بلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول وقرأ هذه الاية ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله
تعالى انما بغيكم على انفسكم ولا تنكثوا ولا تعينوا ناكثا قال الله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه
ثالثها ان الاعمال بعواقبها ومن مكر بغيره ونفذ فيه المكر عاجلا فى الظاهر فهو فى الحقيقة هو
الفائز والماكر هو الهالك كمثل راحة الكافر ومشقة المسلم فى الدنيا ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى
فَهَلْ يَنْظُرُونَ اى ينتظرون إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ اى سنت الله تعالى فيهم من تعذيبهم

بتكذيبهم رسلهم والمعنى فهل ينتظرون الا ان ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار
ولما كان هذا النظر يحتاج الى صفاء فى اللب وذكاء فى النفس عدل عن ضميرهم الى خطاب اعلى الخلق
بقوله تعالى فَلَنْ تَجِدَ اى فى وقت من الاوقات لِسُنَّتِ اللّٰهِ اى طريقة الملك الاعظم التى شرعها
وحكم بها وهى اهلاك العاصين وانجاء الطائعين تَبْدِيلًا اى من احد يأتى بسنة غيرها تكون بدلا لها
لانه تعالى مكافئ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّٰهِ اى الذى لا امر لاحد معه تَحْوِيلًا اى من حالة الى اخف منها
لانه لا مرد لقضائه فائدة: ترسم سنت لسنت لسنت الثلاثة بالتاء المجرورة كما رأيت ووقف
ابو عمرو وابن كثير والكسائى بالهاء والباقون بالتاء واذا وقف الكسائى امال الهاء الى اصله ولما
ذكر الله تعالى الاولين وسنتهم فى اهلاكهم نبههم بتذكير حال الاولين بقوله تعالى اَوَلَمْ يَسِيْرُوْا
اى فيما مضى من الزمان فِى الْاَرْضِ اى التى ضربوا فى المتاجر بالسير اليها فى الشام واليمن والعراق
فَيَنْظُرُوْا اى فيتسبب عن ذلك السير انه يجدد لهم نظر واعتبار يوما من الايام فان العاقل من
اذا رأى شيئا تفكر فيه حتى يعرف ما ينطق به لسان حاله ان خفى عليه ما جرى من مقاله واشار
بسوقه فى اسلوب الاستفهام الى انه لعظمه خرج عن امثاله فاستحق السؤال عن حاله كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
اى اخر امر الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ اى على اى حالة كان اخر امرهم ليعلموا انهم ما اخذوا الا بتكذيب
الرسل عليهم السلام فيخافوا ان يفعلوا مثل افعالهم فيكون حالهم كحالهم فانهم كانوا يمرون على ديارهم
ويرون اثارهم واملهم كان فوق املهم وعملهم كان دون عملهم وكانوا اطول منهم اعمارا واشد
اقتدارا ومع هذا لم يكذبوا مثل محمد صلى الله عليه وسلم وانتم يا اهل مكة كفرتم بمحمد ومن قبله عليهم السلام
وَكَانُوْا اى اهلكناهم لتكذيبهم رسلنا والحال انهم كانوا اَشَدَّ مِنْهُمْ اى من هؤلاء قُوَّةً وَمَا كَانَ اللّٰهُ اى
الذى له جميع السطوة واكد الاستغراق فى النفى بقوله تعالى لِيُعْجِزَهٗ اى مريدا الان يعجزه ولما انتفت ارادة
العجز بطريق الاولى وابلغ فى التاكيد بقوله تعالى مِنْ شَيْءٍ اى قل او جل وعم بما يصل اليه ادراكنا بقوله تعالى
فِى السَّمٰوٰتِ اى جهة العلو واكد بقوله عز وجل وَلَا فِى الْاَرْضِ اى جهة السفل اِنَّهٗ كَانَ
اى ازلا وابدا عَلِيْمًا اى بالاشياء كلها حقيرها وجليلها قَدِيْرًا اى كامل القدرة اى فلا يريد
شيئا الا كان ولما كانوا يستعجلون بالتوعد استهزاء كقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم على ان التقدير ولو عاملكم الله تعالى
معاملة المؤاخذ لعجل اهلاككم عطف عليه قوله تعالى اظهارا للحكم مع العلم وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّٰهُ
اى بما له من صفات العلو النَّاسَ اى المكلفين بِمَا كَسَبُوْا اى من المعاصى مَا تَرَكَ عَلٰى ظَهْرِهَا
اى الارض مِنْ دَابَّةٍ اى نسمة تدب عليها كما كان فى زمن نوح عليه السلام
اهلك الله تعالى ما على ظهر الارض الا من كان فى السفينة مع نوح فان قيل اذا كان الله
تعالى يؤاخذ الناس بما كسبوا فما بال الدواب اجيب بان المطر انعام من الله فى حق العباد
واذا لم يستحقوا الانعام قطعت الامطار عنهم فيظهر الجفاف على وجه الارض فيموت

جميع الحيوانات وبان خلقة الحيوانات نعمة والمعاصي تزيل النعم فتحل النقم والدواب اقرب النعم لان
المفرد اولا ثم المركب والمركب اما ان يكون معدنا واما ان يكون ناميا والنامي اما ان يكون حيوانا
او نباتا والحيوان اما انسان او غير انسان فالدواب اعلى درجات المخلوقات في عالم العناصر الا الانسان
فان قيل كيف يقال لما عليه الخلق من الارض وجه الارض وظهر الارض مع ان الظهر مقابله الوجه
فهو كالمتضاد اجيب بان الارض كالدابة الحاملة للاثقال والحمل يكون على الظهر واما وجه الارض
فلان الظاهر من باب البطن والباطن من باب فوجه الارض ظهر لانه هو الظاهر وغيره منها
باطن وبطن وَلٰكِن لم يعاملهم معاملة المؤاخذ المناقش بل يحلم عنهم فهو يُؤَخِّرُهُم اى في الحيوة الدنيا
ثم في البرزخ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى اى سماه في الازل لانقضاء اعمارهم ثم يبعثهم من قبورهم وهو تعالى
لا يبدل القول لديه لما له من صفات الكمال فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُم اى الفناء الاعدامي بقبض كل واحد
منهم عند اجله او الايجاد الابقائي بعث كلا منهم فجازاه بعدله فَإِنَّ اللَّهَ اى الذى له الصفات العليا
كَانَ ولم يزل بِعِبَادِهِ الذين اوجدهم ولا شريك له في ايجاد واحد منهم بجميع ذواتهم واحوالهم بَصِيرًا ع
اى بالغ البصر والعلم بمن يستحق العذاب ومن يستحق الثواب قال ابن عباس يريد اهل طاعته
واهل معصيته وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة
الملائكة دعته يوم القيمة ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اى الابواب شئت حديث موضوع

سورة يس مكية

وهي ثلاث وثمانون اية وسبعمائة وتسعة وعشرون كلمة وثلاثة الاف حرف وتسمى ايضا القلب
والدافعة والقاضية والمعمة تعم صاحبها بخير الدارين وتدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة والبيضاوى
ذكر هذه التسمية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال شيخنا القاضي زكريا لم اره ولكن المثبت مقدم على
النافي بِسْمِ اللَّهِ اى الذى جل ملكه عن ان يحاط بمقداره الرَّحْمَٰنِ الذى جعل انذاره يوم الجمع رحمة عامة
الرَّحِيمِ الذى انار قلوب اوليائه بالاجتهاد ليوم لقائه وقوله تعالى يس كالم في المعنى والاعراب قال
ابن عباس يس قسم وروى عن شعبة ان معناه يا انسان بلغة طئ على ان اصله يا انيسين فاقتصر
على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله في ايمن الله وقال اكثر المفسرين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
قاله الحسن وسعيد بن جبير وجماعة وقال ابو العالية يا رجل وقال ابو بكر الوراق يا سيد البشر
قال ابن عادل في ذكر هذه الحروف اوائل السور امور تدل على انها غير خالية من الحكمة لكن علم
الانسان لا يصل اليها والذى يدل على انها فيها حكمة هو ان الله عز وجل ذكر من الحروف نصفها
وهي اربعة عشر حرفا فانصف ثمانية وعشرين حرفا هي جميع الحروف التى في لسان العرب على قولنا
الهمزة الف متحركة ثم ان الله تعالى قسم الحروف ثلاثة اقسام تسعة احرف من الالف الى الذال والتسعة
الاخيرة من الفاء الى الياء وعشرة في الوسط من الراء الى الغين وذكر من القسم الاول حرفين

الالف والهاء وترك سبعة وترك من القسم الاخير حرفين هما الالف واللام وذكر سبعة ولم يترك من
القسم الاول من حروف الحلق والصدر الا واحدا لم يذكره وهو الخاء ولم يذكر من القسم الاخير من
حروف الشفة الا واحدا لم يتركه وهو الميم والعشر الاوسط ذكر منه حرفا وترك حرفا فترك الزاى وذكر
الراء وذكر السين وترك الشين وذكر الصاد وترك الضاد وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين
وليس لها امر يقع اتفاقا بل هو ترتيب مقصود فهو لحكمة لكنها غير معلومة وهب ان واحدا يدعى فيه
شيئا فماذا يقول فى كون بعض السور مفتتحة بحرف كسورة نٓ وقٓ وصٓ وبعضها بحرفين كسورة حمٓ ويسٓ
وطسٓ وطهٰ وبعضها بثلاثة احرف كالمٓ وطسٓمٓ والرٰ وبعضها باربعة احرف كسورة المٓرٰ والمٓصٓ
وبعضها بخمسة احرف كسورة حمٓ عسٓقٓ وكهيعصٓ وهب ان قائلا يقول ان هذه اشارة بان الكلام
اما حرف واما فعل واما اسم والحرف كثيرا ما جاء على حرف كواو العطف وفاء التعقيب وهمزة الاستفهام
وكاف التشبيه وباء الالصاق وغيرها وجاء على حرفين كمن للتبعيض واو للتخيير وام للاستفهام المتوسط
وان للشرط وغيرها والفعل والاسم والحرف جاءت ثلاثة احرف كالى وعلى فى الحرف والى وعلى
فى الاسم والا يالو يالو وعلا يعلو فى الفعل والاسم والفعل جاء على اربعة احرف والاسم
خاصة جاء على ثلاثة احرف واربعة وخمسة كجمل ومسجد وجردحل فما جاء فى القران اشارة
الى ان تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه فماذا يقول هذا القائل فى تخصيص
بعض السور بالحرف الواحد والبعض بالاكثر فلا يعلم ما السر الا الله تعالى ومن اعلمه الله تعالى
واذا علم هذا فالعبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها جارحية وكل واحد منها قسمان قسم عقل
معناه وحقيقته وقسم لم يعلم اما القلبية مع انها ابعد عن الشك والجهل فمنها ما لم يعلم دليله عقلا وانما
وجب الايمان به والاعتقاد سمعا كالصراط الذى هو ادق من الشعر واحد من السيف ويمر عليه
المؤمن كالبرق الخاطف والميزان الذى توزن به الاعمال التى لا ثقل لها فى نظر الناظر وكيفية الجنة
والنار فان هذه الاشياء وجودها لم يعلم بدليل عقلى وانما المعلوم بالعقل امكانها ووقوعها معلوم مقطوع
به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله تعالى وصدق الرسل وكذلك فى العبادات
الجارحية ما علم معناه وما لم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات والحكمة فى ذلك ان العبد اذا اتى بما
امر به من غير ان يعلم ما فيه من الفائدة فلا يكون الا لاتيان الا لمحض الفائدة بخلاف ما لم تعلم الفائدة
فربما يأتى الفائدة وان لم يؤمر كما لو قال السيد لعبده انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلمه بما فى النقل
نقلها ولو قال انقلها فان تحتها كنزا هو لك فانه ينقلها وان لم يؤمر واذا علم هذا فكذلك فى العبادات
اللسانية الذكرية يجب ان يكون ما لم يفهم معناه اذا تكلم به العبد علم انه لا يعقل غير الانقياد لامر المعبود
الالهى فاذا قال حمٓ طسٓ يسٓ علم انه لا يذكر ذلك لمعنى يفهمه بل يتلفظ به امتثالا لما امر به انتهى كلام
ابن عادل بحروفه وهو كلام دقيق وقرأ يس بامالة الياء شعبة وحمزة والكسائى والباقون بالفتح
واظهر النون من يس عند واو والقرأن قالون وابن كثير وابو عمرو وحفص وحمزة

وادغم الباقون وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به ثم وصف القرآن بقوله تعالى الْحَكِيمِ
اى المحكم بعظيم النظم وبديع المعانى وقوله تعالى إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ اى الذين حكمت عقولهم على
دواعى نفوسهم فصاروا بما وهبهم الله من القوة النورانية وبما تخلقوا به من اوامره ونواهيه
كالملائكة الذين تقدم ذكرهم فى السورة الماضية انهم رسله جواب القسم وهو رد على الكفار
حيث قالوا لست مرسلا فان قيل المطلب يثبت بالدليل لا بالقسم فما الحكمة بالاقسام اجيب
باوجه اولها ان العرب كانوا يتقون الايمان الفاجرة وكانوا يقولون ان الايمان الفاجرة توجب
خراب العالم وصحح النبى صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع ثم انهم كانوا
يقولون ان النبى صلى الله عليه وسلم يصيبه من الهتهم وهى الكواكب عذاب والنبى صلى الله عليه
وسلم يحلف بامر الله وانزال كلامه عليه باشياء مختلفة وما كان يصيبه عذاب بل كان كل
يوم ارفع شأنا وامنع مكانا فكان ذلك يوجب اعتقاد انه ليس بكاذب ثانيها ان المتناظرين اذا وقع
بينهما كلام وغلب احدهما الآخر بتمشية دليله واسكته يقول المغلوب انك قررت هذا بقوة
جدالك وانت خبير فى نفسك بضعف مقالتك وتعلم ان الامر ليس كما تقول وان اقمت عليه الدليل
صورة وعجزت انا عن القدح فيه وهذا كثير الوقوع بين المتناظرين فعند هذا لا يجوز ان يأتى بدليل آخر
لان الساكت المنقطع يقول فى الدليل الآخر ما قاله فى الاول فلا يجد امرا الا اليمين فكذلك النبى صلى الله
عليه وسلم اقام البراهين وقالت الكفرة ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما
هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين فالتمسك بالايمان لعدم
فائدة الدليل ثالثها ان هذا ليس بمجرد الحلف بل دليل خرج فى صورة اليمين لان القرآن معجزة
ودليل كونه مرسلا هو المعجزة والقرآن كذلك فان قيل لم يذكر فى صورة الدليل وما الحكمة فى
ذكر الدليل فى صورة اليمين اجيب بان الدليل اذا ذكر فى صورة اليمين واليمين لا يقع ولا سيما
من العظيم الاعلى الا على امر عظيم والامر العظيم تتوفر الدواعى على الاصغاء اليه فلصورة اليمين يقبل
عليه السامع لكونه دليلا شافيا يسر به الفؤاد فيقع فى السمع وفى القلب وقوله تعالى عَلَىٰ صِرَاطٍ اى
طريق واسع واضح مُسْتَقِيمٍ اى هو التوحيد والاستقامة فى الامر يجوز ان يكون متعلقا بالمرسلين
تقول ارسلت عليه كما قال تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل وان يكون متعلقا بمحذوف على انه
حال من ضمير المستكن فى لمن المرسلين لوقوعه خبرا وان يكون حالا من المرسلين وان يكون
خبرا ثانيا لانك وقرأ قنبل سراط بالسين عوضا عن الصاد وخلف بالاشمام وهو بين الصاد والزاى
والباقون بالصاد الخالصة ولما كان كانه قيل ما هذا الذى ارسل به كان كانه قيل جوابا هو القرآن
الذى وقع الاقسام به وهو تَنْزِيلَ اى حال كونه تنزيل الْعَزِيزِ اى المتصف بجميع صفات الجلال
الرَّحِيمِ اى الحاوى لجميع صفات الاكرام الذى ينعم على من يشاء من عباده بعد الانعام
بايجادهم فهو الواحد المتفرد فى ملكه وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى تنزيل بالنصب

على الحال كما مرّ او باضمار اعنى والباقون بالرفع على انه خبر مبتدأ مضمر كما مرّ، ولما ذكر تعالى
المرسِل وهو الله تعالى والمرسَل وهو النبى صلى الله عليه وسلم والمرسَل به وهو القرآن ذكر المرسَل اليهم
بقوله تعالى لِتُنْذِرَ قَوْمًا اى ذوى بأس وقوة وذكاء وفطنة مَّا أُنْذِرَ اى لم تنذر اصلا آبَاؤُهُمْ اى لم ينذروا
فى زمن الفترة فَهُمْ اى بسبب زمان الفترة غَافِلُونَ اى عن الايمان والرشد وقوله تعالى لَقَدْ حَقَّ
الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فيه وجوه اشهرها ان المراد بالقول هو قوله تعالى لقد حق القول منى لاملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ثانيها ان معناه لقد سبق فى علمه تعالى ان هذا يؤمن وهذا
لا يؤمن فحق القول اى وجب وثبت بحيث لا يبدل كما قال تعالى ما يبدل القول لدىّ ثالثها المراد
لقد حق القول الذى قاله الله تعالى على لسان الرسل من التوحيد وغيره فَهُمْ اى بسبب ذلك
لَا يُؤْمِنُونَ اى بما يلقى اليهم من الانذار بل يزيدهم عمى استكبارا فى الارض ومكر السيئ، ونزل
فى ابى جهل وصاحبيه إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا اى بان تضم اليها الايدى لان الغل يجمع اليد
الى العنق وذلك ان ابا جهل كان قد حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلى ليرضخن رأسه
فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه اثبتت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده الى عنقه فلما رجع
الى اصحابه واخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال رجل من بنى مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلى
ليرميه بالحجر فاعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه
فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت كلامه وحال بينى وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت
منه لاكلنى فانزل الله تعالى هذه الآية ووجه المناسبة لما تقدم انه لما قال تعالى لقد حق القول على اكثرهم
وتقدم ان المراد به البرهان وقال بعد ذلك بل عاينوا وابصروا ما يقرب من الضرورة حيث
التزقت يده بعنقه ومنع من ارسال الحجر وهو مضطر الى الايمان ولم يؤمن علم انه لا يؤمن اصلا
وقال اهل المعانى هذا على طريق المثل ولم يكن هناك غل اراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال
مثلا لذلك فهو تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغنى عنهم الآيات والنذر
بتمثيلهم بالذين غلت ايديهم وقال الفراء معناه حبسناهم عن الانفاق فى سبيل الله كقوله تعالى
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك معناه ولا تمسكها عن النفقة ومناسبة هذا لما تقدم ان قوله
تعالى فهم لا يؤمنون يدخل فيه انهم لا يصلون لقوله تعالى وما كان ليضيع ايمانكم
اى صلاتكم عند بعض المفسرين والزكوة مناسبة للصلوة فكأنه قال لا يصلون ولا يزكون
واختلف فى عود الضمير فى قوله تعالى فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ على وجهين اشهرهما انه عائد على الاغلال
لانها هى المحدث عنها ومعنى هذا الترتيب بالفاء ان الغل لغلظه وعرضه يصل الى الذقن لانه يلبس
العنق جميعه قال الزمخشرى والمعنى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا ثقالا بحيث تبلغ الى الاذقان فلم يتمكن
المغلول معها من ان يطاطئ رأسه ثانيهما ان الضمير يعود الى الايدى واليه ذهب الطبرى
وعليه جرى الجلال المحلى لان الغل لا يكون الا فى العنق واليدين ودل على الايدى وان لم تذكر

الملازمة المفهومة من هذه الآلة اعنى الغل وقرأ قالون وابو عمرو والكسائى بسكون الهاء والباقون بكسرها والاذقان جمع ذقن وهو مجمع اللحيين فَهُم مُقْمَحُونَ اى رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم فى انهم لا يلتفتون لفتة الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له والاقماح رفع الرأس الى فوق كالاقناع وهو من قمح البعير راسه اذا رفعها بعد الشرب اما لبرودة الماء واما لكراهة طعمه + ولما كان الرافع راسه غير ممنوع من النظر امامه قال تعالى وَجَعَلْنَا اى بعظمتنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ اى الوجه الذى يمكنهم علمه سَدًّا فلا يسلكون طريق الاهتداء + ولما كان الانسان اذا انسد عليه جهة مال الى اخرى قال تعالى وَمِنْ خَلْفِهِمْ اى الوجه الذى هو خفى عنهم سَدًّا فلا يرجعون الى الهداية فصارت كل جهة يلتفتون اليها منسدة فصاروا لذلك لا يمكنهم النظر الى الحق ولا الخلوص اليه فلذلك قال تعالى فَأَغْشَيْنَاهُمْ اى جعلنا على ابصارهم بما لنا من العظمة غشاوة فَهُمْ اى بسبب ذلك لَا يُبْصِرُونَ اى لا يتجدد لهم هذا الوصف من ابصار الحق وما ينفعهم بصر ظاهر ولا بصيرة باطنة وايضا الانسان مبدؤه من الله تعالى ومصيره اليه فعمى الكافرين بان لا يبصروا ما بين ايديهم من المصير الى الله تعالى وما خلفهم من الدخول فى الوجود بخلق الله تعالى كمن احاط بهم سد فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم فى انهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل وايضا فان السالك اذا لم يكن له بد من سلوك طريق فان انسد الطريق الذى قدامه يفوته المقصد ولكنه يرجع فاذا انسد الطريق من خلفه ومن قدامه والموضع الذى هو فيه لا يكون موضع اقامة هلك فان قيل ذكر السد من بين الايدى ومن الخلف ولم يذكره من اليمين والشمال فما الحكمة فى ذلك اجيب بانهم اذا قصدوا السلوك الى جانب اليمين او جانب الشمال صاروا متوجهين الى شئ ومولين عن شئ فصار ما اليه توجههم ما بين ايديهم فيجعل الله تعالى السد هناك فيمنعه من السلوك فكيفما توجه الكافر يجعل الله تعالى بين يديه سدا وقرأ حمزة والكسائى وحفص سدا بفتح السين فى الموضعين وهو لغة فيه والباقون بالضم + ولما منعوا بذلك حس البصر اخبر عن حس السمع بقوله تعالى وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اى مستو ومعتدل غاية الاعتدال ءَأَنْذَرْتَهُمْ اى بما اخبرناك به من الزواجر المانعة للكفر أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لانهم ممن علم الله تعالى انهم لا يؤمنون وقد سبق ايضا فى البقرة تفسيره والكلام على الهمزتين ثم بين الله تعالى الاقل الناجى لانه المقصود بالذات بقوله تعالى إِنَّمَا تُنْذِرُ اى انذارا ينفع المنذر فتنشأ عنه النجاة مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ اى القرآن بالتامل فيه والعمل به وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ اى خاف عقابه بِالْغَيْبِ اى قبل موته ومعاينة اهواله او فى سريرته ولا يغتر برحمته فانه تعالى كما هو رحمن رحيم منتقم جبار فَبَشِّرْهُ اى بسبب خشيته بالغيب بِمَغْفِرَةٍ اى لذنوبه وان عظمت وتكررت + ولما حصل العلم بمحو الذنوب عينها واثرها قال تعالى وَأَجْرٍ كَرِيمٍ اى هو الجنة فانها دار لا كدر فيها بوجه والمقصود منها هو النظر لوجهه الكريم اللهم متعنا وحبينا بالنظر الى وجهك الكريم

ولما ذكر تعالى خشية الرحمن بالغيب ذكر ما يؤكده وهو احياء الموتى بقوله تعالى إِنَّا نَحْنُ اى بما لنا من العظمة التى لا تضاهى نُحْيِ الْمَوْتَىٰ اى كلهم حسا بالبعث ومعنى بالانقاذ اذا اردنا من ظلمة الجهل وَنَكْتُبُ اى جملة عند نفخ الروح وشيئا فشيئا بعده فلا يتعدى التفصيل شيئا فى ذلك الاجمال مَا قَدَّمُوا اى واخروا من جميع افعالهم واقوالهم واحوالهم من صالح وغيره فاكتفى باحدهما لدلالة الآخر عليه كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اى والبرد وقيل المعنى ما اسلفوا من الاعمال صالحة كانت او فاسدة كقوله تعالى بما قدمت ايديهم اى بما قدموا فى الوجود واوجدوه وقيل نكتب نياتهم فانها قبل الاعمال وقوله تعالى وَآثَارَهُمْ فيه وجوه احدها وهو مبنى على التفسير الاخير وهو كتب النيات المراد بالآثار الاعمال ثانيها ما سنوا من سنة حسنة وسيئة فالحسنة كالكتب المصنفة والقناطر المبنية والسيئة كالظلامات المستمرة التى وضعها الظلمة والكتب المضلة قال صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له اجرها ومثل اجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن سن فى الاسلام سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شيئا ثالثها خطاهم الى المساجد لما روى ابو سعيد الخدرى قال شكت بنو سلمة بعد منازلهم عن المسجد فانزل الله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله يكتب خطواتكم ويثيبكم عليها وقال صلى الله عليه وسلم اعظم الناس اجرا فى الصلوة ابعدهم ممشى والذى ينتظر الصلوة حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا من الذى يصلى ثم ينام فان قيل الكتابة قبل الاحياء فكيف اخر فى الذكر حيث قال تعالى نحى الموتى ونكتب ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم اجيب بان الكتابة معظمة لامر الاحياء لان الاحياء ان لم يكن للحساب لا يعظم والكتابة فى نفسها ان لم يكن هناك احياء ولا اعادة لا يبقى لها اثر اصلا والاحياء هو المعتبر والكتابة مؤكدة معظمة لامره فلهذا قدم الاحياء لانه تعالى قال انا نحن وذلك يفيد العظمة والجبروت والاحياء العظيم يختص بالله تعالى والكتابة دونه تقريرا التعريف لامر العظيم وذلك مما يعظم ذلك الامر العظيم ولما كان ذلك الامر ربما اوهم الاقتصار على ما ذكر من احوال الآدميين دفع ذلك بقوله تعالى وَكُلَّ شَيْءٍ من امور الدنيا والآخرة أَحْصَيْنَاهُ اى قبل ايجاده بعلمنا القديم احصاء وحفظا وكتبناه فِي إِمَامٍ وهو اللوح المحفوظ مُبِينٍ اى لا يخفى فيه شئ من جميع الاحوال والاقوال فهو تعميم بعد تخصيص لانه تعالى يكتب ما قدموا وآثارهم وليست الكتابة مقتصرة عليه بل كل شئ محصى فى امام مبين وهذا يفيد ان شيئا من الاقوال والافعال لا يعزب عن علم الله تعالى ولا يفوته كقوله تعالى وكل شئ فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر يعنى ليس ما فى الزبر منحصرا فيما فعلوه بل كل شئ مكتوب لا يبدل فان القلم جف بما هو كائن فلما قال تعالى نكتب ما قدموا بين ان قبل ذلك كتابة اخرى فان الله تعالى كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا فعلوا كتب عليهم انهم فعلوه وقيل ان ذلك مؤكد لمعنى قوله تعالى ونكتب لان من يكتب شيئا فى اوراق

ويرميها فقد لايجدها فكانه لم يكتب فقال تعالى نكتب ونحفظ ذلك فى امام مبين وهو كقوله تعالى
علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولاينسى وقوله سبحانه وتعالى وَاضْرِبْ بمعنى واجعل لَهُمْ وقوله
تعالى مَثَلًا مفعول اول وقوله تعالى اَصْحٰبَ مفعول ثان والاصل واضرب لهم مثلا اصحاب الْقَرْيَةِ
فترك المثل واقيم الاصحاب مقامه فى الاعراب كقوله تعالى واسأل القرية قال الزمخشرى ولا
حاجة الى الاضمار بل المعنى اجعل اصحاب القرية لهم مثلا او مثل اصحاب القرية بهم قال
المفسرون المراد بالقرية انطاكية وقوله تعالى اِذْ جَآءَهَا الخ بدل اشتمال من اصحاب القرية اى
اذ جاء اهلها الْمُرْسَلُوْنَ اى رسل عيسى عليه السلام واضافه الى نفسه فى قوله تعالى اِذْ اَرْسَلْنَا
اِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ لانه فعل رسوله عليه السلام واذ ارسلنا الخ بدل من اذ الاولى وفى هذا لطيفة وهى
ان فى القصة ان الرسل كانوا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام ارسلهم الى انطاكية فقال تعالى
ارسال عيسى عليه السلام هو ارسالنا ورسول رسول الله باذن الله رسول الله فلا تتهمهم يا محمد
ان اولئك كانوا رسل الرسول وانما هم رسل الله تعالى فتكذيبهم كتكذيبك فتم التسلية بقوله تعالى
اذ ارسلنا ويؤيد هذا مسئلة فقهية وهى ان كل وكيل للوكيل باذن الموكل عند الاطلاق وكيل الموكل
لا وكيل الوكيل حتى لاينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول + تنبيه + فى
بعث الاثنين حكمة بالغة وهى انهما كانا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام باذن الله تعالى فكان
عليهما انهاء الامر اليه والاتيان بما امر الله تعالى والله سبحانه عالم بكل شئ لايحتاج الى شاهد يشهد
عنده واما عيسى عليه السلام فبشر فامر الله تعالى بارسال اثنين ليكون قولهما على قومهما عند
عيسى عليه السلام حجة تامة وقرأ ابوعمرو بكسر الهاء والميم فى الوصل وحمزة والكسائى بضمهما
والباقون بكسر الهاء وضم الميم واما الوقف فحمزة بضم الهاء والباقون بكسرها والجميع فى الوقف
بسكون الميم فَكَذَّبُوْهُمَا اى مع ما لهما من الآيات لان من المعلوم انا ما ارسلنا رسولا الا كان معه
من الآيات ما مثله امن عليه البشر سواء اكان عنا من غير واسطة او كان بواسطة رسولنا
كما كان للطفيل بن عمرو الدوسى ذى النورين لما ذهب الى قومه وسأل النبى صلى الله عليه وسلم
ان تكون له آية فكانت نورا فى جبهته ثم سأل ان تكون فى غير وجهه فكانت فى سوطه + ولان
المتظافر على الشئ اقوى لشأنه واعون على ما يراد منه تسبب عن ذلك قوله تعالى فَعَزَّزْنَا اى قوينا
بِثَالِثٍ يقال عزز المطر الارض اى قواها ولبدها ويقال لتلك الارض العزاز وكذا كل ارض صلبة
وتعزز لحم الناقة اى صلب وقوى والمفعول محذوف اى فقويناهما بثالث او فغلبناهما بثالث
لان المقصود من البعثة نصرة الحق لا نصرتهما والكل كانوا مقوين للدين بالبرهان قال وهب
اسم المرسلين يحيى ويونس واسم الثالث شمعون وقال كعب الرسولان صادق ومصدوق والثالث سلوم
وقرأ شعبة بتخفيف الزاى الاولى والباقون بتشديدها والزاى الثانية ساكنة بلا خلاف فَقَالُوْٓا اِنَّآ اِلَيْكُمْ مُّرْسَلُوْنَ
وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة

رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسلما عليه فقال من انتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة
الاوثان الى عبادة الرحمن فقال امعكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن
الله تعالى فقال ان لي ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا ننظر حاله فاتى بهما الى منزله فمسحاه فقام
في الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر في المدينة وامن حبيب النجار وشفى الله تعالى على
ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك اسمه انطيخس كان من ملوك الروم فانتهى الخبر اليه فدعاهما
فقال لهما من انتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيم جئتما قال ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر
الى عبادة من يسمع ويبصر قال او لنا اله دون الهتنا قال نعم من اوجدك والهتك فقال قوما حتى انظر
في امركما وامر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه السلام
رأس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل البلد متنكرا وجعل يعاشر حاشية الملك
حتى انسوا به واوصلوا خبره الى الملك فدعاه فرضي عشرته وانس به واكرمه ثم قال له ذات يوم
ايها الملك بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعوا الى غير دينك فهل كلمتهما
وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان راى الملك دعاهما حتى نطلع
على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما الى ههنا قالا الله تعالى الذي خلق كل شيء وليس له
شريك فقال لهما شمعون فصفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال لهما شمعون وما آيتكما
قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع
البصر فاخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون
للملك ارأيت ان سألت الهك يصنع مثل هذا حتى يكون لك الشرف ولالهك فقال الملك ليس
لي عنك سر ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل
الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلي كثيرا ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم ثم قال الملك لهما ان قدر
الهكما الذي تعبدانه على احياء ميت امنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شيء فقال الملك ان ههنا ميتا
مات منذ سبعة ايام ابن لدهقان وانا اخرته فلم ادفنه حتى يرجع ابوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير
واروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سرا فقام الميت قال اني دخلت سبعة
اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا بالله تعالى ثم قال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع
لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان واشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم
شمعون ان قوله اثر في الملك اخبره بالحال ودعاه فامن الملك وامن قوم وكفر اخرون فمن لم يؤمن صاح
عليهم جبريل فهلكوا وقيل ان ابنة الملك كانت قد توفيت ودفنت فقال شمعون للملك اطلب من هذين
الرجلين ان يحييا ابنتك فطلب الملك منهما ذلك فقاما وصليا ودعوا الله تعالى وشمعون معهما في السر فاحيا
الله تعالى المرأة ثم انشق القبر عنها فخرجت قالت اسلموا فانهما صادقان قالت ولا اظنكم تسلمون ثم طلبت
من الرسولين ان يرداها الى مكانها فذرا ترابا على راسها فعادت الى قبرها كما كانت قال ابن اسحق

عن كعب ووهب بل كفر واجتمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة
الاقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين قَالُوا اى اهل القرية للرسل مَا أَنْتُمْ
اى وان زاد عددكم إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا لا مزية لكم علينا فما وجه الخصوصية لكم فى كونكم رسلا
دوننا فجعلوا كونهم بشرا مثلهم دليلا على عدم الارسال وهذا عام فى المشركين قالوا فى حق محمد
صلى الله عليه وسلم انزل عليه الذكر من بيننا وقد استوينا فى البشرية فلا يمكن الرجحان فرد الله عليهم
بقوله سبحانه الله اعلم حيث يجعل رسالاته وبقوله تعالى الله يجتبى اليه من يشاء الى غير ذلك
+تنبيه+ رفع بشر لانتقاض النفى المقتضى اعمال ما بالا ثم قالوا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ اى العام الرحمة
فعموم رحمته مع استوائنا فى عبوديته يقتضى ان يسوى بيننا فى الرحمة فلا يخصكم بشئ دوننا واغرقوا
فى النفى بقولهم مِنْ شَيْءٍ اى وحى ورسالة إِنْ اى ما أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ اى فى دعوى رسالة ما لا وما لا
قَالُوا اى الرسل رَبُّنَا اى الذى احسن الينا يَعْلَمُ اى وبهذا يظهر على ايدينا الآيات
إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجرى مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة
لانه جواب عن انكارهم وَمَا عَلَيْنَا اى وجوبا من قبل من ارسلنا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ٥
اى المؤيد بالادلة القطعية من الحجج القولية والفعلية بالمعجزات وهى ابراء الاكمه والابرص
واحياء الميت وغيرها فما كان جوابهم بعد هذا الا ان قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا اى تشاءمنا بِكُمْ
وذلك ان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا بشؤمكم ولاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم
له ونفرتهم عنه قالوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا اى عن مقالتكم هذه لَنَرْجُمَنَّكُمْ اى لنقتلنكم قال قتادة بالحجارة وقيل
لنشتمنكم وقيل لنقتلنكم شر قتلة وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا اى لا من غيرنا عَذَابٌ أَلِيمٌ كانهم قالوا لا نكتفى برجمكم
بحجر وحجرين بل نديم ذلك عليكم الى الموت وهو العذاب الاليم او يكون المراد وليمسنكم بسبب الرجم
منا عذاب اليم اى مؤلم وان قلنا الرجم الشتم فكانهم قالوا ولا يكفينا الشتم بل شتم يؤدى الى الضرب
والايلام الحسى واذا فسرنا اليم بمعنى مؤلم ففعيل بمعنى مفعل قليل ويحتمل ان يقال هو من باب
قوله تعالى عيشة راضية اى ذات رضا اى عذاب ذو الم فيكون فعيلا بمعنى فاعل وهو كثير ثم
اجابهم المرسلون بان قَالُوا طَائِرُكُمْ اى شؤمكم الذى احل بكم البلاء مَعَكُمْ وهو اعمالكم القبيحة
التى منها تكذيبكم وكفركم فاصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس والضحاك حظكم من الخير والشر
والهمزة فى قوله تعالى أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ اى وعظتم وخوفتم همزة استفهام وجواب الشرط محذوف
اى تطيرتم وكفرتم فهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل
الثانية وادخل قالون وابو عمرو بينهما الفا وورش وابن كثير بغير ادخال والباقون بتحقيقهما
مع عدم الادخال +ولما كان ذلك لا يصح ان يكون سببا للتطير بوجه اضربوا عنه بقولهم
بَلْ اى ليس الامر كما زعمتم فى ان التذكير سبب التطير بل أَنْتُمْ قَوْمٌ اى غركم ما آتاكم الله
من القوة على القيام فيما تريدون مُسْرِفُونَ اى عادتكم الخروج عن الحدود والطغيان

نعوذ بالله من ذلك + ولما كان السياق لان الامر بيد الله تعالى فلا هادى لمن يضل ولا مضل لمن هدى
فهو يهدى البعيد فى البقعة والنسب اذا اراد ويضل القريب فيهما اذا اراد وكان بعد الدار
ملزوما فى الغالب لبعد النسب قدم مكان المجئ على فاعله بيانا لان الدعاء نفع الاقصى ولم ينفع الادنى
فقال تعالى وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى اى ابعد بخلاف ما مرّ فى القصص ولاجل هذا الغرض عدل
عن التعبير بالقرية وقال الْمَدِينَةِ لانها ادل على الكبر المستلزم لبعد الاطراف وجمع الاخلاط ولما بين الفاعل
بقوله تعالى رَجُلٌ بين اهتمامه بالنهى عن المنكر ومسابقته الى ازالته كما هو الواجب بقوله تعالى
يَسْعَى اى يسرع فى مشيه فوق المشى ودون العدو حرصا على نصيحة قومه + تنبيه + فى تنكير
الرجل مع انه كان معلوما معروفا عند الله تعالى فيه فائدتان الاولى ان يكون تعظيما لشانه اى
رجل كامل فى الرجولية الثانية ان يكون مفيدا ليظهر من جانب المرسلين امر رجل من الرجال
لا معرفة لهم به فلا يقال انهم تواطؤا والرجل هو حبيب النجار كان ينحت الاصنام وقال السدى
كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند
اقصى باب فى المدينة وكان مؤمنا وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل وجوده حين صار من العلماء
بكتاب الله تعالى ورأى فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته وقوله يسعى تبصير للمسلمين وهداية
لهم ليبذلوا جهدهم فى النصح ولما تشوفت النفس الى الداعى الى اتيانه بينه بقوله تعالى قَالَ واستعطفهم
بقوله تعالى يَا قَوْمِ وامرهم بمجاهدة النفوس بقوله اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اى فى عبادة الله تعالى وحده
فجمع بين اظهار دينه واظهار النصيحة فقوله اتبعوا نصيحة وقوله المرسلين اظهار ايمانه وقدم اظهار
النصيحة على اظهار الايمان لانه كان ساعيا فى النصيحة واما الايمان فكان قد امن من قبل
وقوله يسعى يدل على ارادته النصح فان قيل ما الفرق بين مؤمن آل فرعون حيث قال اتبعونى
اهدكم وهذا قال اتبعوا المرسلين اجيب بان هذا الرجل جاءهم وفى اول مجيئه نصحهم ولم يعلموا سيرته
فقال اتبعوا هؤلاء الذين اظهروا لكم الدليل واوضحوا لكم السبيل واما مؤمن آل فرعون فكان فيهم ونصحهم
مرارا فقال اتبعونى فى الايمان بموسى وهرون عليهما السلام واعلموا انه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسى
وانتم تعلمون انى اخترته ولم يكن الرجل الذى جاء من اقصى المدينة يعلمون اتباعه لهم + ولما قال لهم
اتبعوا المرسلين كانهم منعوا كونهم مرسلين فنزل درجة وقال اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا اى اجرة
لان الخلق فى الدنيا سالكون طريق الاستقامة والطريق اذا كان فيه دليل وجب اتباعه وعدم
الامتناع من الدليل لا يحسن الا عند احد امرين اما لطلب الدليل الاجرة واما لعدم الاعتماد
على اهتدائه ومعرفة الطريق لكن هؤلاء لا يطلبون اجرة وَهُمْ مُهْتَدُونَ عالمون بالطريق
المستقيم الموصلة الى الحق فهب انهم ليسوا بمرسلين أليسوا بمهتدين فاتبعوهم وقوله تعالى وَمَا لِيَ
لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي اصله وما لكم لا تعبدون ولكنه صرف الكلام عنهم ليكون الكلام اسرع قبولا حيث
اراد لهم ما اراد لنفسه والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال وَإِلَيْهِ

الجزء الثالث والعشرون

تُرْجَعُونَ دون اليه ارجع مبالغة في التهديد وفي العدول عن مخاصمة القوم الى حال نفسه مبالغة
في الحكمة وهي انه لو قال مالكم لا تعبدون الذي فطركم لم يكن في البيان مثل قوله مالى لانه لما قال مالى
فاحد لا يخفى عليه حال نفسه علم كل واحد انه لا يطلب العلة وبيانها من احد لانه اعلم بحال نفسه
وقوله الَّذِي فَطَرَنِي اشار به الى وجود المقتضى فان قوله مالى اشارة الى عدم المانع وعند عدم المانع
لا يوجد الفعل ما لم يوجد المقتضى فقوله الذي فطرني دليل المقتضى فان الخالق ابتداء مالك
والمالك يجب على المملوك اكرامه وتعظيمه ومنعم بالايمان والمنعم يجب على المنعم عليه شكر
نعمته وقدم بيان عدم المانع على بيان وجود المقتضى مع ان المستحسن تقديم المقتضى لان المقتضى
لظهوره كان مستغنيا عن البيان فلا اقل من تقديم ما هو اولى بالبيان للحاجة اليه واختار من الآيات
فطرة نفسه لان خالق عمرو يجب على زيد عبادته لان من خلق عمرا لا يكون الا كامل القدرة
واجب الوجود فهو مستحق للعبادة بالنسبة الى كل مكلف لكن العبادة على زيد بخلق زيد اظهر
ايجابا + تنبيه + اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة فكانت عليه
اظهر وفي الرجوع معنى الزجر فكان بهم اليق روى انه لما قال اتبعوا المرسلين اخذوه ورفعوه
الى الملك فقال له افانت تتبعهم فقال ومالى لا اعبد الذي فطرني اى اى شئ يمنعني ان
اعبد خالقي واليه ترجعون تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم ومعنى فطرني خلقني اختراعا
ابتداء وقيل خلقني على الفطرة كما قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها ثم عاد الى السياق
الاول فقال ءَأَتَّخِذُ وهو استفهام بمعنى الانكار اى لا اتخذ وبين علو رتبته تعالى بقوله مِنْ دُونِهِ
اى سواه مع دنو المنزلة وبين عجز ما عبدوه بعده فقال آلِهَةً وفي ذلك لطيفة وهي انه لما بين
انه يعبد الذي فطره بين ان من دونه لا تجوز عبادته لان الكل محتاج مفتقر حادث وقوله اتخذ
اشارة الى ان غيره ليس باله لان المتخذ لا يكون الها وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بتسهيل
الثانية بخلاف عن هشام وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام وورش وابن كثير بغير ادخال الف
والباقون بتحقيقهما مع عدم الادخال واذا وقف حمزة فله تسهيل الثانية والتحقيق لانه متوسط بزائد
وله ايضا ابدالها الفا ثم بين عجز تلك الالهة بقوله إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ اى العام النعمة على كل المخلوقين
العابد والمعبود بِضُرٍّ اى سوء ومكروه لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا اى لو فرض انهم شفعوا ولكن
شفاعتهم لا توجد وَلَا يُنْقِذُونِ اى بالنصرة والمظاهرة من ذلك المكروه او من العذاب لو عذبني
الله تعالى ان فعلت ذلك فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى هنا ان يردن الرحمن بصيغة المضارع
وقال في الزمر ان ارادني الله بصيغة الماضي وذكر المريد هنا باسم الرحمن وذكر المريد هناك
باسم الله اجيب بان الماضي والمستقبل مع الشرط يصير الماضي مستقبلا لان المذكور هنا من قبل
بصيغة الاستقبال في قوله أأتخذ وقوله مالى لا اعبد والمذكور هناك من قبل بصيغة الماضي في قوله
افرايتم + تنبيه + ان يردن شرط جوابه لا تغن عني الخ والجملة الشرطية في محل النصب صفة

لآلهة + فائدة + اثبت ورش الياء بعد النون في الوصل دون الوقف والباقون بغير ياء وقفا ووصلا
إِنِّيٓ إِذًا اي ان عبدت غير الله تعالى لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ اي خطأ ظاهر وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء
وسكنها الباقون وهم على مذاهبهم في المد + ولما اقام الادلة ولم يبق لاحد تخلف عنه علة صرح بما
لوح اليه من ايمانه بقوله إِنِّيٓ ءَامَنتُ اي اوقعت التصديق الذي لا تصديق في الحقيقة غيره وفتح الياء
نافع وابن كثير وابو عمرو وسكنها الباقون واختلف في المخاطب بقوله بِرَبِّكُمْ على اوجه احدها انه
خاطب المرسلين قال المفسرون اقبل القوم عليه يريدون قتله فاقبل هو على المرسلين وقال
اني آمنت بربكم فَٱسْمَعُونِ اي اسمعوا قولي واشهدوا لي وثانيها هم الكفار لما نصحهم وما نفعهم
قال آمنت بربكم فاسمعون وثالثها بربكم ايها السامعون فاسمعون على العموم كقول الواعظ يا مسكين
ما اكثر املك يريد كل سامع يسمعه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه و
قال ابن مسعود وطئوه بارجلهم وقال السدي كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد
قومي حتى قطعوه وقتلوه وقال الحسن خرقوا خرقا في حلقه فعلقوه في سور المدينة وقبره بانطاكية
مشهور رضي الله تعالى عنه + تنبيه + في قوله فاسمعون فوائد منها انه كلام متفكر حيث قال اسمعوا
فان المتكلم اذا كان يعلم ان لكلامه جماعة سامعين يتفكر ومنها ان ينبه القوم ويقول اني اخبرتكم
بما فعلت حتى لا تقولوا لم اخفيت عنا امرك ولو اظهرته لآمنا معك فان قيل انه قال من قبل ومالي
لا اعبد الذي فطرني وقال ههنا آمنت بربكم ولم يقل آمنت بربي اجيب بانا ان قلنا الخطاب مع الرسل
فالامر ظاهر لانه لما قال آمنت بربكم ظهر عند الرسل انه قبل قولهم وآمن بالرب الذي دعوه اليه
وقال بربكم وان قلنا الخطاب مع الكفار ففيه بيان التوحيد لانه لما قال اعبد الذي فطرني ثم قال آمنت
بربكم فهم انه يقول ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال آمنت بربي
فيقول الكافر وانا ايضا آمنت بربي + فائدة + اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان مثل صاحب يس هذا
في هذه الامة عروة بن مسعود الثقفي حيث نادى قومه بالاسلام ونادى على علية بالاذان فرموه بالسهام
فقتلوه + ثم انه سبحانه وتعالى بين حال هذا الذي قال آمنت بربكم بعد ذلك بقوله تعالى ايجازا في البيان
لاهل الايمان قِيلَ اي قيل له بعد قتلهم اياه فبناه للمفعول لان المقصود المقول لا القائل والمقول له
معلوم ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ لانه شهيد والشهداء يسرحون في الجنة حيث شاؤوا من حين الموت وقيل لما هموا
بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة وقرأ هشام والكسائي بضم القاف وهو المسمى بالاشمام والباقون بالكسر
+ ولما افضى به الى الجنة قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى اي بغفران ربي لي المحسن الي
في الآخرة بعد احسانه في الدنيا بالايمان في مدة يسيرة بعد طول عمري في الكفر وَجَعَلَنِى مِنَ
ٱلْمُكْرَمِينَ الذين اعطاهم الدرجات العلا فنصح لقومه حيا وميتا تمنى علمهم بالكرامة ليعملوا مثل عمله
فينالوا ما ناله + تنبيه + في القصة حث على المبادرة الى مفارقة الاشرار واتباع الاخيار والحلم عن
اهل الجهل وكظم الغيظ والتلطف في خلاص الظالم من ظلمه وانه لا يدخل احد الجنة الا برحمة

الله وان كان محسنا وهذا كما وقع للانصار رضي الله تعالى عنهم في المبادرة الى الايمان مع بعد
الدار والنسب وفي قول من استشهد منهم في بئر معونة كما رواه البخاري في المغازي وعن انس
بلغوا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا وفي غزوة احد كما في السيرة وغيرها لما وجدوا طيب
مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله تعالى بنا لئلا يزهدوا
في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تبارك وتعالى فانا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى
على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الآية في سورة آل عمران
وفي التمثيل بهذه القصة اشارة الى ان في قريش من ختم بموته على الكفر ولم ينقص ما قضى له
من الاجل فالله سبحانه يؤيد هذا الدين بغيرهم لتظهر قدرته وحكمته وما انزلنا بما لنا
من العظمة على قومه اي حبيب من بعده اي من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء
لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار باهلاكهم
وايماء بتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم والا لكان تحريك ريشة من جناح ملك كافيا
في استئصالهم فان قيل ما فائدة قوله تعالى من بعده وهو تعالى لم ينزل عليهم من قبله اجيب
بان استحقاق العذاب كان بعده حيث اصروا واستكبروا فبين حال الاهلاك بقوله تعالى
وما كنا منزلين اي ما كان ذلك من سنتنا وما صح في حكمتنا ان يكون عذاب الاستئصال
بجند كثيرين اي ما كانت اي الواقعة التي عذبوا بها الا صيحة صاح بهم جبريل عليه السلام
فماتوا عن آخرهم واكد امرها وحقق وحدتها بقوله تعالى واحدة اي لحقارة امرهم
عندنا ثم زاد في تحقيرهم ببيان الاسراع في الاهلاك بقوله تعالى فاذا هم خامدون
اي ثابت لهم الخمود ما كأنهم كانت بهم حركة يوما من الدهر شبهوا بالنار رمزا الى ان
الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد ~ وما المرء الا كالشهاب وضوئه +
يحور رمادا بعد اذ هو ساطع + وقال المعري ~ وكالنار الحياة فمن رماد + اواخرها واولها
دخان + قال المفسرون اخذ جبريل عليه السلام بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة
واحدة فماتوا يا حسرة على العباد اي هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فاهلكوا وهي شدة التألم
ونداؤها مجاز اي هذا اوانك فاحضري ثم بين تعالى سبب الحسرة والندامة بقوله تعالى
ما يأتيهم من رسول اي رسول كان في اي وقت كان الا كانوا به اي بذلك الرسول
يستهزؤن والمستهزئ بالناصحين المخلصين احق ان يتحسر ويتحسر عليه وقيل يقول الله تعالى
يوم القيمة يا حسرة على العباد حين لم يؤمنوا بالرسل + ولما بين تعالى حال الاولين قال للحاضرين
الم يروا اي اهل مكة القائلين للنبي صلى الله عليه وسلم لست مرسلا والاستفهام للتقرير اي اعلموا
وقوله تعالى كم خبرية بمعنى كثيرا وهو مفعول لاهلكنا تقديره كثيرا من القرون اهلكنا وهي
معمولة لما بعدها معلقة ليروا عن العمل ذهابا بالخبرية مذهب الاستفهامية والمعنى اما

أهلكنا قبلهم كثيرا من القرون اى الامم قال البغوى والقرن اهل كل عصر سموا
بذلك لاقترانهم فى الوجود أنهم اى المهلكين اليهم اى الى اهل مكة لا يرجعون
اى لا يعودون الى الدنيا افلا يعتبرون + وقيل لا يرجعون اى الباقون لا يرجعون الى المهلكين
بسبب ولا ولادة اى اهلكناهم وقطعنا نسلهم ولا شك ان الاهلاك الذى يكون مع قطع النسل
اتم واهم قال ابن عادل والاول اشهر نقلا والثانى اظهر عقلا وقوله تعالى وان نافية او مخففة
وقوله تعالى كل اى كل الخلائق مبتدأ وقرأ لما ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم
بمعنى الا والباقون بالتخفيف واللام فارقة وما مزيدة وقوله تعالى جميع اى مجموعون
خبر اول لدينا اى عندنا فى الموقف بعد بعثهم وقوله تعالى محضرون اى للحساب خبر ثان
وما احسن قول القائل ؎ ولو انا اذا متنا تركنا + لكان الموت راحة كل حى + ولكنا اذا متنا بعثنا
ونسئل بعدها عن كل شئ + ولما قال تعالى وان كل لما جميع كان ذلك اشارة الى الحشر
فذكر ما يدل على امكانه قطعا لانكارهم واستبعادهم فقال تعالى وآية اى علامة
عظيمة لهم اى على قدرتنا على البعث وايجاد ناله الأرض اى هذا الجنس الذى هم منه ثم وصفها
بما حقق وجه الشبه بقوله تعالى الميتة التى لا روح لها لانه لا نبات بها اعم من ان يكون بها نبات
وفنى او لم يكن بها شئ اصلا + ثم استأنف بيان كونها آية بقوله تعالى احييناها اى باخراج النبات
فيها او باعادته بسبب المطر كما كان بعد اضمحلاله فان قيل الارض آية مطلقا فلم خصها بهم حيث
قال تعالى وآية لهم اجيب بان الآية تعدد وتسرد لمن لم يعرف الشئ بابلغ الوجوه واما من عرف
الشئ بطريق الرؤية فلا يذكر له دليل فالنبى صلى الله عليه وسلم وعباد الله المخلصين عرفوا الله تعالى
قبل الارض والسماء فليست الارض معرفة لهم + تنبيه + آية خبر مقدم ولهم صفتها او متعلقة
بآية لانها علامة والارض مبتدأ واعربوا ابو البقاء آية مبتدأ ولهم الخبر والارض الميتة مبتدأ وصفة واحييناها
خبره فالجملة مفسرة لآية وبهذا بدأ ثم قال وقيل فذكر الوجه الاول + ولما كان اخراج الاقوات نعمة اخرى
قال واخرجنا منها حبا اى جنس الحب كالحنطة والشعير والارز + ثم بين عموم نفعه بقوله فمنه اى بسبب
هذا الاخراج يأكلون اى من ذلك الحب فهو حب حقيقة تعلمون ذلك علم اليقين وعين اليقين
وحق اليقين لا تقدرون تدعون ان ذلك خيال سحرى بوجه من الوجوه وفى هذه الآية
وامثالها حث عظيم على تدبر القرآن واستخراج ما فيه من المعانى الدالة على جلال الله تعالى
وكماله وقد انشد هنا الاستاذ القشيرى فى تفسيره وعيب على من اهمل ذلك ؎ يا من
تصدر فى دست الامامة فى + مسائل الفقه املاء وتدريسا + غفلت عن حجج التوحيد تحكمها
شيدت فرعا وما مهدت تأسيسا + ولما ذكر الزرع وهو ما لا ساق له اتبعه بذكر ما له
ساق بقوله وجعلنا اى بما لنا من العظمة فيها اى الارض جنات اى بساتين من نخيل
وأعناب فذكر هذين النوعين لكثرة نفعهما وقدم النخل لانه نفع كله خشبه

وسعفه وليفه وخوصه وعراجينه وثمره طلعا وبسرا ورطبا وتمرا وفيه زينة وانما لكونه لا يسقط
ورقه + ولما كانت الجنان لا تصلح الا بالماء قال تعالى وَفَجَّرْنَا اي فتحنا شيئا عظيما فِيهَا اي الارض
مِنَ الْعُيُونِ شيئا فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة
عند الاخفش قال البقاعي والتعريف هنا يدل على ان الارض مركبة على الماء
فكل موضع منها صالح لان يتفجر منه الماء ولكن الله تعالى يمنعه من بعض المواضع بخلاف
الاشجار ليس فيها شئ غالب على الارض ففي ذلك تذكير بالنعمة في حبس الماء عن بعض
الارض ليكون موضعا للسكنى ولو شاء لفجر الارض كلها عيونا كما فعل بقوم نوح فاغرق
اهل الارض كلهم وقرأ نافع وابو عمرو وهشام وحفص برفع العين والباقون بالكسر
+ ولما كانت حياة كل شئ انما هي بالماء اشار الى ذلك بقوله تعالى لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ اي ثمر
ماذكر وهو الجنات وقيل الضمير يعود على الاعناب لانها اقرب مذكور وكان من
حق الضمير ان يثنى لتقديم شيئين وهما الاعناب والنخيل الا انه اكتفى بذكر احدهما وقيل الضمير
لله على طريق الالتفات من التكلم الى الغيبة وقرأ حمزة والكسائي برفع الثاء والميم وهو
لغة فيه او جمع ثمار والباقون بفتحهما وقوله تعالى وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ عطف على الثمر والمراد
ما يتخذ منه كالعصير والدبس فما موصولة اي ومن الذي عملته ايديهم ويؤيد هذا قراءة حمزة
والكسائي وشعبة بحذف الهاء من عملته وما نافية على قراءة الباقين باثباتها اي وجدوها
معمولة ولم تعملها ايديهم ولا صنع لهم فيها وقيل اراد العيون والانهار التي لم تعملها يد مخلوق مثل دجلة
والفرات والنيل ثم لما عدد النعم اشار الى الشكر بقوله تعالى أَفَلَا يَشْكُرُونَ اي الشكر وافهموا بصيغة
الاستفهام اي ادابوا انما في ايقاع الشكر والدوام على تجديده في كل حين بسبب هذه النعم
+ ولما امرهم الله تعالى بالعبادة وهم تركوها وعبدوا غيره واشركوا قال تعالى سُبْحَانَ الَّذِي
خَلَقَ الْأَزْوَاجَ اي الاصناف والانواع كُلَّهَا اي وغيره لم يخلق شيئا ثم بين ذلك بقوله تعالى
مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ دخل فيه كل نجم وشجر ومعدن وغيره من كل ما يتولد منها
وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ من الذكور والاناث وقوله تعالى وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ يدخل فيه ما في اقطار السموات
وتخوم الارضين من المخلوقات العجيبة الغريبة + ولما استدل تعالى باحوال الارض وهو المكان
الكلي استدل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي بقوله تعالى وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ اي على اعادة الشئ
بعد فنائه نَسْلَخُ اي نفصل مِنْهُ النَّهَارَ فان دلالة الزمان والمكان متناسبة لان المكان لا يستغنى
عنه الجواهر والزمان لا يستغنى عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان + تنبيه + نسلخ
استعارة تبعية مصرحة شبه انكشاف ظلمة الليل بكشط الجلد من الشاة والجامع ما يعقل من ترتب
احدهما على الاخر فَإِذَا هُمْ اي بعد ازالة ما للنهار الذي سلخناه من الليل مُظْلِمُونَ اي
داخلون في الظلام بظهور الليل الذي كان الضياء ساترا له كما يستر الجلد الشاة قال الماوردي

وذلك ان ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فاذا خرج منه اظلم نقله ابن الجوزي عنه وقد
ارشد السياق حتما الى ان التقدير والنهار نسلخ من الليل الذي كان ساترة وغالبا عليه فاذا هم مبصرون
ولما ذكر الوقتين ذكر ايتيهما مبتدئا باية النهار بقوله تعالى وَالشَّمْسُ اي التي سلخ النهار من الليل بغيبوبتها
تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا اي لحد معين ينتهي اليه دورها لا تجاوزه فشبه بمستقر المسافر اذا قطع سيره
وقيل مستقرها بانتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل انها تسير حتى تنتهي الى ابعد
مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها لا تجاوزه وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف
ونهاية هبوطها في الشتاء وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مستقرها تحت العرش
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر حين غربت الشمس تدري اين تذهب قلت الله ورسوله
اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها
وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى
والشمس تجري لمستقر لها ولما كان هذا الجري على نظام لا يختل على مر السنين وتعاقب الاحقاب
عظمه بقوله تعالى ذٰلِكَ اي الامر الباهر للعقول وزاد في عظمه بصيغة التفعيل بقوله تعالى تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ اي الذي لا يقدر احد في شيء من امره على نوع مغالبة وهو غالب على كل شيء الْعَلِيمِ
اي المحيط علما بكل شيء الذي يدبر الامر فيطرد على نظام عجيب ونهج بديع لا يعتريه وهن لا يلحقه
يوما نوع خلل ويحتمل ان تكون الاشارة الى المستقر اي ذلك المستقر تقدير العزيز العليم ولما ذكر
اية النهار اتبعها اية الليل بقوله تعالى وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ اي من حيث سيره مَنَازِلَ ثمانية وعشرين
منزلا في ثمانية وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وليلة ان
كان الشهر تسعة وعشرين يوما وقد ذكرنا اسامي المنازل في سورة يونس عليه السلام فاذا صار
القمر في اخر منازله دق فذلك قوله تعالى حَتّٰى عَادَ اي بعد ان كان بدرا عظيما كَالْعُرْجُونِ من النخل
وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته وهو منبته من النخلة دقيقا منحنيا ثم وصفه بقوله تعالى
الْقَدِيمِ فانه اذا عتق يبس وتقوس واصفر فيشبه القمر في دقته وصفرته في راي العين في اخر
المنازل قال القشيري ان القمر يبعد عن الشمس ولا يزال يتباعد حتى يعود بدرا ثم يدنو فكلما ازداد
من الشمس دنوا ازداد في نفسه نقصانا الى ان يتلاشى وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو والقمر برفع الراء
والباقون بالنصب والرفع على الابتداء والنصب باضمار فعل على الاشتغال والوجهان مستويان
لتقدم جملة ذات وجهين وهي قوله تعالى والشمس تجري فان راعيت صدرها رفعت لتعطف
جملة اسمية على مثلها وان راعيت عجزها نصبت لتعطف فعلية على مثلها ولما قرر ان لكل منهما منازل
لا يعدوها فلا يغلب ما هو ايته اية الاخرى اذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان ذاك واذا جاء ذاك
ذهب هذا قال تعالى لَا الشَّمْسُ التي هي اية النهار يَنْبَغِي اي يسهل لَهَا اي ما دام هذا الكون موجودا
على هذا الترتيب اَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ اي تجتمع معه في الليل فما النهار سابق الليل وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ

اى فلا يأتى احدهما قبل انقضاء الآخر فالآية من الاحتباك لانه نفى اولا ادراك الشمس لقوتها القمر ففيه دليل على ما حذف من الثانى من نفى ادراك الشمس للقمر اى فيغلبها وان كان يوجد فى النهار لكن من غير سلطنة فيه بخلاف الشمس فانها لا تكون فى الليل اصلا ونفى ثانيا سبق الليل النهار وفيه دليل على حذف سبق النهار الليل اولا كما قدرته وَكُلٌّ اى من الشمس والقمر فِي فَلَكٍ يحيط به وهو الجسم المستدير او السطح المستدير او الدائرة لان اهل اللغة على ان فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها وفلكة الخيمة هى الخشبة المسطحة المستديرة التى توضع على راس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة وهى صفحة مستديرة فان قيل فعلى هذا تكون السماء مستديرة وقد اتفق اكثر المفسرين على ان السماء مبسوطة لها اطراف على جبال وهى كالسقف المستوى ويدل عليه قوله تعالى والسقف المرفوع اجاب الرازى بانه ليس فى النصوص ما يدل دلالة قاطعة على كون السماء مبسوطة غير مستديرة بل دل الدليل الحسى على كونها مستديرة فوجب المصير اليه والسقف المقبب لا يخرج عن كونه سقفا وكذلك على جبال ومن الادلة الحسية ان السماء لو كانت مستوية لكان ارتفاع اول النهار ووسطه وآخره مستويا وليس كذلك وذكر غير ذلك من الادلة وفى هذا كفاية ولما ذكر لها فعل العقلاء من كونها على نظام محرر لا يختل ومسير مقدر لا يعوج ولا يحول جمعها جمع من يعقل بقوله تعالى يَسْبَحُونَ وقال الجمهور قوله تعالى يسبحون يدل على انها احياء لان ذلك لا يطلق الا على العاقل قال الرازى ان ارادوا القدر الذى يكون منه التسبيح فنقول به لان كل شئ يسبح بحمده وان ارادوا شيئا آخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كما فى قوله تعالى فى حق الاصنام الا تأكلون ما لكم لا تنطقون ولما ذكر سبحانه وتعالى ما حد له سعيا ودأبا فى السباحة فى جهة الفلك ذكر ما هيأ به من الفلك للسباحة على وجه الماء بقوله تعالى وَآيَةٌ لَّهُمْ اى على قدرتنا التامة أَنَّا اى على ما لنا من العظمة حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ اى آباءهم الاصول قال البغوى واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الاولاد والالف واللام فى قوله تعالى فِي الْفُلْكِ للتعريف اى فلك نوح عليه الصلاة والسلام وهو مذكور فى قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا وهو معلوم عند العرب ثم وصف الفلك بقوله تعالى الْمَشْحُونِ اى الموقر المملوء حيوانا واناسا وهو يتقلب فى تلك المياه التى لم ير احد قط مثلها ولا يرى ايضا مع ذلك فسلمها الله تعالى وايضا الآدمى يرسب فى الماء ويغرق فحمله فى الفلك واقع بقدرته تعالى لكن من الطبيعيين من يقول الخفيف لا يرسب لانه يطلب جهة فوق فقال الفلك المشحون اثقل من الثقال التى ترسب ومع هذا حمل الله الانسان فيه مع ثقله وقال اكثر المفسرين ان الذرية لا تطلق الا على الولد وعلى هذا فالمراد اما ان يكون الفلك المعين الذى كان لنوح عليه الصلاة والسلام واما ان يكون المراد الجنس كقوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون وقوله تعالى وترى الفلك فيه مواخر وقوله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك الخ فيه وذلك من استعمال لام التعريف فى الفلك لبيان الجنس فان كان المراد سفينة نوح عليه السلام

ففيه وجوه الاول ان المراد حملنا اولادهم الى يوم القيمة فى ذلك الفلك ولولا ذلك ما بقى للاب
نسل ولا عقب وعلى هذا فقوله تعالى حملنا ذريتهم اشارة الى كمال النعمة اى لم تكن النعمة مقتصرة عليكم
بل متعدية الى اعقابكم الى يوم القيمة وهذا قول الزمخشرى قال ابن عادل ويحتمل ان يقال انه تعالى
انما خص الذرية بالذكر لان الموجودين كانوا كفارا لا فائدة فى وجودهم فقال تعالى حملنا
ذريتهم اى لم يكن الحمل حملا لهم وانما كان حملا لما فى اصلابهم من المؤمنين كمن حمل صندوقا لا قيمة
وفيه جواهر قيل انه لم يحمل الصندوق وانما حمل ما فيه ثانيها ان المراد بالذرية الجنس اى حملنا اجناسهم
لان ذلك الحيوان من جنسه ونوعه والذرية تطلق على الجنس ولذلك تطلق على النساء لنهى النبى صلى
الله عليه وسلم عن قتل الذرارى اى النساء لان المرأة وان كانت صنفا غير صنف الرجل لكنها من
جنسه ونوعه يقال ذرارينا اى امثالنا ثالثها ان الضمير فى قوله تعالى وآية لهم الليل للعباد وكذا وآية
لهم انا حملنا ذريتهم واذا علم هذا فكانه تعالى قال وآية للعباد انا حملنا ذرية العباد ولا يلزم ان يكون المراد
بالضمير فى الموضعين اشخاصا معينين كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ويذيق بعضكم بأس بعض ولذلك
اذا تقاتل قوم وماتت الكل فى القتال فقال هؤلاء القوم هم قتلوا انفسهم فهم فى الموضعين يكون عائدا
الى القوم ولا يكون المراد اشخاصا معينين بل المراد ان بعضهم قتل بعضهم فكذلك قوله تعالى وآية
لهم اى آية لكل بعض منهم انا حملنا ذرية كل بعض منهم او ذرية بعض منهم واذا قلنا المراد جنس الفلك قال
ابن عادل وهو الاظهر لان سفينة نوح عليه السلام لم تكن بحضرتهم ولم يعلموا من حمل فيها فاما
جنس الفلك فانه ظاهر لكل احد وقوله تعالى فى سفينة نوح عليه السلام وجعلناها آية للعالمين اى
بوجود جنسها ومثلها ويؤيده قوله تعالى الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان فى ذلك
لآيات لكل صبار شكور فان قيل ما الحكمة فى قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة وآية لهم الليل و
وآية لهم الفلك اجيب بان حملهم فى الفلك هو العجب اما نفس الفلك فليس بعجب لانه كبيت مبنى من
خشب واما نفس الارض فعجيب ونفس الليل فعجيب لا قدرة لاحد عليهما الا الله فان قيل قال تعالى
وحملناكم فى البر والبحر ولم يقل ذريتكم مع ان المقصود فى الموضعين بيان النعمة لا دفع النقمة اجيب بانه
تعالى لما قال فى البر والبحر عم الخلق جميعا لانه ما من احد الا وحمل فى البر والبحر واما الحمل
فى البحر فلم يعم فقال ان كنا ما حملناكم بانفسكم فقد حملنا من يهمكم امره من الاولاد والاقارب والاخوان
والاصدقاء وقرأ نافع وابن عامر بالف بعد الياء التحتية وكسر الفوقانية على الجمع والباقون
بغير الف وفتح الفوقانية على الافراد واختلف فى تفسير قوله تعالى وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّنْ مِّثْلِهِ اى
من مثل الفلك مَا يَرْكَبُونَ فقال ابن عباس يعنى الابل فالابل فى البر كالسفن فى البحر وقيل
المراد به السفن التى عملت بعد سفينة نوح عليه السلام على هيأتها وقال قتادة والضحاك وغيرهما
المراد به السفن الصغار التى تجرى فى الانهار كالفلك الكبار فى البحار وَإِنْ نَّشَأْ اى لاجل
ما لنا من القوة الشاملة والقدرة التامة نُغْرِقْهُمْ اى مع ان هذا الماء الذى يركبونه ليس

كالماء الذي حملنا فيه آباءهم فلا صريخ لهم أي مغيث لهم ينجيهم مما نزل بهم من الغرق أو فلا إغاثة
لهم كقولهم أتاهم الصريخ ولا هم أي بأنفسهم من غير صريخ ينقذون أي يكون لهم إنقاذ أي خلاص لأنفسهم
أو غيرها إلا رحمة أي فنحن ننقذهم إن شئنا رحمة منا أي لهم لا وجوبا علينا ولا لمنفعة تعود منهم
إلينا ومتاعا أي وتمتيعنا إياهم بلذاتهم إلى حين أي إلى انقضاء آجالهم وإذا قيل لهم أي من أي
قائل كان اتقوا ما بين أيديكم أي من عذاب الدنيا كغيركم وما خلفكم من عذاب الآخرة
لعلكم ترحمون تعاملون معاملة المرحوم بالإكرام وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما بين أيديكم
يعني الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقال قتادة ومقاتل
ما بين أيديكم وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأمم وما خلفكم عذاب الآخرة * تنبيهان *
أحدهما إلا رحمة منصوب على المفعول له وهذا مستثنى مفرغ وقيل مستثنى منقطع وقيل على المصدر
بفعل مقدر وقيل على إسقاط الخافض أي إلا برحمة والفاء في قوله تعالى فلا صريخ لهم رابطة لهذه
الجملة بما قبلها فالضمير في لهم عائد على المغرقين ثانيهما جواب إذا محذوف تقديره أعرضوا
يدل عليه قوله تعالى بعده إلا كانوا عنها معرضين وعلى هذا فلفظ كانوا زائد وما تأتيهم من آية
من آيات ربهم أي المحسن إليهم إلا كانوا أي مع كونها من عند من غمرهم إحسانه وعمهم فضله
وامتنانه عنها معرضين أي دائما إعراضهم وإذا قيل لهم أي من أي قائل كان أنفقوا أي على
من لا شيء له شكرا لله على ما أعطاكم قال صلى الله عليه وسلم هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم
إنما يرحم الله تعالى من عباده الرحماء وبين تعالى أنهم يبخلون بما لا صنع لهم فيه بقوله تعالى مما رزقكم الله
أي مما أعطاكم الله الذي له جميع صفات الكمال قال الذين كفروا أي ستروا وغطوا ما دلتهم
عليه أنوار عقولهم من الخيرات للذين آمنوا أي استهزاء بهم أنطعم من لو يشاء الله أي الذي
له جميع العظمة كما زعمتم في كل وقت يريده أطعمه وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة أنفقوا
على المساكين مما زعمتم من أموالكم أنه لله سبحانه وتعالى وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأموالهم
قالوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه لكنا ننظره لا يشاء ذلك فإنه لم يطعمهم مما نرى من فقرهم
فنحن أيضا لا نشاء ذلك موافقة لمراد الله تعالى فيه فتركوا التأدب مع الأمر وأظهروا التأدب مع
بعض إرادة الله المنهي عن الجري معها والاستسلام لها وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطي
من حرمه الله تعالى وهذا الذي يزعمونه باطل لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء
فمنع الدنيا عن الفقير لا بخلا وأمر الغني بالإنفاق لا حاجة إلى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض
في مال الغني فلا اعتراض لأحد في مشيئة الله وحكمه في خلقه وما كفاهم حتى قالوا لمن أرشدهم
إلى الخير إن أي ما أنتم إلا في ضلال أي محيط بكم مبين أي في غاية الظهور وما دروا أن
الضلال إنما هو لهم فإن قيل قولهم من لو يشاء الله أطعمه كلام حق فلماذا ذكر في معرض
الذم أجيب بأن مرادهم كان الإنكار لقدرة الله تعالى أو لعدم جواز الأمر بالإنفاق

مع قدرة الله تعالى وكلاهما فاسد فبين ذلك تعالى بقوله سبحانه مما رزقكم الله فانه يدل على قدرته
ويصح امره بالاعطاء لان من كان له مع الغير مال وله في خزانته مال مخير ان اراد اعطى مما في خزانته
وان اراد امر من عنده المال بالاعطاء لا يجوز ان يقول من في يده مال له في خزانتك اكثر مما في يدي
اعطه منه فان قيل ما الحكمة في تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا انتفق على من لو يشاء الله رزقه
لانهم امروا بالانفاق فكان جوابهم ان يقولوا انتفق فلم قالوا انطعم اجيب بان هذا بيان غاية تخلفهم
لانهم انما امروا بالانفاق والانفاق يدخل فيه الاطعام وغيره فلم ياتوا بالانفاق ولا باقل منه
وهو الاطعام وهذا كقول القائل لغيره اعط زيدا دينارا فيقول لا اعطيه درهما مع ان المطابق هو
ان يقول لا اعطيه دينارا ولكن المبالغة في هذا الوجه اتم فكذا هنا تنبيه انما وصفوا المؤمنين
بانهم في ضلال مبين لظنهم ان كلام المؤمنين متناقض ومن تناقض كلامه يكون في غاية الضلال
قال الرازي ووجه ذلك انهم قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وهذا اشارة الى ان الله تعالى ان شاء
ان يطعمهم فهو يطعمهم فكان الامر باطعامهم امرا بتحصيل الحاصل وان لم يشأ اطعامهم لا يقدر
احد على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشأ الله فلا قدرة لنا على الاطعام فكيف تامرونا به ووجه
آخر وهو انهم قالوا ان اراد الله تجويعهم فلو اطعمناهم يكون ذلك سعيا في ابطال فعل الله تعالى
وانه لا يجوز وانتم تقولون اطعموهم فهو ضلال واعلم انه لم يكن في الضلال الا هم حيث نظروا الى
المراد ولم ينظروا الى الطلب والامر وذلك لان العبد اذا امره السيد بامر لا ينبغي الاطلاع على
المقصود الذي لاجله امر به مثاله اذا اراد الملك الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع عليه احد
وقال للعبد احضر المركوب فلو تطلع واستكشف المقصود الذي لاجله الركوب لنسب الى انه يريد
ان يطلع عدوه على الحذر منه وكشف سره فالادب في الطاعة هو امتثال الامر لا تتبع المراد فالله
سبحانه اذا قال انفقوا مما رزقكم لا يجوز ان يقال لم لم يطعمهم الله مما في خزائنه وقد تقدم ما له بهذا
تعلق وَيَقُولُونَ اي عادة مستمرة مضمومة الى ما تقدم مَتَى هٰذَا وزادوا في الاستهزاء بتسميته
وعدا فقالوا الْوَعْدُ اي البعث الذي تهددونا به تارة تلويحا وتارة تصريحا عجلوه لنا إِنْ كُنْتُمْ
صٰدِقِينَ فيه قال الله تعالى مَا يَنْظُرُونَ اي ينتظرون إِلَّا صَيْحَةً وبين حقارة شانهم وتمام قدرته
بقوله عز وجل وَاحِدَةً وهي نفخة اسرافيل عليه السلام الاولى المميتة تَأْخُذُهُمْ وقوله تعالى
وَهُمْ يَخِصِّمُونَ قرأ حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم يخصم والمعنى يخصم بعضهم بعضا
فالمفعول محذوف وابو عمرو وقالون باخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد ونافع وابن كثير
وهشام كذلك الا انهم باختلاس فتحة الخاء والباقون بكسر الخاء وتشديد الصاد والاصل في
القراآت الثلاث يختصمون فادغمت التاء في الصاد فنافع وابن كثير وهشام نقلوا فتحتها الى الساكن
قبلها نقلا كاملا وابو عمرو وقالون اختلسا حركتها تنبيها على ان الخاء اصلها السكون والباقون
حذفوا حركتها فالتقى ساكنان لذلك فكسروا اولهما فهذه اربع قراآت + ولما كانت هذه

هي النفخة المميتة تسبب عنها قوله تعالى فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً اي يوجدون الوصية في شئ من الاشياء
وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ اي فضلا عن غيرهم يَرْجِعُونَ اي فيروا حالهم بل يموت كل واحد في مكانه حيث ع
تفجؤه الصيحة وربما افهم التعبير بالى انهم يريدون الرجوع فيخطون خطوة او نحوها وفي الحديث لتقومن
الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يبيعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد رفع الرجل
اكلته الى فيه فلا يطعمها + ولما دل ذلك على الموت قطعا عقبه بالبعث بقوله تعالى
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ اي القرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين اربعون سنة + ولما كان هذا النفخ
سببا لقيامهم عنده من غير تخلف عبر تعالى بما يدل على التعقب والتسبب والفجأة بقوله
تعالى فَإِذَا هُم اي حين النفخ مِّنَ الْأَجْدَاثِ اي القبور واحدها جدث المهيأة هي ومن
فيها لسماع ذلك النفخ فان قيل كيف يكون في ذلك الوقت اجداث وقد زلزلت الصيحة الجبال
اجيب بان الله تعالى يجمع اجزاء كل ميت في الذي قبر فيه فيخرج من ذلك الموضع وهو جدثه
إِلَىٰ رَبِّهِمْ اي الى الموقف الذي اعده لهم من احسن اليهم بالتربية يَنسِلُونَ اي يسرعون
المشي مع تقارب الخطا بقوة ونشاط فيها لها من قدرة شاملة وحكمة كاملة حيث كان صوت
واحد يحيي تارة ويميت اخرى فان قيل المشي اذا توجه الى من احسن اليه يقدم رجلا ويؤخر
اخرى والنسلان سرعة المشي فكيف يوجد منهم اجيب بانهم ينسلون من غير اختيارهم فان قيل
قال في اية اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال ههنا فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان
وقوله تعالى في الموضعين اذا هم يقتضي ان يكونا معا اجيب بان القيام لا ينافي المشي السريع لان
الماشي قائم ولا ينافي النظر او بان ذلك لسرعة الامور كان الكل في زمان واحد كقول القائل
مفر مكر مقبل مدبر معا + واعلم ان النفختين يورثان تزلزلا وانقلابا للاجرام فعند اجتماع الاجرام
يفرقها وهو المراد بالنفخة الاولى وعند تفرق الاجرام يجمعها وهو المراد بالنفخة الثانية + ولما تشوقت النفوس
الى ما يقولون اذا عاينوا ما كانوا ينكرون استأنف قوله تعالى قَالُوا اي الذين هم من اهل الويل يا
للتنبيه وَيْلَنَا اي هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا قال ابي بن كعب
وابن عباس وقتادة انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا
بعثوا بعد النفخة الاخيرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل وقال اهل المعاني ان الكفار اذا عاينوا جهنم
وانواع عذابها دعوا بالويل وصار عذاب القبر في جنبها كالنوم فعدوا امكانهم الذي كانوا فيه مع
ما كانوا فيه من عذاب البرزخ مرقدا هينا بالنسبة الى ما انكشف لهم من العذاب الاكبر فقالوا من بعثنا
من مرقدنا فان قيل ما وجه تعلق من بعثنا من مرقدنا بقولهم يا ويلنا اجيب بانهم لما بعثوا تذكروا
ما كانوا يسمعون من الرسل عليهم الصلوة والسلام فقالوا يا ويلنا ابعثنا الله البعث الموعود به ام كنا نياما
فنبهنا كما اذا كان الانسان موعودا بان يأتيه عدو لا يطيقه ثم يرى رجلا هائلا يقبل عليه
فيرتجف في نفسه ويقول اهذا ذاك ام لا ويدل على هذا قولهم من مرقدنا حيث جعلوا القبور

موضع الرقاد اشارة الى انهم شكوا فى انهم كانوا نياما فتنبهوا او كانوا موتى فبعثوا وكان الغالب على ظنهم
هو البعث فجمعوا بين الامرين وقالوا من مرقدنا اشارة الى متوهمهم احتمال الانتباه وقولهم هذا
اشارة الى البعث مَا اى الذى وَعَدَ اى به الرَّحْمٰنُ اى العام الرحمة الذى رحمته مقتضية ولابد للبعث
لينصف المظلوم من ظالمه ويجازى كلا بعمله من غير حيف وقد رحمنا بارسال الرسل عليهم الصلوة والسلام
المبلغين لنا ذلك وطالما انذرونا طوله وحذرونا صعوبته وطوله وَصَدَقَ اى فى امره الْمُرْسَلُوْنَ اى
الذين اتونا بوعد الله تعالى ووعيده + تنبيه + فى اعراب هذا وجهان اظهرهما انه مبتدأ وما بعده
خبره ويكون الوقف تاما على قوله تعالى من مرقدنا وهذه الجملة حينئذ فيها وجهان احدهما
انها مستأنفة اما من قول الله تعالى او من قول الملائكة او من قول المؤمنين الثانى انها من كلام
الكفار فتكون فى محل نصب بالقول الثانى من الوجهين الاولين هذا صفة لمرقدنا وما بعده
منقطع عما قبله ثم فى ما وجهان احدهما انها فى محل رفع بالابتداء والخبر مقدر اى الذى وعده الرحمن
وصدق المرسلون فيه حق عليكم واليه ذهب الزجاج والزمخشرى والثانى انه خبر مبتدأ مضمر
اى هذا الذى وعد الرحمن اِنْ اى ما كَانَتْ اى النفخة التى وقع الاحياء بها اِلَّا صَيْحَةً وَّاحِدَةً اى كما
كانت صيحة الاماتة واحدة فَاِذَا هُمْ اى فجأة من غير توقف اصلا جَمِيْعٌ اى على حالة الاجتماع لم يتأخر
منهم احد لَّدَيْنَا اى عندنا مُحْضَرُوْنَ ثم بين تعالى ما يكون فى ذلك اليوم بقوله تعالى فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ اى اى نفس كانت مكروهة او محبوبة شَيْئًا اى لا يقع لها ظلم ما من احد ما فى شئ ما
وَلَا تُجْزَوْنَ اى على عمل من الاعمال شيئا من الجزاء من احد اِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ دينا لكم بما ركز فى
جبلاتكم ثم بين تعالى حال المحسن بقوله تعالى اِنَّ اَصْحٰبَ الْجَنَّةِ اى الذين لاحظ للنار فيهم الْيَوْمَ
اى يوم البعث وهذا يدل على انه يعجل دخولهم ودخول بعضهم اليها ووقوف الباقين للشفاعات
ونحوها من الكرامات عند دخول اهل النار النار وعبر بما يدل على انهم بكلياتهم مقبلون عليه
ومطرقون له مع توجههم اليه بقوله فِىْ شُغُلٍ اى عظيم جدا لا تبلغ وصفه العقول كما كانوا فى الدنيا فى
اشتغال الشغل بالمجاهدات فى الطاعات وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين والباقون بالاسكان ثم
بين ذلك الشغل بقوله فٰكِهُوْنَ اى متلذذون فى النعمة واختلف فى هذا الشغل فقال ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما فى افتضاض الابكار وقال وكيع بن الجراح رضى الله عنهما فى السماع وقال الكلبى فى شغل عن
اهل النار وما هم فيه لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم وقال ابن كيسان فى زيارة بعضهم بعضا
وقيل فى ضيافة الله تعالى فاكهون وقيل فى شغل عن هول اليوم يأخذون ما آتاهم الله تعالى من الثواب
فما عندهم خبر من عذاب ولا حساب وقوله تعالى فاكهون متمم لبيان سلامتهم فانه لو قال فى شغل
جاز ان يقال هم فى شغل اعظم من التفكر فى اليوم واهواله فان من تصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه
امر من امور ه او يخبر بخسران وقع فى ماله يقول انا مشغول عن هذا باهم منه فقال فاكهون
اى شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور وقال ابن عباس رضى الله عنهما فاكهون

فرحون . ولما كانت النفس لا يتم سرورها الا بالقرين الملائم قال تعالى هُمْ اى بظواهرهم وبواطنهم وَأَزْوَاجُهُمْ اى اشكالهم الذين لهم فى غاية الملاءمة كما كانوا يتركونهم فى المضاجع على الذ ما يكون ويصفون اقدامهم فى خدمتنا وهم يبكون من خشيتنا وفى هذا اشارة الى عدم الوحشة فِى ظِلَلٍ اى يجدون فيها برد الاكباد وغاية المراد فلا تصيبهم الشمس كما كانوا يشوون اكبادهم فى دار العمل بحر الصيام والصبر فى مرضاتنا على الآلام ويعرون ابدانهم وقلوبهم من الاموال ببذل الصدقات فى سبيلنا على ممر الليالى وكر الايام . تنبيه . ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائى بضم الظاء ولا الف بين اللامين وهم مبتدأ وخبره فى ظلال كما قال ابو البقاء . ولما كان التمتع لا يكمل الا مع العلو الممكن من زيادة العلم الموجب لارتياح النفس وبهجة العين بانفساح البصر عند مد النظر قال تعالى عَلَى الْأَرَائِكِ اى السرر المزينة العالية التى هى داخل الحجال قال ثعلب لا تكون اريكة حتى تكون عليها حجلة وقال ابن جرير الارائك الحجال فيها السرر وروى ابو عبيدة فى الفضائل عن الحسن قال كنا لا ندرى ما الارائك حتى لقينا رجل من اهل اليمن فاخبرنا ان الاريكة عندهم الحجلة فيها السرير وهذا جزاء لما كانوا يلزمون المساجد ويغضون ابصارهم ويضعون نفوسهم لاجلنا مُتَّكِئُونَ كما كانوا يدأبون فى الاعمال قائمين بين ايدينا فى اغلب الاحوال والاتكاء الميل على شق مع الاعتماد على ما يريح الاعتماد عليه او الجلوس مع التمكن على هيئة المتربع وفى هذا اشارة الى الفراغ وقوله تعالى لَهُمْ اى خاصة بهم فِيهَا فَاكِهَةٌ اى لا تنقطع ابدا ولا مانع لهم من تناولها ولا يتوقف ذلك على غير الارادة اشارة الى ان لا جوع هناك لان التفكه لا يكون لدفع الجوع وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ اى يتمنون . تنبيه . فى ما هذه ثلاثة اوجه موصولة اسمية نكرة موصوفة والعائد على هذين محذوف مصدرية ويدعون مضارع ادّعى افتعل من دعا يدعو واشرب معنى التمنى وقال الزجاج هو من الدعاء اى ما يدعو اهل الجنة يأتيهم من دعوت غلامى فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحل وقيل افتعل بمعنى تفاعل اى ما يتداعونه كقولهم ارتموا وتراموا بمعنى واحد ثم فسر الذى يدعونه اى يطلبونه بغاية الاشتياق اليه واستأنف الاخبار عنه بقوله تعالى سَلَامٌ اى عظيم جدا عليكم يا اهل الجنة والسلام يجمع جميع النعم ثم بين هذا السلام بما اظهر من عظمته بقوله قَوْلًا مِنْ رَبٍّ اى دائم الاحسان رَحِيمٍ اى عظيم الاكرام بما ترضاه الالهية كما كانوا فى الدنيا يفعلون كل ما فيه الرضا فيرحمهم فى حال السلام وسماع الكلام بلذة الرؤية مع التقوية على الدهش والضعف لعظيم الامر وبالتاهيل لهذا المقام الاكرم مع قصورهم عنه روى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته

عليهم فى ديارهم وقيل تسلم عليهم الملائكة من ربهم لقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب سلام عليكم اى يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة الابدية + ولما
ذكر ما للمؤمنين من النعيم ذكر ما للكافرين من الجحيم بقوله تعالى وَامْتَازُوا اى ويقال للمجرمين امتازوا اى
انفردوا اَلْيَوْمَ اَيُّهَا الْمُجْرِمُوْنَ عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم قال الضحاك لكل كافر فى النار بيت
يدخل ذلك البيت فيردم بابه بالنار فيكون فيه ابد الابدين لايرى ولايرى وقيل ان قوله تعالى
وامتازوا امر تكوين فحين يقول امتازوا اليوم فيميزون بسيماهم ويظهر على جباههم وفى وجوههم سواد كما قال تعالى
يعرف المجرمون بسيماهم + ولما امروا بالامتياز وشخصت منهم الابصار وكلحت الوجوه وتنكست الرؤس قال
تعالى موبخا لهم اَلَمْ اَعْهَدْ اِلَيْكُمْ اى اوصيكم ايصاء عظيما بما نصبت من الادلة ومتعت من العقول
وبعثت من الرسل عليهم الصلوة والسلام وانزلت من الكتب فى بيان الطريق الموصل
الى النجاة + ولما كان المقصود بهذا الخطاب تقريعهم وتبكيتهم وكانت هذه السورة قلبا
وكان القلب اشرف الاعضاء وكان الانسان اشرف الموجودات خصه بالخطاب بقوله تعالى
يٰبَنِيْٓ اٰدَمَ اى على لسان رسلى عليهم الصلوة والسلام واختلف فى معنى هذا العهد على وجوه اقواها
الم اوص اليكم كما مر وقيل امركم وقيل غير ذلك واختلفوا فى هذا العهد ايضا على اوجه اظهرها انه
مع كل قوم على لسان رسلهم كما مر وقيل هو العهد الذى كان مع آدم فى قوله تعالى ولقد
عهدنا الى آدم وقيل هو الذى كان مع ذريته عليه السلام حين اخرجهم وقال الست بربكم قالوا
بلى اَنْ لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطٰنَ اى البعيد المحترق بطاعتكم فيما يوسوس به اليكم والطاعة قد تطلق
على العبادة ثم علل النهى عن عبادته بقوله تعالى اِنَّهٗ لَكُمْ والتاكيد لان افعالهم
افعال من يعتقد صداقته عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ اى ظاهر العداوة جدا من جهة عداوته لابيكم التى اخرجكم
من الجنة التى لامنزل اشرف منها ومن جهة امركم بما ينغص الدنيا من التخالف والخصام ومن
جهة تزيينه للفانى الذى لايرغب فيه عاقل لو لم يكن فيه عيب غير فنائه فكيف اذا كان الكثرة اكدارا
وادناسا فكيف اذا كان شاغلا عن الباقى فكيف اذا كان عائقا عن المولى فكيف اذا كان مغضبا له
حاجبا عنه فان قيل اذا كان الشيطان عدوا للانسان فما بال الانسان يقبل على ما يرضيه
من الزنا والشرب ونحو ذلك ويكره ما يسخطه من المجاهدة والعبادة ونحو ذلك اجيب بانه يستعين
عليه باعوان من عند الانسان وترك استعانة الانسان بالله تعالى فيستعين بشهوته التى خلقها
الله تعالى فيه لمصالح بقائه وبقاء نوعه ويجعلها سببا لفساد حاله ويدعوه بها الى مسالك المهالك
وكذا يستعين بغضبه الذى خلقه الله تعالى فيه لدفع المفاسد عنه ويجعله سببا لوباله وفساد احواله
وميل الانسان الى المعاصى كميل المريض الى المضار وذلك حيث يحرف المزاج عن الاعتدال فترى
المحموم يريد الماء البارد وهو يزيد فى مرضه ومن معدته فاسدة لاتهضم القليل من الغذاء يميل الى الاكل الكثير
ولايشبع بشئ وهو يزيد فساد معدته وصحيح المزاج لايشتهى الا ما ينفعه + ولما منع من عبادة الشيطان

من عبادة الرحمن بقوله عاطفا على ان لا وأن اعبدونى اى وحدونى واطيعونى هذا اى الامر بعبادتى
صراط اى طريق مستقيم اى بليغ الاستقامة وعبادة الشيطان طريق ضيق معوج غاية الضيق
والعوج وقرأ قنبل بالسين وخلف بالاشمام اى بين الصاد والزاى والباقون بالصاد ثم ذكر ما ينبه
لعداوة الشيطان بقوله تعالى ولقد اضل منكم اى عن الطريق الواضح السوى بما سلطه به من الوسوسة
جبلا اى امما كبارا عظاما كانوا كالجبال فى قوة العزائم وصعوبة الانقياد ومع ذلك كان يلعب بهم
كما تلعب الصبيان بالكرة فسبحان من اقدره على ذلك والا فهو اضعف كيدا واحقر امرا
وقرأ نافع وعاصم بكسر الجيم والباء الموحدة وتشديد اللام مع التنوين وقرأ ابو عمرو وابن عامر بضم
الجيم وسكون الموحدة والباقون بضم الجيم والموحدة وكلها لغات ومعناها الخلق والجماعة وخلقا
كثيرا ثم زاد فى التوبيخ والانكار بقوله تعالى أفلم تكونوا تعقلون اى عداوته واضلاله وما حل
بهم من العذاب فتؤمنوا ويقال لهم فى الاخرة هذه جهنم اى التى تستقبلكم
بالعبوسة والتجهم كما كنتم تفعلون بعبادى الصالحين التى كنتم توعدون اى ان لم ترجعوا
عن غيكم اصلوها اى قاسوا حرها وتوقدها وهول امرها اليوم فان ذكره على حد ما مضى
بقوله تعالى اليوم ليكونوا فى شغل شاغل كما كان اصحاب الجنة وشتان ما بين الشغلين
بما اى بسبب ما كنتم تكفرون اى تسترون ما هو ظاهر جدا بعقولكم من اياتى فى دار الدنيا
+تنبيه+ فى هذا الكلام ما يوجب شدة ندامتهم وحزنهم من ثلاثة اوجه احدها قوله تعالى اصلوها
امر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم ثانيها قوله تعالى اليوم يعنى العذاب حاضر
ولذاتهم قد مضت وبقى اليوم العذاب ثالثها قوله تعالى بما كنتم تكفرون فان الكفر
والكفران ينبئ عن نعمة كانت تكفر بها وحياء الكفور من المنعم من اشد الالام كما قيل
اليس بكاف لذى همة + حياء المسئ من المحسن + ولما كان كانه قيل هل يحكم فى ذلك اليوم بعلمه
او يجرى الامر على قاعدة الدنيا فى العمل بالبينة نبه على ظهر من قواعد الدنيا بقوله تعالى معولا
اليوم على النسق الماضى فى مظهر العظمة لانه اليق بالتهويل نختم اى بما لنا من عظيم القدرة على
افواههم اى الكفار لاجترائهم على الكذب كقوله سبحانه والله ربنا ما كنا مشركين
وتكلمنا ايديهم اى بما عملوا اقرارا هو اعظم شهادة وتشهد ارجلهم اى عليهم بكلام بين هو
مع كونه شهادة اقرار بما كانوا اى فى الدنيا جبلة لهم يكسبون فكل عضو ينطق بما صدر عنه
فالاية من الاحتباك اثبت الكلام للايدى اولا لانها كانت مباشرة دليلا على حذفه من حيث
الارجل ثانيا واثبت الشهادة للارجل ثانيا لانها كانت حاضرة دليلا على حذفها من حيث الايدى
اولا وتقريبه ان قول المباشر اقرار وقول الحاضر شهادة وفى كيفية هذا الختم وجهان اقواهما ان الله
تعالى يسكت السنتهم وينطق جوارحهم فتشهد عليهم وان ذلك فى قدرة الله تعالى يسير
اما الاسكات فلا خفاء فيه واما الانطاق فان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة فجاز تحريك غيره

بمثلها والله سبحانه قادر على كل الممكنات والوجه الآخر انهم لا يتكلمون بشيء لانقطاع اعذارهم
وانهتاك استارهم فيقفون ناكسي الرؤس لا يجدون عذرا فيعتذرون ولا مجال توبة فيستغفرون
وتكلم الايدي هو ظهور الامر بحيث لا يسع منه الانكار كقول القائل الحيطان تبكي على صاحب الدار
اشارة الى ظهور الحزن والصحيح الاول لما روى ابو هريرة ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة فقال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر
ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في رؤية الشمس عند الظهيرة ليست في
سحاب قالوا لا يا رسول الله قال والذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم كما لا تضارون في رؤيتهما
قال فيلقى العبد فيقول الم اكرمك الم اسودك الم ازوجك الم اسخر لك الخيل والابل واتركك تترأس وتتربع
قال بلى يا رب قال فظننت انك ملاقي فيقول لا يا رب فيقول اليوم انساك كما نسيتني الى ان قال ثم يلقى
الثالث فيقول ما انت فيقول انا عبدك آمنت بك وبنبيك وبكتابك وصمت وصليت وتصدقت ويثني
ما استطاع ثم قال فيقال له الا نبعث عليك شاهدنا قال فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه فيختم
على فيه فيقال لفخذه انطقي قال فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل قال وذلك المنافق وذلك
ليعذر من نفسه وذلك الذي سخط الله عليه ولما روى مسلم في صحيحه عن انس بن مالك قال كنا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قال قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة
العبد ربه قال يقول العبد يا رب الم تجرني من الظلم فيقول بلى فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا
مني فيقول تعالى كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه ويقول
لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل
وقال صلى الله عليه وسلم اول ما يتكلم من الانسان فخذه وكفه *تنبيه* ههنا سؤالات الاول ما
الحكمة في اسناده الختم الى نفسه وقال نختم واسند الكلام والشهادة الى الايدي والارجل الثاني
ما الحكمة في جعل الكلام للايدي والشهادة للارجل الثالث ان يوم القيمة من تقبل شهادته
من المقربين والصديقين كلهم اعداء للمجرمين وشهادة العدو على العدو غير مقبولة وان
كان عدلا وغير الصديقين من الكفار والفساق لا تقبل شهادتهم والايدي والارجل صدرت
الذنوب عنها فهي فسقة فينبغي ان لا تقبل شهادتهم اجيب عن الاول بانه لو قال نختم على افواههم
وتنطق ايديهم لاحتمل ان يكون ذلك جبرا وقهرا والاقرار بالاجبار غير مقبول فقال وتكلمنا ايديهم
وتشهد ارجلهم اي بالاختيار بعد ما يقدرها الله تعالى على الكلام ليكون ادل على صدور الذنب منهم واجيب
عن الثاني بان الافعال تسند الى الايدي قال تعالى وما عملته ايديهم اي ما عملوه وقال تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة اي ولا تلقوا انفسكم فاذن الايدي كالعاملة والشاهد على العامل ينبغي ان يكون غيره
فجعل الارجل والجلود من الشهود لبعد اضافة الافعال اليهن واجيب عن الثالث بان الايدي
والارجل ليسوا من اهل التكليف ولا ينسب اليها عدالة ولا فسق انما المنسوب من ذلك الى

العبد المكلف لا الى اعضائه ولا يقال ورد ان العين تزنى وان الفرج يزنى وان اليد كذلك لان معناه ان المكلف يزنى بها لا انها هى تزنى وايضا فانا نقول فى رد شهادتها بقول شهادتها لانها ان كذبت فى مثل ذلك اليوم مع ظهور الامور لابد ان يكون مذنبا فى الدنيا وان صدقت فى ذلك اليوم فقد صدر منها الذنب فى الدنيا وهذا كمن قال لفاسق ان كذبت فى نهار هذا اليوم فعبدى حر فقال الفاسق كذبت فى نهار هذا اليوم عتق العبد لانه ان صدق فى قوله كذبت فى نهار هذا اليوم فقد وجد الشرط ووقع الجزاء وان كذب فى قوله كذبت فقد كذب فى نهار ذلك اليوم فقد وجد الشرط ايضا بخلاف ما لو قال فى اليوم الثانى كذبت فى نهار ذلك اليوم الذى علقت عتق عبدك على كذبى فيه ثم بين سبحانه وتعالى انه قادر على اذهاب الابصار كما هو قادر على اذهاب البصائر بقوله تعالى وَلَوْ نَشَآءُ وعبر بالمضارع ليتوقع فى كل حين فيكون ابلغ فى التهديد لَطَمَسْنَا عَلٰٓى اَعْيُنِهِمْ اى الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق وهو معنى الطمس كقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم يقول انا اعمينا قلوبهم ولو شئنا اعمينا ابصارهم الظاهرة وقوله تعالى فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ اى ابتدروا الطريق ذاهبين كعادتهم عطف على لطمسنا فَاَنّٰى اى فكيف يُبْصِرُوْنَ الطريق حينئذ وقد اعمينا اعينهم اى لو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فلا يبصرون الطريق وهذا قول الحسن والسدى وقال ابن عباس ومقاتل معناه لو نشاء لطمسنا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا وارشدهم فانى يبصرون ولم افعل ذلك بهم + ولما كان هذا كله مع القدرة على الحركة قال تعالى وَلَوْ نَشَآءُ اى مسخهم لَمَسَخْنٰهُمْ اى حولناهم عن تلك الحاله فجعلناهم حجارة او جعلناهم قردة وخنازير + ولما كان المقصود من المفاجاة بهذا المصائب بيان انه سبحانه لا كلفة عليه فى شئ من ذلك قال تعالى عَلٰى مَكَانَتِهِمْ اى المكان الذى كان قبل المسخ كل شخص منهم شاغلا له بجلوس او قيام او غيره فى ذلك الموضع خاصة قبل ان يتحرك منه وقرأ شعبة بالف بعد النون على الجمع والباقون بغير الف على الافراد فَمَا اسْتَطَاعُوْا اى بانفسهم بنوع معالجة مُضِيًّا اى الى جهة من الجهات ثم عطف على جملة الشرط قوله تعالى وَلَا يَرْجِعُوْنَ اى يجددون لهم بوجه من الوجوه رجوعا الى حالتهم التى كانت قبل المسخ دلالة على ان هذه الامور حق لا كما يقولون من انها خيال وسحر وقيل لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع وَمَنْ نُّعَمِّرْهُ اى نطل عمره اطالة كثيرة نُنَكِّسْهُ قرأ عاصم وحمزة بضم النون الاولى وفتح النون الثانية وتشديد الكاف مكسورة من نكسه مبالغة والباقون بفتح النون الاولى وسكون الثانية وتخفيف الكاف مضمومة من نكسه وهى محتملة للمبالغة وعدمها ومعنى ننكسه فى الخلق او خلقه نرده الى ارذل العمر يشبه الصبى فى الخلق وقيل ننكسه فى الخلق اى ضعفت جوارحه بعد قوتها ونقصانها بعد زيادتها لان الله تعالى اجرى العادة فى النوع الآدمى ان من استوى فى سن الصبا والشباب اثنتين واربعين سنة خمست غرائزه فلا تزيد فيه غريزة ووقفت قواه كلها فلم يزد فيها شئ هذا

في البدن وأما في المعارف فتارة وتارة وهذا أيضاً في غير الأنبياء عليهم السلام أما هم فلا ينقص
شيء من قواهم بل تزداد كما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي غير مكترث وأن الصحابة رضي الله
عنهم يجهدون أنفسهم فيكون جهدهم أن لا يدركوا مشيه الهوينا وأنه صلى الله عليه وسلم صارع
ركانة الذي كان يضرب بقوته المثل وكان واثقاً من نفسه أنه يصرع من صارعه فلم يملكه النبي صلى الله
عليه وسلم نفسه وعاد إلى ذلك ثلاث مرات كل ذلك لا يتمسك في يده حتى خرج يقول إن هذا
العجب يا محمد تصرعني وحتى أنه دار على نسائه وهن تسع كل واحدة منهن تسع مرات في طلق واحد
إلى غير ذلك مما يحكى من قوته التي فاق بها الناس ولم يحك عن نبي من الأنبياء عليهم السلام ممن عاش
منهم ألفاً ومن عاش دون ذلك أنه نقص شيء من قوته بل قد ورد في الصحيح من حديث أبي هريرة
أن ملك الموت عليه السلام أرسل إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه فلما جاءه صكه ففقأ عينه
فقال لربه أرسلتني لعبد لا يريد الموت قال ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت
يده بكل شعرة سنة قال أي رب ثم ماذا قال الموت قال فالآن وكان موسى وقت قبضه ابن مائة
وعشرين سنة أَفَلَا تَعْقِلُونَ أي أن القادر على ذلك عندهم قادر على البعث فيؤمنون وقرأ نافع
وابن ذكوان بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة. ولما منح الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم
غرائب من الفضائل مما عجز عنها الأولون والآخرون وأتى بقرآن أعجز الإنس والجن وعلوم وبركات
فاقت القوى ليس بشعر خلافاً لما رموه به بغياً وكذباً وعدواناً قال تعالى وَمَا عَلَّمْنَاهُ أي نحن الشِّعْرَ فيما أعلمناه
وهو أن يتكلف لتقيد بوزن معلوم وروي مقصود وقافية يلتزمها ويدير المعاني عليها ويجتلب
الألفاظ تكلفاً إليها كما كان زهير وغيره في قصائدهم وما أنا من المتكلفين لأن ذلك إن كنتم أنتم تعدونه
فخراً لا يليق بجنابنا لأنه لا يفرح به إلا من يريد ترويج كلامه وتحليته بصوغه على وزن معروف مقصود
وقافية ملتزمة على أن فيه نقيصة أخرى وهي أعظم ما يوجب النفرة عنه وهي أنه لا بد أن يوهي التزامه
بعض المعاني ولما لم نعلمه هذه الدناءة طبعناه على جميع فنون البلاغة ومكناه من سائر وجوه الفصاحة
ثم أسكنا قلبه ينابيع الحكمة ودربناه على إلقاء المعاني الجليلة بما ألهمناه إياه ثم ألقاه إليه جبريل عليه السلام
مما أمرناه به من جوامع الكلم والحكم فلا تكلف عنده أصلاً ما خير صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا
اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً أو قطيعة رحم ولما كان الشعر مع ما بني عليه من التكلف الذي هو
بعيد جداً عن سجايا الأنبياء عليهم الصلوة والسلام نكبت شرفهم بما يكسب مدحاً وهجواً
فيكون أكثره كذباً إلى غير ذلك قال تعالى وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أي وما يصح له الشعر ولا يسهل لعلي
ما اختبرتم من طبعه نحواً من أربعين سنة لأن منصبه أجل وهمته أعلى من أن يكون مداحاً
أو هجاباً أو أن يتقيد بما قد يجر نقيصة في المعنى وجبلته منافية لذلك غاية المنافاة بحيث لو أراد
نظم شعر لم يتأت له كما جعلناه أمياً لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وما
كان يتزن له بيت شعر حتى إذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسراً روى الحسن أن النبي

صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت ــ كفى بالشيب والاسلام للمرء ناهيا + فقال ابو بكر رضى الله عنه انما قال الشاعر ــ كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا + فقال عمر رضى الله عنه اشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغى له وعن ابن شريح قال قلت لعائشة رضى الله عنها اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان يتمثل من شعر عبد الله بن رواحة قالت وربما قال ــ ويأتيك بالاخبار من لم تزود + وفى رواية قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل بشئ من الشعر الا ببيت اخى بنى قيس طرفة العبدى ــ ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا + ويأتيك بالاخبار من لم تزود فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر ليس هكذا يا رسول الله فقال انى لست بشاعر ولا ينبغى لى وقيل معناه ما كان متأتيا له واما قوله صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم والبخارى انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله كما رواه الشيخان ايضا ــ هل انت الا اصبع دميت + وفى سبيل الله ما لقيت + فاتفاق من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا فى تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عدّ المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روى انه حرك البائين فى قوله ان النبى لا كذب وفى كسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية من قوله هل انت الا اصبع الخ وقيل الضمير للقرآن اى وما يصح ان يكون القرآن شعرا فان قيل لم خص الشعر بنفى التعليم مع ان الكفار كانوا ينسبون الى النبى صلى الله عليه وسلم اشياء من جملتها السحر والكهانة ولم يقل وما علمناه السحر وما علمناه الكهانة اجيب بان الكهانة انما كانوا ينسبون النبى صلى الله عليه وسلم اليها عند ما كان يخبر عن الغيوب وتكون كما يقول واما السحر فكانوا ينسبونه اليه عند ما كان يفعل ما لا يقدر عليه الغير كشق القمر وتكليم الجذع والحجر وغير ذلك واما الشعر فكانوا ينسبونه اليه عند ما كان يتلو القرآن عليهم لكنه صلى الله عليه وسلم ما كان يتحدى الا بالقرآن كما قال تعالى ان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى غير ذلك ولم يقل ان كنتم فى شك من رسالتى فاخبروا بالغيوب او اشبعوا الخلق الكثير بالشئ اليسير فلما كان تحديه صلى الله عليه وسلم بالكلام وكانوا ينسبونه الى الشعر عند الكلام خص الشعر بنفى التعليم + ولما نفى ان يكون ما اتى به جنس الشعر قال تعالى إِنْ اى ما هُوَ اى هذا الذى اتاكم به إِلَّا ذِكْرٌ اى شرف وموعظة وَقُرْآنٌ اى جامع للحكم كلها دينا واخرى يتلى فى المحاريب ويكرر فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين والنظر الى وجه الله العظيم مُبِينٌ اى ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين كلهم ذكيهم وغبيهم بخلاف الشعر فانه مع نزوله عن بلاغته جدا انما ذكر للاذكياء جدا وقوله تعالى لِيُنْذِرَ ضميره للنبى صلى الله عليه وسلم ويدل له قراءة نافع وابن عامر بالتاء الفوقية على الخطاب وقيل للقرآن ويدل له قراءة الباقين بالياء التحتية على الغيبة واختلف فى قوله تعالى مَنْ كَانَ حَيًّا على قولين احدهما

ان المراد به المؤمن لان حى القلب والكافر كالميت فى انه لايتدبر ولايتفكر قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه والثانى المراد به العاقل فهما فيعقل ما يخاطب به فان الغافل كالميت وَيَحِقَّ اى يجب ويثبت الْقَوْلُ اى العذاب عَلَى الْكٰفِرِيْنَ اى العريقين فى الكفر فانهم اموات فى الحقيقة وان رأيتهم احياء ويمكن ان تكون هذه الاٰية من الاحتباك حذف الايمان اوّلا لما دلّ عليه من ضدّه ثانيا وحذف الموت ثانيا لما دلّ عليه من ضده اوّلا وافرد الضمير فى الاول على اللفظ اشارة الى قلة السعداء وجمع فى الثانى على المعنى اعلاما بكثرة الاشقياء اَوَلَمْ يَرَوْا اى يعلموا علما هو كالرؤية والاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف اَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ اى فى جملة الناس مِمَّا عَمِلَتْ اَيْدِيْنَا اى مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدى واسناد العمل اليها استعارة تفيد المبالغة فى الاختصاص والتفرّد فى الاحداث كما يقول القائل عملت هذا بيدى اذا تفرّد به ولم يشاركه فيه احد اَنْعَامًا على علم منا بقواها ومقاديرها ومنافعها وطبائعها وغير ذلك من امورها وانما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلقه وايجاده لان الانعام اكثر اموال العرب والنفع بها اعم فَهُمْ لَهَا مٰلِكُوْنَ اى خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك او فهم لها ضابطون قاهرون منه قول بعضهم

اصبحت لا املك السلاح ولا ٭ املك راس البعير ان نفرا والذئب اخشاه ان مررت به ٭ وحدى واخشى الرياح والمطرا

والشاهد فى قوله ولا املك رأس البعير اى لا اضبطه والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بنى اٰدم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة كما قال تعالى وَذَلَّلْنٰهَا لَهُمْ اى يسرنا قيادها ولو شئنا جعلناها وحشية كما جعلنا اصغر منها واضعف فمن قدر على تذليل الاشياء الصعبة بعد لغيره قادر على تطويع الاشياء لنفسه ثم سبب عن ذلك قوله تعالى فَمِنْهَا رَكُوْبُهُمْ اى ما يركبون وهى الابل لانها اعظم مركوب لهم لعموم منافعها فى ذلك فى كثرتها وَمِنْهَا يَاْكُلُوْنَ اى ما ياكلون لحمه ولما اشار الى عظمة نفع الركوب والاكل بتقديم الجار وكانت منافعها لغير ذلك كثيرة قال تعالى وَلَهُمْ فِيْهَا مَنَافِعُ اى من اصوافها واوبارها واشعارها وجلودها ونسلها وغير ذلك وَمَشَارِبُ اى من البانها جمع مشرب بالفتح وخص الشرب من عموم المنافع بعموم نفعه وجمعه لاختلاف طعوم البان الانواع الثلاثة ولما كانت هذه الاشياء من العظمة بمكان لو فقدها الانسان لتكدّرت معيشته تسبب عنها استئناف الانكار عليهم فى تخلفهم عن طاعته بقوله تعالى اَفَلَا يَشْكُرُوْنَ اى المنعم عليهم بها فيؤمنون ولما ذكرهم تعالى نعمه وحذرهم نقمه عجب منهم فى سفول نظرهم وقبح اثرهم بقوله تعالى موبخا لهم وَاتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِ اى غير اللّٰهِ الذى له جميع صفات الكمال والعظمة اٰلِهَةً اى اصناما يعبدونها بعد ما راوا منه تعالى تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه انفرد بها لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُوْنَ اى رجاء ان ينصروا وهم فيما اخزتهم من الامور والامر بالعكس ٣٦

كما قال تعالى لَا يَسْتَطِيعُونَ اى الالهة المتخذة نَصْرَهُمْ اى العابدين وَهُمْ اى العابدون لَهُمْ اى
للالهة جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ اى الكفار جند للاصنام يغضبون لها ويحضرونها فى الدنيا وهى
لاتسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا فى الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله تعالى
ومعه اتباعه الذين عبدوه كانهم جنده يحضرون فى النار وهذا كقوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا
يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم + ولما بين تعالى ما تبين من قدرته الظاهرة
الباهرة ووهن امرهم فى الدنيا والآخرة ذكر ما يسلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ اى فى تكذيبك كقوله لست مرسلا إِنَّا نَعْلَمُ مَا اى كل ما يُسِرُّونَ اى فى
ضمائرهم من التكذيب وغيره وَمَا يُعْلِنُونَ اى يظهرونه بالسنتهم من الاذى وغيره من
عبادة الاصنام فنجازيهم عليه + ولما ذكر تعالى دليلا على عظم قدرته ووجوب عبادته بقوله
تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما ذكر دليلا من الانفس ابين من الاول بقوله
تعالى أَوَلَمْ يَرَ اى يعلم الْإِنسَانُ علما هو فى ظهوره كالمحسوس بالبصر أَنَّا خَلَقْنَاهُ اى بما لنا من العظمة
مِن نُّطْفَةٍ اى شئ حقير يسير من ماء لا انتفاع به بعد ابتداعنا اياه من تراب وانه من لحم و
عظام فَإِذَا هُوَ اى فتسبب عن خلقنا له من ذلك المفاجاة لحالة هى ابعد شئ من حالة النطفة
وهى انه خَصِيمٌ اى بليغ الخصومة مُّبِينٌ اى فى غاية البيان عما يريده حتى انه ليجادل من اعطاه
العقل والقدرة فى قدرته وانشد الاستاذ القشيرى فى ذلك — اعلمه الرماية كل يوم + فلما
اشتد ساعده رمانى + وكم علمته علم القوافى + فلما قال قافية هجانى + وفى هذه تسلية ثانية بتهوين
ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث تعجب منه وجعله افراطا فى الخصومة
بينا ومنافاته لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله فى بدء خلقه ومقابلة النعمة التى لا مزيد عليها
وهى خلقه من اخس شئ وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب وَضَرَبَ اى هذا الانسان
لَنَا اى على ما يعلم من عظمتنا مَثَلًا اى امرا عجيبا وهو نفى القدرة على احياء الموتى روى ان
ابى بن خلف الجمحى وهو الذى قتله النبى صلى الله عليه وسلم باحد مبادرة اتى النبى صلى الله
عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده فقال اترى الله يحيى هذا بعد ما رم فقال صلى الله عليه وسلم نعم
ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل هو العاصى بن وائل قاله الجلال المحلى واكثر المفسرين على
الاول وَنَسِيَ اى هذا الذى تصدى على مهانة اصله المخاصمة للجبار خَلْقَهُ اى بدء امره من المنى
وهو اغرب من مثله والنسيان هنا يحتمل ان يكون بمعنى الذهول وان يكون بمعنى الترك ثم استانف
الاخبار عن هذا المثل بان قَالَ اى على طريق الانكار مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ اى صارت
ترابا يتموج مع الرياح ورميم قال البيضاوى بمعنى فاعل من رم الشئ صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث
او اسم مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة يؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء اهـ

قال البغوي ولم يقل رميمة لانه معدول عن فاعلة فكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن اعرابه كقوله تعالى وما كانت امك بغيا اسقط الهاء لانها مصروفة عن باغية ✦ تنبيه ✦ هذه الآية وما بعدها اشارة الى بيان الحشر لان المنكرين للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلا ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد وهم الاكثرون ءاذا ضللنا في الارض ءانا لفي خلق جديد ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون من يحيي العظام وهي رميم قالوا ذلك على طريق الاستبعاد فابطل الله تعالى استبعادهم بقوله تعالى ونسي خلقه اي نسي انا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الاجزاء ثم جعلنا لهم من النواصي الى الاقدام اعضاء مختلفة الصورة وما اكتفينا بذلك حتى اودعناهم ما ليس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل اللذان بهما استحقوا الاكرام فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قذرة لم تكن محلا للحياة اصلا ويستبعدون اعادة النطق والعقل الى محل كانتا فيه واختاروا العظم بالذكر لانه ابعد عن الحياة لعدم الاحساس فيه ووصفوه بما يقوي جانب الاستبعاد من البلاء والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في العبد من القدرة والعلم فقال وضرب لنا مثلا اي جعل قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه العجيب وبدأه الغريب ومنهم من ذكر شبهة وان كان في آخرها يعود الى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين الاول انه بعد العدم لم يبق شيئا فكيف يحكم على العدم بالوجود فاجاب تعالى عن هذه الشبهة بان قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اي لهؤلاء البعداء البغضاء يحييها اي بعد ان انشأها اول مرة الذي انشأها اي من العدم ثم احياها اول مرة فكما خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا كذلك يعيده وان لم يبق شيئا مذكورا الوجه الثاني ان من تفرقت اجزاؤه في مشارق العالم ومغاربه وصار بعضها في ابدان السباع وبعضها في حواصل الطيور وبعضها في جدران الربوع كيف يجتمع وابعد من هذا لو اكل انسان انسانا وصار اجزاء المأكول في اجزاء الآكل فان اعيدت اجزاء الآكل فلا يبقى للمأكول اجزاء تخلق منها اعضاؤه واما ان تعاد الى بدن المأكول فلا يبقى للآكل اجزاء اصلية واجزاء فضلية وفي المأكول كذلك فاذا اكل انسان انسانا صار الاصلي من اجزاء المأكول فضليا من اجزاء الآكل والاجزاء الاصلية للآكل هي ما كان قبل الاكل فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ اي مخلوق عَلِيمٌ اي يجمع الاصل من الفضل فيجمع الاجزاء الاصلية للآكل ويجمع الاجزاء الاصلية للمأكول وينفخ فيه روحه وكذلك يجمع اجزاءه المتفرقة في البقاع المتبددة بحكمته وقدرته ثم انه تعالى عاد الى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وابطال انكارهم بقوله تعالى الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اي في جملة الناس مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ اي الذي تشاهدونه في الماء نَارًا قال ابن عباس هما شجرتان يقال لاحداهما المرخ والاخرى العفار الاول بفتح الميم وسكون الراء والخاء المعجمة شجر سريع الوري اي القدح والثاني بفتح المهملة وفاء وراء بعد الف الزند فمن اراد منهما النار قطع منهما غصنين مثل

السواكين وهما اخضران يقطران الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فيخرج منهما النار
باذن الله تعالى وتقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وقال الحكماء في كل
شجر نار الا العناب فَاِذَآ اَنْتُمْ اى فتسبب عن ذلك مفاجأتكم لانه مِّنْهُ اى من الشجر الموصوف بالخضرة
تُوْقِدُوْنَ اى توجدون الايقاد وتجددون ذلك مرة بعد اخرى وهذا ادل على القدرة على
البعث فانه جمع فيه بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفئ النار ولا النار تحرق الخشب ثم ذكر
ما هو اعظم من خلق الانسان فقال تعالى اَوَلَيْسَ الَّذِيْ خَلَقَ اى اوجد من العدم السَّمٰوٰتِ
وَالْاَرْضَ اى على كبرها وعظم ما فيهما من المنافع والمصانع والعجائب والبدائع واثبت الجار
تحقيقا للامر وتاكيدا للتقرير فقال تعالى بِقٰدِرٍ عَلٰٓى اَنْ يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ اى مثل هؤلاء الاناسي
في الصغر اى يعيدهم باعيانهم وقيل الضمير يعود على السموات والارض لتضمنهم من يعقل
والاول اظهر لانهم المخاطبون وقوله تعالى بَلٰى جواب ليس وان دخل عليها الاستفهام لمصيرها
ايجابا اى هو قادر على ذلك اجاب نفسه تعالى وَهُوَ مع ذلك اى مع كونه عالما بالخلق الْخَلّٰقُ اى
الكثير الخلق الْعَلِيْمُ اى البالغ في العلم الذي هو منشأ القدرة فلا يخفى عليه كلي ولا جزئي في ماض
ولا حال ولا مستقبل شاهد او غائب ولما تقرر ذلك انتج قوله تعالى مؤكدا لاجل انكارهم القدرة
على البعث اِنَّمَآ اَمْرُهٗٓ اى شانه ووصفه اِذَآ اَرَادَ شَيْئًا اى خلق شئ من جوهر او عرض اى
شئ كان اَنْ يَّقُوْلَ لَهٗ كُنْ اى ان يريده فَيَكُوْنُ اى يحدث وهو تمثيل لتاثير قدرته في مراده
بامر المطاع للمطيع في حصول المامور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة
قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق وقرأ ابن عامر والكسائي
بنصب النون عطفا على يقول والباقون بالرفع اى فهو يكون ولما كان ذلك تسبب عنه المبادرة
الى تنزيهه تعالى عما ضربوه له من الامثال فلذلك قال فَسُبْحٰنَ اى تنزه عن كل شائبة
نقص تنزها لا يبلغ افهامكم كنهه وعدل عن الضمير الى وصف يدل على غاية العظمة فقال الَّذِيْ
بِيَدِهٖ اى قدرته وتصرفه خاصة لا بيد غيره مَلَكُوْتُ كُلِّ شَيْءٍ اى ملكه التام وملكه ظاهرا وباطنا ولما
كان التقدير فمنه تبدؤن عطف عليه قوله تعالى وَّاِلَيْهِ اى لا الى غيره تُرْجَعُوْنَ اى معنى في جميع ع ٥
اموركم وحسا بالبعث لينصف بينكم فيدخل بعضا النار وبعضا الجنة وعن ابن عباس كنت لا اعلم
ما روى في فضل يس كيف خصت به فاذا ايه لهذه الاية وما رواه البيضاوي عنه صلى الله عليه
وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس وايما مسلم قرأ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس
نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون
قبض روحه وغسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت
لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه
وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو

ربان حديث موضوع وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يس فى ليلة اصبح مغفورا له وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وعن يحيى بن ابى كثير قال بلغنا ان من قرأ يس حين يصبح لم يزل فى فرح حتى يمسى ومن قرأها حين يمسى لم يزل فى فرح حتى يصبح

سورة والصّفّت مكيّة

وهى مائة واثنتان وثمانون اية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وست وعشرون حرفا بِسْمِ اللّٰهِ الذى له الكمال المطلق الرَّحْمٰنِ الذى من رحمته العدل فى الدارين الرَّحِيْمِ الذى لا يدنو من جنابه نقص واختلف فى تفسير قوله تعالى وَالصّٰٓفّٰتِ صَفًّا اى وهو ترتيب الجمع على خط فقال ابن عباس والحسن وقتادة هم الملائكة فى السماء يصفون كصفوف الخلق فى الدنيا للصلوة وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون كصفوف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون فى الصف وقيل هى الملائكة تصف اجنحتها فى الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل هى الطير تصف اجنحتها فى الهواء لقوله تعالى والطير صافات واختلف ايضا فى قوله تعالى فَالزّٰجِرٰتِ زَجْرًا فاكثر المفسرين على انها الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقال قتادة هى زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح واختلف ايضا فى قوله تعالى فَالتّٰلِيٰتِ ذِكْرًا فالاكثر ايضا انهم الملائكة عليهم السلام يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم جماعة قراء القرآن فان قيل قال ابو مسلم الاصفهانى لا يجوز حمل هذه الالفاظ على الملائكة لانها مشعرة بالتانيث والملائكة عليهم السلام مبرؤن من هذه الصفة اجيب بوجهين الاول ان الصافات جمع الجمع فانه يقال جماعة صافة ثم تجمع على صافات والثانى انهم مبرؤن من التانيث المعنوى واما التانيث اللفظى فلا وكيف وهم يسمون بالملائكة مع ان علامة التانيث حاصلة + تنبيه + اختلف الناس ههنا فى المقسم به على قولين احدهما ان المقسم به خالق هذه الاشياء لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله تعالى ولان الحلف فى مثل هذا الموضع تعظيم للمحلوف به ومثل هذا التعظيم لا يليق الا بالله تعالى ففى ذلك اضمار تقديره ورب الصافات ورب الزاجرات ورب التاليات ومما يؤيد هذا انه تعالى صرح به فى قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها والثانى وعليه الاكثر ان المقسم به هذه الاشياء لظاهر اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل واما النهى عن الحلف بغير الله تعالى فهو نهى للمخلوق عن ذلك واما قوله تعالى وما بناها فانه علق لفظ القسم بالسماء ثم عطف عليه القسم بالبانى للسماء ولو كان المراد بالقسم بالسماء القسم بمن بنى السماء لزم التكرار فى موضع واحد وهو لا يجوز وايضا لا يبعد ان تكون الحكمة فى قسم الله تعالى بهذه الاشياء التنبيه على شرف ذواتها وقال البيضاوى اقسم بالملائكة الصافين فى مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم انوار

الهيبة منتظرين لامر الله الزاجرين للاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المامور فيها او الناس عن المعاصى بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين لآيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المترتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة فى بحار القدس يسبحون الليل والنهار لايفترون او بنفوس العلماء الصادقين فى العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصادقين فى الجهاد الزاجرين للخيل والعدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مباراة العدو وقال الزمخشرى الفاء فى فالزاجرات والتاليات اما ان تدل على ترتب معانيها فى الوجود كقوله يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب اى الذى صبح فغنم فآب واما على ترتبها فى التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين قال البيضاوى ذكر هذا حديثا قال شيخنا القاضى زكريا لم اره بهذا اللفظ اه لكنه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس وقرأ ابو عمرو وحمزة بالادغام فيما ذكر والباقون بالاظهار وجواب القسم إِنَّ إِلٰهَكُمْ اى الذى تعبدتم من دونه الهة لَوَاحِدٌ اذ لو لم يكن واحدا لاختل هذا الاصطفاف والزجر والتلاوة وما يترتب عليها فكان غير حكيم فان قيل ذكر الحلف فى هذا الموضع غير لائق وبيانه من وجهين الاول ان المقصود من هذا القسم اما اثبات هذا المطلوب عند المؤمن او الكافر فالاول باطل لان المؤمن مقر به من غير حلف والثانى باطل ايضا لان الكافر لايقر به سواء حصل الحلف او لم يحصل فهذا الحلف عديم الفائدة على كل تقدير الثانى انه يقال اقسم فى اول هذه السورة على ان الاله واحد واقسم فى اول سورة الذاريات على ان القيامة حق فقال والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع واثبات هذه المطالب العالية الشريفة على المخالفين من الدهرية وامثالهم بالحلف لايليق بالعقلاء اجيب عن ذلك باوجه اولها انه تعالى قرر التوحيد وصحة البعث والقيمة فى غالب السور بالدلائل اليقينية فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها بذكر القسم تاكيدا لما تقدم لاسيما والقران انزل بلغة العرب واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مالوفة عند العرب ثانيها ان المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام فى قولهم بانها الهة فكانه قيل ان هذا المذهب قد بلغ فى السقوط والركاكة الى حيث يكفى فى ابطاله مثل هذه الحجة ثالثها انه تعالى لما اقسم بهذه الاشياء على صحة قوله تعالى ان الهكم لواحد عقبه بما هو الدليل اليقينى فى كون الاله واحدا وهو قوله تعالى رَبُّ اى موجد ومالك ومدبر السَّمٰوٰتِ اى الاجرام العالية وَالْاَرْضِ اى الاجرام السافلة وَمَا بَيْنَهُمَا اى من الفضاء المشحون بما يعجز عن عده القوى وذلك لانه تعالى بين فى قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ان انتظام احوال السموات والارض يدل على ان الاله واحد فههنا لما قال ان الهكم لواحد اردفه

بقوله رب السموات والارض وما بينهما كانه قيل بينا ان النظر في انتظام هذا العالم يدل على ان
الاله واحد فتأملوا ليحصل لكم العلم بالتوحيد + تنبيه + علم من قوله تعالى وما بينهما انه تعالى خالق
لاعمال العباد لان اعمالهم موجودة فيما بين السماء والارض وهذه الاية دلت على كل ما حصل
بين السماء والارض فالله ربه ومالكه وهذا يدل على ان فعل العبد حصل بخلق الله تعالى فان قيل
الاعراض لا يصح وصفها بانها حصلت بين السماء والارض لان هذا الوصف انما يكون حاصلا
في حيز وجهة والاعراض ليست كذلك اجيب بانها لما كانت حاصلة في الاجسام الحاصلة
بين السماء والارض فهي ايضا حاصلة بين السموات والارض وَرَبُّ الْمَشَارِقِ اي والمغارب
وجمعها باعتبار جميع السنة فان الله تعالى خلق للشمس ثلثمائة وستين كوة في المشرق وثلثمائة
وستين كوة في المغرب على عدد ايام السنة تطلع الشمس كل يوم من كوة منها وتغرب في كوة
منها لا ترجع الى الكوة التي تطلع منها الى ذلك اليوم من العام المقبل وقيل كل موضع اشرقت
عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب كانه اراد جميع ما اشرقت عليه
الشمس وقيل المراد بالمشارق مشارق الكواكب ومغاربها لان لكل كوكب مشرقا ومغربا
فان قيل ان الله تعالى قال في موضع رب المشرق والمغرب وقال في موضع آخر رب المشرقين
ورب المغربين فما الجمع بين هذه المواضع اجيب بان المراد بقوله رب المشرق والمغرب الجهة فالمشرق
جهة والمغرب جهة وبقوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين مشرقا الشتاء والصيف ومغربا
الشتاء والصيف واما موضع الجمع فقد مر فان قيل لم اكتفى بذكر المشارق اجيب بوجهين الاول
انه اكتفى به كقوله تعالى تقيكم الحر والثاني ان الشروق اقوى حالا من الغروب واكثر
نفعا منه فذكر المشرق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذه الدقيقة استدل
ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام بقوله ان الله يأتي بالشمس من المشرق إِنَّا زَيَّنَّا اي بعظمتنا
التي لا تدانى السَّمَاءَ ولما كانوا لا يرون الا ما يليهم من السموات وكانت زينة النجوم ظاهرة
فيها قال تعالى الدُّنْيَا اي التي هي ادنى السموات اليكم بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ اي بضوئها كما قاله
ابن عباس او بهما وقرأ عاصم وحمزة بزينة بالتنوين والباقون بغير تنوين والاضافة للبيان كقراءة
تنوين بزينة المبينة بالكواكب ونصب الباء الموحدة من الكواكب شعبة وكسرها الباقون فان قيل
قد ثبت في علم الهيئة ان هذه الكواكب الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وان السيارات
مركوزة في الكرات الستة المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب اجيب بان الناس الساكنين على سطح كرة الارض اذا نظروا الى السماء الدنيا
فانهم يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فصح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب
وقوله تعالى وَحِفْظًا منصوب بفعل مقدر اي حفظناها بالشهب او معطوف على زينة باعتبار
المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء الدنيا وحفظا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ اي بعيد

عن الخير محترق مَّارِدٍ اى عات خارج عن الطاعة ولما تشوّف السامع الى معرفة هذا الحفظ
وثمرته وبيان كيفيته استأنف قوله تعالى لَا يَسَّمَّعُونَ اى الشياطين المفهومون من كل شيطان
إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى اى الملائكة او اشرافهم فى السماء وعدى السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة
لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص بفتح السين وتشديدها
وتشديد الميم من التسمع وهو طلب السماع وقرأ الباقون بسكون السين وتخفيف الميم وَيُقْذَفُونَ
اى الشياطين يرمون بالشهب مِنْ كُلِّ جَانِبٍ اى من آفاق السماء وقوله تعالى دُحُورًا مصدر
دحره اى طرده وابعده وهو مفعول له وقيل هو جمع داحر نحو قاعد وقعود فيكون حالا
بنفسه من غير تأويل وقيل غير ذلك وَلَهُمْ اى فى الآخرة عَذَابٌ غير هذا وَاصِبٌ اى دائم
وقال مقاتل اى دائم فى الدنيا الى النفخة الاولى وقوله تعالى إِلَّا مَنْ خَطِفَ فيه وجهان
احدهما انه مرفوع المحل بدلا من ضمير لا يسمعون وهو احسن لانه غير موجب والثانى انه
منصوب على اصل الاستثناء والمعنى ان الشياطين لا يسمعون الملائكة الا من خطف وقوله
تعالى الْخَطْفَةَ مصدر معرف بال الجنسية او العهدية ومعنى اختطف اختلس الكلمة من
كلام الملائكة مسارقة فَأَتْبَعَهُ اى لحقه شِهَابٌ اى كوكب ثَاقِبٌ اى مضئ قوى لا يخطئه
لقتله او يحرقه او يثقبه او يخبله تنبيه: ههنا سؤالات اولها ان هذه الشهب التى يرمى بها هل
هى من الكواكب التى زين الله السماء بها ام لا والاول باطل لانها تبطل وتضمحل فلو كانت تلك
الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب ان يظهر نقصان كثير فى اعداد كواكب السماء ولم يوجد
ذلك فان اعداد كواكب السماء باقية لم تتغير البتة وايضا فجعلها رجوما للشياطين مما يوجب
وقوع النقصان فى زينة السماء الدنيا فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض وان كانت
هذه الشهب جنسا آخر غير الكواكب المركوزة فى الفلك فهو ايضا مشكل لانه تعالى قال فى سورة
الملك ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فالضمير فى قوله وجعلناها عائد
على المصابيح فوجب ان تكون تلك المصابيح هى المرجوم بها باعيانها ثانيها كيف يجوز ان تذهب
الشياطين حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن ان
يصدر هذا الفعل من عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مزية فى معرفة الحيل الدقيقة ثالثها
دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث الشهب كان حاصلا قبل مجئ النبىّ صلى الله عليه وسلم ولذلك
ترى الحكماء الذين كانوا موجودين قبل مجئ النبىّ صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا فى
سبب حدوثه واذا ثبت ان ذلك كان موجودا قبل مجئ النبىّ صلى الله عليه وسلم امتنع حمله على
مجئ النبىّ صلى الله عليه وسلم رابعها الشيطان مخلوق من النار كما حكى عن قول ابليس لعنه الله تعالى
خلقتنى من نار وقال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب يقدر على الصعود الى
السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق النار بالنار اجيب عن الاول بان هذه الشهب غير تلك

بقوله رب السموات والارض وما بينهما كانه قيل بينا ان النظر فى انتظام هذا العالم يدل على ان الاله واحد فتأملوا ليحصل لكم العلم بالتوحيد + تنبيه + علم من قوله تعالى وما بينهما انه تعالى خالق لاعمال العباد لان اعمالهم موجودة فيما بين السماء والارض وهذه الآية دلت على كل ما حصل بين السماء والارض فالله ربه ومالكه وهذا يدل على ان فعل العبد حصل بخلق الله تعالى فان قيل الاعراض لا يصح وصفها بانها حصلت بين السماء والارض لان هذا الوصف انما يكون حاصلا فى حيز وجهة والاعراض ليست كذلك اجيب بانها لما كانت حاصلة فى الاجسام الحاصلة بين السماء والارض فهى ايضا حاصلة بين السموات والارض وَرَبُّ الْمَشَارِقِ اى والمغارب وجمعها باعتبار جميع السنة فان الله تعالى خلق للشمس ثلثمائة وستين كوة فى المشرق وثلثمائة وستين كوة فى المغرب على عدد ايام السنة تطلع الشمس كل يوم من كوة منها وتغرب فى كوة منها لا ترجع الى الكوة التى تطلع منها الى ذلك اليوم من العام المقبل وقيل كل موضع اشرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب كانه اراد جميع ما اشرقت عليه الشمس وقيل المراد بالمشارق مشارق الكواكب ومغاربها لان لكل كوكب مشرقا ومغربا فان قيل ان الله تعالى قال فى موضع رب المشرق والمغرب وقال فى موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين فما الجمع بين هذا الموضع اجيب بان المراد بقوله رب المشرق والمغرب الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة وبقوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين مشرقا الشتاء والصيف ومغربا الشتاء والصيف واما موضع الجمع فقد مر فان قيل لم اكتفى بذكر المشارق اجيب بوجهين الاول انه اكتفى به كقوله تعالى تقيكم الحر والثانى ان الشروق اقوى حالا من الغروب واكثر نفعا منه فذكر المشرق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذه الدقيقة استدل ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام بقوله ان الله يأتى بالشمس من المشرق إِنَّا زَيَّنَّا اى بعظمتنا التى لا تدانى السَّمَاءَ ولما كانوا لا يرون الا ما يليهم من السموات وكانت زينة النجوم ظاهرة فيها قال تعالى الدُّنْيَا اى التى هى ادنى السموات اليكم بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ اى بضوئها كما قاله ابن عباس او بها وقرأ عاصم وحمزة بزينة بالتنوين والباقون بغير تنوين والاضافة للبيان كقراءة تنوين من زينة المبينة بالكواكب ونصب الباء الموحدة من الكواكب شعبة وكسرها الباقون فان قيل قد ثبت فى علم الهيئة ان هذه الكواكب الثوابت مركوزة فى الكرة الثامنة وان السيارات مركوزة فى الكرات الستة المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب اجيب بان الناس الساكنين على سطح كرة الارض اذا نظروا الى السماء الدنيا فانهم يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فصح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله تعالى وَحِفْظًا منصوب بفعل مقدر اى حفظناها بالشهب او معطوف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء الدنيا وحفظا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ اى بعيد

عن الخير مجترئ ماردٍ اى عات خارج عن الطاعة + ولما تشوّف السامع الى معرفة هذا الحفظ
وثمرته وبيان كيفيته استأنف قوله تعالى لا يسّمّعون اى الشياطين المفهومون من كل شيطان
الى الملأ الاعلى اى الملائكة او اشرافهم فى السماء وعدى السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة
لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص بفتح السين وتشديدها
وتشديد الميم من التسمع وهو طلب السماع وقرأ الباقون بسكون السين وتخفيف الميم ويقذفون
اى الشياطين يرمون بالشهب من كل جانب اى من آفاق السماء وقوله تعالى دحورا مصد
ر اى طرده وابعاده وهو مفعول له وقيل هو جمع داحر نحو قاعد وقعود فيكون حالا
بنفسه من غير تاويل وقيل غير ذلك ولهم اى فى الآخرة عذاب غير هذا واصب اى دائم
وقال مقاتل اى دائم فى الدنيا الى النفخة الاولى وقوله تعالى الا من خطف فيه وجهان
احدهما انه مرفوع المحل بدلا من ضمير لا يسمعون وهو احسن لانه غير موجب والثانى انه
منصوب على اصل الاستثناء والمعنى ان الشياطين لا يسمعون الملائكة الا من خطف وقوله
تعالى الخطفة مصدر معرف بال الجنسية او العهدية ومعنى اختطف اختلس الكلمة من
كلام الملائكة مسارقة فاتبعه اى لحقه شهاب اى كوكب ثاقب اى مضئ قوى لا يخطئه
يقتله او يحرقه او يثقبه او يخبله + تنبيه + ههنا سؤالات اولها ان هذه الشهب التى يرمى بها هل
هى من الكواكب التى زين الله السماء بها ام لا والاول باطل لانها تبطل وتضمحل فلو كانت تلك
الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب ان يظهر نقصان كثير فى اعداد كواكب السماء ولم يوجد
ذلك فان اعداد كواكب السماء باقية لم تتغير البتة وايضا فجعلها رجوما للشياطين مما يوجب
وقوع النقصان فى زينة السماء الدنيا فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض وان كانت
هذه الشهب جنسا آخر غير الكواكب المركوزة فى الفلك فهو ايضا مشكل لانه تعالى قال فى سورة
الملك ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فالضمير فى قوله وجعلناها عائد
على المصابيح فوجب ان تكون تلك المصابيح هى المرجوم بها باعيانها ثانيها كيف يجوز ان تذهب
الشياطين حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن ان
يصدر هذا الفعل من عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مزية فى معرفة الحيل الدقيقة ثالثها
دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث الشهب كان حاصلا قبل مجئ النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك
ترى الحكماء الذين كانوا موجودين قبل مجئ النبى صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا فى
سبب حدوثه واذا ثبت ان ذلك كان موجودا قبل مجئ النبى صلى الله عليه وسلم امتنع حمله على
مجئ النبى صلى الله عليه وسلم رابعها الشيطان مخلوق من النار كما حكى عن قول ابليس لعنه الله تعالى
خلقتنى من نار وقال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب يقدر على الصعود الى
السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق النار بالنار اجيب عن الاول بان هذه الشهب غير تلك

الكواكب الثابتة واما قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فنقول كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح منها باقية على وجه الدهر آمنة من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين الى حيث يعلمون وبها يزول الاشكال وعن الثاني بان هذه الواقعة انما تتفق في الندرة فلعلها لا تشتهر بسبب ندرتها بين الشياطين واجاب ابو علي الجبائي بان حصول هذه الحالة ليس له موضع معين والا لم يذهبوا اليه وانما يمنعون من المصير الى موضع الملائكة ومواضعها مختلفة فربما صاروا الى موضع تصيبهم الشهب فلما هلكوا الى غيره ولا صادفوا الملائكة ولا تصيبهم الشهب فلما هلكوا في بعض الاوقات وسلموا في بعض الاوقات جاز ان يصيروا الى مواضع يغلب على ظنونهم انهم لا تصيبهم الشهب فيها كما يجوز فيمن سلك البحر ان يسلكه في موضع يغلب على ظنه حصول النجاة وفي جواب ابي علي نظر اذ ليس في السماء موضع قدم الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد وعن الثالث بان الاقرب ان هذه الحالة كانت موجودة قبل النبي صلى الله عليه وسلم لكن بقلة ولما جاء النبي صلى الله عليه وسلم وقعت بكثرة فصارت بسبب الكثرة معجزة وعن الرابع بان الشياطين ليسوا من نار خالصة وعلى التنزل بانهم من النيران الخالصة الا انها نيران ضعيفة ونيران الشهب اقوى حالا منهم فلا جرم صار الاقوى مبطلا للاضعف الا ترى ان السراج الضعيف اذا وضع في النار القوية فانه ينطفي فكذلك ههنا + ولما كان المقصود الاعظم من القرآن اثبات الاصول الاربعة وهي الالهيات والمعاد والنبوات واثبات القضاء والقدر افتتح الله سبحانه هذه السورة باثبات ما يدل على الصانع وعلى علمه وقدرته وحكمته ووحدانيته وهو خالق السموات والارض وما بينهما ورب المشارق والمغارب ثم فرع عليها اثبات الحشر والنشر والقيمة وهو ان من قدر على ما هو اشق واصعب وجب ان يقدر على ما هو دونه وهو قوله تعالى فَاسْتَفْتِهِمْ اي سل كفار مكة ان يفتوك بان يبينوا لك ما نبألهم عنه من انكارهم البعث واصله من الفتوة وهي الكرم أَهُمْ أَشَدُّ اي اقوى واشق واصعب خَلْقًا اي من جهة احكام الصنعة وقوتها وعظمها أَمْ مَنْ خَلَقْنَا اي من الملائكة والسموات والارض وما بينهما والمشارق والكواكب الشهب الثواقب + تنبيه في الاتيان بمن تغليب للعقلاء وهو استفهام بمعنى التقرير اي هذه الاشياء اشد خلقا كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها وقيل معنى ام من خلقنا اي من الامم الماضية لان لفظ من يذكر لمن يعقل والمعنى ان هؤلاء الامم ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم الخالية وقد اهلكناهم بذنوبهم فمن الذي يؤمن هؤلاء من العذاب إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ اي اصلهم آدم بعظمتنا مِنْ طِينٍ اي تراب رخو مهين لَازِبٍ اي شديد الاختلاط بعضه ببعض فالتصق وتخمر بحيث يعلق باليد وقال مجاهد والضحاك منتن فهو مخلوق من غير اب ولا ام وقرأ حمزة والكسائي بَلْ عَجِبْتُ بضم التاء والباقون بفتحها اما بالضم فباسناد التعجب الى الله تعالى وليس هو كالتعجب

من الآدميين كما قال تعالى فيسخرون منهم سخر الله منهم وقال تعالى نسوا الله فنسيهم فالتعجب من
الآدميين انكاره وتعظيمه والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى
الاستحسان والرضا كما في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفي حديث آخر عجب ربكم
من ألكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم قوله الكم الال اشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل
الجنيد عن هذه الآية فقال ان الله تعالى لا يعجب من شئ ولكن وافق رسوله صلى الله عليه وسلم فلما
عجب رسوله قال تعالى وان تعجب فعجب قولهم اى هو كما تقوله واما بالفتح فعلى انه خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم اى عجبت من تكذيبهم اياك وَيَسْخَرُوْنَ اى وهم يسخرون من تعجبك قال قتادة
عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين انزل ومن ضلال بني آدم وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يظن ان كل من سمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا
به فعجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال تعالى بل عجبت ويسخرون وَاِذَا ذُكِّرُوْا اى وعظوا
بالقرآن لَا يَذْكُرُوْنَ اى لا يتعظون وَاِذَا رَاَوْا اٰيَةً قال ابن عباس وقتادة يعني انشقاق القمر
يَّسْتَسْخِرُوْنَ اى يستهزؤن بها وقيل يستدعي بعضهم من بعض السخرية وَقَالُوْٓا اِنْ اى ما
هٰذَآ اِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ اى ظاهر في نفسه ومظهر لسحريته ثم خصوا البعث بالانكار اعلاما بانه اعظم
مقصود بالنسبة الى السحر فقالوا مظهرين له في مظهر الانكار ءَاِذَا مِتْنَا وعطفوا عليه ما هو
موجب عندهم لشدة الانكار فقالوا وَكُنَّا اى كونا في غاية التمكن تُرَابًا وقدموه لانه
ادل على مرادهم لانه ابعد عن الحيوة وَعِظَامًا كانهم جعلوا كل واحد من الموت او الكون
الى الترابية المحضة والعظامية المحضة والمختلطة بهما مانعا من البعث وهذا البعد اعترافهم بان
ابتداء خلقهم كان من التراب ثم كرروا الاستفهام الانكاري على قراءة من قرأ به كما سيأتي
بيانه زيادة في الانكار فقالوا ءَاِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَ وقولهم اَوَاٰبَآؤُنَا الْاَوَّلُوْنَ عطف على محل ان واسمها
او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وهذا
بيان السبب الذي حملهم على الاستهزاء بجميع المعجزات هو اعتقادهم ان من مات وتفرقت اجزاؤه في العالم
فما فيه من الارض اختلط بالارض وما فيه من المائية والهوائية اختلط ببخارات العالم فهذا الانسان
كيف يعقل عوده بعينه حيا ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
قُلْ اى لهؤلاء البعداء البغضاء نَعَمْ اى تبعثون على كل تقدير قدرتموه وَاَنْتُمْ دَاخِرُوْنَ
اى مكرهون عليه صاغرون ذليلون وانما اكتفى تعالى بهذا القدر من الجواب لانه ذكر في الآية
المتقدمة البرهان القطعي على انه امر ممكن اذا ثبت الجواز القطعي فلا سبيل الى القطع بالوقوع
الا بالاخبار المخبر الصادق فلما قامت المعجزة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم كان واجب الصدق
فكان مجرد قوله نعم دليلا قاطعا على الوقوع وقرأ متنا بضم الميم ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وشعبة وكسرها
الباقون واما ءاذا وءانا فقرأ نافع والكسائي بالاستفهام في الاول والخبر في الثاني وابن عامر

بالخبر فى الاوّل والاستفهام فى الثانى والباقون بالاستفهام فيهما وسهل الهمزة الثانية فى الاستفهام
نافع وابن كثير وابو عمرو وحقق الباقون وادخل فى الاستفهام الفا بين الهمزتين قالون
وابو عمرو وهشام والباقون بغير ادخال وقرأ قالون وابن عامر او اباؤنا بسكون الواو على انها او العاطفة
المقتضية للشك والباقون بفتحها على انها همزة الاستفهام دخلت على واو العطف وقرأ الكسائى نعم
بكسر العين وهو لغة فيه وقوله تعالى فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ جواب شرط مقدّر اى اذا كان كذلك
فانما البعثة زجرة اى صيحة واحدة هى نفخة الثانية من زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها وامرها
فى الاعادة كامرها كن فى الابتداء ولذلك رتب عليها فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ اى احياء فى الحال من
غير مهلة ينظر بعضهم بعضا وقيل ينظرون ما يحدث لهم او ينظرون الى البعث الذى كذبوا به وفرق
بين من صار كله ترابا ومن لم يتغير اصلا ومن هو بين ذلك قال البقاعى ولعله خص النظر بالذكر لانه
لا يكون الا مع كمال الحيوة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا قبض الروح تبعه البصر واما السمع فقد يكون
لغير الحى لانه صلى الله عليه وسلم قال فى الكفار من قتلى بدر ما انتم باسمع لما اقول منهم قال وشاهدت
ان فى بلاد العرب المجاورة لما يلى شجرة لها شوك يقال لها الغبيرا متى قيل عندها هات الفاس
لاقطع هذه الشجرة اخذت ورقها فى الحال فى الذبول فانه سبحانه اعلم ما سبب ذلك اهـ + تنبيه + لا اثر
للصيحة فى الموت ولا فى الحيوة بل خالق الموت والحيوة هو الله تعالى كما قال تعالى الذى خلق
الموت والحيوة روى ان الله تعالى يامر الملك اسرافيل فينادى ايها العظام النخرة والجلود البالية
والاجزاء المتفرقة اجتمعوا باذن الله تعالى وَقَالُوا اى كل من جمعه البعث من الكفرة بعد
القيام من القبور معلنين بما انكشف لهم من انه لا ملازم لهم غير الويل يَا وَيْلَنَا اى هلاكنا وهو
مصدر لا فعل له من لفظه وقال الزجاج الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة وتقول لهم الملائكة
هَذَا يَوْمُ الدِّينِ اى الحساب والجزاء هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ اى بين الخلائق الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ وقيل هو ايضا
من كلام بعضهم لبعض وقوله تعالى احْشُرُوا اى اجمعوا بكرة وصغار الَّذِينَ ظَلَمُوا انفسهم بالشرك امر من الله
تعالى للملائكة عليهم السلام وقيل امر من بعضهم لبعض اى احشروا الظلمة من مقامهم الى الموقف
+ وقيل منه الى جهنم وَأَزْوَاجَهُمْ اى واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب
مع عبدتها كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة اى اشكالا واشباها وقال الحسن وازواجهم المشركات
وقال الضحاك ومقاتل قرناؤهم من الشياطين وعلى هذا اقتصر الجلال المحلى اى يقرن
كل كافر مع شيطانه فى سلسلة وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ اى غيره فى الدنيا
من الاوثان والطواغيت زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم ومثل الاوثان الذين رضوا بعبادتهم لهم
ولم ينكروا عليهم ذلك فيامروهم بعبادة الله تعالى الذى تفرد بنعوت العظمة وصفات الكمال
وقال مقاتل يعنى ابليس وجنوده واحتج بقوله تعالى ان لا تعبدوا الشيطان فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ
الْجَحِيمِ قال ابن عباس دلوهم الى طريق النار وقال ابن كيسان قدموهم قال البغوى والعرب

تسمى

تسمى السائق هاديا قال الواحدي هذا وهم لانه يقال هدى اذا تقدم ومنه الهادية والهوادي وهاديات
الوحش ولا يقال هدى بمعنى تقدم وَقِفُوهُمْ اى احبسوهم قال البغوي قال المفسرون لما سيقوا
الى النار حبسوا عند الصراط فقيل لهم قفوهم إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ قال ابن عباس عن جميع اقوالهم
وافعالهم وروى عنه عن لا اله الا الله وقيل تسألهم خزنة جهنم عليهم السلام الم يأتكم نذير اى رسل
منكم بما فكم بالبينات قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وروى عن ابي برزة الاسلمي قال
لا تزول قدما عبد يوم القيمة حتى يسئل عن اربع عن عمره فيم افناه وعلمه ماذا عمل به وعن ماله
من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن جسمه فيم ابلاه وفي رواية وعن شبابه فيم ابلاه وعن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما داع دعا الى شئ الا كان موقوفا يوم القيمة لازما به وان دعا
رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤلون ويقال لهم توبيخا مَا لَكُمْ اى اى شئ حاصل لكم شغلكم
والهاكم حال كونكم لَا تَنَاصَرُونَ قال ابن عباس لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا
وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فقيل لهم يوم القيمة ما لكم لا تناصرون وقيل
يقال للكفار ما لشركائكم لا يمنعونكم من العذاب ويقال عنهم بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ قال
ابن عباس خاضعون وقال الحسن منقادون يقال استسلم للشئ اذا انقاد له وخضع والمعنى
هم اليوم اذلاء منقادون لا حيلة لهم في دفع تلك المضار ولما اخبر سبحانه وتعالى عنهم
بانهم سئلوا فلم يجيبوا بما كان يظن انهم اخرسوا فنبه على انهم يتكلمون بما يزيد تكذيبهم فقال
عاطفا على قوله تعالى وقالوا يا ويلنا وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ اى الذين ظلموا عَلَى بَعْضٍ اى بعد ايقافهم لتوبيخهم
وعجزهم عن خصامهم تهكما بهم بقوله تعالى يَتَسَاءَلُونَ اى يتلاومون ويتخاصمون قَالُوا
اى الاتباع منهم للمتبوعين إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ قال الضحاك اى من قبل الدين
فتضلونا عنه وقال مجاهد عن الصراط الحق واليمين عبارة عن الدين الحق كما اخبر الله تعالى
عن ابليس لعنه الله تعالى ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
فمن اتاه الشيطان من قبل اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق واليمين ههنا استعارة
عن الخيرات والسعادات لان الجانب الايمن افضل من الجانب الايسر قال ابن عادل لا تباشر
الاعمال الشريفة الا باليمين ويتفاءلون بالجانب الايمن وكان صلى الله عليه وسلم يحب
التيامن في شانه كله وكاتب الحسنات من الملائكة على اليمين ووعد الله تعالى المؤمن
ان يعطيه الكتاب باليمين وقيل ان الرؤساء كانوا يحلفون للمستضعفين ان ما يدعونهم اليه هو الحق
فوثقوا بايمانهم وقيل عن اليمين عن القوة والقدرة كقوله تعالى لاخذنا منه باليمين قَالُوا اى
المتبوعون لهم بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ اى وانما يصدق الاضلال منا ان لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن
الايمان الينا وانما الكفر من قبلكم وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ اى قوة وقدرة حتى نقهركم ونجبركم
على متابعتنا بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ اى ضالين مثلنا فَحَقَّ اى وجب عَلَيْنَا جميعا قَوْلُ رَبِّنَا

ای كلمة العذاب وهو قوله تعالى لاملأنّ جهنم من الجنة والناس اجمعين إِنَّا اى جميعا لَذَآئِقُونَ اى
العذاب بذلك القول ونشأ عنه قولهم فَأَغْوَيْنَاكُمْ اى فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم
الى ما كنا عليه إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ اى ضالين فاجبتم ان تكونوا مثلنا وفيه ايماء بانّ غوايتهم
فى الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية باغواء غاو فمن اغوى الاول قال الله تعالى فَإِنَّهُمْ
اى المتبوعين والاتباع يَوْمَئِذٍ اى يوم القيمة فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ اى كما كانوا مشتركين
فى الغواية إِنَّا اى بما لنا من العظمة والقدرة كَذَٰلِكَ اى كما نفعل بهؤلاء نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ غير هؤلاء
اى نعذبهم التابع منهم والمتبوع ثم وصفهم الله تعالى بقوله إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ اى يتكبرون عن كلمة التوحيد او عمن يدعوهم اليها وَيَقُولُونَ أَئِنَّا فى الهمزتين
ما مرّ لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ثم انّ الله تعالى كذبهم
فى ذلك الكلام بقوله تعالى بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ اى الدين الحق وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ اى صدقهم
فى مجيئهم بالتوحيد فاتى بما اتى به المرسلون من قبله ثم التفت من الغيبة الى الحضور فقال تعالى
إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ثم كانه قيل كيف يليق بالرحيم الكريم المتعالى الغنى عن الضرّ والنفع ان
يعذب عباده فاجاب بقوله تعالى وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اى جزاء عملكم وقوله
تعالى إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ اى المؤمنين استثناء منقطع وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام بعد
الخاء اى انّ الله تعالى اخلصهم واصطفاهم بفضله والباقون بالكسر اى انهم اخلصوا الطاعة
لله تعالى وقوله أُولَٰئِكَ لَهُمْ اى فى الجنة رِزْقٌ مَعْلُومٌ اى بكرة وعشيا بيان لحالهم وان لم يكن
ثم بكرة ولا عشية فيكون المراد منه معلوم الوقت وهو مقدار غدوة او عشية وقيل معلوم الصفة
اى مخصوص بصفات من طيب طعم ولذة وحسن منظر وقيل معناه انهم يتيقنون دوامه لا كرزق
الدنيا الذى لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع وقيل معلوم القدر الذى يستحقونه باعمالهم من ثواب الله
تعالى وقوله فَوَاكِهُ يجوز ان يكون بدلا من رزق وان يكون خبر مبتدأ مضمر اى ذلك الرزق فواكه
وفى الفواكه جمع فاكهة قولان احدهما انها عبارة عما يؤكل للتلذذ لا للحاجة وارزاق اهل الجنة
كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات فان اجسامهم محكمة
مخلوقة للابد فكل ما يأكلونه فعلى سبيل التلذذ والثانى انّ المقصود بذكر
الفاكهة التنبيه بالادنى على الاعلى لما كانت الفاكهة حاضرة ابدا كان
الماكول للغذاء اولى بالحضور وَهُمْ مُكْرَمُونَ اى فى نيله يصل اليهم من غير تعب سؤال
لا كما عليه رزق الدنيا ولما ذكر ماكلهم ذكر مسكنهم بقوله تعالى فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ اى
فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو متعلق بمكرمون او خبر ثان لاولئك او حال من المستكن
فى مكرمون وقوله تعالى عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ اى لا يرى بعضهم قفا بعض حال ويجوز ان
يتعلق على سرر بمتقابلين ولما ذكر سبحانه وتعالى الماكل والمسكن ذكر بعد ذلك صفة

الشرب بقوله تعالى يُطَافُ عَلَيْهِمْ اى على كل منهم بِكَأْسٍ اى باناء فيه خمر فهو اسم للاناء بشرابه
فلا يكون كاسا حتى يكون فيه شراب والا فهو اناء وقيل المراد بالكاس الخمر كقول الشاعر
وكاس شربت على لذة + واخرى تداويت منها بها + اى رب كاس شربت لطلب
اللذة وكاس شربت للتداوى من خمارها والكاس مؤنثة كما قال الجوهرى
وقوله تعالى مِنْ مَعِينٍ اى من شراب معين او من نهر معين ماخوذ من عين الماء
اى يخرج من العيون كما يخرج الماء وسمى عينا لظهوره يقال عان الماء اذا ظهر جاريا وقوله
تعالى بَيْضَاءَ اى اشد بياضا من اللبن قاله الحسن صفة لكاس وقال ابو حيان صفة لكاس
او للخمر واعترض بان الخمر لم يذكر واجيب بان الكاس انما سميت كاسا اذا كان
فيها الخمر وقوله تعالى لَذَّةٍ صفة ايضا وصفة بالمصدر مبالغة كانها نفس اللذة
وعينها كما يقال فلان جود وكرم اذا كان المراد المبالغة وقال الزجاج او على حذف المضاف
اى ذات لذة قوله تعالى لِلشّٰرِبِيْنَ اى بخلاف خمرة الدنيا فانها كريهة عند الشرب صفة
اللذة وقال الليث اللذة واللذيذة يجريان مجرى واحدا فى النعت يقال شراب لذ ولذيذ
وقوله تعالى لَا فِيْهَا غَوْلٌ صفة ايضا واختلف فى الغول فقال الشعبى اى لا تغتال عقولهم فتذهب
بها وقال الكلبى معناه الاثم اى لا اثم فيها وقال قتادة وجع البطن وقال الحسن صداع وقال
اهل المعانى الغول فساد يلحق فى خفاء يقال اغتاله اغتيالا اذا افسد عليه امره فى خفية وخمر
الدنيا يحصل منها انواع الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقئ
والبول ولا يوجد شئ من ذلك فى خمر الجنة وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُوْنَ اى يسكرون وقرأ حمزة
والكسائى بكسر الزاى من انزف الشارب اذا نفد عقله من السكر والباقون بفتحها من نزف
الشارب نزيفا اذا ذهب عقله افرده بالذكر وعطفه على ما يعمه لانه من عظم فساده كانه جنس
براسه + ولما ذكر تعالى صفة مشروبهم ذكر عقبه صفة منكوحهم بقوله تعالى وَعِنْدَهُمْ
قٰصِرٰتُ الطَّرْفِ اى حابسات الاعين غاضات الجفون قصرن ابصارهن على ازواجهن
لا ينظرون الى غيرهم لحسنهم عندهن وقوله تعالى عِيْنٌ جمع عيناء وهى الواسعة العين والذكر
اعين قال الزجاج كبار الاعين حسانها يقال رجل اعين وامرأة عيناء ورجال ونساء عين كَاَنَّهُنَّ
اى فى اللون بَيْضٌ للنعام مَّكْنُوْنٌ اى مستور بريشه لا يصل اليه غبار ولونه وهو البياض
فى صفرة يقال هذا احسن الوان النساء تكون المرأة بيضاء مشربة بصفرة قال ذو الرمة فى ذلك
بيضاء فى نزج صفراء فى نعج + كانها فضة قد مسها ذهب + قال المبرد والعرب تشبه المرأة الناعمة
فى بياضها وحسن لونها ببيضة النعامة وقال بعضهم انما شبهت المرأة بها فى اجزائها فان
البيضة من اى جهة اتيتها كانت فى راى العين مشبهة للاخرى وهو فى
غاية المدح وقد لحظ هذا بعض الشعراء فقال تناسبت الاعضاء فيها فلا ترى + بهن اختلافا بل اتين على قدر

ويجمع البيض على بيوض قال الشاعر ؎ بتيهاء قفر والمطي كانها + قطا الحزن قد كانت فراخا
بيوضها فأقبل بعضهم اى بعض اهل الجنة على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اى
يشربون فيتحادثون على الشراب قال القائل ؎ وما بقيت من اللذات الا + محادثة الكرام على
المدام + واتى بقوله تعالى فأقبل ماضيا لتحقق وقوعه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى
اصحاب النار وقوله تعالى يتساءلون حال من فاعل اقبل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل
وما جرى لهم وعليهم فى الدنيا + ولما ذكر تعالى ان اهل الجنة يتساءلون عند اجتماعهم على
الشراب ويتحدثون كان من جملة كلماتهم انهم يتذكرون ما كان حصل لهم فى الدنيا مما
يوجب الوقوع فى عذاب الله تعالى ثم انهم تخلصوا منه وهو ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله
قال قائل منهم اى من اهل الجنة فى الجنة فى مكالمتهم انى كان لى قرين اى فى الدنيا ينكر البعث
يقول أإنك لمن المصدقين اى كان يوبخنى على التصديق بالبعث ويقول تعجبا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما
أإنا لمدينون اى مجزيون ومحاسبون من الدين بمعنى الجزاء وهذا استفهام انكار + تنبيه + اختلف
فى ذلك القرين فقال مجاهد كان شيطانا وقيل كان من الانس وقال مقاتل كانا اخوين
وقيل كانا شريكين حصل لهما ثمانية الاف دينار فتقاسماها واشترى احدهما دارا بالف
دينار فاراها صاحبه وقال كيف ترى حسنها فقال ما احسنها ثم خرج فتصدق بالف دينار
وقال اللهم ان صاحبى قد ابتاع هذه الدار بالف دينار وانى اسألك دارا من دار الجنة ثم
ان صاحبه تزوج امرأة حسناء بالف دينار فتصدق صاحبه بالف دينار لاجل ان يزوجه الله تعالى
من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى بساتين بالفى دينار فتصدق هذا بالفى دينار ثم ان الله تعالى
اعطاه ما طلبه فى الجنة وقيل كان احدهما كافرا اسمه بطروس والآخر مؤمن اسمه
يهودا وهما اللذان قص الله تعالى خبرهما فى سورة الكهف فى قوله تعالى واضرب لهم مثلا
رجلين قال اى ذلك القائل لاخوته هل انتم مطلعون اى معى الى النار لننظر حاله فيقولون
لا فاطلع ذلك القائل من بعض كوى الجنة قال ابن عباس رضى الله عنهما ان فى الجنة كوى
ينظر اهلها منها الى النار فرآه اى رأى قرينه فى سواء الجحيم اى وسط النار وانما يسمى
وسط الشئ سواء لاستواء الجوانب منه قال له توبيخا مقسما بقوله تالله ان كدت
اى قاربت وان مخففة من الثقيلة لتردين اى لتهلكنى باغوائك اياى بانكار البعث
والقيامة ولولا نعمة ربى اى انعامه علىّ بالايمان والهداية والعصمة لكنت من المحضرين
معك فى النار + تنبيه + اثبت الياء بعد النون فى لتردين ورش والباقون بالتخفيف
+ ولما تم الكلام مع قرينه الذى هو فى النار عاد الى مخاطبة جلسائه من اهل الجنة
وقال افما نحن بميتين وهذا عطف على محذوف اى انحن مخلدون منعمون فما نحن
بميتين اى ممن شأنه الموت وقال بعضهم ان اهل الجنة لا يعلمون فى اول دخولهم الجنة انهم لا يموتون

فاذا جئ بالموت على صورة كبش املح وذبح يقول اهل الجنة للملائكة افما نحن بميتين فتقول الملائكة لا فعند ذلك يعلمون انهم لا يموتون وعلى هذا فالكلام حصل قبل ذبح الموت وقيل ان الذى تكاملت سعادته اذا اعظم تعجبه بها يقول ذلك على جهة التحديث بالنعمة التى انعم الله تعالى بها عليه وقيل يقوله المؤمن لقرينه توبيخا له بما كان ينكره وقوله اِلَّا مَوْتَتَنَا الْاُوْلٰى منصوب على المصدر والعامل فيه الوصف قبله ويكون استثناء مفرغا وقيل هو استثناء منقطع اى لكن الموتة الاولى كانت لنا فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال وهذا قريب فى المعنى من قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِيْنَ هو استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تابيد الحيوة وعدم التعذيب اِنَّ هٰذَا اى الذى ذكر لاهل الجنة لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ من قول اهل الجنة عند فراغهم من هذه المحادثات وقوله تعالى لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعٰمِلُوْنَ قيل انه من بقية كلامهم وقيل انه ابتداء كلام من الله تعالى اى لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام + ولما ذكر تعالى ثواب اهل الجنة ووصفها وذكر ماكل اهل الجنة ومشاربهم وقال لمثل هذا فليعمل العاملون اتبعه بقوله تعالى اَذٰلِكَ اى المذكور لاهل الجنة خَيْرٌ نُّزُلًا وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره اَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّوْمِ اى المعدة لاهل النار نزلا وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفى ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنه بمنزلة ما يقدم للنازل ولهم ما وراء ذلك مما تقصر عنه الافهام وكذا الزقوم لاهل النار وهى اسم شجرة صغيرة الورق زفرة مرة تكون بتهامة ثم سميت به الشجرة الموصوفة واذا عرف هذا فالحاصل من الرزق المعلوم لاهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم ومعلوم انه لا نسبة لاحدهما الى الآخر فى الخيرية الا انه جاء هذا الكلام على سبيل السخرية بهم ولاجل ان المؤمنين لما اختاروا ما اوصلهم الى الرزق الكريم والكافرون اختاروا ما اوصلهم الى العذاب الاليم قيل لهم ذلك توبيخا لهم على اختيارهم اِنَّا اى بما لنا من العظمة والقدرة البالغة جَعَلْنٰهَا فِتْنَةً اى محنة وعذابا لِّلظّٰلِمِيْنَ اى الكافرين قال الكلبى فى الآخرة وابتلاء فى الدنيا لما سمعوا بانها فى النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق من يعيش فى النار ويتلذذ بها فهو اقدر على خلقه الشجر فى النار وحفظه من الاحراق + ولما نزلت هذه الآية قال ابن الزبعرى اكثر الله فى بيوتكم الزقوم فان اهل اليمن يسمون التمر والزبد الزقوم ثم ادخلهم ابوجهل بيته وقال الجارية زقمينا فاتته بزبد وتمر وقال تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد وهذا عناد منه وكذب فانه من العرب العرباء وهم انما يطلقونه على شجرة مسمومة يخرج لها لبن متى مس جسم احد تورم فمات والتزقم البلع الشديد للاشياء الكريهة واما الزبد بالرطب فيسمى الوقت قال ابن الكلبى وانشد سه وانى لمن سالمتم لالوقة + وانى لمن عاديتم سم اسقى ثم ان الله تعالى وصف هذه الشجرة بصفتين الاولى قوله تعالى اِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيْٓ اَصْلِ الْجَحِيْمِ

قال الحسن اصلها فى قعر جهنم واغصانها ترفع الى دركاتها الصفة الثانية قوله تعالى طَلْعُهَا اى ثمرها قال الزمخشرى الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية قال ابن قتيبة سمى طلعا لطلوعه كل سنة فلذلك قيل طلع النخل لاول ما يخرج من ثمره ثم وصف ذلك الطلع بقوله تعالى كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ وفيه وجهان احدهما انه حقيقة وان رؤس الشياطين شجرة معينة بناحية اليمن وتسمى الاستن قال النابغة ؎ تحيد عن استن سود اسافله + مثل الاماء الغوادى تحمل الحزما + وهو شجر منكر الصورة مرّ تسميه العرب بذلك تشبيها برؤس الشياطين فى القبح ثم صار اصلا يشبه به وقيل الشياطين صنف من الحيات لهن اعراف قال الراجز ؎ عجيز تحلف حين احلف + كمثل شيطان الحماط اعرف + وقيل شجرة يقال لها الصوم ومنه قول ساعدة بن جوية ؎ موكل بشدوف الصوم يرقبها + من المعازب مخفوظ الحشا زرم فعلى هذا خوطب العرب بما تعرفه وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة والثانى انه من باب التخييل والتمثيل وذلك ان كل ما يستنكر ويستقبح فى الطباع والصورة يشبه بما يتخيله الوهم وان لم يكن يراه والشياطين وان كانوا موجودين غير مرئيين للعرب الا انه خاطبهم بما الفوه من الاستعارات التخييلية وذلك كقول امرئ القيس ؎ ايقتلنى والمشرفى مضاجعى + ومسنونة زرق كانياب اغوال + ولم يروا انيابها بل ليست موجودة البتة قال الرازى وهذا هو الصحيح وذلك ان الناس لما اعتقدوا فى الملائكة عليهم السلام كمال الفضل فى الصورة والسيرة فكما حسن تشبيه يوسف عليه السلام بالملك عند ارادة الكمال والفضيلة فى قول النسوة ان هذا الا ملك كريم فكذلك حسن التشبيه برؤس الشياطين فى القبح وتشويه الخلقة ويؤكد هذا ان العقلاء اذا رأوا شيئا شديد الاضطراب منكر الصورة قبيح الخلقة قالوا انه شيطان واذا رأوا شيئا حسنا قالوا انه ملك من الملائكة وقال ابن عباس رضى الله عنهما هم الشياطين باعيانهم فَإِنَّهُمْ اى الكفار لَآكِلُونَ مِنْهَا اى من الشجرة او من طلعها فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ والملء حشو الوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه فان قيل كيف يأكلونها مع نهاية خشونتها ونتنها ومرارة طعمها اجيب بان المضطر ربما استروح من الضرر بما يقاربه فى الضرر فاذا اجوعهم الله تعالى الجوع الشديد فزعوا الى ازالة ذلك الجوع بتناول هذا الشئ او يقال ان الزبانية يكرهونهم على الاكل من تلك الشجرة لعذابهم + ولما ذكر الله تعالى طعامهم بتلك البشاعة والكراهية وصف شرابهم بما هو اشنع منه بقوله تعالى ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا اى بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ اى ماء حار يشربونه فيختلط بالماكول منها فيصير شوبا وعطف بثم لاحد معنيين اما لانه يؤخر ما يظنونه يرويهم من عطشهم زيادة فى عذابهم فلذلك اتى بثم المقتضية للتراخى واما لان العادة تقتضى تراخى الشرب عن الاكل فعمل على ذلك المنوال واما ملء البطن فيعقب الاكل فلذلك عطف

على ما قبله بالفاء قال الزجاج الشوب اسم عام في كل ما خلط بغيره والشوب الخلط والمزج ومنه
شاب اللبن يشوبه اى خلطه ومزجه ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ اى مصيرهم لَإِلَى الْجَحِيمِ قال مقاتل اى بعد
اكل الزقوم وشرب الحميم وهذا يدل على انهم عند شرب الحميم لم يكونوا في الجحيم وذلك بان يكون
الحميم في موضع خارج عن الجحيم فهم يردون الحميم لاجل الشرب كما ترد الابل الماء ويدل
عليه قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن وقوله تعالى إِنَّهُمْ أَلْفَوْا اى وجدوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ
فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد قال الفراء الاهراع الاسراع يقال
هرع واهرع اذا استحث والمعنى انهم يتبعون آباءهم في سرعة كانهم يزعجون الى اتباع آبائهم
وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ثم انه تعالى ذكر لرسوله صلى الله
عليه وسلم ما يسليه في كفرهم وتكذيبهم بقوله سبحانه وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ اى قبل قومك أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ
اى من الامم الماضية وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ اى انبياء انذروهم من العواقب فبين تعالى
ان ارساله الرسل قد تقدم والتكذيب لهم قد سلف فوجب ان يكون له صلى الله عليه وسلم
اسوة بهم حتى يصبر كما صبروا ويستمر على الدعاء الى الله تعالى وان تمردوا فليس عليه الا البلاغ
وقرأ قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال والباقون بالادغام ثم قال تعالى فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ اى الكافرين كانت عاقبتهم العذاب وهذا خطاب وان كان ظاهره مع النبي
صلى الله عليه وسلم الا ان المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا بالاخبار ما جرى على قوم نوح وعاد
وثمود وغيرهم من انواع العذاب فان لم يعلموا ذلك فلا اقل من ظن وخوف يحتمل ان يكون زاجرا
لهم عن كفرهم وقوله تعالى إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ استثناء من المنذرين استثناء منقطع لانه وعيد ع
وهم لا يدخلون في هذا الوعيد وقيل استثناء من قوله تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين
والمراد بالمخلصين الموحدون نجوا من العذاب وتقدمت القراءة في المخلصين ثم شرع تعالى
في تفصيل القصص بعد اجمالها بقوله تعالى وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ اى نادى ربه ان ينجيه مع من نجى من الغرق
بقوله رب اني مغلوب فانتصر فاجاب الله تعالى دعاءه وقوله تعالى فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ جواب
قسم مقدر اى فوالله ومثله لعمري لنعم السيدان وجدتما والمخصوص بالمدح محذوف اى نحن
اجبنا دعاءه واهلكنا قومه وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ اى من الغرق واذى قومه وهذه الاجابة
كانت من النعم العظيمة وذلك من وجوه اولها انه تعالى عبر عن ذاته بصيغة الجمع فقال ولقد
نادانا نوح فالقادر العظيم لا يليق به الا الاحسان العظيم وثانيها انه تعالى اعاد صيغة الجمع فقال
تعالى فلنعم المجيبون وفي ذلك ايضا ما يدل على تعظيم تلك النعمة لا سيما وقد وصف الله تعالى تلك
الاجابة بانها نعمت الاجابة وثالثها ان الفاء في قوله تعالى فلنعم المجيبون تدل على ان حصول تلك
الاجابة مرتب على ذلك النداء وهذا يدل على ان النداء بالاخلاص سبب لحصول الاجابة وقوله
تعالى وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ يفيد الحصر وذلك يدل على ان كل من سواه وسوى ذريته قد فنوا

فالناس كلهم من نسله عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنه ذريته بنوه الثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزرج ويأجوج ومأجوج وما هنالك قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خرج نوح من السفينة مات كل من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ اي ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيمة وقيل ان نصلي عليه الى يوم القيمة وقوله تعالى ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ مبتدأ وخبر وفيه اوجه احدها انه مفسر لتركنا والثاني انه مفسر لمفعوله اي تركنا عليه ثناء وهو هذا الكلام وقيل ثم قول مقدر اي فقلنا سلام وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقيل سلط تركنا على ما بعده ﴿فِي الْعَالَمِينَ﴾ متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ تعليل لما فعل بنوح عليه السلام من التكرمة بانه مجازاة له اي انما خصصناه بهذه التشريفات الرفيعة من جعل الدنيا مملوءة من ذريته ومن تبقية ذكره الحسن في السنة العالمين لاجل كونه محسنا وقوله تعالى ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ كفار قومه القصة الثانية قصة ابراهيم عليه السلام المذكورة في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾ اي ممن شايعه في الايمان واصول الشريعة ﴿لَإِبْرَاهِيمَ﴾ ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وقال الكلبي الضمير يعود على محمد صلى الله عليه وسلم اي وان من شيعة محمد صلى الله عليه وسلم لابراهيم عليه الصلوة والسلام والشيعة قد تطلق على المتقدم كقول القائل ؎ وما لي الا آل احمد شيعة ✽ وما لي الا مذهب الحق مذهب ✽ فجعل آل احمد وهم متقدمون عليه وهو تابع لهم شيعة له قاله الفراء والمعروف ان الشيعة تكون في المتأخر قالوا كان بين نوح وابراهيم نبيان هود وصالح وذكر الزمخشري انه كان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة وفي العامل في قوله تعالى ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ﴾ وجهان احدهما اذكر مقدرا وهو المعروف والثاني قال الزمخشري ما في معنى الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه ورد هذا ابو حيان قال لان فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وهو لابراهيم لانه اجنبي من شيعته ومن اذ واختلف في قوله عز وجل ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ فقال مقاتل والكلبي المعنى انه سليم من الشرك لانه انكر على قومه الشرك وقال الاصوليون معناه انه عاش ومات على طهارة القلب من كل معصية وقوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ بدل من اذ الاولى او ظرف لسليم او لجاء وقوله تعالى لهم ﴿مَاذَا﴾ اي ما الذي ﴿تَعْبُدُونَ﴾ استفهام توبيخ وتهجين لتلك الطريقة وتقبيحها وفي قوله ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ اوجه من الاعراب احدها انه مفعول من اجله اي اتريدون آلهة دون الله افكا فآلهة مفعول به ودون ظرف لتريدون وقدمت معمولات الفعل اهتماما بها وحسنه كون العامل رأس فاصلة وقدم المفعول من اجله على المفعول به

اهتماما به لانه مكافح لهم بانهم على افك وباطل وبهذا الوجه بدأ الزمخشري الثاني ان يكون مفعولا به بتريدون
ويكون آلهة بدلا منه جعلها نفس الافك مبالغة فابدلها منه وفسره بها واقتصر على هذا ابن عطية
الثالث انه حال من فاعل تريدون اي اتريدون آلهة آفكين او ذوي افك واليه نحا الزمخشري
واعترضه ابو حيان بان جعل المصدر حالا لا يطرد الا مع نحو اما علما فعالم والافك اسوأ الكذب
فَمَا ظَنُّكُم اي اتظنون بِرَبِّ الْعَالَمِينَ انه جوز جعل هذه الجمادات مشاركة له في العبودية او تظنون
برب العالمين انه من جنس هذه الاجسام حتى جعلتموها مساوية له في العبودية فنبههم بذلك
على انه ليس كمثله شيء او فما ظنكم برب العالمين اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يترككم
بلا عذاب لا وكانوا نجامين فخرجوا الى عيد لهم وتركوا طعامهم عند اصنامهم زعموا التبرك
عليه فاذا رجعوا اكلوه وقالوا للسيد ابراهيم عليه الصلوة والسلام اخرج فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ايهاما لهم
انه يعتمد عليها فيتبعوه فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ اي عليل وذلك انه اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم
الحجة في انها غير معبودة واراد ان يتخلف عنهم ليبقى خاليا في بيت الاصنام فيقدر على كسرها
فان قيل النظر في علم النجوم غير جائز فكيف قدم ابراهيم عليه السلام عليه وايضا لم يكن
سقيما فكيف اخبرهم بخلاف حاله اجيب عن ذلك بانا لا نسلم ان النظر في
علم النجوم والاستدلال بها حرام لان من اعتقد ان الله تعالى خص كل واحد من هذه
الكواكب بطبع وخاصة لاجلها يظهر منه اثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل واما
الكذب فغير لازم لان قوله اني سقيم على سبيل التعريض بمعنى ان الانسان لا ينفك في اكثر
احواله عن حصول حالة مكروهة اما في بدنه واما في قلبه وكل ذلك سقم وعلى تقدير تسليم
ذلك اجيب باوجه احدها ان نظره في النجوم اي في اوقات الليل والنهار وكانت تأتيه الحمى
في بعض ساعات الليل والنهار فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فقال اني سقيم فجعله عذرا في تخلفه
عن العيد الذي لهم فكان صادقا فيما قال لان السقم كان يأتيه في ذلك الوقت ثانيها انهم كانوا اصحاب
النجوم اي يعلمونها ويقضون بها على امورهم فلذلك نظر ابراهيم في النجوم اي في علم النجوم كما تقول نظر
فلان في الفقه اي في علم الفقه فاراد ابراهيم ان يوهمهم انه نظر في علمهم وعرف منه ما يعرفونه حتى
اذا قال لهم اني سقيم سكنوا الى قوله واما قوله اني سقيم فمعناه ساسقم كقوله تعالى انك ميت اي
ستموت ثالثها ان نظره في النجوم هو قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الآيات فكان نظره لتعرف
هذه الكواكب هل هي قديمة او حادثة وقوله اني سقيم اي سقيم القلب غير عارف بربي وكان ذلك
قبل بلوغه رابعها قال ابن زيد كان له نجم مخصوص وكلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابراهيم
فلهذا الاستقراء لما رآه في تلك الحالة المخصوصة قال اني سقيم اي هذا السقم واقع لا محالة
خامسها ان قوله اني سقيم اي مريض القلب بسبب اطباق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك كقوله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم فلعلك باخع نفسك سادسها قال الرازي قال بعضهم ذلك القول عن

ابراهيم عليه السلام كذبة واوردوا فيه حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما كذب ابراهيم
الا ثلاث كذبات قلت لبعضهم هذا الحديث لا ينبغي ان ينقل اذ فيه نسبة الكذب الى ابراهيم عليه
السلام فقال ذلك الرجل فكيف نحكم بكذب الراوي العدل فقلت له لما وقع التعارض بين نسبة
الكذب الى الراوي وبين نسبة الكذب الى الخليل كان من المعلوم بالضرورة ان نسبة الكذب
الى الراوي اولى ثم نقول لم لا يجوز ان يكون المراد بقوله فنظر نظرة في النجوم اي نجوم كلامهم ومتفرقات
اقوالهم فان الاشياء التي تحدث قطعة قطعة يقال انها منجمة اي مفرقة ومنه نجوم المكاتب
والمعنى انه لما سمع كلماتهم المتفرقة نظر فيها حتى يستخرج منها حيلة يقدر بها على اقامة عذر لنفسه
في التخلف عنهم فلم يجد عذرا احسن من قوله اني سقيم والمراد انه لا بد من ان يصير سقيما كما تقول
لمن رايته يتجهز للسفر انك مسافر + ولما قال اني سقيم تولوا عنه كما قال تعالى فَتَوَلَّوْا عَنْهُ اي
الى عيدهم مُدْبِرِينَ اي هاربين مخافة العدوى وتركوه وعذروه في عدم الخروج الى عيدهم
فَرَاغَ اي مال في خفية واصله من روغان الثعلب وهو تردده وعدم ثبوته بمكان ولا يقال
راغ حتى يكون صاحبه مخفيا لذهابه ومجيئه إِلَى آلِهَتِهِمْ وعندها الطعام فَقَالَ استهزاء بها أَلَا
تَأْكُلُونَ اي الطعام الذي كان بين ايديهم فلم ينطقوا فقال استهزاء بها ايضا مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ
فلم تجب فَرَاغَ عَلَيْهِمْ اي مال عليهم مستخفيا وقوله تعالى ضَرْبًا مصدر واقع موقع الحال اي فراغ
عليهم ضاربا او مصدر لفعل وذلك الفعل حال تقديره فراغ يضرب ضربا وقوله تعالى بِالْيَمِينِ متعلق
بضربا ان لم تجعله مؤكدا والا فبعامله واليمين يجوز ان يراد بها احدى اليدين وهو الظاهر وان يراد
بها القوة واقتصر عليه الجلال المحلي فالباء على هذا للحال اي متلبسا بالقوة وان يراد بها الحلف
وفاء بقوله وتالله لاكيدن اصنامكم والباء على هذا للسبب وعدى راغ الثاني بعلى لما كان مع الضرب
المستولي من فوقهم الى اسفلهم بخلاف الاول فانه مع توبيخ لهم واتى بضمير العقلاء في قوله تعالى
عليهم جريا على ظن عبدتها انها كالعقلاء ثم انه عليه السلام كسرها فبلغ قومه من رآه فذلك فَأَقْبَلُوا
إِلَيْهِ اي الى ابراهيم بعد ما رجعوا ورأوا اصنامهم مكسرة يَزِفُّونَ اي يسرعون المشي وقرأ حمزة
بضم الياء على البناء للمفعول من ازفه اي يحملون على الزفيف والباقون بفتحها من زف يزف
فقالوا نحن نعبدها وانت تكسرها قال لهم توبيخا أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ اي من الحجارة وغيرها
اصناما وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ اي نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده + تنبيه + دلت هذه الآية على
مذهب الاشعرية وهو ان فعل العبد مخلوق لله عز وجل وهو الحق وذلك لان النحويين اتفقوا
على ان لفظ ما مع ما بعده في تقدير المصدر فقوله تعالى وما تعملون معناه وعملكم وعلى هذا
فيصير معنى الآية والله خلقكم وخلق عملكم + ولما اورد عليهم الحجة القوية ولم يقدروا على الجواب
عدلوا الى طريقة الايذاء لئلا يظهر للعامة عجزهم بان قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا قال ابن عباس رضي
الله عنهما بنوا حائطا من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤوه نارا

فاطرحوه فيها وذلك هو قوله تعالى فألقوه في الجحيم وهي النار العظيمة قال الزجاج كل نار بعضها فوق
بعض فهي جحيم فأرادوا به كيدًا أي شرًا بإلقائه في النار لتهلكه فجعلناهم الأسفلين أي المقهورين
الأذلين بإبطال كيدهم وجعلناه لك برهانًا نيرًا على علو شأنه حيث جعلنا النار عليه بردًا وسلامًا
وخرج منها سالمًا وقال إني ذاهب إلى ربي أي إلى حيث أمرني ربي ونظيره قوله تعالى وقال
إني مهاجر إلى ربي أي مهاجر إليه من دار الكفر سيهدين أي إلى ما فيه صلاح ديني أو إلى
مقصدي وهو الشام وإنما بت القول لسبق وعده أو لفرط توكله أو للبناء على عادته تعالى
معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل فلذلك
ذكر بصيغة التوقع تنبيه لما وصل إلى الأرض المقدسة قال رب هب لي من الصالحين أي هب لي
ولدًا صالحًا يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة لأن لفظ هب غلب في الولد وإن
كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيًا قال الله تعالى فبشرناه
بغلام حليم أي ذي حلم كثير في كبره غلام في صغره ففيه بشارة بأنه ابن وأنه يعيش وينتهي إلى سن
يوصف بالحلم وأي حلم أعظم من أنه عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني إن شاء الله من
الصابرين وقيل ما وصف الله تعالى نبيًا بالحلم لعزة وجوده غير إبراهيم وابنه إسمعيل عليهما الصلوة والسلام
وحالهما المذكورة تشهد عليه فلما بلغ معه السعي أي أن يسعى معه قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة
بلغ معه السعي أي المشي معه إلى الجبل وقال مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما شب حتى بلغ سعيه
سعي إبراهيم والمعنى بلغ أن يتصرف معه ويعينه في عمله وقال الكلبي يعني العمل لله تعالى وكان
له يومئذ ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين تنبيه معه متعلق بمحذوف على سبيل البيان كأن
قائلًا قال مع من بلغ السعي فقيل مع أبيه ولا يجوز تعلقه ببلغ لأنه يقتضي بلوغهما معًا حد السعي ولا يجوز
تعلقه بالسعي لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه وقوله تعالى قال يا بني إني أرى أي رأيت في المنام
أني أذبحك يحتمل أنه رأى ذلك وأنه رأى ما هو تعبيره وقيل إنه رأى في ليلة التروية في منامه
كأن قائلًا يقول له إن الله تعالى يأمرك بذبح ابنك فلما أصبح تروى في ذلك من الصباح إلى الرواح
أمن الله أم من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى أيضًا مثل ذلك فعرف أنه من الله
تعالى فسمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وهذا قول أكثر المفسرين وهو
يدل على أنه رأى في المنام ما يوجب أن يذبح ابنه في اليقظة وعلى هذا فتقدير اللفظ أرى في المنام
ما يوجب أني أذبحك تنبيه اختلف في الذبيح فقيل هو إسحق عليه السلام وبه قال عمر وعلي
وابن مسعود رضي الله عنهم وغيرهم وقيل إسمعيل وبه قال ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب رضي الله
عنهم وغيرهم وهو الأظهر كما قاله البيضاوي لأنه الذي وهب له إثر الهجرة ولأن البشارة بإسحق
بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين فقال له أعرابي
يا ابن الذبيحين فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم فسئل عن ذلك فقال إن عبد المطلب لما حفر بئر

زمزم ثم ان سهل الله امرها يذبح احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له
افد ابنك بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة والذبيح الثاني اسمعيل ونقل الاصمعي انه قال
سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل
بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة وقد وصف الله تعالى اسمعيل عليه السلام بالصبر دون
اسحق عليه السلام في قوله تعالى واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح
ووصفه ايضا بصدق الوعد فقال انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح
فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف
تقع البشارة باسحق وانه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح اسحق وهو صغير قبل ان يولد له فهذا ينافي
البشارة المتقدمة وقال الامام احمد بن حنبل الصحيح ان الذبيح اسمعيل عليه السلام وعليه جمهور العلماء
من الخلف والسلف قال ابن عباس وزعمت اليهود انه اسحق عليه السلام وكذبت اليهود وروي [illegible] انه
صلى الله عليه وسلم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق
ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من
الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم
عليه السلام اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة
فيبيت عند اهله بالشام حتى بلغ اسمعيل معه السعي امر في المنام ان يذبحه قال مقاتل راى ذلك ابراهيم
عليه السلام ثلاث ليال متتابعات فلما تيقن ذلك قال لابنه فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى من الراي فشاوره ليأنس
بالذبح وينقاد للامر به قال ابن اسحق وغيره لما امر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية
وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في الشعب شعب ثبير اخبره بما امر قال يَا أَبَتِ افْعَلْ
مَا تُؤْمَرُ اي ما امرت به سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصَّابِرِينَ اي على ذلك وقرأ يا بني حفص بفتح الياء والباقون
بالكسر وقرأ اني اذبحك نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون وقرأ ماذا ترى حمزة والكسائي بضم التاء
وكسر الراء والباقون بفتحهما والحكمة في مشاورته في هذا الامر ليظهر له صبره في طاعة الله تعالى فيكون
فيه قرة عين لابراهيم حيث يراه قد بلغ في الحكمة الى هذا الحد العظيم والصبر على اشد المكاره الى هذه
الدرجة العالية ويحصل للابن الثواب العظيم في الآخرة والثناء الحسن في الدنيا وقرأ يا ابت ابن عامر
في الوصل بفتح التاء وكسرها الباقون والتاء عوض عن ياء الاضافة ووقف عليها بالهاء ابن كثير
وابن عامر ووقف الباقون بالتاء والرسم بالتاء وفتح ياء ستجدني في الوصل نافع وسكنها الباقون
فَلَمَّا أَسْلَمَا اي انقادا وخضعا لامر الله وقال قتادة اسلم ابراهيم ابنه واسلم الابن نفسه وَتَلَّهُ
لِلْجَبِينِ اي صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة والجبهة بين الجبينين
ويشذ جمعه على اجبن وقياسه في القلة اجبنة كارغفة وفي الكثرة جبن وجبينات كرغيف
ورغف ورغفان وقيل انه لما اراد ذبحه قال يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب فينقص

اجري واكفف عني ثيابي حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء وتراه امي فتحزن حزنا طويلا واشحذ شفرتك
واسرع مر السكين على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد واذا اتيت امي فاقرأ عليها السلام
مني وان رأيت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عني فقال له ابراهيم نعم
العون انت يا بني على امر الله تعالى ففعل ابراهيم ما امره به ابنه ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو
يبكي والابن يبكي ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحك شيئا ثم انه شحذها مرتين او ثلاثا بالحجر كل
ذلك لا يستطيع ان يقطع شيئا قال السدي ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه قال فقال
الابن عند ذلك يا ابت كبني على وجهي لجبيني فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رحمة
تحول بينك وبين امر الله وانا لا انظر الشفرة فاجزع ففعل ذلك ابراهيم ووضع السكين على قفاه فانقلبت
السكين ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ اي بالعزم والاتيان بالمقدمات ما امكنك تنبيه
في جواب لما ثلاثة اوجه اظهرها انه محذوف اي نادته الملائكة عليهم السلام او ظهر صبرهما
او اجزلنا لهما اجرهما وقدره بعضهم بعد الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال والوصف مما
لا يدرك كنهه ونقل ابن عطية ان التقدير فلما اسلما اسلما وتله للجبين ويعزى هذا لسيبويه وشيخه
الخليل الثاني انه وتله للجبين والواو زائدة وهو قول الكوفيين والاخفش الثالث انه وناديناه والواو
زائدة ايضا واقتصر على هذا الجلال المحلي وروى ابو هريرة عن كعب الاحبار ان ابراهيم عليه السلام
لما رأى ذبح ولده قال الشيطان لئن لم افتن آل ابراهيم عند هذا لم افتن احدا منهم ابدا فتمثل الشيطان
في صورة رجل واتى ام الغلام وقال هل تدرين اين يذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به يحتطبان
من هذا الشعب قال والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو ارحم به واشد حبا له من ذلك قال
انه يزعم ان الله امره بذلك قالت فان كان ربه امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه فخرج من
عندها الشيطان ثم ادرك الابن وهو يمشي على اثر ابيه فقال له يا غلام هل تدري اين يذهب
بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال والله ما يريد الا ان يذبحك قال ولم قال زعم
ان ربه امره قال فليفعل ما امره به ربه فسمع وطاعة فلما امتنع منه الغلام اقبل على ابراهيم فقال له اين تريد
ايها الشيخ قال اريد هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك
فامرك بذبح ولدك هذا فعرفه ابراهيم فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع
ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيئا كما اراد الله عز وجل وروى ابو الطفيل عن ابن عباس رضي
الله عنه ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما امر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه
ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له
عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ادركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى
ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله تعالى فنودي من الجبل ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فان قيل لم قال تعالى
قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح اجيب بانه جعله مصدقا لانه قد اتى بما امكنه

والمطلوب استسلامهما لامر الله تعالى وقد فعلا وقيل كان قد رأى في النوم معالجة الذبح ولم ير
اراقة الدم وقد فعل في اليقظة ما رآه في النوم ولذلك قال قد صدقت الرؤيا قال المحققون
السبب في هذا التكليف كمال طاعة ابراهيم لتكاليف الله تعالى فلما كلفه الله تعالى بهذه التكاليف
الشاقة الشديدة وظهر منه كمال الطاعة والانقياد لا جرم قال الله تعالى قد صدقت الرؤيا وقوله
تعالى اِنّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ ابتداء اخبار من الله تعالى والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولدك كذلك
نجزي من احسن في طاعتنا قال مقاتل جزاه الله تعالى باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه اِنَّ هٰذَا
اي الذبح المأمور به لَهُوَ الْبَلٰٓؤُا الْمُبِيْنُ اي الاختبار الظاهر الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم
والمحنة البينة الصعبة التي لا محنة اصعب منها وقال مقاتل البلاء ههنا النعمة وهو ان فدى ابنه
بالكبش كما قال تعالى وَفَدَيْنٰهُ اي المأمور بذبحه وهو اسمعيل وهو الاظهر وقيل اسحق بِذِبْحٍ عَظِيْمٍ
اي عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لان الله تعالى فدى به نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد
المرسلين عليه الصلوة والسلام وهو كبش اتى به جبريل عليه السلام من الجنة وهو الذي قربه
هابيل فقال لابراهيم هذا فداء ولدك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ولده وكبر جبريل وكبر
الكبش واخذ ابراهيم الكبش واتى به المنحر من منى فذبحه قال البغوي قال اكثر المفسرين كان ذلك
الذبح كبشا رعى في الجنة اربعين خريفا وقيل كان وعلا اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب منه عند الجمرة
فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والذبح مصدر ويطلق على ما يذبح وهو المراد في هذه
الاية وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْاٰخِرِيْنَ ثناء حسنا وقوله تعالى سَلٰمٌ اي منا عَلٰٓى اِبْرٰهِيْمَ سبق بيانه
في قصة نوح عليهما السلام كَذٰلِكَ اي كما جزيناه نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ لانفسهم وقوله تعالى اِنَّهٗ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَ تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره وقوله تعالى وَبَشَّرْنٰهُ
بِاِسْحٰقَ فيه دليل على ان الذبيح غيره وقد مرت الاشارة الى ذلك وقوله تعالى نَبِيًّا حال مقدرة اي
يوجد مقدرا نبوته وقوله تعالى مِنَ الصّٰلِحِيْنَ يجوز ان يكون صفة لنبيا وان يكون حالا من الضمير
في نبيا فتكون حالا متداخلة ويجوز ان تكون حالا ثانية ومن فسر الذبيح باسحق عليه السلام جعل
المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها
معنى الكمال والتكميل وَبٰرَكْنَا عَلَيْهِ اي على ابراهيم عليه السلام بتكثير ذريته وَعَلٰٓى اِسْحٰقَ
بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهم السلام فجميع الانبياء بعده
من صلبه الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه من ذرية اسمعيل عليه السلام وفيه اشارة الى انه
مفرد علم فهو صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء عليهم الصلوة والسلام وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ اي
مؤمن مطيع وَظَالِمٌ اي كافر وفاسق لِنَفْسِهٖ مُبِيْنٌ اي ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له
في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب لا غير ذلك والله اعلم القصة
الثالثة قصة موسى وهرون عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلٰى مُوْسٰى وَهٰرُوْنَ ٦

اي انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما اي بني اسرائيل من
الكرب اي الغم العظيم اي الذي كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل من الغرق والضمير
في قوله تعالى ونصرناهم يعود على موسى وهرون وقومهما وقيل على الاثنين بلفظ الجمع تفخيما
كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقول الشاعر فان شئت حرمت النساء سواكم فكانوا هم
الغالبين اي على فرعون وقومه في كل الاحوال اما في اول الامر فبظهور الحجة واما في آخر الامر
فبالدولة والرفعة تنبيه يجوز في هم ان يكون تاكيدا وان يكون بدلا وان يكون فصلا وهو
الاظهر وآتيناهما الكتاب المستبين اي المستنير البليغ البيان المشتمل على جميع العلوم المحتاج اليها
في مصالح الدين والدنيا وهو التوراة كما قال تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور وهديناهما
الصراط المستقيم اي دللناهما على الطريق الموصل الى الحق والصواب عقلا وسمعا وتركنا اي ابقينا
عليهما ثناء حسنا في الآخرين سلام اي منا على موسى وهرون انا كذلك اي كما
جزيناهما نجزي المحسنين وقوله تعالى انهما من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانهما
بالايمان واظهار لجلالة قدره واصالة امره القصة الرابعة قصة الياس عليه السلام المذكورة
في قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال الياس هو ادريس وهو
قول عكرمة وقال اكثر المفسرين انه نبي من انبياء بني اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع
عليهما السلام وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشير بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران
عليهما السلام تنبيه اذكر فيه شيئا من قصته عليه السلام قال علماء السير والاخبار لما قبض الله تعالى
حزقيل النبي عليه السلام عظمت الاحداث وفشا في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام
وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى عز وجل اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء من
بني اسرائيل يبعثون بعد موسى عليه السلام بتجديد ما نسوا من احكام التوراة وبنو اسرائيل كانوا
متفرقين في ارض الشام وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون عليه السلام لما فتح الشام قسمها على بني اسرائيل
واحل سبطا منها ببعلبك ونواحيها وهم السبط الذين كان منهم الياس فبعثه الله تعالى اليهم نبيا
وعليهم يومئذ ملك اسمه لاجب وكان اضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان لهم صنم طوله عشرون
ذراعا وله اربعة وجوه وكان يسمى بعل وكانوا قد افتتنوا به وعظموه وجعلوا له اربعمائة سادن فجعلوهم
وكان الشيطان يدخل جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس
وهم اهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من
امر الملك فانه آمن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره ويسدده ويرشده وكانت للملك امرأة
تسمى ازبيل جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب عنهم في غزاة او غيرها وكانت تبرز للناس
تقضي بينهم وكانت قتالة للانبياء ويقال انها هي التي قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام وكان لها كاتب
رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من يدها ثلثمائة نبي كانت تريد قتلهم اذا بعث كل

منهم سوى الذين قتلتهم وكانت فى نفسها غير محصنة وكانت قد تزوجت سبعةً من ملوك بنى اسرائيل
وقتلتهم كلهم بالاغتيال وكانت معمرة يقال انها ولدت سبعين ولدا وكان لاجب هذا جار رجل
صالح يقال له مزدكى وكان له جنينة يعيش منها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا
يشرفان عليها يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها وكان الملك يحسن جوار صاحبها
مزدكى ويحسن اليه وامرأته ازميل تحسده لاجل تلك الجنينة وتحتال ان تغصبها منه لما تسمع الناس
يكثرون ذكرها ويتعجبون من حسنها وتحتال ان تقتله والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد عليه سبيلا
ثم انه اتفق خروج الملك الى مكان بعيد وطالت غيبته فاغتنمت امرأته ازميل ذلك فجمعت جماعة من
الناس وامرتهم ان يشهدوا على مزدكى انه سب زوجها لاجب فاجابوها اليه وكان فى حكمهم
فى ذلك الزمان القتل على من سب الملك فاقامت عليه البينة فاحضرت مزدكى وقالت له بلغنى
انك شتمت الملك فانكر فاحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور فامرت بقتله واخذت جنينته
فلما قدم الملك من سفره اخبرته الخبر فقال لها ما اصبت ولا ارانا نفلح بعده فقد جاورنا منذ زمان
فاحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فختمت امره باسوأ الجوار قالت انما غضبت لك
وحكمت بحكمك فقال لها اوما كان يسعه حلمك فتحفظين له جواره قالت قد كان ما كان فبعث الله
الياس الى لاجب الملك وامره الله ان يخبرهم ان الله تعالى قد غضب عليهم لوليه حين قتلوه ظلما
وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة مزدكى ان يهلكهما يعنى
لاجب وامرأته فى جوف الجنينة ثم يدعهما جثتين ملقيين فيها حتى تتفرق عظامهما من
لحومهما ولا يتمتعان بها الا قليلا فجاء الياس فاخبر الملك بما اوحى الله فى امره وامرأته والجنينة
فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما ارى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم
بتعذيبه وقتله فلما احس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل وارتقى
الياس الى اصعب جبل واشمخه فدخل مغارة فيه ويقال انه بقى سبع سنين شريدا خائفا يأوى الى الشعوب
والكهوف يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم فى طلبه قد وضعوا العيون عليه والله تعالى يستره
منهم فلما طال الامر على الياس وطال عصيان قومه وضاق بذلك ذرعا اوحى الله تعالى اليه بعد سبع
سنين يا الياس ما هذا الخوف الذى انت فيه الست امينى على وحيى وحجتى فى ارضى وصفوتى
من خلقى فسلنى اعطك فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال تميتنى فتلحقنى بآبائى
فانى قد مللت بنى اسرائيل وملونى فاوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا اليوم الذى اعرى منك
الارض واهلها وانما قوامها وصلاحها بك واشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلنى فاعطك قال
الياس ان لم تمتنى فاعطنى ثأرى من بنى اسرائيل قال الله تعالى واى شئ تريد ان اعطيك قال
تمكننى من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشئ سحابة عليهم الا بدعوتى ولا تمطر عليهم سبع سنين
قطرة الا بشفاعتى فانهم لا يذلهم الا ذلك قال الله تعالى يا الياس انا ارحم بخلقى من ذلك وان كانوا

ظالمين قال فست سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك ولكن
اعطيك ثلاث سنين اجعل خزائن المطر بيدك قال فبأي شيء اعيش قال اسخر لك جنسا من
ينقل اليك طعامك وشرابك من الريف ومن الارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك
الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا عظيما والياس على حالته
مستخف من قومه يوضع له الرزق حيثما كان وقد عرف ذلك قومه قال ابن عباس اصاب
بني اسرائيل ثلاث سنين القحط فمرّ الياس بعجوز فقال لها هل عندكم طعام قالت نعم شيء من دقيق
وزيت قليل فدعا بهما ودعا فيه بالبركة حتى ملأ جرابها دقيقا وخوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها
قالوا لها من اين لك هذا قالت مرّ بي رجل من حاله كذا وكذا ثم وصفته بصفته فعرفوه وقالوا
ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه اوى الى بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن يقال له
اليسع بن اخطوب به مرض فاوته واخفت امره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع الياس
وآمن به وصدّقه ولزمه وكان يذهب حيثما ذهب وكان الياس قد كبر سنه واليسع غلام شابا
ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس انك قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والطير
والهوام بحبس المطر فقال الياس يا رب دعني انا الذي اكون ادعو لهم واتيهم بالفرج مما هم فيه
من البلاء لعلهم ان يرجعوا عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل
فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على
باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان
هي لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوتم الله سبحانه وتعالى ففرج عنكم ما انتم فيه من البلاء
قالوا انصفت فخرجوا باوثانهم فدعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ثم قالوا للياس انا
قد هلكنا فادع الله لنا فدعا لهم الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على
ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم ارسل الله تعالى عليهم المطر فاغاثهم
وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم المطر لم ينزعوا عن كفرهم واقاموا على اخبث ما كانوا عليه
فلما رأى ذلك الياس دعا ربه ان يريحه منهم فقيل له انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه الى موضع كذا فما جاءك
من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذي امر به اقبل فرس من
نار وقيل لونه كلون النار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس وانطلق به الفرس وناداه اليسع يا الياس
ما تأمرني فقذف اليه بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل
وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب
وكساه الريش فكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا وسلط الله تعالى على لاجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم
من حيث لم يشعروا به حتى ارهقهم فقتل لاجب وامرأته ازبيل في بستان مزدكي فلم تزل جيفتاهما
ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى اليسع وبعثه رسولا الى

بني اسرائيل فاوحى الله تعالى اليه وايده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع روى السري بن يحيى عن عبد العزيز بن ابي رواد قال الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان موسم الحج في كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين اذ اي اذكر يا افضل الخلق اذ قال لقومه الا تتقون اي الا تخافون الله ولما خوفهم على سبيل الاجمال ذكر ما هو السبب لذلك التخويف بقوله تعالى أتدعون بعلا اسم لصنم لهم من ذهب وبه سميت البلد ايضا مضافا الى بك اي اتعبدونه او تطلبوا الخير منه وقيل البعل الرب بلغة اليمن سمع ابن عباس رجلا منهم ينشد ضالة فقال آخر انا بعلها فقال الله اكبر وتلا الآية ويقال من بعل هذه الدار اي من ربها وسمي الزوج بعلا لهذا المعنى قال الله تعالى وبعولتهن احق بردهن وقالت امرأة ابراهيم وهذا بعلي شيخا والمعنى اتدعون بعض البعول وتذرون اي وتتركون احسن الخالقين فلا تعبدونه وقرأ ابن ذكوان بهمزة الوصل من الياس في الوصل فاذا ابتدأ بها ابتدأ بفتحها والباقون بهمزة مكسورة وصلا وابتداء وقوله تعالى الله ربكم ورب آبائكم الاولين قرأه حفص وحمزة والكسائي بنصب الهاء من الاسم الكريم ونصب الباء الموحدة من ربكم ورب وذلك اما على المدح او البدل او البيان ان قلنا ان اضافة افعل اضافة محضة والباقون بالرفع في الثلاثة وذلك اما على خبر مبتدأ مضمر اي هو الله او على ان الجلالة مبتدأ وما بعده الخبر فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا وقوله تعالى الا عباد الله المخلصين اي المؤمنين مستثنى من فاعل فكذبوه وفيه دلالة على ان في قومه من لم يكذبه فلذلك استثنوا ولا يجوز ان يكونوا مستثنين من ضمير لمحضرون لفساد المعنى لانه يلزم ان يكونوا مندرجين فيمن كذب لكنهم لم يحضروا لكونهم عباد الله المخلصين وهو بين الفساد لا يقال هو مستثنى منه استثناء منقطعا لانه يصير المعنى لكن عباد الله المخلصين من غير هؤلاء لم يحضروا ولا حاجة الى هذا اذ به يفسد نظم الكلام وتقدم الكلام على قراءة المخلصين في اول السورة وتركنا عليه في الآخرين ثناء حسنا سلام اي منا وقوله تعالى على ال ياسين قرأ نافع وابن عامر بفتح الهمزة الممدودة وكسر اللام وقطعها عن الياء كال محمد اي اهله والمراد به الياس والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام وهي مقطوعة عن الياء قيل هو الياس المتقدم وقيل هو ومن آمن معه فجمعوا معه تغليبا كقولهم المهلب وقومه المهلبون وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن او غيره من كتب الله تعالى قال البيضاوي والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين اي كما جزيناه انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس القصة الخامسة قصة لوط عليه السلام المذكورة في قوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين اذ اي واذكر اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين اي الباقين في العذاب ثم دمرنا اي اهلكنا الآخرين اي كفار قومه

وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم مصبحين اى على منازلهم فى متاجركم الى الشام فان سدوم فى طريقه
وقوله تعالى وباليل عطف على الحال قبلها اى ملتبسين بالليل والمعنى ان اولئك القوم كانوا
يسافرون الى الشام والمسافر فى اكثر الامر انما يمشى فى اول الليل وفى اول النهار فلهذا السبب
عين الله تعالى هذين الوقتين ثم قال تعالى افلا تعقلون ع اى اليس فيكم عقل يا اهل مكة فتنظروا
ما حل بهم فتعتبروا + القصة السادسة وهى اخر القصص قصة يونس عليه السلام المذكورة فى
قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين وقوله تعالى اذ ابق ظرف للمرسلين اى هو من المرسلين
حتى فى هذه الحالة وابق اى هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن
ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون اى السفينة المملوءة قال ابن عباس رضى الله عنهما ووهب
كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمتشور منهم فقصد البحر فركب السفينة فقال
الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال يونس انا الابق فزج
نفسه فى البحر وروى فى القصة انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب واراد
ان يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب ومر المركب ثم جاءت
موجة اخرى فاخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فاخذ ابنه الاصغر فبقى فريدا فجاءت مركب اخر
فركبها وقعد ناحية من القوم فلما جرت السفينة فى البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا
لم يحصل وقوف السفينة كما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقرعوا فمن خرجت القرعة على سهمه
نغرقه فان تغريق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فذلك قوله تعالى
فساهم اى قارع اهل السفينة فكان من المدحضين اى المغلوبين بالقرعة فالقوه فى البحر فالتقمه
ابتلعه الحوت وهو مليم اى ات بما يلام عليه من ذهابه الى البحر وركوبه السفينة بلا اذن من ربه
وقيل مليم نفسه فلولا انه كان من المسبحين اى الذاكرين قبل ذلك وكان عليه السلام كثير الذكر
وقال ابن عباس رضى الله عنهما من المصلين وقال وهب من العابدين وقال الحسن ما كان له
صلوة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا قال الضحاك شكر الله تعالى له طاعته القديمة اذكر الله
فى الرخاء يذكرك فى الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع فى الشدة فى بطن الحوت
شكر الله تعالى له ذلك وقال سعيد بن جبير يعنى قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين
للبث فى بطنه الى يوم يبعثون اى صار بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وهو حى او ميت وفى ذلك نصف
حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه فى السراء اخذ بيده فى الضراء فنبذناه اى
القيناه من بطن الحوت فاضاف النبذ الى نفسه سبحانه مع ان النبذ انما حصل بفعل الحوت فهو
يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى بالعراء اى بوجه الارض وقال السدى بالساحل والعراء
الارض الخالية من الشجر والنبات وروى ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس
فيه يونس ويسبح الله تعالى حتى انتهى الى الارض فلفظه + تنبيه + اختلف فى مدة

لبثه فى بطن الحوت فقال الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطن الحوت وقال بعضهم التقمه بكرة
ولفظه عشية وقال مقاتل بن حيان ثلاثة ايام وقال عطاء سبعة ايام وقال الضحاك عشرين وقيل
شهرا وقيل اربعين يوما قال الرازى ولا ادرى باى دليل عينوا هذه المقادير وروى ابو بردة عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سبح يونس فى بطن الحوت فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا
ضعيفا بارض غريبة فقال تعالى ذاك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر قالوا العبد
الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر الحوت
فقذفه بالساحل + وروى ان يونس عليه السلام لما ابتلعه الحوت ابتلع الحوت حوت آخر اكبر منه
فلما استقر فى جوف الحوت حسب انه قد مات فحرك جوارحه فتحركت فاذا هو حى فخر لله تعالى
ساجدا وقال يا رب اتخذت لك مسجدا لم يعبدك احد فى مثله ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ اى عليل كالفرخ
الممعوط ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ﴾ اى له وقيل عنده ﴿شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٍ﴾ قال المبرد والزجاج اليقطين كل
ما لم يكن له ساق من عود كالقثاء والقرع والبطيخ والحنظل وهو قول الحسن ومقاتل قال البغوى
المراد هنا القرع على قول جميع المفسرين وروى الفراء انه قيل عند ابن عباس هو ورق القرع
فقال ومن جعل القرع من بين الشجر يقطينا كل ورقة انشقت واشرعت فهو يقطين فان قيل
الشجر ما له ساق واليقطين مما لا ساق له كما قال تعالى والنجم والشجر يسجدان اجيب بان الله تعالى
جعل لها ساقا على خلاف العادة فى القرع معجزة له عليه السلام ولو كان منبسطا على الارض لم يمكن
ان يستظل به قال مقاتل بن حيان كان يونس عليه السلام يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه
فيشرب من لبنها بكرة وعشيا حتى اشتد لحمه ونبت شعره وروى ان يونس عليه السلام كان يسكن
مع قومه فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقى سبطان ونصف كان قد اوحى الله
تعالى الى بنى اسرائيل اذا اسركم عدوكم او اصابتكم مصيبة فادعونى استجب لكم فلما نسوا ذلك واسروا
اوحى الله تعالى بعد حين الى نبى من انبيائهم ان اذهب الى ملك هؤلاء الاقوام وقل له يبعث الى بنى اسرائيل
نبيا فاختار من بنى اسرائيل يونس عليه السلام لقوته وامانته فقال يونس الله امرك بهذا قال لا ولكن
امرت ان ابعث قويا امينا وانت كذلك فقال يونس فى بنى اسرائيل من هو اقوى منى فلم لا تبعثه فالح
الملك عليه فغضب يونس منه وخرج حتى اتى بحر الروم فوجد سفينة مشحونة فحملوه فيها فلما اشرف على لجة
البحر اشرفوا على الغرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل فى السفينة ما نراه فقال التجار قد جربنا مثل
هذا فاذا رأيناه نقترع فمن خرجت عليه نغرقه فى البحر فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فخرج من بينهم
يونس فقال يا هؤلاء انا العاصى وتلفف فى كسائه ورمى بنفسه فالتقمه الحوت واوحى الله تعالى الى
الحوت لا تكسر منه عظما ولا تقطع منه وصلا ثم ان الحوت خرج الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى
البطائح ثم الى دجلة وصعد به ورماه فى ارض نصيبين بالعراء وهو كالفرخ المنتوف لا شعر ولا لحم فانبت
الله تعالى عليه شجرة من يقطين فكان يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى اشتد ثم ان الارضة اكلتها

تحزن يونس لذلك حزناً شديداً فقال يا رب كنت استظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح ويمص من ثمرها وقد سقطت فقال يا يونس تحزن على شجرة انبتت في ساعة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون تركتهم فانطلق اليهم فانطلق اليهم وذلك قوله تعالى وَأَرْسَلْنَاهُ أي بعد ذلك كقبله الى قومه بنينوى من ارض الموصل إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ قال ابن عباس ان او بمعنى الواو وقال مقاتل والكلبي بمعنى بل وقال الزجاج على الاصل بالنسبة للمخاطبين واختلفوا في مبلغ الزيادة فقال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين الفاً ورواه ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن بضعاً وثلاثين الفاً وقال سعيد بن جبير تسعين الفاً فَآمَنُوا اي الذين ارسل اليهم عند معاينة العذاب الموعودين به فَمَتَّعْنَاهُمْ اي ابقيناهم ممتعين بما لهم إِلَىٰ حِينٍ اي الى انقضاء آجالهم تنبيه قال البيضاوي ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط عليهما السلام بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبيرة واولي العزم من الرسل واكتفاء بالسلام الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فَاسْتَفْتِهِمْ اي استخبر كفار مكة توبيخاً لهم أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ قال الزمخشري معطوف على مثله في اول السورة قال ابو حيان واذا كانوا قد عدوا الفصل بجملة نحو كل لحماً واضرب زيداً وخبزاً من اقبح التراكيب فكيف بجمل كثيرة وقصص متباينة فاجيب عنه بان الفصل وان كثر بين الجمل المتعاطفة مغتفر واما المثال الذي ذكره فمن قبيل المفردات الاترى كيف عطف خبزاً على لحماً وايضاً الفاصل ليس باجنبي كما اشار اليه البيضاوي بقوله امر رسوله اولاً باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جار لما يلائمه من القصص موصولاً بعضها ببعض ثم امره صلى الله عليه وسلم باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر من التجسيم وتجويز البنات على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام المتكونة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه سبحانه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه العزيز مراراً وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ونقل الواحدي عن المفسرين انهم قالوا ان قريشاً واجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح قالوا الملائكة بنات الله وهذا الكلام يشتمل على امرين احدهما اثبات البنات لله تعالى وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشيء الذي يستنكف منه المخلوق كيف يمكن اثباته للخالق والثاني اثبات ان الملائكة اناث وهذا ايضاً باطل لان طريق العلم اما الحس واما الخبر واما النظر اما الحس فمفقود لانهم لم يشاهدوا كيف خلق الله تعالى الملائكة وهو المراد من قوله تعالى أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا بها فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم

للشرط بجهلهم بالمشاهدة لانهم قد شاهدوا خلقهم واما الخبر فمفقود ايضا لان الخبر انما يفيد العلم
اذا علم كونه صدقا قطعا وهؤلاء الذين يخبرون عن هذا الحكم كذابون افاكون لم يدل على صدقهم
دليل وهذا هو المراد من قوله تعالى ﴿اَلَا اِنَّهُمْ مِنْ اِفْكِهِمْ لَيَقُولُوْنَ وَلَدَ اللّٰهُ وَاِنَّهُمْ لَكٰذِبُوْنَ﴾ اى فيما
زعموا وقوله تعالى ﴿اَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِيْنَ﴾ استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء
+ قال لا + همزة اصطفى همزة قطع مفتوحة مقطوعة وصلا وابتداء ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُوْنَ﴾ هذا الحكم الفاسد
﴿اَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ﴾ اى انه تعالى منزه عن ذلك وقرا حمزة والكسائى وحفص بتخفيف الذال والباقون
بالتشديد واما النظر فمفقود من وجهين الاول ان دليل العقل يقتضى فساد هذا المذهب لانه
تعالى اكمل الموجودات والاكمل لا يصطفى الابناء على البنات يعنى ان اسناد الافضل الى الافضل
اقرب الى العقل من اسناد الاخس الى الافضل فان كان حكم العقل معتبرا فى هذا الباب كان قولهم
باطلا الثانى ان نترك الاستدلال على فساد مذهبهم بل نطالبهم باثبات الدليل الدال على صحة مذهبهم
واذا لم يجدوا دليلا ظهر بطلان مذهبهم وهذا هو المراد بقوله تعالى ﴿اَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِيْنٌ﴾ اى حجة
واضحة ان لله ولدا ﴿فَاْتُوْا بِكِتٰبِكُمْ﴾ اى التورية فارونى ذلك فيه ﴿اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ﴾ اى فى قولكم هذا
﴿وَجَعَلُوْا بَيْنَهٗ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ قال مجاهد وقتادة اراد بالجنة الملائكة عليهم السلام سموا جنا لاجتنانهم
عن الابصار وقال ابن عباس حى من الملائكة يقال لهم الجن منهم ابليس لعنه الله وقيل هم خزان
الجنة قال الرازى وهذا القول عندى مشكل لانه تعالى ابطل قولهم الملائكة بنات الله ثم عطف
عليه قوله تعالى وجعلوا الآية والعطف يقتضى المغايرة فوجب ان يكون المراد من الآية غير ما تقدم وقال
مجاهد قال كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فمن امهاتهم
قالوا سروات الجن وهذا ايضا بعيد لان المصاهرة لا تسمى نسبا قال الرازى وقد روينا
فى تفسير قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن ان قوما من الزنادقة يقولون ان الله تعالى وابليس اخوان
فالله تعالى هو الحر الكريم وابليس هو الاخ الشرير فالمراد من ذلك هو هذا المذهب وهو مذهب المجوس
قال وهذا القول عندى هو اقرب الاقاويل فى الرد عليه بهذه الآية ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ اِنَّهُمْ﴾ اى
اهل هذا القول ﴿لَمُحْضَرُوْنَ﴾ اى الى النار معذبون وقيل المراد ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون العذاب
فعلى الاول الضمير عائد الى القائل وعلى الثانى عائد الى نفس الجنة + ثم انه تعالى نزه نفسه عما
قالوه من الكذب فقال تعالى ﴿سُبْحٰنَ اللّٰهِ عَمَّا يَصِفُوْنَ﴾ بان لله تعالى ولدا ونسبا وقوله تعالى
﴿اِلَّا عِبَادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِيْنَ﴾ اى المؤمنين استثناء منقطع اى لكن عباد الله المخلصين ينزهون الله
تعالى عما يصف هؤلاء الثالث انه من المحضرين اى لكن عباد الله تعالى ناجون وعلى هذا فتكون جملة
التسبيح معترضة وظاهر كلام البقاعى يجوز ان يكون استثناء متصلا لانه قال مستثنى من جعلوا
او يحضرون ويجوز ان يكون منفصلا فظاهر هذه العبارة ان الوجهين الاولين هو فيهما متصل
لا منفصل وليس ببعيد كانه قيل وجعل الناس ثم استثنى منهم هؤلاء وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة

نسبا فهو عند الله مخلص من الشرك وقوله تعالى فإنكم اي يا اهل مكة وما تعبدون اي من الاصنام
عود الى خطابهم لانه لما ذكر الدلائل الدالة على فساد مذاهب الكفار اتبعه بما نبه به على ان هؤلاء
الكفار لا يقدرون على اضلال احد الا اذا كان قد سبق حكم الله تعالى في حقه بالعذاب والوقوع
في النار كما قال تعالى ما انتم عليه اي على معبودكم وعليه متعلق بقوله بفاتنين اي بمضلين احدا من
الناس الا من هو صال الجحيم اي الا من سبق له في علم الله تعالى الشقاوة * تنبيه * احتج اهل السنة
بهذه الآية على انه لا تأثير لايحاء الشيطان ووسوسته وانما المؤثر هو الله بحيث قضاه وقدره ثم
ان جبريل عليه السلام اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بان الملائكة ليسوا معبودين كما زعمت الكفار
بقوله وما منا اي معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم في السموات يعبد الله تعالى فيه لا يتجاوزه
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي ويسبح وعن
ابي ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اطت السماء وحق لها ان تئط والذي
نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا قيل الاطيط اصوات
الاقتاب وقيل اصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث ما في السماء من الملائكة قد اثقلها حتى اطت
وهذا مثل وايذان بكثرة الملائكة عليهم السلام وان لم يكن ثم اطيط وقال السدي الا له مقام معلوم
في القربة والمشاهدة وانا لنحن الصافون اي اقدامنا في الصلوة وقال الكلبي صفوف الملائكة في السماء
كصفوف الناس في الارض وانا لنحن المسبحون اي المنزهون الله تعالى عما لا يليق به وقيل هذا
حكاية كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين
يدي الله تعالى في القيمة وانا لنحن الصافون في الصلوة والمنزهون له تعالى عن السوء ثم انه تعالى
اعاد الكلام الى الاخبار عن المشركين فقال وان كانوا اي كفار مكة وان مخففة من الثقيلة
ليقولون لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من الاولين اي من كتب الامم الماضين لكنا عباد الله المخلصين
اي لاخلصنا العبادة له ولما كذبنا كما كذبوا ثم جاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والمهيمن عليها وهو القرآن
العظيم فكفروا به فسوف يعلمون عاقبة هذا الكفر وهذا تهديد عظيم ولما هددهم اردفه
بما يقوي قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا اي بالنصر لعبادنا المرسلين
وهي قوله تعالى لاغلبن انا ورسلي او هي قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا اي المؤمنين
لهم الغالبون اي الكفار والنصرة والغلبة قد تكون بالحجة وقد تكون بالدولة والاستيلاء وقد
تكون بالدوام والثبات فالمؤمن وان صار مغلوبا في بعض الاوقات بسبب ضعف احوال الدنيا
فهو الغالب في الآخرة والحكم في ذلك للاغلب في الدنيا فلا يرد ان ذلك نقض بقتل بعض الانبياء عليهم
السلام وهزم كثير من المؤمنين وانما سمى ذلك كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم
اي اعرض عن كفار مكة واختلف في قوله تعالى حتى حين فقال ابن عباس يعني الموت وقال مجاهد يوم بدر
وقال السدي حتى يأمرك الله بالقتال وقيل الى ان يأتيهم عذاب الله وقيل الى فتح مكة وقال

مقاتل بن حيان نسختها اية القتال وَاَبْصِرْهُمْ اى اذا نزل بهم العذاب من القتل والاسر
فى الدنيا والعذاب فى الاخرة فَسَوْفَ يُبْصِرُوْنَ اى ما قضيناه لك من التاييد والنصرة
والثواب فى الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد ولما قيل لهم ذلك قالوا استهزاء متى
نزول العذاب فقال تعالى تهديدا لهم اَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُوْنَ اى ان ذلك الاستعجال جهل
لان لكل شئ من افعال الله تعالى وقتا معينا لا يتقدم ولا يتاخر فَاِذَا نَزَلَ اى العذاب
بساحتهم قال مقاتل بحضرتهم وقيل بفنائهم قال الفراء العرب تكتفى بذكر الساحة عن
القوم فشبه العذاب بجيش هجم فاناخ بفنائهم بغتة فَسَآءَ اى فبئس صباحا صَبَاحُ الْمُنْذَرِيْنَ
اى الكافرين الذين انذروا بالعذاب وعن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين خرج الى خيبر اتاها ليلا وكان اذا جاء قوما بليل لم يغر حتى يصبح فلما اصبح
خرجت يهود بمساحيها ومكاتلها فلما راوه قالوا محمد والله محمد والخميس فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث
ثلاث مرات وقوله تعالى وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتّٰى حِيْنٍ وَّاَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُوْنَ فيه وجهان احدهما ان
فى هذه الكلمة فيما تقدم احوال الدنيا وفى هذه الكلمة احوال يوم القيمة وعلى هذا فالتكرار زائل الثانى
انهما مكررة للمبالغة فى التهديد والتهويل فان قيل ما الحكمة فى قوله اولا وابصرهم وههنا قال
وابصر بغير ضمير اجيب بانه حذف مفعول البصر الثانى اما اختصارا لدلالة الاول عليه واما
اقتصارا تفننا فى البلاغة ثم انه تعالى ختم السورة بتنزيه نفسه عن كل ما لا يليق بصفات الالهية
فقال تعالى سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ اى الغلبة والقوة وفى قوله تعالى رب اشارة الى كمال
الحكمة والرحمة وقوله تعالى العزة اشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث لان
الالف واللام فى قوله تعالى العزة تفيد الاستغراق واذا كان الكل ملكا له سبحانه لم يبق لغيره
شئ فثبت ان قوله سبحانه وتعالى سبحان ربك رب العزة عَمَّا يَصِفُوْنَ اى ان له ولدا كلمة
محتوية على اقصى الدرجات واكمل النهايات وقوله تعالى وَسَلٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِيْنَ اى المبلغين عن الله
تعالى التوحيد والشرائع تعميم للرسل بعد تخصيص بعضهم وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ع اى على ع
هلاك الاعداء ونصرة الانبياء عليهم افضل الصلوة والسلام وعلى ما افاض عليهم وعلى من تبعهم
من النعمة وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والغرض من ذلك تعليم المؤمنين ان يقولوا
ذلك ولا يغفلوا عنه لما روى البغوى عن على رضى الله عنه انه قال من احب ان يكتال بالمكيال
الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين الخ واما ما رواه البيضاوى عن النبى صلى الله عليه وسلم
ان من قرأ والصافات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه
مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين فموضوع

سورة ص مكية

وهي ست او ثمان وثمانون اية وسبعمائة واثنتان وثمانون كلمة وثلاثة الاف وتسعة وتسعون حرفا
بسم الله المنزه عن كل شائبة نقص الرحمن الذي عم جوده سائر مخلوقاته الرحيم بمن خلقه واختلف في
قوله تعالى ص فقيل قسم وقيل هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في اوائل السور
وقال محمد بن كعب القرظي مفتاح اسماء الصمد وصادق الوعد وقال الضحاك معناه صدق الله
وروي عن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه ان القران مركب من
هذه الحروف وانتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضته والقران اي الجامع للبيان لكل
خير ذي الذكر اي الموعظة والتذكير وقال ابن عباس ذي البيان وقال الضحاك ذي الشرف ودليله
قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك فان قيل هذا قسم فاين المقسم عليه اجيب بانه محذوف تقديره
ما الامر كما قال كفار مكة من تعدد الالهة وقوله تعالى بل الذين كفروا اي من اهل مكة اضراب
انتقال من قصة الى اخرى في عزة اي حمية وتكبر عن الايمان وشقاق اي خلاف وعداوة للنبي
صلى الله عليه وسلم والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقيل جواب القسم قد تقدم
وهو قوله تعالى ص اقسم الله تعالى بالقران ان محمدا لصادق وقال الفراء ص معناها وجب وحق فهو جواب
قوله والقران كما تقول نزل والله وقال الاخفش قوله تعالى ان كل الا كذب الرسل وقال السدي
ان ذلك لحق تخاصم اهل النار قال البغوي وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وبين هذا الجواب اقاصيص اخبار
كثيرة وقال مجاهد في عزة متعازين كم اي كثيرا اهلكنا من قبلهم ولما كثر ذلك قوله تعالى من قرن
اي من امة من الامم الماضية كانوا في شقاق مثل شقاقهم تنبيه كم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز
ومن قبلهم لابتداء الغاية فنادوا اي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة وقيل نادوا بالايمان
والتوبة ولات اي وليس الحين حين مناص اي منجى وفرار قال ابن عباس كان كفار مكة اذا
قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب
وقالوا مناص فانزل الله تعالى ذلك والمناص مصدر ناص ينوص اذا تقدم ولات بمعنى ليس بلغة
اهل اليمن قال النحويون هي لا زيدت فيها التاء كقولهم رب وربت وثم وثمت واصلها هاء وصلت
فقالوا لات كما قالوا ثمت ولا تقع الا في الازمان خاصة نحو لات حين ولات اوان كقول الشاعر طلبوا صلحنا
ولات اوان فاجبنا ان ليس حين بقاء والاكثر حينئذ حذف مرفوعها والتقدير ولات الحين حين
مناص وقد يحذف المنصوب ويبقى المرفوع كقول القائل من صد عن نيرانها فانا ابن قيس لا براح اي
لا براح لي ولما حكى تعالى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق اتبعه بشرح كلماتهم الفاسدة بقوله تعالى وعجبوا اي الكفار
الذين ذكرهم الله تعالى في قوله سبحانه بل الذين كفروا في عزة وشقاق ان اي لاجل ان جاءهم منذر منهم هو النبي صلى الله
عليه وسلم وفي قوله تعالى منهم وجهان احدهما انهم قالوا ان محمدا مساو لنا في الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب

والشكل والصورة فكيف يعقل ان يختص من بيننا بهذا المنصب العالي والثاني ان الغرض من هذه
الكلمة التنبيه على كمال جهلهم لانهم جاءهم رجل يدعوهم الى التوحيد والترغيب في الآخرة
ثم ان هذا الرجل من اقاربهم يعلمون انه كان بعيدا عن الكذب والتهمة وكل ذلك مما يوجب
الاعتراف بتصديقه ثم انهم لحماقتهم يتعجبون من قوله وَقَالَ الْكَافِرُونَ وضع الظاهر فيه موضع
المضمر اشارة الى انهم يسترون الحق مع معرفتهم اياه فهم جاحدون لا جاهلون ومعاندون لا غافلون
وايذانا بانه لشدة تغضبه عليهم وذما لهم على قولهم هَذَا اي الذي يدعي سَاحِرٌ اي فيما يظهره معجزة كَذَّابٌ
اي فيما يقوله على الله تبارك وتعالى أَجَعَلَ اي صير بسبب ما يزعم انه يوحى اليه الْآلِهَةَ اي التي نعبدها
إِلَهًا وَاحِدًا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد إِنَّ هَذَا اي القول بالوحدانية لَشَيْءٌ عُجَابٌ اي بليغ
في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته
بالاشياء الكثيرة وقال البغوي العجب والعجاب واحد كقولهم رجل كريم وكرام وكبير وكبار
وطويل وطوال وعريض وعراض وسبب قولهم ذلك انه روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق
ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن مغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد
والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا اكبرهم سنا الوليد بن المغيرة اذهبوا الى ابي طالب فاتوا
اليه وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا و
بين ابن اخيك فارسل ابو طالب اليه فحضر فقال له يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل
كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر
الهتنا قال ارايتم ان اعطيتكم ما سألتم اتعطوني انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
فقال ابو جهل لله ابوك لنعطيكها وعشر امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا
الله فنفروا من ذلك وقاموا فقالوا ذلك وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ اي اشراف قريش من مجلس اجتماعهم عند
ابي طالب وسماعهم فيه من النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله أَنِ امْشُوا اي يقول بعضهم لبعض
امشوا اي اذهبوا وَاصْبِرُوا اي اثبتوا عَلَى آلِهَتِكُمْ اي على عبادتها قال الزمخشري ويجوز انهم
قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل اهـ
+ فائدة + الجمهور يكسرون النون في الوصل من ان امشوا والهمزة في الابتداء من امشوا ولما
اسلم عمر وحصل للمسلمين قوة بمكانه قال المشركون إِنَّ هَذَا اي الذي نراه من زيادة اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم لَشَيْءٌ يُرَادُ اي بنا فلا مرد له او ان الصبر على عبادة الالهة لشيء يراد وهو
اهل بالرعاية فهو اهل ان لا ينفك عنه وقيل هذا الذكر من التوحيد لشيء يراد منا وقيل ان
دينكم لشيء يطلب ليؤخذ منكم مَا سَمِعْنَا بِهَذَا اي الذي يقوله محمد من التوحيد فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ
قال ابن عباس يعنون في النصرانية لانها آخر الملل وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة و
قال مجاهد يعنون ملة قريش ودينهم الذي هم عليه إِنْ اي ما هَذَا اي الذي يقول إِلَّا اخْتِلَاقٌ

انتقال وكذب أؤنزل عليه اى محمد صلى الله عليه وسلم الذكر اى القرآن من بيننا وليس باكبرنا ولا
اشرفنا وهذا استفهام على سبيل الانكار لاختصاصه عليه الصلوة والسلام بالوحى وهو مثلهم وفى
ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوى وقرأ نافع وابن كثير
وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالواو وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو بخلاف عن ورش وابن كثير
بغير ادخال وعن هشام فيها ثلاثة اوجه تحقيق الهمزتين وادخال الف بينهما قال الله تبارك
وتعالى بل هم فى شك اى تردد محيط بهم مبتدأ لهم من ذكرى اى وحيى وما انزلت
بميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل الذى لو نظروا فيه لزال هذا الشك عنهم بل اى ليسوا
فى شك منه فى نفس الامر وان كان قولهم قول من هو فى شك لما يذوقوا عذاب اى الذى
اعددته للمكذبين ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول ولصدقوا النبى صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ولا ينفعهم
التصديق حينئذ ام اى بل عندهم خزائن اى مفاتيح رحمة اى نعمة ربك وهى النبوة يعطونها
من شاؤا ونظيره قوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك اى نبوة ربك العزيز اى الغالب الذى
لا يغلبه احد الوهاب الذى له ان يهب كل ما يشاء من النبوة وغيرها لمن يشاء من خلقه
ولما كانت خزائن الله تعالى غير متناهية كما قال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه ومن
جملة السموات والارض وما بينهما وهم عاجزون عن هذا القسم قال الله تعالى ام لهم ملك
السموات والارض وما بينهما اى ليس لهم ذلك فلان يكونوا عاجزين عن كل خزائن الله تعالى
اولى وقوله تعالى فليرتقوا فى الاسباب جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ذلك فليصعدوا
فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحى الى من
يريدونه وهذا غاية التهكم بهم والتعجيز والتوبيخ قال مجاهد اراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها
من سماء الى سماء وكل ما يوصلك الى شئ من باب او طريق فهو سببه استدل حكماء الاسلام بقوله
تعالى فليرتقوا فى الاسباب على ان الاجرام الفلكية وما اودع الله تعالى فيها من القوى والخواص اسباب
لحوادث العالم السفلى لان الله تعالى سمى الفلكيات اسبابا وهذا يدل على ذلك ثم قوله تعالى جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب خبر مبتدأ مضمر اى هم قريش جند من الكفار المتحزبين على الرسل عليهم السلام
مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف فى الامور الربانية فلا تكترث بما تقوله
قريش قال قتادة اخبر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فقال
تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى بدر ومصارعهم وقيل يوم الخندق
قال الرازى والاصح عندى حمله يوم فتح مكة لان المعنى انهم جند سيصيرون منهزمين فى الموضع الذى
ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة فوجب ان يكون المراد انهم سيصيرون منهزمين فى
مكة وما ذاك الا فى يوم الفتح تنبيه فى ما وجهان احدهما انها مزيدة والثانى انها لجند على سبيل
التعظيم للمهزومين او للتحقير فان ما الصفة تستعمل لهذين المعنيين وقد تقدم الكلام

عليها في أوائل البقرة وهنالك صفة لجند وكذلك مهزوم ومن الأحزاب ثم قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم معزيا عليه السلام كَذَّبَتْ اي مثل تكذيبهم قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ انث قوم باعتبار المعنى
واستمروا على عزتهم وشقاقهم الى ان رأوا الماء قد اخذهم ولم يسمحوا بالاذعان ولا بالتضرع الى
نوح عليه السلام وَعَادٌ سماهم بالاسم المنبه على ما كان لهم من المكنة بالملك واستمروا في شقاقهم
الى ان خرجت عليهم الريح العقيم وراوها تحمل الابل فيما بين السماء والارض وهم لا يذعنون
لما دعاهم اليه هود عليه السلام وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ كانت له أوتاد يعذب بها الناس عليها وكان
اذا غضب على احد مده مستلقيا بين اربعة أوتاد يشد كل يد وكل رجل منه الى سارية وتركه
كذلك في الهواء بين السماء والأرض حتى يموت وقال مجاهد كان يمد الرجل مستلقيا
بين اربعة أوتاد على الارض يشد رجليه ويديه ورأسه على الأرض بالأوتاد وقال السدي
كان يشد الرجل بالأوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات وقال ابن عباس ذو البناء المحكم
وقيل ذو الملك الشديد الثابت وقال القتيبي تقول العرب هم في عز ثابت الاوتاد يريدون
انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة + في ظل ملك ثابت الأوتاد
وقال الضحاك ذو القوة والبطش وقال عطية ذو الجموع والجنود الكثيرة لانهم كانوا يقوون امره
ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشيء والأوتاد جمع وتد وفيه لغات وتد بفتح الواو وكسر التاء وهي الفصحى
ووتد بفتحتين وود بادغام التاء في الدال وَثَمُودُ واستمروا فيما هم فيه الى ان رأوا علامات العذاب
من صفرة الوجوه ثم حمرتها ثم سوادها ولم يكن في ذلك زاجر يردهم عن عزتهم وشقاقهم وَقَوْمُ
لُوطٍ الذين لهم قوة القيام بما يحاولونه واستمروا في عزتهم وفي شقاقهم حتى ضربوا بالطمس على
الاعين ولم يقدروا على الوصول الى ما ارادوا من الدخول الى بيت لوط عليه السلام ولم يردهم
ذلك عن عزتهم وشقاقهم وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ اي الغيضة وهم قوم شعيب عليه الصلوة والسلام
أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ اي المتحزبون على الرسل عليهم السلام الذين جعل الجند المهزوم منهم وقيل المعنى
اولئك الاحزاب مبالغة في وصفهم بالقوة كما يقال فلان هو الرجل اي اولئك الاحزاب مع كمال
قوتهم لما كان عاقبتهم هي الهلاك والبوار فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين اذا نزل بهم العذاب
وفي الاية زجر وتخويف للسامعين إِنْ اي ما كُلٌّ اي من الأحزاب إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ اي لانهم اذا
كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم لان دعوتهم واحدة وهي دعوة التوحيد فَحَقَّ عِقَابِ
اي فوجب عليهم ونزل بهم عذابي + ثم بين تعالى ان هؤلاء المكذبين وان تأخر هلاكهم فكأنه
واقع بهم فقال تعالى وَمَا يَنْظُرُ وحقرهم بقوله تعالى هَؤُلَاءِ اي وما ينتظر كفار مكة إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً
وهي نفخة الصور الاولى كقوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية الآية والمعنى انهم وان لم يذوقوا عذابي في الدنيا فهو معد لهم يوم القيمة فجعلهم منتظرين
لها على معنى قربها منهم كالرجل الذي ينتظر الشيء فهو ماد الطرف اليه يتطع كل ساعة حضوره

قيل المراد بالصيحة عذاب يفجؤهم ويجيئهم دفعة واحدة كما يقال صاح الزمان بهم اذا هلكوا قال الشاعر
صاح الزمان بآل برمك صيحة * خروا لشدتها على الاذقان * ونظيره قوله تعالى فهل ينتظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم الاية وقرأ حمزة والكسائى ما لها اى الصيحة من فواق بضم
الفاء والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى واحد وهو الزمان الذى بين حلبتى الحالب ورضعتى الراضع
والمعنى ما لها من توقف قدر فواق ناقة وفى الحديث العيادة قدر فواق ناقة وهذا فى المعنى كقوله تعالى
فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقال ابن عباس ما لها من رجوع من افاق
المريض اذا رجع الى صحته وافاقة الناقة ساعة يرجع اللبن الى ضرعها يقال افاقت الناقة تفيق
افاقة اى رجعت واجتمعت الفيقة فى ضرعها والفيقة اللبن الذى يجتمع بين الحلبتين وهو
ان يحلب الناقة ثم يترك ساعة حتى يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فواق اى ان العذاب لا يمهلهم
بذلك القدر وقالوا اى كفار مكة استهزاء لما نزل قوله تعالى فى الحاقة فاما من اوتى كتابه بيمينه و
اما من اوتى كتابه بشماله ربنا اى يا ايها المحسن الينا عجل لنا قطنا اى كتاب اعمالنا فى الدنيا قبل يوم
الحساب وقال سعيد بن جبير يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التى تقول وقال مجاهد والسدى
يعنون عقوبتنا ونصيبنا من العذاب قال عطاء قاله النضر بن الحارث وهو قوله ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقال مجاهد قطنا حسابنا يقال لكتاب الحساب قط
وقال ابو عبيدة والكسائى القط الكتاب بالجوائز ويجمع على قطوط وقطط كقرد وقرود وقردة وفى القلة
على اقطة واقطاط كقدح واقدحة واقداح الا ان افعلة فى فعل شاذ * ولما ان القوم تعجبوا من
امور ثلاثة اولها من امر النبوات واثباتها كما قال تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال
الكافرون هذا ساحر كذاب وثانيها تعجبهم من الالهيات فقالوا اجعل الالهة الها واحدا وثالثها
تعجبهم من المعاد والحشر والنشر فقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قالوا ذلك استهزاء امر الله
تعالى نبيه عليه السلام بالصبر فقال سبحانه اصبر واشار بحرف الاستعلاء الى عظيم الصبر فقال
على ما يقولون اى على ما يقول الكافرون من ذلك ثم انه تعالى لما امر نبيه بالصبر ذكر قصص
الانبياء عليهم السلام تسلية له فكانه تعالى قال فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال سائر الانبياء ليعلم
ان كل واحد منهم كان مشغولا بهم خاص وحزن خاص فيعلم حينئذ ان الدنيا لا تنفك عن
الهموم والاحزان وان استحقاق الدرجات العالية عند الله تعالى لا يحصل الا بتحمل المشاق
والمتاعب فى الدنيا وبدأ من ذلك بقصة داود عليه السلام فقال تعالى واذكر عبدنا اى الذى
اخلصناه واخلص نفسه للنظر الى عظمتنا والقيام فى خدمتنا وابدل منه او بينه بقوله تعالى داود
ذا الايد قال ابن عباس اى القوة فى العبادة روى عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احب الصيام الى الله تعالى صيام داود واحب الصلوة الى الله تعالى صلوة داود كان
يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل ذا القوة فى الملك ووصفه

تعالى بكونه عبداله وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم وذلك يدل على غاية التشريف
الاتری انه تعالى لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قال تعالى سبحان الذی
اسرى بعبده ليلا وايضا وصف الانبياء عليهم السلام بالعبودية مشعر بانهم قد حصلوا معنى
العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة إِنَّهُ أَوَّابٌ اى رجاع الى مرضاة الله تعالى والاواب فعال من
اب يؤب اذا رجع قال الله تعالى ان الينا ايابهم وهذا بناء مبالغة كما يقال قتال وضراب وهو ابلغ
من قاتل وضارب وقال ابن عباس مطيع وقال سعيد بن جبير مسبح بلغة الحبشة ويؤيد هذا
قوله تعالى إِنَّا اى على ما لنا من العظمة التى لا يعجزها شئ سَخَّرْنَا الْجِبَالَ اى التى هى اقسى من قلوب
قومك وانها اعظم الاراضى صلابة وقوة وعلوا ورفعة بان جعلناها منقادة ذلولا كالجمل الانف
ثم تبين ذلك بقوله تعالى مَعَهُ اى مصاحبة له يُسَبِّحْنَ اى بتسبيحه وفى كيفية تسبيحها وجوه احدها
ان الله تعالى يخلق فى جسم الجبل حياة وعقلا وقدرة ونطقا وحينئذ يصير الجبل مسبحا لله تعالى
ثانيها قال القفال ان داود عليه السلام اوتى من شدة الصوت وحسنه ما كان له فى الجبال دوى
حسن وما يصغى الطير اليه لحسنه فيكون دوى الجبال وتصويت الطير معه واصغاؤها اليه
تسبيحا وروى محمد بن اسحق ان الله تعالى لم يعط احدا من خلقه مثل صوت داود عليه السلام حتى
انه كان اذا قرأ الزبور دنت منه الوحوش حتى يؤخذ باعناقها ثالثها ان الله تعالى سخر الجبال حتى انها كانت
تسير الى حيث يريده داود عليه السلام فجعل ذلك السير تسبيحا لانه يدل على كمال قدرته تعالى
واتقان حكمته بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ قال الكلبى غدوة وعشيا والاشراق هو ان تشرق الشمس
ويتناهى ضوءها قال الزجاج يقال شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت وقيل هما بمعنى واحد
والاول اكثر استعمالا تقول العرب شرقت الشمس ولما تشرق وفسره ابن عباس بصلوة الضحى قال
ابن عباس كنت امر بهذه الاية ولم ادر ما هى حتى حدثتنى ام هانئ بنت ابى طالب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلوة
الاشراق وروى طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى فى القرآن قالوا لا فقرأ انا
سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق وقوله تعالى وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً اى مجموعة اليه تسبح معه
عطف مفعول على مفعول وهما الجبال والطير او حال على حال وهما يسبحن ومحشورة
كقولك ضربت زيدا مكتوفا وعمرا مطلقا واتى بالحال اسما لانه لم يقصد ان الفعل وقع شيئا فشيئا لان حشرها
دفعة واحدة ادل على القدرة والحاشر هو الله تعالى فان قيل كيف يصدر تسبيح الله تعالى من الطير مع انه لا عقل
لها اجيب بانه لا يبعد ان يخلق الله تعالى لها عقولا حتى تعرف الله تعالى فتسبحه حينئذ ويكون ذلك معجزة
لداود عليه السلام كُلٌّ اى من الجبال والطير لَهُ اى لداود اى لاجل تسبيحه أَوَّابٌ اى رجاع الى طاعته
بالتسبيح وقيل كل مسبح فوضع اواب موضع مسبح وقيل الضمير فى له للبارى تبارك وتعالى والمراد
كل من داود والجبال والطير مسبح ورجاع لله تعالى وَشَدَدْنَا اى قوينا بما لنا من العظمة مُلْكَهُ

بالحرس والجنود قال ابن عباس كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة
وثلاثون الف رجل وعن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند
داود فقال ان هذا قد غصبني بقرا فسأله داود فجحد فقال للآخر البينة فلم تكن له بينة فقال لهما داود
قوما حتى انظر في امركما فاوحى الله تعالى الى داود في منامه ان يقتل الذي استعدى عليه فقال هذه
رؤيا ولست اعجل حتى اتثبت فاوحى الله تعالى اليه مرة ثانية فلم يفعل فاوحى الله تعالى اليه مرة ثالثة ان
يقتله او تأتيه العقوبة فارسل داود اليه فقال له ان الله تعالى اوحى الى ان اقتلك فقال تقتلني بغير بينة
فقال نعم والله لانفذن امر الله تعالى فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى اخبرك اني والله
ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت ابن هذا فقتلته فبذلك اخذت فامر به داود فقتل فاشتد
هيبة داود عند ذلك في قلوب بني اسرائيل واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه وآتيناه
اي بعظمتنا الحكمة اي النبوة والاصابة في الامور واختلف في تفسير قوله تعالى وفصل الخطاب
فقال ابن عباس بيان الكلام اي معرفة الفرق بين ما يلتبس في كلام المخاطبين له من غير كبير
روية وذلك قال ابن مسعود والحسن علم الحكمة والبصر بالقضاء وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو
ان البينة على المدعي واليمين على من انكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال ابي بن كعب
فصل الخطاب الشهود والايمان وقال مجاهد وعطاء ويروى عن الشعبي ان فصل الخطاب
هو قول الانسان بعد حمد الله والثناء عليه اما بعد اذا اراد الشروع في كلام آخر واول من قاله
داود عليه السلام وقيل غيره كما ذكرته في شرح المنهاج عند قول المنهاج اما بعد وقيل هو الخطاب
الفصل الذي ليس باختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء وصف كلام النبي صلى الله عليه وسلم فصل
لا نزر ولا هذر وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهل استفهام معناه التعجب والتشويق
الى استماع ما بعده اتاك يا افضل الخلق نبؤا اي خبر الخصم وهو في الاصل مصدر ولذلك — نقص لازم
يصلح للمفرد والمذكر والمراد به هنا الجمع بدليل قوله تعالى اذ اي حين تسوروا اي تصعدوا وعلوا
المحراب اي البيت الذي كان يدخل فيه داود ويشتغل فيه بالعبادة والطاعة قال الزمخشري
فان قلت بما انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتاك او بنبأ او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه
باتاك لان اتيان النبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقع الا في عهد داود ولا بالنبأ لان النبأ
واقع في عهد داود فلا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اردت بالنبأ القصة في نفسها
لم تكن ناصبا فبقي ان يكون منصوبا بمحذوف تقديره وهل اتاك نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا انتهى
فاختار ان يكون معمولا لمحذوف ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل وقوله تعالى اذ
اي حين دخلوا على داود بدل من اذ الاولى او ظرف لتسوروا وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار
الذال عند التاء في الاول وعند الدال في الثاني ووافقهم ابن ذكوان في الاول والباقون بالادغام فيهما
ففزع منهم اي لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من

يدخل عليه فانه عليه السلام كان جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بحاجته فتسوّر عليه ملكان على صورة الانسان في يوم الخلوة قالوا لا تخف وقوله خصمان خبر مبتدأ مضمر اي نحن خصمان اي فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع وقيل اثنان والضمير بمعناهما وقد مرّ ان الخصم يطلق على الواحد والاكثر وقولهم بغى بعضنا على بعض جملة يجوز ان تكون مفسرة لحالهم وان تكون خبرا ثانيا فان قيل كيف قالوا بغى بعضنا على بعض وهم ملائكة على المشهور اجيب بان ذلك على سبيل الفرض اي ارأيت خصمين بغى احدهما على الآخر وهذا من معاريض الكلام لا من تحقيق البغي من احدهما فاحكم بيننا بالحق اي الامر الثابت الذي يطابق الواقع ولا تشطط اي ولا تجر في الحكومة واهدنا اي ارشدنا الى سواء الصراط اي وسط الطريق الصواب فقال لهما تكلما فقال احدهما ان هذا اخي اي على ديني وطريقتي او في الصحبة لا من جهة النسب له تسع وتسعون نعجة اي امرأة ولي نعجة واحدة اي امرأة واحدة والنعجة هي الانثى من الضان ولكن كثر في كلامهم الكناية بها عن المرأة قال ابن عون

انا ابوهن ثلاث هنه + ورابعة في البيت صغراهنه + ونعجتي خمسا توافيهنه

قال الحسين بن الفضل هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن ثم نعاج ولا بغي فهو كقولهم ضرب زيد عمرا واشترى بكر دارا ولا ضرب هناك ولا شراء وقرأ حفص بفتح الياء والباقون بالسكون فقال اكفلنيها قال ابن عباس اعطنيها وقال مجاهد انزل لي عنها وحقيقته ضمها الي واجعلني كافلها وهو الذي يعولها وينفق عليها والمعنى طلقها لاتزوجها وعزّني اي غلبني في الخطاب اي الجدال لانه افصح مني في الكلام قيل قهرني لقوة ملكه قال الضحاك يقول ان تكلم كان افصح مني وان حارب كان ابطش مني وحقيقة المعنى الغلبة كانت له لضعفي في يده وان كان الحق معي وهذا كله تمثيل لامر داود مع اوريا زوج المرأة التي تزوجها داود وسيأتي الكلام على قصته ان شاء الله تعالى عن قريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وهذا جواب قسم محذوف اريد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والانضمام اي بضمها مضافة الى نعاجه فان قيل كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه اجيب بان معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك او انه قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول ولم يذكر الله تعالى ذلك لدلالة الكلام عليه وقيل التقدير ان المتقدم الذي هذا شأنه قد ظلمك وقرأ قالون وابن كثير وهشام وعاصم باظهار الدال عند الظاء والباقون بالادغام وقوله وان كثيرا من الخلطاء اي مطلقا منكم ومن غيركم والخلطاء جمع خليط وهم الشركاء الذين خلطوا اموالهم وقال الليث خليط الرجل مخالطه ليبغي اي ليتعدى بعضهم غالبا على بعض فيريدون غير الحق فان قيل لم خص الخلطاء ببغي بعضهم على بعض مع ان غير الخلطاء يفعلون ذلك اجيب بان المخالطة توجب كثرة المنازعة

والمخاصمة لانهما اذا اختلطا اطلع كل منهما على احوال صاحبه فكل ما يملكه من الاشياء النفيسة اذا اطلع
عليه عظمت رغبته فيه فيفضى ذلك الى زيادة المنازعة والمخاصمة فلذلك خص داود عليه السلام
الخلطاء بالبغى والعدوان ثم استثنى فقال إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا اى تحقيقا لايمانهم الصَّالِحَاتِ اى
الطاعات فانهم لا يقع منهم شئ لان مخالطة هؤلاء تكون لاجل الدين وهذا استثناء متصل من قوله
بعضهم وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ اى هم قليل فقليل خبر مقدم وما مزيدة للتعظيم وهم مبتدأ وقال الزمخشرى
ما للابهام وفيه تعجب من قلتهم قال فان اردت ان تحقق فائدتها وموقعها فاخرجها من
قول امرئ القيس وحديث ما على قصره + وانظر هل بقى لها معنى وَظَنَّ دَاوُودُ اى لذهابهم
قبل فصل الامر وقد هو من ذلك الامر من عظمة لا عهد له بمثله أَنَّمَا فَتَنَّاهُ اى امتحناه قال
المفسرون ان الظن هنا بمعنى العلم لان داود لما قضى الامر بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك
ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم ان الله تعالى ابتلاه بذلك فثبت ان داود علم ذلك قال ابن عباس
ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا فى صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل
على نفسه فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ اى طلب المغفرة من مولاه الذى احسن اليه وَخَرَّ اى سقط من قيامه
لتوبته عن ذلك رَاكِعًا اى ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبادئه او خر للسجود راكعا اى مصليا
كانه احرم بركعتى الاستغفار وَأَنَابَ اى رجع الى الله تعالى قال الرازى والناس فى هذه القصة ثلاثة ١٠ سجدة واجب
اقوال احدها ان هذه القصة دلت على صدور الكبيرة منه وثانيها على الصغيرة وثالثها لا تدل على كبيرة
ولا صغيرة فاما القول الاول فقالوا ان داود عليه السلام احب امرأة اوريا فاحتال فى قتل زوجها
ثم تزوج بها ثم ارسل الله تعالى ملكين فى صورة المتخاصمين فى واقعة تشبه واقعته وعرضا تلك الواقعة
عليه فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبا ثم تنبه لذلك واشتغل بالتوبة قالوا وسبب ذلك
ان داود عليه السلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب سأل ربه ان يمتحنه
كما امتحنهم ويعطيه من الفضل ما اعطاهم فاوحى الله تعالى اليه انك تبتلى فى يوم كذا فاحترس فلما كان
ذلك اليوم جاءه الشيطان فتمثل له فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فاعجبه
حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بنى اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فطارت غير بعيد
فتبعها فطارت من كوة فنظر داود اين تقع فابصر داود امرأة فى بستان تغتسل فعجب داود من حسنها
وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده اعجابا فسأل عنها فقيل امرأة
اوريا وزوجها فى غزاة فاحب داود ان يقتله ويتزوج بها فارسل داود الى ابن اخته ان قدم اوريا
قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله تعالى على يديه او يقتل فقدم
ففتح على يديه فكتب الى داود فامره ان يقدمه بعد ذلك ففعل ثلاث مرات فقتل فى الثالثة فلما انقضت
عدتها تزوج بها فهى ام سليمان عليهما السلام قال الرازى والذى ادين الله تعالى به واذهب اليه ان
ذلك باطل لوجوه الاول ان هذه الحكاية لا تناسب داود لانها لو نسبت الى افسق الناس واشدهم

الفجور لا ينتهي منها والذي نقل هذه القصة لو نسب الى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه وربما
لعن من نسبه اليها فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصية الى داود عليه السلام ثانيها ان حاصل القصة
يرجع الى امرين الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته اما الاول فامر منكر
قال صلى الله عليه وسلم من سعى في دم مسلم ولو بشطر كلمة جاء مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله
واما الثاني فمنكر ايضا قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه فان داود لم يسلم من
داود عليه السلام لا في روحه ولا في منكوحه ثالثها ان الله تعالى وصف داود عليه السلام بصفات
تنافي كونه عليه السلام موصوفا بهذا الفعل المنكر الصفة الاولى انه تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان
يقتدي بداود عليه السلام في المصابرة على المكاره فلو قلنا ان داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى
في اراقة دم عبد مسلم لغرض شهوته فكيف يليق باحكم الحاكمين ان يأمر محمدا افضل الرسل صلى الله
عليه وسلم بان يقتدي بداود في الصبر على طاعة الله تعالى الصفة الثانية انه وصفه بكونه عبدا له
وقد بينا ان المقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملا في وصف العبودية في
القيام باداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات فلو قلنا ان داود اشتغل بتلك الاعمال الباطلة فحينئذ ما كان
داود كاملا الا في طاعة الهوى والشهوة الصفة الثالثة وهي قوله تعالى ذا الايد اي ذا القوة ولا شك ان
المراد منه قوة في الدين لان القوة الكاملة في اداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات اي قوة لمن لم يملك
نفسه عن القتل والرغبة في زوجة المسلم الصفة الرابعة كونه اوابا كثير الرجوع الى الله فكيف يليق
هذا الوصف بمن قلبه مشغول بالفسق والفجور الصفة الخامسة قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه
يسبحن افترى انه سخرت له الجبال ليتخذ سبيل القتل والفجور الصفة السادسة قوله تعالى والطير
محشورة قيل انه كان محرما عليه صيد شيء من الطير فكيف يعقل ان يكون الطير امنا منه ولا يجوز امن الرجل
المسلم على روحه ومنكوحه الصفة السابعة قوله تعالى وشددنا ملكه ومحال ان يكون المراد انه تعالى شدد
ملكه باسباب الدنيا بل المراد انا ملكناه بقوى الدين واسباب سعادة الآخرة والمراد تشديد ملكه في
الدين والدنيا ومن لم يملك نفسه من القتل والفجور كيف يليق به ذلك الصفة الثامنة قوله تعالى وآتيناه
الحكمة وفصل الخطاب والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علما وعملا فكيف يجوز ان يقال انا آتيناه الحكمة
وفصل الخطاب مع اصراره على ما يستنكف منه مع اخس اصحابه في الروح والمنكوح فهذه
الصفات التي وصف بها قبل شرح القصة واما الصفات المذكورة بعد ذكر القصة فاولها قوله تعالى
وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وقوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فكيف ان الله تعالى
يجعله خليفة ويقع منه ذلك وقد روي عن سعيد بن المسيب ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص فاجلدوه مائة جلدة وستين وهو حد الفرية
على الانبياء ومما يقوي هذا انهم قالوا ان المغيرة بن شعبة زنى وشهد ثلاثة من الصحابة بذلك
واما الرابع فلم يقل اني رأيت ذلك بعيني فان عمر رضي الله عنه كذب اولئك الثلاثة وجلد كلا حد

منهم ثمانين جلدة لاجل الهم قذفوا فاذا كان هذا الحال في واحد من احاد الصحابة فكذلك
فكيف الحال مع داود عليه السّلام مع انه من اكابر الانبياء عليهم السلام فثبت بما ذكرنا ان القصة
التي ذكرها هؤلاء باطلة لا يجوز ذكرها قال الرازي حضرت في مجلس وفيه بعض الاكابر فكان يريد
ان يتعصب لتقرير ذلك القول الفاسد والقصة الخبيثة بسبب اقتضى ذلك فقلت له لاشك ان
داود عليه السلام كان من اكابر الانبياء والرسل وقال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته ومن
مدحه الله بمثل هذا المدح العظيم لم يجز لنا ان نبالغ في الطعن فيه وايضا بتقدير انه ما كان نبيا فلا شك
انه كان مسلما وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير وذكرت له اشياء اخر قال فسكت
ولم يذكر شيئا فان قيل قد ذكر هذه القصة كثير من المحدثين والمفسرين اجيب بانه لما وقع
التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من اخبار الاحاد كان الرجوع الى الدلائل
القطعية واجبا والمحققون يردون هذا القول ويحكمون عليه بالكذب واما القول الثاني فقالوا
تحمل هذه القصة على حصول الصغيرة لا على حصول الكبيرة وذلك من وجوه الاول ان هذه
المرأة خطبها اوريا فاجابوه ثم خطبها داود عليه السلام فاثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة
اخيه المؤمن مع كثرة نسائه الثاني قالوا انه وقع بصره عليها فمال قلبه اليها وليس له في هذا ذنب البتة
اما وقوع بصره عليها بغير قصد فليس بذنب واما حصول الميل عقيب النظر فليس ايضا ذنبا لان الميل
ليس في وسعه فليس مكلفا به بل لما اتفق انه قتل زوجها تزوج بها الثالث انه كان اهل زمان داود
عليه السلام يسأل بعضهم بعضا ان يطلق زوجته حتى يتزوجها وكانت عادة مالوفة معهودة في هذا
المعنى فاتفق ان عين داود عليه السلام وقعت على تلك المرأة فاحبها فسأله النزول عنها فاستحيا
ان يرده ففعل وهي ام سليمان فقيل له ذلك وان كان جائزا في ظاهر الشريعة الا انه لا يليق بك فان
حسنات الابرار سيئات المقربين فهذه وجوه ثلاثة لو حملت هذه القصة على واحد منها لم يلزم في حق داود
عليه السلام الا ترك الافضل والاولى واما القول الثالث فقال تحمل هذه القصة على وجه لا يلزم منه
ايجاب كبيرة ولا صغيرة لداود عليه السلام بل يوجب اعظم انواع المدح والثناء له وهو انه قد روي
ان جماعة من الاعداء طمعوا في ان يقتلوا نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه
ويشتغل فيه بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم فتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه
وجد عنده اقواما يمنعهم منه فخافوا ووضعوا كذبا فقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض الى
اخر القصة فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم وظن ان ذلك ابتلاء من الله تعالى له فاستغفر
ربه مما هم به واناب فان قيل ههنا اربعة الفاظ يمكن ان يحتج بها في الحاق الذنب لداود عليه
السلام احدها قوله تعالى وظن داود انما فتناه وثانيها قوله تعالى فاستغفر ربه وثالثها قوله تعالى
واناب ورابعها قوله تعالى فغفرنا له ذلك اجيب بان هذه الالفاظ لا يدل شيء منها على ما ذكر
لاحتمال ان تكون زلته انما حصلت من باب ترك الافضل والاولى كما مر وحمل هذه الالفاظ

على هذا الوجه لا يلزم منه اسناد شيء من الذنوب اليه بل ذلك يوجب اسناد اعظم الطاعات اليه
وقيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسئلته وهناك اشياء كثيرة ذكرها
البغوي وغيره وفيما ذكرناه كفاية فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ اي ما استغفر منه وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى اي زيادة
خير في الدارين بعد المغفرة وَحُسْنَ مَآبٍ اي مرجع في الجنة. ولما تم الكلام في شرح القصة اردفها
ببيان ان الله تعالى فوض الى داود خلافة الارض بقوله تعالى يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ
اي تدبر امر العباد بامرنا وهذا من اقوى الدلائل على فساد القول الاول كما مر لان من
البعيد جدا ان يوصف الرسول بكونه ساعيا في سفك دماء المسلمين رغبة في انتزاع ازواجهم
من ايديهم ثم يذكر عقبه ان الله تعالى فوض خلافة الارض اليه ثم في تفسير كونه خليفة وجهان
احدهما جعلناك تخلف من تقدمك من الانبياء في الدعاء الى الله تعالى وفي سياسة الناس
لان خليفة الرجل من يخلفه وذلك انما يعقل في حق من تصح عليه الغيبة وذلك على الله
تعالى محال ثانيهما ان جعلناك مملكا في الناس نافذ الحكم فيهم فبهذا التاويل يسمى خليفة ومنه يقال
خليفة الله تعالى في ارضه وحاصله ان خليفة الرجل يكون نافذ الحكم في رعيته وحقيقة الخلافة
ممتنعة في حق الله تعالى فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة للزوم نفاذ الحكم في تلك الحقيقة فَاحْكُمْ
بَيْنَ النَّاسِ اي الذين يتحاكمون اليك من اي قوم كانوا بِالْحَقِّ اي بالعدل لان الاحكام اذا كانت
مطابقة للشريعة الحقة الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت ابواب الخيرات واذا كانت الاحكام
على وفق الاهوية وتحصيل مقاصد الانفس افضى ذلك الى تخريب العالم ووقوع الهرج فيه
والمرج في الخلق وذلك يفضي الى هلاك ذلك الحاكم ولهذا قال تعالى وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى اي
لا تمل مع ما تشتهي اذا خالف امر الله تعالى ثم سبب عنه قوله تعالى فَيُضِلَّكَ اي ذلك الاتباع والهوى
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله والضلال عن سبيل الله يوجب سوء
العذاب إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ اي عن الايمان بالله تعالى لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا
اي بسبب نسيانهم يَوْمَ الْحِسَابِ او المترتب عليه تركهم الايمان ولو ايقنوا بيوم الحساب لآمنوا
في الدنيا وقال الزجاج بتركهم العمل لذلك اليوم وقال عكرمة والسدي في الآية تقديم وتاخير
تقديره لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا اي تركوا القضاء بالعدل وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ التي
ترونها وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا اي مما تحسون به من الرياح وغيرها خلقا بَاطِلًا اي عبثا قال الله تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون. تنبيه: احتج اهل السنة بان هذه الآية تدل على انه
تعالى خالق كل ما بين السماء والارض واعمال العباد مما بين السماء والارض فوجب ان يكون تعالى
خالقها ودلت على صحة القول بالحشر والنشر لانه تعالى لما خلق الخلق في هذا العالم فاما ان يكون
خلقهم للاضرار او للانتفاع او لا لشيء والاول باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم والثالث ايضا
باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين فلم يبق الا ان يقال خلقهم للانتفاع وذلك الانتفاع

اما ان يكون فى حياة الدنيا او فى حياة الآخرة والاول باطل لان منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة
وتحمل الضرر الكثير لوجدان المنفعة القليلة لا يليق بالحكمة ولما بطل هذا القول ثبت القول بوجود حياة
بعد هذه الحياة الدنيا وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيمة + تنبيه + يجوز فى باطلا ان يكون
نعتا لمصدر محذوف او حالا من ضميره اى خلقا باطلا وان يكون حالا من فاعل خلقنا اى
مبطلين او ذوى باطل وان يكون مفعولا من اجله اى للباطل وهو العبث ذٰلِكَ اى خلق ماذكر
لا لشئ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا اى اهل مكة هم الذين ظنوا انهما خلقا لغير شئ وانه لا بعث ولا
حساب فَوَيْلٌ اى هلاك عظيم بسبب هذا الظن او واد فى جهنم لِلَّذِينَ كَفَرُوا اى مطلقا بهذا
الظن وغيره من اى شرك كان مِنَ النَّارِ لان من انكر الحشر والنشر كان شاكا فى حكمة الله
تعالى فى خلق السموات والارض + ونزل لما قال كفار مكة للمؤمنين انا نعطى فى الآخرة
مثل ما تعطون أَمْ نَجْعَلُ اى على عظمتنا الَّذِينَ آمَنُوا اى امتثالا لاوامرنا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ تحقيقا
لايمانهم كَالْمُفْسِدِينَ اى المطبوعين على الفساد والراسخين فيه فِى الْأَرْضِ اى بالسفر وغيره
ام نجعلهم مثلهم وام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التى هى من لوازم
خلقهما باطلا ليدل على نفيه وكذا التى فى قوله تعالى أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ كرر الانكار الاول
باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين
والمجرمين منهم وقوله تعالى كِتٰبٌ خبر مبتدأ مضمر اى هذا كتاب ثم وصفه بقوله تعالى أَنْزَلْنٰهُ
اى بما لنا من العظمة إِلَيْكَ يا اشرف الخلق مُبٰرَكٌ اى كثير خيره ونفعه وقوله تعالى لِيَدَّبَّرُوا
اصله ليتدبروا ادغمت التاء فى الدال آيٰتِهِ اى ليتفكروا فى اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة
فيأتمروا باوامره ومناهيه فيؤمنوا وَلِيَتَذَكَّرَ اى وليتعظ به أُولُوا الْأَلْبٰبِ اى اصحاب العقول
القصة الثانية قصة سليمان عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى وَوَهَبْنَا اى بما لنا من العظمة
لِدَاوُدَ سُلَيْمٰنَ ابنه فجاء عديم النظير فى ذلك الزمان دينا ودنيا وعلما وحكمة وعظمة
ورحمة والمخصوص بالمدح فى قوله تعالى نِعْمَ الْعَبْدُ محذوف اى سليمان وقيل داود
إِنَّهُ أَوَّابٌ اى رجاع الى التسبيح والذكر فى جميع الاوقات إِذْ اى اذكر إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ
اى سليمان وقوله تعالى بِالْعَشِىِّ وهو ما بعد الزوال الى الغروب وقوله تعالى الصّٰفِنٰتُ
اى الخيل العربية الخالصة جمع صافنة وفيه خلاف بين اهل اللغة وقال الزجاج هو
الذى يقف على احدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك باحدى رجليه قال
وهى علامة الفراهة فيه وانشد ألف الصفون فلا يزال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا
وقيل هو الذى يجمع يديه ويسويهما وقيل هو القائم مطلقا اى سواء كان من الخيل ام
من غيرها قاله القتيبى واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم من سره ان يقوم له الناس صفونا
فليتبوأ مقعده من النار اى يديمون له القيام

وقيل هو قيام الخيل مطلقا اى سواء وقف على طرف سنبكه ام لا قال الفراء على هذا رأيت
اشعار العرب واختلف ايضا فى قوله تعالى الجياد فهى اما من الجودة يقال جاد الفرس يجود
وجودة بالفتح والضم فهو جواد للذكر والانثى وهو الذى يجود فى جريه باعظم ما يقدر عليه والجمع
جياد واجواد واجاويد وقيل جمع جود بالفتح كثياب وثوب واما من الجيد وهو العنق والمعنى
طويلة الاجياد وهو دال على فراهتها قال الكلبى غزا سليمان اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم
الف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من ابيه داود الف فرس وقال عوف عن الحسن
بلغنى انها كانت خيلا خرجت من البحر لها اجنحة وعن عكرمة انها كانت عشرين الف فرس لها
اجنحة فصلى سليمان الصلوة الاولى التى هى الظهر وقعد على كرسيه وهى تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة
فرس فتنبه لصلوة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتته الصلوة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك
فقال انى احببت اى اردت حب الخير اى الخيل عن ذكر ربى اى صلوة العصر حتى توارت اى
الشمس بالحجاب اى استترت بما يحجبها عن الابصار ردوها على اى الخيل المعروضة وقيل الضمير
يرجع للشمس قال الرازى وهذا بعيد لوجوه الاول ان الصافنات مذكورة بالصريح والشمس
غير مذكورة وعود الضمير الى المذكور اولى من عوده الى المقدر وثانيها انه اشتغل بالخيل
حتى غربت الشمس وفاتته صلوة العصر كان ذلك ذنبا عظيما ومن كان هذا حاله فطريقه التضرع
والبكاء والمبالغة فى اظهار التوبة فاما ان يقول على سبيل العظمة لرب العالمين مثل هذه
الكلمة العارية عن كل جهات الادب عقب ذلك الجرم العظيم الذى لا يصدر عن ابعد الناس
عن الخير فكيف يجوز اسناده للرسول عليه السلام المطهر المكرم وثالثها ان الشمس لو رجعت بعد
الغروب لصار ذلك مشاهدا لكل اهل الدنيا ولو كان كذلك لتوفرت الدواعى على نقله
وحيث لم ينقل علمنا فساده انتهى قال اكثر المفسرين فلما ردوا الخيل اليه اقبل يضرب سوقها
واعناقها بالسيف اخذا من قوله تعالى فطفق مسحا اى فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق
والاعناق اى سوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه قالوا فعل ذلك
تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما
علينا كما ابيح لنا ذبح بهيمة الانعام وبقى منها مائة فرس فما بقى فى ايدى الناس اليوم من الخيل
من نسل تلك المائة قال الحسن فلما عقر الخيل ابدله الله تعالى خيرا منها واسرع وهى الريح تجرى بامره
كيف شاء قال الرازى وهذا عندى بعيد لوجوه الاول انه لو كان مسح السوق والاعناق قطعها
لكان معنى وامسحوا برؤسكم اى اقطعوها وهذا لا يقوله عاقل بل لو قيل مسح راسه بالسيف فربما
فهم منه ضرب العنق اما اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم منه البتة من المسح العقر والذبح الثانى
ان القائلين بهذا القول اجمعوا على ان سليمان عليه السلام انواعا من الافعال المذمومة فاولها صح
ترك الصلوة وثانيها انه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا حتى نسى الصلوة وقال صلى الله عليه

وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة وثالثها انه بعد الاتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة والانابة البتة ورابعها انه خاطب رب العالمين بقوله ردوها علي وهذه كلمة لا يقولها الرجل الحصيف الا مع الخادم الخسيس وخامسها انه اتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في سوقها واعناقها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذبح الحيوان الا لاكله وهذه انواع من الكبائر ينسبونها الى سليمان عليه السلام مع ان لفظ القرآن لم يدل على شيء منها وخلاصتها ان هذه القصص انما ذكر الله تعالى عقب قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وان الكفار لما بالغوا في السفاهة الى هذا الحد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ثم ذكر عقبه قصة سليمان عليه السلام فقال تعالى ووهبنا لداود سليمان الآية والتقدير انه تعالى قال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا محمد اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان وهذا الكلام انما يليق اذا قلنا ان سليمان عليه السلام اتى في هذه القصة بالاعمال الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله تعالى واعرض عن الشهوات واللذات فلو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في هذا الموضع انه اقدم على الكبائر العظيمة والذنوب لم يكن ذكر هذه القصة لائقا قال والصواب ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما هو في دين محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس ثم امر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا ونصيب النفس انما احبها لامر الله تعالى وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام امر باجرائها وسيرها حتى توارت بالحجاب اي غابت عن بصره ثم انه امر الرائضين ان يردوها فردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك امور الاول تشريفا لها وابانة لعزتها لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو الثاني انه اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والملك يتضع الى حيث يباشر اكثر الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها فكان يمسحها ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير هو الذي ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزم منه نسبة شيء من المنكرات الى سليمان عليه السلام والعجب منهم كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع ان العقل والنقل يردها وليس لهم في اثباتها شبهة فضلا عن حجة قال فان قيل فالجمهور فسروا الآية بتلك الوجوه فالجواب ان نقول لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها لما ذكرنا وايضا فان الدلائل الكثيرة قامت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يدل على صحة هذه الحكايات دليل قطعي ورواية الآحاد لا تصلح معارضة الدلائل القوية فكيف الحكايات من اقوام لا يلتفت الى اقوالهم والذي ذهبنا اليه قول الزهري وابن كيسان وقد يجاب من جهة الجمهور ان ما نسبه اليهم ممنوع وبيان ذلك ان قوله اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم منه البتة من المسح العقر والذبح يقال القرينة كافية في ذلك ثم قوله انهم جمعوا انواعا من مومة اولها ترك

الصلاة إنما يكون ذلك منه سهواً إذا تركها متعمداً ولم يكن ذلك بل نسيها وقد نام صلى الله عليه وسلم في الوادي حتى طلع الشمس وقضى الصبح والنسيان والنوم لا مؤاخذة فيهما وقوله ثانيها أنه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا إنما اشتغل بذلك الأمر الجهاد وهو مطلوب في حقه وقوله ثالثها أنه لم يشتغل بالتوبة يقال إنه لم يأت بذنب وقوله رابعها أنه خاطب رب العالمين بقوله ردوها على ممنوع والمخاطب إنما هو جماعته وقوله خامسها إلى أن قال وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن عقر الحيوان قد مر عنهم أن ذلك كان مباحاً له فليس فيما قالوه نسبة سليمان عليه الصلاة والسلام إلى معصية فلو قال الأولى أن يقال كذا كان أولى وقرأ قنبل بهمزة ساكنة بعد السين وقيل عنه أيضاً بضم الهمزة وواو بعدها واختلف في سبب الفتنة التي وقعت لسليمان عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ فقال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر وكان الله تعالى قد أعطى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر إنما يركب إليه الريح فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس فأخذها وقتل ملكها وسبى ما فيها وأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسناً وجمالاً فاصطفاها لنفسه ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حباً لم يحبه شيئاً من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان عليه السلام فقال لها ويحك ما هذا الحزن فقالت له إني أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك فقال لها سليمان عليه السلام قد أبدلك الله ملكاً هو أعظم من ملكه وسلطاناً هو أعظم من سلطانه وهداك إلى الإسلام وهو خير من ذلك كله قالت إن ذلك كذلك ولكني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا صورته في داري أراها بكرة وعشياً لرجوت أن يذهب ذلك حزني فأمر سليمان عليه السلام الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فعمدت إليه حين صنعوه وألبسته ثياباً مثل ثيابه التي كان يلبسها ثم كانت إذا خرج سليمان عليه السلام تذهب إليه مع ولائدها فتسجد له ويسجدن معها له كما كانت تصنع في ملكه وسليمان عليه السلام لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقاً لسليمان عليه السلام وكان لا يرد عن أبواب سليمان عليه السلام أي ساعة أراد دخول شيء من بيوت سليمان عليه السلام حاضراً كان سليمان عليه السلام أو غائباً فقال يا نبي الله كبر سني ورق عظمي ونفد عمري وقد حان مني الذهاب فقد أحببت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه من مضى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأثني عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير أمرهم فقال افعل فجمع سليمان عليه السلام الناس فقام فيهم خطيباً فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله به حتى انتهى إلى سليمان عليه السلام فقال ما كان أحكمك في صغرك [illegible] ثم انصرف فوجد سليمان عليه السلام في نفسه حتى امتلأ غضباً فلما دخل داره

دعاه فقال يا آصف ذكرت من مضى من انبياء الله تعالى فاثنيت عليهم خيرا فى كل زمانهم وعلى كل حال
امرهم فلما ذكرتنى جعلت تثنى علىّ خيرا فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من امرى فما الذى
احدثت فى آخر عمرى فقال آصف ان غير الله تعالى يعبد فى دارك فقال سليمان عليه السلام انا
لله وانا اليه راجعون لقد عرفت انك ما قلت الذى قلت الا عن شئ بلغك ثم رجع سليمان عليه السلام
الى داره فكسر الصورة وعاقب تلك المرأة وولائدها وخرج وحده الى فلاة ففرش الرماد وجلس عليه
تائبا الى الله تعالى وكانت له ام ولد يقال لها الامينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها
وكان ملكه فيه فوضعه عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر واسمه صخر على صورة سليمان عليه
السلام وقال لها يا امينة خاتمى فناولته الخاتم فتختم به وجلس على كرسى سليمان عليه السلام فعكفت
عليه الطير والجن والانس وتغيرت صفة سليمان عليه السلام فاتى الامينة يطلب الخاتم فانكرته فعرف
ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه
اخذ ينقل السمك للسماكين فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احداهما برغيفة وشوى الاخرى
فاكلها فمكث كذلك اربعين صباحا مدة ما كان يعبد الوثن فى داره فانكر آصف وعظماء بنى اسرائيل
حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان عليه السلام فقلن ما يدع منا امرأة فى دمها ولا يغتسل من
جنابة فقال آصف انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم خرج على بنى اسرائيل فقال
ما فى الخاصة اعظم مما فى العامة فلما مضى اربعون صباحا طار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر
فابتلعته سمكة فاخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان عليه السلام بسمكتين صدر يومه ذلك
حتى اذا كان العشى اعطاه سمكتيه فاعطى السمكة التى اخذت الخاتم وخرج سليمان عليه السلام بسمكتيه
فباع السمكة التى ليس فى بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فبقرها ليشويها فاستقبله
الخاتم فى جوفها فاخذه فجعله فى يده ووقع ساجدا وعكفت عليه الطير والجن والانس ورجع الى ملكه
واخذ ذلك الشيطان وحبسه فى صخرة والقاه فى البحر هذا ملخص حديث وهب وقال الحسن ما كان
الله ليسلط الشيطان على نسائه وقال السدى كان سبب فتنة سليمان عليه السلام انه كانت له مائة
امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهى آثر نسائه وآمنهن عنده وكان يأتمنها على خاتمه
اذا اتى حاجة فقالت له يوما ان اخى بينه وبين فلان خصومة فاحب ان تقضى له فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله
نعم وذكر نحو ما تقدم وفى بعض الروايات ان سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه
ملكه فاعاده سليمان عليه السلام الى يده فسقط فايقن سليمان عليه السلام بالفتنة فاتاه آصف فقال لسليمان
عليه السلام انك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك فى يدك ففرّ الى الله تعالى تائبا فانى اقوم مقامك
واسير بسيرتك الى ان يتوب الله تعالى عليك ففرّ سليمان عليه السلام الى الله تعالى واعطى آصف الخاتم فوضعه
فى يده فثبت فاقام آصف فى ملك سليمان عليه السلام يسير بسيرته اربعة عشر يوما الى ان ردّ الله تعالى على
سليمان عليه السلام ملكه وتاب عليه ورجع الى ملكه وجلس على سريره واعاد الخاتم فى يده فهو الجسد

الذي القى على كرسيه وَرُوِي عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عليه السلام عن الناس ثلاثة
ايام فاوحى الله تعالى اليه احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر في امور عبادي فابتلاه الله عز وجل
وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه قال الرازي واستبعد اهل التحقيق هذا
الكلام من وجوه الاول ان الشيطان لو قدر على ان يتشبه في الصورة والخلقة بالانبياء فحينئذ لا يبقى
اعتماد على شيء من ذلك فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس على صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام
ما كانوا اولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لاجل الاغواء والاضلال وذلك يبطل الدين
بالكلية الثاني ان الشيطان لو قدر ان يعامل نبي الله تعالى سليمان عليه السلام بمثل هذه المعاملة
لوجب ان يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ يجب ان يقتلهم ويمزق تصانيفهم ويخرب
ديارهم ولما بطل ذلك في حق احاد العلماء فلان يبطل في حق اكابر الانبياء اولى الثالث كيف يليق
بحكمة الله تعالى واحسانه ان يسلط الشيطان على ازواج سليمان عليه السلام ولا شك انه قبيح وعلى
خير ياي الحسن كما مر الرابع لو قلنا ان سليمان عليه السلام اذن في ذلك لتلك المراة في عبادتها
تلك الصورة فهذا الكفر منه وان لم ياذن فيه البتة فالذنب على تلك المراة فكيف يؤاخذ الله تعالى
سليمان عليه السلام بفعل لم يصدر منه اي وقد يقال انما اوخذ بذلك لكونه كان سببا في عملها قال
فاما اهل التحقيق فقد ذكروا وجوها الاول ان فتنة سليمان عليه السلام انه ولد له ابن فقالت الشياطين
ان عاش صار مسلطا علينا مثل ابيه فسبيلنا ان نقتله فعلم سليمان عليه السلام ذلك فكان يربيه
في السحاب فبينما هو يشتغل بمهماته اذ القي ذلك الولد ميتا على كرسيه فتنبه على خطيئته في انه لم
يتوكل على الله تعالى فاستغفر ربه وتاب الثاني روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال
سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل امراة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله
تعالى فطاف عليهن فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله
تعالى لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعين فذلك قوله تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه
جسدا الثالث انه اصابه مرض فصار يجلس على كرسيه وهو مريض فذلك قوله تعالى والقينا على كرسيه
جسدا وذلك لشدة المرض والعرب تقول في الضعيف انه لحم على وضم وجسم بلا روح ثم اناب اي
رجع الى حال الصحة اي وهذا اظهر ما قيل كما قال البيضاوي الرابع لا يبعد ايضا ان يقال انه ابتلاه الله
تعالى بتسليط خوف او توقع بلاء توقعه من بعض الجهات حتى صار بقوة ذلك الخوف كالجسد
الضعيف الملقى على ذلك الكرسي ثم ان الله تعالى ازال عنه ذلك الخوف واعاده الى ما كان عليه
من القوة وطيب القلب فاللفظ محتمل لهذه الوجوه ولا حاجة الى حمله على تلك الوجوه الركيكة
فان قيل لولا تقدم الذنب لما قال رب اغفر لي اجيب بان الانسان لا ينفك عن ترك الافضل
وحينئذ يحتاج الى طلب المغفرة لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولانه ابدا في مقام هضم النفس
واظهار الذلة والخضوع كما قال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين

مرة مع انه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلا يبعد ان يكون المراد من هذه
الكلمة هذا المعنى واختلف في قول سليمان عليه السلام وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي اي
سواي نحو فمن يهديه من بعد الله اي سوى الله فقال عطاء بن ابي رباح يريد هب لي ملكا لا تسلبنيه
في باقي عمري إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ وقال مقاتل ان الشيطان لما استولى على مملكه طلب ان يعطيه الله
ملكا لا يقدر الشيطان على ان يقوم فيه مقامه البتة وقال من انكر ان الشيطان لم يستول على ذلك ان
ذلك يحتمل لوجوه الاول ان الملك هو القدرة فكان المراد اقدرني على اشياء لا يقدر عليها غيري
البتة ليصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة نبوتي ورسالتي ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى
فَسَخَّرْنَا اي بما لنا من العظمة لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً اي حالة كونها لينة غاية اللين منقادة
يدرك بها ما لا تدرك الخيل غدوها شهر ورواحها شهر حَيْثُ أَصَابَ اي اراد فكون الريح
جارية بامره قدرة عجيبة وملك عجيب دال على صحة نبوته لا يقدر احد على معارضته وقد
جعل الله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم من ذلك وهو ان العدو يرعب منه الى مسيرة
شهر من جوانبه الاربعة فهي اربعة اشهر الثاني انه عليه السلام لما مرض ثم عاد الى الصحة عرف ان
خيرات الدنيا صائرة الى التغيرات فسأل ربه ملكا لا يمكن ان ينتقل مني الى غيري الثالث ان
الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها اشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة فكانه قال
يا الهي اعطني مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلية حتى احترز عنها مع القدرة عليها ليصير ثوابي اكمل
وافضل الرابع سأل ذلك ليكون علامة على قبول توبته حيث اجاب الله تعالى دعاءه ورد عليه ملكه
وزاده فيه وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن اتاني الليلة ليقطع على صلوتي
فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه فذكرت
دعوة اخي سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرددته خاسئا فعلم من هذه الاوجه انه ليس في كلام
سليمان عليه السلام ما يشبه الحسد وهو طلب ما لا ينبغي لاحد غيره واجاب الزمخشري باجوبة غير ذلك
منها ان سليمان عليه السلام كان ناشئا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة
فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا
على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم ثم قال وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد مني من قال
رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قال وهذا من جراءته على الله تعالى وشيطنته ومن شيطنته
ما حكي عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق في
طاعتنا فقال واولي الامر منكم فان قيل قوله تعالى رخاء ينافيه قوله تعالى في اية اخرى ولسليمان الريح
عاصفة اجيب عن ذلك بوجهين الاول ان المراد ان تلك الريح كانت في قوة الرياح العاصفة الا انها
لما امرت بامره كانت لذيذة طيبة وكانت رخاء الثاني ان تلك الريح كانت لينة مرة وعاصفة اخرى
فلا منافاة بين الايتين + تنبيه + قوله تعالى حيث ظرف لتجري او لسخرنا + فائدة +

روی ان رجلين تخاصما فی بقرة فادعى احدهما ان بقره عدا على زرعه فقال سليمان عليه السلام يأخذ صاحب الزرع البقرة فقال داود عليه السلام فقال لهما ابن تسيبان فحكم لهما فقال لا
هذا بعينها وقوله تعالى والشياطين عطف على الريح وقوله تعالى كل بناء بدل من الشياطين
كانوا يبنون له ما شاء من الابنية روى ان سليمان عليه السلام امر الجان فبنت له اصطخر وكان
فيها قرار مملكة الترك قديما وبنت له الجان ايضا تدمر وبيت المقدس وباب جيرون وباب
البريد اللذين بدمشق على احد الاقوال وبنوا له ثلاثة قصور باليمن غمدان وسلحين وبينون
ومدينة صنعاء وقوله تعالى وغواص عطف على بناء اى يغوصون له فى البحر يستخرجون اللؤلؤ وهو
اول من استخرج اللؤلؤ من البحر وقوله تعالى وآخرين مقرنين اى مشدودين فى الاصفاد اى القيود
تجمع ايديهم الى اعناقهم عطف على كل فهو داخل فى حكم البدل فكأنه فصل الشياطين الى عملة
استعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل ليكفوا
عن الشر فان قيل اجسامهم اما ان تكون كثيفة او لطيفة فان كانت كثيفة وجب ان يراها صحيح
الحاسة وان كانت لطيفة فلا تقوى على العمل ولا يمكن تقرينها اجيب بان اجسامهم شفافة
صلبة فلا ترى وتقوى على العمل ويمكن تقرينها اجيب بان اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى
وتقوى على العمل ويمكن تقرينها او ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقتران
فى الصفد وهو القيد ويسمى به العطاء لانه يرتبط المنعم عليه وفرقوا بين فعل الصفد بمعنى القيد وفعله
بمعنى العطاء فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد فى الخير والشر وفى ذلك نكتة
وهى ان القيد ضيق فناسبه تقليل حروف فعله والعطاء واسع فناسبه تكثير حروف فعله والوعد
خير وهو خفيف فناسبه تقليل حروفه والايعاد شر وهو ثقيل فناسبه تكثير حروفه هذا اى وقلنا
هذا الامر الكبير عطاؤنا اى على ما لنا من العظمة فامنن او امسك قال ابن عباس رضى الله عنهما
اعط من شئت وامنع من شئت قال المفسرون اى لا حرج عليك فيما اعطيت وفيما امسكت قال
الحسن ما انعم الله تعالى على احد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان عليه السلام فانه ان اعطى اجر وان لم يعط
لم يكن عليه تبعة وقال مقاتل هذا فى امر الشياطين يعنى خل من شئت منهم وامسك من شئت فى
وثاقك لا تبعة عليك فيما تتعاطاه وقوله تعالى بغير حساب فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق
بعطاؤنا اى اعطيناك بغير حساب ولا تقدير وهو دال على كثرة الاعطاء ثانيها انه حال من
عطاؤنا اى فى حال كونه غير محاسب عليه لانه جم كثير يعسر على الحاسب ضبطه ثالثها انه متعلق
بامنن او امسك ويجوز ان يكون حالا من فاعلهما اى غير محاسب عليه ولما ذكر تعالى ما انعم
عليه به فى الدنيا اتبعه بما انعم عليه فى الآخرة بقوله سبحانه وتعالى وان له عندنا اى فى الآخرة
مع ما له من الملك العظيم فى الدنيا لزلفى اى قربى عظيمة وحسن مآب وهو الجنة القصة الثالثة قصة
ايوب عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى واذكر عبدنا اى الذى هو اهل للاضافة الى جنابنا
ويبدل منه ايوب وهو ابن الروم بن عيص بن اسحق وامرأته ليا بنت يعقوب عليهما السلام وقوله

قوله وهو ابن الروم ... هكذا فى النسخ والذى فى حاشية الجمل عن البيضاوى ... بن عيص ... ابن اسحق ... ونقل عن ... ابن ... [illegible]

تعالى إِذْ نَادَى رَبَّهُ بدل من عبدنا بدل اشتمال وايوب عطف بيان له وقوله أَنِّي اي بانى مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ اى المحترق باللعنة البعيد من الرحمة بِنُصْبٍ اى بمشقة وضر وَعَذَابٍ اى الم جئ به على حكاية كلامه الذى نادى بسببه ولو لم يحكه لقيل انه مسه لانه غائب وقال قتادة رضى الله عنه النصب فى الجسد والعذاب فى المال واختلف العلماء فى هذه الالام والاسقام الحاصلة فى جسده على قولين احدهما انها حصلت بفعل الشيطان والثانى انها حصلت بفعل الله تعالى والعذاب المضاف فى هذه الاية الى الشيطان هو عذاب الوسوسة والقاء الخواطر الفاسدة اما تقرير القول الاول فهو ما روى ان ابليس لعنه الله سأل ربه فقال هل فى عبيدك من لو سلطتنى عليه يمتنع منى فقال الله تعالى نعم عبدى ايوب فجعل ياتيه بوساوسه وهو يرى ابليس عيانا ولا يلتفت اليه فقال رب انه قد امتنع على فسلطنى على ماله فكان الشيطان يجيئه ويقول له يا ايوب هلك من مالك كذا وكذا فيقول ايوب له الله اعطى والله اخذ ثم يحمد الله سبحانه وتعالى فقال يا رب ان ايوب لا يبالى بماله فسلطنى على جسده فاذن فيه فنفخ فى جلد ايوب فحدث اسقام عليه والام شديدة فمكث فى ذلك البلاء سنين حتى استقذره اهل بلده فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه احد فجاء الشيطان الى امرأته وقال ان زوجك ان استغاث بى خلصته من هذا البلاء فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف بالله لئن عافاه الله تعالى ليجلدنها مائة جلدة وعند هذه الواقعة قال انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب فاجاب الله تعالى دعاءه واوحى اليه اركض برجلك الى اخر الاية واما تقرير القول الثانى فان الشيطان لا قدرة له البتة على ايقاع الناس فى الامراض والاسقام ويدل عليه وجوه الاول انا لو جوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان فلعل الواحد منا انما وجد الحياة بفعل الشيطان ولعل كل ما حصل لنا من الخيرات والسعادات فقد حصل بفعله وحينئذ لا سبيل الى معرفة من يعطى الحياة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى ام الشيطان ثانيها ان الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى فى قتل الانبياء والاولياء ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل اولادهم ثالثها ان الله تعالى حكى عن الشيطان انه قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فصرح بانه لا قدرة له على البشر الا بالقاء الوساوس والخواطر الفاسدة فدل ذلك على فساد القول بان الشيطان هو الذى القاه فى تلك الامراض فان قيل لم لا يجوز ان يقال ان الفاعل لهذه الاحوال هو الله تعالى لكن على وفق التماس الشيطان اجيب بانه اذا كان لا بد من الاعتراف بان خالق تلك الالام والاسقام هو الله تعالى فاى فائدة فى جعل الشيطان واسطة فى ذلك بل الحق ان المراد بقوله انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب انه بسبب القاء الوساوس الفاسدة كان يلقيه فى انواع العذاب والقائلون بهذا القول اختلفوا فى ان تلك الوساوس كيف كانت وذكروا اوجها اولها ان علته كانت شديدة الالم ثم طالت تلك العلة واستقذره الناس فنفروا عن مجاورته ولم يبق له مال البتة وامرأته كانت تخدم الناس فتحصل له قدر القوت ثم بلغت نفرة الناس عنه الى ان منعوا امرأته من الدخول

عليهم ومن خدمتهم والشيطان كان يذكره النعمة التي كانت عليه والآفات التي حصلت له و
كان يحتال في دفع تلك الوساوس فلما قويت تلك الوساوس في قلبه خاف وتضرع الى الله تعالى
وقال مسني الشيطان بنصب وعذاب لانه كلما كثرت تلك الخواطر كان تألم قلبه منها اشد ثانيها انه
لما طالت مدة المرض جاءه الشيطان ليقنطه مرة ويزلزله بالجزع مرة فخاف من خاطر القنوط في
قلبه فتضرع الى الله تعالى وقال اني مسني الشيطان ثالثها قيل ان امرأته كانت تخدم الناس وتأخذ
منهم قدر القوت وتجئ به الى ايوب عليه السلام فاتفق لها انهم لما استخدموها طلبت بعض النساء منها
قطع احدى ذؤابتيها على ان تعطيها قدر القوت ففعلت ثم في اليوم الثاني فعلت مثل ذلك فلم يبق
لها ذؤابة وكان ايوب عليه السلام اذا اراد ان يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذوابة فلما لم يجد
الذؤابة وقعت الخواطر الردية في قلبه فعند ذلك قال مسني الشيطان بنصب وعذاب
رابعها روى انه عليه السلام قال في بعض الايام يا رب لقد علمت انه ما اجتمع علي امران
الا اثرت طاعتك ولما اعطيتني المال كنت للارامل قيما ولابن السبيل معينا ولليتامى ابا فنودي
يا ايوب ممن كان ذلك التوفيق فاخذ ايوب عليه السلام التراب فوضعه على راسه وقال منك
يا رب ثم خاف من الخواطر الاولى فقال مسني الشيطان بنصب وعذاب وذكروا اقوالا اخر في
سبب بلائه منها ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه ترعى في ناحية ملك كافر فداهنه
ولم يعظه وقيل اعجب بكثرة ماله واعلم ان داود وسليمان عليهما السلام كانا ممن افاض الله عليهما اصناف
الآلاء والنعماء وايوب عليه السلام كان ممن خصه الله بانواع البلاء والمقصود من جميع هذه القصص
الاعتبار كان الله تعالى قال يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان في الدنيا اكثر من الانبياء
نعمة ومالا وجاها من داود وسليمان عليهما السلام وما كان فيهم اكثر بلاء ومحنة من ايوب عليه
السلام فتأمل احوال هؤلاء لتعرف ان احوال الدنيا لا تنتظم لاحد وان العاقل لا بد له من الصبر
على المكاره ولما اشتكى ايوب عليه السلام الشيطان وسأل ربه ان يزيل عنه تلك البلية اجابه الله
تعالى له بان قال له اُرْكُضْ اي اضرب بِرِجْلِكَ اي الارض فضرب فنبعت عين ماء فقيل له
هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ اي ماء تغتسل منه فيبرأ ظاهرك وَشَرَابٌ اي وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهر
اللفظ يدل على انه نبعت له عين واحدة من الماء فاغتسل منه وشرب منه واكثر المفسرين قالوا
نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره ومن باطنه باذن الله
تعالى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت عين باردة فشرب
منها وقيل ضرب الارض فنبعت له عين ماء فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فركض
برجله الارض مرة اخرى فنبعت عين ماء عذب فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه وَوَهَبْنَا اي
بما لنا من العظمة لَهُ أَهْلَهُ اي بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له
مثل اهله والاول هو ظاهر الآية فلا يعدل عنه من غير ضرورة وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ حتى

كان له اضعف ما كان قوله تعالى رَحْمَةً اى نعمة مِنَّا مفعول لاجله اى وهبناهم له لاجل رحمتنا اياه وَذِكْرَىٰ اى وتذكيرا بحاله لِأُولِي الْأَلْبَابِ اى اصحاب العقول ليعلموا ان من صبر ظفر وان رحمة الله تعالى واسعة وهو عند القلوب المنكسرة فما بينه وبين الاجابة الاحسن الا الانابة فمن دام اقباله عليه اغناه عن غيره كما قيل ـ لكل شئ اذا فارقته عوض + وما عن الله ان فارقت من عوض + وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم كما مر وقوله تعالى وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش والقضبان فيها مائة عود كشمراخ النخلة وقيل الحزمة الكبيرة من القضبان وقوله سبحانه وتعالى فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ يدل على تقدم يمين منه عليه الصلوة والسلام واختلفوا فى سبب حلفه عليها ويبعد ما قيل انها ذهبت فى طاعة الشيطان ويبعد ايضا ما روى انها قطعت ذوائبها لان المضطر يباح له ذلك بل الاقرب ما روى ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فابطأت عليه فحلف فى مرضه ليضربنها مائة اذا برئ + ولما كانت حسنة الخدمة جعل الله تعالى يمينه باهون شئ عليه وعليها وهذه الرخصة باقية فى الحدود لما روى انه صلى الله عليه وسلم اتى برجل ضعيف قد زنا بامة فقال صلى الله عليه وسلم خذوا مائة شمراخ واضربوه بها ضربة واحدة إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا اى فيما اصابه فى النفس والاهل والمال فان قيل كيف وجده صابرا وقد شكى اليه اجيب باوجه احدها ان شكواه الى الله تعالى كتمنى العافية فلا يسمى جزعا ولهذا قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثى وحزنى الى الله وكذلك شكوى العليل وذلك ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمنى العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمنى العافية فلا يعد صابرا مع اللجأ الى الله تعالى والدعاء بكشف ما به مع التعالج ومشاورة الاطباء ثانيها ان الالام حين كانت على الجسد لم يذكر شيئا فلما تعاظمت الوساوس على القلب تضرع الى الله تعالى ثالثها ان الشيطان عدو والشكاية من العدو الى الحبيب لا تقدح فى الصبر ويروى انه قال فى مناجاته الهى قد علمت انه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم اكل الا ومعى يتيم ولم ابت شبعانا ولا كاسيا ومعى جائع او عريان فكشف الله تعالى عنه ثم استأنف قوله نِعْمَ الْعَبْدُ اى ايوب عليه السلام ثم علل بقوله تعالى مؤكدا لئلا يظن ان بلاءه قادح فى ذلك إِنَّهُ أَوَّابٌ اى رجاع الى الله تعالى روى انه لما نزل قوله تعالى نعم العبد فى حق سليمان عليه السلام تارة وفى حق ايوب عليه السلام اخرى عظم فى قلوب امة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا ان قوله تعالى نعم العبد تشريف عظيم فان احتجنا الى تحمل بلاء مثل ايوب عليه السلام لم نقدر عليه فكيف السبيل الى تحصيله فانزل الله تعالى قوله سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير والمراد انك ايها الانسان ان لم تكن نعم العبد فانا نعم المولى وان كان منك الفضول فانا منى الفضل وان كان منك التقصير فمنى الرحمة والتيسير القصة الرابعة قصة ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام المذكورة

فى قوله تعالى وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ ابن ابراهيم وَيَعْقُوبَ ابن اسحق أُولِي الْأَيْدِي اى اصحاب
القوى فى العبادة وقال ابن عباس رضى الله عنهما اولى القوة فى طاعة الله تعالى وَالْأَبْصَارِ اى
المعرفة بالله اى البصائر فى الدين او اولى الاعمال الجليلة والعقائد الشرعية فعبر بالايدى عن الاعمال
لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لان اقوى مبادئها وفيه تعريض بكل من لم يكن من
عمال الله تعالى ولا من المستبصرين فى دين الله وفيه توبيخ ايضا على تركهم المجاهدة والتامل مع
كونهم متمكنين منهما فهم فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والناقصى
العقول الذين لا استبصار لهم وقال قتادة ومجاهد اعطوا قوة فى العبادة وبصرا فى الدين
وقرأ ابن كثير بفتح العين وسكون الباء الموحدة ولا الف بعدها على التوحيد على انه ابراهيم وحده
لمزيد شرفه وابراهيم عطف بيان واسحق ويعقوب عطف على عبدنا والباقون بكسر العين وفتح
الموحدة والف بعدها على الجمع إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ اى اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين
بخصلة خالصة لا شوب فيها وهى ذِكْرَى الدَّارِ الآخرة اى ذكرها والعمل لها لان مطمح نظرهم الفوز
بلقائه وذلك فى الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر وقرأ نافع
وهشام خالصة بغير تنوين بالاضافة للبيان وان خالصة مصدر بمعنى الخلوص فاضيفت الى فاعله
والباقون بالتنوين فمن اضاف فمعناه اخلصناهم بذكرى الدار الآخرة وان يعملوا لها والذكرى بمعنى
الذكر قال مالك بن دينار نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها واخلصناهم بحب الآخرة وذكرها
وقال قتادة كانوا يدعون الى الآخرة والى الله عز وجل وقال السدى اخلصوا الخوف للآخرة وقال
ابن زيد اخلصناهم بافضل ما فى الآخرة ومن قرأ بالتنوين فمعناه بخلة خالصة هى ذكرى الدار فيكون
ذكرى الدار بدلا من الخالصة اى جعلناهم مخلصين بما اخبرنا من ذكر الآخرة والمراد بذكرى الدار
الذكر الجميل الرفيع لهم فى الآخرة وقيل انه ابقى لهم الذكر الجميل فى الدنيا وقيل هو دعاؤه واجعل
لى لسان صدق فى الآخرين وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ اى اصطفاء لا يقدح فيه قادح فصاروا
فى غاية الرسوخ فى هذا الوصف الْأَخْيَارِ اى المختارين من ابناء جنسهم والاخيار جمع خير بالتشديد
او خير بالتخفيف كاموات فى جمع ميت او ميت واحتج العلماء بهذه الآية على اثبات عصمة الانبياء
عليهم السلام لانه تعالى حكم عليهم بكونهم اخيارا على الاطلاق وهذا يفهم حصول الخيرية فى جميع
الافعال والصفات بدليل صحة الاستثناء منه القصة الخامسة قصة اسمعيل واليسع وذى الكفل
عليهم السلام المذكورة فى قوله تعالى وَاذْكُرْ يا اشرف الخلق إِسْمَاعِيلَ اى اباك وما صبر عليه
من البلاء بالغربة والانفراد والوحدة والاشراف على الموت فى الله غير مرة وما صار اليه بعد
ذلك لصبره من الفرج والرياسة والذكر فى هذه البلدة وَالْيَسَعَ وهو ابن اخطوب استخلفه الياس
على بنى اسرائيل ثم استنبئ واللام كما فى قوله + رأيت الوليد بن اليزيد مباركا + وقرأ حمزة والكسائى
[illegible] والباقون بسكون اللام وفتح الياء بعدها وَذَا الْكِفْلِ

وهو ابن عم اليسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته وكفالته فقيل فر اليه مائة نبي من بني اسرائيل
من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وَكُلٌّ اي كلهم
مِنَ الْأَخْيَارِ فهم خيرون من الانبياء تحملوا الشدائد في دين الله تعالى وصبروا فاذكرهم
بافضل الخلق بفضائلهم وصبرهم لتسلك طريقهم + ولما اتم تعالى ذكر الانبياء عليهم الصلوة والسلام
واتمه قال مؤكدا لشانهم وشرف ما ذكر من اعمالهم هَٰذَا اي ما تلوناه عليك من ذكرهم وذكر
غيرهم ذِكْرٌ اي شرف في الدنيا وموعظة من ذكر القرآن ذي الذكر ثم عطف على قوله تعالى ان
الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ما لاضدادهم فقال تعالى ردا على من ينكر ذلك
من كفار العرب وغيرهم وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ اي مرجع + ولما شوق سبحانه الى هذا الجزاء
ابدل منه او بينه بقوله تعالى جَنَّاتِ عَدْنٍ اي اقامة في سرور وطيب عيش ثم انه تعالى وصف اهل
الجنة باشياء اولها قوله تعالى مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ اي ان الملائكة يفتحون لهم ابواب الجنة ويحيونهم
بالسلام كما قال تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها الآية وقيل المعنى انهم كلما ارادوا انفتاح الابواب
انفتحت لهم وكلما ارادوا انغلاقها انغلقت لهم + وقيل المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن
بالسعة وقرة العيون فيها ثانيها قوله تعالى مُتَّكِئِينَ فِيهَا وقد ذكر في آيات اخر كيفية ذلك الاتكاء
فقال تعالى في آية على الارائك متكئون وقال في آية اخرى متكئين على رفرف خضر ثالثها قوله
تعالى يَدْعُونَ فِيهَا اي الجنات بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ اي كثير فيدعون فيها بالوان
الفاكهة والوان الشراب + ولما بين المسكن والماكول والمشروب ذكر امر المنكوح تتميما للنعمة بقوله
سبحانه تعالى وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ اي حابسات الطرف اي العين على ازواجهن أَتْرَابٌ
اي اسنانهن واحدة وهي بنات ثلاث وثلاثين سنة واحدها ترب وعن مجاهد متواخيات
لا يتباغضن ولا يتغايرن وقيل اتراب للازواج قال القفال والسبب في اعتبار هذه الصفة لما
تشابهن في الصفة والسن والجبلة كان الميل اليهن على السوية وذلك يقتضي عدم الغيرة وقوله تعالى
هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ قرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالفوقية على الخطاب فوجه الغيبة
تقدم ذكر المتقين ووجه الخطاب الالتفات اليهم والاقبال عليهم اي قل للمتقين هذا ما توعدون
لِيَوْمِ الْحِسَابِ اي في يوم الحساب او لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء إِنَّ هَٰذَا اي المشار اليه ثلثة
اشارة الحاضر الذي لا يغيب لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ اي انقطاع وهذا اخبار عن دوام هذا الثواب تنبيه
من نفاد فاعل ومن مزيدة والجملة في محل نصب على الحال من رزقنا اي غير نافد ويجوز ان يكون
خبرا ثانيا لان اي دائم + ولما وصف تعالى ثواب المؤمنين وصف بعده عقاب الظالمين ليكون الوعيد
مذكورا عقيب الوعد والترغيب عقيب الترهيب بقوله تعالى هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ اي
مرجع هذا في مقابلة قوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب والمراد بالطاغين الكفار وقال الجبائي
على مذهبه الفاسد هم اصحاب الكبائر سواء كانوا كفارا ام لا واحتج الاول بان هذا ذم

مطلق فلا يحمل الا على الكامل في الطغيان وهو الكافر واحتج هو بقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فدل على ان الوصف بالطغيان قد يحصل لصاحب الكبيرة لان من تجاوز حد تكاليف الله تعالى وتعداها فقد طغى ورد هذا بان المراد بالانسان هنا هو الكافر ايضا + تنبيه + هذا يحتمل ان يكون مبتدأ والخبر مقدرا اي كما ذكر كما قدره الزمخشري وقدره ابو علي بقوله هذا للمؤمنين قال الجلال المحلي هذا المذكورة للمؤمنين ويحتمل ان يكون خبر مبتدأ مضمر اي الامر هذا وقوله تعالى جهنم اي اشد الاضطرام الملاقية لمن يدخلها بغاية العبوسة والتجهم فيه اعراب جنات المتقدم وقوله تعالى يَصْلَوْنَهَا اي يدخلونها فيباشرون شدائدها حال من جهنم فَبِئْسَ الْمِهَادُ اي المهد والفراش مستعار من فرش النائم هذا معنى قوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه الله تعالى ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفرش للنائم والمخصوص بالذم محذوف اي هي وفي قوله تعالى هَذَا اي العذاب المفهوم مما بعده اوجه من الاعراب احدها انه خبر مبتدأ مضمر اي الامر هذا ثم استأنف امرا فقال فَلْيَذُوقُوهُ ثانيها انه مبتدأ وخبره حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ واسم الاشارة يكتفي بواحده في المثنى كقوله تعالى عوان بين ذلك اي ويكون المعنى هذا جامع بين الوصفين ويكون قوله تعالى فليذوقوه جملة اعتراضية ثالثها انه مبتدأ والخبر محذوف اي هذا كما ذكر وهذا للطاغين قبل غير ذلك وقيل هذا على التقديم والتاخير والتقدير هذا حميم وغساق فليذوقوه وقيل التقدير جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه ثم يبتدئ فيقول حميم وغساق اي منه حميم وغساق والحميم الحار الذي انتهى حره والغساق ما يسيل من صديد اهل النار وقال كعب هو عين في جهنم يسيل اليها كل ذوب حية وعقرب وقال ابو عمرو هو القيح الذي يسيل من اهل النار فيجتمع فيسقونه وقال قتادة هو ما يغسق اي يسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل هو المنتن بلغة الترك حكى الزجاج لو قطرت منه قطرة بالمغرب لانتنت اهل المشرق وقرأ حمزة والكسائي وحفص بتشديد السين والباقون بالتخفيف وقرأ ابو عمرو واخر بضم الهمزة على جمع اخرى مثل الكبرى والكبر اي اصناف اخر من العذاب مِنْ شَكْلِهِ اي مثل المذكور من الحميم والغساق والباقون بفتح الهمزة ممدودة على التوحيد على انه المذكر واختار ابو عبيدة الجمع لانه تعالى نعته بالجمع فقال سبحانه وتعالى أَزْوَاجٌ اي اصناف اي عذابهم من انواع مختلفة ويقال لهم عند دخولهم النار باتباعهم هَذَا فَوْجٌ اي جمع كثيف مُقْتَحِمٌ اي داخل ومفعوله محذوف اي مقتحم النار مَعَكُمْ بشدة فيقول المتبوعون لَا مَرْحَبًا بِهِمْ اي لا سعة عليهم ولا سعوا امر جاء وقولهم إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ اي داخلون النار باعمالهم مثلنا تعليل لاستحقاقه الدعاء عليهم ونظير هذه الآية قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقال الكلبي انهم يضربون بالمقامع حتى يوقعوا انفسهم في النار خوفا من تلك المقامع قَالُوا اي الاتباع بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ اي ان الدعاء الذي دعوتم به علينا ايها الرؤساء انتم احق به منا وعللوا ذلك بقولهم أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ اي الكفر لَنَا اي بدأتم به قبلنا وشرعتموه وسننتموه لنا

وقيل انتم قدمتم هذا العذاب لنا بدعائكم ايانا الى الكفر فبئس القرار اى النار لنا ولكم قالوا اى
الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا اى شرعه وسنه لنا فزده عذابا ضعفا اى مثل عذابه على كفره
في النار قال ابن مسعود يعني حيات وافاعي وقالوا اى الطاغون وهم في النار ما لنا لا نرى
رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المؤمنين كعمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان الذين
كانوا يسترذلونهم ويسخرون بهم وقولهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا اى كنا نسخر بهم
في الدنيا وقرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين والباقون بكسرها ام زاغت اى مالت عنهم الابصار
اى فلم نرهم حين دخلوها وقال ابن كيسان اى ام كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت
ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا ان ذلك اى الذي حكيناه عنهم لحق اى واجب
ع وقوعه فلا بد ان يتكلموا به ثم بين ذلك الذي حكاه عنهم بقوله تعالى تخاصم اهل النار اى في النار
وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا
بكم من باب الخصومة + تنبيه + يصح في تخاصم اوجه من الاعراب احدها انه بدل من لحق
الثاني انه عطف بيان الثالث انه خبر ثان لان الرابع انه خبر مبتدأ مضمر اى هو تخاصم
+ ولما شرح سبحانه نعيم اهل الثواب وعقاب اهل العذاب عاد الى تقرير التوحيد
والنبوة والبعث المذكورات اول السورة بقوله تعالى قل يا افضل الخلق للمشركين
انما انا منذر اى مخوف بالنار لمن عصى ولا بد من الاقرار بانه ما من اله الا الله اى
الجامع لجميع الاسماء الحسنى الواحد القهار فكونه واحدا يدل على عدم الشريك وكونه قهارا
مشعر بالتخويف والترهيب + ولما ذكر ذلك اردفه بما يدل على الرجاء والترغيب بقوله تعالى
شانه رب السموات اى مبدعها وحافظها على علوها وسعتها واحكامها بما لها من الزينة
والمنافع والارض اى على سعتها وضخامتها وكثافتها وما فيها من العجائب وما بينهما اى
الخافقين من الفضاء والهواء وغيرهما من العناصر والنباتات والحيوانات العقلاء وغيرهما
رب كل شيء من ذلك ايجادا وابقاء على ما يريد وان كره ذلك المربوب فدل ذلك على قهره
وتفرده العزيز اى الغالب على امره الغفار فكونه ربا يشعر بالتربية والكرم والاحسان
والجود وكونه غفارا يشعر بان العبد لو اقدم على المعاصي والذنوب ثم تاب اليه فانه يغفرها
برحمته وهذا الموصوف بهذه الصفات هو الذي تجب عبادته لانه هو الذي يخشى عقابه ويرجى
ثوابه وقوله تعالى قل اى لهم هو نبأ عظيم يعود على القرآن وما فيه من القصص والاخبار وقيل
تخاصم اهل النار وقيل على ما تقدم من اخباره صلى الله عليه وسلم بانه نذير مبين وبان الله
تعالى اله واحد متصف بتلك الصفات الحسنى وقوله تعالى انتم عنه معرضون صفة لنبأ اى لتمادي
غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر
واما على النبوة فقوله تعالى ما كان لي من علم بالملا الاعلى اى الملائكة فقوله بالملا متعلق بقوله

من علم ضمن معنى الاحاطة فلذلك تعدى بالباء إِذْ يَخْتَصِمُونَ اى فى شان آدم عليه السلام حين قال
الله عزّ وجلّ انى جاعل فى الارض خليفة الاية قالت قيل الملائكة لايجوز ان يقال انهم اختصموا بسبب
قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فالمخاصمة مع الله تعالى كفر اجيب بانه لاشك انه
جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة والمشابهة علة المجاز فلهذا السبب
حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه ۔ ولما امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يذكر هذا الكلام
على سبيل الزجر امره ان يقول إِنْ اى ما يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا اى انى أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ اى بين
الانذار فابين لكم ما تاتونه وما تجتنبونه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربى فى احسن
صورة قال ابن عباس رضى الله عنه احسبه قال فى المنام فقال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى
قلت انت اعلم اى رب مرتين قال فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى او قال فى نحرى
فعلمت ما فى السموات وما فى الارض وفى رواية ثم تلا هذه الاية وكذلك نرى ابراهيم ملكوت
السموات والارض واكون من الموقنين ثم قال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم
فى الدرجات والكفارات قال وما هن قلت المشى على الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد
بعد الصلوة واسباغ الوضوء فى المكاره قال من يفعل ذلك يعيش بخير ويموت بخير وخرج
من خطيئته كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم انى اسألك فعل الخيرات وترك
المنكرات وحب المساكين وان تغفر لى وترحمنى واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك
غير مفتون قال ومن الدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلوة بالليل والناس نيام وفى
رواية فقلت لبيك وسعديك فى المرتين وفيهما فعلمت ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذى
وقال حديث حسن غريب وللعلماء فى هذا الحديث وامثاله من احاديث الصفات مذهبان احدهما
مذهب السلف هو اقراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تاويل له
والسكوت عنه مع الاعتقاد بان ليس كمثله شئ وهو السميع البصير والمذهب الثانى مذهب الخلف
وهو تاويل الحديث فقوله صلى الله عليه وسلم رأيت ربى فى احسن صورة يحتمل وجهين احدهما
وانا فى احسن صورة كانه زاده جمالا وكمالا وحسنا عند رؤيته ربه وانما التغير وقع بعده لشدة الوحى
وثقله الثانى ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه راه فى احسن صفاته
من الانعام عليه والاقبال اليه والله تعالى تلقاه بالاكرام والاعظام فاخبر صلى الله عليه وسلم عن
عظمته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبهه بالخلق وتنزيهه عن صفات النقص انه ليس كمثله شئ وهو
السميع البصير وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفى الخ فالمراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك
شائع فى لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بان شرح صدره
ونور قلبه وعرفه ما لم يعرفه حتى وجد برد النعمة والرحمة والمعرفة فى قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح
صدره فعلم ما فى السموات وما فى الارض باعلام الله تعالى اياه فانما امره اذا اراد شيئا ان يقول ح

لكن فيكون اذ لا يجوز على الله تبارك وتعالى ولا على صفات ذاته سبحانه مماسة او مباشرة او نقص
وهذا اليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان فى المنام فقد
زال الاشكال لان رؤية البارى سبحانه فى المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة
للرائى وسبب اختصام الملا الاعلى وهم الملائكة فى الكفارات وهى الخصال المذكورة فى الحديث
فى ايها افضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهى من باب تسمية
الشئ باسم لازمه وسمى ذلك مخاصمة لما مر فى السؤال والجواب المتقدمين وقوله تعالى اذ يجوز
ان يكون بدلا من اذ الاولى كما قال الزمخشرى وان يكون منصوبا باذكر كما قال ابو البقاء اى واذكر
اذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ اى جاعل بَشَرًا مِّن طِينٍ هو آدم عليه السلام فان قيل كيف صح
ان يقول لهم انى خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل اجيب بانه قد يكون قال لهم
انى خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ اى اتممت
خلقه وَنَفَخْتُ اى اجريت فِيهِ مِن رُّوحِى فصار حيا حساسا متنفسا واضافة الروح اليه تعالى
اضافة تشريف لآدم عليه السلام والروح جسم لطيف يحيا به الانسان بنفوذه فيه يسرى
فى بدن الانسان سريان الضوء فى الفضاء وكسريان النار فى الفحم والماء فى العود الاخضر
فَقَعُوا اى خروا لَهُۥ سَٰجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَٰٓئِكَةُ وقوله تعالى كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ فيه تاكيدان وقال الزمخشرى
كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافاد معا انهم سجدوا عن آخرهم ما بقى منهم ملك الا وانهم سجدوا
جميعا فى وقت واحد غير متفرقين فى اوقات انتهى فان قيل كيف ساغ السجود لغير الله اجيب
بان الممنوع هو السجود لغير الله تعالى على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه
العقل الا ان يكون فيه مفسدة فينهى الله تعالى عنه والاولى فى الجواب انه سجود تحية بالانحناء
كما قاله الجلال المحلى إِلَّآ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ اى تكبر وتعظم عن السجود فان قيل كيف استثنى من
الملائكة عليهم السلام ابليس وهو من الجن اجيب بانه قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه فى
قوله تعالى فسجد الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا وقال الجلال المحلى
هو ابو الجن وكان بين الملائكة وعلى هذا فلا سؤال وَكَانَ اى وصار مِنَ الْكَٰفِرِينَ باستكباره عن امر
الله تعالى او كان من الكافرين فى الازمنة الماضية فى علم الله تعالى + تنبيه + المقصود من ذكر هذه
القصة المنع من الحسد والكبر لان ابليس انما وقع فيه بسبب الحسد والكبر والكفار انما نازعوا
محمدا صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد والكبر فذكر الله تعالى هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجرا
عن هاتين الخصلتين المذمومتين قَالَ الله تعالى يَٰٓإِبْلِيسُ سماه بهذا الاسم لكونه من الابلاس
وهو انقطاع الرجاء اشارة الى تحتم العقوبة له مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ وبين ما يوجب طاعته ولو امر
بتعظيم ما لا يعقل بقوله تعالى معبرا باداة ما لا يعقل عمن كان عند السجود له عاقلا كامل العقل لِمَا
خَلَقْتُ بِيَدَىَّ اى توليت خلقه من غير توسط سبب كاب وام والتثنية فى اليد لما فى خلقه من مزيد القدرة

تعالى أَسْتَكْبَرْتَ استفهام توبيخ اى تعظمت بنفسك الآن عن السجود له أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ اى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود له لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ اى لو كنت مساويا له فى الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين كونه خيرا منه بقوله خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ والنار اشرف من الطين بدليل ان الاجرام الفلكية افضل من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر من الفلك والارض ابعدها عنه فوجب كون النار افضل من الارض وايضا فالنار خليفة الشمس والقمر فى اضاءة العالم عند غيبتهما والشمس والقمر اشرف من الارض فخليفتهما فى الاضاءة افضل من الارض ايضا فالكيفية الفاعلة الاصلية اما الحرارة واما البرودة والحرارة افضل من البرودة لان الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت وايضا فالنار لطيفة والارض كثيفة واللطافة افضل من الكثافة وايضا فالنار مشرقة والارض مظلمة والنور خير من الظلمة وايضا فالنار خفيفة تشبه الروح والارض كثيفة تشبه الجسد والروح افضل من الجسد فالنار افضل من الارض والدليل على ان الارض افضل من النار انها امينة مصلحة فاذا اودعتها حبة ردتها اليك شجرة مثمرة والنار خائنة مفسدة لكل ما سلمته اليها وايضا فالنار بمنزلة الخادم لما فى الارض ان احتيج اليها استدعيت استدعاء الخادم وان استغنى عنها طردت وايضا فالارض مستولية على النار لانها تطفئ النار وايضا فان استدلال ابليس بكون اصله خيرا من اصله استدلال فاسد لان اصل الرماد النار واصل البساتين المزهرة والاشجار المثمرة هو الطين ومعلوم بالضرورة ان الاشجار المثمرة خير من الرماد وايضا هب عن اعتبار هذه الجهة توجب الفضيلة الا ان هذا يمكن ان يعارض بجهة اخرى توجب الرجحان مثل انسان نسيب عار عن كل الفضائل فان نسبه يوجب رجحانه الا ان الذى لا يكون نسيبا قد يكون كثير العلم والزهد فيكون افضل من النسيب بدرجات لا حد لها فلذلك مقدمة ابليس فان قيل هب ان ابليس اخطأ فى القياس لكن كيف لزمه الكفر فى تلك المخالفة وتقرير السؤال من وجوه الاول ان قوله تعالى اسجدوا امر وهو يحتمل الوجوب والندب فكيف يلزم العصيان فضلا عن الكفر الثانى هب انه للوجوب وقلتم ان ابليس ليس من الملائكة فامر الملائكة بالسجود لآدم لا يدخل فيه ابليس الثالث هب انه تناوله الا ان تخصيص العام بالقياس جائز فجاز ان يخصص نفسه من عموم ذلك الامر بالقياس الرابع هب انه لم يسجد مع علمه بانه كان مامورا به الا ان هذا القدر يوجب العصيان ولا يوجب الكفر اجيب بان صيغة الامر وان لم يدل على الوجوب يجوز ان ينضم اليها من القرائن ما يدل عليه وههنا حصلت تلك القرائن وهى قوله تعالى استكبرت ام كنت من العالين فعلم بذلك ان الامر للوجوب وانه مخاطب بالسجود فلما اتى بقياسه الفاسد دل ذلك على انه انما ذكر القياس ليتوصل به الى القدح فى امر الله تعالى وتكليفه وذلك يوجب الكفر ولما ذكر ابليس لعنه الله تعالى هذا القياس الفاسد قَالَ الله تعالى فَاخْرُجْ اى بسبب تكبرك ونبيتك الحكيم الذى لا اعتراض عليه الى الجور مِنْهَا اى من الجنة وقيل

من الخلقة التى انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد
ما كان حسنا واظلم بعد كان نورانيا وقيل من السموات فَإِنَّكَ رَجِيمٌ اى مطرود لان من طرد رمى
بالحجارة فلما كانت الرجم من لوازم الطرد جعل الرجيم كناية عن الطرد فان قيل الطرد هو اللعن فيكون
قوله تعالى وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي مكررا اجيب بحمل الطرد على ما تقدم وحمل اللعنة على الطرد من رحمة الله
تعالى وايضا قوله تعالى وان عليك لعنتى إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ اى الجزاء فافادوا وهو طرده الى يوم القيمة
لئلا يكون تكرارا وقيل المراد بالرجيم كون الشياطين مرجومين بالشهب فان قيل كلمة الى لانتهاء الغاية
فكان لعنة الله ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع اجيب بانها كيف تنقطع وقد قال تعالى فاذن مؤذن
بينهم ان لعنة الله على الظالمين فافاد ان عليه اللعنة فى الدنيا فاذا كان يوم القيمة اقترن عليه
مع اللعنة من العذاب ما تنسى عنده اللعنة فكانها انقطعت * تنبيه * قال تعالى هنا لعنتى وفى
اية اخرى اللعنة وهما وان كانا فى اللفظ عاما وخاصا الا انهما من حيث المعنى عامان بطريق اللازم
لان من كانت عليه لعنة الله تعالى كانت عليه لعنة كل احد لا محالة وقال تعالى اولئك عليهم لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين * ولما صار ابليس ملعونا مطرودا قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ اى الناس طلب الانظار الى يوم البعث لاجل ان يتخلص من الموت لانه اذا انظر ليوم
البعث لم يمت قبل يوم البعث وعند مجئ البعث لا يموت فحينئذ يتخلص من الموت فلذلك قَالَ تعالى
فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ اى وقت النفخة الاولى فيموت فيها ثم يحييه الى دعائه
كما قال تعالى وما دعاء الكافرين الا فى ضلال ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله تعالى معين لا يتقدم
ولا يتأخر فلما انظره الله تعالى الى ذلك الوقت قَالَ فَبِعِزَّتِكَ اقسم بعزة الله تعالى وهى قهره
وسلطانه لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ثم استثنى من ذلك ما ذكره الله بقوله إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ
اى الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من اضلاله او اخلصوا قلوبهم على اختلاف
القرائتين فان نافعا والكوفيين قرؤا بفتح اللام بعد الخاء والباقون بالكسر * تنبيه * قيل ان غرض
ابليس من هذا الاستثناء انه لا يقع فى كلامه الكذب لانه لو لم يذكر هذا الاستثناء وادعى انه
يغوى الكل لظهر كذبه حين يعجز عن اغواء عباد الله تعالى المخلصين وعند هذا يقال ان الكذب
شئ يستنكف منه ابليس فليس يليق بالمسلم وهذا يدل على ان ابليس لا يغوى عباد الله تعالى المخلصين
وقد قال تعالى فى صفة يوسف عليه السلام انه من عبادنا المخلصين فتحصل من مجموع الايتين
ان ابليس ما اغوى يوسف عليه السلام وما نسب اليه من القبائح كذب وافتراء * ولما قال
ابليس ذلك قَالَ تعالى فَالْحَقُّ اى فبسبب غوايتك وغوايتهم اقول الحق وَالْحَقَّ أَقُولُ اى لا اقول
الا الحق فان كل شئ قلته ثبت فلم يقدر احد نقضه ولا نقصه وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول ونصب الثانى
والباقون بنصبهما فنصب الثانى بالفعل بعده ونصب الاول بالفعل المذكور او على الاغراء اى الزموا
الحق او على المصدر اى احق الحق او على نزع حرف القسم ورفعه على انه مبتدأ محذوف

الخبر اى فالحق منى او فالحق قسمى وجواب القسم لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ اى بنفسك و ذرّيتك وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ اى من الناس وقوله تعالى أَجْمَعِينَ فيه وجهان اظهرهما انه توكيد للضمير فى منك ولمن عطف عليه فى قوله تعالى وممن تبعك والمعنى لاملأن جهنم من المتبوعين والتابعين لا اترك منهم احدا وجوز الزمخشرىّ ان يكون تاكيدا للضمير فى منهم خاصة فقدّر لاملأن جهنم من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت فى ذلك بين ناس وناس ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قُلْ اى لقومك مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ اى على تبليغ الرسالة والقران مِنْ أَجْرٍ اى جعل وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ اى المتصفين بما لست من اهله على ماعرفتم من حالى فانتحل النبوة واتقول القران وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فهو متكلف له وعن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا ايها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول من لا يعلم الله اعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقيل المعنى ان هذا الذى ادعوكم اليه ليس يحتاج فى معرفة صحته الى التكلفات الكثيرة بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته إِنْ اى ما هُوَ اى القران إِلَّا ذِكْرٌ اى عظة وشرف لِلْعَالَمِينَ اى الخلق اجمعين وَلَتَعْلَمُنَّ جواب قسم مقدّر ومعناه لتعرفنّ يا كفار مكة نَبَأَهُ اى خبر صدقه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيان ذلك بَعْدَ حِينٍ قال ابن عباس وقتادة بعد الموت وقال عكرمة يوم القيمة وقال الحسن ابن ادم عند الموت ياتيك الخبر اليقين وقول البيضاوىّ تبعا للزمخشرىّ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخّره الله تعالى لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا او كبيرا حديث موضوع

سورة الزمر مكيّة

الا قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الاية فمدنية وهى خمس وسبعون اية والف ومائة واثنتان وتسعون كلمة واربعة الاف وسبعمائة وثمانية احرف بِسْمِ اللَّهِ الذى له صفات الكمال الرَّحْمَٰنِ الذى انعم على عباده بانواع النعم الرَّحِيمِ بانواع المغفرة على المؤمنين من عباده تَنْزِيلُ الْكِتَابِ اى القران مبتدأ وقوله تعالى مِنَ اللَّهِ اى المتصف بجميع صفات الكمال خبره اى تنزيل الكتاب كائن من الله تعالى وقيل تنزيل الكتاب خبر مبتدأ مضمر تقديره هذا تنزيل الكتاب من الله الْعَزِيزِ اى الغالب فى ملكه الْحَكِيمِ اى فى صنعه ففى ذلك دلالة على انه تعالى عالم بجميع المعلومات غنى عن جميع الحاجات فان قيل ان الله تعالى وصف القران بكونه تنزيلا ومنزلا وهذا الوصف لا يليق الا بالمحدث المخلوق اجيب بان ذلك محمول على الصيغ والحروف إِنَّا اى بما لنا من العظمة أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يا اشرف الخلق خاصة بواسطة جبريل الملك الْكِتَابَ اى القران الجامع لكل خير وقوله تعالى

بالحق يجوز ان يتعلق بالانزال اى بسبب الحق وان يتعلق بمحذوف على انه حال من الفاعل والمفعول وهو الكتاب اى ملتبسين بالحق او ملتبسا بالحق والصدق والصواب والمعنى ان كل ما فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وانواع التكاليف فهو حق يجب العمل به وفى قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب تكرير تعظيم بسبب ابرازه فى جملة اخرى مضافا انزاله الى المعظم نفسه فان قيل لفظ تنزيل يشعر بانه تعالى انزله نجما نجما على وفق المصالح على سبيل التدريج ولفظ الانزال يشعر بانه تعالى انزله دفعة واحدة اجيب بان طريق الجمع ان يقال انا حكمنا حكما كليا بانا نوصل اليك هذا الكتاب وهذا هو الانزال ثم اوصلناه اليك نجما نجما على وفق المصالح • ولما بين تعالى ان هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق اردفه ببيان بعض ما فيه من الحق والصدق وهو ان يشتغل الانسان بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص فقال سبحانه وتعالى فَاعْبُدِ اللّٰهَ اى الملك لجميع صفات الكمال حال كونك مُخْلِصًا لَهُ الدِّيْنَ اى محضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر اَلَا لِلّٰهِ اى الملك الاعلى وحده الدِّيْنُ الْخَالِصُ اى لا يستحقه غيره فانه المنفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر قال قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وقال مجاهد الاية متناولة لكل ما كلف الله به من الاوامر والنواهى لان قوله تعالى فاعبد الله عام وروى ان امرأة الفرزدق لما قربت وفاتها اوصت ان يصلى الحسن البصرى عليها فلما دفنت قال الحسن البصرى يا ابا فراس ما الذى اعددت لهذا الامر قال شهادة ان لا اله الا الله فقال الحسن هذا العمود فاين الطنب قال ابن عادل فبين بهذا اللفظ الوجيز ان عمود الخيمة لا ينتفع به الا مع الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة اى الانتفاع الكامل والا فهى ينتفع بها ولكن راس العبادات الاخلاص فى التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهى وَالَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِهٖ اى من دون الله اَوْلِيَآءَ وهم كفار مكة اتخذوا الاصنام وقالوا مَا نَعْبُدُهُمْ اى لشئ من الاشياء اِلَّا لِيُقَرِّبُوْنَآ اِلَى اللّٰهِ اى الذى له معاقد العز ومجامع العظمة زُلْفٰى وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله فيقال فما عبادتكم لهم قالوا ليقربونا الى الله زلفى اى قربى وهو اسم اقيم مقام المصدر كانهم قالوا الا ليقربونا الى الله تعالى تقريبا حسنا سهلا وتشفع لنا عند الله تعالى اِنَّ اللّٰهَ اى الذى له جميع صفات الكمال يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ اى وبين المسلمين فِيْ مَا هُمْ فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ اى من امر الدين فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار اِنَّ اللّٰهَ اى الملك القادر لَا يَهْدِىْ اى لا يرشد مَنْ هُوَ كٰذِبٌ اى فى قوله ان الالهة تشفع لهم مع علمهم بانها جمادات خسيسة وفى نسبة الولد الى الله تعالى كَفَّارٌ اى بعبادته غير الله تعالى لَوْ اَرَادَ اللّٰهُ اى الذى له الاحاطة بصفات الكمال اَنْ يَّتَّخِذَ وَلَدًا اى كما قالوا اتخذ الرحمن ولدا لَّاصْطَفٰى اى اختار مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ اى لاتخذه ولدا غير من قالوا الملائكة بنات الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله كما قال تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا اى كما زعموا لاتخذناه من لدنا اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه ومن البين ان المخلوق

وقفه لازم

لايماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم نزه نفسه سبحانه فقال تعالى شأنه سُبْحٰنَهُ اى تنزيها له عن ذلك
وعما لا يليق بطهارته ثم اقام الدليل على هذا التنزيه المقتضى لتفرده فقال تعالى هُوَ اى الفاعل لهذا
الفعال القائل لهذه الاقوال اللّٰهُ اى الجامع لجميع صفات الكمال ثم ذكر من الاوصاف ما هو كالعلة
لذلك فقال الْوَاحِدُ اى فى ملكه الذى لا شريك له ولا ولد ولا والد له الْقَهَّارُ اى الغالب الكامل
القدرة فكل شئ تحت قدرته ولما اثبت هذه الصفات التى تنفى ان يكون له شريك او
ولد واثبت له الكمال المطلق استدل على ذلك بقوله تعالى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ
اى ابدعهما من العدم وقوله تعالى بِالْحَقِّ متعلق بخلق لان الدلائل التى ذكرها الله تعالى فى
اثبات الالهية اما ان تكون فلكية او ارضية اما الفلكية فاقسام احدها خلق السموات والارض
وثانيها اختلاف الليل والنهار كما قال تعالى يُكَوِّرُ اى يدخل الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيْلِ
قال الحسن ينقص من الليل فيزيد فى النهار وينقص من النهار فيزيد فى الليل فما نقص من
الليل دخل فى النهار وما نقص من النهار دخل فى الليل قال البغوى ومنتهى النقص تسع ساعات
ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقال قتادة يغشى هذا هذا كما قال تعالى يغشى الليل النهار وقال
الرازى ان النور والظلمة عسكران عظيمان وفى كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا وذلك يدل
على ان كل واحد مغلوب مقهور ولابد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله
تعالى انتهى وورد فى الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من النقصان بعد الزيادة وقيل
من الادبار بعد الاقبال وَسَخَّرَ اى ذلل واكره وقهر وكلف بالجريان من غير تقم لمسخر
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ فان الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل واكثر مصالح هذا العالم مربوطة
بهما كُلٌّ اى منهما يَجْرِىْ لِاَجَلٍ مُّسَمًّى اى الى يوم القيمة لاينقطع جريانهما الى هذا اليوم فاذا كان
يوم القيمة ذهبا والمراد من هذا التسخير ان هذه الافلاك تدور كدوران المنجنون اى الدولاب
الذى يستقى عليه على حد واحد اَلَا هُوَ الْعَزِيْزُ اى الغالب على امره المنتقم من اعدائه الْغَفَّارُ اى الذى
له صفة الستر على الذنوب متكررة يمحو ذنوب من يشاء عينا واثرا بمغفرته ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل
الفلكية اتبعها بذكر الدلائل السفلية فقال تعالى خَلَقَكُمْ ايها الناس المدعون الالهية لغيره مِّنْ نَّفْسٍ
وَّاحِدَةٍ وهى ادم عليه السلام ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا اى من تلك النفس زَوْجَهَا حواء وانما بدأ منها
بذكر الانسان لانه اقرب واكبرها دلالة واعجب فيه ثلاث دلالات خلق ادم اولا من غير اب وام
ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعب الخلق الثالث المخصص منهما فهما ايتان الان احداهما جعلها الله
تعالى عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم يخلق انثى غير حواء من قصيرى رجل تنبيه فى
ثم هذه اوجه احدها انها على بابها من الترتيب بمهلة وذلك يروى ان الله تعالى اخرج ذرية ادم
من ظهره كالذر ثم خلق حواء بعد ذلك بزمان ثانيها انها على بابها ايضا لكن لمدرك اخر وهو ان
يعطف بها ما بعدها على ما فهم من الصفة فى قوله تعالى واحدة اذ التقدير من نفس وحدت اى انفردت

[illegible]

امر ها قبل ذلك ان جعل منها زوجها لبعدها انها للترتيب فى الاحوال والرتب وقال الرازى ان ثم كما تجئ لبيان كون احدى الواقعتين متاخرة عن الثانية فكذلك تجئ لبيان تاخر احدى الكلامين عن الاخر كقول القائل بلغنى ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب واعطيتك اليوم شيئا ثم الذى اعطيتك امس اكثر وقوله تعالى وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ الْأَنْعَامِ عطف على خلقكم والانزال يحتمل الحقيقة يروى ان الله تعالى خلقها فى الجنة ثم انزلها ويحتمل المجاز وله وجهان احدهما انها لما لم تعش الا بالنبات والنبات انما يعيش بالماء والماء ينزل من السحاب اطلق الانزال عليها وهو فى الحقيقة يطلق على سبب السبب كقول القائل ؎ اذا انزل السماء بارض قوم + رعيناه وان كانوا غضابا + والثانى ان قضاياه واحكامه منزلة من السماء من حيث كتبها فى اللوح المحفوظ وهو ايضا سبب فى ايجادها وقال البغوىّ معنى الانزال ههنا الاحداث والانشاء كقوله تعالى انزلنا عليكم لباسا وقيل انه انزل الماء الذى هو سبب نبات القطن والكتان وغيرهما الذى يجعلون منه اللباس وقيل معنى قوله انزل لكم من الانعام جعلها نزلا لكم ورزقا ومعنى قوله ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ اى ثمانية اصناف وهى الابل والبقر والضأن والمعز من كل زوجان ذكر وانثى كما بين فى سورة الانعام وقوله تعالى يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسى والانعام اظهارا لما فيها من عجائب القدرة غير انه تعالى غلب اولى العقل وخصهم بالخطاب لانهم المقصودون وقرأ حمزة والكسائى فى الوصل بكسر الهمزة والباقون بالضم وفى الابتداء الجميع بالضم وكسر حمزة الميم وفتحها الباقون ومعنى قوله تعالى خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ ما ذكره الله تعالى بقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين الايات فى اما قوله تعالى فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ فقال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذَٰلِكُمُ اى العالى المراتب بشهادتكم ايها الخلق كلكم بعضكم بلسان قاله وبعضكم بناطق حاله الذى جميع ما ذكر من اول السورة الى هنا من افعاله * ولما اشار بعظمته باداة البعد اخبر عن اسم الاشارة بقوله تعالى اللَّهُ اى الذى خلق هذه الاشياء رَبُّكُمْ اى المالك والمربى لكم بالخلق والرزق فهو المستحق لعبادتكم وقوله تعالى لَهُ الْمُلْكُ يفيد الحصر اى له الملك لا لغيره + ولما ثبت انه لا ملك الا له وجب القول بانه لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ اى لا يشاركه فى الخلق غيره + ولما بين بهذه الدلائل كمال قدرته ورحمته زيف طريقة المشركين بقوله تعالى فَأَنَّىٰ اى فكيف ومن اى وجه تُصْرَفُونَ عن طريق الحق بعد هذا البيان إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ اى الذى له الكمال كله غَنِىٌّ عَنكُمْ لانه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه منفعة او ليدفع عن نفسه مضرة لانه تعالى غنى على الاطلاق فيمتنع فى حقه جرّ المنفعة ودفع المضرة لانه تعالى واجب الوجود لذاته وواجب الوجود لذاته فى جميع افعاله يكون غنيا على الاطلاق وايضا فالقادر على خلق السموات

والارض والشمس والقمر والنجوم والعرش والكرسى والعناصر الاربعة تمتنع ان ينتفع بصلوة زيد وصيام عمرو وان يتضرر بعدم صلوة هذا وعدم صيام ذاك ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ﴾ اى لاحد منهم ﴿الْكُفْرَ﴾ اى بالاقبال على ما سواه وانتم لا ترضون ذلك لعبيدكم مع ان ملككم لهم فى غاية الضعف ومعنى عدم الرضا به لا يفعل فعل الراضى بان ياذن فيه ويقر عليه ويثيب فاعله ويمدحه بل يفعل فعل الساخط بان ينهى عنه ويذم عليه ويعاقب مرتكبه وان كان بارادته اذ لا يخرج شئ عنها و هذا قول قتادة والسلف اجروه على عمومه وقال ابن عباس ولا يرضى لعبادة المؤمنين الكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فيكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى كقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض العباد ﴿وَإِن تَشْكُرُوا﴾ الله تعالى اى تؤمنوا بربكم وتطيعوه ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ اى فيثيبكم عليه لانه سبب فلاحكم وقرأ السوسى فى الوصل بسكون الهاء وللدورى هنا وجهان السكون والضم وصلة الهاء بواو للدورى وابن كثير وابن ذكوان والكسائى والباقون بالسكون وهو لغة فيه ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ اى نفس ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ﴾ اى لا تحمله بل وزر كل نفس عليها لا يتعداها يحفظ عليها مدة كونها فى دار العمل واحتج بهذا من انكر وجوب الدية على العاقلة ورد بان السنة خصصت ذلك واما الاثم الذى يكتسب على الانسان بترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فليس وزر غيره وانما هو وزر نفسه فوزر الفاعل على الفعل ووزر الساكت على الترك لما لزمه من الامر والنهى وقوله تعالى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ يدل على اثبات البعث والقيمة ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيه تهديد للعاصى وبشارة للمطيع وقوله تعالى ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ اى بالغ العلم ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ اى بما فى القلوب كالعلة لما سبق انه تعالى ينبئكم باعمالكم لانه عالم بجميع المعلومات فيعلم ما فى قلوبكم من الدواعى والصوارف قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم ولا اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم ولما بين تعالى فساد القول بالشرك وبين تعالى انه الذى يجب ان يعبد بين ان طريقة الكفار متناقضة بقوله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ﴾ اى هذا النوع الانسى بنفسه ﴿ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ﴾ لانهم اذا مسهم الضر طلبوا دفعه من الله تعالى واذا زال ذلك الضر عنهم رجعوا الى عبادة الاصنام فكان الواجب عليهم ان يعترفوا بالله تعالى فى جميع الاحوال لانه القادر على ايصال الخير ودفع الشر فظهر تناقض طريقهم والمراد بالانسان الكافر وقيل المؤمن والكافر وقيل المراد اقوام معينون كعتبة بن ربيعة وغيره والمراد بالضر جميع المكاره فى جسمه او ماله او اهله او ولده لعموم اللفظ وقوله تعالى ﴿مُنِيبًا﴾ حال من فاعل دعا وقوله تعالى ﴿إِلَيْهِ﴾ متعلق بمنيبا اى راجعا اليه فى ازالة ذلك الضر لان الانابة الرجوع ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾ اى اعطاه ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ مبتدأة اى من غير مقابل ولا يستعمل فى الجزاء بل فى ابتداء العطية قال زهير هنالك ان يستخولوا المال يخولوا ويروى ان يستخبلوا المال يخبلوا وقال ابو النجم

ه اعطى فلم يبخل ولم يبخل + كوم الذرى من خول المخوّل + وحقيقة خوّل من احد معنيين اما من
قولهم هو خائل مال اذا كان متعهداً له حسن القيام عليه واما من خال يخول اذا اختال وافتخر ومنه
قول العرب + ان الغنى طويل الذيل مياس + نَسِيَ اي ترك مَا اي الامر الذي كَانَ يَدْعُوا اي
يتضرع اِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ اي قبل النعمة + تنبيه + يجوز في ما هذه اوجه احدها ان تكون موصولة بمعنى
الذي مراعى بها الضرّ الذي كان يدعو الى كشفه اي ترك دعاءه كانه لم يتضرع الى ربه ثانيها انها
بمعنى الذي مراداً بها البارئ تعالى اي نسي الله الذي كان يتضرع اليه وهذا عند من يجيز وقوع
ما على اولي العلم قال الرازي ما بمعنى من كقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله ولا انتم
عابدون ما اعبد وقوله فانكحوا ما طاب لكم ثالثها ان تكون مصدرية اي نسي كونه داعياً وَجَعَلَ
اي ذلك الانسان زيادة على الكفران بالنسيان للاحسان لِلّٰهِ اي الذي لا مكافئ له بشهادة الفطرة
والسمع والعقل اَنْدَاداً اي شركاء لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيْلِهِ اي دين الاسلام وقرأ ابن كثير وابو عمرو
بفتح الياء بعد اللام اي ليفعل الضلال بنفسه والباقون بضمها اي لم يقنع بضلاله في نفسه حتى
يحمل غيره عليه فمفعوله محذوف واللام يجوز ان تكون للعلة وان تكون لام العاقبة كقوله تعالى
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً + واختلف في سبب نزول قوله تعالى لنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم قُلْ اي لهذا الذي قد حكم بكفره تَمَتَّعْ اي في هذه الدنيا بِكُفْرِكَ قَلِيْلاً اي بقية
اجلك فقال مقاتل نزل في ابي حذيفة بن مغيرة المخزومي وقيل في عتبة بن ربيعة وقيل
عام في كل كافر وهذا امر تهديد وفيه اقناط للكافر من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله تعالى
اِنَّكَ مِنْ اَصْحٰبِ النَّارِ اي الذين لم يخلقوا الا لها على سبيل الاستئناف للمبالغة قال تعالى
ولقد ذرانا لجهنم كثيراً من الجن والانس الآية + ولما شرح الله تعالى صفات المشركين وتمسكهم
بغير الله تعالى اردفه بشرح المخلصين فقال تعالى اَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ اي قائم بوظائف الطاعات
آنَاءَ الَّيْلِ اي جميع ساعاته ومن اطلاق القنوت على القيام قوله صلى الله عليه وسلم افضل
الصلوة صلوة القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت لانه يدعو قائماً وعن ابن عمر انه قال لا اعلم
القنوت الا قراءة القرآن وطول القيام وتلا امن هو قانت وعن ابن عباس القنوت الطاعة لقوله تعالى
كل له قانتون اي مطيعون وقرأ نافع وابن كثير وحمزة بتخفيف الميم والباقون بتشديدها وفي القراءة
الاولى وجهان احدهما ان الهمزة همزة الاستفهام دخلت على من بمعنى الذي والاستفهام
للتقرير ومقابله محذوف تقديره امّن هو قانت كغيره جعل لله انداداً او امن هو قانت كغيره
واما القراءة الثانية فام داخلة على من الموصولة ايضاً فادغمت الميم في الميم وفي ام حينئذ قولان
احدهما انها متصلة ومعادلها محذوف تقديره الكافر خير ام الذي هو قانت والثاني انها منقطعة
فتقدر ببل والهمزة اي بل امن هو قانت كغيره او كالكافر المقول له تمتع بكفرك وقوله تعالى
سَاجِداً اي وراكعاً وَقَآئِماً اي وقاعداً في صلوته حالا من ضمير قانت + تنبيه + في هذه

ع قوله لانه يدعو قائماً كذا في النسخ وعبارة الكشاف ومنه القنوت في الوتر لانه دعاء المصلي قائماً اهـ

الاية دلالة على ان قيام الليل افضل من قيام النهار واختلف فى سبب نزولها فقال ابن عباس
نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وقال الضحاك فى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وقال ابو عمر
فى عثمان رضى الله تعالى عنه وقال الكلبى فى ابن مسعود وعمار وسلمان رضى الله تعالى عنهم
وقوله تعالى يَحْذَرُ الْاٰخِرَةَ اى عذاب الاخرة يجوز ان يكون حالا من الضمير فى ساجدا وقائما ومن
الضمير فى قانت وان يكون مستانفا جوابا لسؤال مقدر كانه قيل ما شانه يقنت اناء الليل فى يتعب
نفسه ويكدها فقيل يحذر الاخرة وَيَرْجُوْا رَحْمَةَ اى جنة رَبِّهٖ الذى لم يزل يتقلب فى العامة
وفى الكلام حذف والتقدير كمن لا يفعل شيئا من ذلك وانما حسن هذا الحذف لدلالة ذكر الكافر
قبل هذه الاية وذكر بعدها قُلْ هَلْ يَسْتَوِى اى فى الرتبة الَّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ اى وهم الذين صفتهم انهم
يقنتون اناء الليل ساجدين وقائمين وَالَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ اى وهم الذين صفتهم عند البلاء والخوف
يوحدون وعند الراحة والفراغ يشركون وانما وصف الله تعالى الكفار بانهم لا يعلمون لان الله
تعالى وان اعطاهم آلة العلم الا انهم اعرضوا عن تحصيل العلم فلهذا جعلهم الله تعالى كانهم ليسوا من
اولى الالباب من حيث انهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم وفى هذا تنبيه على فضيلة العلم قيل لبعض العلماء
انكم تقولون العلم افضل من المال ثم نرى العلماء عند ابواب الملوك ولا نرى الملوك عند ابواب العلماء
فاجاب بان هذا ايضا يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما فى المال من المنافع فطلبوه والجهال
لم يعرفوا ما فى العلم من المنافع فلاجرم تركوه وقال فى الكشاف واراد بالذين يعلمون العاملين من
علماء الديانة كانه جعل من لا يعمل غير عالم قال وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون
ويفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله تعالى جهلة حيث جعل الله تعالى القانتين هم العلماء قال ويجوز
ان يراد على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والعاصون
اهـ وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى فى المعاصى ويرجو فقال هذا تمن وانما الرجاء قوله تعالى
وتلا هذه الاية اِنَّمَا يَتَذَكَّرُ اى يتعظ اُولُوا الْاَلْبَابِ اى اصحاب العقول الصافية والقلوب النيرة
وهم الموصوفون فى اخر سورة آل عمران بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
الى اخرها ولما نفى تعالى المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم امر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
بان يخاطب المؤمنين فقال سبحانه قُلْ اى لهم يٰعِبَادِىَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اى اوجدوا هذه الحقيقة
اتَّقُوْا رَبَّكُمْ اى بطاعته واجتناب معاصيه ثم بين تعالى لهم ما فى هذا الاتقاء من الفوائد بقوله تعالى
لِلَّذِيْنَ اَحْسَنُوْا فِىْ هٰذِهِ الدُّنْيَا اى بالطاعة حَسَنَةٌ اى فى الاخرة وهى الجنة والتنكير فى حسنة
للتعظيم اى حسنة لا يصل العقل الى كنه كمالها فقوله تعالى فى هذه الدنيا متعلق باحسنوا
وقيل متعلق بحسنة وعلى هذا قال السدى معناه فى هذه الدنيا حسنة يعنى الصحة والعافية
قال الرازى الاولى ان يحمل على الثلاثة المذكورة فى قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث ليس لها
نهاية الامن والصحة والكفاية اهـ ورد بانه يتعين حمله على حسنة الاخرة لان ذلك حاصل للكفار

اكثر من حصول له للمؤمنين كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر واختلف في
معنى قوله تعالى وَأَرْضُ اللَّهِ اي الذي له الملك كله والعظمة الشاملة وَاسِعَةٌ فقال ابن عباس يعني
ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي تظهر فيه المعاصي ونظيره قوله تعالى قالوا
فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل نزلت في
مهاجري الحبشة وقال سعيد بن جبير من امر بالمعاصي فليهرب وقال ابو مسلم لا يمتنع ان يكون
المراد من الارض ارض الجنة كما قال تعالى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين إِنَّمَا يُوَفَّى
اي التوفية العظيمة الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ اي على الطاعات وما يبتلون به وقيل نزلت في جعفر
ابن ابي طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم البلاء وصبروا وهاجروا ومعنى بِغَيْرِ
حِسَابٍ اي بغير نهاية بكيل او وزن لان كل شيء داخل تحت الحساب فهو متناه فما لا نهاية له
كان خارجا عن الحساب وعن ابن عباس لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وقال علي
كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه كل مطيع يكال له كيلا او يوزن له وزنا الا الصابرين فانه يحثى
لهم حثيا وروى الشعبي لكن بسند ضعيف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الموازين تنصب يوم القيمة
لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى
يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل
ولما كان للعبادة ركنان عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب اشرف من عمل الجوارح قدمه سبحانه
بقوله تعالى قُلْ اي يا اشرف المرسلين إِنِّي أُمِرْتُ قرأ نافع بفتح الياء والباقون بسكونها أَنْ أَعْبُدَ
اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ اي مخلصا له التوحيد لا اشرك به شيئا ثم ذكر عقبه الاول وهو عمل الجوارح
وهو الاسلام المذكور في قوله وَأُمِرْتُ لِأَنْ اي لاجل ان او بان أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ اي من هذه
الامة وبهذا زال التكرار وقال الزمخشري فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما
واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شيء والامر به ليحوز القائم
به قصب السبق في الدين شيء آخر واذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين
مختلفين ولما دعا المشركون النبي صلى الله عليه وسلم الى دين آبائه امره الله تعالى بقوله سبحانه قُلْ إِنِّي
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي اي المحسن الي المربي لي بكل جميل وعبدت غيره عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ والمقصود
من هذا الامر المبالغة في زجر الغير عن المعاصي وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو اني بفتح الياء والباقون بسكونها
قُلِ اللَّهَ اي المحيط بصفات الكمال وحده أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ وحده دِينِي من الشرك قال الرازي فان قيل
ما معنى التكرير في قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله تعالى قل الله اعبد
مخلصا له ديني قلنا ليس هذا بتكرير لان الاول اخبار بانه مامور من جهة الله تعالى بالاتيان
بالعبادة والثاني اخبار بانه امر ان لا يعبد احدا غير الله تعالى وذلك ان قوله امرت ان اعبد
الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى قل الله اعبد يفيد الحصر اي الله اعبد ولا اعبد احدا سواه

ويدل عليه انه لما قال قل الله اعبد قال بعده فَاعْبُدُوا اى انتم ايها الداعون فى وقت الضراء
المعرضون فى وقت الرخاء مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ اى غيره وفى هذا تهديدا وزجر لهم وايذان بانهم
لا يعبدون الله تعالى ثم بين تعالى كمال الزجر بقوله سبحانه قُلْ اِنَّ الْخٰسِرِيْنَ اى الكاملين فى الخسران
الَّذِيْنَ خَسِرُوْا اَنْفُسَهُمْ اى اوقعوها فى الهلاك لا يعقل هلاك اعظم منه وَخسروا اَهْلِيْهِمْ
يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ايضا لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من
اهل الجنة فقد ذهبوا ذهابا لا رجوع بعده البتة وقوله تعالى اَلَا ذٰلِكَ اى الامر العظيم البعيد الغور
فى الخسارة هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِيْنُ اى البين يدل على غاية المبالغة من وجوه احدها انه وصفهم
بالخسران ثم اعاد ذلك بقوله تعالى الا ذلك هو الخسران المبين وهذا التكرير لاجل التاكيد
وثانيها ذكر حرف الا وهو للتنبيه وذكر التنبيه يدل على التعظيم كانه قال بلغ فى العظم الى
حيث لا تصل عقولكم اليه فتنبهوا له وثالثها قوله تعالى هو الخسران ولفظة هو تفيد الحصر كانه
قيل كل خسران يصير فى مقابلته كل خسران ورابعها وصفه تعالى بكونه خسرانا مبينا يدل
على التهويل + ولما شرح الله تعالى خسرانهم وصف ذلك الخسران بقوله تعالى لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
ظُلَلٌ اى طباق مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ اى فرش ومهاد نظيره قوله تعالى لهم من جهنم مهاد
ومن فوقهم غواش فان قيل الظلة ما علا الانسان فكيف سمى ما تحته ظلة اجيب باوجه احدها
انه من باب اطلاق اسم احد الضدين على الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ثانيها ان الذى تحته
يكون ظلة لغيره لان النار دركات كما ان الجنة درجات ثالثها ان الظلة التحتانية لما كانت مشابهة
للظلة الفوقانية فى الحرارة والاحراق والايذاء اطلق اسم احدهما على الاخرى لاجل المماثلة والمشابهة
وقيل المراد احاطة النار بهم من جميع الجهات ذٰلِكَ اى العذاب المعد للكفار يُخَوِّفُ اللّٰهُ بِهٖ عِبَادَهٗ
اى المؤمنين ليجتنبوا ما يوقعهم فيه وقيل يخوف به الكفار والضلال ويدل للاول قوله تعالى
يٰعِبَادِ فَاتَّقُوْنِ اى ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى وهذه عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة ووجه
الدلالة ان اضافة العبيد الى الله تعالى فى القران مختص باهل الايمان وَالَّذِيْنَ اجْتَنَبُوا
الطَّاغُوْتَ اى البالغ غاية الطغيان والطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت
الا ان فيه قلبا بتقديم اللام على العين اذ اصله طغيوت قدمت الياء على الغين ثم قلبت الفا لتحركها
وانفتاح ما قبلها اطلقت على الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية
بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة
والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص قال فى الكشاف اذ لا تطلق على غير
الشيطان والمراد بها هنا الجمع انتهى لكن ابن الخازن فسر الطاغوت بالاوثان وتبعه الجلال المحلى فان قيل
يتعين هذا التفسير لانهم انما عبدوا الصنم لا الشيطان اجيب بان الداعى الى عبادة الصنم هو الشيطان
فلما كان هو الداعى كانت عبادة الصنم عبادة له فان قيل ما وجه تسمية الصنم بالطاغوت على التفسير

الثاني مع انه لا يطلق الا على الشيطان كما مرّ اجيب بانه اطلق عليه على سبيل المجاز لان الطغيان
لما حصل بسبب عبادته والتقرب اليه وصفه بذلك اطلاقا لاسم السبب على المسبب بحسب الظاهر
وقوله تعالى أَنْ يَعْبُدُوهَا بدل اشتمال من الطاغوت لانّ الطاغوت مؤنث كانه قيل اجتنبوا
عبادة الطاغوت فان قيل على التفسير الاول انما عبد الصنم لا الشيطان اجيب بانه الداعي
الى عبادة الصنم + فائدة + نقل في التواريخ ان الاصل في عبادة الاصنام ان القوم مشبهة
واعتقدوا في الاله انه نور عظيم وان الملائكة انوار مختلفة في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل صور
على وفق تلك الخيالات فكانوا يعبدون تلك التماثيل على اعتقادهم انهم يعبدون الله والملائكة
وَأَنَابُوا اى رجعوا إِلَى اللَّهِ اى الى عبادة الله بكليتهم وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره ثم انه تعالى
وعد هؤلاء باشياء احدها قوله تعالى لَهُمُ الْبُشْرَى اى في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فالثناء
عليهم بصالح اعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر واما في الاخرة فعند الخروج
من القبور وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة ففي كل موقف
من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان + تنبيه + يحتمل
ان يكون المبشر لهم هم الملائكة عليهم السلام لانهم يبشرونهم عند الموت لقوله تعالى الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وعند دخول الجنة لقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويحتمل ان يكون هو الله تعالى لقوله تعالى تحيتهم
يوم يلقونه سلام ولا مانع ان يكون من الله تعالى ومن الملائكة عليهم السلام فان فضل الله سبحانه
واسع وقوله تعالى فَبَشِّرْ عِبَادِ قرأ السوسي بياء بعد الدال مفتوحة في الوصل ساكنة في الوقف
والباقون بغير ياء الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ اى بجميع قلوبهم الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ اى بكل عزائمهم بعد انتقاد
أَحْسَنَهُ اى بما دلتهم عليه عقولهم من غير عدول الى ادنى + تنبيه + في هذا وضع الظاهر موضع
مضمر الذين اجتنبوا للدلالة على مبدا احسانهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحسن والاحسن
والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب ونُدب اختاروا الواجب او مباح وندب اختاروا
الندب حرصا على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحت ذلك ابواب التكاليف فهي
قسمان عبادات ومعاملات فاما العبادات فكقولنا الصلوة التي يذكر في تحريمها الله اكبر مع اقتران
النية ويقرأ فيها بالفاتحة ويؤتى فيها بالطمانينة في مواضعها الخمسة ويتشهد فيها ويخرج منها
بالسلام لا شك انها احسن من الصلوة التي لا يراعى فيها شيء من هذه الاحوال قال الرازي فوجب
على العاقل ان يختار هذه الصلوة دون غيرها اه وكذا القول في جميع ابواب العبادات قال في الكشاف
ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها على السبك واقواها عند السبر وابينها دليلا او امارة ولا تكن في
مذهبك كما قال القائل ... ولا تكن مثل عير قيد فانقادا + يريد المقلد اه واما المعاملات فكانظار
المعسر وابرائه فالابراء اولى وان كان الاول واجبا والثاني مندوبا وكذا القول في جميع المعاملات

وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون اوامر الله تعالى فيتبعون احسنها
نحو القصاص والعفو قال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم
فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما يسمعه ويكف عما سواه وروى عن ابن عباس
آمن ابو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن
ابي وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فاخبرهم بايمانه فآمنوا فنزل فيهم فبشر عبادي الآية أُولٰئِكَ
اى العالو الهمة والرتبة الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللّٰهُ بما له من صفات الكمال لدينه وَأُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ
اى اصحاب العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وقال ابن زيد نزل والذين اجتنبوا الطاغوت الآيتين
في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله زيد بن عمرو وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والاحسن
لا اله الا الله وفي هذه الآية لطيفة وهي ان حصول الهداية في العقل والروح حادث فلا بد من فاعل
وقابل فاما الفاعل فهو الله تعالى وهو المراد من قوله تعالى اولئك الذين هداهم الله واما القابل
فاليه الاشارة بقوله تعالى واولئك هم اولوا الالباب فان الانسان ما لم يكن عاقلا كامل الفهم
امتنع حصول هذه المعارف الحقيقية في قلبه واختلف في معنى قوله تعالى أَفَمَنْ حَقَّ واسقط التاء
التانيث الدالة على اللين تاكيدا للنهي عن الاسف عليهم عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ فقال ابن عباس معنى
الآية من سبق في علم الله انه في النار وقيل كلمة العذاب قوله تعالى لاملأن جهنم الآية وقيل قولنا
هؤلاء للنار ولا ابالي وقوله تعالى أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ اى تخرج مَنْ فِي النَّارِ جواب الشرط واقيم فيه
الظاهر مقام الضمير اذ كان الاصل افانت تنقذه وانما وقع موقعه شهادة عليه بذلك والهمزة
للانكار والمعنى لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار وقال ابن عباس يريد ابا لهب وولده ويجوز
ان تكون من موصولة في محل رفع بالابتداء وخبره محذوف واختلف في تقديره فقدره ابو البقاء
كمن نجا وقدره الزمخشري فانت تخلصه اي حذف لدلالة افانت تنقذ عليه وقدره غيرهما تتاسف
عليه وقدره آخر يتخلص منه اى من العذاب وقوله تعالى لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ استدراك بين شيئين
نقيضين او ضدين وهما المؤمنون والكافرون اى جعلوا بينهم وبين المحسن اليهم وقاية في كل
حركة وسكون فلم يعملوا شيئا من ذلك الا بنظر يدلهم على رضاه وقوله تعالى لَهُمْ غُرَفٌ اى علالي
من الجنة يسكنونها مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ شديدة العلو مقابل لما ذكر في وصف الكفار لهم من فوقهم
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل والمعنى لهم منازل في الجنة رفيعة ومن فوقها منازل ارفع منها
فان قيل ما فائدة قوله تعالى مَبْنِيَّةٌ اجيب بان المنزل اذا بني على منزل آخر كان الفوقاني اضعف
بناء من التحتاني فقوله تعالى مبنية فائدته انه وان كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة مساو
للمنزل الاسفل ولما كانت المنازل لا تطيب الا بالماء وكان الجاري
احسن واشرف قال تعالى تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اى من تلك الغرف الفوقانية
والتحتانية الْأَنْهَارُ اى المختلفة كما قال تعالى فيها انهار من ماء

غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وقوله تعالى وَعْدَ اللّٰهِ مصدر مؤكد لمضمون الجملة فهو منصوب بفعله المقدر لان قوله تعالى لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك لَا يُخْلِفُ اللّٰهُ الْمِيعَادَ لان الخلف نقص وهو على الله سبحانه محال وعن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراؤن اهل الغرف من فوقهم كما تتراؤن الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقوله الغابر اى الباقى فى الافق فى ناحية المشرق والمغرب + ولما وصف الله تعالى الآخرة بوصف يوجب الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا بصفات توجب اشتداد النفرة عنها بقوله تعالى أَلَمْ تَرَ اى تعلم أَنَّ اللّٰهَ اى الذى له كمال القدرة أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ اى التى لا يستمسك الماء فيها الا بقدرة باهرة تقهر الماء على ذلك والمراد بالسماء الجرم او السحاب مَاءً وهو المطر قال الشعبى كل ماء فى الارض فمن السماء نزل ثم انه تعالى ينزله الى بعض المواضع ثم يقسمه فَسَلَكَهُ اى ادخل ذلك الماء خلال التراب حال كونه يَنَابِيعَ فِى الْأَرْضِ اى عيونا ومجارى ومسالك كالعروق فى الاجسام ثُمَّ يُخْرِجُ الله تعالى بِهِ اى بالماء زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك ومختلفا اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها ثُمَّ يَهِيجُ اى ييبس فَتَرَاهُ بعد الخضرة مثلا مُصْفَرًّا من يبسه لانه اذا تم جفافه حان له ان ينفصل عن منابته ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا اى فتاتا إِنَّ فِى ذٰلِكَ اى التدبير على هذا الوجه لَذِكْرَىٰ اى تذكيرا وتنبيها لِأُولِى الْأَلْبَابِ اى اصحاب العقول الصافية جدا فيتذكرون هذه الاحوال فى النبات فيعلمون بذلك انه على وحدانية الله تعالى شانه وقدرته واحوال الحيوان والانسان وانه وان طال عمره فلا بد من الانتهاء الى ان يصير مصفر اللون متحطم الاعضاء والاجزاء ثم تكون عاقبته الموت فاذا كانت مشاهدة هذه الاحوال فى النبات مذكرة حصول مثل هذه الاحوال فى نفسه فى حياته فحينئذ تعظم نفرته عن الدنيا ولذاتها + ولما بين تعالى الدلائل على وجوب الاقبال على طاعة الله تعالى ووجوب الاعراض عن الدنيا ولذاتها ذكر ان الانتفاع بهذه البيانات لا يكمل الا اذا شرح الصدور ونور القلوب فقال سبحانه أَفَمَنْ شَرَحَ اللّٰهُ اى الذى له القدرة الكاملة صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ اى وسعه لقبول الحق فاهتدى فَهُوَ اى بسبب ذلك عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ اى المحسن اليه كمن اقسى الله تعالى قلبه دل على هذا فَوَيْلٌ كلمة عذاب لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللّٰهِ قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرحمة واما نور الله تعالى فهو لطفه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقيل يا رسول الله فما علامة انشراح الصدر للاسلام قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت فان قيل ان ذكر الله تعالى سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمينان

قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فكيف جعله في هذه الآية سببا لحصول القسوة في القلب
أجيب بأن النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة الروحانيات شديدة
الميل الى الطبائع البهيمية والاخلاق الذميمة فان سماعها لذكر الله تعالى يزيدها قسوة وكدورة مثاله
ان الفاعل الواحد تختلف افعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس يسوّد وجه القصار ويبيض
ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح وقد نرى انسانا واحدا يذكر كلاما في مجلس واحد
فيستطيبه واحد ويستكرهه غيره وما ذاك الا بحسب اختلاف جواهر النفوس ولما نزل قوله تعالى
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حاضر
وانسان آخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر قال كل
واحد منهما تبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب فكذا نزلت فازداد
عمر رضي الله عنه ايمانا على ايمانه وارتدّ ذلك الانسان واذا عرفت ذلك لم يبعد ان يكون ذكر الله
تعالى يوجب النور والهداية والاطمئنان في النفوس الطاهرة الروحانية ويوجب القسوة والبعد
عن الحق في النفوس الخبيثة وقيل من بمعنى عن اي قست قلوبهم عن قبول ذكر الله وجرى على
ذلك الجلال المحلي أُولَئِكَ اي هؤلاء البعداء فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اي بين قيل نزلت هذه الآية
في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابي بن خلف وقيل في علي وحمزة وابي لهب وولده وقيل في رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي ابي جهل اَللّٰهُ الفعال لما يريد الذي له مجامع العظمة والاحاطة بصفات
الكمال نَزَّلَ اي بالتدريج للتدريب وللجواب عن كل شبهة أَحْسَنَ الْحَدِيثِ اي القرآن روي ان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا حدثنا فنزلت وكونه احسن الحديث
لوجهين احدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن افصح الكلام
وابلغه واجزله وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب ولا من جنس الرسائل بل هو نوع
يخالف الكل في اسلوبه مع ان كل طبع سليم يستلذه ويستطيبه واما من جهة المعنى فهو منزه عن
التناقض والاختلاف قال جل ثناؤه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومشتمل
على اخبار الماضين وقصص الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة في الماضي والمستقبل وعلى الوعد
والوعيد والجنة والنار وفي ايقاع لفظ الجلالة مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث واستشهاد
على حسنه وتأكيد لاستناده الى الله تعالى وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه وتنبيه
على انه وحي معجز مباين لسائر الاحاديث وقوله تعالى كِتَابًا اي جامعا لكل خير بدل من احسن
الحديث وقيل حال منه بناء على ان احسن الحديث معرفة لاضافته الى معرفة وافعل التفضيل اذا
اضيف الى معرفة فيه خلاف فقيل اضافته محضة وقيل غير محضة والصحيح الاول وقوله تعالى
مُتَشَابِهًا صفة لكتابا وهو المسوغ لمجيء الجامد حالا او انه في قوة مكتوب وتشابهه بتشابه ابعاضه
في الاعجاز والبلاغة والموعظة الحسنة لا تفاوت فيه اصلا في لفظ ولا معنى مع كونه نزل مفرقا

في نيفا وعشرين سنة واما كلام الناس فلابد فيه من التفاوت وان طال الزمان في التهذيب
سواء اتحد زمانه ام لا وقوله تعالى مَثَانِيَ جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وانبائه
واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه او جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة
وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يخلق على كثرة الترداد فان قيل كيف وصف
كتابا وهو مفرد بالجمع اجيب بان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير الا ترى
انك تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات فكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات
ونظيره قولك الانسان عظام وعروق واعصاب الا انك تركت الموصوف الى الصفة واصله
كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز ان يكون مثاني منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت
رجلا حسنا شمائل فان قيل ما فائدة التثنية والتكرير اجيب بان النفوس انفر شيء عن حديث الوعظ
والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا على بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يكرر عليهم ما كان يعظهم به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه
في صدورهم تَقْشَعِرُّ اي تضطرب وتشمئز مِنْهُ عند ذكر وعيده جُلُودُ اي ظواهر اجسام الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
اي يخافون رَبَّهُمْ والمعنى تاخذهم قشعريرة وهو تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر آيات
العذاب ثُمَّ تَلِينُ اي تطمئن جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ اي عند ذكر وعده والمعنى
اذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه
ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله على النار قال قتادة هذا نعت
اولياء الله تعالى نعتهم الله تعالى بان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب
عقولهم والغشيان عليهم وانما ذلك في اهل البدع وهو من الشيطان وعن عبد الله بن عروة بن الزبير
قال قلت لجدتي اسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله تعالى تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال
قلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم وروي ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا
فقالوا انه اذا قرئ عليه القرآن او سمع ذكر الله تعالى سقط فقال انا لنخشى الله تعالى وما نسقط
وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم
ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من اوله الى آخره فان رمى
بنفسه فهو صادق فان قيل لم ذكرت الجلود وحدها اولا في جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب
ثانيا في الرجاء اجيب بان الخشية التي محلها القلوب اذا ذكرت فقد ذكرت القلوب

فكانه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة واذا ذكر الله تعالى
ومبنى امره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم
فان قيل ما وجه تعديته تلين بالى اجيب بانه ضمن معنى فعل متعد بالى كانه قيل سكنت
او اطمأنت الى ذكر الله تعالى فان قيل كيف قال الله تعالى الى ذكر الله ولم يقل الى رحمة الله اجيب
بان من احب الله تعالى لاجل رحمته فهو ما احب الله تعالى وانما احب شيئا غيره واما من احب
الله تعالى لا لشيء سواه فهو المحب الحق وهي الدرجة العالية كما قال تعالى الا بذكر الله
تطمئن القلوب ذٰلِكَ اي القرآن الذي هو احسن الحديث هُدَى اللّٰهِ الذي صفات الكمال
يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ اي وهو الذي شرح الله تعالى صدره اولا لقبول الهداية وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ
اي يجعل قلبه قاسيا مظلما فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ اي يهديه وقرأ ابن كثير في الوقف باثبات الياء بعد
الدال والباقون بغير الياء واتفقوا في الوصل على عدم الياء ‡ ولما حكم تعالى على القاسية قلوبهم
بحكم في الدنيا وهو الضلال التام حكم عليهم في الآخرة بحكم آخر وهو العذاب الشديد فقال
أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ اي شدة الْعَذَابِ اي يجعله وقاية يقي بها نفسه لان تكون يداه مغلولتين
الى عنقه يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه وقال مجاهد يجر على وجهه في النار وقال عطاء
يرمى به في النار منكوسا فاول شيء يلقى في النار وجهه وقيل يلقى في النار مغلولة يداه الى عنقه
وفي عنقه صخرة عظيمة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه
فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التي في يديه وعنقه وقيل المراد بالوجه الجملة
وقيل نزلت في ابي جهل ومعنى الآية افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن امن من العذاب بدخول
الجنة فحذف الخبر كما حذف في نظائره وَقِيلَ اي تقول الخزنة لِلظّٰلِمِينَ اي الكافرين وكان الاصل
لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم ذُوقُوا مَا اي وبال الذي كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ اي تعملون
في الدنيا من المعاصي ‡ ولما بين تعالى كيفية عقاب القاسية قلوبهم في الآخرة وبين كيفية
وقوعهم في العذاب قال تعالى كَذَّبَ الَّذِينَ واشار الى قرب زمان المعذبين من زمانهم
بادخال الجار فقال تعالى مِنْ قَبْلِهِمْ اي من قبل كفار مكة مثل سبأ وقوم تبع كذبوا رسلهم في
اتيان العذاب فَأَتٰىهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ اي من جهة لا يخطر ببالهم ان الشر
ياتيهم منها فَأَذَاقَهُمُ اللّٰهُ اي الذي له القدرة الكاملة الْخِزْيَ اي الذل والهوان من المسخ والقتل
وغيرهما فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا اي العاجلة الدنيئة وَلَعَذَابُ الْاٰخِرَةِ اي المعد لهم اَكْبَرُ اي من ذلك وقت لازم
الذي وقع بهم في الدنيا لَوْ كَانُوا اي المكذبون يَعْلَمُونَ اي عذابها ما كذبوا ولكن لا علم لهم اصلا
انهم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ‡ ولما ذكر تعالى هذه الفوائد الكثيرة في هذه المطالب بين
ان هذه البيانات بلغت حد الكمال والتمام فقال تعالى وَلَقَدْ ضَرَبْنَا اي جعلنا لِلنَّاسِ اي
عامة لان رسالته صلى الله عليه وسلم عامة فِي هٰذَا الْقُرْاٰنِ اي الجامع لكل علم وكل خير

مِنْ كُلِّ مَثَلٍ اى يحتاج اليه الناظر فى امر دينه لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ اى يتعظون به وقرأ نافع وقالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الضاد والباقون بالادغام وقوله تعالى قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون منصوبا على المدح لانه لما كان نكرة امتنع اتباعه للقرآن ثانيها ان ينتصب بيتذكرون اى يتذكرون قرآنا ثالثها ان ينتصب على الحال من القرآن على انها حال مؤكدة وتسمى حالا موطئة لان الحال فى الحقيقة عربيا وقرآنا توطئة له نحو جاء زيد رجلا صالحا غَيْرَ ذِىْ عِوَجٍ اى مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف نعت لقرآنا او حال اخرى فان قيل هلا قيل مستقيما او غير معوج اجيب بان فى ذلك فائدتين احداهما نفى ان يكون فيه عوج قط كما قال تعالى ولم يجعل له عوجا ثانيتهما ان لفظ العوج مختص بالمعانى دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس قال القائل

وقد اتاك يقين غير ذى عوج + من الاله وقول غير مكذوب +

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ اى الكفر + تنبيه + وصف تعالى القرآن بثلاث صفات اولها كونه قرآنا والمراد كونه متلوا فى المحاريب الى قرب قيام الساعة ثانيها كونه عربيا اى انه اعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته كما قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ثالثها كونه غير ذى عوج قال مجاهد غير ذى لبس وقال ابن عباس رضى الله عنهما غير مختلف وقال السدى غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك ابن انس وحكى شقيق وابن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق + ولما شرح الله تعالى وعيد الكفار مثل لما يدل على فساد مذهبهم وقبح طريقتهم بقوله تعالى ضَرَبَ اللّٰهُ اى الذى له الملك كله مَثَلًا اى للمشركين والموحدين وقوله تعالى رَّجُلًا بدل من مثلا وقوله تعالى فِيْهِ شُرَكَآءُ يجوز ان تكون الجملة من مبتدأ وخبر فى محل نصب صفة لرجلا ويجوز ان يكون الوصف الجار وحده وشركاء فاعل به قال ابن عادل وهو اولى لقربه من المفرد وقوله تعالى مُتَشٰكِسُوْنَ صفة لشركاء والتشاكس التخالف واصله سوء الخلق وعسره وهو سبب التخالف اى متنازعون مختلفون سيئة اخلاقهم يقال رجل شكس وشرس اذا كان سيئ الخلق مخالفا للناس لا يرضى بالانصاف وَرَجُلًا سَلَمًا اى خالصا من نزاع لِّرَجُلٍ اى خالصا لا شريك له فيه ولا منازع وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالف بعد السين وكسر اللام بعدها والباقون بغير الف وفتح اللام وهو الذى لا ينازع فيه من قولهم هو لك سلم اى مسلم لا منازع لك فيه وقوله تعالى هَلْ يَسْتَوِيٰنِ استفهام انكار اى لا يستويان وقوله تعالى مَثَلًا تمييز والمعنى اضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون فى رجل مملوك لشركاء بينهم اختلاف وتنازع وكل واحد يدعى انه عبده فهم يتجاذبونه حوائجهم وهو متحير فى امره وكلما ارضى احدهم غضب الباقون واذا احتاج اليهم فكل واحد يرده الى الآخر فبقى متحيرا لا يعرف ايهم اولى ان يطلب رضاه وايهم يعينه فى حاجاته فهو بهذا السبب فى عذاب اليم وآخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص فى ذلك المخدوم يعينه على مهماته فاى هذين العبدين

احسن حالا لاشك ان هذا اقرب الى الصلاح من حال الاول فان الاول مثل المشرك والثانى مثل
الموحد وهذا المثال فى غاية الحسن فى تقبيح المشرك وتحسين الموحد فان قيل هذا المثال لا ينطبق على
عبادة الاصنام لانها جمادات فليس بينها منازعة ولا تشاكس اجيب بان عبدة الاصنام مختلفون
منهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الكواكب السبعة فهم فى الحقيقة انما يعبدون الكواكب السبعة
وهم يثبتون بينها منازعة ومشاكسة الا ترى انهم يقولون زحل هو النحس الاعظم والمشترى
هو السعد الاعظم ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الارواح الفلكية والقائلون بهذا القول
زعموا ان كل نوع من انواع حوادث هذا العالم يتعلق بروح من الارواح السماوية وحينئذ يحصل
بين تلك الارواح منازعة ومشاكسة فيكون المثال مطابقا ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل
لاشخاص من العلماء والزهاد مضوا فهم يعبدون هذه التماثيل ليصير اولئك الاشخاص من العلماء
والزهاد شفعاء لهم عند الله تعالى والقائلون بهذا القول تزعم كل طائفة منهم ان المحق هو ذلك
الرجل الذى هم على دينه وان من سواه مبطل وعلى هذا التقدير ايضا ينطبق المثال + ولما بطل
القول باثبات الشركاء والانداد وثبت انه لا اله الا هو الواحد الاحد الحق قال الله تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾
اى الاحاطة باوصاف الكمال ﴿لِلَّهِ﴾ اى كل الحمد لله الذى لا مكافئ له فلا يشاركه فيه على الحقيقة
سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ اى اهل مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ اى ما يصيرون اليه
من العذاب فيشركون به غيره من فرط جهلهم وقول البغوى والمراد بالاكثر الكل ليس بظاهر + ولما
كان كفار مكة يتربصون موت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره الله تعالى بان الموت يجمعهم
جميعا بقوله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ﴾ اى ستموت وخصه الله تعالى بالخطاب لان الخطاب اذا كان للرأس
كان اصدع لاتباعه فكل موضع كان للاتباع وخص فيه صلى الله عليه وسلم بالخطاب فهم فهم المخاطبون
فى الحقيقة على وجه ابلغ ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ اى سيموتون فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى + فائدة
قال الفراء الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقته الروح ولذلك لم يخفف
هنا وقوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ﴾ فيه تغليب المخاطب على الغائب ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ﴾ اى المربى لكم بالخلق
والرزق ﴿تَخۡتَصِمُونَ﴾ فتحتج انت عليهم بانك بلغت وكذبوا واجتهدت فى الارشاد والتبليغ فلجوا فى التكذيب ع ٣
والعناد ويعتذرون بالاباطيل يقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات اغوتنا اباؤنا
الاقدمون والشياطين ويجوز ان يكون المراد به الاختصام العام وجرى عليه الجلال المحلى وهو اولى
وان رجح الاول الكشاف لما روى عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال لما نزلت هذه
الاية قال يارسول الله اتكون علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا قال نعم فقال ان الامر
اذا لشديد وقال ابن عمر عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الاية نزلت فينا وفى اهل الكتابين
قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى راينا بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفنا
انها فينا نزلت وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى هذه الاية قال كنا نقول ربنا ع ٤ ١

واحد و ديننا واحد وكتابنا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض قلنا هو هذا وعن ابراهيم النخعي قال لما نزلت قالت الصحابة كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن ابي العالية نزلت في اهل القبلة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت لاخيه عنده مظلمة من عرض او مال فليستحله اليوم قبل ان يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له اخذ من سيئاته فجعلت عليه وعن ابي هريرة ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة وقد كان شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقضي هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ثم انه تعالى بين نوعا اخر من قبائح افعالهم بقوله تعالى ﴿فَمَنْ﴾ اي لا احد ﴿أَظْلَمُ﴾ اي منهم هكذا كان الاصل ولكن قال تعالى ﴿مِمَّنْ كَذَبَ﴾ تعميما ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ اي الذي الكبرياء رداؤه والعظمة ازاره بنسبة الولد والشريك اليه ﴿وَكَذَّبَ﴾ اي اوقع التكذيب لكل من اخبره ﴿بِالصِّدْقِ﴾ اي بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ اي فاجاه بالتكذيب لما سمع من غير وقفة ولا اعمال روية بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال عند الجيم والباقون بالادغام ثم اردف ذلك بالوعيد فقال ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾ اي النار التي تلقى داخلها بالتجهم والعبوسة كما كان يلقى الحق واهله ﴿مَثْوًى﴾ اي ماوى ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ اي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في للكافرين اشارة اليهم والاستفهام بمعنى التقرير + ولما ذكر من افترى وكذب ذكر مقابله وهو الذي جاء بالصدق وصدق به بقوله تعالى ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ قال قتادة ومقاتل هو النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هم المؤمنون فالذي بمعنى الذين ولذلك روعي معناه فجمع في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ﴾ اي العالو الرتبة ﴿هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ اي الشرك كما روعي معنى من في قوله تعالى للكافرين فان الكافرين ظاهر واقع موقع الضمير اذ الاصل مثوى لهم وكما في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ثم قال تعالى ذهب الله بنورهم قال الزمخشري ويجوز ان يريد الفوج او الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته رضي الله تعالى عنهم الذين صدقوا به اهـ قال ابو حيان وفيه توزيع للصلة والاولى هو الموصول فهو كقولك جاء الفريق الذي شرف وشرف والاظهر عدم التوزيع بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الاولى وقيل بل الاصل والذين جاء بالصدق فحذفت النون تخفيفا كقوله تعالى كالذي خاضوا قال ابن عادل وهذا وهم اذ لو قصد ذلك لجاء بعده ضمير الجمع فكان يقال والذي جاؤا كقوله تعالى كالذي خاضوا ويدل عليه ان نون التثنية اذا حذفت عاد الضمير مثنى كقوله

الجزء الرابع والعشرون ٢٤

ـه ابنى كليب ان عمّى اللذا ＋ قتلا الملوك وفككا الاغلالا ＋ وقال ابن عباس رضى الله عنهما والذى جاء بالصدق يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به الرسول ايضا بلغه الى الخلق وقال السدّى والذى جاء بالصدق جبريل عليه السّلام جاء بالقران وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه بالقبول وقال ابو العالية والكلبيّ والذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدّق ابو بكر رضى الله عنه وقال عطاء والذى جاء بالصدق الانبياء وصدّق به الاتباع وقال الحسن هم المؤمنون صدّقوا به فى الدنيا وجاؤا به فى الاخرة وقوله تعالى لَهُمْ مَّا يَشَاۤؤُنَ اى من انواع الكرامات عِنْدَ رَبِّهِمْ اى فى الجنة يدل على حصول الثواب على اكمل الوجوه ذٰلِكَ اى هذا الجزاء جَزَاۤءُ الْمُحْسِنِيْنَ لانفسهم بايمانهم وقوله تعالى لِيُكَفِّرَ اللّٰهُ عَنْهُمْ يدل على سقوط العقاب عنهم على اكمل الوجوه ومعنى تكفيرها ان يسترها عليهم بالمغفرة ＋ تنبيه ＋ فى تعلق هذه اللام وجهان احدهما انها متعلقة بمحذوف اى يسّر لهم ذلك ليكفر ثانيهما انها متعلقة بنفس المحسنين كانه قيل الذين احسنوا ليكفر اى لاجل التكفير وقوله تعالى اَسْوَاَ الَّذِىْ اى العمل الذى عَمِلُوْا فيه مبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للايذان بان الشئ الذى يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية او انه بمعنى السيئ كما جرى عليه الجلال المحلى كقولهم الناقص والاشج اعدلا بنى مروان اى عادلاهم اذ ليس المراد به التفضيل والناقص هو محمد الخليفة سمى به لانه نقص اعطية القوم والاشج هو عمر بن عبد العزيز سمى به لشجة اصابت رأسه وَيَجْزِيَهُمْ اَجْرَهُمْ اى يعطيهم ثوابهم بِاَحْسَنِ الَّذِىْ اى العمل الذى كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ اى فيعدّ لهم محاسن اعمالهم باحسنها فى زيادة الاجر وحسن اخلاصهم فيها وهذا اولى من قول الجلال المحلى انه بمعنى الحسن وقوله تعالى اَلَيْسَ اللّٰهُ اى الجامع لصفات الكمال كلها المنعوت بنعوت العظمة والجلال بِكَافٍ عَبْدَهٗ اى نبيّه صلى الله عليه وسلم استفهام انكار للنفى مبالغة فى الاثبات وقرأ حمزة والكسائى بكسر العين وفتح الباء الموحدة والف بعدها على الجمع وقرأ الباقون بفتح العين وسكون الباء على الافراد فقراءة الافراد محمولة على النبيّ صلى الله عليه وسلم وقراءة الجمع على جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام فان قومهم قصدوهم بالسوء كما قال تعالى وهمّت كل امة برسولهم ليأخذوه وكفاهم الله تعالى شر من عاداهم ويحتمل ان يراد بقراءة الافراد الجنس فتساوى قراءة الجمع وقيل المراد ان الله تعالى كفى نوحا عليه السلام الغرق وابراهيم عليه السلام الحرق ويونس عليه السّلام بطن الحوت فهو سبحانه وتعالى كافيك يا محمد كما كفى هؤلاء الرسل قبلك وَيُخَوِّفُوْنَكَ اى عباد الاصنام بِالَّذِيْنَ مِنْ دُوْنِهٖ وذلك ان قريشا خوّفوا النبيّ صلى الله عليه وسلم معاداة الاوثان وقالوا لتكفنّ عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون فانزل الله تعالى هذه الاية وروى انه صلى الله عليه وسلم بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها اى خادمها لاتنذركها احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شئ فعمد خالد البها

نهشم انفها فنزلت هذه الآية. ولما شرح الله الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ختم الكلام بخاتمة هي الفصل فقال تعالى شأنه وَمَن يُضْلِلِ اللّٰهُ اي الذي له الامر كله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ اي يهديه الى الرشاد وَمَن يَهْدِ اللّٰهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ اي فهذه الدلائل والبينات لا تنفع الا اذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق اذ لا راد لفعله كما قال تعالى أَلَيْسَ اللّٰهُ اي الذي بيده كل شيء بِعَزِيزٍ اي غالب على امره ذِي انتِقَامٍ اي من اعدائه بلى هو كذلك وفي هذا تهديد للكفار. ولما بين تعالى وعيد المشركين ووعد الموحدين عاد الى اقامة الدليل على تزييف طريق عبدة الاوثان وهذا الترتيب مبني على اصلين الاول ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو المراد من قوله تعالى وَلَئِن سَأَلْتَهُم اي من شئت منهم فرادى او مجموعين واللام لام القسم مَّنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ اي على ما لها من الاتساع والعظمة والارتفاع وَالْأَرْضَ اي على ما لها من العجائب وفيها من الانتفاع لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ اي وحده لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قال بعض العلماء العلم بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم علم متفق عليه بين جمهور الخلائق لا نزاع بينهم فيه وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فان من تامل في عجائب بدن الانسان وما فيه من انواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة علم انه لا بد من الاعتراف بالاله القادر الحكيم الرحيم والاصل الثاني ان هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد من قوله تعالى قُلْ أَفَرَأَيْتُم اي بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله تعالى مَّا تَدْعُونَ اي تعبدون مِن دُونِ اللّٰهِ اي الذي هو ذو الجلال والاكرام إِنْ أَرَادَنِيَ اللّٰهُ اي الذي لا راد لامره بِضُرٍّ اي بشدة وبلاء هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ اي لا تقدر على ذلك أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ اي بعافية وبركة هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ اي لا تقدر على ذلك فثبت انه لا بد من الاقرار بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم قال مقاتل فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا وقرأ ابو عمرو بتنوين التاء من كاشفات وممسكات ونصب الراء من ضره ورفع الهاء ونصب التاء من رحمته والباقون بغير تنوين فيهما وكسر الراء والهاء من ضره والتاء والهاء من رحمته واذا كانت هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر كانت عبادة الله تعالى كافية والاعتماد عليه كافيا وهو المراد من قوله تعالى قُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ اي ثقتي به واعتمادي عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ اي يثق الواثقون فان قيل لم قال تعالى كاشفات وممسكات على التانيث بعد قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه أجيب بانه انثهن تحقيرا لما يدعون من دونه ولانهم كانوا يسمونها باسماء الاناث وهي اللات والعزى ومناة قال الله تعالى افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قُلْ يَا قَوْمِ اي الذين ارجوهم عند الملمات فيهم كفاية في القيام معي اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ اي على حالتكم فيه تهديد اي انكم تعتقدون في انفسكم انكم في نهاية القوة والشدة فاجتهدوا في انواع مكركم وكيدكم وقرأ شعبة بالف بعد النون جمعا والباقون بغير الف افرادا إِنِّي عَامِلٌ

اى فى تقريرى فسوف تعلمون اى بوعد لاخلف فيه من يأتيه منا ومنكم بسبب اعماله عذاب
يخزيه فان خزى اعدائه دليل عليه وقد اخذاهم الله تعالى يوم بدر ويحل اى ينزل عليه عذاب
مقيم اى دائم وهو عذاب النار * تنبيه * المكانة بمعنى المكان فاستعيرت من العين للمعنى
كما استعير لفظ هنا وحيث للزمان وهما للمكان فان قيل حق الكلام انى عامل على مكانتى فلم حذف
اجيب بانه حذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله لاتقف وتزداد
كل يوم قوة وشدة لان الله تعالى ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله الا ترى الى
قوله تعالى فسوف تعلمون توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة * ولما بين
تعالى فى هذه الآيات فساد مذاهبهم اى المشركين تارة بالدلائل وتارة بضرب الامثال وتارة
بذكر الوعد والوعيد وكان صلى الله عليه وسلم يعظم عليه اصرارهم على الكفر كما قال تعالى فلعلك
باخع نفسك على آثارهم وقال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات اردفه بكلام يزيل ذلك الحزن
العظيم عن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى انا انزلنا اى بما لنا من العظمة والقدرة التامة
عليك يا اشرف الخلق الكتاب اى الكامل الشرف للناس اى لاجلهم فانه مناط مصالحهم فى
معاشهم ومعادهم فهو للناس عامة لان رسالتك عامة وجعلنا انزاله مقرونا بالحق اى بالصدق
وهو المعجز الذى يدل على انه من عند الله فمن اهتدى اى طاوع الهادى فلنفسه اى فنفعه
يعود الى نفسه ومن ضل اى وقع فى الضلال بمخالفته فانما يضل عليها اى فضرر ضلاله يعود
اليه * ولما دل السياق على ان التقدير فما انت عليهم بجبار لتقهرهم على الهدى عطف عليه قوله
تعالى وما انت عليهم بوكيل اى بمأمور بان تحملهم على الايمان على سبيل القهر بل القبول
وعدمه مفوض اليهم وذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان الهداية والضلال من العبد
لا يحصلان الا من الله تعالى لان الهداية تشبه الحيوة واليقظة والضلال يشبه الموت والنوم فكما ان
الحيوة واليقظة لا يحصلان الا بخلق الله تعالى كذلك الضلال لا يحصل الا من الله تعالى ومن عرف
هذه الدقيقة فقد عرف سر الله تعالى فى القدر ومن عرف سر الله تعالى فى القدر هانت عليه
المصائب * ولما بين سبحانه ان الهداية والضلال بتقديره قال تعالى الله اى الذى له مجامع
الكمال وليس لشائبة النقص اليه سبيل يتوفى الانفس اى الارواح حين موتها اى موت
اجسادها وتوفيها اماتتها وهى ان تسلب ماهى به حية حساسة دراكة من صحة اجزائها وسلامتها
لانها عند سلب الصحة كان ذاتها قد سلبت وقوله تعالى والتى لم تمت فى منامها عطف على
الانفس اى يتوفى الانفس حين موتها ويتوفى ايضا الانفس التى لم تمت فى منامها ظرف ليتوفى اى يتوفاها
حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل حتى لا يميزوا ولا يتصرفوا
كما ان الموتى كذلك فالتى تتوفى عند النوم هى الانفس التى يكون بها العقل والتمييز ولكل
انسان نفسان احداهما نفس الحيوة وهى التى تفارقه عند الموت وبزوالها يزول النفس

والاخرى هي النفس التي تفارقه اذا نام وهو بعد النوم يتنفس فيمسك التي قضى عليها الموت فلا يردها
الى جسدها وقرأ حمزة والكسائي بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء بعد الضاد ورفع التاء من الموت
والباقون بفتح القاف والضاد وسكون الياء بعد الضاد ونصب الموت ويرسل الاخرى اي يردها
الى جسدها وهي التي لم يقض عليها الموت الى اجل مسمى اي الى الوقت الذي ضرب لموتها وقيل
يتوفى الانفس اي يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحيوة والحركة ويتوفى الانفس
التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا والتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحيوة
ولان نفس الحيوة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس رضي الله عنهما
في ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي
بها النفس والتحريك فاذا نام العبد قبض الله تعالى نفسه ولم يقبض روحه قال الزمخشري
والصحيح ما ذكروا لان الله تعالى علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحيوة
والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصفة بالموت والنوم وانما الجملة هي التي تموت وتنام انتهى ويروى
عن علي رضي الله تعالى عنه قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرؤيا
فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده باسرع من لحظة ويقال ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي
في المنام فتتعارف ما شاء الله فاذا ارادت الرجوع الى اجسادها امسك الله تعالى ارواح الاموات
عنده وارسل ارواح الاحياء حتى ترجع الى اجسادها الى اجل مدة حيوتها وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى احدكم الى فراشه فلينفض فراشه
بداخل ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول اللهم باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه
فان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين ان في ذلك اي التوفي
والامساك والارسال لايات اي دلالات على كمال قدرته وحكمته ورحمته وقال مقاتل لعلامات
لقوم يتفكرون اي فيعلمون ان القادر على ذلك قادر على البعث فان قيل قوله تعالى الله يتوفى
الانفس يدل على ان المتوفي هو الله تعالى ويؤيده قوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة وقوله تعالى
عن ابرهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويميت وقال تعالى في اية اخرى اذا جاء احدهم الموت
توفته رسلنا فكيف الجمع اجيب بان المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى الا انه تعالى فوض كل نوع الى
ملك من الملائكة ففوض قبض الارواح الى ملك الموت وهو الرئيس وتحته اتباع وخدم فاضيف
التوفي في اية الى الله تعالى وهي الاضافة الحقيقية وفي اية الى ملك الموت لانه الرئيس في هذا العمل
وفي اية الى اتباعه ثم ان الكفار اوردوا على هذا الكلام سؤالا فقالوا نحن لا نعبد هذه الاصنام
لاعتقاد انها تضر وتنفع وانما نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله تعالى من المقربين
فنحن نعبدها لتشفع لنا اولئك المقربون عند الله تعالى فاجاب الله سبحانه عنه بقوله تعالى
ام اتخذوا اي كلفوا انفسهم بعدما وضح الدلائل عندهم من دون الله اي

الذى لا مكافئ له ولا مدانى شفعاء اى تشفع لهم عند الله تعالى *تنبيه* ام منقطعة فتقدر ببل
والهمزة قل يا اشرف الخلق لهؤلاء البعداء أولو اى ايشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا
اى من الشفاعة وغيرها ولا يعقلون اى انكم تعبدونهم ولا غير ذلك وجواب لو محذوف
تقديره ولو كانوا بهذه الصفة تتخذونهم قل اى لهم لله اى الذى له كمال القدرة والعظمة
الشفاعة جميعا اى هو مختص بها فلا يشفع احد الا باذنه ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض
اى فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون اى يوم القيمة
فيكون الملك له ايضا حينئذ ثم ذكر تعالى نوعا آخر من اعمال المشركين القبيحة بقوله تعالى واذا ذكر الله
اى الذى لا اله غيره وحده اى دون آلهتهم اشمأزت قال ابن عباس رضى الله عنهما
ومجاهد يعنى انقبضت وقال قتادة استكبرت واصل الاشمئزاز النفور والاستكبار اى نفرت و
استكبرت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اى لا يؤمنون بالبعث واذا ذكر الذين من دونه
اى الاصنام اذا هم يستبشرون اى يفرحون لفرط افتتانهم ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بالغ
فى الامرين حتى الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه
والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وغما حتى ينقبض اديم وجهه قال مجاهد ومقاتل وذلك حين قرأ
النبى صلى الله عليه وسلم سورة والنجم والقى الشيطان فى امنيته تلك الغرانيق العلا ففرح به المشركون وقد
تقدم الكلام على ذلك فى سورة الحج *تنبيه* قال الزمخشرى فان قلت ما العامل فى اذا ذكر قلت العامل
فى اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار قال ابو حيان اما قول
الزمخشرى فلا اعلمه من قول من ينتمى الى النحو وهو ان الظرفين معمولان لفاجؤا ثم قال اذ الاولى
تنتصب على الظرفية والثانية على المفعول به *و* لما حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار هذا الامر العجيب
الذى تشهد فطرة العقل بفساده اردفه بذكر الدعاء العظيم فقال تعالى قل اللهم اى يا الله
فاطر السموات والارض اى مبدعهما من العدم اى التجئ الى الله تعالى بالدعاء لما تحيرت فى
امرهم وعجزت فى عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء العالم بالاحوال كلها عالم الغيب
والشهادة ووصف تعالى نفسه بكمال القدرة وكمال العلم انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اى من امر الدين وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام لما اخبر بقتل الحسين وسخط على قاتله وقالوا
الآن يتكلم فما زاد على ان قال آه اوقد فعلوا وقرأ الآية وروى انه قال على اثرها قتل من كان يجلسه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجره ويضع فاه على فيه وعن ابى سلمة قال سألت عائشة رضى الله عنها
بم كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل
عليهم السلام فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم ولما
حكى الله تعالى عنهم هذا المذهب الباطل ذكر فى وعيدهم اشياء اولها قوله تعالى ولو ان للذين

ظَلَمُوا اى انفسهم بالكفر مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا اى من الاموال وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا اى اجتهدوا فى
طلب ان يفدوا انفسهم بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وهذا وعيد شديد واقناط كلى لهم
من الخلاص روى الشيخان عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى لاهون اهل
النار عذابا لو ان لك ما فى الارض من شئ لكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول الله قد اردت منك وفى رواية
سالتك اهون من هذا وانت فى ظهر آدم ان لا تشرك بى شيئا فابيت الا ان تشرك بى شيئا وقوله اردت
اى فعلت معك فعل الامر المريد وهو معنى قوله فى رواية قد سألتك ثانيها قوله تعالى وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
اى الملك الاعظم مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ اى ظهر لهم انواع من العذاب لم تكن فى حسابهم وفى هذا زيادة
مبالغة هو نظير قوله تعالى فى الوعد فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقوله صلى الله عليه
وسلم فى الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال مقاتل ظهر لهم حين بعثوا
ما لم يحتسبوا فى الدنيا انه نازل بهم فى الآخرة وقال السدى ظنوا ان اعمالهم حسنات فبدت
لهم سيئات لانهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاصنام ويظنونها حسنات فبدت لهم سيئات
ثالثها قوله تعالى وَبَدَا لَهُمْ اى ظهر ظهورا تاما سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا اى مساوى اعمالهم من الشرك
وظلم اولياء الله تعالى وَحَاقَ اى نزل بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ اى يطلبون ويوجدون الهزء
فى العذاب ثم حكى الله تعالى عنهم طريقة اخرى من طرائقهم الفاسدة بقوله تعالى فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ
اى الجنس ضُرٌّ اى فقر او مرض او غير ذلك دَعَانَا اى فى دفع ذلك فان قيل ما السبب فى
عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى اول السورة بالواو اجيب بان السبب فى ذلك ان هذه
وقعت مسببة عن قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمأزون عن ذكر الله
ويستبشرون بذكر الهتهم فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره
فقوله تعالى فاذا مس الانسان معطوف على قوله تعالى واذا ذكر الله وحده وما بينهما اعتراض مؤكد
لانكار ذلك عليهم هذا محصل كلام الزمخشرى واعترضه ابو حيان بان ابا على منع الاعتراض بجملتين
فكيف بهذه الجمل الكثيرة ثم قال والذى يظهر فى الربط انه لما قال ولو ان للذين ظلموا الآية وكان
ذلك اشعارا بما ينال الظالمين من شدة العذاب انه يظهر لهم يوم القيمة العذاب اتبع ذلك بما يدل على ظلمه
وبغيه اذ كان اذا مسه ضر دعا الله تعالى فاذا احسن اليه لم ينسب ذلك اليه كما قال تعالى ثُمَّ إِذَا
خَوَّلْنَاهُ اى اعطيناه نِعْمَةً مِنَّا اى تفضلا فان التخويل يختص به قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ اى المنعم به عَلَى عِلْمٍ
اى على علم من الله تعالى انى له اهل وقيل ان كان ذلك سعادة فى المال او عافية فى النفس يقول
انما حصل ذلك بجده واجتهاده وان كان صحة قال انما حصل ذلك بسبب العلاج الفلانى
وان حصل مال يقول حصل بكسبى وهذا تناقض ايضا لانه لما كان عاجزا محتاجا اضاف الكل الى الله
تعالى وفى حال السلامة والصحة قطعه عن الله تعالى واسنده الى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح
بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ اى بلية يبتلى بها العبد فان قيل كيف ذكر النعمة اولا فى قوله انما اوتيته

ثم انثه ثانيا اجيب بانه ذكر اولا لان النعمة بمعنى المنعم به كما مر وقيل تقديره شيئا من النعمة وانث
ثانيا اعتبارا بلفظها او لان الخبر لما كان مؤنثا اعنى فتنة ساغ تانيث المبتدأ لاجله لانه في معناه
كقولهم ما جاءت حاجتك وقيل هي اي الحالة او القولة كما جرى عليه الجلال المحلي او العطية
او النعمة كما قاله البقاعي وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ اي اكثر هؤلاء القائلين هذا الكلام لَا يَعْلَمُوْنَ ان التخويل
استدراج وامتحان قَدْ قَالَهَا اي القولة المذكورة وهي قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة
من القول الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ اي من الامم الماضية قال الزمخشري هم قارون وقومه حيث
قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون به فكانهم قالوها قال ويجوز ان يكون في الامم
الماضية آخرون قائلون مثلها فَمَا اَغْنٰى عَنْهُمْ اي اولئك الماضين مَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ اي من متاع الدنيا و
يجمعون منه فَاَصَابَهُمْ سَيِّاٰتُ مَا كَسَبُوْا اي جزاءها من العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال تعالى
وَالَّذِيْنَ ظَلَمُوْا اي بالعتو مِنْ هٰؤُلَاۤءِ اي من مشركي قومك ومن للبيان او للتبعيض سَيُصِيْبُهُمْ
سَيِّاٰتُ مَا كَسَبُوْا اي كما اصاب اولئك وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِيْنَ اي فائتين عذابنا فقتل صناديدهم
يوم بدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين فقيل لهم اَوَلَمْ يَعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ اي الذي له الجلال
والكمال يَبْسُطُ الرِّزْقَ اي يوسعه لِمَنْ يَّشَاۤءُ وان كان لا حيلة له ولا قوة امتحانا وَيَقْدِرُ
اي يضيق الرزق لمن يشاء وان كان قويا شديد الحيلة ابتلاء فلا قابض ولا باسط الا الله تعالى
ويدل على ذلك انا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من حكمة
وسبب ذلك السبب ليس هو عقل الانسان وجهله فانا نرى العاقل القادر في اشد الضيق
ونرى الجاهل الضعيف في اعظم السعة وليس ذلك ايضا لاجل الطبائع والافلاك لان
الساعة التي ولد فيها ذلك الملك السلطان القاهر قد ولد فيها عالم ايضا من الناس وعالم من الحيوان
غير الانسان وتولد ايضا في تلك الساعة عالم من النبات فلما شاهدنا حدوث هذه الاشياء الكثيرة
في تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة علمنا ان الفاعل لذلك هو الله
تعالى فصح بهذا البرهان العقلي القاطع صحة قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر قال الشاعر
شعر فلا السعد يقضي به المشتري + ولا النحس يقضي علينا زحل + ولكنه حكم رب السماء +
وقاضي القضاة تعالى وجل + اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ اي البيان الظاهر لَاٰيٰتٍ اي دلالات لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَ
اي بان الحوادث كلها من الله تعالى بوسط او غيره + ولما ذكر تعالى الوعيد اردفه بشرح كمال
رحمته فقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قُلْ يا محمد ربكم المحسن اليكم يقول يٰعِبَادِيَ الَّذِيْنَ
اَسْرَفُوْا عَلٰٓى اَنْفُسِهِمْ اي افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه
بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن لَا تَقْنَطُوْا اي لا تيأسوا مِنْ رَّحْمَةِ اللّٰهِ اي الملك الاعظم المحيط بكل
صفات الكمال فيمنعكم ذلك القنوط من توبة التي هي باب الرحمة وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي
يا عبادي بسكون الياء وتسقط في الوصل وفتحها الباقون وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي

تقنطوا بكسر النون بعد القاف والباقون بفتحها ان الله اى المتفضل على عبادة المؤمنين يغفر الذنوب لمن تاب من الشرك جميعا لمن يشاء كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء واما الكافر اذا اسلم فان الله تعالى لا يؤاخذه بما وقع من كفره قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف. تنبيه. فى هذه الآية انواع من المعانى والبيان حسنة منها اقباله عليهم ونداؤهم ومنها اضافتهم اليه اضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم الى الغيبة فى قوله تعالى من رحمة الله ومنها اضافة الرحمة لاجل اسمائه الحسنى ومنها اعادة الظاهر بلفظه فى قوله تعالى ان الله ومنها ابراز الجملة فى قوله تعالى انه هو اى وحده الغفور اى البليغ الغفر يمحو الذنوب عمن يشاء عينا واثرا فلا يعاقب ولا يعاتب الرحيم اى المكرم بعد المغفرة مؤكدة بان وبالفصل وباعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الآية السابقة روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ناسا من اهل الشرك كانوا قتلوا واكثروا وزنوا واكثروا فاتوا النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الذى تدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت هذه الآية وروى عطاء بن ابى رباح عن ابن عباس انها نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله تعالى عنهما حين بعث اليه النبى صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعونى الى دينك وانت تزعم ان من قتل واشرك او زنى يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة وانا قد فعلت ذلك كله فانزل الله سبحانه تعالى الا من تاب وامن وعمل صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لعلى لا اقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فقال وحشى ارانى بعد فى شبهة فلا ادرى ايغفر لى ام لا فانزل الله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال نعم هذا فجاء فاسلم فقال المسلمون هذا له خاصة قال بل للمسلمين عامة وروى عن ابن عمر قال نزلت هذه الآية فى عياش بن ابى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد اسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا وكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا ابدا قد اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فانزل الله تعالى هذه الآيات فكتبها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بيده ثم بعثها الى عياش ابن ابى ربيعة والوليد بن الوليد والى اولئك النفر فاسلموا وهاجروا وروى عن ابن مسعود انه دخل المسجد واذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على رأسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرأ قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وعن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال ما احب ان لى الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وعن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان فى بنى اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسأل فاتى راهبا فسأله فقال هل لى توبة فقال لا فقتله وجعل يسأل

فقال له رجل ائت قرية كذا فادركه الموت فناى بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة
وملائكة العذاب فاوحى الله تعالى الى هذه ان تقربي والى هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما بينهما
فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له وفي رواية فقال له اني قتلت تسعة وتسعين نفسا فهل لي من
توبة فقال لا فقتله فكمل مائة ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل
له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا الى ان قال فوجدوه ادنى
الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة وعن ابن عمر قال كنا معشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
نرى او نقول ليس شيء من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا
اعمالكم فلما نزلت هذه الاية قلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقيل لنا الكبائر والفواحش فكنا اذا
رأينا من اصاب منها شيئا خفنا عليه ومن لم يصب منها شيئا رجونا له فانزل الله تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله واراد بالاسراف ارتكاب الكبائر ولما كانت لتقضاب
واقلعوا عن ذنوبكم فانها قاطعة عن الخير مبعدة عن الكمال عطف عليه استعطافا قوله تعالى
وَأَنِيبُوا اي ارجعوا بكلياتكم وكلوجهتكم واسندوا اموركم واجعلوا طريقكم إِلَى رَبِّكُمْ
اي الذي لم تروا احساننا الا وهو منه وَأَسْلِمُوا اي واخلصوا لله اعمالكم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
اي وانتم صاغرون الْعَذَابُ اي القاطع لكل عذوبة الجوع لكل مرارة وصعوبة
ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ اي لا تجدون لكم نوع نصر ابدا ان لم تتوبوا وَاتَّبِعُوا اي عالجوا انفسكم وكلفوها
ان تتبع أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ اي على سبيل العدل كالاحسان الذي هو اعلى من العفو الذي هو
فوق الانتقام باتباع هذا القرآن الذي هو احسن ما نزل من كتب الله تعالى واتباع احاسن
ما فيه فتصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحسن الى من ظلمك هذا في حق الخلائق ومثله
في عبادة الخالق بان تكون كانك تراه الذي هو اعلى من استحضار انه يراك الذي هو اعلى من
ادائها مع الغفلة عن ذلك ولما كان هذا شديدا على النفس رغب فيه بقوله تعالى بمظهر
صفة الاحسان موضع الاضمار مِنْ رَبِّكُمْ اي الذي لم يزل يحسن اليكم وانتم تبارزونه بالعظائم وقال
الحسن رضي الله عنه معنى الاية الزموا طاعته واجتنبوا معصيته فان في القرآن ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الادون
لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتؤثره وقيل الاحسن الناسخ دون المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ
من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها وقيل العزائم دون الرخص وقوله تعالى مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ اي ليس عندكم شعور باتيانه بوجه من الوجوه فيه تهديد
وتخويف ولما خوفهم الله تعالى بهذا العذاب بين انهم بتقدير نزوله عليهم ماذا يقولون فحكى
الله تعالى عنهم ثلاثة انواع من الكلام الاول ما ذكره بقوله تعالى أَنْ اي كراهة ان تَقُولَ نَفْسٌ
اي عند وقوع العذاب وافرادها وتنكيرها كاف في الوعيد لان كل احد يجوز ان يكون هو المراد
يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ قال الحسن قصرت في طاعة الله وقال مجاهد في امر الله

وقال سعيد بن جبير في حق الله وقيل ضيعت في ذات الله وقيل معناه قصرت في الجانب الذي يؤدي الى رضا الله تعالى والعرب تسمي الجانب جنبا قال في الكشاف هذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى قول الشاعر * ان السماحة والمروءة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج * اي فانه لم يصرح بثبوت هذه الصفات المذكورة لابن الحشرج بل كنى عن ذلك في قبة مضروبة عليه فافاد اثباتها له والقبة تكون فوق الخيمة تتخذها الرؤساء وقرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة والدوري عن ابي عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وان اي والحال اني كنت اي كان ذلك في طبعي لمن الساخرين اي المستهزئين المتكبرين بالنبي القسم في غير مخزن انتهاء وخلاصته انه ما كفاني المعصية حتى كنت اسخر من اهل الطاعة اي تقول هذا لعله يقبل منها ويعفى عنها على عادة المعترفين في وقت الشدائد لعلهم يعاودون الى اجمل العوائد الثاني من الكلمات التي حكاها الله تعالى عنهم بعد نزول العذاب عليهم ما ذكره الله تعالى بقوله سبحانه او تقول اي تلك النفس المفرطة لو ان الله اي الذي له القدرة الكاملة والعلم الشامل هداني اي ببيان الطريق لكنت من المتقين اي الذين لا يقدمون على فعل الا ما يدل لهم عليه دليل الثالث من الكلمات ما ذكره الله تعالى بقوله سبحانه او تقول اي تلك النفس المفرطة حين ترى العذاب اي الذي اوجبها عيانا لو ان لي اي يا ليت لي كرة اي رجعة الى دار العمل فاكون اي بسبب عن رجوعي اليها ان اكون من المحسنين اي العاملين بالاحسان الذي دعا اليه القرآن * تنبيه * في نصب فاكون وجهان احدهما عطفه على كرة فانها مصدر فعطفت مصدرا مؤولا على مصدر مصرح به كقولها * للبس عباءة وتقر عيني * احب الي من لبس الشفوف * والثاني انه منصوب على جواب التمني المفهوم من قوله تعالى لو ان لي كرة والفرق بين الوجهين ان الاول يكون فيه الكون متمنى ويجوز ان تضمر ان وان تظهر والثاني يكون فيه الكون مترتبا على حصول المتمنى لا متمنى ويجب ان تضمر ان * ثم اجاب الله تعالى هذا القائل بقوله سبحانه بلى قد جاءتك آياتي اي القرآن وهو سبب الهداية فكذبت بها اي قلت ليست من عند الله واستكبرت اي تكبرت عن الايمان وكنت من الكافرين فان قيل هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما اجيب بانه لا يخلو اما ان يقدم على اخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن واما ان تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن واما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب فان قيل كيف صح ان تقع بلى جوابا لغير منفي اجيب بان قوله لو ان الله هداني في معنى ما هديت ويوم القيامة

اى الذى لا يصح فى الحكمة تركه وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى اى ايها المحسن الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ اى الحائز لجميع صفات الكمال بنسبة الشريك والولد اليه وقال الحسن هم الذين يقولون ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل قال البقاعى وكانه عنى من المعتزلة الذين اعتزلوا مجلسه وابتدعوا قولهم انهم يخلقون افعالهم قال ويدخل فيه من تكلم فى الدين بجهل وكل من كذب وهو يعلم انه كاذب فى اى شئ كان فانه من حيث ان فعله فعل من يظن ان الله تعالى لا يعلم كذبه اى ولا يقدر على جزائه كانه كذب على الله وقوله تعالى وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ جملة من مبتدأ وخبر فى محل نصب على الحال من الموصول لان الرؤية بصرية وقيل فى محل نصب مفعولا ثانيا لان الرؤية قلبية ورد بان تعلق الرؤية البصرية بالاجسام والوانها اظهر من تعلق القلبية بهما وذكر ان هذا السواد مخالف لسائر انواع السواد أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى اى ماوى لِلْمُتَكَبِّرِينَ اى الذين تكبروا على اتباع امر الله تعالى وهو تقرير لانهم يرونه كذلك ✚ ولما ذكر الله تعالى الذين اشقاهم اتبعهم حال الذين اسعدهم بقوله تعالى وَيُنَجِّي اللَّهُ اى يفعل بماله من صفات الكمال فى نجاتهم فعل المبالغ فى ذلك الَّذِينَ اتَّقَوْا اى بالغوا فى وقاية انفسهم من غضبه فكما وقاهم فى الدنيا من المخالفات حماهم هنا من العقوبات بِمَفَازَتِهِمْ اى بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لانه سببها وقرأ حمزة والكسائى وشعبة بالف بعد الزاى جمعا على ان لكل متق مفازا والباقون بغير الف بعد الزاى افرادا وقوله تعالى لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ جملة مفسرة لمفازتهم كانه قيل وما مفازتهم فقال لا يمسهم السوء فلا محل لها ويجوز ان تكون فى محل نصب على الحال من الذين اتقوا ومعنى الكلام لا يمسهم مكروه وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اى ولا يطرق بواطنهم حزن على فائت لانه لا يفوت لهم شئ اصلا ✚ ولما كان الخوف منه والحزن عليه جامعين لكل ما فى الكون فكان لا يقدر على دفعهما الا القادر المبدع القيوم قال تعالى مستأنفا ومعللا مظهرا الاسم الاعظم تعظيما للمقام اللَّهُ اى المحيط بكل شئ قدرة وعلما الذى نجاهم خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ اى من خير وشر وايمان وكفر فلا يكون شئ اصلا الا بخلقه ✚ ولما دل هذا على القدرة الشاملة وكان لابد معها من العلم الكامل قال تعالى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ اى مع القهر والغلبة وَكِيلٌ اى حفيظ لجميع ما يريد قيوم لا يعجز بمساحته ولا غفلة وقوله تعالى لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جملة مستأنفة والمقاليد جمع مقلاد مثل مفتاح ومفاتيح او مقليد مثل منديل ومناديل اى هو مالك امرها وحافظها وهى من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك هى المفاتيح والكلمة اصلها فارسية فان قيل ما للكتاب المبين والفارسية اجيب بان التعريب احالها عربية كما اخرج استعمال المهمل عن كونه مهملا قال الزمخشرى سأل عثمان النبى صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألنى احد عنها قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله

ع ٢٤

ويحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير اه وروى هذا الطبرانى بسند ضعيف بل رواه ابن الجوزى فى الموضوعات ثم قال الزمخشرى وتأويله على هذا ان الله تعالى فى هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه وقال قتادة ومقاتل مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة وقال الكلبى خزائن المطر والنبات ولما وصف الله تعالى بالصفة الالهية والجلالة وهو كونه خالقا للاشياء وكونه مالكا لمقاليد السموات والارض باسرها قال بعده ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اى لبسوا ما اتضح من الدلالات وجحدوا ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ اى دلائل قدرته الظاهرة الباهرة ﴿أُولَٰئِكَ﴾ اى البعداء البغضاء ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لانهم خسروا انفسهم وكل شئ متصل بها على وجه النفع وقال الزمخشرى الذين كفروا متصل بقوله وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم واعترض بينهما بانه خالق الاشياء كلها وان له مقاليد السموات والارض واعترضه الرازى بان وينجى جملة فعلية والذين كفروا جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يجوز واعترض الآخر بانه لا مانع من ذلك ✦ ولما دعا كفار قريش النبى صلى الله عليه وسلم الى دين آبائهم قال الله تعالى ﴿قُلْ﴾ اى لهم ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ اى الملك الاعظم ﴿تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ اى العريقون فى الجهل لان الدليل القاطع قد قام بان الله تعالى هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل وقرأ نافع بتخفيف النون وفتح الياء وابن كثير بتشديد النون وسكون الياء وابن عامر بنونين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة وسكون الياء والباقون بتشديد النون وسكون الياء ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ اى الذى عملته قبل الشرك فان قيل الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت على التوحيد اجيب بان تقدير الآية اوحى اليك لئن اشركت ليحبطن عملك و الى الذين من قبلك مثله اى اوحى اليك والى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اى كل واحد منا فان قيل كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا تحبط اعمالهم اجيب بان قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك قضية شرطية والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزئيها الا ترى ان قولك لو كانت الخمسة زوجا لكانت منقسمة بمتساويين قضية صادقة مع ان كل واحد من جزئيها غير صادق قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولم يلزم من هذا صدق ان فيهما آلهة وانهما قد فسدتا وان الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كما قاله اكثر المفسرين او ان ذلك على سبيل الفرض المحال ذكر ليكون ردعا للاتباع ✦ ولما كان السياق للتهديد وكانت العبادة شاملة لما تقدم على الشرك من الاعمال وما تأخر عنه لم يقيده بالاتصال بالموت اكتفاء بتقييده فى آية البقرة وهى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر قال تعالى ﴿وَلَتَكُونَنَّ﴾ اى لاجل حبوطه ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فان من ذهب جميع عمله لا شك فى خسارته اما من اسلم بعد ردته فانما حبط ثواب عمله لا عمله كما نص عليه الشافعى ✦ تنبيه ✦ اللام الاولى موطئة للقسم

والآخر بالجواب ولما كان التقدير لا تشرك بنا عطفت عليه قوله تعالى بل الله اى المتصف بصفات الكمال وحده فاعبد اى تخلصا له العبادة وكن من الشاكرين اى العريقين في هذا الوصف لانه جعلك خير الخلائق اجمعين ولما حكى الله تعالى عن المشركين انهم امروا الرسول بعبادة الاصنام ثم انه تعالى اقام الدلائل على فساد قولهم وامر الرسول ان يعبد الله ولا يعبد سواه بين انهم لو عرفوا الله تعالى حق معرفته لما جعلوا هذه الاشياء الخسيسة مشاركة له في العبودية فقال وما قدروا الله اى الملك الاعظم حق قدره اى ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره مع انهم لو استغرقوا الزمان كله في عبادته ونهاية طاعته بحيث لم يخل شئ منه عنها لما كانوا قد وفوه حق قدره فكيف اذا اخلوا بعضه عنها فكيف اذا عدلوا به غيره ولما بين انهم ما عظموه تعظيما لائقا به دل على ما يدل على كمال عظمته بقوله تعالى والارض جميعا قبضته وهو مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال اى ما عظموه حق عظمته والحال انه موصوف بهذه القدرة الباهرة كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم اى كيف تكفرون بمن هذا وصفه وحال ملكه كذا وجميعا حال وهي دالة على ان المراد بالارض الارضون لان هذا التأكيد لا يحسن ادخاله الا على الجمع وقدم الارض على السموات لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها ولما كان في هذه الدنيا من يدعي الملك والقهر والعظمة والقدرة وكان الامر في الآخرة بخلاف هذا لانقطاع الاسباب قال تعالى يوم القيمة ولا قبضة هناك لا حقيقة ولا مجازا وكذا الطي واليمين وانما هو تمثيل وتخييل لتمام القدرة ولما كانوا يعلمون ان السموات سبع متطابقة بما يشاهدونه من سير النجوم جمع ليكون مع جميعا كالتصريح في جمع الارضين في قوله تعالى والسموات مطويات اى مجموعات بيمينه قال الامام الرازي وههنا سؤالات الاول ان العرش اعظم من السموات السبع والارضين السبع ثم انه تعالى قال في صفة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاذا وصف الملائكة بكونهم حاملين العرش العظيم فكيف يجوز تقرير عظمة الله تعالى بكونه حاملا للسموات والارض واجاب بان مراتب التعظيم كثيرة فاولها تقرير عظمة الله بكونه قادرا على هذه الاجسام العظيمة كانت حفظها وامساكها يوم القيمة عظيم ثم بعده تقرير عظمته بكونه قادرا على امساك اولئك الملائكة الذين يحملون العرش السؤال الثاني قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه شرح حال لا تحصل الا في القيمة والقوم ما شاهدوا ذلك فان كان هذا الخطاب مع المصدقين للانبياء فهم معترفون بانه لا يجوز القول بجعل الاصنام شركاء لله تعالى فلا فائدة في ايراد هذه الحجة عليهم وان كان الخطاب مع المكذبين بالنبوة فهم ينكرون قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة فكيف يمكن الاستدلال به على ابطال القول بالشرك واجاب عنه بان المقصود منه ان المتولي لابقاء السموات والارضين من وجوه العمارة في هذا الوقت هو المتولي لتخريبها وافنائها يوم القيمة وذلك يدل على حصول قدرة تامة على الايجاد والاعدام ويدل ايضا على كونه قادرا غنيا على الاطلاق فانه

يدل على انه اذا حاول تخريب الارض فكانه يقبض قبضة وذلك يدل على كمال الاستغناء الثالث
الثالث حاصل القول بالقبضة واليمين هو القدرة الكاملة الوافية بحفظ هذه الاجسام العظيمة فكما
ان حفظها وامساكها يوم القيمة ليس الا بقدرته تعالى فكذلك الآن فما الفائدة في تخصيص هذه
الاحوال بيوم القيمة واجاب بانه انما خصص تلك الحالة بيوم القيمة ليدل على انه كما ظهر كمال
قدرته في الايجاد عند عمارة الدنيا يظهر كمال قدرته في الاعدام عند خراب الدنيا + ولما كان هذا
انما هو تمثيل بما يعهد والمراد به الغاية في القدرة نزه نفسه المقدس عما ربما نسبه له المجسم والمشبه
فقال تعالى ﴿سُبْحَانَهُ﴾ اي تنزه من هذه القدرة قدرته عن كل شائبة نقص ﴿وَتَعَالَى﴾ علوا لا يحاط به
﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه لانه لو كان له شريك ينازعه في هذه القدرة او بعضها لمنعه شيئا منها وهذه
معبوداتهم لا قدرة لها على شئ البتة روى البخاري في صحيحه في التوحيد وغيره عن عبد الله بن
مسعود قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان يوم القيمة
جعل الله تعالى السموات على اصبع والارضين على اصبع والماء والثرى على اصبع والخلائق على
اصبع ثم يهزهن ثم يقول انا الملك فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه
تعجبا وتصديقا لقول الحبر ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم وما قدروا الله حق قدره الآية وانما
ضحك صلى الله عليه وسلم وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما فهمه علماء البيان من غير تصور امساك
ولا اصبع ولا هز ولا شئ من ذلك انما يدل ذلك على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها
الاذهان هينة عليه هوانا لا يصل السامع الى الوقوف عليه الا باجراء العبارة في مثل هذه الطريقة
من التخييل وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيمة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون
اين المتكبرون ثم يطوي الارضين ثم يأخذهن بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون
وللبخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقبض الله الارض يوم القيمة ويطوي
السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض قال ابو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله عز
وجل من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد روي كلتا يديه يمين وليس
عندنا معنى اليد الجارحة وانما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها
وننتهي حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب اهل السنة والجماعة
رضي الله تعالى عنهم وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته
والسكوت عليه انتهى وقد قدمنا ان السلف يجرون المتشابه على ما هو عليه وان الخلف يؤولونه
والاول اسلم والثاني احكم + ولما ذكر تعالى كمال قدرته وعظمته بما سبق ذكره اردفه بذكر طريق آخر
يدل ايضا على كمال العظمة وهو شرح مقدمات يوم القيمة فقال ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ اي القرن
النفخة الاولى لان نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم ﴿فَصَعِقَ﴾ اي مات ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ﴾

في الارض واختلف فيمن استثنى الله تعالى بقوله سبحانه الا من شاء الله فقال الحسن هو الله
وحده وقال ابن عباس جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام ثم يميت الله
تعالى ميكائيل واسرافيل وجبريل وملك الموت وقيل حملة العرش وقيل الحور والولدان وقيل
الشهداء لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هم
الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش وقال جابر هو موسى عليه السلام لانه صعق فلا يصعق ثانيا
وقال قتادة الله اعلم بهم وليس في القرآن والاخبار ما يدل على انهم من هم وهذا اسلم ثم نفخ فيه اي
في الصور نفخة اخرى اي نفخة ثانية فاذا هم اي جميع الخلائق الموتى قيام اي قائمون ينظرون اي يقلبون
ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب جسيم وقيل ينتظرون امر الله تعالى فيهم وهذا
يدل على ان هذه النفخة متأخرة عن النفخة الاولى لان لفظة ثم للتراخي وروى ابو هريرة رضي الله
تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال
ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت قال ثم ينزل الله تعالى
من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب
ومنه يركب الخلق يوم القيمة وقوله تعالى فاذا هم يدل على ان قيامهم يحصل عقب هذه النفخة
الاخيرة في الحال من غير تراخ لان الفاء تدل على التعقيب + ولما ذكر تعالى اقامتهم بالحياة التي هي
نور البدن اتبعه بنور ارض القيمة فقال واشرقت اي اضاءت اضاءة عظيمة مالت بها الى الحمرة الارض
اي التي اوجدت لحشرهم وليست بارضنا الآن لقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض بنور ربها
اي خالقها وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه قال صلى الله عليه وسلم سترون
ربكم وقال كما لا تضارون في الشمس في يوم الصحو وقال الحسن والسدي بعدل ربها ووضع الكتاب
اي كتاب الاعمال للحساب لقوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه
منشورا وقوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقيل الكتاب اللوح المحفوظ
تقابل به الصحف وقيل الكتاب الذي انزل الى كل امة تعمل به واقتصر على هذا البقاعي وجيء بالنبيين
اي للشهادة على اممهم واختلف في قوله تعالى والشهداء فقال ابن عباس يعني الذين يشهدون
للرسل بتبليغ الرسالة وهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه لقوله تعالى جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس وقال عطاء ومقاتل يعني الحفظة لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد وقيل هم المستشهدون في سبيل الله + ولما بين تعالى انه يوصل الى كل واحد حقه عبر
عن هذا المعنى باربع عبارات اولها قوله تعالى وقضي بينهم اي العباد بالحق اي العدل ثانيها قوله
تعالى وهم لا يظلمون اي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ثالثها قوله تعالى ووفيت ع
كل نفس ما عملت اي جزاء ما عملته رابعها قوله تعالى وهو اعلم بما يفعلون اي فلا يفوته شيء من
افعالهم ثم فصل التوفية بقوله تعالى مفصلا اهل الغضب وسيق الذين كفروا اي بالعنف

والدفع الى جهنم كما قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اى يدفعون اليها دفعا وقوله تعالى زمرا
حال اى جماعات فى تفرقة بعضهم على اثر بعض كل امة على حدة حتى اذا جاؤها اى على صفة
الذل والصغار واجاب اذا بقوله تعالى فتحت ابوابها اى السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك وانما
تفتح عند وصول الكفار اليها وقرأ الكوفيون فتحت وفتحت الاتية بالتخفيف والباقون بالتشديد لما
على التكثير وقال لهم خزنتها انكارا عليهم وتقريعا وتوبيخا الم يأتكم رسل منكم اى من جنسكم
لان قيام الحجة بالجنس اقوى يتلون اى يتلون مرة بعد مرة وشيئا فى اثر شئ عليكم ايت ربكم
اى المحسن اليكم من القران وغيره وينذرونكم اى يخوفونكم لقاء يومكم وقولهم هذا اشارة الى
يوم البعث فان قيل لم اضيف اليهم اليوم اجيب بانهم ارادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم
النار لا يوم القيمة قال الزمخشرى وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا فى اوقات الشدة
ويجوز ان يراد باليوم يوم البعث كله وجرى عليه البقاعى وهو اولى ولما قال لهم الخزنة ذلك
قالوا بلى اتونا وتلوا علينا وحذرونا ولكن حقت اى وجبت كلمة العذاب اى التى سبقت
فى الازل علينا هكذا كان الاصل ولكنهم قالوا على الكافرين تخصيصا باهل هذا الوصف
وبيانا لانه موجب خزيهم وهو تخطيتهم الانوار التى اتتهم بها الرسل عليهم الصلوة والسلام
تنبيه فى الاية دليل على انه لا وجوب قبل مجئ الشرع لان الملائكة بينوا لهم انهم ما بقى لهم
عذر ولا علة بعد مجئ الرسل عليهم الصلوة والسلام فلو لم يكن مجئ الرسل شرطا فى استحقاق العذاب
لما بقى فى هذا الكلام فائدة وقيل كلمة العذاب هى قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين ثم كانه قيل فماذا وقع بعد هذا التقريع قيل وقران الملائكة قالت لهم ادخلوا ابواب جهنم
اى طبقاتها المتجهمة لداخلها خالدين اى مقدرين الخلود فيها ولما كان سبب كفرهم بالايات
هو التكبر قالوا لهم فبئس مثوى اى منزل ومقام المتكبرين اى الذين اوجب تكبرهم حقوق ربع
كلمة العذاب عليهم فلذلك تعاطوا اسبابها ولما ذكر تعالى احوال الكافرين اتبعه احوال
اضدادهم فقال عز من قائل وسيق الذين اتقوا ربهم اى الذين كلما زادهم احسانا زادوا له
هيبة الى الجنة وقوله تعالى زمرا حال اى جماعات اهل الصلوة المستكثرين منها على حدة
واهل الصوم كذلك الى غير ذلك من الاعمال التى تظهر اثارها على الوجوه فان قيل السوق فى
اهل النار معقول لانهم لما امروا بالذهاب الى موضع العذاب لا بد وان يساقوا اليه واما اهل الثواب فاذا
امروا بالذهاب الى موضع السعادة والراحة فاى حاجة فيه الى السوق اجيب بان المراد بسوق اهل النار
طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او
قتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين سراعا الى دار الكرامة
والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين
هذا سوق تشريف واكرام وذاك سوق اهانة وانتقام وهذا من بدائع انواع البديع وهو

ان يأتي سبحانه بكلمة في حق الكفار فتدل على هوانهم بعقابهم وبأن يأتي بتلك الكلمة بعينها وهيئتها في
حق المؤمنين فتدل على اكرامهم بحسن ثوابهم فسبحان من انزله معجز المباني متمكن المعاني
عذب الموارد والمثاني وقيل ان المحبة والصداقة باقية بين المتقين الى يوم القيمة كما قال تعالى الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاذا قيل لواحد منهم اذهب الى الجنة فيقول لا ادخلها الا مع احبائي
واصدقائي فيتأخرون لهذا السبب فحينئذ يحتاجون الى السوق الى الجنة ولما ذكر تعالى السوق
ذكر غايته بقوله تعالى حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا اختلف في جواب اذا على اوجه احدها قوله تعالى وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا
والواو زائدة وهو رأي الكوفيين والاخفش انما جيء هنا بالواو دون التي قبلها لان ابواب السجون
مغلقة عادة الى ان يجيئها صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها
بخلاف ابواب السرور والفرح فانها تفتح انتظارا لمن يدخلها فعلى هذا ابواب جهنم تكون مغلقة
لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها فاما ابواب الجنة ففتحها يكون متقدما على وصولهم اليها كما قال
تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو وكأنه قال حتى اذا جاءوها وقد فتحت
ابوابها ثانيها قوله تعالى وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا اي بزيادة الواو ايضا اي حتى اذا جاءوها قال لهم خزنتها
ثالثها قال الزجاج القول عندي ان الجواب محذوف وتقديره دخلوها بعد قوله تعالى حتى اذا جاءوها
وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها اي حين الوصول سَلَامٌ عَلَيْكُمْ تعجيلا للمسرة بالبشارة بالسلامة
التي لا عطب فيها طِبْتُمْ اي صلحتم لسكناها لان الله تعالى طهرها من كل دنس وطيبها من كل
قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما ابعد احوالنا من تلك المناسبة وما اضعف
سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب
وتميط وضر هذه القلوب ثم سبب عن ذلك فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ اي مقدرين الخلود وسمى بعضهم
الواو في قوله تعالى وفتحت واو الثمانية قال لان ابواب الجنة ثمانية وكذا قالوا في قوله تعالى وثامنهم
كلبهم وقيل تقدير الجواب حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها يعني ان الجواب بلفظ الشرط ولكنه
بزيادة تقييده بالحال فلذلك صح وقدره الجلال المحلي بقوله دخلوها وقال ان قوله تعالى وَقَالُوا عطف
على دخلوها المقدر الْحَمْدُ اي الاحاطة باوصاف الكمال لِلَّهِ اي الملك الاعظم الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ
في قوله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا فطابق قوله الواقع الذي وجدناه في
هذه الساعة وَأَوْرَثَنَا كما وعدنا الْأَرْضَ اي الارض التي لا ارض في الحقيقة غيرها وهي
ارض الجنة التي لا كدر فيها بوجه وفيها كل ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقولهم نَتَبَوَّأُ اي
ننزل مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ جملة حالية وحيث ظرف على بابها وقيل مفعول به وانما عبر
عن ارض الجنة بالارض لوجهين احدهما ان الجنة كانت في اول الامر لادم عليه السلام لانه تعالى
قال وكلا منها رغدا حيث شئتما فلما عادت الجنة الى اولاد ادم عليه السلام كان ذلك سببا للارث
ثانيهما ان الوارث يتصرف فيما ورثه كيف شاء من غير منازع فكذلك المؤمنون يتصرفون ٦٠.

في الجنة حيث شاؤا او ارادوا وقد قيل كيف يتبوأ احدهم مكان غيره أجيب بان لكل واحد منهم
جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث شاء ولا يحتاج الى جنة غيره
ولا يشتهي احد الا مكانه مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فلما كانت بهذا الوصف
الجليل تسبب عنه مدحها بقوله فنعم اى اجرنا هكذا كان الاصل ولكنه قال اجر العاملين تنبيها
في الاعمال وحثا على عدم الاتكال ولما ذكر سبحانه الذين اكرمهم من المتقين وما وصلوا اليه
من المقامات اتبعهم اهل الكرامات الذين لا شغل لهم من العبادات فقال تعالى صارفا الخطاب
لعلو الخبر الى اعلى الخلق لانه لا يقوم بحق هذه الرؤية غيره وترى الملائكة اى القائمين بجميع ما عليهم
من الحقوق وقوله تعالى حافين حال اى محدقين من حول العرش اى من جوانبه التى يمكن
الحفوف بها بالقرب منها لمعرفتهم صوت التسبيح والتحميد والتقديس والاهتزاز طربا
من يومهم ذلك فقال من بقيتهم من كثرتهم الى حد لا يحصيه الا الله تعالى انهم لا يملون من عمله وهذا اولى
من قول البيضاوي ان من زائدة وقوله تعالى يسبحون حال من ضمير حافين بحمد ربهم اى
متلبسين بحمده اى يقولون سبحان الله وبحمده وهم ذاكرون له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار
بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم اى بين
جميع الخلق بالحق اى العدل فيدخل المؤمن الجنة والكافر النار وبين الملائكة باقامتهم في منازلهم
على حسب افضالهم وقيل اى وقال المؤمنون من المقضي بينهم والملائكة وطى ذكرهم لتعينهم
وتعظيمهم الحمد اى الاحاطة بجميع اوصاف الكمال وعدل بالقول الى ما هو احق بهذا المقام
فقال لله ذى الجلال والاكرام علمنا ذلك في هذا اليوم عين اليقين كما كنا في الدنيا نعلمه علم
اليقين ولما كان هذا اليوم اخر الايام معرفة شمول الربوبية لاجتماع الخلائق وانفتاح البصائر وسعة
الضمائر قال واصفا له سبحانه باقرب الصفات الى الاسم الاعظم رب العالمين اى الذين ابتدأهم ع ربع
اول مرة من العدم واقامهم ثانيا بما رباهم به من التدبير واعادهم ثالثا بعد افنائهم باكل قضاه
ونقلهم الى المقام بالعدل الى الخير وقيل ان الله تعالى ابتدأ ذكر الخلق بالحمد لله في قوله سبحانه الحمد لله الذي خلق السموات
والارض وختم بالحمد في اخر الامر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداية كل امر
وخاتمته والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين حديث موضوع وقول عن عائشة
رضي الله عنها وعن ابيها انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر رواه الترمذي وغيره

سورة المؤمن مكية

قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل في الحواميم انها
كلها مكية عن ابن عباس وابن الحنفية وتسمى سورة الطول وسورة غافر وهي خمس وثمانون

وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفاً بسم الله
الملك الأعظم الذي يعطي كلاً من عباده ما يستحقه فلا يقدر أحد أن يناقض في شيء من ذلك
ولا يعارض الرحمن الذي عمهم برحمته في الدنيا بالخلق والرزق والبيان الذي لا اختفاء معه
الرحيم الذي يخص برحمته من يشاء من عباده فيجعله حكيماً وفي ملك الأرض وملكوت السموات
عليماً وقوله تعالى حم قرأه ابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بإمالة الحاء محضة وورش وأبو عمرو
بين بين والباقون بالفتح وقد سبق الكلام في حروف التهجي وقال ابن عباس حم اسم الله الأعظم
وعنه قال الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وقيل حم اسم السورة وقيل الحاء افتتاح أسمائه
حليم وحميد وحي وحكيم وحنان والميم افتتاح أسمائه ملك مجيد منان وقال الضحاك والكسائي
معناه قضي ما هو كائن كأنهما أشارا إلى أن معنى حم حم بضم الحاء وتشديد الميم وهل يجوز
أن يجمع حم على حواميم نقل ابن الجوزي عن شيخه الجواليقي أنه خطأ وليس بصواب بل الصواب
أن يقول قرأت آل حم وفي الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا وقعت
في آل حم وقعت في روضات وقال الكميت شعر وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقي ومعرب
ومنهم من جوزه وروي في ذلك أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم الحواميم ديباج القرآن
وقوله صلى الله عليه وسلم الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية
والجحيم فتجيء كل حم منهن يوم القيامة على باب من هذه الأبواب فتقول لا يدخل النار من كان
يؤمن بي ويقرؤني وقوله صلى الله عليه وسلم لكل شيء ثمرة وثمرة القرآن ذوات حم هن روضات
حسان مخصبات متجاورات فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم وقوله صلى الله عليه
وسلم الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب وقال ابن عباس لكل شيء لباب ولباب القرآن
الحواميم قال ابن عادل فإن صحت هذه الأحاديث فهي الفصل في ذلك أي فتدل على جواز الجمع
وقال البيضاوي في حم السجدة ولعل افتتاح هذه السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان
الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى أي أخذاً مما قيل أن حم اسم من أسماء القرآن وقوله تعالى
تنزيل الكتاب أي الجامع من الحدود والأحكام والمواعيد والإكرام إما خبر حم إن كانت مبتدأ
وإما خبر لمبتدأ مضمر وإما مبتدأ وخبره من الله أي الجامع لجميع صفات الكمال ولما كان النظر هنا من
بين جميع الصفات إلى العزة والعلم الكافي لأجل أن المقام لإثبات الصدق وعداً ووعيداً قال تعالى العزيز
أي في ملكه العليم بخلقه فبين تعالى أنه بقدرته وعلمه أنزل القرآن الذي يتضمن المصالح والإعجاز
ولولا كونه عزيزاً عالماً لما صح ذلك غافر الذنب أي ستره للمؤمن إن شاء وأما الكافر فلا بد
من توبة بالإسلام وقابل التوب أي منهما وهو يحتمل أن يكون اسماً مفرداً مراداً به الجنس
كالذنب وأن يكون جمعاً للتوبة كتمر وتمرة شديد العقاب أي على الكافر فإن قيل أن شديد

كغافر الذنب وقابل التوب فان اضافته محضة تفيد التعريف قال سيبويه كل ما اضافته غير محضة
يجوز ان تجعل محضة وتوصف به المعارف الا الصفة المشبهة ولم يستثن الكوفيون شيئا واجيب بان
شديد معناه مشدده كاذين بمعنى ماذون فتتمحض اضافته او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج
وامن الالتباس او بالتزام مذهب الكوفيين وهو ان الصفة المشبهة يجوز ان تتمحض اضافتها لانها قد يكون
معرفة لانهم يقولون في غير حسن الوجه يجوز ان تصير اضافته محضة وقال الرازي لا نزاع في جعل غافر
وقابل صفتين انما كان كذلك لانهما يفيدان معنى الدوام والاستمرار فكذلك شديد العقاب
لان صفاته منزهة عن الحدوث والتجدد فمعناه كونه بحيث يقال شديد عقابه وهذا المعنى حاصل
ابدا فلا يوصف بانه حصل بعد ان لم يكن قال ابو حيان وهذا كلام من لم يقف على علم النحو ولا نظر فيه
ويلزمه ان يكون حكيم عليم ومليك مقتدر معارف لتنزيه صفاته عن الحدوث والتجدد ولانها
صفات لم تحصل بعد ان لم تكن يكون تعريف صفاته بال وتنكيرها سواء وهذا لا يقوله مبتدىء في علم النحو
فكيف من يصنف فيه ويقدم على تفسير كتاب الله تعالى اه قال الزمخشري فان قلت ما بال الواو في
قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل
توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة
والقبول اه قال ابن عادل وبعد هذا الكلام الانيق وابراز هذه المعاني الحسنة قال ابو حيان وما اكثر
تبجج هذا الرجل وشقشقته والذي افادته الواو الجمع وهذا معلوم من ظاهر علم النحو وانشد بعضهم
وكم من عائب قولا صحيحا ✦ وآفته من الفهم السقيم ✦ وقال آخر ✦ قد تنكر العين ضوء الشمس
من رمد ✦ وينكر الفم طعم الماء من سقم ✦ ولما تم الترغيب بالعفو والترهيب بالعقوبة اتبعه
التشويق الى الفضل فقال تعالى ذِي الطَّوْلِ اي سعة الفضل والانعام والقدرة والغنى والسعة
والمنة فلا يماثله في شيء في ذلك احد ولا يدانيه قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله
وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله ذي الطول ذي الغنى عمن لا يقول
لا اله الا الله وقال الحسن ذو الفضل وقال قتادة ذو النعم ثم علل تمكنه من كل شيء من ذلك بوحدانيته
فقال تعالى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ وحده الْمَصِيرُ اي المرجع فلو جعل معه الها آخر يشاركه في صفة
الرحمة والفضل لما كانت الحاجة الى عبوديته شديدة فكان الترغيب والترهيب الكاملان حاصلين
بسبب هذا التوحيد وقوله تعالى اليه المصير مما يقوي الرغبة في الاقرار بالعبودية روي ان عمر
رضي الله تعالى عنه افتقد رجلا ذا باس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب
فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن
الرحيم حم الى قوله تعالى اليه المصير وختم الكتاب قال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من
عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني
عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع واحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا

فاصنعوا اذا رأيتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله تعالى ان يتوب عليه ولا تكونوا
اعوانا للشيطان عليه ولما قرر تعالى ان القرآن كتاب انزله ليهتدى به في الدين ذكر احوال من
يجادل لغرض ابطاله فقال ما يجادل اي يخاصم ويمارى اي يفتل الامر الى مراده في آيات الله
اي في ابطال انوار الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال الدال كالشمس على انه تعالى اليه المصير
بان يغش نفسه بالشك في ذلك الا الذين كفروا قال ابو العالية آيتان ما اشدهما على الذين
يجادلون في القرآن قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وقوله تعالى وان الذين اختلفوا
في الكتاب لفي شقاق بعيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر وعن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون في القرآن فقال انما هلك
من كان قبلكم انهم ضربوا كتاب الله بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم منه فكلوه الى عالمه
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع اصوات
رجلين اختلفا في آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك
من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب تنبيه الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل
اما الاول فهو حرفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجادلهم
بالتي هي احسن وحكى عن قوم نوح قولهم يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا واما الثاني فهو مذموم
وهو المراد بهذه الآية فجدالهم في آيات الله هو قولهم مرة هذا سحر ومرة هذا شعر ومرة هو قول الكهنة
ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر واشباه هذا ولما ثبت ان المشرك لا بد منه وان الله تعالى
قادر كل القدرة لانه لا شريك له وهو محيط بجميع اوصاف الكمال تسبب عن ذلك قوله تعالى
فلا يغررك تقلبهم اي تنقلهم بالتجارات والفوائد والجيوش والعساكر واقبال الدنيا عليهم في البلاد
بلاد الشام واليمن فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال تعالى كذبت قبلهم
قوم نوح وقد كانوا في غاية القوة والقدرة على القيام بما يحاولونه وكانوا حزبا واحدا لم يفرقهم شيء
ولما كان الناس من بعدهم قد كثروا وفرقهم اختلاف الالسنة والاديان وكان للاجمال من
الروع في بعض المواطن ما ليس للتفصيل قال تعالى والاحزاب اي الامم المتفرقة الذين لا يحصون
عددا ودل على قرب زمان الكفر من الايجاد من الغرق بقوله من بعدهم كعاد وثمود وهمت
كل امة اي من هؤلاء برسولهم اي الذي ارسلناه اليهم ليأخذوه اي ليتمكنوا من اصابته بما
ارادوه من تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ وقال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وجادلوا
بالباطل اي بالامر الذي لا حقيقة له وليس له من ذاته الا الزوال كما فعل قريش وغيرهم
من العرب ثم بين علة جدالهم بقوله تعالى ليدحضوا اي ليزيلوا به الحق اي الذي جاءت به الرسل
عليهم السلام فاخذتهم اي اهلكتهم وهم صاغرون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون
بالادغام فكيف كان عقاب لهم اي هو واقع موقعه وهم يمرون على ديارهم

فيرون اثرهم وهذا التقرير فيه معنى التعجب + تنبيه + حذفت ياء المتكلم اشارة الى ان ادنى شيء
من عذابه بادنى نسبة كاف فى المراد ولما كان التقدير فحقت عليهم كلمة الله تعالى عطف عليه
وكذلك اى ومثل ما حقت عليهم كلمتنا بالاخذ حقت كلمت ربك اى المحسن اليك وهى
لاملأن جهنم الاية على الذين كفروا لكفرهم وقرأ نافع وابن عامر بالف بعد الميم على الجمع والباقون
بغير الف على الافراد وقوله انهم اصحب النار فى محل رفع بدل من كلمة ربك اى مثل ذلك
الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بالعذاب المستأصل وقوله لازم
كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار فى الاخرة او فى محل نصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل ولما
بين تعالى ان الكفار يبالغون فى اظهار العداوة للمؤمنين بقوله ما يجادل فى ايات الله وما بعده بين تعالى
ان الملائكة الذين هم حملة العرش والحافون حوله يبالغون فى اظهار المحبة والنصرة للمؤمنين فقال
تعالى الذين يحملون العرش وهو مبتدأ وقوله ومن حوله عطف عليه وقوله تعالى يسبحون بحمد
ربهم اى المحسن اليهم قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقولون سبحانك
اللهم وبحمدك فلك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك فلك
الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكأنهم يرون ذنوب بنى ادم وقيل انهم اليوم اربعة فاذا كان
يوم القيامة امدهم الله تعالى باربعة اخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم من
اشراف الملائكة وافضلهم لقربهم من محل رحمة ربهم قال ابن الخازن وجاء فى الحديث ان لكل ملك
منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم اربعة اجنحة جناحان منها على
وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما فى الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح
والتحميد والتكبير والتمجيد ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش
ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان اقدامهم فى تخوم الارض
والارضون والسموات الى حجزتهم وهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت سبحان ذى الملك
والملكوت سبحان الحى الذى لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقال ميسرة بن عرفة
ارجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء
السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من اهل السماء التى تليها والتى تليها اشد خوفا من التى تليها
وقال مجاهد بين الملائكة والعرش سبعون الف حجاب من نور وسبعون الف حجاب من ظلمة
وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لى ان احدث عن ملك من ملائكة الله تعالى
من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام واما صفة العرش فقيل انه من جوهرة
خضراء وهو من اعظم المخلوقات خلقا روى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال بين القائمة من
قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين الف عام ويكسى العرش كل يوم سبعين
الف لون من نور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى كلها والاشياء كلها

في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة والعرش سبعون ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل إن العرش قبلة أهل السماء كما أن الكعبة قبلة أهل الأرض وأما من حول العرش فهم الكروبيون وهم سادة الملائكة قال وهب بن منبه إن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويقبل هؤلاء فإذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم على عواتقهم قد وضعوها على عواتقهم فإذا سمعوا تكبير هؤلاء وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا إله غيرك أنت الأكبر الخلق كلهم لك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلا يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلاثمائة عام وما بين شحمتي أذنيه إلى عاتقه أربعمائة عام وقد احتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در أبيض وسبعين حجابا من ياقوت أحمر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلم علمه إلا الله تعالى فسبحان من له هذا الملك العظيم ولما كان تعالى لا يحيط به علما أحد من خلقه أشار إلى أنهم مع قربهم كغيرهم لا فرق في ذلك بينهم وبين من في الأرض السفلى بقوله تعالى ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ لأن الإيمان إنما يكون بالغيب فهم يصدقون بأنه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فإن قيل ما فائدة قوله تعالى ويؤمنون به ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون أجيب بأن فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأبان بذلك فضل الإيمان ولما كانوا أقربهم أشد الخلق خوفا لأنه على قدر القرب من تلك الحضرات يكون الخوف وكان أقرب ما يتقرب به إلى الملك المقرب إليه أهل وده نبه سبحانه بقوله تعالى ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي يطلبون محو الذنوب عينا وأثرا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي أوقعوا هذه الحقيقة فهم يستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفي ذلك تنبيه على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة وأبعث على إمحاض الشفقة وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الأماكن فإنه لا تجانس بين ملك وإنسان ولا بين سماوي وأرضي قط ولكن لما جاء جامع الإيمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض قال تعالى ويستغفرون لمن في الأرض واستغفارهم بأن يقولوا ﴿رَبَّنَا﴾ أي أيها المحسن إلينا بالإيمان وغيره فهو معمول لقول مضمر في محل نصب على الحال من فاعل يستغفرون أو خبر بعد خبر ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي وسعت رحمتك كل شيء وعلمك كل شيء فأزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم كأن ذاته رحمة وعلم واسعة

كل شيء وانما اكثر ما يكون الدعاء بذكر الرب لان الملائكة قالوا في هذه الآية وقال آدم عليه السلام ربنا ظلمنا
انفسنا وقال نوح عليه السلام رب ان قومي كذبون وقال رب اغفر لي ولوالدي وقال ابراهيم عليه
السلام رب ارني كيف تحيي الموتى وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك وقال يوسف عليه السلام رب قد
آتيتني من الملك وقال موسى عليه السلام رب ارني انظر اليك وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي
وقال سليمان عليه السلام رب اغفر لي وهب لي ملكا وقال عيسى عليه السلام ربنا انزل علينا مائدة
من السماء وقال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين فان قيل
لفظ الله اعظم من لفظ الرب فلم خص لفظ الرب بالدعاء اجيب بان العبد يقول كنت في العدم المحض
والنفي الصرف فاخرجتني الى الوجود وربيتني فاجعل تربيتك واحسانك سببا لاجابة دعائي فاغفر
للذين تابوا اي رجعوا اليك عن ذنوبهم برحمتك لهم بان تمحو ما عيناه وازل العقاب لاعتراف لا ذكر لها
واتبعوا اي كلفوا انفسهم على ما الهمهم البرهان ان لزموا سبيلك المستقيم الذي لا لبس فيه ولما كان
الغفران قد يكون لبعض الذنوب وكان سبحانه وتعالى له ان يعذب من لا ذنب له وان يعذب من غفر ذنبه قال وقهم
عذاب الجحيم اي اجعل بينهم وبينه وقاية بان تلزمهم الاستقامة وتتم نعمتك عليهم فانك وعدت
من كان كذلك بذلك ولا يبدل القول لديك وان كان يجوز ان تفعل ما تشاء وان الخلق
عبيدك ولما طلبوا من الله سبحانه وتعالى ازالة العذاب عنهم وكان ذلك لا يستلزم الثواب قالوا
مكررين صفة الاحسان زيادة في الرقة في طلب الامتنان ربنا اي المحسن الينا وادخلهم جنات عدن
اي اقامة التي وعدتهم اياها وقولهم ومن صلح معطوف على هم في وعدتهم وقدموا قولهم
من آبائهم على قولهم وازواجهم وذرياتهم لان الآباء احق الناس بالاجلال وقدموا الازواج
في اللفظ على الذرية لانهم اشد التصاقا بالشخص وطلبوا لهم ذلك لان الانسان لا يتم نعيمه الا باهله
قال سعيد بن جبير يدخل الجنة المؤمن فيقول اين ابي اين ولدي اين زوجتي فيقال له انهم
لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة انك انت اي وحدك
العزيز اي فانت تغفر لمن شئت الحكيم فكل فعلك في اتم مواضعه فلا يتهيأ لاحد نقضه ولا نقصه
وقهم السيئات اي بان تجعل بينهم وبينها وقاية بان تطهرهم من الاخلاق الحاملة عليها فان
قيل هذا مكرر مع قوله وقهم عذاب الجحيم اجيب بان التفاوت حاصل من وجهين احدهما
ان يكون قولهم وقهم عذاب الجحيم دعاء مذكورا للاصول وقولهم وقهم السيئات دعاء مذكورا
للفروع وهم الآباء والازواج والذريات ثانيهما ان يكون قوله وقهم عذاب الجحيم مقصورا على ازالة عذاب
الجحيم وقوله وقهم السيئات يتناول عذاب الجحيم وعذاب موقف يوم القيامة والسؤال والحساب
فيكون تعميما بعد تخصيص وهذا اولى وقال بعض المفسرين ان الملائكة طلبوا ازالة العذاب عنهم بقولهم وقهم
عذاب الجحيم وطلبوا ايصال الثواب اليهم بقولهم وادخلهم جنات عدن ثم طلبوا بعد ذلك ان يصونهم
الله تعالى في الدنيا من العقائد الفاسدة بقولهم وقهم السيئات وقرأ ابو عمرو في الوصل بكسر

الميم والهاء وحمزة والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم ثم قالت الملائكة
وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ اى جزاءها كلها او شيئاً منها يَوْمَئِذٍ اى يوم تدخل فريقاً الجنة وفريقاً النار المسببة
عن السيئات وهو يوم القيمة فَقَدْ رَحِمْتَهُ اى الرحمة الكاملة التى لا يستحق غيرها معها ان يسمى
رحمة فان تمام النعيم لا يكون الا بها لزوال التحاسد والتباغض والنجاة من النار باجتناب
السيئات ولذلك قالوا وَذَلِكَ اى الامر العظيم جداً هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ اى النعيم الذى لا ينقطع
فى جوار ملك لا تصل العقول الى كنه عظمته واجلاله وهذا آخر دعاء الملائكة للمؤمنين قال مطرف
انصح عباد الله تعالى للمؤمنين الملائكة واغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين ثم انه تعالى بعد ان
ذكر احوال المؤمنين عاد الى ذكر احوال الكافرين المجادلين فى آيات الله تعالى وهم المذكورون
فى قوله تعالى ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فقال تعالى مستأنفاً مؤكداً لانكارهم
آيات الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اى اوقعوا الكفر ولو لحظة يُنَادَوْنَ يوم القيمة وهم فى النار وقد
مقتوا انفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم لَمَقْتُ اللَّهِ اى الملك الاعظم
اياكم اكبر والمقت اشد البغض ولمقت الله لا نفسكم اكبر مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ فاستغنى بذكرها مرة وقوله تعالى
إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة
كان الله تعالى يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان يدعوكم الى الايمان فتأبون
قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم فى النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم
هواهن وذكروا فى تفسير مقتهم انفسهم وجوهاً اولها انهم اذا شاهدوا القيمة والجنة
والنار مقتوا انفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه الاشياء فى الدنيا ثانيها ان الاتباع
يشتد مقتهم للرؤساء الذين يدعونهم الى الكفر فى الدنيا والرؤساء ايضاً يشتد مقتهم للاتباع
فعبر عن مقت بعضهم بعضاً بانهم مقتوا انفسهم كقوله تعالى اقتلوا انفسكم والمراد ان يقتل بعضهم
بعضاً ثالثها قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهو فى النار بقوله ما كان لى عليكم من سلطان الى
قوله ولوموا انفسكم ففى هذه الحالة مقتوا انفسهم واما الذين ينادون الكفار بهذا الكلام فهم خزنة
جهنم وعن الحسن لما رأوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله اكبر وقيل معناه
لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم بعضاً كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً
واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض وذلك فى حق الله تعالى محال فالمراد منه اشد الانكار
والزجر وعن مجاهد مقتوا انفسهم حين رأوا اعمالهم ومقت الله تعالى اياهم فى الدنيا اذ يدعون
الى الايمان فيكفرون اكبر وقال الفراء معناه ينادون ان مقت الله يقال ناديت ان زيداً قائم
وناديت لزيد قائم وقرأ ابو عمرو وهشام وحمزة والكسائى بادغام الذال فى التاء والباقون بالاظهار
ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب قَالُوا رَبَّنَا اى ايها المحسن الينا بما تقدم
فى دار الدنيا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ اى اماتتين وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ اى احياءتين قال ابن عباس

وقتادة والضحاك كانوا امواتا فى اصلاب ابائهم فاحياهم الله تعالى فى الدنيا ثم اماتهم الموتة الاولى
التى لابد منها ثم احياهم للبعث يوم القيمة فهما موتتان وحياتان وهو كقوله تعالى كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال السدى اميتوا فى الدنيا ثم احيوا فى قبورهم للمسئلة
ثم اميتوا فى قبورهم ثم احيوا فى الاخرة وقيل واحدة عند انقضاء الاجال فى الحيوة الدنيا واخرى
بالصعق بعد البعث او الانشاد بعد سؤال القبر ورد بان الصعق ليس بموت وما فى القبر ليس
بحيوة حتى يكون عنه موت وانما هو اقدار على الكلام كما اقدر سبحانه الحصا على التسبيح والحجر
على التسليم والضب على الشهادتين فاعترفنا بذنوبنا اى بكفرنا بالبعث فهل الى خروج
من النار الى الدنيا فنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك من سبيل اى طريق ونظيره هل الى مرد من
سبيل والمعنى انهم لما عرفوا ان الذى كانوا عليه فى الدنيا كان فاسدا باطلا تمنوا الرجوع الى الدنيا
ليشتغلوا بالاعمال الصالحة فان قيل الفاء فى قوله تعالى فاعترفنا بذنوبنا تقتضى ان تكون الاماتة
مرتين والاحياء مرتين سببا لهذا الاعتراف فما وجه هذه السببية اجيب بانهم كانوا منكرين
البعث فلما شاهدوا هذا الاحياء بعد الاماتة مرتين لم يبق لهم عذر فى الاقرار بالبعث فلاجرم
وقع هذا الاقرار كالمسبب عن تلك الاماتة والاحياء ولما كان الجواب قطعا لا سبيل الى ذلك
علله بقوله تعالى ذلكم اى العذاب الذى انتم فيه العظيم العالى بخلودكم فى النار متناهيه لكم بانه اى كان
بسبب انه اذا دعى الله اى الملك الاعظم من اى داع وفى اعراب قوله تعالى وحده وجهان
احدهما انه مصدر فى موضع الحال وجاز ذلك لكونه معرفة لفظا لكونه فى قوة النكرة كانه قيل منفردا
ثانيهما وهو قول يونس انه منصوب على الظرف والتقدير دعى على حدته وهو مصدر محذوف
الزوائد والتقدير اوحدته ايحادا كفرتم بتوحيده وان يشرك به اى يجعل له تعالى شريك
تؤمنوا اى تصدقوا بالاشراك فالحكم اى فتسبب عن القطع بانه لايصح وان الكفار ما ضروا
الا انفسهم مع ان ما اتبعوه العقول السليمة فى ذلك ان الحكم كله لله اى المحيط بصفات الكمال العلى
اى عن ان يكون له شريك الكبير اى الذى لايليق الكبر الا له ولما قصر الحكم عليه دل على ذلك
بقوله تعالى هو اى وحده الذى يريكم اى بالبصر والبصيرة اياته اى علاماته الدالة على تفرده
بصفات الكمال وانه لا يجوز جعل هذه الاحجار المنحوتة والخشب المصورة شركاء الله عز وجل
فى العبودية ومن اياته الدالة على كمال القدرة والعظمة قوله تعالى وينزل لكم من السماء اى
جهة العلو الدالة على قهر ما دونها بامساكه الى حين الحكم بنزوله رزقا اى اسباب رزق
كالمطر لاقامة ابدانكم لان اهم المهمات رعاية مصالح الاديان ومصالح الابدان والله تعالى راعى
مصالح اديان العباد باظهار البينات والايات وراعى مصالح ابدانهم بانزال الرزق من السماء فموقع
الايات من الاديان كموقع الارزاق من الابدان فعند حصولهما يحصل الانعام الكامل وقرأ ابن كثير وابو عمرو
بسكون النون وتخفيف الزاى والباقون بفتح النون وتشديد الزاى وما يتذكر اى يتذكر

تا ما يتعظ بهذه الآيات إلا من ينيب أي يرجع إلى الله تعالى ويقبل بكليته إلى الله تعالى فإنهم
امره فيعرض عن غير الله تعالى ولهذا قال عز من قائل فادعوا وصرح بالاسم الاعظم فقال
تعالى الله الذي له صفات الكمال أي فاعبدوه مخلصين له الدين أي الأعمال التي يقع الجزاء
عليها فمن كان يصدق بالجزاء وبأن ربه غني لا يقبل الا الخالص اجتهد في تصفية أعماله فيأتي
بها في غاية الخلوص عن كل ما يمكن أن يكدره من غير شائبة شرك جلي أو خفي كما أن معبوده
واحد من غير شائبة نقص ولو كره أي الدعاء منكم الكافرون أي الساترون لأنوار عقولهم
+ ولما ذكر تعالى من صفات كبريائه كونه مظهر الآيات ذكر ثلاثة أخرى من صفات الجلال
والعظمة وهي قوله تعالى رفيع الدرجات وهذا يحتمل أن يكون المراد منه الرافع وأن يكون المراد منه
المرتفع فإن حملناه على الأول ففيه وجهان أولهما أنه تعالى يرفع درجات الأنبياء والأولياء
ثانيهما يرفع درجات الخلق في العلوم والأخلاق الفاضلة فجعل لكل أحد من الملائكة درجة معينة
كما قال تعالى عنهم وما منا إلا له مقام معلوم وجعل لكل واحد من العلماء درجة معينة فقال تعالى
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وعين لكل جسم درجة معينة فجعل بعضها سفلية
كدرة وبعضها فلكية وبعضها من جواهر العرش والكرسي وأيضا جعل لكل واحد درجة معينة في الخلق
والخلق والرزق والأجل فقال تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض
درجات وجعل لكل واحد من السعداء والأشقياء في الدنيا درجة معينة من موجبات السعادة
وموجبات الشقاوة وفي الآخرة تظهر تلك الآثار وإن حملنا الرفيع على المرتفع فهو سبحانه وتعالى أرفع
الموجودات في جميع صفات الكمال والجلال + تنبيه + في رفيع وجهان أحدهما أنه مبتدأ والخبر
ذو العرش أي الكامل الذي لا عرش في الحقيقة إلا هو فهو محيط بجميع الأكوان ومادة لكل جماد
وحيوان ومال جلاله وعظمته عن كل ما يخطر في الأذهان وقوله تعالى يلقي الروح أي الوحي
سماه روحا لأنه يحيا به القلوب كما تحيا الأبدان بالأرواح من أمره قال ابن عباس أي من قضائه
وقوله يلقي يجوز أن يكون خبرا ثانيا وأن يكون حالا ويجوز أن تكون الثلاثة أخبارا لقوله تعالى
هو الذي يريكم آياته + ولما كان أمره تعالى غالبا على كل أمر أشار إلى ذلك بأداة الاستعلاء
فقال تعالى على من يشاء أي يختار من عباده للنبوة وفي هذا دليل على أنها عطائية وقوله لينذر
أي يخوف غاية الإنذار والفاعل هو الله تعالى أو الروح أو من يشاء أو الرسول والمنذر به محذوف
تقديره لينذر العذاب يوم التلاق أي يوم القيامة فإن فيه تتلاقى الأرواح والأجساد وأهل
السماء والأرض وقال مقاتل يلتقي الخلق والخالق تعالى وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم
وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي فيه المرء وعمله والأولى أن تفسر الآية بأشمل الجميع
يوم هم بارزون أي خارجون من قبورهم وقيل ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل ولا تل
أو غيره لك وقيل بارزون كناية عن ظهور أعمالهم وانكشاف أسرارهم كما قال تعالى يوم تبلى

السرائر والاولى ايضا ان تفسر الآية بما يشمل الجميع كما قال تعالى لا يخفى على الله اى المحيط علما وقدرة منهم اى من اعمالهم واحوالهم شئ وان دق وخفى ويقول الله تعالى فى ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك اليوم اى يا من كانوا يعملون اعمال من يظن انه لا يقدر عليه احد فلا يجيبه احد فيجيب نفسه فيقول تعالى لله اى الذى له جميع صفات الكمال ثم دل على ذلك بقوله تعالى الواحد اى الذى لا يمكن ان يكون له ثان بشركة ولا قسمة ولا غيرهما القهار اى الذى قهر الخلق بالموت وقيل يجيبونه بلسان الحال او المقال فيقولون ذلك وقال الرازى لا يبعد ان يكون السائل والمجيب هو الله تعالى ولا يبعد ايضا ان يكون السائل جمعا من الملائكة والمجيب جمعا آخرين وليس على التعيين فان قيل الله تعالى لا يخفى عليه شئ منهم فى جميع الايام فما معنى تقييد هذا العلم بذلك اليوم اجيب بانهم كانوا يتوهمون فى الدنيا انهم اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم فى ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما يتوهمون فى الدنيا كما قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم وهو معنى قوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهار ولما اخبر تعالى عن اذعان كل نفس بانقطاع الاسباب اخبرهم بما يزيل تعجبهم ويبعث رغبتهم وهو نتيجة تفرده بالملك فقال تعالى اليوم تجزى اى تعطى عطاء كل نفس بما اى بسبب ما كسبت اى عملت لا تترك نفس واحدة لان العلم قد شملهم والقدرة قد احاطت بهم وعمتهم والحكمة قد منعت من اهمال احد منهم فيجزى المحسن باحسانه والمسئ باساءته لا ظلم اليوم اى بوجه من الوجوه ان الله اى التام القدرة الشامل العلم سريع الحساب اى بليغ السرعة فيه لا يشغله حساب احد عن حساب غيره فى وقت حساب ذلك لغيره ولا يشغله شأن عن شأن لانه تعالى لا يحتاج الى تكلف عد ولا يفتقر الى مراجعة كتاب ولا شئ فكان فى ذلك ترجية وخوف للفريقين لان المؤمن يرجو اسراع البسط بالثواب والظالم يخشى اسراع الاخذ بالعذاب وعن ابن عباس اذا اخذ فى حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها ثم نبه تعالى بقوله سبحانه وانذرهم يوم الآزفة اى القيامة على ان يوم القيامة قريب ونظيره قوله تعالى اقتربت الساعة قال الزجاج انما قيل لها آزفة لانها قريبة وان استبعد الناس مداها لان ما هو كائن قريب والآزفة فاعلة من ازف الامر اذا دنا وحضر كقوله تعالى فى صفة القيامة ازفت الآزفة اى قربت قال النابغة

ازف الترحل غير ان ركابنا ✽ لما تزل برحالنا وكان قد

وقال كعب بن زهير

بان الشباب وهذا الشيب قد ازفا ✽ ولا ارى لشباب بائن خلفا

فشبه بالآزفة لشخوصها وقيل يوم القيامة الآزفة او يوم المنازلة الآزفة قال القفال واسماء القيامة تجرى على التأنيث كالطامة والحاقة لانها رجع معناها الى الداهية ويوم القيامة له اسماء كثيرة تدل على اهواله باعتبار مواقفه واحواله منها يوم البعث وهو ظاهر

ومنها يوم التلاق لما مر ومنها يوم التغابن لغبن الكافر فيه وخسرانه وقيل المراد بيوم الآزفة
مشارفتهم دخول النار فان عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف وقال ابو مسلم هو يوم
حضور الاجل فان يوم الموت بالقرب اولى من وصف يوم القيامة بالقرب + ولما ذكر تعالى اليوم
هوّل امره بما يحصل فيه من المشاق بقوله تعالى إذِ القُلوبُ اي من كل من حضر ترتفع لَدَى اي عند
الحَناجِرِ اي حناجر المجموعين فيه وهي جمع حنجرة وهو الحلقوم يعني انها انتزعت اماكنها صاعدة من
كثرة الرعب حتى كادت تخرج + ثم اسند اليها ما يسند للعقلاء فقال تعالى كاظِمِينَ اي ممتلئين
خوفا ورعبا وحزنا مكروبين فقد اشتدت مجاري انفاسهم واحتبس احساسهم + ولما كان
من المعهود ان الصداقات تنفع في مثل ذلك الشفاعات قال تعالى مستانفا ما لِلظّالمينَ اي العريقين
في الظلم مِن حَميمٍ اي قريب صادق في مودته مهتم بامورهم مشفق لما يرهقهم ولا شَفيعٍ يُطاعُ
فيشفع لهم + تنبيه + احتج المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة عن المذنبين فقالوا نفي حصول شفيع
لهم يطاع يوجب ان لا يحصل لهم هذا الشفيع واجيبوا بوجوه اولها انه تعالى نفي ان يحصل لهم
شفيع يطاع وهذا لا يدل على نفي الشفيع كقولك ما عندي كتاب يباع فهذا يقتضي نفي الكتاب فهذا
ينفي ان لهم شفيعا يطيعه الله تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه ثانيها ان المراد بالظالمين في هذه
الاية هنا الكفار لان الاية وردت في زجر الكفار قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم ثالثها ان لفظ الظالمين
اما ان يفيد الاستغراق اولا فان كان المراد جميعهم فيدخل فيه الكفار فعندنا انه ليس لهذا
الجمع شفيع لان بعضه كفار وليس لهم شفيع فحينئذ لا يكون لهذا الجمع شفيع وان لم يفد الاستغراق
كان المراد من الظالمين بعض الموصوفين بهذه الصفة ليس لهم شفيع + ولما امر الله تعالى بانذار
يوم الآزفة وما يعرض فيه من شدة الغم والكرب وان الظالم لا يجد من يحميه ولا شفيع لذكر
اطلاعه على جميع ما يصدر من الخلق سرا وجهرا فقال تعالى يَعلَمُ خائِنَةَ الأعيُنِ اي خيانتها التي
هي اخفى ما يقع من افعال الظاهر جعل الخيانة مبالغة في الوصف وهو الاشارة بالعين قال ابو حيان
من كسر جفن وغمز ونظر يفهم المراد + ولما ذكر اخفى افعال الظاهر اتبعه اخفى افعال الباطن فقال تعالى
وَما تُخفِي الصُّدورُ اي القلوب فعلم من ذلك ان الله تعالى عالم بجميع افعالهم لان الافعال على
قسمين افعال الجوارح وافعال القلوب فاما افعال الجوارح فاخفاها خيانة الاعين والله تعالى عالم
بها فكيف الحال في سائر الاعمال واما افعال القلوب فهي معلومة لله تعالى لقوله عز وجل وما
تخفي الصدور + قوله تعالى وَاللهُ اي المتصف بجميع صفات الكمال يَقضي بِالحَقِّ اي الثابت الذي لا ينتفي
بوجه فيعظم الخوف لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال وثبت انه لا يقضي الا بالحق في كل ما دق
وجل كان خوف المذنب منه في الغاية القصوى ولما تعلق الكفار في دفع العقاب عن انفسهم
على شفاعة هذه الاصنام بين الله تعالى انه لا فائدة فيها البتة فقال تعالى وَالّذينَ يَدعُونَ اي
ع ۱۰ يعبدون مِن دُونِهِ وهم الاصنام لا يَقضُونَ لهم بِشَيءٍ من الاشياء اصلا فكيف يكونون

شركاء لله تعالى وقرأ نافع وهشام تدعون بتاء الخطاب للمشركين والباقون بياء الغيبة اخبارا
عنهم بذلك. ولما اخبر تعالى انه لا فعل لشركائهم دل على ان الامر له وحده فقال تعالى مؤكدا لاجل ان
افعالهم تقتضي انكار ذلك إِنَّ ٱللَّهَ اي المنفرد بصفات الكمال هُوَ اي وحده ٱلسَّمِيعُ اي لجميع
اقوالهم ٱلْبَصِيرُ اي بجميع افعالهم ففي ذلك تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد
لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه فثبت ان الامر له وحده
فلا تنفعهم شفاعة الشافعين ولا تقبل يومئذ من احد شفاعة بعد الشفاعة العامة التي هي خاصة
بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهي المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرون فان كل احد
يحجم عنها حتى يصل الامر اليه صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها انا لها ثم يذهب الى المكان الذي اذن
له فيه فيشفع فيشفعه الله تعالى فيفصل سبحانه وتعالى بين الخلائق ليذهب كل احد الى داره جنته
او ناره. ولما اوعدهم سبحانه بصادق الاخبار عن قوم نوح ومن تبعهم من الكفار وختمه بالانذار
بيانهم في دار القرار للظالمين الاشرار اتبعه الوعظ والتخويف بالمشاهدة ممن تقدم الذين بادوا بالاخذ
بما كانت لهم فيها من عجائب الآثار فقال عز من قائل أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ اي في ارض
ساروا فيها فَيَنظُرُوا۟ اي نظر اعتبار كما هو شأن اهل البصائر كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ اي آخر امر ٱلَّذِينَ
كَانُوا۟ اي سكانا للارض متقدمين في عمارتها مِن قَبْلِهِمْ اي قبل زمانهم من الكفار كعاد وثمود
كَانُوا۟ هُمْ اي المتقدمون لما لهم من القوة الظاهرة والباطنة أَشَدَّ مِنْهُمْ اي من هؤلاء قُوَّةً اي
ذوات ومعاني وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من المعرفة في امتناع
دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر منكم بكاف والباقون بهاء الغيبة وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ لان منهم
لم يندرس بعضها الى هذا الزمان وقد مضى عليه الوقت من السنين واما المتاخرون فتنطمس
آثارهم في اقل من قرن ومع قوتهم فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ اي الذي له صفات الكمال اخذ غلبة
وقهر وسطوة بِذُنُوبِهِمْ اي بسببها وَمَا كَانَ لَهُم من شركائهم الذين ضلوا بهم حتى لا يرون
مِّنَ ٱللَّهِ اي المتصف بجميع صفات الكمال مِن وَاقٍ اي يقيهم عذابه والمعنى ان العاقل من اعتبر
بغيره وان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء. ولما لم يكن لهم واق من الله
تعالى عاجلا وقرأ ابن كثير في الوقف بالياء بعد القاف والباقون بغير ياء واتفقوا على التنوين
في الوصل ثم ذكر تعالى سبب اخذهم بقوله تعالى ذَٰلِكَ اي الاخذ العظيم بِأَنَّهُمْ اي الذين كانوا من قبل
كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ اي الآيات الدالة على صدقهم دلالة هي من وضوح الامر
بحيث لا يسع منصفا انكارها وقرأ ابو عمرو بسكون السين والباقون بضمها. ولما كان مطلق الكفر
كافيا في العذاب عبر بالماضي فقال تعالى فَكَفَرُوا۟ اي ستروا عن اتيان الرسل عليهم السلام اليهم
بهم فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ اي الملك الاعظم اخذ غضب إِنَّهُۥ قَوِىٌّ اي متمكن مما يريد غاية التمكن شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ لا يؤبه بعقاب دون عقابه. ولما سلى تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بذكر الكفار الذين

الذين الانبياء عليهم السلام قبله ويشاهدون آثارهم سلاه ايضا بذكر قصة موسى عليه السلام المذكورة
في قوله تعالى ولقد ارسلنا اي على ما لنا من العظمة موسى بآياتنا اي الدالة على جلالنا وسلطان
اي امر قاهر عظيم جدا لا حيلة لهم في مدافعة شيء منه مبين اي بين في نفسه يتبين لكل من
يمكن اطلاعه عليه انه ظاهر وذلك الامر هو الذي كان يمنع فرعون من الوصول اليه اذا
هم مع ما له من القوة والسلطان الى فرعون اي ملك مصر وهامان اي وزيره وقارون اي
قريب موسى فقالوا اي هؤلاء ومن معهم هو ساحر لعجزهم عن مقاهرته اما من عدا قارون
فقالوا ذلك بالقوة والفعل واما قارون ففعله اخرا بين انه مطبوع على الكفر وان آمن
اولا وان هذا كان قوله وان لم يقله بالفعل في ذلك الزمان فقد قاله في النية فدل ذلك على انه
لم يزل قائلا به لانه لم يتب منه ثم وصفوه بقولهم كذاب تنفيرا لهم من تصديق الناس له فلما جاءهم
بالحق اي بالامر الثابت الذي لا طاقة لاحد بتغيير شيء منه كائنا من عندنا على ما لنا من القهر فآمن
معه طائفة من قومه قالوا اي فرعون واتباعه اقتلوا اي قتلا حقيقيا بازالة الروح ابناء الذين
آمنوا به اي فكانوا معه اي خصوهم بذلك واتركوا من عداهم فلعلهم يكذبونه واستحيوا
نساءهم اي اطلبوا حياتهن بان لا تقتلوهن قال قتادة هذا غير القتل الاول لان فرعون كان
قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام اعاد القتل عليهم فمعناه اعيدوا
عليهم القتل لئلا ينشؤا على دين موسى فيقوى بهم وهذه العلة مختصة بالبنين فلهذا امر بقتل
الابناء واستحياء نسائهم وما اي والحال انه ما كيد الكافرين تعميما وتعليقا بالوصف الا في ضلال
اي ضياع للسداد الموصل الى الظفر والفوز لانه ما افادهم ولا في الحد من موسى عليه السلام
ولا اغنى في منع من آمن به مرادهم بل كان فيه تبارهم وهلاكهم وكذا افعال الفجرة مع اولياء الله
ما حصل لاحد منهم حقيقة مكر الا اركسه الله تعالى فيها وقال فرعون اي اعظم الكفرة
في ذلك الوقت لوهن ما اتباعه عند ما ظن انه عاجز عن قتله ولما كان له منه خوف دافعا
عن نفسه ما يقال من انه ما ترك موسى عليه السلام استهانة به لا عجزا منه موهما ان قومه هم الذين
يردونه عنه وانه لولا ذلك لقتله ذروني اي اتركوني على اي حالة كانت اقتل موسى وذلك لانها
للانبياء والمتابعة على نفسه عند البصراء بقوله وليدع ربه اي الذي يدعوه ويدعي احسانه
اليه فيما يظهر على يديه من هذه الخوارق وقيل كان في خاصة قوم فرعون من منعه من قتل موسى
خوفا من قتله وجوه اي لولا العلة كان فيهم من يعتقد بقلبه كون موسى صادقا فيتحيل في منع فرعون
من قتله وثانيها قال الحسن ان اصحابه قالوا له لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف لا يمكن ان يغلب سحرنا فان
قتلته ادخلت الشبهة على الناس ويقولون انه كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه وثالثها انهم كانوا يحتالون
في منعه من قتله لاجل ان يبقى فرعون مشتغلا بالقلب بموسى فلا يتفرغ لتأديب تلك الاقوام لان
من شأن الامراء ان يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي حتى يصيروا امنين من قبل ذلك الملك

وقرأ ابن كثير بفتحها ايضا معا والباقون بالسكون ثم ذكر فرعون السبب الموجب لقتل موسى عليه السلام
وهو اما فساد الدين او فساد الدنيا فقال انى اخاف اى ان تركته ان يبدل دينكم او ان يظهر
فى الارض الفساد اى لا بد من وقوع احد الامرين اما فساد الدين واما فساد الدنيا اما فساد
الدين فلان القوم اعتقدوا ان الدين الصحيح هو دينهم الذى كانوا عليه فلما كان موسى عليه السلام
ساعيا فى افساده اعتقدوا انه ساع فى افساد الدين الحق واما فساد الدنيا فهو ان يجتمع عليه اقوام
ويصير ذلك سببا فى وقوع الخصومات واثارة الفتن وبدأ فرعون بذكر الدين اولا لان
حب الناس لاديانهم فوق حبهم لاموالهم ولما توعد فرعون موسى عليه السلام بالقتل لم يأت
فى دفع شره الا بان استعان بالله واعتمد على فضله كما قال تعالى وقال موسى انى عذت اى اعتصمت
عند ابتداء الرسالة بربى وربكم فى الاعتصام به وشم بقوله وربكم اى المحسن الينا جميعا بارسالى لاستنقاذكم
من اعداء الدين والدنيا من كل متكبر اى عات طاغ متعظم على الحق مال او غيره لا يؤمن اى لا يتجدد
له تصديق بيوم الحساب اى من ربه لانه ومن لم يعلم انه لا بد من حساب هو فيه تحت يد الامر علم انه
فيحكم على ربه بما لا يحكم به على نفسه وبهذين الامرين يقدم الانسان على ايذاء الناس لان المتكبر
القاسى القلب تدعوه طبيعته الى ايذاء الناس الا انه اذا كان مقرا بالبعث والحساب صار
خوفه من الحساب مانعا له من الجرى على موجب تكبره فاذا لم يحصل له الايمان بالبعث
والقيامة كان طبعه داعيا له الى الايذاء لان المانع وهو الخوف من السؤال والحساب زائل فلا جرم
تحصل القسوة والايذاء واختلفوا فى الرجل المؤمن فى قوله تعالى وقال رجل مؤمن اى راسخ
الايمان من ال فرعون اى من وجوههم ورؤسائهم يكتم ايمانه اى يخفيه خوفا شديدا
خوفا على نفسه فقال مقاتل والسدى كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذى حكى الله تعالى عنه وجاء رجل
من اقصى المدينة يسعى وقيل كان اسرائيليا وعن ابن عباس لم يكن فى ال فرعون مؤمن غيره وغير
امراة فرعون وغير المؤمن الذى انذر موسى عليه السلام الذى قال ان الملأ يأتمرون بك
ليقتلوك وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الصديقون حبيب النجار مؤمن ال يس ومؤمن
ال فرعون الذى قال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله والثالث ابو بكر الصديق وهو افضلهم
وعن جعفر بن محمد ان مؤمن ال فرعون قال ذلك سرا وقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه جهارا اتقتلون
رجلا ان يقول ربى الله وروى عن عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرنى
باشد ما صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابى معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى
عنقه فخنقه خنقا شديدا فقال له انت الذى تنهانا عما كان يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فاقبل ابو بكر رضى
الله تعالى عنه فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله
وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكان ابو بكر اشد من ذلك وعن انس بن مالك قال ضربوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى غشي عليه فقام أبو بكر فجعل ينادي ويلكم أتقتلون
رجلا أن يقول ربي الله قالوا من هذا قالوا ابن أبي قحافة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
وأكثر العلماء كان اسم الرجل حزقيل وقال ابن إسحاق جبريل وقيل حبيب. ولما حكى
الله تعالى عن موسى عليه السلام أنه ما زاد في دفع شر فرعون وشره على الاستعاذة بالله تعالى
بين أنه تعالى قيض له إنسانا أجنبيا حتى دفع عنه بأحسن الوجوه وبالغ في تسكين تلك الفتنة
فقال أتقتلون رجلا أي هو عظيم في الرجال حسا ومعنى ثم علل قتلهم له بما ينافيه فقال أن
أي لأجل أن يقول ولا علة بسبيل الادعاء ربي أي المربي والمحسن إلي الله أي الملك الأعظم اختصاصا
الكامل وقد أي والحال أنه قد جاءكم بالبينات أي الآيات الظاهرات التي لا تدفع ليس
من ربكم أي الذي لا إحسان عندكم إلا منه ثم ذكر ذلك المؤمن حجة ثانية على أن الإقدام على
قتله غير جائز وهي حجة مذكورة على طريق التقسيم فقال وإن يك أي هذا الرجل كاذبا أي بالغا
أي مبالغة لبيان أي كاذب فعليه كذبه وليس عليكم منه ضرر فاتركوه وإن يك صادقا
يصبكم بعض الذي يعدكم أي الذي يتوعدكم به إن تعرضتم له ولا ينفعكم شيئا فإن قيل لم قال
بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله أجيب بأنه إنما قال ذلك ليهضم
موسى بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا
عن أن يتعصب له وهذا أولى من قول أبي عبيدة وغيره أن بعض بمعنى كل وأنشد قول لبيد
تراك أمكنة إذا لم أرضها ... أو يرتبط بعض النفوس حمامها وأنشد أيضا قول عمرو بن شييم
قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل وقال الآخر
إن الأمور إذا الأحداث دبرها ... دون الشيوخ ترى في بعضها خللا وقوله إن الله أي الذي له جميع العظمة
لا يهدي أي إلى ارتكاب ما ينفعه واجتناب ما يضره من هو مسرف أي متجاوز للحدود في العدوان
كذاب أي مبالغ في الكذب فيه احتمالان أحدهما أن هذا إشارة إلى الرمز والتعريض بعلو شأن
موسى عليه السلام والمعنى أن الله تعالى هدى موسى عليه السلام إلى الإتيان بالمعجزات
الباهرة ومن هداه الله تعالى إلى الإتيان بالمعجزات لا يكون مسرفا كذابا فدل على أن موسى
عليه السلام ليس من المسرفين الكذابين ثانيهما أن يكون المراد أن فرعون مسرف
في عزمه على قتل موسى عليه السلام كذاب في ادعائه الإلهية والله تعالى لا يهدي
من هذا شأنه وصفته بل يبطله ويهدم أمره. ولما استدل مؤمن آل فرعون على أنه
لا يجوز قتل موسى عليه السلام خوف فرعون وقومه ذلك العذاب الذي أوعدهم به
في قوله يصبكم بعض الذي يعدكم فقال يا قوم عبر بأسلوب الخطاب دون التكلم تصريحا
بالمقصود فقال لكم الملك ونبه على ما يعرفونه من تقلبات الدهر بتقييده باليوم وأشار إلى
ما يحذره من الخذلان في بعض الأزمان بقوله ظاهرين أي عالين على بني إسرائيل

وغيرهم فيما الى اهل البلاد يتوقعون الرخاء واهل الرخاء يتوقعون البلاء وبينه بقوله في الارض اي
ارض مصر على الاحتياج ترهيبا لهم وعرفها لانها كالارض كلها لحسنها وجمعها المنافع ثم حذرهم
من سخط الله تعالى فقال فمن ينصرنا اي انا وانتم ادرج نفسه فيهم عند ذكر الشر بعدما افردهم
بالملك ابعادا للتهمة وحثا على قبول النصيحة من بأس الله اي الذي له الملك كله ان جاءنا
اي غضبا لهذا الذي يدعي انه ارسله فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله تعالى بقتله فانه ان
جاءنا لم يمنعنا منه احد + ولما قال المؤمن هذا الكلام قال فرعون اي لقومه جوابا لما قاله هذا المؤمن
ما اريكم من الآراء الا ما ارى اي انه صواب على قدر مبلغ علمي لا ارى لكم الا ما ارى لنفسي وقال
الضحاك ما اعلمكم الا ما اعلم وما اهديكم اي بما اشير به عليكم من قتل موسى وغيره الا سبيل الرشاد
اي الذي ارى انه صواب لا اظهر شيئا وابطن غيره ولما ظهر لهذا المؤمن ان فرعون ذل لكلامه
ارتقى الى اصرح من الاسلوب الاول كما اخبر الله تعالى بقوله وقال الذي آمن اي بعد قول فرعون
هذا الكلام الذي دل على عجزه وجهله وذله يا قوم واكد لما اي عندهم من انكار امره وخلاف
اتهامه فقال اني اخاف عليكم اي من المكابرة في امر موسى عليه السلام مثل يوم الاحزاب
اي ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مع ان
افراده اردع واقوى في التخويف وافظع للاشارة الى قوة الله تعالى وانه قادر على اهلاكهم في اقل
زمان ولما اجمل فصل وبين او ابدل بعد ان هول بقوله مثل دأب اي عادة قوم نوح اي فيما
دهمهم من الهلاك الذي محقهم فلم يطيقوه مع ما كان فيهم من قوة المعاندة والمقاومة لما يريد
وعاد وثمود مع ما بلغكم من جبروتهم + تنبيه + لا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم
+ ولما كان هؤلاء اقوى الامم اكتفى بهم واجمل من بعدهم فقال والذين من بعدهم اي بالقرب
من زمانهم كقوم لوط وما الله اي الذي له الاحاطة باوصاف الكمال يريد ظلما للعباد اي
فلا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ولا يهلكهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ
من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه حدوث تعلق ارادته بالظلم + ولما
اشرق من افاق هذا الوعظ شمس البعث ونور الحشر قال ويا قوم اني اخاف عليكم وقوله يوم التناد اجمع المفسرون
انه يوم البعث وفي تسميته بهذا الاسم وجوه اولها ان اصحاب النار ينادون اصحاب الجنة واصحاب
الجنة ينادون اصحاب النار كما حكى الله تعالى عنهم ثانيها قال الزجاج هو قوله تعالى يوم ندعو كل اناس
بامامهم ثالثها ينادي بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون يا ويلنا رابعها ينادون الى المحشر
خامسها ينادي المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه والكافر يا ليتني لم اوت كتابيه سادسها ينادى باللعنة على
الظالمين سابعها يجاء بالموت على صورة كبش املح ثم يذبح بين الجنة والنار ثم ينادى يا اهل الجنة خلود
فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثامنها ينادى بالسعادة والشقاوة الا ان فلان بن فلان
سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وفلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وهذه الامور كلها

تجتمع فى هذا اليوم فلا بد من تسميته بما كلها لما كان عادة المتنادين الاقبال وصف ذلك اليوم
بضد ذلك لشدة الاهوال فقال تعالى مبدلا او مبينا يوم تولون اى عن الموقف مدبرين قال
الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا
فيرجعون الى اماكنهم فذلك قوله تعالى والملك على ارجائها وقوله تعالى يا معشر الجن والانس
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقال مجاهد
فارين من النار غير معجزين وقيل منصرفين عن الموقف الى النار ثم اكد التهديد بقوله تعالى
ما لكم من الله اى الملك الجبار الذى لا يذل من عاصم اى من فئة تحميكم وتنصركم وتمنعكم من عذابه + ثم
نبه على قوة ضلالهم وشدة جهالتهم فقال تعالى ومن يضلل الله اى الملك المحيط بكل شئ فما له من
هاد اى شئ ينفعه بوجه من الوجوه + تنبيه + فى قراءة هاد ما تقدم فى قوله من واق + ولما قال لهم
مؤمن آل فرعون ومن يضلل الله فما له من هاد ذكر لهم مثالا بقوله تعالى ولقد جاءكم اى جاء
اباءكم يا معشر القبط ولكنه عبر بذلك دلالة على انهم على مذهب الاباء كما جرت به العادة من التقليد
ومن انهم على طبعهم لا سيما ان كان زمانهم قريبا فانهم يوسف اى نبى الله ابن نبى الله يعقوب
ابن نبى الله اسحق بن خليل الله ابراهيم عليهم وعلى نبينا محمد افضل الصلوة والسلام من قبل اى
قبل زمن موسى عليه السلام بالبينات اى الآيات الظاهرات لا سيما فى امر يوم التناد فما زلتم اى
ما برحتم انتم تبعا لآبائكم فى شك اى محيط بكم لم تصلوا الى رتبة الظن مما جاءكم به من التوحيد وقال
ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له فلم تنفعوا انفسكم بتلك البينات ودل على تمادى
شككم بقوله تعالى حتى اذا هلك فهو غاية اى فدمتم فى شك حتى هلك قلتم لن يبعث الله اى
الذى له صفات الكمال من بعده اى يوسف عليه السلام رسولا اى اقمتم على كفركم وظننتم ان الله
لا يجدد عليكم الحجة وهذا ليس اقرارا منهم برسالته بل هو ضم منهم الى الشك فى رسالته والتكذيب
برسالة من بعده وقوله تعالى كذلك خبر مبتدأ مضمر اى الامر كذلك او مثل هذا الضلال يضل
الله اى بما له من صفات القهر من هو مسرف اى مشرك متغال فى الامور الخارج عن الحد
مرتاب اى شاك فيما تشهد به البينات بغلبة الوهم والانهماك فى التقليد ثم بين تعالى ما لاجله
بقوا فى الشك والاسراف فقال سبحانه الذين يجادلون وهو مبتدأ اى يخاصمون خصاما شديدا
فى آيات الله اى المحيط باوصاف الكمال لا سيما الآيات الدالة على يوم التناد فانها اظهر الآيات
وكذا الآيات الدالة على وجوده سبحانه وتعالى على ما هو عليه من الصفات والافعال وما يجوز عليه
او يستحيل بغير سلطان اى برهان أتاهم وقوله كبر اى جدالهم مقتا خبر المبتدأ ويجوز فى الذين
اوجه ايضا منها انه بدل من قوله تعالى من هو مسرف وانما جمع اعتبارا بمعنى من ومنها ان يكون
بيانا له ومنها ان يكون صفة له وجمع على معنى من ايضا ومنها ان ينصب باضمار اعنى قال الزجاج قوله
الذين يجادلون تفسير للمسرف المرتاب يعنى هم الذين يجادلون فى آيات الله اى فى ابطالها بالتكذيب

بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله اى الملك الاعظم وكبر مقتا ايضا عند الذين آمنوا اى الذين هم خاصته ودلت الآية على انه يجوز وصفه تعالى بانه مقت بعض عباده الا انها صفة واجبة التاويل فى حق الله تعالى كالغضب والحياء والعجب وقوله تعالى كذلك اى ومثل هذا الطبع العظيم يطبع الله اى الذى له جميع العظمة يدل على ان الكل من عند الله كما هو مذهب اهل السنة على كل قلب متكبر اى متكلف ما ليس له وليس لاحد غير الله جبار اى ظاهر الكبر قويه قهار قال مقاتل الفرق بين المتكبر والجبار ان المتكبر عن قبول التوحيد والجبار فى غير الحق قال الرازى كان السعادة فى امرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فعلى قول مقاتل المتكبر كالمضاد للتعظيم لامر الله والجبار كالمضاد للشفقة على خلق الله وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان بتنوين الباء الموحدة ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عينى وسمعت اذنى او على حذف مضاف اى على كل ذى قلب متكبر جبار فهى حينئذ مساوية لقراءة الباقين بغير تنوين ثم ان فرعون عليه اللعنة اعرض عن جواب المؤمن لانه لم يجد فيه مطعنا وقال فرعون يا هامان وهو وزيره ابن وعرفه بنداءه اهتمامه بالاضافة اليه فى قوله ابن لى صرحا اى بناء مكشوفا عاليا لا يخفى على الناظر وان بعد من صرح الشئ اذا ظهر لعلى ابلغ الاسباب اى التى لا اسباب غيرها لعظمها وتعليله بالترجى الذى لا يكون الا فى الممكن دليل على انه كان يلبس على قومه وهو يعرف الحق فان عاقلا لا يعد ما رامه فى عداد الممكن العادى ولما كان بلوغها امرا عظيما اورده على نمط مشوق اليه ليعطيه السامع حقه من الاهتمام تفخيما لشانه ليتشوف السامع الى بيانه بقوله اسباب السموات اى الامور الموصلة اليها وكل ما اداك الى شئ فهو سبب اليه وقرأ الكوفيون بسكون الياء والباقون بالفتح وقرأ فاطلع حفص بنصب العين وفيه ثلاثة اوجه احدها انه جواب الامر فى قوله ابن لى فنصب بان مضمرة بعد الفاء فى جوابه على قاعدة البصريين كقوله يا ناق سيرى عنقا فسيحا + الى سليمان فنستريحا + وهذا اوفق لمذهب البصريين ثانيها قال ابو حيان انه منصوب على التوهم لان خبر لعل جاء مقرونا بان كثيرا فى النظم وقليلا فى النثر فمن نصب توهم ان الفعل المرفوع الواقع خبرا منصوب بان والعطف على التوهم كثير وان كان لا ينقاس اھ ثالثها على جواب الترجى فى لعل وهو مذهب كوفى والى هذا نحا الزمخشرى وتبعه البيضاوى قال وهو الاولى تشبيها للترجى بالتمنى والباقون بالرفع عطفا على ابلغ اى فلعله يتسبب عن ذلك يتعقبه انى اطلع الى اله موسى ولعله اراد ان يبنى له صرحا فى موضع عال يرصد فيه احوال الكواكب التى هى اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى فان اخباره عن اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله

تعالى وكيفية اسبابه وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ اي موسى عليه السلام كَاذِبًا في دعوى الرسالة وفي ان له الها
غيري قال فرعون ذلك تمويها وَكَذَٰلِكَ اي مثل ذلك التزيين العظيم الشأن زُيِّنَ اي زين
المزين النافذ الامر وهو الله تعالى حقيقة بخلقه والزامه لان كل ما دخل في الوجود من الحادثات
فهو بخلقه والشيطان مجازا بالتسبب بالوسوسة التي هي بخلق الله تعالى لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ في
جميع امره فاقبل عليه راغبا فيه مع بعده عن عمل اقل ذوي العقول فضلا عن ذوي الهمم
فضلا عن الملوك واطاعه فيه قومه وقرأ غير الكوفيين وَصَدَّ بفتح الصاد اي نفسه ومنع غيره وقرأ
الكوفيون بضمها اي منعه الله تعالى عَنِ السَّبِيلِ اي طريق الهدى وهي الموصلة الى الله تعالى
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ اي في ابطال ما جاء به موسى عليه السلام إِلَّا فِي تَبَابٍ اي خسار وهلاك
عظيم محيط به لا يقدر على الخروج منه ولما كان فساد ما قال فرعون اظهر من ان يحتاج الى بيان
اعرض المؤمن عنه وَقَالَ الَّذِي آمَنَ اي مشيرا الى وهن قول فرعون بالاعراض عنه بقوله
يَا قَوْمِ اي من لا قيام لي الا بهم وانا غير متهم في نصيحتهم اتَّبِعُونِ اي كلفوا انفسكم اتباعي لان
السعادة غالبا تكون فيما يكره الانسان أَهْدِكُمْ سَبِيلَ اي طريق الرَّشَادِ اي الهدى لانه مع
سهولته واتساعه موصل ولا بد الى المقصود واما ما قال فرعون مما سماه سبيل الرشاد فلا يؤدي
الا الى النار فهو تعريض به شبيه بالتصريح وفي هذا اشارة الى انه ينبغي لاحد من اهل الايمان ان
لا يخلي نفسه عن الوعظ لغيره وقرأ ابن كثير باثبات الياء بعد النون وقفا ووصلا واثبتها قالون وابو عمرو
وصلا لا وقفا وحذفها الباقون وصلا ووقفا ثم ان ذلك المؤمن زهدهم في الدنيا وكرر يا قوم كما كرر
ابراهيم عليه السلام يا ابت زيادة في استعطافهم بقوله إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ وحقرها بقوله الدُّنْيَا اشارة
الى دناءتها بقوله مَتَاعٌ اشارة الى انها جيفة لانها في اللغة من جملة مدلولات المتاع فلا يتناول
منها الا كما يتناول المضطر من الجيفة لانها دار النقلة والزوال والتزود لا الاتكال والاخلاد
اليها هو اصل الشرك كله ومنه تتشعب جميع ما يؤدي الى سخط الله تعالى ويجلب الشقاوة في العاقبة
ثم رغبهم في الآخرة بقوله وَإِنَّ الْآخِرَةَ اي لكونها مقصودة بالذات هِيَ دَارُ الْقَرَارِ اي التي
لا تحول منها اصلا لانها الوطن المستقر قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة
خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق بل اشد
واحسن وكان النعيم فيها دائما فكذلك العذاب فكان الترغيب في نعيم الجنان والترهيب من
عذاب النيران من عظيم وجوه الترغيب والترهيب والآية من الاحتباك ذكر المتاع اولا دليلا
على حذف الترسم ثانيا والقرار ثانيا دليلا على حذف الانتقال اولا ثم قال ذلك المؤمن لقومه
مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً اي ما يسوءه من اي صنف كان الذكور والاناث المؤمنين والكافرين فَلَا يُجْزَىٰ
اي من الملك الذي لا مالك سواه إِلَّا مِثْلَهَا عدلا منه لا يزاد عليها مقدار ذرة ولا اصغر منها
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا اي ولو قل مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ اي والحال انه مُؤْمِنٌ اذ لا يصح عمل بدون ايمان

فاولئك اى العالو الرتبة والهمة يدخلون الجنة اى بامر من له الامر كله بعد ان تضاعف
لهم اعمالهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وشعبة بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء
يرزقون فيها اى الجنة من غير احتياج الى تحيل ولا الى اسباب بغير حساب لخروج ما فيها نصف
لكثرته عن الحصر فان ادنى اهلها منزلة لو اضاف كل اهل الارض لكفاهم من غير ان ينتقص من ملكه
شئ وهذا من باب الفضل وفضل الله لاحد له ورحمته غلبت غضبه واما جزاء السيئة فمن باب
العدل فلذلك قدم الحساب فيها لئلا يقع الظلم قال الاصبهانى فاذا عارضنا عمومات الوعيد بعمومات
الوعد ترجح الوعد بسبق الرحمة الغضب فانهدمت قواعد المعتزلة ثم كرر الوعظ عليهم بقوله ويقوم ما لى
اى اى شئ من الحظوظ والمصالح لى فى انى ادعوكم الى النجاة والجنة شفقة عليكم ورحمة لكم واعترافا
بحقكم وتدعونني الى النار والهلاك بالكفر فالاية من الاحتباك ذكر النجاة الملازمة للايمان
اولا دليلا على حذف الهلاك الملازم للكفران ثانيا والنار ثانيا دليلا على حذف الجنة اولا وقرأ
نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بفتح ياء مالى والباقون بسكونها واتفقوا على سكون الياء من تدعوننى
ولما اخبر ذلك المؤمن بقلة انصافهم اجمالا بينه بقوله تدعونني اى توقعون دعائى الى
معبود انتم لاكفر اى لاجل ان اكفر بالله الذى له مجامع القهر والعز والعظمة والكبرياء
واشرك به اى اجعل له شريكا ما ليس لى به اى بربوبيته علم اى نوع من العلم بصلاحيته
لشئ من الشركة فهو دعاء الى الكذب فى شئ لا يحل الاقدام عليه الا بالدليل القطعى الذى
لا يحتمل نوعا من الشك فالمراد بنفى العلم نفى الاله كأنه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله
كيف يعقل جعله شريكا لله ولما بين انهم يدعون الى الكفر بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله
وانا ادعوكم اى اوقع دعائكم الان وقبله وبعده الى العزيز اى البالغ العزة الذى يغلب كل شئ
ولا يغلبه شئ واما فرعون فهو فى غاية العجز فكيف يكون الها واما الاصنام فانها احجار منحوتة فكيف
يعقل كونها الهة وقرأ نافع وانا بالمد بعد النون وقالون بمد وبقصر وورش بالمد لا غير والباقون
بغير مد وقوله الغفار اى الذى يتكرر منه دائما محو الذنوب عينا واثرا اشارة الى انهم يجب عليهم
ان لا ييأسوا من رحمة الله تعالى بسبب اصرارهم على الكفر مدة مديدة فان الاله العالم وان كان
عزيزا لا يغلب قادرا لا يعارض لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بايمان ساعة واحدة وقوله لا جرم
رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما اى الذى تدعونني اليه من هذه الانداد
ليس له دعوة بوجه من الوجوه فانه لا ادراك له هذا ان اريد ما لا يعقل وان اريد شئ مما يعقل
فلا دعوة له مقبولة بوجه فانه لا يقوم عليها دليل بل ولا شبهة موهمة فى الدنيا اى التى هى محل
الاسباب الظاهرة ولا فى الاخرة اى ليس له استجابة دعوة فيهما فسمى استجابة الدعوة دعوة اطلاقا
لاسم احد المتضايفين على الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وكقولهم كما تدين تدان وقيل
ليس له دعوة اى عبادة فى الدنيا لان الاوثان لا تدعى الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفى الاخرة

تتبرأ من عابديها ثم قال وان مردنا اى مرجعنا الى الله اى الذى له الاحاطة بصفات الكمال
فيجازى كل احد بما يستحقه وان المسرفين اى المجاوزين للحد وهم العريقون فى هذا الوصف قال
قتادة وهم المشركون لقوله تعالى هم اى خاصة اصحاب النار اى ملازموها وعن مجاهد هم السفاكون
للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم هم المسرفون + ولما بالغ هذا المؤمن فى هذا الشأن ختم كلامه
بخاتمة لطيفة هى قوله فستذكرون اى قطعا بوعد لا خلف فيه مع القرب ما اقول لكم حين لا ينفعكم
الذكر فى يوم الجمع الاعظم والزحام الذى يكون فيه القدم على القدم اذا رأيتم الاهوال والنكال
والزلزال ان قبلتم نصحى او لم تقبلوه + ولما خوفهم بذلك توعدوه وخوفوه بالقتل فعول فى
دفع تخويفهم وكيدهم ومكرهم على الله تعالى بقوله وافوض اى انا الان بسبب انه لا دعوة لغير الله امرى
اى فيما تمكرونه بى الى الله اى الذى احاط بكل شئ قدرة وعلما فيحمى منكم من شاء وهو انما تعلم
هذه الطريقة من موسى عليه السلام حين خوفه فرعون بالقتل فرجع موسى عليه السلام فى
دفع ذلك الشر الى الله تعالى فقال انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب
وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون + ولما علق تفويضه بالاسم العلم الجامع المقتضى
للاحاطة علل ذلك بقوله ان الله اى الذى لا يخفى عليه شئ بصير اى بالغ العلم بالعباد ظاهرا
وباطنا فيعلم من يستحق النصرة فينصره لاتصافه باوصاف الكمال ويعلم من يمكر فيرد
مكره عليه بما له من الاحاطة قال مقاتل فلما قال هذه الكلمات قصدوا قتله فوقاه الله اى
حصل له وقاية تنجيه منهم جزاء على تفويضه سيئات اى شدائد ما مكروا دينا ودنيا فنجاه مع موسى
عليه السلام قال قتادة وكان قبطيا فتصديقا لوعده سبحانه بقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون
+ ولما كان المكر السيئ لا يحيق الا باهله قال تعالى وحاق اى نزل محيطا بعد احاطة الاغراق بآل فرعون
اى فرعون واتباعه لاجل اصرارهم على الكفر ومكرهم هذا ان قلنا ان الآل مشترك بين
الشخص واتباعه وان لم نقل ذلك فالاحاطة بفرعون من باب اولى لان العادة جرت انه لا يوصل
الى جميع اتباع الانسان الا بعد اذلاله واخذه سوء العذاب اى الغرق فى الدنيا والنار فى الآخرة
فان قيل قوله تعالى وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه انه رجع اليهم ما هموا به من المكر
بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بالغرق فى الدنيا
ونار جهنم فى الآخرة لم يكن مكرهم راجعا اليهم لانهم لا يعذبون بذلك اجيب بانهم هموا بالشر فاصابهم
ما وقع عليه اسم السوء ولا يشترط فى الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه وقوله تعالى النار
فى اعرابه ثلاثة اوجه احدها انه بدل من سوء العذاب قاله الزجاج ثانيها انه خبر مبتدأ محذوف
اى هو اى سوء العذاب النار لانه جواب لسؤال مقدر وقوله تعالى يعرضون عليها على هذين
الوجهين يجوز ان يكون حالا من النار وان يكون حالا من آل فرعون ثالثها انه مبتدأ وخبره يعرضون
عليها غدوا وعشيا اى صباحا ومساء قال ابن مسعود ارواح آل فرعون فى اجواف

طير

طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه
منازلكم حتى تقوم الساعة وقال قتادة تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا
وروى ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده
بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال
هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيمة ثم اخبر الله تعالى عن مستقر آل فرعون يوم
القيمة بقوله سبحانه وتعالى وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يقال لهم أَدْخِلُوا آلَ اي يا آل فِرْعَوْنَ اي هو نفسه
واتباعه لاجل اتباعهم له فيما اضلهم به أَشَدَّ الْعَذَابِ وهو عذاب جهنم اجارنا الله تعالى نحن
واحباءنا منها فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وهذه الآية نص على اثبات عذاب القبر
كما نقل عن عكرمة ومحمد بن كعب وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بقطع الهمزة مفتوحة
وكسر الخاء وصلا وابتداء على امر الملائكة بادخالهم النار والباقون بوصل الهمزة وضم الخاء
وصلا وفي الابتداء بضم الهمزة واختلف في العامل في قوله تعالى وَإِذْ على ثلاثة اوجه احدها
انه معطوف على غدوا فيكون معمولا ليعرضون على النار في هذه الاوقات كلها قاله ابو البقاء
ثانيها انه معطوف على قوله اذ القلوب لدى الحناجر قال الطبري ونظر فيه لبعد ما بينهما
وثالثها انه منصوب باضمار اذكر اي واذكر يا اشرف الخلق لقومك اذ يَتَحَاجُّونَ اي الكفار فِي النَّارِ اي
يتخاصمون فيها اتباعهم ورؤساؤهم بما لا يغنيهم فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ اي الاتباع لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
اي طلبوا ان يكونوا كبراء وهم الرؤساء إِنَّا كُنَّا لَكُمْ اي دون غيركم تَبَعًا اي اتباعا فتكبرتم على الناس بنا
فَهَلْ أَنْتُمْ ايها الكبراء مُغْنُونَ اي كافون ومجزئون وحاملون عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ تنبيه تبعا
اسم جمع لتابع ونحوه خادم وخدم قال البغوي والتبع يكون واحدا وجمعا في قول اهل البصرة
واحده تابع وقال الكوفيون هو جمع لا واحد له وجمعه اتباع وقيل انه مصدر واقع موقع اسم الفاعل
اي تابعين وقيل مصدر ولكنه على حذف مضاف اي ذوي تبع ونصيبا منصوب بفعل
مقدر يدل عليه قولهم مغنون تقديره هل انتم دافعون عنا نصيبا وقيل منصوب على المصدر
قال البقاعي كما كان شيئا كذلك الا ترى الى قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا في موضع غنى فكذلك نصيبا ومن النار صفة لنصيبا قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا اي من
شدة ما هم فيه إِنَّا كُلٌّ اي نحن وانتم فِيهَا فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا إِنَّ اللَّهَ
اي المحيط باوصاف الكمال قَدْ حَكَمَ بالعدل بَيْنَ الْعِبَادِ اي فادخل اهل الجنة
دارهم واهل النار دارهم فلا يغني احد عن احد شيئا فعند ذلك يحصل اليأس للاتباع
من المتبوعين فيرجعون كلهم الى خزنة جهنم يسألونهم كما حكى الله عنهم بقوله سبحانه وتعالى
وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ اي جميعا الاتباع والمتبوعون لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ اي لخزنتها فوضع جهنم موضع
المضمر للتهويل او لبيان محلهم فيها قال البيضاوي ويحتمل ان تكون جهنم ابعد دركاتها

من قولهم بئر جهنام اى بكسر الجيم والهاء وتشديد النون بعيدة القعر وقال بعض اهل اللغة هى
مشتقة من الجهومة وهى الغلظ سميت بذلك لغلظ عذابها وهى عجمية منعت من الصرف للتعريف
والعجمة وقيل عربية ومنعت من الصرف للتعريف والتانيث ادعوا ربكم اى المحسن اليكم بانكم
لا تجدون الا من النار يخفف عنا يوما اى قدر يوم من العذاب اى شيئا فيوما ظرف ليخفف
ومفعول يخفف محذوف اى يخفف عنا شيئا من العذاب فى يوم ويجوز ان يكون من العذاب
هو المفعول ليخفف ومن تبعيضية ويوما ظرف سألوا ان يخفف عنهم بعض العذاب لا كله فى يوم
ما لا فى كل يوم ولا فى يوم معين قالوا اى الخزنة لهم اولم تك تأتيكم على سبيل التجدد شيئا فى اثر
شئ رسلكم اى الذين هم منكم وانتم جديرون بالاصغاء اليهم والاقبال عليهم لان الجنس الى الجنس
اميل والانسان من شكله اقبل بالبينات اى التى لا شئ اوضح منها ارادوا بذلك الزامهم الحجة
وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة وقرأ ابو عمرو باسكان السين
والباقون بضمها وكذلك رسلنا ورسلهم قالوا اى الكفار بلى اى اتونا بذلك قالوا اى الخزنة لهم
فادعوا اى انتم فانا لا نشفع لكافر وما دعؤا الكافرين اى الذين ستروا مرائى عقولهم عن انوار
الحق الا فى ضلال اى ذهاب فى غير طريق موصل كما كانوا هم فى الدنيا كذلك فان الدنيا مزرعة
الاخرة من زرع شيئا فى الدنيا حصده فى الاخرة والاخرة ثمرة الدنيا لا تثمر الا من جنس ما هو
فى الدنيا فى هذا اقناطهم عن الاجابة + ولما ذكر تعالى وقاية موسى عليه السلام وذلك المؤمن من مكر
فرعون وقومه صرح بقوله تعالى انا اى بما لنا من العظمة لننصر رسلنا اى على من عاداهم والذين
امنوا اى اتسموا بهذا الوصف فى الحيوة الدنيا اى بالزامهم طريق الهدى الكفيلة بكل فوز
وبالحجة والغلبة وان غلبوا فى بعض الاحيان فان العاقبة تكون لهم ولو بان يقيض الله تعالى
لاعدائهم من يقتص منهم ولو بعد حين وقل ان يتمكن عدوهم من كل ما يريدون منهم
ويوم يقوم الاشهاد وهو جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على
الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين اما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون للرسل بالتبليغ
وعلى الكفار بالتكذيب واما الانبياء عليهم الصلوة والسلام فقال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا واما المؤمنون فقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس وقوله تعالى يوم بدل من يوم قبله او بيان له او نصب باضمار اعنى
يوم لا ينفع الظالمين اى الذين كانوا عريقين فى وضع الاشياء فى غير موضعها معذرتهم
اى اعتذارهم فان قيل هذا يدل على انهم يذكرون الاعذار ولكن تلك الاعذار لا تنفعهم فكيف
هذا مع قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون اجيب بان هذا لا يدل على انهم ذكروا الاعتذار بل ليس فيه
الا انه ليس عندهم عذر مقبول وهذا لا يدل على انهم ذكروه ام لا وايضا يوم القيامة يوم طويل فيعتذرون
فى وقت ولا يعتذرون فى وقت اخر وقرأ نافع والكوفيون بالياء التحتية والباقون بتاء الخطاب

ولهم اى خاصة اللعنة اى البعد عن كل خير مع الاهانة بكل ضير ولهم اى خاصة سوء الدار
اى الآخرة اى اشد عذابها ولما بين تعالى انه ينصر الانبياء والمؤمنين فى الدنيا والآخرة ذكر نوعا
من انواع تلك النصرة فى الدنيا فقال تعالى ولقد آتينا اى بما لنا من العزة موسى الهدى اى
ما يهتدى به فى الدين من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا اى بما لنا من العظمة
بنى اسرائيل اى بعد ما كانوا فيه من الذل الكتاب اى الذى انزلناه عليه وآتيناه الهدى به
وهو التوراة اتباع هؤلاء الانبياء هو الارث لا ينازعهم فيه احد توارثوه خلفا عن سلف ولا اهل له فى ذلك
الزمان غيرهم واورثناه لهم من بعد موسى عليه السلام حال كونه هدى اى بيانا عاما لكل من
تبعه وذكرى اى عظة عظيمة لاولى الالباب اى القلوب الصافية والعقول الوافية الشافية ولما بين
تعالى انه ينصر رسله وينصر المؤمنين فى الدنيا والآخرة وضرب المثال فى ذلك بحال موسى عليه
السلام خاطب بعد ذلك محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فاصبر اى يا اشرف الخلق على
اذى قومك كما صبر موسى عليه السلام على اذى فرعون ان وعد الله اى الذى له الكمال كله حق
اى فى اظهار دينك واهلاك اعدائك قال الكلبى نسخت آية القتال آية الصبر وقوله تعالى
واستغفر لذنبك اما ان يكون المصدر مضافا للمفعول اى لذنب امتك فى حقك واما ان يكون
ذلك تعبدا من الله تعالى ليزيده به درجة وليصير سنة يستن به من بعده وسبح بحمد ربك بالعشى
وهو من بعد الزوال والابكار قال الحسن رضى الله عنه يعنى صلوة العصر وصلوة الفجر وقال ابن عباس
رضى الله عنهما الصلوات الخمس وذلك ان العشى من زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع
الفجر الى طلوع الشمس ولما ابتدأ بالرد على الذين يجادلون فى آيات الله واتصل الكلام بعضه
ببعض على الترتيب المتقدم الى هنا نبه تعالى على الماهية التى تحمل الكفار على تلك المجادلة فقال تعالى
ان الذين يجادلون اى يناصبون العداوة فى آيات الله اى الملك الاعظم الدالة على تمام قدرته
اللازم منه قدرته على البعث الذى فى تذكره صلاح الدين والدنيا بغير سلطان اى برهان
اتاهم ان اى ما فى صدورهم اى يصدهم عن سواء السبيل قال ابن عادل ما حملهم على تكذيبك
الا كبر اى تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم واذن ذكر الصدور دون القلوب بعظمه جدا فانه
قد ملأ القلوب وفاض منها حتى شغل الصدور التى هى مساكنها ما هم ببالغيه قال مجاهد
ما هم ببالغى مقتضى ذلك الكبر لان الله تعالى مذلهم وقال ابن قتيبة ان فى صدورهم الا كبر
على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وما هم ببالغى ذلك قال المفسرون نزلت فى اليهود
وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج فى
آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك علينا قال الله تعالى فاستعذ اى اعتصم بالله
اى المحيط بكل شىء من فتنة الدجال ومن كيد من يحسدك ويبغى عليك وغير ذلك كما عاذ
به موسى عليه السلام لينجز لك ما وعدك به كما انجز له ثم علل ذلك بقوله تعالى انه هو اى

وحده السَّمِيعُ اى لاقوالهم البَصِيرُ اى لافعالهم ولما وصف تعالى جدالهم فى الآيات بانه بغير سلطان ولا حجة ذكر لهذا مثالا فقال لَخَلْقُ السَّمٰوٰتِ اى على عظمها وارتفاعها وكثرة منافعها واتساعها وَالْاَرْضِ اى على ما فى ذلك من عجائبها وكثرة منافعها اَكْبَرُ عند كل من يعقل مِنْ خَلْقِ النَّاسِ اى خلق الله تعالى لهم لانهم شعبة يسيرة من خلقهما فعلم قطعا ان الذى قدر على ابتدائه مع عظمه قادر على اعادة الناس على حقارتهم وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ وهم الذين ينكرون البعث وغيره لَا يَعْلَمُوْنَ اى لا علم لهم اصلا بل هم كالبهائم لغلبة الغفلة عليهم

+تنبيه+ تقدير هذا الكلام ان الاستدلال بالشئ على غيره ينقسم ثلاثة اقسام احدها ان يقال لما قدر على الاضعف وجب ان يقدر على الاقوى وهذا فاسد ثانيها ان يقال لما قدر على الشئ قدر على مثله فهذا الاستدلال صحيح لما ثبت فى الاصول ان حكم الشئ حكم مثله ثالثها ان يقال لما قدر على الاقوى الاكمل قدر على الاقل الارذل بالاولى وهذا الاستدلال فى غاية الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة ثم ان هؤلاء القوم يسلمون ان خالق السموات والارض هو الله تعالى ويعلمون بالضرورة ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وكان من حقهم ان يقروا بان القادر على خلق السموات والارض يكون قادرا على اعادة الانسان الذى خلقه اولا فهذا برهان كلى فى افادة هذا المطلوب ثم ان هذا البرهان على قوته صار لا يعرفه اكثر الناس والمراد منه الذين ينكرون الحشر والنشر فظهر بهذا المثال ان هؤلاء الكفار يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم ولا حجة بل بمجرد الحسد والكبر والغضب +ثم لما بين تعالى ان الجدال المقرون بالكبر والحسد والجهل كيف يكون وان الجدال بالحجة والبرهان كيف يكون نبه تعالى على الفرق بين البابين بذكر مثال فقال تعالى وَمَا يَسْتَوِى اى بوجه من الوجوه من حيث البصر الْاَعْمٰى وَالْبَصِيْرُ اى وما يستوى المستدل والجاهل المقلد وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اى اوجدوا حقيقة الايمان وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ اى تحقيقا لايمانهم وَلَا الْمُسِيْٓءُ اى وما يستوى المحسن والمسيئ فلا زائدة للتوكيد لانه لما طال الكلام بالصلة بعد قسم المؤمنين اعاد معه لا توكيدا والمراد بالاول التفاوت بين العالم والجاهل وبالثانى التفاوت بين الآتى بالاعمال الصالحة وبين الآتى بالاعمال السيئة الباطلة +ولما تقرر هذا على هذا النحو من الوضوح الذى لا مانع للانسان من فهمه ورسوخه قال تعالى قَلِيْلًا مَّا تَتَذَكَّرُوْنَ اى يتعظ المجادلون وان كانوا يعلمون ان العلم خير من الجهل وان العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا انه قليلا ما يتذكرون فبين فى النوع الاول المعنى من الاعتقاد انه علم او جهل وفى النوع الثانى المعنى من العمل انه عمل صالح او فاسد +تنبيه+ التقابل يأتى على ثلاث طرق احدها ان يجاور المناسب ما يناسبه كهذه الآية والثانية ان يتأخر المتقابلان كقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع الثالثة ان يتقدم مقابل الاول ويؤخر مقابل الآخر كقوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور كل ذلك تفنن فى البلاغة وقدم الاعمى فى نفى

التساوي لمجيئه بعد صفة الذم في قوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب
المخاطب او الالتفات للمذكورين بعد الاخبار عنهم او امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة
والباقون بياء الغيبة نظرا لقوله تعالى ان الذين يجادلون وهم الذين التفت اليهم في قراءة الخطاب
✣ ولما قرر الدليل على امكان وجود يوم القيمة ردفه بالاخبار عن وقوعها فقال تعالى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ﴾
اي القيمة التي يجادل فيها المجادلون ﴿لَآتِيَةٌ﴾ اي للحكم بالعدل بين المسيء والمحسن لانه لا يسوغ في الحكمة
عند احد من الخلق ان يساوي بين محسن عبيده ومسيئهم ﴿لَا رَيْبَ﴾ اي لا شك ﴿فِيهَا﴾ اي في
اتيانها ✣ ولما حصل الجدال في امرها الى حد لاخفاء به اصلا نفى الايمان دون العلم فقال تعالى
﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ اي لا يصدقون بها وما ذاك الا لعناد بعضهم ولقصور نظر الباقين
على الحس ✣ تنبيه ✣ يأتي قبل قيام الساعة فتن اعظمها فتنة المسيح الدجال فعن هشام بن عامر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم عليه السلام الى قيام الساعة
اكبر من خلق الدجال معناه اكبر فتنة واعظم شوكة من الدجال وعن ابن عمر رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه اعور عين اليمنى كانها عنبة طافية ولابي داود
والترمذي عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله تعالى بما هو اهله ثم ذكر الدجال
فقال اني انذركموه وما من نبي الا انذر قومه ولكن ساقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور والله
سبحانه ليس باعور وعن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي
الا انذر قومه والامة الاعور الدجال الا وانه اعور وان ربكم ليس باعور ومكتوب بين عينيه
كافر وفي رواية مسلم بين عينيه ك ف ر يقرؤه كل مسلم وعن اسماء بنت يزيد الانصارية قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة
تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والثالثة
تمسك السماء قطرها كله والارض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم الا هلكت وان من اشد
فتنته ان يأتي الاعرابي فيقول ارأيت ان احييت لك ابلك الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيمثل له
ابله كاحسن ما تكون ضروعا واسنمة ويأتي الرجل قد مات اخوه ومات ابوه فيقول ارأيت ان احييت لك
اباك واحييت لك اخاك الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيمثل له الشيطان نحو ابيه ونحو اخيه قالت
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم فاخذ بلحمتي
الباب فقال مهيم اسماء قلت يا رسول الله لقد خلعت افئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وانا حي
فانا حجيجه والا فربي خليفتي على كل مؤمن قالت فقلت يا رسول الله انا لنعجن عجيننا فما نختبزه حتى
نجوع فكيف بالمؤمنين حينئذ قال يجزيهم ما يجزي اهل السماء من التسبيح والتقديس وروى
البغوي بسنده عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض اربعين سنة
السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار انتهى والذي جاء في صحيح

وسلم قالت قلت يا رسول الله ما مكثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة
وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة يكفينا فيه صلوة يوم قال لا اقدروا
له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفي رواية ابي داود
فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته ومنه ثم ينزل عيسى
عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله وعن حذيفة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فاما الذي
يرى الناس انه نار فماء بارد واما الذي يرى الناس انه ماء فنار تحرق فمن ادرك ذلك منكم
فليقع في الذي يرى الناس انه نار فانه ماء عذب بارد وعن ابي هريرة الا احدثكم حديثا عن الدجال
ما حدث به نبي قومه انه اعور وانه يجيء بمثال الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار واني
انذركم كما انذر نوح قومه وعن المغيرة بن شعبة قال ما سأل احد رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الدجال اكثر مما سألته وانه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبال خبز ونهر ماء
قال هو اهون على الله من ذلك اي اهون على الله من ان يجعل ما خلق الله بيده مضلا
للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله تعالى ليزدادوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين
والمنافقين ليس معناه ليس معه شيء من ذلك لما مر في الحديث ان معه ماء ونارا وذكر فيه احاديث
كثيرة وفي هذا القدر تذكرة لاولي الالباب اجارنا الله تعالى واحبابنا من فتنته امين + ولما بين تعالى ان
القول بالقيمة حق وكان من المعلوم بالضرورة ان الانسان لا ينتفع في يوم القيمة الا بطاعة الله
والتضرع اليه لا جرم كان الاشتغال بالطاعة من اهم المهمات + ولما كان اشرف انواع الطاعات
الدعاء والتضرع لا جرم امر الله تعالى به فقال سبحانه وَقَالَ رَبُّكُمُ اي المحسن اليكم بهدايتكم وبعد
النصرة ادْعُونِي اي اعبدوني دون غيري اَسْتَجِبْ لَكُمْ اي اثبكم واغفر لكم بقرينة قوله تعالى اِنَّ
الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ اي يوجدون الكبر عَنْ عِبَادَتِي اي عن الاستجابة لي فيما دعوتهم اليه من اتباع
بالمجادلة في اياتي والاعراض عن دعائي سَيَدْخُلُونَ اي بوعد لا خلف فيه جَهَنَّمَ فتلقاهم جزاء
على كفرهم بالتجهم والعبوسة والكراهة دَاخِرِينَ اي صاغرين حقيرين ذليلين وان فسر الدعاء صح
بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة والمراد بالعبادة الدعاء فانه من
ابوابها روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله تعالى يغضب عليه فان قيل
انه صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن ربه عز وجل من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل
ما اعطي السائلين فهذا يقتضي ان ترك الدعاء افضل فكيف من لم يسأل الله يغضب اجيب بانه ان كان
مستغرقا في الثناء على الله تعالى فهو افضل من الدعاء لان الدعاء طلب الجنة والاستغراق في معرفة الله
تعالى وجلاله افضل من طلب الجنة والا فالدعاء افضل وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ الآية فان قيل كيف قال تعالى ادعوني
استجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له اجاب الكعبي بان الدعاء انما يصح بشرط ومن
دعا كذلك استجيب له وذلك الشرط هو ان يكون المطلوب بالدعاء مصلحة وحكمة ثم سأل نفسه
فقال ان الله تعالى يفعل ما هو الاصلح بغير دعاء فما فائدة الدعاء واجاب عنه بان فيه الفزع والانقطاع
الى الله تعالى واجاب الرازي عن الاول بان كل من دعا الله تعالى وفي قلبه ذرة من الاعتماد على
ماله وجاهه واصدقائه واجتهاده فهو في الحقيقة ما دعا الله تعالى الا باللسان واما القلب فهو يعول في
تحصيل ذلك المطلوب على غير الله تعالى فهذا انسان ما دعا ربه واما اذا دعا في وقت لا يكون القلب فيه
ملتفتا الى غير الله تعالى فالظاهر انه يستجاب له اهـ وقال القشيري الدعاء مفتاح الاجابة واسنانه لقمة
الحلال وقرأ ابن كثير وشعبة بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء + ولما امر الله تعالى
بالدعاء فكانه قيل الاشتغال بالدعاء لا بد وان يكون مسبوقا بحصول المعرفة فما الدليل على وجود الاله
القادر فقال تعالى مفتتحا بالاسم الاعظم ﴿اللَّهُ﴾ اي المحيط بصفات الكمال ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ لا غيره ﴿اللَّيْلَ﴾
اي مظلما ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ راحة ظاهرة بالنوم الذي هو الموت الاصغر وراحة حقيقية بالعبادة التي هي
الحيوة الدائمة ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ لتنتشروا فيه باليقظة التي هي احياء بالمعنى فالآية من الاحتباك حذف
الظلام اولا لكونه ليس من النعم المقصودة في نفسها لما دل عليه من الابصار الذي هو المقصود من
نعمة الضياء المقصود في نفسه وحذف الانتشار لانه بعض ما ينشأ عن نعمة الابصار لما دل عليه
من السكون الذي هو المقصود الاعظم من الليل للراحة لمن ارادها والعبادة لمن اعتمدها واستندها
فان قيل هلا قيل بحسب رعاية النظم هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبصروا فيه
او يقال جعل لكم الليل ساكنا والنهار مبصرا ولكنه لم يقل ذلك فما الحكمة فيه وفي تقديم ذكر الليل
اجيب عن الاول بان الليل والنوم في الحقيقة طبيعة عدمية فهو غير مقصود بالذات واما النور
واليقظة فامور وجودية مقصودة بالذات وقد بين الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز ان
دلالة صيغة الاسم على التمام والكمال اقوى من دلالة صيغة الفعل عليها فهذا هو السبب
في الفرق واجيب عن الثاني بان الظلمة طبيعة عدمية والنور طبيعة وجودية والعدم في المحدثات
مقدم على الوجود فلهذا السبب قال تعالى في سورة الانعام وجعل الظلمات والنور ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ اي
ذا الجلال والاكرام ﴿لَذُو فَضْلٍ﴾ اي عظيم جدا باختياره ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ اي كافة باختلاف الليل والنهار
وما يحتويان عليه من المنافع ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله فلا يؤمنون فيشركون فعاله الى
غيره جهلا ويعملون بما يسلب عنهم اسم الشكر من الشرك وغيره فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى
ولكن اكثر الناس ولم يقل ولكن اكثرهم ولا يكرر ذكر الناس اجيب بان في هذا التكرار تخصيصا لكفران
النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله تعالى ولا يشكرونه كقوله تعالى ان الانسان لظلوم
كفار + ولما بين تعالى بتلك الدلائل المذكورة وجود الاله القادر قال تعالى ﴿ذَلِكُمُ﴾ اي

ايها المخاطبون اللّٰهُ اى الملك الاعظم المعلوم لكل احد المتميز عن كل شئ بالافعال التى لا يشاركه
فيها احد رَبُّكُمْ اى المربى لكم المحسن اليكم خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ اى بما ثبت من تمام قدرته لانه لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ لزم
اى هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية فهى اخبار مترادفة واذا كان خالق كل شئ
فَاَنّٰى اى فكيف ومن اى وجه تُؤْفَكُوْنَ اى تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره كَذٰلِكَ اى
مثل هذا الصرف البعيد عن مناهج العقلاء يُؤْفَكُ اى يصرف الَّذِيْنَ كَانُوْا اى مطبوعين على
انهم بِاٰيٰتِ اللّٰهِ اى ذى الجلال والكمال يَجْحَدُوْنَ اى ينكرون عنادا ومكابرة + ولما كان
دلائل وجوده تعالى اما ان تكون من دلائل الآفاق وهى غير الانسان وهى اقسام وذكر
منها احوال الليل والنهار كما تقدم ذكر ايضا منها ههنا الارض والسماء فقال تعالى اللّٰهُ اى الذى
له الاحاطة الكاملة بكل شئ الَّذِىْ جَعَلَ اى وحده لَكُمُ الْاَرْضَ اى مع كونها فراشا ممهدا قَرَارًا
مع كونها فى غاية الثقل ولا ممسك لها سوى قدرته وَالسَّمَآءَ اى على علوها وسعتها مع كونها اقلادا كا
دائرة بنجوم طول الزمان سائرة ينشأ عنها الليل والنهار والاظلام بِنَآءً مظلة كالقبة من غير عماد
وحامل + ثم ذكر دلائل النفس وهى دلالة احوال بدن الانسان على وجود الصانع القادر الحكيم
بقوله تعالى وَصَوَّرَكُمْ والتصوير على غير نظام واحد لا يكون الا بقدرة قادر تام القدرة مختار
فَاَحْسَنَ صُوَرَكُمْ على اشكال واحوال مع انها احسن الصور ليس فى الوجود ما يشبهها لم يخلق الله
تعالى حيوانا احسن صورة من الانسان كما قال تعالى فى احسن تقويم قال ابن عباس رضى الله عنهما
خلق الانسان قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن ادم يتناول بفيه + ولما ذكر تعالى
المساكن والساكن ذكر ما يحتاج اليه فى مدة السكنى فقال سبحانه وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبٰتِ اى
الشهية الملائمة للطباع وقيل هو ما خلق الله تعالى لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق
الدواب وعن الحسن انه قال لما خلق الله تعالى ادم عليه السلام وذريته قالت الملائكة عليهم السلام
ان الارض لا تسعهم قال الله تعالى فانه جاعل موتا قالوا اذا لا يهنأ لهم العيش قال تعالى فانى
جاعل املا + ولما دل هذا على التفرد قال تعالى على وجه الانتاج ذٰلِكُمُ اى الرفيع الدرجات اللّٰهُ
اى المالك لجميع الملك رَبُّكُمْ اى المحسن اليكم لا غيره فَتَبٰرَكَ اى ثبت ثباتا عظيما مع اليمن والخير
وحسن المدد والفيض اللّٰهُ المختص بالكمال رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ كلهم فهو المحسن اليهم بالتربية وغيرها
ثم نبه تعالى بقوله سبحانه هُوَ الْحَىُّ بما يفيد الحصر بانه لا حى على الدوام الا هو ثم نبه تعالى على
وحدانيته بقوله سبحانه لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ثم امر العباد بالاخلاص فى الدعاء فقال تعالى فَادْعُوْهُ
اى اعبدوه مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ اى من كل شرك جلى او خفى + ولما كان تعالى موصوفا
بصفات الجلال والعزة استحق لذاته ان يقال له اَلْحَمْدُ اى الاحاطة باوصاف الكمال لِلّٰهِ اى
المسمى بهذا الاسم الجامع لجميع معانى الاسماء الحسنى رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ اى الذى ربّاهم هذه
التربية وقال الفراء هو خبر وفيه اضمار الامر ومجازه فادعوه واحمدوه وعن ابن عباس قال

رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين + ولما اورد على
المشركين تلك الادلة الدالة على اثبات العالم امره بقوله تعالى قُلْ اى لهؤلاء الذين يجادلونك
فى البعث مقابلا له لانكارهم بالتوكيد اِنِّي نُهِيتُ اى ممن لا نهي لغيره نهيا عاما ببراهين العقول
ونهيا خاصا بادلة النقل اَنْ اَعْبُدَ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ اى تعبدون مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اى الذى له الكمال
كله قال البقاعي ودل على انه ما كان متعبدا قبل البعثة بشرع احد بقوله لَمَّا جَآءَنِيَ الْبَيِّنٰتُ اى الحجج
وهى ما تقدم من الدلائل الدالة على ان اله العالم قد ثبت كونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة
وصريح العقل يشهد بان العبادة لا تليق الا له واما الاحجار المنحوتة والاخشاب المصورة فلا تصح ان
تكون شركاء له + ثم نبه على انه تعالى كما يستحق الافراد بالعبادة لذاته يستحقها لشكر الاحسان بقوله
مِنْ رَّبِّيْ اى المربي لى تربية خاصة هى اعلى من كل مخلوق سواى فانا اعبده عبادة تفوق عبادة
كل عابد + ولما امره بما ينهى عنه امره بما يتحلى به فقال وَاُمِرْتُ اَنْ اُسْلِمَ اى حين جاءني الى الكفر
لِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ لان كل ما سواه مربوب له فالاقبال عليه خسار واذا نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك
وامر بهذا لكون الامر والناهي هو رب العالمين كان غيره مشاركا له فى ذلك بالاحالة + ولما استدل
تعالى على اثبات الالهية بدليل الافاق وذكر منها الليل والنهار والارض والسماء ثم ذكر الدليل
على اثبات الاله القادر بخلق الانفس وهو نوعان احدهما حسن الصورة ورزق الطيبات ذكر النوع الثاني
وهو كيفية تكوين البدن من ابتداء كونه نطفة وجنينا الى اخر الشيخوخة والموت فقال تعالى هُوَ اى
لا غيره الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ اى بخلق ابيكم ادم عليه السلام منه قال الرازي وعندي لا حاجة
الى ذلك لان كل انسان فهو مخلوق من المني ومن دم الطمث والمني مخلوق من الدم والدم
انما يتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية واما نباتية والحال فى ذلك الحيوان كالحال
فى تكوين الانسان فكانت الاغذية كلها منتهية الى النبات والنبات انما يكون من التراب والماء فثبت
ان كل انسان متكون من التراب ثم ان ذلك التراب يصير نطفة كما قال تعالى ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ اى من
منى ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ اى دم غليظ متباعد حاله عن حال النطفة كما كان حال النطفة متباعدا عن حال
التراب ثُمَّ بعد ان جرت شؤن اخرى يُخْرِجُكُمْ اى يجدد اخراجكم شيئا بعد شئ طِفْلًا اى اطفالا
والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم لا تملكون شيئا ولا تعلمون شيئا ثُمَّ يدرجكم فى
مدارج التربية صاعدين بالقوة فى اوج الكمال طورا بعد طور وحالا بعد حال لِتَبْلُغُوْٓا اَشُدَّكُمْ
اى تكامل قوتكم من الثلاثين سنة الى الاربعين وعن الشعبي صغر الغلام لسبع سنين ويحتلم لاربع
عشرة وينتهي طوله لاحدى وعشرين وينتهي عقله لثمان وعشرين ويبلغ اشده لثلاث
وثلاثين ثُمَّ يهبطكم بالضعف والوهن فى مهاوى السفول لِتَكُوْنُوْا شُيُوْخًا ضعفا عن بلوغ ما تقدم من
قوتكم ووهنت اركانكم وقرأ نافع وابو عمرو وهشام وحفص بضم الشين والباقون
بكسرها وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّتَوَفّٰى بقبض روحه مِنْ قَبْلُ اى قبل حال الشيخوخة وقبل حال

الاشدية او قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا + قوله تعالى لتبلغوا اشدكم متعلق قال الزمخشري
بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا اشدكم وكذلك لتكونوا واما قوله ولتبلغوا اى كل واحد
منكم اجلا مسمى فمعناه ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيمة ولعلكم
تعقلون اى ما في ذلك من العبر والحجج وتستدلون بهذه الاحوال العجيبة على وحدانية الله تعالى
+ ولما ذكر تعالى انتقال الاجسام من كونها ترابا الى ان بلغت الشيخوخة واستدل بهذه التغيرات
على وجود الاله القادر اتبع قوله تعالى هو اى لا غيره الذى يحيى ويميت لما تشاهدونه في انفسكم
فكما ان الانتقال من صفة الى صفة اخرى من الصفات المتقدمة يدل على الاله القادر فكذلك
الانتقال من الحيوة الى الموت وبالعكس يدل على الاله القادر + ولما كانت ارادته لا تكون الا تامة
تسبب عن ذلك قوله تعالى فاذا قضى امرا اى اراد اى امر كان من القيمة او غيرها فانما يقول
له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة وقرأ ابن عامر بنصب النون والباقون
بالرفع وتقدم توجيه ذلك في سورة البقرة ثم انه تعالى عاد الى ذم الذين يجادلون في آيات الله
مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم فقال الم تر اى يا انور الناس قلبا واصفاهم لبا الى الذين
يجادلون اى بالباطل في آيات الله اى الملك الاعظم انى اى كيف ومن اى وجه يصرفون
اى عن التصديق وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل والمجادل فيه او للتوكيد وقوله تعالى
الذين كذبوا يجوز ان يكون بدلا من الموصول قبله او بيانا او نعتا او خبر مبتدأ محذوف او منصوبا
على الذم بالكتاب اى بسببه في جميع ما له من الشئون التى تفوق الحصر وهو القرآن او بجنس
الكتب السماوية وبما ارسلنا اى على ما لنا من العظمة به رسلنا اى من جميع الملل والشرائع
بكتاب كان او بغيره ولما تسبب عنه تهديدهم في قوله تعالى فسوف يعلمون اى بوعد صادق
لا خلف فيه ما يحل بهم من سطواتنا وقوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون
فان قيل سوف للاستقبال واذ للماضي فهو مثل قولك سوف اصوم امس اجيب بان
المعنى على اذا الا ان الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها
بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال قالوا وكما تقع اذ موقع اذا في قوله تعالى واذا رأوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها كذلك تقع اذا موقعها وقوله تعالى والسلاسل عطف على الاغلال فتكون
في الاعناق والسلسلة معروفة او مبتدأ خبره محذوف تقديره في ارجلهم وخبره يسحبون
والعائد محذوف اى بها والسحب الجر بعنف والسحاب من ذلك لان الريح تجره او لانه يجر الماء
في الحميم اى الماء الحار الذى يكسب الوجوه سوادا والاعراض عارا والارواح عذابا والاجسام نارا ثم
في النار يسجرون اى يلقون فيها وتوقد بهم مكردسين كما يسجر التنور بالحطب كما قال تعالى وقودها
الناس والحجارة والسجير الخليل الذى يسجر في مودة خليله كقولهم فلان محترق في مودة فلان
هذه كيفية عذابهم ثم قيل لهم تبكيتا اى بعد ان طال عذابهم وبلغ منهم كل مبلغ ولم يجدوا

ناصر يخلصهم ولا شافع يخصصهم اين واكد التعبير عنهم باداة ما لا يعقل فى قوله تعالى مَا كُنْتُمْ اى دائما تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اى معه وهى الاصنام قَالُوا ضَلُّوا اى غابوا عَنَّا فلا نراهم كما ضللنا نحن فى الدنيا عما ينفعنا وذلك قبل ان تقرن الهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا اى لم يكن ذلك فى طباعنا مِنْ قَبْلُ اى قبل هذه الاعادة شَيْئًا انكرون قد اشركنا به انكروا عبادتهم اياها كقولهم فى سورة الانعام والله ربنا ما كنا مشركين وقال الحسين بن الفضل اى لم نكن نصنع من قبل شيئا اى ضاعت عبادتنا لها كما يقول من ضاع عمله ما كنت اعمل شيئا ثم يقرنون بالهتهم كما قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اى وقودها كَذٰلِكَ اى مثل اضلال هؤلاء المكذبين يُضِلُّ اللّٰهُ اى المحيط علما وقدرة عن القصد التام من جهة وغيرها الْكٰفِرِينَ اى الذين ستروا مرائى بصائرهم لئلا يتجلى فيها الحق ثم صار لهم ذلك ديدنا ذٰلِكُمْ اى الجزاء العظيم بِمَا كُنْتُمْ اى دائما تَفْرَحُونَ اى تبالغون فى السرور وتستغرقون فيه فِى الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ من الاشراك وانكار البعث فاشعر ذلك ان السرور لا ينبغى الا اذا كان مع كمال هذه الحقيقة وهى الثبات دائما للمفروح به وذلك لا يكون الا فى الجنة وَبِمَا اى وبسبب ما كُنْتُمْ تَمْرَحُوْنَ اى تبالغون فى الفرح مع الاشر والبطر والنشاط الموجب للاختيال والتبختر والخفة بعدم احتمال الفرح *تنبيه* قوله تعالى تفرحون وتمرحون من باب التجنيس المحرف وهو ان يقع الفرق بين اللفظين بحرف ولما كان السياق للذم للجدال وكان الجدال انما يكون عن الكبر قال تعالى اُدْخُلُوْا اى ايها المكذبون اَبْوَابَ جَهَنَّمَ اى الابواب السبعة المقسومة لكم قال تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وسميت جهنم لانها تلقى صاحبها بتكبر وعبوس وتجهم خٰلِدِيْنَ فِيْهَا اى مقدرين الخلود فَبِئْسَ مَثْوَى اى مأوى الْمُتَكَبِّرِيْنَ اى عن الحق والمخصوص بالذم محذوف اى مثواكم فان قيل كان قياس النظم ان يقول فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زرت بيت الله فنعم المزار وصليت فى المسجد فنعم المصلى اجيب بان الدخول لا يدوم وانما يدوم الثوى فلذلك خصه بالذم وان كان الدخول ايضا مذموما ولما زيف تعالى طريقة المجادلين فى ايات الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر بقوله فَاصْبِرْ اى على اذاهم بسبب المجادلة وغيرها اِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ اى الجامع لصفات الكمال حَقٌّ اى نصرتك فى الدارين فلا بد من وقوعه فَاِمَّا نُرِيَنَّكَ قال الزمخشرى اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمنى اكرمك ولكن اما تكرمنى اكرمك قال ابو حيان وما ذكره من تلازم النون وما الزائدة ليس مذهب سيبويه انما هو مذهب المبرد والزجاج ونص سيبويه على التخيير بَعْضَ الَّذِىْ نَعِدُهُمْ به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط محذوف اى فذاك اَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ اى قبل تعذيبهم فَاِلَيْنَا يُرْجَعُوْنَ اى نعذبهم اشد العذاب فالجواب المذكور للمعطوف فقط وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا اى بما لنا من العظمة رُسُلًا

اى بعثنا من قبلك اى الى اممهم ليبلغوا عنا ما امرناهم به منهم من قصصنا بما لنا من العظمة عليك
اى اخبارهم واخبار اممهم ومنهم من لم نقصص عليك لا اخبارهم ولا اخبار اممهم ولا ذكرناهم لك
باسمائهم وان كان لنا العلم التام والقدرة الكاملة روى ان الله تعالى بعث ثمانية آلاف
نبى اربعة آلاف من بنى اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس وما اى ارسلناهم والحال انه ما
كان لرسول اصلا ان يأتى باية اى ملجئة او غير ملجئة مما يطلب الرسول استعجالا لاتباع قومه له
او اقترحها من قومه عليه الا باذن الله اى بامره وتمكينه فان له الاحاطة بكل شئ فلا يعجزه شئ
عن امره وهم عبيد مربوبون * تنبيه * معنى الاية ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم انت
كالرسل من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم نذكر حال الباقين وليس منهم احد اعطاه الله
آيات ومعجزات الا وقد جادله قومه وكذبوه فيها فصبروا وكانوا ابدا يقترحون على انبيائهم
عليهم السلام اظهار المعجزات الزائدة على الحاجة عنادا وعبثا وما كان لرسول ان يأتى باية الا
باذن الله تعالى والله سبحانه علم الصلاح فى اظهار ما اظهروه دون غيره ولم يقدح ذلك فى نبوتهم
فكذلك الحال فى اقتراح قومك عليك المعجزات الزائدة لما لم يكن اظهارها صلاحا لاجرم ما اظهرناها
فاذا جاء امر الله اى المحيط بكل شئ قدرة وعلما بنزول العذاب على الكفار قضى اى بامره على
ايسر وجه واسهله بين الرسل ومكذبيهم بالحق الامر الثابت وخسر هنالك اى فى ذلك الوقت
العظيم المبطلون اى المنسوبون الى ايثار الباطل على الحق المعاندون الذين يجادلون فى آيات الله
فيقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة تعنتا وعبثا وقرأ قالون والبزى وابو عمرو باسقاط
الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل ورش وقنبل الهمزة الثانية وابدلاها ايضا الفا وقرأ
الباقون بتحقيق الهمزتين * ولما ذكر تعالى الوعيد عاد الى ذكر ما يدل على وجود الاله القادر
الحكيم والى ذكر ما يصلح ان يعد انعاما على العباد فقال تعالى الله اى الملك الاعظم الذى جعل
لكم اى لا لغيره الانعام اى الازواج الثمانية بالتذليل والتسخير وقال الزجاج الانعام الابل خاصة
لتركبوا منها وهى الابل مع قوتها ونفرتها وقد تركب البقر ايضا ومنها اى من الانعام كلها تأكلون
ولما كان التصرف فيها غير منضبط اجمله بقوله تعالى ولكم فيها اى كلها منافع اى كثيرة بغير
ذلك من الدر والوبر والصوف وغيرها ولتبلغوا عليها وهى فى غاية الذل والطواعية ونبههم
على نقصهم وعظيم نعمته عليهم بقوله تعالى حاجة وقوله تعالى فى صدوركم اشارة الى ان
حاجة واحدة ضاقت عنها قلوب الجميع حتى فاضت منها فملأت مساكنها وعليها اى
الابل فى البر وعلى الفلك اى فى البحر تحملون اى تحملون امتعتكم الثقيلة من مكان
الى مكان اخر واما حمل الانسان نفسه فقد مر بالركوب فان قيل لم يقل وفى الفلك كما
قال تعالى فى سورة هود قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين اجيب بان كلمة على للاستعلاء
فالشئ الذى يوضع على الفلك كما صح ان يقال وضع فيه صح ان يقال وضع عليه ولما صح

الوجهان كانت لفظة على اولى حتى تتم المزاوجة فى قوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون وقال بعضهم
ان لفظ فيها هناك اليق لان سفينة نوح عليه السلام كما قيل مطبقة عليهم وهى محيطة بهم كالوعاء
واما غيرها فالاستعلاء فيه واضح لان الناس على ظهرها ولما كانت هذه آية عظيمة جعلها الله سبحانه
وتعالى مشتملة على آيات كثيرة قال تعالى وَيُرِيكُمْ اى فى كل لحظة آيَاتِهِ اى دلائل قدرته فَأَيَّ
آيَاتِ اللّٰهِ اى المحيط بصفات الكمال الدالة على وحدانيته تُنْكِرُونَ حتى تتوجه لكم المجادلة فى آياته وهذا
استفهام توبيخ وتنبيه واى منصوب بتنكرون وقدم وجوبا لان له صدر الكلام وتذكيره اشهر
من تانيثه قال الزمخشرى وقولك فاية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الاسماء
غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهو فى اى اغرب لابهامه قال ابو حيان ومن قلة تانيثها
قول الشاعر باى كتاب ام باية سنة ترى حبهم عارا على وتحسب قال ابن عادل وقوله وهو
فى اى اغرب ان عنى اياما على الاطلاق فليس بصحيح لان المستفيض فى النداء ان تؤنث فى نداء المؤنث
كقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ولا نعلم احدا ذكر تذكيرها فيه فيقول يا ايها المرأة الا صاحب
البديع فى النحو وان عنى غير المنادى فكلامه صحيح يقل تانيثها فى الاستفهام وموصولة وشرطية
ولما وصل الامر الى حد من الوضوح لا يخفى على احد تسبب عن التفات الخطاب عنهم دلالة على
الغضب الموجب للعقاب المقتضى للرهيب فقال تعالى أَفَلَمْ يَسِيرُوا اى هؤلاء الذين هم اضل
من الانعام لما حصل فى صدورهم من الكبر العظيم طلبا للرياسة والتقدم على الغير فى المال والجاه
فِى الْأَرْضِ اى ارض كانت سير اعتبار فَيَنْظُرُوا نظر تفكر فيما سلكوه من سبلها ونواحيها كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ اى آخر الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ اى مع قرب الزمان والمكان او بعد ذلك
كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ عددا وعددا ومالا وجاها وَأَشَدَّ قُوَّةً فى الابدان كقوم هود
عليه السلام وبناء وَآثَارًا فِى الْأَرْضِ بنحت البيوت فى الجبال وحفر الآبار وبناء المصانع
الجليلة وغير ذلك فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ لقوة ابدانهم وعظم عقولهم ولقيا
وما رتبوا من المصانع لحياتهم حين جاءهم الموت بل كانوا كامس الذاهب تنبيه
ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فَلَمَّا
جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ اى الذين قد ارسلناهم اليهم وهم يعرفون صدقهم وامانتهم بِالْبَيِّنَاتِ
اى المعجزات الظاهرات الدالة على صدقهم لا محالة واختلف فى عود ضمير فى قوله تعالى فَرِحُوا
بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ على وجهين احدهما انه عائد الى الكفار واختلف فى ذلك العلم الذى فرحوا
به فقيل هو الاشياء التى كانوا يسمونها علما وهى الشبهات المحكية عنهم فى القرآن كقولهم وما يهلكنا الا الدهر
وقولهم لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقولهم من يحيى العظام وهى رميم ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها
منقلبا فكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علوم الانبياء كما قال تعالى كل حزب بما لديهم فرحون
وقيل المراد علم الفلاسفة فانهم كانوا اذا سمعوا الوحى الله تعالى دفعوه وصغروا علوم الانبياء

عن علومهم كما روى عن بقراط انه سمع بمجيء بعض الانبياء عليهم السلام فقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهتدون فلا حاجة بنا الى من يهدينا وقيل المراد علمهم بامر الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءت الرسل عليهم السلام بعلوم الديانات ومعرفة الله عز وجل ومعرفة المعاد وتطهير النفس من الرذائل لم يلتفتوا اليها واستهزؤا بها واعتقدوا ان لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به ويجوز ان يكون المراد علم الانبياء وفرح الكفار به ضحكهم واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وَحَاقَ اى احاط على وجه الشدة بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ اى من الوعيد الذى كانوا قاطعين ببطلانه والوجه الثانى انه عائد على الرسل وفيه وجهان احدهما ان تفرح الرسل اذا رأوا من قوم جهلا كاملا واعراضا عن الحق وعلموا سوء غفلتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واعراضهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله تعالى وحاق بالجاهلين جزاء جهلهم واستهزائهم الثانى ان المراد ان الرسل فرحوا بما عند الكفار من العلم فرح ضحك واستهزاء فَلَمَّا رَأَوْا اى عاينوا بَأْسَنَا اى عذابنا الشديد ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ اى الذى له مجامع العظمة ومعاقد العز ونفوذ الكلمة وَحْدَهُ لا نشرك به شيئا وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا اى بصلة وطبعا بِهِ مُشْرِكِينَ يعنون الاصنام اى لانا علمنا انه لا يغنى من دون الله شئ + ولما كان الكفر بالغيب سببا لعدم قبول الايمان عند الشهادة قال تعالى فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ اى لم يصح ولم يقبل بوجه من الوجوه إِيمَانُهُمْ اى لا يتجدد لهم نفعه بعد ذلك لانه ايمان الجاء واضطرار لا ايمان طواعية واختيار لَمَّا رَأَوْا واظهر موضع الاضمار زيادة فى الترهيب فقال تعالى شانه بَأْسَنَا اى عذابنا لامتناع قبول الايمان حينئذ لانه لا يتحقق ولا يتصور الا مع الغيب واما عند الشهادة فقد كشفت سريرته على انه قد فاتت حقيقته وصورته ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فان قيل اى فرق بين قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم اجيب بانه من كان فى نحو قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم فان قيل كيف ترادفت هذه الفاآت اجيب بان قوله تعالى فما اغنى عنهم نتيجة قوله تعالى كانوا اكثر منهم واما قوله تعالى فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله تعالى فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله تعالى فلما رأوا بأسنا تابع لقوله تعالى فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا فكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله تعالى وقوله تعالى سُنَّتَ اللهِ اى الملك الاعظم يجوز انتصابها على المصدر المؤكد لمضمون الجملة اى الذى فعله الله تعالى بهم سنة سابقة من الله تعالى ويجوز انتصابها على التحذير اى احذروا سنة الله تعالى فى المكذبين الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وتلك السنة انهم اذا عاينوا العذاب امنوا ولم ينفعهم ايمانهم فائدة + رسمت سنة بتاء مجرورة ووقف عليها ابن كثير وابو عمرو

والكسائى بالهاء والباقون بالتاء وامال الكسائى الهاء فى الوقف وَخَسِرَ اى هلك اى تحقق وتبين
انه خسر هُنَالِكَ الْكٰفِرُوْنَ اى العريقون فى هذا الوصف فلا انفكاك بينهم وبين الكفر تنبيه
هنالك فى الاصل اسم مكان قيل استعير هنا للزمان ولا حاجة له فالمكانية فيه ظاهرة وقول
البيضاوى تبعا للزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح
نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له حديث موضوع وعن ابن سيرين
رأى رجل فى المنام سبع جوار حسان فى مكان واحد لم ير احسن منهن فقال لهن لمن انتن فقلن لمن يقرأ آل حم

سورة حم السجدة مكية

وتسمى فصلت وهى اربع وخمسون اية وسبعمائة وتسعة وتسعون كلمة وثلاثة الاف وثلثمائة وخمسون
حرفا بِسْمِ اللّٰهِ الذى له اوصاف الكمال الرَّحْمٰنِ الذى وسع كل شئ رحمة وعلما الرَّحِيْمِ الذى
فصل الكتاب تفصيلا وبينه غاية البيان وتقدم الكلام على قوله تعالى حٰمٓ ثم ان جعلتها اسما
للسورة كانت فى موضع الابتداء وخبره تَنْزِيْلٌ مِّنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ وان جعلتها تعديدا للحروف
كان تنزيل خبر المبتدأ محذوف اى هذا تنزيل وقال الاخفش تنزيل رفع بالابتداء وخبره
كِتٰبٌ فصلت وجرى على ذلك الجلال المحلى فُصِّلَتْ اى بينت اٰيٰتُهٗ بالاحكام والقصص والمواعظ
بيانا شافيا فى اللفظ والمعنى حال كونه قُرْاٰنًا اى جامعا مع التفصيل وهو مع جمع اللفظ وضبط
منثور اللؤلؤ منتشر المعانى لا الى حد ولا نهاية عند بل كلما دقق النظر جل المفهوم ولذلك قال
تعالى عَرَبِيًّا لان لسان العرب اوسع الالسن ساحة واعمقها عمقا واغمرها باحة وارفعها بناء
وافصحها لفظا وابينها معنى واجلها فى النفوس وقعا وفى ذلك امتنان لسهولة قرأته وفهمه
وقوله تعالى لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ اى العربية او لاهل العلم وهو النظر وهو متعلق بفصلت اى فصلت
لهؤلاء وبينت لهم لانهم هم المنتفعون بها وان كانت مفصلة فى نفسها لجميع الناس ويجعله
صفة لقرأنا اى كائنا لهؤلاء خاصة لما تقدم من المعنى تنبيه حكم الله على هذه السورة
باشياء اولها كونها تنزيلا والمراد المنزل والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور كقولك
هذا بناء الامير اى مبنيه وهذا الدرهم ضرب السلطان اى مضروبه ومعنى كونها منزلة ان
الله تعالى كتبها فى اللوح المحفوظ وامر جبريل عليه السلام ان يحفظ الكلمات ثم ينزل بها
على محمد صلى الله عليه وسلم ويؤديها اليه فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة جبريل عليه
السلام سمى لذلك تنزيلا وثانيها كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل على ان
ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان الفعل المقرون بالصفة لا بد وان يكون مناسبا لتلك الصفة
فكونه تعالى رحمانا رحيما صفتان دالتان على كمال الرحمة والتنزيل المضاف الى هاتين الصفتين لا بد
وان يكون دالا على اعظم وجوه الرحمة والنعمة والامر كذلك لان الخلق فى هذا العالم كالمرضى

والمتاجين والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية وعلى ما يحتاج اليه الاصحاء
من الاغذية فكان اعظم النعم من الله تعالى على اهل هذا العالم انزال القرآن عليه وثالثها كونه
كتابا وهذا الاسم مشتق من الكتب وهو الجمع فسمى كتابا لانه جمع فيه علوم الاولين والآخرين
ورابعها قوله تعالى فصلت آياته اى ميزت وجعلت تفاصيل فى معان مختلفة فبعضها وصف
ذات الله تعالى وصفات التنزيه والتقديس وشرح كمال قدرته وعلمه وحكمته ورحمته وعجائب
احوال خلقه من السموات والكواكب وتعاقب الليل والنهار وعجائب احوال النبات والحيوان
والانسان وبعضها فى المواعظ والنصائح وبعضها فى تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها
فى قصص الانبياء عليهم السلام وتواريخ الماضيين وبالجملة فمن انصف علم انه ليس فى بدء الخلق
كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل ما فى القرآن وخامسها قوله تعالى قرآنا وقد مر توجيه هذا الاسم
وسادسها قوله تعالى عربيا اى انما نزل بلغة العرب ويؤيده قوله تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه وسابعها قوله تعالى لقوم يعلمون اى جعلناه قرآنا لاجل انا انزلناه على قوم عرب
بلغتهم ليفهموا منه المراد وثامنها وتاسعها قوله تعالى بشيرا اى لمن اتبع ونذيرا اى لمن امتنع
وانقطع وعاشرها قوله تعالى فأعرض أكثرهم اى عن تدبره وقبوله فهم لذلك لا يسمعون
اى يفعلون فعل من لم يسمع لانهم لا يسمعون سماع تأمل وطاعة فهذه اوصاف عشر وصف الله
تعالى القرآن بها واحتج القائلون بخلق القرآن بهذه الآية من وجوه اولها انه تعالى وصف القرآن
بكونه منزلا وتنزيلا والمنزل والتنزيل مشعر بالتغير من حال الى حال فوجب ان يكون مخلوقا
ثانيها ان التنزيل مصدر وهو المفعول المطلق باتفاق النحويين ثالثها ان المراد بالكتاب اما الكتاب وهو
المصدر الذى هو المفعول المطلق واما المكتوب الذى هو المفعول رابعها ان قوله تعالى فصلت آياته
يدل على ان متصرفا تصرف فيه بالتفصيل وذلك لا يليق بالقديم خامسها انما سمى قرآنا لانه قرن
بعض اجزائه ببعض وذلك يدل على كونه مفعول فاعل ومجعول جاعل سادسها وصفه بكونه
عربيا وانما صحت هذه النسبة لان هذه الالفاظ انما دلت على هذه المعانى بحسب وضع العرب
واصطلاحاتهم وما حصل بجعل جاعل وفعل فاعل فلا بد وان يكون محدثا ومخلوقا واجاب اهل
السنة بان كل هذه الوجوه المذكورة عائدة الى اللغات والى الحروف والكلمات وهى حادثة وذهب قوم الى
ان فى القرآن من سائر اللغات كالاستبرق والسجيل فانهما فارسيان والمشكاة فانها حبشية والقسطاس
فانه لغة الروم وهذا فاسد لقوله تعالى قرآنا عربيا وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
+ ولما وصف الله تعالى القرآن بانهم اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه بين انهم صرحوا بهذه النفرة وذكروا
ثلاثة اشياء مذكورة عنهم فى قوله تعالى وقالوا اى عند اعراضهم ممثلين فى عدم قبولهم
قلوبنا فى أكنة اى اغشية محيطة بها والاكنة جمع كنان كاغطية جمع غطاء والكنان هو الذى
يجعل فيه السهام والمعنى لا نفقه ما تقول مما تدعونا ايها المخبر بانه نبى اليه فلا سبيل

الى الوصول اليها لتفقه اصلا فان قيل هلا قالوا على قلوبنا اكنة كما قالوا وَفِىٓ اٰذَانِنَا اى التى نسمع
بها وهى احد الطرق الموصلة الى القلوب وَقْرٌ اى ثقل قد اصمها عن سماعه ليكون على نمط
واحد اجيب بانه على نمط واحد لانه لا فرق فى المعنى بين قولك قلوبنا فى اكنة وعلى قلوبنا
اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم فى اكنة
لم يختلف المعنى والمعنى انا فى ترك القبول عنك بمنزلة لا يفهم ولا يسمع وَمِنْۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ
حِجَابٌ اى حاجز من جبل او نحوه فلا تلاقى ولا ترانى فَاعْمَلْ اى على دينك اِنَّنَا عٰمِلُوْنَ على ديننا
او فاعمل فى ابطال امرنا انا عاملون فى ابطال امرك فان قيل هل لزيادة من فى قولهم
من بيننا وبينك حجاب فائدة اجيب نعم لانهم لو قالوا وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان
حجابا حاصل وسط بين الجهتين واما بزيادة من فالمعنى ان الحجاب ابتداء منا وابتداء منك فالمسافة
المتوسطة لجهتنا وجهتك كلها مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولما اخبروا باعراضهم وعللوا بعدم
فهمهم لما يدعوا اليه امر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بجواب يبين انهم على محض
العناد فقال تعالى قُلْ اى لهؤلاء الذين عجزوا عن رد شئ من امرك بشئ يقبله ذو عقل فادعوا
ما ينادى عليهم بالعجز اِنَّمَآ اَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ اى لست غير بشر مما لا يرى كالملك والجن بل واحد منكم
والبشر يرى بعضهم بعضا ويسمعه ويبصره فلا وجه لما تقولونه اصلا يُوْحٰٓى اِلَيَّ اى بطريق تخفى عليكم
ولولا الوحى ما دعوتكم اَنَّمَآ اِلٰهُكُمْ اى الذى يستحق العبادة اِلٰهٌ وَّاحِدٌ لا غير واحد وهذا ما دلت عليه
الفطرة الاولى السوية وقامت عليه الادلة العقلية وايدتها فى كل عصر الطرق النقلية وانعقد عليه
الاجماع فى اوقات الضرورة النفسانية قال الحسن عليه الله تعالى التواضع ولما قطع حجتهم وازال
علتهم تسبب عن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فَاسْتَقِيْمُوْٓا اِلَيْهِ اى غير معوجين اصلا على نوع
شرك بشفيع ولا غيره وعدى بالى لتضمنه معنى توجهوا والمعنى وجهوا استقامتكم اليه بطاعته
ولا تميلوا عن سبيله وَاسْتَغْفِرُوْهُ اى اطلبوا منه غفران ذنوبكم وهو محوها عينا واثرا حتى
لا تعاقبوا عليها ولا تعاتبوا بالندم عليها والاقلاع عنها حالا ومآلا ثم هدد على ذلك فقال
وَوَيْلٌ كلمة عذاب او واد فى جهنم لِّلْمُشْرِكِيْنَ اى من فواجعهم واستخفافهم بالله تعالى اَلَّذِيْنَ
لَا يُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ اى لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وَهُمْ بِالْاٰخِرَةِ
اى الحيوة التى بعد هذه ولا بعد لها هُمْ كٰفِرُوْنَ واحتج من قال ان الكفار مخاطبون بفروع
الشريعة بهذه الاية فقالوا ان الله تعالى توعدهم بامرين احدهما كونهم مشركين والثانى لا يؤتون
الزكوة فوجب ان يكون لكل واحد من هذين تاثير فى حصول الوعيد وذلك يدل على ان
لعدم ايتاء الزكوة مع الشرك تاثيرا عظيما فى زيادة الوعيد وهو المطلوب فان قيل لم خص تعالى
من اوصاف المشركين منع الزكوة مقرونا بالكفر بالاخرة اجيب بان احب شئ الى الانسان
ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله فى سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته

وصدق نيته وخلوص طويته الا ترى الى قوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم اى يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكوة فنصبت لهم الحروب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكوة وتخويف شديد فى منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقال ابن عباس هم الذين لا يقولون لا اله الا الله وهى زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وقال الحسن وقتادة لا يقرون بالزكوة ولا يرون ايتاءها واجبا وكان يقال الزكوة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون فى الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم + ولما ذكر تعالى ما للجاهلين وعيدا وتهديدا ذكر ما لاضدادهم وعدا وتبشيرا فقال تعالى مجيبا لمن تشوق لذلك مؤكدا لانكار من ينكره ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اى بما آتاهم الله تعالى من العلم النافع ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الزكوة وغيرها من انواع الطاعات ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ اى عظيم ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ اى غير مقطوع جزاء على سماحهم بالفانى اليسير من اموالهم فى الزكوة وغيرها ومما امر الله تعالى من اقوالهم وافعالهم فى الآخرة والدنيا والممنون المقطوع من مننت الحبل اذا قطعته ومنه قولهم قد منه السفر اى قطعه وقال مقاتل غير منقوص ومنه المنون لانه ينقص منه الانسان وقوته وانشد والذى الاصبع العدوانى لعمرك ما بابى بذى غلق + على الصديق ولا اجرى بممنون + وقيل غير ممنون به عليهم لان عطاء الله تعالى لا يمن به انما يمن المخلوق وقال السدى نزلت فى المرضى والزمنى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه روى عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان طليقا حتى اطلقه او اكفته الى ولما ذكر سبحانه وتعالى سفههم فى كفرهم بالآخرة شرع فى ذكر الادلة على قدرته عليها وعلى كل ما يريد بخلق الاكوان وما فيها الشامل لهم ولمعبوداتهم من الجمادات وغيرها الدال على انه واحد لا شريك له فقال منكرا عليهم ومقررا بالوصف لانهم كانوا عالمين باصل الخلق ﴿قُلْ﴾ يا اشرف الرسل لمن انكر الخلق منكرا عليه بقولك ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ واكد لانكارهم التصريح بما يلزمهم من الكفر بقوله تعالى ﴿لَتَكْفُرُونَ﴾ اى توجدون حقيقة الستر لانوار العقول الظاهرة ﴿بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ اى على سعتها وعظمها من العدم ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ فتنكرون قدرته على اعادة ما خلقه منها ابتداء مع اعترافكم بانه ابتدأ خلقها وخلق ذلك منها وهذان اليومان الاحد والاثنين كما قاله ابن عباس وعبد الله بن سلام قال ابن الجوزى والاكثرون قال ابن عباس ان الله خلق يوما فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس فخلق الله الارض فى يوم

ربع

الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء ولذلك يقول الناس انه يوم ثقيل وخلق مواضع الانهار والشجر والقرى يوم الاربعاء وخلق الطير والوحش والسباع والهوام والآفة يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت ولكن فى حديث مسلم عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل فان قيل الايام انما كانت بدوران الافلاك وانما كان ذلك بعد تمام الخلق بالفعل اجيب بان المراد فى مقدار يومين ونوبتين خلق فى كل نوبة ما خلق فى اسرع ما يكون قال البيضاوى ولعل المراد من الارض ما فى جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها فى يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعها وكفرهم به الحادهم فى ذاته تعالى وصفاته وقرأ قالون وابو عمرو وهشام بتسهيل الثانية بخلاف عن هشام وادخلوا بين الهمزة المحققة والمسهلة الفا وورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير ادخال والباقون بتحقيقهما من غير ادخال + ولما ذكر كفرهم بالبعث وغيره عطف على تكفرون قوله تعالى وَتَجْعَلُونَ اى مع هذا الكفر لَهٗٓ اَنْدَادًا من الخشب المنجور ومن الحجر المنحوت شركاء فى المعبودية ولما بلغهم على قبح معتقدهم عظم ذلك بتعظيم شانه سبحانه فقال تعالى ذٰلِكَ اى الاله العظيم رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ اى موجدهم ومربيهم وذلك يدل قطعا على جميع ما له من صفات الكمال + ولما ذكر تعالى ما هم به مقرون من ابداعها اتبعه بثلاثة انواع من الصنع العجيب الفعل البديع بعد ذلك فالاول قوله تعالى وَجَعَلَ فِيْهَا رَوَاسِيَ اى جبالا ثوابت وهو مستأنف لا يجوز عطفه على صلة الموصول للفصل بينهما باجنبى وهو قوله تعالى وتجعلون فانه معطوف على لتكفرون كما مر فان قيل ما الفائدة فى قوله تعالى مِنْ فَوْقِهَا ولم يقتصر قوله وجعل فيها رواسى كما اقتصر على قوله تعالى فيها رواسى شامخات وقوله تعالى وجعلنا فى الارض رواسى ان تميد بكم وقوله تعالى وجعل فيها رواسى اجيب بانه تعالى لو قال وجعل لها رواسى من تحتها لاوهم ذلك ان تلك الاساطين التحتانية هى التى امسكت هذه الارض الثقيلة عن النزول ولكنه تعالى قال جعلت هذه الجبال الثقال فوق الارض ليرى الانسان بعينه ان الارض والجبال اثقال على اثقال وكلها مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدبر الا الله تعالى + ولما هيأ الارض لما يراد منها ذكر ما اودعها وهو النوع الثانى بقوله تعالى وَبٰرَكَ فِيْهَا اى بما خلق من البحار والانهار والاشجار والثمار وغير ذلك وقال ابن عباس يريد شق الانهار وخلق الجبال وخلق الاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه من الحيوانات + النوع الثالث قوله تعالى وَقَدَّرَ فِيْهَآ اَقْوَاتَهَا اى اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به وقال محمد بن كعب قدر الاقوات قبل ان يخلق الخلق والابدان

اى اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها فاضاف القوت الى الارض لكونه متولدا من تلك الارض حادثا فيها لان النحاة قالوا يكفي في جنس الاضافة ادنى سبب فالشيء يضاف الى فاعله تارة والى محله اخرى اى قدر الاقوات التي يختص حدوثها بها وذلك لانه تعالى جعل كل بلدة معدة لنوع من الاشياء المطلوبة حتى ان اهل هذه البلدة يحتاجون الى الاشياء المتولدة في تلك البلدة وبالعكس فصار هذا المعنى سببا لرغبة الناس في التجارات واكتساب الاموال لتنتظم عمارة الارض كلها باحتياج بعضهم الى بعض فكان جميع ما تقدم من ابداعها وابداع ما ذكر من متاعها دفعة واحدة على مقدار لا يتعداه ومنهاج بديع دبره في الازل ارتفاقا وقدره فامضاه لا ينقص عن حاجة المحتاجين اصلا وانما ينقص توصلهم او توصل بعضهم اليه فلا يجد له حينئذ ما يكفيه وفي الارض اضعاف اضعاف كفايته ثم ذكر فذلكة خلق الارض وما فيها فقال تعالى فِىٓ اَرْبَعَةِ اَيَّامٍ اى مع اليومين الماضيين كقولك بنيت بيتي في يوم واكملته في يومين اى بالاول وقال ابو البقاء في تمام اربعة ايام ولولا هذا التقدير لكانت ثمانية يومان في الاول وهو قوله تعالى خلق الارض في يومين ويومان في الآخر وهو قوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين واربعة في الوسط وهو قوله تعالى في اربعة ايام فان قيل انه تعالى ذكر خلق الارض في يومين فلو ذكر انه خلق هذه الانواع الثلاثة الباقية في يومين آخرين كان ابعد عن الشبهة وعن الغلط فلم ترك التصريح بذكر الكلام المجمل اجيب بان قوله تعالى في اربعة ايام سَوَاۤءً اى استوت الاربعة استواء لا يزيد ولا ينقص فيه فائدة زائدة على ما اذا قال خلقت هذه الثلاثة في يومين لانه لو قال تعالى خلقت هذه الاشياء في يومين لا يفيد هذا الكلام كون اليومين مستغرقين بتلك الاعمال لانه قد يقال عملت هذا العمل في يومين مع ان اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل بخلافه لما ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشياء ثم قال في اربعة ايام سواء دل على ان هذه الايام الاربعة صارت مستغرقة في تلك الاعمال من غير زيادة ولا نقصان ولم يفعل تعالى ذلك في اقل من لمح البصر مع تمام القدرة عليه لان هذا ادل على الاختيار وادخل في الابتلاء مع الاختيار يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فيكون اعظم لاجورهم لانه ادل على تسليمهم وجعل مدة خلقها ضعف مدة خلق السموات مع كونها اصغر من السموات دلالة على انها هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين الانس والجن فزادت لما فيها من كثرة المنافع وتباين اصناف الاعراض والجواهر لان ذلك ادخل في المنة على سكانها والاعتناء بشأنهم وشأنها وزادت ايضا لما فيها من الابتلاء بالمعاصي والمجاهدات والمجادلات والمعالجات كل ذلك دلالة على ان المدة ما هي لاجل القدرة بل لاجل التنبيه على ما في القدرة من المقادير وعجائب الامور قال البقاعي ولعل تخصيص السماء بقصر المدة دون العكس لاجراء امورها على ما نتعارفه من ان بناء السقف اخف من بناء البيت تنبيها على انه بنى امور دارنا هذه على الاسباب تنبيها على التأني وتدريبا على السكينة والبعد عن العجلة وقوله تعالى لِلسَّاۤئِلِيْنَ فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق

بسواء بمعنى مستويات للسائلين ثانيهما انه متعلق بقدر اى قدر فيها اقواتها لاجل الطالبين لها المحتاجين المقتاتين ثالثها انه متعلق بمحذوف وكانه قيل هذا الحصر لاجل من سأل فى كم خلقت الارض وما فيها ولما كانت السموات اعظم من الارض فى ذاتها باتساعها وزينتها ودوران فلاكها وارتفاعها نبه على ذلك بالتعبير باداة التراخى ولفظ الاستواء وحرف الغاية الدال على عظم الغاية فقال تعالى ثُمَّ اسْتَوَىٰ اى قصد قصدا هو القصد منتهيا قصده إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ اى والحال انها دُخَانٌ قال المفسرون هذا الدخان بخار الماء وذلك ان عرش الرحمن كان على الماء قبل خلق السموات والارض كما قال تعالى وكان عرشه على الماء ثم ان الله تعالى احدث فى ذلك الماء اضطرابا فازبد وارتفع فخرج منه دخان فاما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق منه اليبوسة واحدث منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات فان قيل هذه الآية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السموات وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق السموات فذلك يوجب التناقض اجيب بان المشهور انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق بعدها السموات ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدها وحينئذ فلا تناقض قال الرازى وهذا الجواب مشكل لان الله تعالى خلق الارض فى يومين ثم انه فى اليوم الثالث جعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها وهذه الاحوال لا يمكن ادخالها فى الوجود الا بعد ان صارت الارض منبسطة ثم انه تعالى قال بعد ذلك ثم استوى الى السماء فهذا يقتضى ان الله تعالى خلق السماء بعد خلق الارض وبعد ان جعلها مدحوة وحينئذ يعود السؤال ثم قال والمختار عندى ان يقال خلق السماء مقدم على خلق الارض وتاويل الآية ان يقال الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد والدليل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فلو كان الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين لصار تقدير الآية اوجده من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال فثبت ان الخلق ليس عبارة عن الايجاد والتكوين بل عبارة عن التقدير والتقدير فى حق الله تعالى هو كلمته بان سيوجده واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى خلق الارض فى يومين معناه انه قضى بحدوثها فى يومين وقضاء الله تعالى انه سيحدث كذا فى مدة كذا لا يقتضى حدوث ذلك الشئ فى الحال فقضاء الله تعالى بحدوث الارض فى يومين قد تقدم على احداث السماء وحينئذ يزول السؤال فَقَالَ لَهَا اى للسماء عقب الاستواء وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا اى تعاليا واقبلا منقادتين وقوله تعالى طَوْعًا أَوْ كَرْهًا مصدران فى موضع الحال اى طائعتين او كارهتين قَالَتَا أَتَيْنَا اى نحن وما فينا وما بيننا طَائِعِينَ اى اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته فى المقدورات لا غير من غير ان يحقق شيئا من الخطاب والجواب ونحو ذلك قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقنى قال الوتد سل من يدقنى فان قيل هلا قال طائعتين على اللفظ او طائعات على المعنى لانهما سموات وارضون اجيب بانه لما جعلهن مخاطبات ومجيبات ووصفهن بالطوع

والكره قال طائعين فى موضع طائعات نحو قوله ساجدين + تنبيه + جمع الامر لهما فى الاخبار لا يدل
على جمعهما فى الزمان بل قد يكون القول لهما متعاقبا فان قيل ان الله تعالى امر السماء والارض
فاطاعتا كما ان الله تعالى انطق الجبال مع داود عليه السلام فقال تعالى يا جبال اوّبى معه والطير
وانطق الايدى والارجل فقال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ واذا كان كذلك
فكيف يستبعد ان يخلق الله تعالى فى ذات السموات والارض حياة وعقلا ثم يوجه الامر والتكليف
عليهما ووجه هذا بوجوه الاول ان الاصل حمل اللفظ على ظاهره الا ان يمنع منه مانع وههنا
لا مانع الثانى انه تعالى جمعهما جمع العقلاء فقال تعالى قالتا اتينا طائعين الثالث قوله تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وهذا يدل على كونها عارفة
بالله تعالى عالمة بتوجه تكليف الله تعالى واجاب الرازى عن هذا بان المراد من قوله تعالى ائتيا
طوعا او كرها الاتيان الى الوجود والحدوث والحصول وعلى هذا التقدير فحال توجه هذا الامر
كانت السموات والارض معدومة اذ لو كانت موجودة لم يجز فثبت ان حال توجه هذا الامر
كانت السموات والارض معدومة واذا كانت معدومة لم تكن عارفة ولا فاهمة للخطاب فلم يجز
توجه الامر اليهما فان قيل روى مجاهد وطاوس عن ابن عباس انه قال قال الله للسموات والارض
اخرجا ما فيكما من المنافع لمصالح العباد اما انت يا سماء فاطلعى شمسك وقمرك ونجومك وانت
يا ارض فشقى انهارك واخرجى ثمارك ونباتك وقال لهما افعلا ما امرتكما طوعا والا الجأتكما
الى ذلك حتى تفعلاه وعلى هذا لا يكون المراد من قوله اتينا طائعين حدوثهما فى ذاتهما بل
يصير المراد من هذا الامر ان يظهرا ما كان مودعا فيهما اجيب بان هذا لم يثبت لانه تعالى قال
﴿فَقَضٰىهُنَّ﴾ اى خلقهن خلقا ابداعيا ﴿سَبْعَ سَمٰوٰتٍ﴾ وهذا يدل على ان حصول السماء انما حصل
بعد قوله ائتيا طوعا او كرها + تنبيه + الضمير للسماء على المعنى كما قال تعالى طائعين ونحوه اعجاز
نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات وسبع سموات حال على الاول
وتمييز على الثانى وقوله تعالى ﴿فِىْ يَوْمَيْنِ﴾ قال اهل الاثر ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد
والاثنين وخلق سائر ما فى الارض يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها فى يوم الخميس
والجمعة وفرغ فى اخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها ادم عليه السلام وهى الساعة التى تقوم فيها
القيمة ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق هذا ايات خلق السموات والارض فى ستة ايام وعن
ابن عباس رضى الله عنه ان اليهود اتت النبىّ صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات
والارض فقال خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيهنّ من المنافع يوم
الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمعايش والعمران والخراب فهذه اربعة وخلق
يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقين

منه فخلق اول ساعة من هذه الثلاثة الآجال حتى يموت من مات وفي الثانية ألقى الآفة على
كل شيء مما ينتفع به وفي الثالثة خلق آدم فاسكنه الجنة وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها في آخر
ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو اتممت قالوا ثم استراح
فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في
ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون فان قيل اليوم عبارة عن النهار والليل
وذلك انما يحصل بطلوع الشمس وغروبها وقبل حدوث السموات والشمس والقمر كيف يعقل
حصول اليوم أجيب بان معناه انه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلك وشمس لكان المقدار مقدار
اليوم كما مر وقضاء الشيء اتمامه والفراغ منه قال ابن جرير وانما سمي الجمعة لان الله تعالى جمع
فيه خلق آدم وخلق السموات والارض اي فرغ من ذلك واتمه وأوحى اي القى بطريق خفي وحكم
ثبوت تروى في كل سماء امرها اي الامر الذي دبرها ودبر منافعها به على نظام محكم لا يختل
وزمام مبرم لا ينحل وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما خلق في كل سماء خلقها من
الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقال السدي يعني خلق فيها
شمسها وقمرها ونجومها ولله في كل سماء بيت تحج اليه وتطوف به الملائكة كل واحد منها مقابل
الكعبة بحيث لو وقعت منه حصاة لوقعت على الكعبة + ولما عم خص التي تلينا اشارة الى تشريفنا
فقال تعالى صارفا القول الى مظهر العظمة تنبيها على ما في هذه الآية من العظم وزينا اي بما لنا
من العظمة السماء الدنيا اي القربى اليكم لاجلكم بمصابيح وهي النيرات التي خلقها الله في السموات
وخص كل واحد منها بضوء معين وطبيعة معينة لا يعلمها الا الله تعالى فلا ينافي كون الدنيا مزينة
بذلك ان تكون النجوم في غيرها مما هو اعلى منها لان السياق دل على انها زينة وقوله تعالى
وحفظا في نصبه وجهان احدهما انه منصوب على المصدر بفعل مقدر اي وحفظناها بالثواقب
من الكواكب حفظا والثاني انه مفعول من اجله على المعنى فان التقدير وخلقنا الكواكب زينة
وحفظا قال ابو حيان وهو تكلف وعدول عن السهل البين في المعنى وحفظناها من الشياطين
الذين يسترقون السمع بالشهب او من الآفات ذلك اي الامر الرفيع والشان البديع تقدير العزيز
اي الذي لا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء العليم اي المحيط علما بكل شيء فالعزيز اشارة الى كمال
القدرة والعليم اشارة الى كمال العلم + ولما كان المتمادي على اعراضه كانه جدد اعراضا غير اعراضه الاول
قال تعالى مفصلا بعد قوله تعالى فاعرض اكثرهم فان اعرضوا اي استمروا على اعراضهم بعد هذا
الشان واعرض غيرهم عن قبول ما جئتهم به من الذكر بعد هذا البيان الواضح في هذه الآيات التي دلت
على الوحدانية والعلم والقدرة وغيرها من صفات الكمال اتم دلالة فقل اي لهم انذرتكم
صاعقة اي فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
وقال المبرد الصاعقة المرة المهلكة لاي شيء كان والانذار التخويف وانما خص هاتين القبيلتين لان

قريشا كانوا يمرون على بلادهم ثم علل ايقاع ذلك بقوله تعالى اذ يجوز ان يكون ظرفا لصاعقة
وظرفيته لا تنافي علميته اي حين جاءتهم اي عادا وثمود الرسل لان الزمان الطويل يجوز نسبة
ما وقع في جزء منه اليه من بين ايديهم اي من قبلهم لان نذيرا لاول نذير لكل من اتى بعده
بانه ان واقع ما واقعه اتاه ما عذب به ومن خلفهم وهم من اتى اليهم لانهم لم يكونوا يعلمون انبائهم
فالخلف كناية عن العناد والتقدم عن البلاد وانهم اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا
فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لآتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم اي لآتينهم من كل جهة وعن الحسن انذروهم من وقائع الله تعالى فيمن قبلهم
من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي ما جرى
فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم واتوهم مقبلين عليهم ومدبرين عنهم وقرأ نافع
وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال عند الجيم وادغمها الباقون ان اي بان لا تعبدوا الا الله
اي الذي له صفات الكمال جميعا قالوا اي الكفار لرسلهم لو شاء ربنا الذي ربانا احسن تربية
ان يرسل الينا رسولا لانزل الينا ملئكة فارسلهم الينا بما يريده منا لكنه لم يرسل ملائكة
فلم يشأ ان يرسل رسولا فانا بما اي بسبب ما ارسلتم به اي على زعمكم بانكم رسل كافرون اذ انتم
بشر مثلنا لا فضل لكم علينا روي ان ابا جهل قال في ملأ قريش التبس علينا امر محمد فلو التمستم
لنا رجلا عالما بالسحر والشعر والكهانة وكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة ابن ربيعة والله لقد
علمت الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال له يا محمد انت خير
ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فلم تشتم الهتنا وتضلل اباءنا فان كنت
تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان كنت اردت الباه زوجناك عشر نسوة تختارهن
من اي بنات قريش شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغني به على ذلك ورسول الله
صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت قال نعم قال فاسمع
ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
فصلت اياته الى ان بلغ قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك
عتبة على فيه وناشده بالرحم الا ما سكت ثم رجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا
ما نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت الى محمد واعجبك
طعامه فان كان بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم لا يكلم محمدا
ابدا وقال والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكني اتيته وقصصت عليه القصة واجابني بشيء والله
ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم حتى سكت فقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت
ان ينزل عليكم العذاب وفي رواية لمحمد بن كعب انه قال اني سمعت قرآنا والله ما سمعت مثله قط

ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة يا معشر قريش اطيعونى خلوا بينكم وبين هذا الرجل وبين ما هو فيه
فاعتزلوه والله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر
على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وانتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا
رأيى لكم فاصنعوا ما بدا لكم + ولما جمعهم الله فيما اجتمعوا فيه حتى كأنهم تواصوا به فصلهم وفصل ما اختلفوا
فيه فقال مسببا عما مضى من مقالاتهم فَأَمَّا عَادٌ اى قوم هود عليه السلام فَاسْتَكْبَرُوا اى طلبوا
الكبر واوجدوه فِي الْأَرْضِ اى كلها التى كانوا فيها بالفعل وغيرها بالقوة او فى الكل بالفعل لكونهم
ملكوها كلها ثم بين كبرهم انه بِغَيْرِ الْحَقِّ اى الذى لم يطابق الواقع ثم ذكر تعالى سبب الاستكبار بقوله
تعالى وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً وذلك ان هودا عليه السلام هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر
على دفع العذاب بفضل قوتنا وكانوا ذوى اجسام طوال طول الطويل منهم اربعمائة ذراع كما
سيأتى فى سورة الفجر قال الله تعالى ردا عليهم أَوَلَمْ يَرَوْا اى يعلموا علما هو كالمشاهدة أَنَّ اللَّهَ المحيط
بكل شئ قدرة وعلما الَّذِي خَلَقَهُمْ ولم يكونوا شيئا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ومن علم ان غيره اقوى
منه وكان عاقلا انقاد له فيما ينفعه ولا يضره وقوله تعالى وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ اى يعرفون
انها حق وينكرونها عطف على فاستكبروا فَأَرْسَلْنَا اى بسبب ذلك على ما لنا من العظمة عَلَيْهِمْ
رِيحًا اى عظيمة صَرْصَرًا اى شديدة البرد والصوت والصرصرة حتى كانت تحرق ببردها
فتكون كأنها صرة اى تجمعه فى موضع واحد فتحبسه الصرصرة بقوتها وتقطع القلب بصوتها فتقهر
شجاعته وتمحق بشدة بردها كل ما مرت عليه وقوله تعالى فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ اى مشؤمات عليهم نحسة
وقرأ ابن عامر والكوفيون بكسر الحاء من نحس نحسا نقيض سعد سعدا فهو نحس والباقون
بسكونها فهو اما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر قال الضحاك امسك الله تعالى عنهم
المطر ثلاث سنين وكانت الايام عليهم من غير مطر وروى ان الايام كانت اخر شوال من الاربعاء الى
الاربعاء قال البيضاوى وما عذب قوم الا يوم الاربعاء وعن عبد الله بن عباس انه قال الرياح
ثمان اربع منها عذاب وهى العاصفة والصرصر والعقيم والقاصف واربع منها رحمة وهى المبشرات
والناشرات والمرسلات والذاريات وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى ما ارسل على
عاد من الريح الا قدر خاتم وفعلنا ذلك بهم لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ اى الذل والهوان فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا كما استكبروا فى الارض بغير الحق فيذلوا عند من تعظموا عليه فى الدار التى اغتروا بها واشتطوا
فيها فان ذلك ادل على القدرة عند من تقيد بالوهم وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ اى الذى اعد للمتكبرين
فى الآخرة بغير الحق أَخْزَى اى اشد اهانة وهو فى الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب
على الاسناد المجازى للمبالغة وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ اى لا يوجد ولا يتجدد لهم نصر ابدا بوجه من الوجوه
+ ولما انهى تعالى امر صاعقة عاد شرع فى بيان صاعقة ثمود فقال تعالى وَأَمَّا ثَمُودُ
وهم قوم صالح عليه السلام فَهَدَيْنَاهُمْ اى بينا لهم طريق الهدى من [illegible]

وعلى كل شئ فلا شريك لنا وكان بيان ذلك بالناقة غاية البيان فابصروا ذلك بابصارهم التي هي
سبب ابصار بصائرهم غاية الابصار فكفروا ذلك لما يلزمه من تركهم طريق ابائهم واقبلوا على لزوم
طريق ابائهم فاستحبوا اي اختاروا العمى اي الكفر على الهدى اي الايمان قال القشيري قيل
انهم امنوا وصدقوا ثم ارتدوا وكذبوا فاجراهم مجرى اخوانهم في الاستبعاد فان قيل اليس معنى
هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى ومعنى تحصيل البغية وحصولها
كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة اجيب بانه لما مكنهم وازاح عللهم
ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها فاخذتهم صاعقة
العذاب اي بسبب ذلك اخذ قهر وهوان الهون اي ذي الهوان وهو الذي يهينهم بما كانوا
اي دائما يكسبون اي من شركهم وتكذيبهم صالحا عليه السلام ولما انهى الله تعالى الخبر عن
الكافرين من الفريقين اتبعه الخبر عن مؤمنيهم بشارة لمن اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ونذارة
لمن صد عنه فقال تعالى ونجينا اي تنجية عظيمة بما لنا من القدرة الذين امنوا اي اوجدوا صفة الايمان وهذا الو
من الفريقين وكانوا اي كونا عظيما يتقون اي يجددلهم هذا الوصف في كل حركة وسكون فلا يقدمون
على شئ بغير دليل فان قيل كيف يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ان ينذر قومه مثل صاعقة عاد
وثمود مع العلم بان ذلك لا يقع في امته وقد صرح تعالى بذلك فقال عز من قائل وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وجاء في الحديث الصحيح ان الله تعالى رفع عن هذه الامة هذه الانواع اجيب
بانهم لما عرفوا كونهم مشاركين لعاد وثمود في الكفر عرفوا كونهم مشاركين لعاد وثمود في استحقاق
مثل تلك الصاعقة وان السبب الموجب للعذاب واحد وربما يكون العذاب النازل من جنس
ذلك العذاب وان كان اقل درجة وهذا القدر يكفي في التخويف ولما بين تعالى كيفية عقوبة
اولئك الكفار في الدنيا اردفه ببيان كيفية عقوبتهم في الاخرة ليحصل تمام الاعتبار في الزجر
والتحذير فقال تعالى ويوم اي واذكر يوم يحشر اي يجمع بكره بامر قاهر لا كلفة فيه اعداء الله
اي الملك الاعظم الى النار وقرأ نافع بنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء على البناء للفاعل و
هو الله تعالى والباقون بياء الغيبة مضمومة وفتح الشين على البناء للمفعول ورفع اعداء لقيامه مقام
الفاعل ووجه الاول انه معطوف على نجينا فحسن ان يكون على وفقه في اللفظ ووجه الثاني
موافقة قوله تعالى فهم اي بسبب حشرهم يوزعون اي يساقون ويدفعون الى النار وقال قتادة
يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا اي يوقف سوابقهم حتى تصل اليهم تواليهم ولما بين تعالى
اهانتهم بالوزع بين غايتها بقوله تعالى حتى اذا ما جاؤها اي النار التي كانوا بها يكذبون فما زائدة
لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور كما قال تعالى شهد عليهم وبين الشاهد وعلته بقوله تعالى سمعهم
وافرد السمع لعدم تفاوت الناس فيه وابصارهم وجمعها لعظم تفاوت الناس فيها وجلودهم
بما كانوا يعملون اي يجددون عمله مستمرين عليه تنبيه في كيفية تلك الشهادة ثلاثة

اقوال اولها ان الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه ثانيها انه تعالى يخلق في تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة على تلك المعاني ثالثها ان يظهر في تلك الاعضاء احوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال يشهد هذا العالم بتغيرات احواله على حدوثه فان قيل ما السبب في تخصيص هذه الاعضاء الثلاثة بالذكر مع ان الحواس خمسة وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس اجيب بان الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يتأتى بان تصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام وكذلك الشم لا يتأتى حتى تصير جلدة الانف مماسة لجرم المشموم فكانا داخلين في جنس اللمس وقال ابن عباس رضي الله عنهما المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج وهو من باب الكنايات كما قال تعالى لا تواعدوهن سرا اراد النكاح وقال تعالى او جاء احد منكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة وقال صلى الله عليه وسلم اول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه وعلى هذا التقدير تكون الآية وعيدا شديدا في اتيان الزنا لان مقدمة الزنا انما تحصل بالفخذ وقال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت الالسن من عملهم وعن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم تجرني من الظلم فيقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز اليوم على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقالوا اي الكفار الذين يحشرون الى النار لجلودهم مخاطبين لها مخاطبة العقلاء لما فعلت فعل العقلاء لم شهدتم علينا مع انا كنا نحاجج عنكم قالوا مجيبين لهم معتذرين انطقنا الله الذي انطق كل شيء اراد نطقه على وجه لم يقدر على التخلف عنه فليس بعجب من قدرة الله الذي له مجامع العز وهو خلقكم اول مرة والعلم القطعي حاصل عندكم بانكم كنتم عدما ثم نطفا لا تقبل النطق في مجاري العادات بوجه ثم طوركم في ادوار الاطوار كذلك الى ان اوصلكم الى حيز الادراك فقسركم على النطق بحيث لو اردتم سلبه عن انفسكم ما قدرتم واليه لا الى غيره ترجعون فينبئكم بما كنتم تعملون + تنبيه + اختلف في قوله تعالى وهو خلقكم الآية فقيل هو من كلام الجلود وقيل هو من كلام الله تعالى كالذي بعده وموقعه تقريب ما قبله بان القادر على انشائكم ابتداء وعلى اعادتكم بعد الموت احياء قادر على انطاق جلودكم واعضائكم وما كنتم تستترون اي عند ارتكابكم الفواحش خفية ان يشهد عليكم سمعكم واكد بتكرير النافي فقال ولا ابصاركم جمع وافرد للمضى ولا جلودكم والمعنى انكم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث جهلا منكم ولكن انما استتاركم لانكم ظننتم بسبب انكار البعث جهلا منكم ان الله الذي له جميع صفات الكمال

لا يعلم اى فى وقت من الاوقات كثيرا مما تعملون وهو الخفيات من اعمالكم روى عن ابن مسعود
قال كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى او قرشيان وثقفى كثير شحم بطونهم
قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون الله يسمع ما نقول فقال الآخر يسمع ان جهرنا وقال الآخر
ان كان يسمع اذا جهرنا يسمع اذا اخفينا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
تعالى وما كنتم تستترون الآية قيل الثقفى عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن امية
وقوله تعالى وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله تعالى ظنكم بدل منه وقوله تعالى
الذى ظننتم بربكم نعت البدل والخبر ارداكم اى اهلككم وفى هذا تنبيه على ان من حق المؤمن
ان لا يذهب عنه ولا يزول عن ذهنه ان عليه من الله تعالى عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى
يكون فى اوقاته وخلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما واوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا ينبسط
فى سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين + ولما كان الصباح محل رجاء الافراح فكان شرّ
الاتراح ما كان فيه قال تعالى فاصبحتم اى بسبب ما اعطيتموه من النعم لتستنقذوا انفسكم به
من الهلاك كان سبب هلاككم من الخاسرين اى العريقين فى الخسارة المحكوم بخسارتهم فى جميع
ذلك اليوم قال المحققون الظن قسمان احدهما حسن والآخر فاسد فالحسن ان يظن بالله تعالى
الرحمة والفضل والاحسان قال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انا عند ظن عبدى بى وقال
صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله والظن الفاسد ان يظن ان الله تعالى
يعزب عن علمه بعض هذه الاحوال وقال قتادة الظن نوعان منجى ومردى فالمنجى قوله انى
ظننت انى ملاق حسابيه وقوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون
والمردى هو قوله تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم فان يصبروا فالنار مثوى اى منزل
لهم اى ان امسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك وتكون النار مقاما لهم وان
يستعتبوا اى يسألوا العتبى وهو الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين
اى المجابين اليها ونحوه قوله عز وجل اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص + ولما ذكر وعيدهم
فى الدنيا والآخرة اتبعه بسبب كفرهم الذى هو سبب الوعيد فقال تعالى وقيضنا قال مقاتل هيأنا
وقال الزجاج سببنا لهم اى للكفرة واصل التقييض التيسير والتهيئة يقال قيضته للشئ هيأته
له ويسرته وهذان ثوبان قيضان اى كل منهما مكافئ للآخر فى الثمن وقوله تعالى قرناء اى
نظراء من الشياطين حتى اضلوهم جمع قرين قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين فزينوا لهم ما بين ايديهم اى من امر الدنيا حتى آثروها على الآخرة
وما خلفهم اى من امر الآخرة انه لا بعث الى التكذيب انكار البعث وقال الزجاج زينوا لهم ما بين ايديهم
من امر الآخرة انه لا بعث ولا جنة ولا نار وما خلفهم من امر الدنيا بان الدنيا قديمة ولا صانع
الا الطبائع والافلاك قال القشيرى اذا اراد الله بعبد سوءا قيض له اخوان سوء وقرناء سوء

يحملونه على المخالفات ويدعونه اليها ومن ذلك الشيطان وشر منه النفس وبئس القرين تدعو اليوم الى ما فيه الهلاك وتشهد غدا عليه واذا اراد الله بعبده خيرا قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه اليها وروى عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد شرا قيض له قبل موته شيطانا فلا يرى حسنا الا قبحه عنده ولا قبيحا الا حسنه عنده وعن عائشة اذا اراد الله بالوالى خيرا قيض له وزير صدق ان نسى ذكره وان ذكر اعانه وان اراد غير ذلك جعل الله له وزير سوء ان نسى لم يذكره وان ذكر لم يعنه وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانة تامره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله تعالى ✱ تنبيه ✱ فى الاية دلالة على انه تعالى يريد الكفر من الكافرين لانه تعالى قيض لهم قرناء سوء فزينوا لهم الباطل وهذا يدل على انه تعالى اراد منهم الكفر ولكن لا يرضاه كما قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وَحَقَّ اى وجب وثبت عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ اى كلمة العذاب وقرأ ابو عمرو فى الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائى بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم وقوله تعالى فِىٓ اُمَمٍ محله نصب على الحال من الضمير فى عليهم اى حق عليهم القول كائنين فى جملة امم كثيرة وفى بمعنى مع قَدْ خَلَتْ اى لم تتعظ امة منهم بالاخرى مِنْ قَبْلِهِمْ اى فى الزمان مِّنَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ قد عملوا مثل اعمالهم وقوله تعالى اِنَّهُمْ اى جميع المذكورين منهم وممن قبلهم كَانُوْا خٰسِرِيْنَ تعليل لاستحقاقهم العذاب وقوله تعالى وَقَالَ الَّذِيْنَ

ع

كَفَرُوْا اصله وقالوا اى المعرضون ولكنه قال ذلك تنبيها على الوصف الذى اوجب اعراضهم لَا تَسْمَعُوْا اى شيئا من مطلق السماع لِهٰذَا الْقُرْاٰنِ وعينوه بالاشارة احترازا عن غيره من الكتب القديمة كالتورية قال القشيرى لانه مقلب القلوب وكل من استمع له صبا اليه وَالْغَوْا اى اهزؤا فِيْهِ اى اجعلوه ظرفا للغو بان تكثروا من الخرافات والهذيانات واللغط واللغو والتصدية اى التصفير والتصفيق وغيرها قال ابن عباس كان بعضهم يوصى قريشا اى بعضا اذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوا بالرجز والشعر واللغو وهو من باب لغى بالكسر يلغى بالفتح اذا تكلم بما لا فائدة فيه لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُوْنَ اى ليكون حالكم حال من يرجى له ان يغلب ويظفر بمراده فى ان لا يميل اليه احد ويسكت وينسى ما كان يقول وهذا يدل على انهم عارفون بان من يسمعه مال اليه واقبل بكليته عليه وقد فضحوا انفسهم بهذا فضيحة لا مثل لها فَلَنُذِيْقَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اظهر فى موضع الاضمار اذ اصله فلنذيقنهم لكنه اظهر تعميما وتعليقا بالوصف عَذَابًا شَدِيْدًا فى الدنيا بالحرمان وبنحو ما من فنون الهوان وفى الاخرة بالنيران وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ اى باعمالهم اَسْوَاَ اى سوء العمل الَّذِىْ كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ اى مواظبين عليه ذٰلِكَ اى الجزاء الاسوأ العظيم جدا جَزَاۤءُ اَعْدَاۤءِ اللّٰهِ اى الملك الاعظم ثم بينه بقوله تعالى النَّارُ وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فى الوصل بابدال الهمزة الثانية المفتوحة واوا خالصة والباقون بتحقيقهما واما الابتداء بالثانية فالجميع بالتحقيق ثم فصل بعض

ما فى النار بقوله تعالى لَهُمْ فِيهَا اى النار دَارُ الْخُلْدِ اى فانها دار اقامة قال الزمخشرى فان قلت
مامعنى قوله لهم فيها دار الخلد قال قلت ان النار فى نفسها دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم فى
رسول الله اسوة حسنة اى الرسول هو نفس الاسوة وقال البيضاوى هو كقولك فى هذه الدار
دار سرور ويعنى بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة قال ابن عادل فى هذا نظر اذ الظاهر وهو
معنى صحيح منقول ان فى النار دارا تسمى دار الخلد والنار محيطة بها اه وهذا اولى وقوله تعالى جَزَاءً
منصوب بالمصدر الذى قبله وهو جزاء اعداء الله والمصدر ينصب بمثله كقوله تعالى فان جهنم
جزاؤكم جزاء موفورا بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا اى على ما لنا من العظمة يَجْحَدُونَ اى يلغون فى القراءة و
سماه جحدا لانهم لما علموا ان القرآن بالغ الى حد الاعجاز خافوا من انه لو سمعه الناس لآمنوا فاستحدثوا
تلك الطريقة الفاسدة وذلك يدل على انهم علموا كونه معجزا وانهم جحدوا حسدا ولما بين
تعالى ان الذى حملهم على الكفر الموجب للعذاب الشديد مجالسة قرناء السوء بين ما يقولون
فى النار بقوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا اى غطوا انوار عقولهم داعين بما لا يسمع لهم فهو زيادة
فى عقوبتهم وحكايته لها وعظ وتحذير رَبَّنَا اى يا ايها الذى عاملنا بقطع احسانه عنا أَرِنَا
الصنفين اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا اى عن المنهج الموصل الى محل الرضوان مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لان الشيطان
على ضربين جنى وانسى قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن
وقال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل بن
ادم الذى قتل اخاه لان الكفر سنه ابليس والقتل بغير حق سنه قابيل فهما سنا المعصية وقرأ
ابن كثير والسوسى وابن عامر وشعبة بسكون الراء من ارنا واختلس الدورى كسر الراء وكسرها
الباقون وشدد ابن كثير النون من اللذين نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا فى النار اذلالا لهما كما جعلانا
تحت امرهما لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ قال مقاتل اسفل منا فى النار وقال الزجاج ليكونا فى الدرك
الاسفل من النار اى من اهل الدرك الاسفل وممن هو دوننا كما جعلانا كذلك فى الدنيا فى
حقيقة الحال باتباعنا لهما وقال بعض الحكماء المراد باللذين اضلانا الشهوة والغضب والمراد بجعلهما تحت
اقدامهم كونهما مسخرين للنفس مطيعين لها وان لا يكونا مستوليين عليها ظاهرين عليها ولما ذكر تعالى الوعيد
اردفه بذكر الوعد كما هو الغالب فقال تعالى إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا اى قولا حقيقيا مذعنين به بالجنان ناطقين باللسان
تصديقا للداعى الله تعالى فى الدنيا رَبُّنَا اى المحسن الينا اللَّهُ اى المختص بالجلال والاكرام وحده لا شريك له
وثم فى قوله تعالى ثُمَّ اسْتَقَامُوا للتراخى الرتبة فى الفضيلة فان الثبات على التوحيد ومجاهدة النفس الى الممات
امر فى علو رتبته لا يرام الا بتوفيق ذى الجلال والاكرام سئل ابو بكر الصديق رضى الله عنه
عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيئا وقال عمر رضى الله عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر
والنهى ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضى الله عنه اخلصوا العمل لله وقال على رضى الله عنه
ادوا الفرائض وقال ابن عباس رضى الله عنهما استقاموا على امر الله تعالى بطاعته

واجتنبوا معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وقال
قتادة كان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم ربنا ارزقنا الاستقامة وقال سفيان بن عبد الله
الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم فقلت ما اخوف ما تخاف
عليّ فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا قال ابو حيان قال ابن عباس رضي الله
عنهما نزلت هذه الآية في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةُ قال ابن عباس
عند الموت وقال قتادة اذا قاموا من قبورهم وقال وكيع بن الجراح البشرى تكون في ثلاثة مواطن
عند الموت وفي القبر وعند البعث وهي اَلَّا تَخَافُوا قال مجاهد لا تخافوا مما تقدمون عليه من امر الآخرة
وَلَا تَحْزَنُوا على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقال عطاء بن ابي رباح لا تخافوا
من ذنوبكم ولا تحزنوا فاني اغفرها لكم والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن يلحق لوقوعه من
فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا + تنبيه +
يجوز في ان ان تكون المخففة او المفسرة او الناصبة ولا ناهية على الوجهين الاولين ونافية على الثالث
وَاَبْشِرُوا اي املؤا صدوركم سرورا يظهر اثره على بشرتكم بتهلل الوجه ويعم سائر الجسد بِالْجَنَّةِ
الَّتِي كُنْتُمْ اي كونا عظيما على السنة الرسل عليهم السلام تُوعَدُونَ اي يتجدد لكم ذلك كل حين
بالكتب والرسل + تنبيه + فيما ذكر دلالة على ان المؤمن عند الموت وفي القبر وعند البعث
يكون فارغا من الاهوال ومن الفزع الشديد فان قيل البشارة عبارة عن الخبر الاول بحصول المنافع
فاما اذا اخبر الشخص بحصول المنفعة ثم اخبر ثانيا بحصولها كان الاخبار الثاني اخبارا ولا يكون بشارة
والمؤمن قد يسمع بشارات الخير فاذا سمع المؤمن هذا الخبر من الملائكة وجب ان يكون هذا
اخبارا ولا يكون بشارة فما السبب في تسمية هذا الخبر بشارة اجيب بان المؤمن قد يسمع بشارات
الخير ولم يعلم بان له الجنة فيكون ذلك بشارة اما اذا علم انه من اهل الجنة باخبار نبي فانه اذا سمع
هذا الكلام من الملائكة فانه يكون اخبارا + ولما اثبتوا لهم الخير ونفوا عنهم الضير عللوه بقولهم
نَحْنُ اَوْلِيَاؤُكُمْ اي اقرب الاقرباء اليكم فنحن نفعل معكم كل ما يمكن ان يفعله القريب فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا
نجلب لكم المسرات وندفع عنكم المضرات ونحملكم على جميع الخيرات فنوقظكم من المنام ونحملكم
على الصلوة والصيام ونبعدكم عن الآثام ضد ما تفعله الشياطين مع اوليائهم وَفِي الْآخِرَةِ كذلك
حيث تتعادى الاخلاء الا الاتقياء قال السدي تقول الملائكة عليهم السلام نحن الحفظة الذين كنا
معكم في الدنيا ونحن اولياؤكم في الآخرة اي لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة وَلَكُمْ فِيهَا اي
في الآخرة اي في الجنة وقبل دخولها في جميع اوقات الحشر مَا تَشْتَهِي ولو على ادنى وجوه
الشهوات كما يرشد اليه حذف المفعول اَنْفُسُكُمْ من اللذائذ لاجل ما منعتموها من الشهوات
في الدنيا وَلَكُمْ فِيهَا اي في الآخرة مَا تَدَّعُونَ اي تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم
من القول وقوله تعالى نُزُلًا حال مما تدعون اي هذا كله يكون لكم نزلا كما يقدم الى الضيف

عنده قدومه الى ان يهيأ له ما يضافه به واما ما يعطون فهو ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر ولما كان من حوسب عذب فلا يدخل احد الجنة الا برحمة الله تعالى اشار الى ذلك
بقوله تعالى مِنْ اى كائن ذلك النزل من غَفُوْرٍ له صفة المحو للذنوب عينا واثرا على غاية لا يمكن
وصفها رَحِيْمٍ اى بالغ الرحمة وهو الله تعالى واختلف فى تفسير قوله تعالى وَمَنْ اَحْسَنُ قَوْلًا اى من ع
جهة القول مِمَّنْ دَعَا اِلَى اللّٰهِ اى الذى عم بصفات كماله جميع الخلق فقال ابن سيرين والسدى هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى شهادة ان لا اله الا الله وقال الحسن هو المؤمن الذى اجاب الله
تعالى دعوته ودعا الناس الى ما اجاب اليه وَعَمِلَ اى والحال انه قد عمل صَالِحًا فى نفسه ليكون ذلك
امكن لدعائه وَقَالَ اِنَّنِىْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ تفاخرا به وقطعا للطمع المفسدين قال عكرمة هم المؤذنون
وقالت عائشة رضى الله عنها ان هذه الاية نزلت فى المؤذنين وقال ابو امامة الباهلى رضى الله تعالى
عنه وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة وعن عبد الله بن مغفل رضى الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلوة ثلاث مرات ثم قال فى الثالثة لمن شاء
وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ
وَلَا السَّيِّئَةُ اى الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة فى الجزاء وحسن العاقبة تنبيه فى
لا الثانية وجهان احدهما انها زائدة للتاكيد كقوله تعالى ولا الظل ولا الحرور ولان الاستواء لا يكتفى بواحد
الثانى انها مؤسسة غير مؤكدة اذ المراد بالحسنة والسيئة الجنس اذ لا تستوى الحسنات فى انفسها فانها متفاوتة
ولا تستوى السيئات ايضا فرب واحدة اعظم من اخرى وهو ماخوذ من كلام الزمخشرى اِدْفَعْ كل
ما يمكن ان يضرك من نفسك ومن الناس بِالَّتِىْ اى بالخصال والاحوال التى هِىَ اَحْسَنُ على قدر
الامكان من الاعمال الصالحات والعفو عن المسئ حسن والاحسان اليه احسن منه فَاِذَا الَّذِىْ
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ عظيمة فاجأته حال كونه كَاَنَّهُ وَلِىٌّ اى قريب فاعل ما يفعله القريب حَمِيْمٌ اى
فى غاية القرب لا يدع مهما الاقتضاه ويسهله ويسره وشفى علله وقرب بعيده وازال درنه كما
يزيل الماء الحار الوسخ وقيل نزلت فى ابى سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فاسلم فصار وليا مصافيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نبه على عظيم فضل هذه
الخصلة بقوله تعالى وَمَا يُلَقّٰهَا اى على ما هى عليه من العظمة اِلَّا الَّذِيْنَ صَبَرُوْا وَمَا يُلَقّٰهَا اِلَّا ذُوْ حَظٍّ عَظِيْمٍ
من الفضائل النفسانية وقال قتادة الحظ العظيم الجنة اى وما يلقاها الا من وجبت له الجنة وقوله تعالى وَاِمَّا
فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما الزائدة يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطٰنِ نَزْغٌ قال الزمخشرى النزغ والنسغ
بمعنى واحد وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغى وجعل النزغ
نازغا كما قيل جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او تسويله والمعنى وان
صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى احسن فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ اى استجر بالملك الاعلى من
شر الشيطان فى الطلب من الله الدخول فى عصمته مبادرا الى ذلك وامض على شانك ولا تطعه وتوكل

على الله تعالى إِنَّهُ هُوَ اى وحده السَّمِيعُ اى لكل مسموع من استعاذتك وغيرها العَلِيمُ اى بكل معلوم
من نزغه وغيره فهو القادر على رد كيده وتوهين امره ثم استدل على ذلك بقوله تعالى
وَمِنْ آيَاتِهِ الدالة على وحدانيته وانه سميع عليم اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ باختلاف هيئتهما على قدرته على
البعث وكل مقدور وقدم الليل على ذكر النهار تنبيها على ان الظلمة عدم والنور وجود والعدم سابق
على الوجود وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ اللذان هما آيتا الليل والنهار وقدم الشمس على ذكر القمر لكثرة نفعها ولما ثبت
انه تعالى المنفرد بالخلق قال سبحانه لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ التى هى من اعظم اوثانكم واعاد النافى تاكيدا
فقال وَلَا لِلْقَمَرِ فانهما دالان على وجود الاله مخلوقان مسخران فلا ينبغى السجود لهما لان السجود
عبادة عن نهاية التعظيم وهو لا يليق الا بالذى اوجدهما من العدم كما قال تعالى وَاسْجُدُوا لِلَّهِ
اى الذى له كل كمال من غير شائبة نقص واختلف فى عود الضمير فى قوله تعالى الَّذِي خَلَقَهُنَّ
على اوجه اولها عوده للآيات الاربع كما جرى عليه الجلال المحلى وقيل يرجع لليل والنهار والشمس
والقمر قال الزمخشرى لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى والاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن
وناقشه ابو حيان من حيث انه لم يفرق بين جمع القلة والكثرة فى ذلك لان الافصح فى جمع القلة ان
يعامل معاملة الاناث وفى جمع الكثرة ان يعامل معاملة الانثى والافصح ان يقال الاجذاع كسرتهن
والجذوع كسرتها واجاب بعضهم بان الزمخشرى ليس فى مقام بيان الفصيح من الافصح بل فى مقام
كيف يجئ الضمير ضمير اناث بعدما تقدم ثلاثة اشياء مذكرات وواحد مؤنث والقاعدة تغليب المذكر
على المؤنث وقال البغوى انما قال خلقهن بالتانيث لانه اجراها على طريق جمع التكسير ولم يجرها على
طريق التغليب للمذكر على المؤنث ولما ظهر ان الكل عبيده وكان السيد لا يرضى باشراك
عبده عبدا آخر فى عبادة سيده قال تعالى إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ اى خاصة بغاية الرسوخ تَعْبُدُونَ كما هو
صريح قولكم فى الدعاء فى وقت الشدائد لا سيما فى البحر وفى الآية اشارة الى الحث على صيانة
الآدميين عن ان يقع منهم سجود لغيره رفعا لمقامهم عن ان يكونوا ساجدين لمخلوق بعد ان كانوا
مسجودا لهم فانه تعالى امر الملائكة عليهم السلام الذين هم اشرف خلقه بالسجود لآدم عليه السلام
وهم فى ظهره فتكبر ابليس فابد لعنته الى يوم القيامة فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا اى اوجدوا التكبر عن اتباعك
فيما امرتهم به من التوحيد فلم ينزهوا الله تعالى عن الشريك فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ اى من
الملائكة قال الرازى ليس المراد بهذه العندية قرب المكان بل كما يقال عند الملك من الجند كذا
وكذا ويدل عليه قوله تعالى انا عند ظن عبدى بى وانا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى يُسَبِّحُونَ لَهُ
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ اى دائما لقوله تعالى وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ اى لا يملون ولقوله سبحانه وتعالى يسبحون الليل سجدة ١١
والنهار لا يفترون فان قيل اشتغالهم بهذا العمل على الدوام يمنعهم من الاشتغال بسائر الاعمال مع انهم
ينزلون الى الارض كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال تعالى عن الذين قاتلوا يوم بدر
يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين اجيب بان الذين ذكرهم الله تعالى ههنا

بل هم مواظبين على التسبيح اقوام معينون من الملائكة + تنبيه + اختلف فى مكان السجدة
فقيل هو عند قوله تعالى اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن رضى الله عنهما وحكاه الرازى فى
عن ابى حنيفة واحمد رضى الله تعالى عنهما لانه ذكر السجدة قبيله والصحيح عند الشافعى رضى الله تعالى
عنه عند قوله تعالى لايسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشرى
عن ابى حنيفة رضى الله عنه لان عنده تم الكلام + ولما ذكر تعالى الدلائل الاربعة الفلكية اتبعها بذكر
الدلائل الارضية فقال تعالى وَمِنْ اٰيٰتِهٖٓ الدالة على قدرته ووحدانيته اَنَّكَ اى ايها الانسان
تَرَى الْاَرْضَ اى بعضها بحاسة البصر وبعضها بعين البصيرة قياسا على ما ابصرت خَاشِعَةً اى يابسة
لانبات فيها والخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لانبات فيها كما
وصفها بالهمود فى قوله تعالى وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو
كما قال تعالى فَاِذَآ اَنْزَلْنَا اى بما لنا من العظمة عَلَيْهَا الْمَآءَ من الغمام او غيره اهْتَزَّتْ اى تحركت
حركة عظيمة كثيرة شديدة فكان من يعالج ذلك بنفسه وَرَبَتْ اى تشققت فارتفع ترابها وخرج منها
النبات وسما فى الجو مغطيا لوجهها وتشعبت عروقه وغلظت سوقه فصار يمنع سلوكها على ما كانت
فيه من السهولة وتزخرفت بذلك النبات كانها بمنزلة المختال فى زيه بعد ما كانت قبل ذلك
كالذليل الكاسف البال فى الاطمار الرثة وقرأ السوسى ترى الارض فى الوصل بالامالة بخلاف عنه
والباقون بالفتح وفى الوقف امال محضة ابو عمرو وحمزة والكسائى وورش بين بين والباقون بالفتح
ثم استدل بذلك على القدرة على البعث فقال تعالى اِنَّ الَّذِيْٓ اَحْيَاهَا اى بالخرج من نباتها بعد ان كانت
ميتة لَمُحْيِ الْمَوْتٰى كما فعل بالنبات من غير فرق اِنَّهٗ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ فهو قادر على احياء الارض بعد
موتها وعلى احياء هذه الاجساد بعد موتها لان الممكنات بالنسبة الى القدرة متساوية فالقادر قدرة
تامة على شئ منها قادر على غيره ثم انه تعالى هدد من يجادل فى اياته بالقاء الشبهات فيها بقوله تعالى
اِنَّ الَّذِيْنَ يُلْحِدُوْنَ فِيْٓ اٰيٰتِنَا اى القرآن على ما لها من العظمة بالطعن والتحريف فى التاويل الباطل والالغاء
فيها وقرأ حمزة بفتح الياء والحاء من لحد والباقون بضم الياء وكسر الحاء من الحد يقال لحد الحافر
والحد اذا مال عن الاستقامة يحفر فى شق فالملحد هو المنحرف ثم اختص فى العرف بالمنحرف عن الحق
الى الباطل قال مجاهد يلحدون فى اياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقال السدى يعاندون
ويشاقون لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا اى فى وقت من الاوقات فنحن قادرون على اخذهم متى شئنا اخذنا
ولا يعجل الامن يخشى الفوات قال مقاتل نزلت فى ابى جهل وقوله تعالى اَفَمَنْ يُّلْقٰى فِى النَّارِ اى
على وجهه بايسر امر خَيْرٌ اَمْ مَّنْ يَّاْتِيْٓ اٰمِنًا يَّوْمَ الْقِيٰمَةِ استفهام بمعنى التقرير والغرض منه التنبيه
على ان الملحدين فى الايات يلقون فى النار وان المؤمنين بالايات يأتون امنين يوم القيمة حين
يجمع الله تعالى عباده للعرض عليه للحكم بينهم بالعدل قال البغوى قيل هو حمزة وقيل عثمان
وقيل عمار بن ياسر + فائدة + ام من فى الرسم مقطوعة وقوله تعالى اعْمَلُوْا مَا شِئْتُمْ اى فقد علم

مصير المسيء والمحسن تهديدا لمن اراد شيئا من الجزاءين فليعمل اعماله فانه ملاقيه وقوله تعالى
انه بما تعملون اى فى كل وقت بصير اى عالم باعمالكم فيه وعيد بالمجازاة وقوله تعالى ان الذين كفروا
بالذكر اى القران لما جاءهم بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون او مستأنف وخبر ان محذوف
مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون ولما بالغ تعالى فى تهديد الملحدين فى آيات القران
اتبعه ببيان تعظيم القران فقال تعالى وانه اى والحال انه لكتاب اى جامع لكل خير عزيز
اى فهو كثير النفع عديم النظير يغلب كل ذكر ولا يغلبه ذكر ولا يقرب منه ذلك يعجز كل معارض
ولا يعجز عن افعاد مناهض وقال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما كريم على الله تعالى وقال
قتادة اعزه الله تعالى لا يأتيه الباطل لانه ممتنع منه بمتانة وصفه وجزالة نظمه وحلاوة معانيه
فلا يلحقه تغيير من بين يديه ولا من خلفه اى يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات
لان قدام اوضح مايكون وخلف اخفى مايكون فاين يخرج الكلام من باب الى العبارة كناية عن ذلك لان صفة الله تعالى
لا وراء لها ولا امام لها على الحقيقة ومثل ذلك ليس وراء الله تعالى مرمى ولا دونه منتهى
وقال قتادة والسدي الباطل هو الشيطان لا يستطيع ان يغيره او يزيد فيه او ينقص منه
وقال الزجاج معناه انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه
فيأتيه الباطل من خلفه وعلى هذا فمعنى الباطل الزيادة او النقصان وقال مقاتل لا يأتيه
التكذيب من الكتب التي قبله ولا يأتي بعده كتاب فيبطله ثم علل ذلك بقوله تعالى تنزيل اى
بحسب التدريج لاجل المصالح من حكيم اى بالغ الحكمة فهو يضع كل شيء منه فى اتم محاله من وقت
النزول وسياق النظم حميد اى بالغ الاحاطة باوصاف الكمال من الحكمة وغيرها والتطهير
والتقديس عن كل شائبة نقص يحمده كل خلقه بلسان حاله ان لم يحمده بلسان قاله فان قيل
اما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون اجيب بان الله تعالى حماه عن تعلق الباطل به بان قيض
قوما عارضوهم بابطال تأويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل
الا مضمحلا ونحو هذا قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ثم سلى نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم بقوله تعالى ما يقال اى من الكفار ومن غيرهم لك يا اكرم الخلق مما يحصل به ضيق
صدر وتشويش فكر الا ما اى شيء قد قيل اى حصل قوله على ذلك الوجه للرسل من قبلك فصبروا
على ما اوذوا فاصبر كما صبروا ان ربك اى المحسن اليك بارسالك وانزال كتابه اليك ومن
يكرم بمثل هذا لا ينبغي له ان يحزن لشيء يعرض له لذو مغفرة اى لمن تاب وآمن بك وذو عقاب
اليم اى مؤلم لمن اصر على التكذيب وعلى هذا فقوله تعالى ان ربك الآية مستأنف وقيل مفسر للمقول
كأنه قيل للرسل ان ربك لذو مغفرة وجرى على ذلك الزمخشري ونزل جوابا لقولهم هلا نزل القران
بلغة العجم ولو جعلناه اى هذا الذكر بما لنا من العظمة قرانا اى على ما هو عليه من الجمع اعجميا اى لا يفصح
لقالوا اى هؤلاء المتعنتون لولا اى هلا ولم لا فصلت اى بينت آياته حتى نفهمها

وقولهم ءَاَعْجَمِيٌّ اي اقرآن اعجمي وَّ نبي عَرَبِيٌّ استفهام انكار منهم وقال مقاتل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا اعجميا يكنى ابا فكيهة
فقال المشركون انما يعلمه يسار غلام عامر فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو يعلمني فانزل
الله تعالى هذه الاية وقرأ قالون وابو عمرو بتحقيق الهمزة الاولى وتسهيل الثانية وادخال الف
بينهما وورش وابن كثير وابن ذكوان وحفص بتسهيل الثانية ولا ادخال واسقط هشام الاولى
والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قُلْ هُوَ اي هذا القرآن لِلَّذِيْنَ
اٰمَنُوْا اي اردنا وقوع الايمان منهم هُدًى اي بيان لكل مطلوب وَّشِفَاءٌ اي لما في صدورهم
من داء الكفر والهوى وقيل من الاوجاع والاسقام متعلق كما قال الرازي بقولهم وقالوا قلوبنا في
اكنة مما تدعونا اليه الاية كانه تعالى يقول هذا الكلام ارسلته اليكم بلغتكم لا بلغة اجنبية عنكم
فلا يمكنكم ان تقولوا قلوبنا في اكنة منه بسبب جهلنا بهذه اللغة فكل من اعطاه الله تعالى طبعا
مائلا الى الحق وقلبا داعيا الى الصدق فان هذا القرآن يكون في حقه هدى وشفاء واما من
غرق في بحر الخذلان وشغف بمتابعة الشيطان فهو في ظلمة وعمى كما قال تعالى وَالَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ
فِيْ اٰذَانِهِمْ وَقْرٌ اي ثقل فلا يسمعون سماعا ينفعهم وَّهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى فلا يبصرون الداعي حق الابصار
ثم قال الرازي وكل من انصف علم ان التفسير على هذا الوجه الذي ذكرناه اولى مما ذكروه
اي انه متعلق بما قبله لان السورة تصير بذلك من اولها الى اخرها كلاما واحدا منتظما مسوقا
لغرض واحد انتهى ولما بين بهذا بعدهم عن علياته وطردهم عن فنائه قال تعالى اُولٰٓئِكَ اي البعداء
البغضاء مثالهم مثال من يُّنَادَوْنَ اي يناديهم من يريد نداءهم غير الله تعالى مِنْ مَّكَانٍۭ بَعِيْدٍ ع
اي هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به وَلَقَدْ اٰتَيْنَا اي على ما لنا من العظمة
مُوْسَى الْكِتٰبَ اي التوراة فَاخْتُلِفَ اي وقع الاختلاف فِيْهِ وجه تعلقه بما قبله كانه قيل
انا لما اتينا موسى الكتاب فقبله بعضهم وهم اصحاب الهدى ورده بعضهم فكذلك اتيناك الكتاب
فقبله بعضهم وهم اصحابك ورده اخرون وهم الذين يقولون قلوبنا في اكنة مما تدعون اليه
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ اي ارادة سَبَقَتْ في الازل مِنْ رَّبِّكَ اي المحسن اليك بتاخير الحساب والجزاء
للخلائق الى يوم القيمة لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ اي في الدنيا فيما اختلفوا فيه من انصاف المظلوم من ظالمه
قال تعالى بل الساعة موعدهم ولكن نؤخرهم الى اجل مسمى وَاِنَّهُمْ لَفِيْ شَكٍّ اي المكذبين
محيط بهم مِّنْهُ اي القضاء يوم الفصل مُرِيْبٍ اي موقع في الريب وهو التهمة والاضطراب
بحيث لا يقدرون على التخلص من دائرته اصلا ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا اي كائنا من كان فَلِنَفْسِهٖ اي فنفع عمله لها لا لاحد يتعداها والنفس فقيرة
الى التزكية بالاعمال الصالحة لانها محل النقائص فلذا عبر بها وَمَنْ اَسَآءَ في عمله
فَعَلَيْهَا اي على نفسه خاصة ليس عليك منه شيء فخفف عن نفسك اعراضهم فانهم ان امنوا وما

تنفع ايمانهم يعود اليهم وان كفروا فضرر كفرهم يعود اليهم والله سبحانه وتعالى يوصل الى كل احد
ما يليق به من الجزاء وَمَا رَبُّكَ اى المحسن اليك بارسالك لتتميم مكارم الاخلاق بِظَلَّامٍ اى بذى ظلم
لِلْعَبِيدِ اى هذا الجنس فلا يتصور ان يقع ظلم لاحد منهم اصلا لان له الغنى المطلق والحكمة البالغة
إِلَيْهِ اى المحسن اليك لا الى غيره يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ اى اى لا سبيل الى معرفة وقت ذلك اليوم
ولا يعلمه الا الله تعالى وكذا العلم بحدوث الحوادث المستقبلة فى اوقاتها المعينة ليس الا عند الله
ثم ذكر من امثلة هذا الباب مثالين احدهما قوله تعالى وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ اى فى وقت
من الاوقات وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالف بعد الراء جمعا والباقون بغير الف افرادا
وقوله تعالى مِنْ أَكْمَامِهَا جمع كم وكمامة قال البقاعى تبعا للزمخشرى بالكسر فيهما وهو وعاء الطلع
وكل ما غطى على وجه الاحاطة شيئا من شانه ان يخرج فهو كم وقال الراغب الكم ما يغطى البدن
من القميص وما يغطى الثمرة وجمعه اكمام وهذا يدل على انه مضموم الكاف اوجعله مشتركا بين
كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف فى كم القميص انه بالضم فيجوز ان يكون فى وعاء الثمرة لغتان دون كم القميص
جمعا بين القولين والمثال الثانى قوله تعالى وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى حملا ناقصا او تاما واكد النفى باعادة النافى
ليشهد كل على حياله وَلَا تَضَعُ حملا حيا او ميتا إِلَّا حال كونه متلبسا بِعِلْمِهِ ولا علم لاحد غيره بذلك
ومن ادعى علما به فليخبر بان ثمرة الحديقة الفلانية والبستان الفلانى والبلد الفلانى تخرج
فى الوقت الفلانى او لا تخرج العام شيئا والمرأة الفلانية تحمل فى وقت الفلانى وتضع فى وقت كذا
او لا تحمل العام شيئا ومن المعلوم انه لا يحيط بهذا علما الا الله تعالى فان قيل قد يقول الرجل الصالح
من اصحاب الكشوف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون اجيب بان اصحاب الكشوف
اذا قالوا قولا فهو من الهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذى يرد اليه
واما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم فى شئ مما يقولونه البتة وانما غايتهم ادعاء ظن
ضعيف قلما يصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذى لا يشاركه فيه احد جل ربنا
وعلا وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ اى المشركين بعد بعثهم من القبور للفصل بينهم فى سائر الامور أَيْنَ
شُرَكَائِى اى الذين زعمتم انهم يشفعون لكم فى هذا اليوم ويحمونكم من العقاب واللوم قَالُوا
اى المشركون آذَنَّاكَ اى اعلمناك مَا مِنَّا واكدوا النفى بادخال الجار فى المبتدأ مِنْ شَهِيدٍ
اى يشهد ان لك شريكا وذلك لما رأوا العذاب تبرؤا من الاصنام وقيل معناه ما منا
احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم فلا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هذا
كلام الاصنام كان الله تعالى يحييها وانها تقول ما منا من شهيد اى احد يشهد بصحة ما اضافوا الينا من
الشركة وعلى هذا التقدير فمعنى ضلالتهم عنهم انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم وهو معنى قوله تعالى
وَضَلَّ اى ذهب وغاب وخفى عَنْهُمْ مَا كَانُوا اى دائما يَدْعُونَ فى كل حين على وجه العبادة مِنْ قَبْلُ
فهم لا يرونه فضلا عن انهم يجدون نفعه وَظَنُّوا اى فى ذلك الحال مَا لَهُمْ وابلغ فى النفى

بادخال الجار على المبتدأ المؤخر فقال مِّن مَّحِيصٍ اى مهرب وملجأ ومعدل ولما بين تعالى من حال
هؤلاء الكفار انهم بعد ان كانوا مصرين على القول باثبات الشركاء والاضداد لله تعالى فى الدنيا تبرؤا
من تلك الشركاء فى الآخرة بين تعالى ان الانسان فى جميع الاوقات متغير الاحوال فان احس بخير
وقدرة تعاظم وان احس ببلاء ومحنة ذل بقوله تعالى لَا يَسْأَمُ اى لا يمل ولا يعجز الْإِنسَانُ اى
الانس بنفسه الناظر فى اعطافه الذى لم يتأهل للمعارف الالهية والطرق الشرعية مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ
اى لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ اى من فقر وشدة وغيرهما فَيَئُوسٌ
من فضل الله تعالى قَنُوطٌ من رحمة الله تعالى والمعنى ان الانسان فى حال الاقبال لا ينتهى الى درجة
الا ويطلب الزيادة عليها وفى حال الادبار والحرمان يصير آيسا قانطا وهذه صفة الكافر لقوله
تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون + تنبيه + فى قوله تعالى يؤس قنوط مبالغة من
وجهين احدهما من طريق فعول والثانى من طريق التكرار واليأس من صفة القلب والقنوط ان يظهر
آثار اليأس فى الوجه والاحوال الظاهرة ثم بين تعالى حال هذا الذى صار آيسا قانطا بقوله تعالى وَلَئِنْ
اللام لام القسم أَذَقْنَاهُ اى آتيناه ذلك الانسان رَحْمَةً اى غنى وصحة مِّنَّا اى بما لنا من العظمة
والقدرة مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ اى شدة وبلاء مَسَّتْهُ فانه يأتى بثلاثة انواع من الاقاويل الفاسدة
الموجبة للكفر والبعد من الله تعالى الاول منها ما حكاه الله بقوله سبحانه لَيَقُولَنَّ بمجرد ذوق
تلك الرحمة على انها ربما كانت بلاء عظيما لكونها استدراجا الى الهلاك هَٰذَا لِي اى هذا الامر العظيم لى اى
حقى مختص بى وصل الىّ لانى استوجبته بعلمى وعملى ولا يعلم المسكين ان احدا لا يستحق على الله تعالى
شيئا لانه ان كان عاريا من الفضائل فكلامه ظاهر الفساد وان كان موصوفا بشئ من الفضائل
والصفات الحميدة فهى انما حصلت بفضل الله واحسانه النوع الثانى من كلامه الفاسد قوله
وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ اى القيامة قَائِمَةً اى ثابتا قيامها فقطع الرجاء منها سواء عبر عن ذلك بلسان
قاله او بلسان حاله لكونه يفعل افعال الشاك فيها النوع الثالث من كلامه الفاسد قوله وَلَئِن
اللام لام القسم رُّجِعْتُ اى على سبيل الفرض اى ان هذا الكافر يقول لست على يقين من البعث
وان كان الامر على ذلك ورددت إِلَىٰ رَبِّي اى الذى احسن الىّ بهذا الخير الذى انا فيه
إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ اى الحالة الحسنى من الكرامة وهى الجنة فكما اعطانى فى الدنيا سيعطينى فى الآخرة
ولما حكى الله تعالى عنهم هذه الاقوال الثلاثة الفاسدة قال تعالى شأنه فَلَنُنَبِّئَنَّ اى فلنخبرن الَّذِينَ
كَفَرُوا اى ستروا ما دلت عليه العقول وصرائح النقول بِمَا عَمِلُوا لا ندع منه كثيرا ولا قليلا صغيرا
ولا كبيرا ايرون عيانا ضد ما ظنوه فى الدنيا من ان لهم الحسنى وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا وقال ابن عباس رضى الله عنهما لنقفنهم على مساوى اعمالهم وَلَنُذِيقَنَّهُم
اى بعد اقامة الحجة عليهم بموازين القسط الوافية كما قيل الذ من عَذَابٍ غَلِيظٍ اى شديد
لا يدع جهة من احساسهم الا احاط بها + ولما حكى الله تعالى اقوال الذى انعم عليه بعد وقوعه

فى الاثبات حتى افعاله ايضا فقال وَاِذَا اَنْعَمْنَا اى بما لنا من العظمة عَلَى الْاِنْسَانِ اى الواقف مع نفسه
نعمة تليق بعظمتنا اَعْرَضَ اى عن التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى وَنَاٰ اى البعد
بعدا اجعل بيننا وبينه حجابا عظيما بِجَانِبِهٖ اى ثنى عطفه متبخترا وَاِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ اى هذا النوع قليله
كثيره فَذُوْ دُعَاۗءٍ اى فى كشفه وربما كان نعمة باطنة وهو لا يشعر ولا يدعو الا عند اليأس
وقد كان ينبغى له ان يشرع فى الدعاء عند التوقع بل قبله تعرفا الى الله تعالى فى الرخاء ليعرفه
فى الشدة وهو خلق شريف لا يفعله الا افراد خصهم الله بلطفه عَرِيْضٍ اى مديد العرض جدا
واما طوله فلا يسئل عنه وهذا كناية عن النهاية فى الكثرة تقول العرب اطال فلان الدعاء
واعرض اى اكثر ثم امر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى قُلْ اى لهؤلاء
المعرضين اَرَءَيْتُمْ اى اخبرونى اِنْ كَانَ اى هذا القرآن مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ اى الذى له الاحاطة
بجميع صفات الجلال والجمال ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهٖ اى من غير نظر واتباع دليل مَنْ اَضَلُّ منكم
هكذا كان الاصل ولكنه قال مِمَّنْ هُوَ فِىْ شِقَاقٍ اى خلاف لاولياء الله تعالى بَعِيْدٍ اى
عن الحق تنبيها على انهم صاروا كذلك ومن صار كذلك فقد عرض نفسه لسطوات الله
عز وجل سَنُرِيْهِمْ اٰيٰتِنَا فِى الْاٰفَاقِ قال ابن عباس يعنى منازل الامم الخالية وَفِىْ اَنْفُسِهِمْ
اى بالبلايا والامراض وقال قتادة يعنى وقائع الله تعالى فى الامم الخالية وفى انفسهم يوم بدر
وقال مجاهد فى الآفاق ما يفتح الله تعالى من القرى على محمد صلى الله عليه وسلم وفى انفسهم
فتح مكة وقال عطاء فى الآفاق يعنى اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم فى آفاق
الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات والنبات والاشجار والانهار وفى انفسهم من لطائف
الصنعة وبدائع الحكمة فى كيفية تكوين الاجنة فى ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة
والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفى انفسكم افلا تبصرون * تنبيه قال النووى فى تهذيبه
قال اهل اللغة الآفاق النواحى الواحد افق بضم الهمزة والفاء وافق باسكان الفاء * ولما كان التقدير
ولا نزال نكرر عليهم هذه الدلائل عطف عليه حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ غاية البيان بنفسه من غير اعمال
فكر اَنَّهُ اى القرآن الْحَقُّ اى الكامل فى الحقية الذى يطابق الواقع المنزل من الله تعالى
بالبعث والحساب والعقاب فيعاقبون على كفرهم به وبالجائى به وقيل الضمير فى انه لدين
الاسلام وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم اَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ اى المحسن اليك بهذا البيان المعجز للانس
والجان شهادة بان القرآن من عند الرحمن * تنبيه * الباء زائدة للتاكيد كانه قيل اولم تحصل
الكفاية به ولا تكاد تزاد فى الفاعل الا مع كفى وقوله تعالى اَنَّهٗ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيْدٌ بدل من ربك
والمعنى اولم يكفهم فى صدقك ان ربك لا يغيب عنه شئ ما وقد شهد لك فيه بالاعجاز لجميع الخلق
بكل ما تضمنته آياته ونطقت به كلماته ففيه اعظم بشارة بتمام الدين وظهوره على المعتدين ولم يبق
بعد هذا التعنت مقال ولا شبهة اصلا لضال قال تعالى مناديا على من جحد واستمر على عناده

اَلَاۤ اِنَّهُمْ اى هؤلاء الكفرة فِىْ مِرْيَةٍ اى جحد وجدال وشك وضلال عن البعث مِّنْ لِّقَاۤءِ رَبِّهِمْ
اى المحسن اليهم بان خلقهم ورزقهم لانكارهم البعث ثم كرر كونه قادرا على البعث وغيره بقوله
تعالى اَلَاۤ اِنَّهٗ اى هذا المحسن اليهم بِكُلِّ شَیْءٍ اى من الاشياء جملتها وتفصيلها كلياتها وجزئياتها
اصولها وفروعها غيبها وشهادتها ملكها وملكوتها مُحِيْطٌ قدرة وعلما بكثير الاشياء
وقليلها كلياتها وجزئياتها فيجازيهم بكفرهم وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرأ السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات حديث موضوع

سورة الشورى مكية

وهى ثلاث وخمسون اية وثمانمائة وست وستون كلمة وثلاثة الاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا
بِسْمِ اللّٰهِ الذى احاط بصفات الكمال الرَّحْمٰنِ الذى عمت رحمته سائر عباده الرَّحِيْمِ الذى خص
اولياءه بما ترضاه الهيبة من رحمته وقوله تعالى حٰمٓ عٓسٓقٓ تقدم الكلام فى امثال هذه الفواتح
وسئل الحسين بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع كهيعص فقال لانها سورة اوائلها حم فجرت
مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره ولانهما عدا ايتين واخواتها مثل كهيعص والمص
والمر عدت اية واحدة وقيل لان اهل التاويل لم يختلفوا فى كهيعص واخواتها انها حروف التهجى
لا غير واختلفوا فى حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا وقيل معناها حم اى قضى
ما هو كائن وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال ح حلمه م مجده ع علمه س سناؤه ق قدرته
اقسم الله تعالى بها وقال شهر بن حوشب وعطاء بن ابى رباح ح حرب قريش يعز فيها الذليل
ويذل فيها العزيز فى قريش م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س
سنين كسنى يوسف تكون فيهم ق قدرة الله تعالى النافذة فى خلقه وروى عن ابن عباس
انه قال ليس من نبى صاحب كتاب الا اوحيت اليه حم عسق فلذلك قال تعالى كَذٰلِكَ اى
مثل هذا الايحاء العظيم الشان يُوْحِیْۤ اِلَيْكَ اى ما دمت حيا لا ينقطع ذلك عنك وَاِلَى اى
واوحى الى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكَ اى من الرسل الكرام والانبياء الاعلام ومن جملة ما اوحى اليهم
ان امتك اكثر الامم وانك اشرف الانبياء واخذ على كل منهم العهد باتباعك وان يكونوا من
انصارك واتباعك وقوله تعالى اللّٰهُ اى الذى له الاحاطة باوصاف الكمال فاعل الايحاء ولما كان
نفوذ الامر دائرا على العزة والحكمة قال تعالى الْعَزِيْزُ اى الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ
الْحَكِيْمُ الذى يصنع ما يصنعه فى اتقن محاله فلذلك لا يقدر احد على نقض ما ابرمه ولا نقض
ما احكمه تنبيه ما تقرر من ان الله تعالى فاعل الايحاء هو على قراءة كسر الحاء من يوحى وهى قراءة
غير ابن كثير واما على قراءة ابن كثير بفتح الحاء فيجوز ان يرتفع بفعل مضمر كانه قيل من يوحيه
فقيل [illegible] الخالق والاصال رجال ويجوز ان يرتفع بالابتداء وما بعده خبر

والجملة قائمة مقام الفاعل وان يكون العزيز الحكيم خبرين او تبتين والجملة من قوله تعالى له ما في السموات
اي من الذوات والمعاني وما في الارض كذلك خبرا اول او ثان على حسب ما تقدم في العزيز
الحكيم قال الزمخشري لم يقل تعالى اوحى اليك ولكن قال يوحي اليك على لفظ المضارع ليدل على
ان ايحاء مثله عادة وكونه عزيزا يدل على كونه قادرا على ما لا نهاية له وكونه حكيما يدل على كونه
عالما بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض يدل على
كونه متصفا بالقدرة الكاملة النافذة في جميع اجزاء السموات وفي الارض على عظمتها وسعتها
بالايجاد والاعدام وان ما في السموات وما في الارض خلقه وملكه + ولما كان العلو مستلزما للقدرة
قال تعالى وَهُوَ الْعَلِيُّ على كل شئ علو رتبة وعظمة ومكانة لا علو مكان وملابسة الْعَظِيمُ بالقدرة
والقهر والاستعلاء وقوله تعالى تَكَادُ السَّمٰوٰتُ قرأ نافع والكسائي بالياء التحتية والباقون بالفوقية
وقوله تعالى يَتَفَطَّرْنَ اي يتشققن قرأ شعبة وابو عمرو بعد الياء بنون ساكنة وكسر الطاء
مخففة والباقون بعد الياء بتاء فوقية مفتوحة وفتح الطاء مشددة وقوله تعالى مِنْ فَوْقِهِنَّ
في ضميره ثلاثة اوجه احدها انه عائد على السموات اي كل واحدة منهن تنفطر فوق التي
تليها من عظمة الله تعالى او من قول المشركين اتخذ الله ولدا كما في سورة مريم اي يبتدئ
انفطارهن من هذه الجهة فمن لابتداء الغاية متعلقة بما قبلها الثاني انه يعود على الارضين
لتقدم ذكر الارض الثالث انه يعود على فرق الكفار والجماعات الملحدين قاله الاخفش الصغير وقال
الزمخشري كلمة الكفر اي على التفسير الثاني انما جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس
ان يقال ينفطرن من تحتهن اي من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت
مؤثرة في جهة الفوق كانه قيل يكدن ينفطرن اي من الجهة التي فوقهن دون الجهة التي تحتهن
ونظيره في المبالغة قوله عز وجل يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا
في اجزائهم الباطنة اه ولما بين تعالى ان سبب كدودة انفطارهن جلال العظمة التي منها كثرة الملائكة
وشناعة الكفر بين لها سببا آخر وهو عظم قول الملائكة فقال تعالى وَالْمَلٰئِكَةُ يُسَبِّحُونَ اي يوقعون
التنزيه لله تعالى متلبسين بِحَمْدِ رَبِّهِمْ اي باثبات الكمال المحسن لهم تسبيحا يليق بحالهم فلهم بذلك
زجل واصوات لا تحملها العقول ولا تثبت لها الجبال + تنبيه + عدل عن التانيث ولم يقل يسبحن
مراعاة للفظ التذكير وضمير الجمع اشارة الى قوة التسبيح وكثرة المسبحين فان قيل قوله تعالى
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْاَرْضِ عام فيدخل فيه الكفار وقد لعنهم الله تعالى فقال سبحانه اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فكيف يكونون لاعنين لهم ومستغفرين لهم اجيب
بوجوه الاول انه عام مخصوص باية غافر ويستغفرون للذين امنوا الثاني ان قوله تعالى لمن
في الارض لا يفيد العموم لانه يصح ان يقال استغفر للبعض من في الارض دون البعض
ولو كان صريحا في العموم لما صح ذلك الثالث يجوز ان يكون المراد بالاستغفار ان لا يعاجلهم

قوله ويستغفرون الخ لبعض من في الارض اسقاط لفظ البعض وعموم استغفارهم فيه نظر اه

بالعقاب كما في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال تعالى انه كان
حليما غفورا الرابع يجوز ان يقال انهم يستغفرون لكل من في الارض اما في حق الكفار فبطلب
الايمان لهم واما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم فانا نقول اللهم اهد الكفار وزين قلوبهم
بنور الايمان وازل عن خواطرهم وحشة الكفر وهذا استغفار في الحقيقة وقوله تعالى الا ان الله
اى الذى له الاحاطة بصفات الكمال هو اى وحده الغفور الرحيم تنبيه على ان الملائكة وان كانوا
يستغفرون للبشر الا ان المغفرة المطلقة لله تعالى وهذا يدل على انه تعالى يعطي المغفرة التي
طلبوها ويضم اليها الرحمة والذين اتخذوا من دونه اى غير الله تعالى اولياء اى انداداً
وشركاء يعبدونهم كالاصنام الله اى المحيط بصفات الكمال حفيظ اى رقيب ومراع وشهيد
عليهم اى على اعمالهم ولا يغيب عنه شيء من اعمالهم فهو ان شاء ابقاهم على كفرهم وجازاهم
عليه بما اعد للكافرين وان شاء تاب عليهم ومحا ذلك عينا واثرا ولم يعاقبهم وان شاء محاه
عينا وابقى الاثر حتى يعاقبهم وما انت يا اشرف الرسل عليهم بوكيل اى حتى يلزمك ان تراعي
جميع احوالهم من اقوالهم وافعالهم فتحفظها وتقسرهم على تركها ونحو ذلك مما يتولاه الوكيل
بما يقوم فيه مقام الموكل سواء قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن ام قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وغير ذلك اذ ما عليك الا البلاغ وكذلك اى ومثل ذلك الايحاء اوحينا اى بما لنا من العظمة
اليك قرآنا اى جامعا لكل حكمة مع الفرق لكل ملتبس عربيا فهو بين الخطاب واضح الصواب
معجز الجناب لتنذر اى به ام القرى اى اهل مكة التي هي ام الارض واصلها منها دحيت ولشرفها
اوقع الفعل عليها عدها لها عداد العقلاء او غير ذلك اذ ما عليك الا البلاغ وقوله تعالى
ومن حولها معطوف على اهل المقدر قبل ام القرى والمفعول الثاني محذوف اى العذاب
والمراد بمن حولها قرى الارض كلها من اهل البدو والحضر واهل المدر والوبر والانذار
التخويف وتنذر اى الناس يوم الجمع اى يوم القيامة يجمع الله تعالى فيه الاولين والآخرين واهل
السموات والارضين ويجمع الارواح بالاجساد ويجمع بين العامل وعمله ويجمع بين الظالم
والمظلوم لا ريب اى لا شك فيه لانه مركوز في فطرة كل احد وقوله تعالى فريق يجوز فيه
وجهان احدهما انه مبتدأ وسوغ هذا في النكرة لانه مقام تفصيل وخبره في الجنة اى تفضلا
منه ورحمة وهم الذين قبلوا الانذار وبالغوا في الحذر ويجوز ان يكون الخبر مقدرا تقديره منهم
فريق وساغ الابتداء بالنكرة حينئذ لشيئين تقديم خبرها جارا ومجرورا ووصفها بالجار بعدها
والثاني انه خبر مبتدأ مضمر اى هم اى المجموعون فريق دل على ذلك قوله تعالى يوم الجمع وقوله تعالى
وفريق في السعير اى عدلا منه فيما مر وهم الذين خذلهم الله تعالى ووكلهم الى انفسهم فان قيل يوم الجمع
يقتضي كون القوم مجتمعين والجمع بين الصفتين محال اجيب بانهم يجتمعون اولا ثم يصيرون
فريقين قال القشيري كما انهم في الدنيا فريقان فريق في راحات الطاعات وحلاوات العبادات

وفريق في ظلمات الشرك وعقوبات الجحد والشك فكذلك غداً هم فريقان فريق هم اهل اللقاء
وفريق هم اهل البلاء والشقاء روى الامام احمد عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضاً على كفيه ومعه كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا
لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل الجنة واسماء
آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفاً في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفاً في الارحام اذ هم
في الطينة منجدلون فليس يزاد فيهم ولا ينقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيمة ثم قال للذي
في يده اليسرى هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل النار واسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا
نطفاً في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفاً في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس يزاد فيهم ولا ينقص
منهم اجمال من الله تعالى اليهم الى يوم القيمة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذن فقال اعملوا وسددوا
وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل
اهل النار وان عمل اي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله تعالى اخرجه
احمد بن حنبل في مسنده وَلَوْ شَاءَ اللهُ اي المحيط بجميع اوصاف الكمال لَجَعَلَهُمْ اي المجموعين أُمَّةً وَاحِدَةً
للثواب او للعذاب ولكنه لم يشاء ذلك بل شاء ان يكونوا فريقين مقسطين وظالمين ليظهر فضله
وعدله وانه اله جبار واحد قهار لا يبالي باحد وهو معنى قوله تعالى وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ
ادخاله فِي رَحْمَتِهِ بخلق الهداية في قلبه فتكون افعالهم في مواضعها وهم المقسطون ويدخل
من يشاء في نقمته بخلق الضلالة في قلوبهم فيكونوا ظالمين فلا تكون افعالهم في مواضعها فالمقسطون
ما لهم من عدو ولا نكير وَالظَّالِمُونَ اي العريقون في الظلم الذين ساء ظلمهم وهم الكافرون
فيدخلهم في لعنته مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ اي يلي امورهم فيجتهد في اصلاحها فيدفع عنهم
العذاب وَلَا نَصِيرٍ ينصرهم من الهوان فيمنعهم من النار وعلى هذا التقدير فالآية من الاحتباك
وهو ظاهر ذكر الرحمة اولاً دليلاً على اللعنة ثانياً والظلم وما معه ثانياً دليلاً على اضداده اولاً
وهذا تقدير لقوله تعالى الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل اي انت لا تقدر ان تحملهم
على الايمان ولو شاء الله تعالى لفعله لانه اقدر منك لكنه تعالى جعل البعض مؤمناً والبعض كافراً
+ ولما حكى الله تعالى عنهم اولاً انهم اتخذوا من دونه اولياء ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
لست عليهم بوكيل اي لا يجب عليك ان تحملهم على الايمان فان الله تعالى لو شاء لفعله اعاد ذلك
الكلام على سبيل الانكار بقوله تعالى أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ كالاصنام وهذه ام المنقطعة
فتقدر ببل التي للانتقال وبهمزة الانكار او بالهمزة فقط او ببل فقط اي ليس المتخذون اولياء فَاللهُ
اي المختص بصفات الكمال هُوَ وحده الْوَلِيُّ قال ابن عباس وليك يا محمد وولي من اتبعك والفاء جواب
الشرط المقدر كانه قال ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي لا ولي سواه وقيل هي لمجرد العطف
وجرى على هذا الجلال المحلي وعلى الاول الزمخشري وَهُوَ اي ومن شأن هذا الولي انه يُحْيِي الْمَوْتَى

اى يجدد احياءها فى كل وقت يشاؤه وَهُوَ وحده عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ فهو الحقيق بان يتخذ وليا
دون من لا يقدر على شئ. ولما منع تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يحمل الكفار على الايمان
منع المؤمنين ان يشرعوا معهم فى المخاصمات والمنازعات بقوله تعالى وَمَا اخْتَلَفْتُمْ اى انتم
والكفار فِيْهِ مِنْ شَيْءٍ اى من امور الدنيا والدين فَحُكْمُهٗٓ اِلَى اللّٰهِ اى مفوض الى الذى هو ولى
لا غيره يميز الحق من المبطل بالنصر والاثابة والمعاقبة وقيل ما اختلفتم فيه من تاويل المتشابه
فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله ذٰلِكُمُ اللّٰهُ اى المحيط بجميع صفات الكمال رَبِّيْ اى الذى لا مربى
لى غيره فى ماض ولا حال ولا استقبال عَلَيْهِ اى وحده تَوَكَّلْتُ اسلمت جميع امرى وَاِلَيْهِ لا الى
غيره اُنِيْبُ اى ارجع بالتوبة اذا قصرت فى شئ من فروع شرعه وارجع الى كتابه اذا نابنى امر
من الامور فاعرف منه حكمه فافعلوا انتم كذلك واجعلوا الله تعالى وليكم ولا تعدلوا عنه فى شئ
من الاشياء تهلكوا وقوله تعالى فَاطِرُ اى مبدع السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ خبر اخر لذلكم او مبتدأ
خبره جَعَلَ لَكُمْ اى بعد ان خلقكم من الارض مِّنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا حيث خلق حواء من ضلع ادم
ليكون بالسكون اليها بقاء نوعكم وَمِنَ اى وجعل لكم اى لاجلكم من الْاَنْعَامِ التى هى اموالكم
وجمالكم وبها اعظم اقواتكم اَزْوَاجًا اى ذكورا واناثا ليكون بها ايضا بقاء نوعها يَذْرَؤُكُمْ
بالمعجمة اى يخلقكم ويكثركم من الذرء وهو البث فِيْهِ اى فى هذا التدبير وهو جعل الناس
والانعام ازواجا ليكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير فالضمير للناس والانعام
بالتغليب واختلف فى الكاف فى قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شَيْءٌ فجرى الجلال المحلى على انها زائدة
لانه تعالى لا مثل له وجرى غيره على انها ليست زائدة لانه اذا نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان
نفيه عنه اولى وحاصله كما قال التفتازانى ان قولنا ليس كذاته شئ وقولنا ليس كمثله شئ عبارتان كلاهما
من معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته الاولى صريحا والثانية كناية مشتملة على مبالغة وهى ان المماثلة
منفية عمن يكون مثله وعلى صفته فكيف عن نفسه وهذا لا يستلزم وجود المثل اذ لا ترى ان قولهم
مثل الامير يفعل كذا ليس اعترافا بوجود المثل له فالمعنى هنا ان مثل مثله تعالى منفى فكيف بمثله
وايضا فمثل المثل مثل فيلزم من نفيه نفيهما وقال البغوى المثل صلة اى ليس كهو شئ فادخل المثل
للتوكيد كقوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به اه وهذا كالتاويل الاول وقيل ان المراد بالمثل الصفة
وذلك ان المثل بمعنى المثل والمثل الصفة كقوله تعالى مثل الجنة فيكون المعنى ليس كصفته
تعالى شئ من الصفات التى لغيره واما قوله تعالى وله المثل الاعلى فمعناه ان له الوصف الاعلى
الذى ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه احد وَّهُوَ اى والحال انه هو لا غيره السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ اى الكامل
فى السمع والبصر بكل ما يسمع ويبصر فان قيل هذا يفيد الحصر مع ان العباد ايضا موصوفون بكونهم
سميعين بصيرين اجيب بان السميع والبصير لفظان مشعران بحصول هاتين الصفتين على سبيل
الكمال كما مر والكمال فى كل الصفات ليس الا لله تعالى فهذا هو المراد من هذا الحصر كما اى

وحده لا مقاليد السموات والارض اى خزائنهما ومفاتيح خزائنهما من الامطار والانبات وغيرهما
وقد ثبت انه ابتدعهما وان له جميع ما فيهما مما اتخذ من دونه اولياء وغيره قال القشيرى والمفاتيح
الخزائن وخزائنه هى مقدوراته اهـ ولما حصر الامر فيه دل عليه بقوله تعالى يبسط الرزق اى
يوسعه لمن يشاء امتحانا ويقدر اى يضيقه لمن يشاء ابتلاء كما وسع على فارس والروم وضيق
على العرب وفاوت فى الافراد بين افرادهم وسع عليهم ومن ضيق عليهم فدل ذلك قطعا على انه
لا شريك له وانه هو المتصرف وحده فقطع بذلك افكار الموفقين من عباده عن غيره ليقبلوا عليه
ويفرغوا الرغبات عباداته هى المقاليد بالحقيقة استغفروا ربكم انه كان غفارا الايات ومن
يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم
ولادخلناهم جنات النعيم الاية ثم علل ذلك بقوله تعالى انه بكل شىء عليم اى فلا فعل له الا وهو
جار على اتقن ما يكون من قوانين الحكمة فيفعله على ما ينبغى + ولما عظم وحيه الى محمد صلى الله
عليه وسلم بقوله تعالى كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ذكر تفصيل ذلك
بقوله تعالى شرع لكم اى طرق وسن طريقا ظاهرا بينا واضحا لكم ايتها الامة الخاتمة من الطرق الظاهرة
المستقيمة من الدين وهو ما يعمل فيجازى عليه ما الذى وصى به توصية عظيمة بعد اعلامه بانه
شرعه نوحا فى الزمان الاقدم وهو اول انبياء الشريعة قال مجاهد اوصيناك واياه يا محمد دينا
واحدا والذى اوحينا اليك اى من القران وشرائع الاسلام وما وصينا اى بما لنا من العظمة
الباهرة التى ظهرت بها تلك المعجزات به ابراهيم الذى نجيناه من كيد نمروذ بالنار وغيرها
ووهبنا له على الكبر اسمعيل واسحق وقرأ هشام بفتح الهاء والف بعدها والباقون بكسر الهاء
وياء بعدها وموسى الذى اتينا عليه التورية موعظة وتفصيلا لكل شىء وعيسى الذى
اتينا عليه الانجيل هدى ونورا وموعظة وادخرناه فى سمائنا لتاييد شريعة الفاتح الخاتم
صلى الله عليه وسلم ثم بين المشروع الموصى به والموحى الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
ان اقيموا اى ايها المشروع لهم من هذه الامة الخاتمة ومن الامم الماضية الدين وهو الايمان بما يجب
تصديقه والطاعة فى احكام الله تعالى ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستئناف كانه
جواب ماذا شرع المشروع او الجر على البدل من هاء به + ولما عظمه بالامر بالاجتماع اتبعه بالتعظيم بالنهى عن
الافتراق بقوله تعالى ولا تتفرقوا فيه اى ولا تختلفوا فى هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة فقال تعالى
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال قتادة الموصى به تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم
الامهات والبنات والاخوات وقال مجاهد لم يبعث الله تعالى نبيا الا وصاه باقامة الصلوة وايتاء
الزكوة والاقرار لله تعالى بالطاعة فذلك دينه الذى شرعه وقيل هو التوحيد والبراءة من الشرك
ويستوى على هذا الحلال الحل والكل يرجع اليه كبر اى عظم وشق على المشركين حتى

ضاقت به صدورهم ما تدعوهم اليه ايها النبي الفاتح الخاتم من الاجتماع ابدا على ما اجتمعوا عليه
وقت الاضطرار من وحدانية الواحد القهار فلاجل كبره عليهم هم يسعون في تفرقكم فان تفرقتم
كنتم تابعتم العدو والحسود ونقضتم الولي الودود ثم نبه تعالى على ان الامور كلها بيده بقوله تعالى
الله الذي له مجامع العظمة ونفوذ الامر يَجْتَبِي اي يختار اِلَيْهِ اي الى هذا الدين الذي تدعوهم اليه
مَنْ يَشَاءُ اجتباءه وَيَهْدِي اِلَيْهِ بالتوفيق للطاعة مَنْ يُنِيبُ اي من يقبل الى طاعته ولما بين
تعالى امر كل الانبياء عليهم السلام والامم بالاخذ بالدين المتفق عليه كان لقائل ان يقول فلماذا
نجدهم متفرقين اجاب بقوله تعالى وَمَا تَفَرَّقُوا اي المشركون من قبلكم من اهل الكتاب وغيرهم
اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ اي بالتوحيد او بمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم او بان التفرق
ضلال متوعد عليه بَغْيًا بَيْنَهُمْ اي فعلوا ذلك للبغي وطلب الرياسة فحملتهم الحمية النفسانية على
ان ذهبت كل طائفة الى مذهب ودعوا الناس اليه وقبحوا ما سواه طلبا للذكر والرياسة
فصار ذلك سببا لوقوع الاختلاف ثم اخبر تعالى انهم استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل الا
انه تعالى اخر عنهم العذاب لان لكل عذاب عنده اجلا مسمى اي وقتا معلوما وهذا معنى قوله
تعالى وَلَوْلَا كَلِمَةٌ اي لا تبديل لها سَبَقَتْ اي في الازل مِنْ رَبِّكَ اي المحسن اليك بجعلك
خير الخلائق وامانهم بتاخيرهم اِلَى اَجَلٍ مُسَمًّى ضربه لآجالهم ثم بجمعهم في الآخرة لَقُضِيَ
على ايسر وجه واسهله بَيْنَهُمْ حين الافتراق باهلاك الظالم وانجاء المحق قال ابن عباس
والذين اريد بهذه الصفة هم اليهود والنصارى لقوله تعالى في آل عمران وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقوله تعالى في سورة لم يكن وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وكذلك في قوله تعالى وَاِنَّ الَّذِيْنَ اُوْرِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ
اي المتفرقين هم اليهود والنصارى الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم
هذه الامة الذين اورثوا القرآن ولما نسخ كتابهم ما تقدمه كان غيرهم كانه مات فورثوه كما قال
تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فكان حالهم في تمكنهم من التصرف في الكتاب بالحفظ
والفهم وعدم المنازعة في ادعائه حال الوارث الموروث منه لَفِي شَكٍّ مِنْهُ اي من كتاب لا يعلمونه كما هو
ولا يؤمنون به حق الايمان او من القرآن فيقولون انه سحر وشعر وكهانة ونحو ذلك وقيل في
شك من محمد صلى الله عليه وسلم وجرى على ذلك الجلال المحلي مُرِيْبٍ اي موقع في التهمة فَلِذٰلِكَ
اي التوحيد فَادْعُ يا اشرف الخلق الناس وَاسْتَقِمْ اي على الدعوة كَمَا اُمِرْتَ اي امرك الله تعالى وَلَا تَتَّبِعْ
اي بعمل اَهْوَاءَهُمْ في شيء فان الهوى لا يدعو الى خير والمقصود من كل احد ان يفعل ما امر
به وَقُلْ لجميع اهل الفرق وكل من يمكن له القول فانك ارسلت الى جميع الخلق اٰمَنْتُ بِمَا
اَنْزَلَ اللّٰهُ اي الذي له العظمة الكاملة مِنْ كِتَابٍ اي جميع الكتب المنزلة لا كالكفار
الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض روي ان رجلا اتى عليا فقال يا امير المؤمنين ما الايمان

او كيف الايمان قال الايمان على اربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد والصبر على اربع شعب على الشوق والشفق والزهادة والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع من المحرمات ومن زهد فى الدنيا تهاون بالمصائب ومن ارتقب الموت سارع الى الخيرات واليقين على اربع شعب تبصرة الفطنة وتاويل الحكمة وموعظة العبرة وسنة الاولين فمن تبصر الفطنة تاول الحكمة ومن تاول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة عرف السنة ومن عرف السنة فكانما كان فى الاولين والعدل على اربع شعب على غامض الفهم وزهرة الحلم وروضة العلم وعلم الحكم فمن فهم جمع العلم ومن علم لم يضل فى الحكم ومن علم عرف شرائع الحلم ومن حلم لم يفرط امره وعاش فى الناس والجهاد على اربع شعب على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والصدق فى المواطن وشنآن الفاسقين فمن امر بالمعروف شد ظهره ومن نهى عن المنكر ارغم انف المنافقين ومن صدق فى المواطن قضى الذى عليه ومن شنئ الفاسقين غضب لله تعالى ويغضب الله تعالى له فقام الرجل وقبل رأسه وَاُمِرْتُ اى ممن له الامر كله لِاَعْدِلَ اى لاجل ان اعدل بَيْنَكُمْ ايها المفترقون فى الاديان من العرب والعجم من الانس والجن ثم علل ذلك بقوله اَللّٰهُ اى الذى له الملك كله رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ اى موجدنا ومتولى جميع امورنا فلهذا امرنا بالعدل على سبيل العموم لان الكل عباده لَنَا اَعْمَالُنَا خاصة بنا لا تعدونا الى غيرنا وَلَكُمْ اَعْمَالُكُمْ خاصة بكم لا تعدوكم الى غيركم فكل مجازى بعمله لَا حُجَّةَ اى لا خصومة بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وهذا قبل ان يؤمر بالجهاد كما قاله الجلال المحلى وقال ابن الخازن هذه الاية منسوخة باية القتال وكذا قال البغوى ولكن قال البيضاوى وليس فى الاية ما يدل على متاركته رأسا حتى تكون منسوخة باية القتال اَللّٰهُ اى الذى هو احكم الحاكمين يَجْمَعُ بَيْنَنَا اى فى الميعاد لفصل القضاء وَاِلَيْهِ اى لا الى غيره اَلْمَصِيْرُ اى المرجع حسا ومعنى لتمام عزته وشمول عظمته وَالَّذِيْنَ يُحَاجُّوْنَ فِى اللّٰهِ اى يوردون تشكيكا فى دين الملك الاعظم ليصدوا الناس بعد ما دخلوا فى نور الهدى الى ظلام الضلال مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيْبَ لَهٗ اى استجاب الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فاظهر دينه على الدين كله قال قتادة هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذا خصومتهم وتشكيكهم او من بعد ما استجاب للرسول صلى الله عليه وسلم الناس فاسلموا ودخلوا فى دينه لظهور معجزته حُجَّتُهُمْ اى التى زعموها حجة دَاحِضَةٌ اى زائلة باطلة عِنْدَ رَبِّهِمْ اى المحسن اليهم باضافة العقل الذى جعلهم به فى احسن تقويم وقال الرازى تلك المخاصمة هى ان اليهود قالوا الستم تقولون ان الاخذ بالمتفق عليه اولى من الاخذ بالمختلف فيه فنبوة موسى عليه السلام وحقية التورية معلومة بالاتفاق ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليست متفقا عليها فوجب الاخذ باليهودية فبين تعالى فساد هذه الحجة وذلك ان اليهود اجمعوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه السلام لاجل ظهور المعجزات على قوله وههنا ظهرت المعجزات على وفق قول محمد صلى الله عليه وسلم واليهود قد شاهدوا تلك المعجزات فان

كان ظهور المعجزة يدل على الصدق فههنا يجب الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان كان
لا يدل على الصدق وجب في حق موسى ان لا يقر بنبوته لظهور المعجزات لانه يكون تناقضا
+تنبيه+ والذين يحاجون مبتدأ وحجتهم مبتدأ ثان وداحضة خبر المبتدأ الثاني والثاني وخبره
خبر الاول واعرب مكي حجتهم بدلا من الموصول بدل اشتمال +ولما قرر تعالى هذه الدلائل خوف
المنكرين بعذاب القيمة فقال وَعَلَيْهِمْ اي زيادة على قطع الاحسان غَضَبٌ اي عقوبة تليق بحالهم
المذموم ووصفهم المذموم ومنه الطرد فهم مطرودون عن بابه مبعدون عن جنابه مهانون
بحجابه وَلَهُمْ مع ذلك عَذَابٌ شَدِيدٌ في الآخرة لا تصلون الى حقيقة وصفه اَللّٰهُ اي الذي له جميع الملك
الَّذِيٓ اَنْزَلَ الْكِتٰبَ اي جنس الكتاب بِالْحَقِّ اي متلبسا على اكمل الوجوه الامر الثابت الذي لا يبدل
وَالْمِيْزَانَ اي الشرع الذي توزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل قال مجاهد سمي العدل
ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية وقال ابن عباس امر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس فيجب
على العاقل ان يجتهد في النظر والاستدلال ويترك طريقة اهل الجهل والتقليد +ولما كان صلى الله
عليه وسلم يهددهم بيوم القيمة ولم يروا ذلك اثرا قالوا على سبيل السخرية متى تقوم الساعة وليتها قامت
حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه قال تعالى وَمَا يُدْرِيْكَ اي يا اكمل الخلق
لَعَلَّ السَّاعَةَ اي التي يستعجلون بها قَرِيْبٌ وذكر قريب وان كان صفة لمؤنث لان الساعة في
معنى الوقت او البعث او على معنى النسب اي ذات قرب او على حذف مضاف اي مجيء الساعة
قال مكي ولان تانيثها مجازي وهذا ممنوع اذ لا يجوز الشمس طالع ولا القدر فائر +تنبيه+ لعل
معلق الفعل عن العمل اي ما بعده سد مسد المفعولين ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الساعة
وعنده قوم من المشركين وقالوا مستهزئين متى الساعة تقوم نزل قوله تعالى يَسْتَعْجِلُ بِهَا اي يطلب
ان تكون قبل الوقت المضروب لها الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِهَا اي لا يتجدد لهم ذلك اصلا وهم غير مشفقين
منها ويظنون كذب القائل بها وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وان كانوا في اول درجات الايمان مُشْفِقُوْنَ
اي خائفون خوفا عظيما مِنْهَا لان الله تعالى هداهم بايمانهم فصارت صدورهم معادن المعارف
وقلوبهم منابع الانوار فايقنوا بما فيها من الاهوال الكبار فخافوا الطافتهم ان يكونوا مع صلاحهم من اهل النار
وَيَعْلَمُوْنَ اَنَّهَا الْحَقُّ اعلاما بانهم على بصيرة من امرها فهم لا يستعجلون بها فالاية من الاحتباك
ذكر الاستعجال اولا دليلا على حذف ضده ثانيا والاشفاق ثانيا دليلا على حذف ضده اولا +فائدة+
روي ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم بصوت جهوري في بعض اسفاره فناداه يا محمد
فقال له صلى الله عليه وسلم نحوا من صوته هاؤم فقال متى الساعة فقال له صلى الله عليه وسلم
ويحك انها كائنة فما اعددت لها فقال حب الله تعالى وحب رسوله فقال انت مع من احببت والغرض
انه لم يجبه عن وقت الساعة بل امره بالاستعداد لها ومن احب الله تعالى ورسوله فعل ما امر به واجتنب
ما نهيا عنه فهي المحبة الكاملة نسأل الله الكريم من فضله ان يوفقنا واحبابنا لطاعته

واجتناب معاصيه الا ان الذين يمارون اى يخاصمون ويجادلون فى الساعة اى القيمة وما تحتوى
عليه لفى ضلال اى ذهاب حائد عن الحق بعيد جدا عن الصواب فان لها من الادلة الظاهرة
ما الحقها بالمحسوسات كما قال القائل لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ولما انزل الله عليهم الكتاب
المشتمل على هذه الدلائل اللطيفة كان ذلك من لطف الله تعالى بعباده كما قال عز من قائل
الله اى الذى له الامر كله لطيف اى بالغ فى اللطف والعلم وايقاع الاحسان بعباده وقال ابن عباس
حفى بهم وقال عكرمة بار بهم وقال السدى رفيق بهم وقال القشيرى اللطيف العالم
بدقائق الامور وغوامضها وقال الرازى هو اسم مركب من علم ورحمة ورفق خفى اما لطفه
بالمؤمنين فواضح واما الكافر فاقل لطفه به انه لا يعاجله فى الدنيا ولا يعذبه فوق ما يستحق فى الاخرة
وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم بدليل قوله تعالى يرزق
من يشاء اى مهما شاء على سبيل من السعة والضيق او التوسعة لا مانع له من شئ من ذلك فكل
من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذى روح فهو ممن يشاء الله تعالى ان يرزقه قال جعفر الصادق
اللطف فى الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثانى انه لم يدفعه اليك
مرة واحدة وهو القوى اى القادر على ما يشاء العزيز فلا يقدر احد ان يمنعه عن شئ يريده ع
ولما بين بهذا ان الرزق ليس الا فى يده اتبعه ما يزهد فى طلب رزق البدن ويرغب فى رزق
الروح فقال تعالى على سبيل الاستئناف من كان اى من شريف او دنى يريد اى بعمله حرث
الاخرة اى اعمالها والحرث فى اللغة الكسب نزد له اى بعظمتنا التى لا يقدر احد على تحويلها
فى حرثه قال مقاتل بان يعينه على الاعمال الصالحة ويضاعف بالواحدة عشرة الى ما شاء الله
من الزيادة وقال الزمخشرى انه تعالى سمى ما يعمله العامل مما يطلب به الفائدة حرثا على سبيل المجاز
ومن كان اى من قوى او ضعيف يريد اى بعمله حرث الدنيا اى ارزاقها التى تطلب بالكد والسعى
وتستمر به مكتفيا به مؤثرا له على الاخرة نؤته منها اى ما قسمناه له ولو تهاون به ولم يطلبه لاتاه
وقرأ ابو عمرو وشعبة وحمزة بسكون الهاء واختلس قالون كسرة الهاء وعن هشام اختلاس الكسرة
فى الهاء والاشباع والباقون باشباع الكسرة وما اى والحال ان طالب الدنيا بعمله ما له فى الاخرة من نصيب
لان الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى روى ابى بن كعب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بشر
هذه الامة بالسناء والرفعة والنصرة والتمكن فى الارض فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له فى الاخرة
من نصيب لان هذا تهاون بالاخرة فلم ينوها وهى اشرف من ان تقبل على من عرض عنها
فانها ضرة الدنيا وضدها فالدنيا بخساستها تقبل على من اعرض عنها وتبعد عمن اقبل عليها حتى
تهلكه فى همها وغمها والاخرة تقبل على من اقبل عليها اضعاف اقباله وتنادى من دبر عنها لينتهى
عن غيه وضلاله فلما سمى الله تعالى كلا القسمين حرثا علمنا ان كل واحد منهما لا يحصل الا بتحمل
المشاق والمتاعب وصرفت هذه المتاعب الى ما يكون فى الزائل لباقى اولى ممن صرفها الى ما يكون

في التناقض والانقضاء قال الرازي في اللوامع اهل الارادة على اصناف مريد للدنيا ومريد للاخرة
ومريد للحق جل وعلا وعلامة ارادة الدنيا ان يرضى في زيادة دنياه بنقص دينه والاعراض
عن فقراء المسلمين وان تكون حاجاته في الدنيا مقصورة على الدنيا وعلامة ارادة الآخرة
بعكس ذلك واما علامة ارادة الله تعالى كما قال تعالى يريدون وجهه فطرح الكونين والعزلة عن الخلق
والخلاص من يد النفس انتهى وحاصله ان يستغرق اوقاته في التوفية بحقوق الحق وحقوق الخلق
وتزكية النفس لا طمعا في جنة ولا خوفا من نار بل امتثالا لاجل الملك الاعلى لانه اهل لذلك مع
اعترافه بانه لن يقدر الله تعالى حق قدره ولما بين تعالى اعمال الآخرة والدنيا اتبعه بيان ما هو الاصل
في باب الضلالة والشقاوة فقال تعالى اَمْ اى بل لَهُمْ اى كفار مكة شُرَكٰٓؤُا اى على زعمهم وهم
شياطينهم شَرَعُوا اى سنوا بالتزيين لَهُمْ اى الكفار مِنَ الدِّيْنِ اى الفاسد في العبادات والعادات مَا لَمْ يَأْذَنْ
بِهِ اللّٰهُ اى الملك الذى لا امر لاحد معه كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم
اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم هم الذين اتخذوها شركاء لله ولما كانت سببا لضلالهم
جعلت شارعة لدين ضلالتهم كما قال ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس قال
ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ اى القضاء السابق بتأخير الجزاء او
ولولا الوعد بان الفصل يكون بينهم يوم القيامة لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ اى بين الذين امتثلوا امره والتزموا
شرعه وبين الذين اتبعوا ما شرعه لمن سموهم شركاء في اقرب وقت ولكنه قد سبق القضاء
في الازل بمقادير الاشياء وتحديدها على وجوه الحكمة فهى تجرى على ما حد لها لا يتقدم شئ منها
ولا يتأخر ولا يتبدل ولا يتغير وستنكشف لهم الامور وتظهر مخبآت المقدور فلا يقع الفصل الا
في الآخرة كما سبق به القضاء وَاِنَّ الظّٰلِمِيْنَ بشرع ما لم يأذن به الله من الشرك وغيره لَهُمْ عَذَابٌ
اَلِيْمٌ اى مؤلم يبلغ ايلامه ثم انه تعالى ذكر احوال اهل العقاب واحوال اهل الثواب مبتدئا بالاول
منهما بقوله تعالى تَرَى اى في ذلك اليوم الظّٰلِمِيْنَ اى الواضعين الاشياء في غير مواضعها مُشْفِقِيْنَ
اى خائفين اشد الخوف كما هو حال من يحاسبه من هو اعلى منه وهو مقصر مِمَّا كَسَبُوْا اى عملوا
معتقدين انه غاية ما ينفعهم وَهُوَ اى جزاؤه ووباله الذى هو من جنسه حتى كانه هو وَاقِعٌ بِهِمْ
لا محالة سواء اشفقوا ام لم يشفقوا ثم ذكر الثانى بقوله تعالى وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وهى التى
اذن الله تعالى فيها غير خائفين مما كسبوا لانهم ماذون لهم في فعله وهو مغفور لهم ما فرطوا
فيه فِيْ رَوْضٰتِ الْجَنّٰتِ اى في الدنيا بما يلذذهم به الله تعالى من لذائذ الاقوال والافعال والمعارف
والاحوال وفي الآخرة حقيقة بلا زوال وروضة الجنة اطيب بقعة فيها وفيه تنبيه على ان عصاة
المؤمنين من اهل الجنة لانه خص الذين امنوا وعملوا الصالحات بانهم في روضات الجنات وهى البقاع
الشريفة من الجنة فالبقاع التى دون تلك الروضات لابد وان تكون مخصوصة بمن كان دون الذين
امنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى لَهُمْ مَا يَشَآؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يدل على ان تلك الاشياء حاضرة عنده

مهيأة والعندية مجاز * تنبيه * عند ربهم يجوز ان يكون ظرفا ليشاؤن قاله الحوفى او للاستقرار العامل فى لهم قاله الزمخشرى وقوله تعالى ذلك اى الخير العظيم الرتبة الجليل القدر هو الفضل الكبير اى الذى يصغر ما لغيرهم فى الدنيا يدل على ان الجزاء المرتب على العمل انما حصل بطريق الفضل من الله تعالى لا بطريق الوجوب والاستحقاق وقوله تعالى ذلك اى الجزاء العظيم من الجنة ونعيمها مبتدأ خبره الذى يبشر الله اى الملك الاعظم والعائد وهو به محذوف تفخيما للمبشر به لان السياق لتعظيمه بالاشارة وجعلها باداة البعد وبالوصف بالذى وذكر الاسم الاعظم والتعبير بلفظ العباد فى قوله تعالى عباده مع الاضافة الى ضميره سبحانه * ولما اشعر بصلاحهم بالاضافة نص عليه بقوله تعالى الذين امنوا اى صدقوا بالغيب وعملوا تحقيقا لايمانهم الصالحات قرأنا فع وابن عامر وعاصم بضم الياء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين مشددة والباقون بفتح الياء وسكون الباء الموحدة وضم الشين مخففة من بشره * ولما كان كانه قيل فما تطلب فى هذه البشارة لان الغالب ان المبشر وان لم يسأل يعطى بشارة كما وقع لكعب لما اذن الله تعالى بتوبته ركض راكض على فرس وسعى ساع على رجليه فاوفى على جبل سلع ونادى يا كعب بن مالك ابشر فقد تاب الله عليك فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءه الذى سمع صوته خلع عليه ثوبيه وهو لا يملك يومئذ غيرهما واستعار له ثوبين قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اى لمن توهم منك ما جرت به عادة المبشرين لا اسألكم اى الآن ولا فى مستقبل الزمان عليه اى البلاغ بشارة او نذارة اجرا اى وان قل الا اى لكن اسألكم المودة اى المحبة العظيمة الواسعة فى القربى اى مظروفة فيها بحيث تكون القربى موضعا للمودة وظرفا لها لا يخرج شئ من محبتكم عنها * تنبيه * فى الآية ثلاثة اقوال اولها قال الشعبى اكثر الناس علينا فى هذه الآية فكتبنا الى ابن عباس نسأله عن ذلك فكتب ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم الا وقد ولده وكان له فيهم قرابة فقال الله عز وجل قل لا اسألكم عليه اجرا على ما ادعوكم اليه الا ان تودوا القربى اى تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة والمعنى انكم قومى واحق من اجابنى واطاعنى فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى وصلوا رحمى ولا تؤذونى والى هذا ذهب مجاهد وقتادة وغيرهما ثانيها روى الكلبى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس فى يده سعة فقالت الانصار ان هذا الرجل هداكم وهو ابن اختكم وجاركم فى بلدكم فاجمعوا له طائفة من اموالكم ففعلوا ثم اتوه بها فردها عليهم ونزل قوله تعالى قل لا اسألكم عليه اى على الايمان اجرا الا المودة فى القربى اى لا تؤذوا قرابتى وعترتى واحفظونى فيهم قاله سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب ثالثها قال الحسن معناه الا ان تودوا الله تعالى وتتقربوا اليه بالطاعة والعمل الصالح فالقربى على القول الاول القرابة التى بمعنى الرحم وعلى الثانى بمعنى الاقارب وعلى الثالث فعلى بمعنى القرب والتقرب والزلفى * فان قيل * طلب الاجر على تبليغ الوحى لا يجوز

لوجوه احدها انه تعالى حكى عن اكثر الانبياء التصريح بنفى طلب الاجر فقال تعالى فى قصة نوح وما اسالكم عليه من اجر الآية وكذا فى قصة هود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلوة والسلام ورسولنا افضل الانبياء فان لا يطلب الاجر على النبوة والرسالة اولى ثانيها انه صلى الله عليه وسلم صرح بنفى طلب الاجر فقال قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقل ما سالتكم من اجر فهو لكم ثالثها ان التبليغ كان واجبا عليه قال تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك الآية وطلب الاجر على اداء الواجب لا يليق باقل الناس فضلا عن اعلم العلماء رابعها ان النبوة افضل من الحكمة وقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ووصف الدنيا بانها متاع قليل قال تعالى قل متاع الدنيا قليل فكيف يحسن بالعقل مقابلة اشرف الانبياء باخس الاشياء خامسها ان طلب الاجر يوجب التهمة وذلك ينافى القطع بصحة النبوة فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز من النبى صلى الله عليه وسلم ان يطلب اجرا البتة على التبليغ والرسالة وههنا قد ذكر ما يجرى مجرى طلب الاجر وهو المودة فى القربى واجيب بانه لا نزاع فى انه لا يجوز طلب الاجر على التبليغ واما قوله تعالى الا المودة فى القربى فالجواب عنه من وجهين الاول ان هذا من باب قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب يعنى انى لا اطلب منكم الا هذا وهذا فى الحقيقة ليس اجرا لان حصول المودة بين المسلمين امر واجب قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا والآيات والاخبار فى هذا كثيرة واذا كان حصول المودة بين المسلمين واجبا فحصولها فى حق اشرف المرسلين اولى فقوله الا المودة فى القربى تقديره والمودة فى القربى ليست اجرا فرجع الحاصل الى انه لا اجر البتة الثانى ان هذا استثناء منقطع كما مر تقديره فى الآية وتم الكلام عند قوله قل لا اسالكم عليه اجرا ثم قال الا المودة فى القربى اى اذكركم قرابتى فيكم فكانه فى اللفظ اجر وليس باجر واختلفوا فى قرابته صلى الله عليه وسلم فقيل هم فاطمة وعلى وابناؤهما وفيهم نزل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وروى زيد بن ارقم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انى تارك فيكم كتاب الله واهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى قيل لزيد بن ارقم من اهل بيته فقال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس وروى ابن عمر عن ابى بكر رضى الله عنه قال ارقبوا محمدا فى اهل بيته وقيل هم الذين تحرم عليهم الصدقة من اقاربه ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا جاهلية ولا اسلاما وقيل هذه الآية منسوخة واليه ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل قال البغوى وهذا قول غير مرضى لان مودة النبى صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه والتقرب الى الله تعالى بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين ولما كان التقدير فمن يقترف سيئة فعليه وزرها ولكنه طوى لان المقام للبشارة كما يدل عليه ختم الآية عطف عليه قوله تعالى ومن يقترف اى يكتسب

ونحوها وبعمل بجد واجتهاد وتعب وعلاج حسنة أي ولو صغرت نزد بما لنا من العظمة له فيها أي
في الحسنة حسناً أي بمضاعفة الثواب ومن الزيادة أن يكون له مثل أجر من اقتدى به فيها
إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيء قيل نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه
وقيل المراد بها العموم في أي حسنة كانت إلا أنها لما ذكرت عقب ذكر المودة في القربى دل ذلك
على أن المقصود التأكيد في تلك المودة إن الله أي الذي لا يتعاظمه شيء غفور لكل ذنب
منه صاحبه وكان غير الشرك وإن لم يتب منه إن شاء فلا ييأسن أحد سيئة عملها عن الإقبال
على الحبيب شكور أي فهو يجزي بالحسنة أضعافها فإن قلت الشكور في حق الله تعالى مجاز والمعنى
أنه تعالى يحسن إلى المطيعين في إيصال الثواب إليهم وفي أن يزيد عليه أنواعاً كثيرة من التفضل ثم
ذكر الله تعالى الجواب عن طعن الكفرة في النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى أم أي بل يقولون افترى
أي محمد صلى الله عليه وسلم على الله الذي أحاط بصفات الكمال فله العلم الشامل لمن يتقول
عليه والقدرة التامة على عقابه كذباً حين زعم أن هذا القرآن من عنده وأنه أرسله بهذا
الدين فإن يشأ الله أي الذي له الإحاطة بالكمال يختم أي يربط على قلبك بالصبر على أذاهم بهذا القول
وغيره وقد فعل وقال قتادة يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فأخبرهم أنه لو افترى
على الله كذباً لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية أي أنه لا يجترئ على افتراء الكذب إلا من كان في هذه
الحالة والمقصود من هذا الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد ومثاله أن ينسب رجل بعض الأمناء إلى
الخيانة فيقول الأمين لعل الله خذلني أعمى قلبي وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب لنفسه
وإنما يريد استبعاد صدور الخيانة عنه وقوله تعالى ويمح الله أي الذي له الأمر كله الباطل وهو قولهم افترى
مستأنف غير داخل في جزاء الشرط لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقاً وسقطت الواو منه لفظاً لالتقاء
الساكنين في الدرج وخطاً حملاً للخط على اللفظ كما كتبوا سندع الزبانية عليه وأما الحق فإنه ثابت شديد
مضاعف فلذا قال ويحق أي يثبت على وجه لا يمكن زواله الحق أي كل ما من شأنه الثبات لأنه أذن
فيه وأقره بكلماته أي التي لو كان البحر مداداً لها لنفد وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة
الإسلام عليهم إنه عليم أي بالغ العلم بذات الصدور أي ما هو فيها مما يعلمه صاحبها ومما لا يعلمه
فيبطل باطله ويثبت حقه وإن كره الخلائق ذلك ولتعلمن نبأه بعد حين ولقد صدق الله تعالى فأثبت
ببركة هذا القرآن كل ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم وأبطل بسيف هذا البرهان كل ما كانوا يقولونه
فيه ومن أصدق من الله قيلاً قال ابن عباس لما نزل قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى وقع في قلوب
قوم منها شيء وقالوا يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده فنزل جبريل عليه السلام فأخبره أنهم اتهموه
فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال القوم يا رسول الله فإنا نشهد أنك صادق فنزل وهو أي لا غيره الذي
يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه سئل أبو الحسن البوشنجي عن التوبة فقال إذا ذكرت الذنب
فلا تجد له حلاوة في قلبك وعن جابر أن أعرابياً دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فقال

اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله تعالى عنه يا هذا إن سرعة
الاستغفار باللسان توبة الكذابين فقال يا أمير المؤمنين ما التوبة قال اسم يقع على ستة أشياء على
الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذاقة النفس مرارة الطاعة
كما أذقتها حلاوة المعصية وإذابتها في الطاعة كما ربيتها في المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته
وقال سهل بن عبد الله التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة وقال بعضهم
هي الندم على الماضي والترك في الحال والعزم على أن لا يعود إليه في المستقبل وعن أبي هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه يقول والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة
وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة
مرة وعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل يبسط يده
بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها
وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله جعل في المغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما
للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها وروي أن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ولما
كان القبول قد يكون في المستقبل مع الأخذ بما مضى قال الله تعالى تفضلا منه ورحمة ﴿ويعفو
عن السيئات﴾ أي التي كانت التوبة منها صغيرة كانت أو كبيرة وعن غيرها ولا يؤاخذ بها إن شاء لأن التوبة
تجب ما قبلها كما أن الإسلام الذي هو توبة خاصة يجب ما كان قبله وروى أنس عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان هو وراحلته بأرض فلاة
فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته
فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي
وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح ﴿ويعلم﴾ أي والحال أنه يعلم كل وقت ﴿ما تفعلون﴾ فيجازي
ويجاوز عن إتقان وحكمة وقرأ حمزة والكسائي وحفص بتاء الخطاب إقبالا على الناس عامة وهذا خطاب
للمشركين وقرأ الباقون بالغيبة نظرا إلى قوله تعالى عن عباده وقال تعالى بعد ويزيدهم
من فضله ولما رغب في العفو زاد بالإكرام فقال تعالى ﴿ويستجيب﴾ أي يوجد بغاية
العناية والطلب إجابة ﴿الذين آمنوا﴾ أي دعاء الذين أقروا بالإيمان في كل ما دعوا به أو شفعوا عنده فيه لأنه
لولا إرادته لهم الإكرام بالإيمان ما آمنوا وعدى الفعل بنفسه ولم يقل ويستجيب للذين آمنوا تنبيها على
زيادة بره لهم وصلتهم به ﴿وعملوا﴾ تصديقا لدعواهم الإيمان ﴿الصالحات﴾ فيثيبهم النعيم
المقيم ﴿ويزيدهم﴾ أي مع ما دعوا به ما لم يدعوا به ولم يخطر على قلوبهم ﴿من فضله﴾ أي تفضلا
منه عليهم ويجوز أن يكون الموصول فاعلا أي يجيبون ربهم إذا دعاهم كقوله تعالى استجيبوا
لله وللرسول إذا دعاكم واستجاب كأجاب ومنه وداع دعا يا من يجيب إلى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب
وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه ويثيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات

ويزيدهم من فضله سوى ثواب عملهم تفضلا منه وروى ابو صالح عنه يشفعهم ويزيدهم من فضله
قال في اخوان اخوانهم ثم اتبع المؤمنين بذكر ضدهم فقال تعالى والكافرون اي العريقون في
هذا الوصف القاطع الذين منعتهم عراقتهم من التوبة والايمان لهم عذاب شديد بدل ما
للمؤمنين من الثواب والتفضل ولا يجيب دعاءهم وما دعاء الكافرين الا في ضلال فالآية من الاحتباك
ذكر الاستجابة اولا دليلا على ضدها ثانيا والعذاب ثانيا دليلا على ضده اولا ولما قال تعالى انه
يجيب دعاء المؤمنين ورد سؤال وهو ان المؤمن قد يكون في شدة وبلية وفقر ثم يدعو فلا يظهر
اثر الاجابة فكيف الجمع بينه وبين قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا فاجاب تعالى عنه بقوله تعالى
ولو اي وهو يقبل ويستجيب والحال انه لو بسط الله الرزق لهم هكذا كان الاصل لكن قال لعباده
لئلا يظن خصوصية ذلك بالتائبين اذ لا فرق بين التائب وغيره لبغوا اي طغوا في الارض اي لصاروا
يريدون كل ما يشتهون فيكثر القتل والسلب والنهب ونحو ذلك من انواع الفساد وقال خباب بن الارت
فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فنزلت
وذكر في كون بسط الرزق موجبا للطغيان وجوه الاول ان الله تعالى لو سوى في الرزق بين الكل
امتنع كون البعض محتاجا الى البعض وذلك موجب خراب العالم وتعطيل المصالح ثانيها ان هذه
الآية مختصة بالعرب فانه كلما اتسع رزقهم ووجدوا من ماء المطر ما يرويهم ومن الكلأ و
العشب ما يشبعهم قدموا على النهب والغارة ثالثها ان الانسان متكبر بالطبع فان وجد
الغنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهو التكبر واذا وقع في شدة وبلية ومكروه انكسر
وعاد الى التواضع والطاعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد
مركب وملبسا بعد ملبس ولكن ينزل اي لعباده من الرزق وقرأ ابن كثير وابو عمرو بسكون النون
وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي بقدر اي بتقدير لهم ما يشاء اي ما اقتضته
مشيئته انه اي قال تعالى بعباده ولم يقل بهم لئلا يظن ان الامر خاص بمن وسع عليهم او ضيق عليهم
خبير بصير يعلم جميع ظواهر امورهم وبواطنها فيقيم كل احد فيما يصلح له من صلاح وفساد وعدل
وبغي روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل في حديث
طويل وفيه يقول الله عز وجل ما ترددت في شيء انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت
واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده
ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي
المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه
الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك وذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير وقرأ ما يشاء
انه نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالياء ولهم ايضا ابدالها واوا والباقون بتحقيقهما
واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الفا مع المد والقصر والروم والاشمام وهـ

اى لا غيره الذى ينزل الغيث اى المطر الذى يغاث به الناس وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى
بفتح النون وتشديد الزاى والباقون بسكون النون وتخفيف الزاى من بعد ما قنطوا اى يئسوا
من نزوله وعلموا انه لا يقدر على انزاله غيره ولا يقصد فيه سواه ليكون ذلك ادعى لهم
الى الشكر وقال تعالى وينشر رحمته اى يبسط مطره كما قال تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى
رحمته وان كان الاصل بنشره لانه بين انه غيث فقال رحمته بيانا وتعميما فينزل من السحاب المحمول
بالريح من الماء ما لو اجتمع عليه الخلائق ما اطاقوا حمله فتصبح الارض ما بين غدران وانهار ونبات نجم
واشجار وزهر وحب وثمار وغير ذلك من المنافع الصغار والكبار فلله ما اعلى هذه القدرة الباهرة
والآية الظاهرة فيخرج من الارض التى هى من صلابتها تعجز عنها المعاول مما هو فى لينه الين من الحرير وفى
لطافته الطف من النسيم ومن سوق الاشجار التى تنثنى فيها المناقير عضا ما الطف من الاسنة العضاب
فما اجلت من بكر اخراجه الموثق من القضبان او يجيد عن ذلك بنوع من الغرور وهو اى لا غيره الولى
الذى لا احد اقرب منه الى عباده فى شئ من الاشياء الحميد اى الذى يستحق جميع المحامد لانه يجهد من
يطيعه فيؤيده من فضله ويصل حبله دائما بحبله ومن آياته اى العظيمة على استحقاقه لجميع صفات
الكمال خلق السموات التى تعلمون انها متعددة لما ترون من اسوار الكواكب والارض اى جنسها على
ما هما عليه من الهيئات وما اشتملا عليه من المنافع والخيرات وقوله تعالى وما بث اى فرق ونشر يجوز
ان يكون مجرور المحل عطفا على السموات او مرفوعه عطفا على خلق على حذف مضاف اى وخلق ما بث
قال ابو حيان وفيه نظر لانه يؤل الى جره بالاضافة لخلق المقدر فلا يعدل عنه فيهما اى فى السموات
والارض من دابة اى شئ فيه اهلية الدبيب بالحياة والحركة من الانس والجن والملائكة وسائر
الحيوانات على اختلاف الوانهم واصنافهم واشكالهم ولغاتهم وطبائعهم واجناسهم وانواعهم واقطارهم
ونواحيهم فان قيل كيف يجوز اطلاق الدابة على الملائكة اجيب بوجوه اولها ما مر من ان الدابة
عبارة عما فيه الروح والحركة والملائكة لهم الروح والحركة ثانيها انه قد يضاف الفعل الى جماعة وان كان
فاعله واحدا منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ثالثها قال ابن عادل لا يبعد ان يقال
انه تعالى خلق فى السموات انواعا من الحيوانات يمشون مشى الاناسى على الارض وروى العباس
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بين السماء السابعة والعرش بحر بين اسفله
واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض
ثم فوق ذلك العرش الحديث وهو اى لا غيره على جمعهم اى هذه الدواب من ذوى العقول وغيرهم
للحشر بعد تفريقهم بالقلوب والابدان بالموت وغيره اذا اى فى وقت يشاء قدير اى بالغ القدرة
كما كان بالغ القدرة عند الايجاد من العدم فيجمعهم فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم
البصر ثم خاطب المؤمنين بقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة اى بلية وشدة فبما كسبت
ايديكم اى من الذنوب وقرأ نافع وابن عامر بغير فاء والباقون بالفاء لان ما شرطية

او مضمنة معناه واما من اسقطها فقد استغنى بما فى الباء من معنى السببية فان قيل ٭ الكسب لا يكون باليد بل بالقدرة القائمة بها ٭ اجيب ٭ بان المراد من لفظ اليد ههنا القدرة واذا كان هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد فى حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تبارك وتعالى عن الاعضاء واختلفوا فيما يحصل فى الدنيا من الآلام والاسقام والقحط والغرق والمصائب هل هى عقوبات على ذنوب سلفت او لا فمنهم من انكر ذلك لوجوه اولها قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت بين تعالى ان ذلك انما يحصل يوم القيامة وقال تعالى مالك يوم الدين اى يوم الجزاء واجمعوا ان المراد منه يوم القيامة ثانيها مصائب الدنيا يشترك فيها الزنديق والصديق فيمتنع ان تكون عقوبة على الذنوب بل حصول المصائب للصالحين والمتقين اكثر منه للمذنبين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ثالثها ان الدنيا دار تكليف فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار تكليف ودار جزاء معا وهو محال وقال آخرون هذه المصائب قد تكون اجزية على ذنوب متقدمة لظاهر الآية ولما روى الحسن قال لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه الا اخبركم بافضل آية فى كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة الآية قال صلى الله عليه وسلم وسأفسرها لك يا على ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء فى الدنيا فبما كسبت ايديكم والله سبحانه وتعالى اكرم من ان يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فانه احلم من ان يعود بعد عفوه وتمسكوا ايضا بقوله تعالى بعد هذه الآية او يوبقهن بما كسبوا وذلك تصريح بان ذلك الاهلاك بسبب كسبهم قيل لابى سليمان الدارانى ما بال العقلاء ازالوا اللوم عن اساء اليهم قال انهم علموا ان الله تعالى انما ابتلاهم بذنوبهم وقرأ هذه الآية ولهما بالاولون بان حصول هذه المصائب يكون من باب الامتحان فى التكاليف لا من باب العقوبة كما فى حق الانبياء بل ذلك لزيادة درجات وفضائل وخصوصيات لا يصلون اليها الا بها لان اعمالهم لم تبلغها فهى حبس من الله تعالى لهم ويحمل قوله تعالى فبما كسبت ايديكم على ان الاصلح عند اتيانكم بذلك الكسب انزال هذه المصائب عليكم ويعفوا عن كثير اى من الذنوب بفضله ورحمته فلا يعاقب عليها ولولا عفوه وتجاوزه ما ترك على ظهرها من دابة قال الواحدى بعد ان روى حديث على وهذه ارجى آية فى كتاب الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفر عنهم بالمصائب وصنف عفا عنهم فى الدنيا وهو كريم لا يرجع فى عفوه فهذه سنة الله تعالى مع المؤمنين واما الكافر فانه لا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وما انتم بمعجزين اى فائتين ما قضى عليكم من المصائب فى الارض وما لكم من دون الله اى غيره فى شئ اراده سبحانه منكم كائنا ما كان من ولى اى يكون متوليا لشئ من اموركم بالاستقلال ولا نصير اى يدفع عنكم شيئا يريده سبحانه بكم ومن آياته اى الدالة على تمام قدرته واختياره ووحدانيته الجوار

السفن الجارية في البحر كالاعلام اى كالجبال قالت الخنساء في مرثية اخيها صخر وان صخرا
لتأتم الهداة به كانه علم في راسه نار اى جبل في راسه نار فشبهت به اخاها
وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوى هذا البيت
قال قاتلها الله تعالى ما رضيت بتشبيهه بالجبل حتى جعلت في راسه نارا وقال مجاهد الاعلام
القصور واحدها علم وقال الخليل بن احمد كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم فان قيل
الصفة متى لم تكن خاصة بموصوفها امتنع حذف الموصوف فلا تقول مررت بماش لان المشى
عام وتقول مررت بمهندس وكاتب والجرى ليس من الصفات الخاصة فما وجه ذلك اجيب
ان قوله تعالى في البحر قرينة دالة على الموصوف فلذلك حذف ويجوز ان تكون هذه صفة غالبة
كالابطح والابرق فوليت العوامل دون موصوفها وقرأ نافع وابو عمرو باثبات الياء وصلا لا وقفا
وابن كثير وهشام باثباتها وقفا بخلاف عن هشام والباقون بحذفها وقفا ووصلا وامال الجوارى
محضة الدورى عن الكسائى وفتح الباقون ان يشأ اى الله الذى حملكم فيها على ظهر الماء ابنية
سقط اعتبارها عندكم لشدة الفكم لها يسكن الريح الذى يسيرها وانتم مقرون بان امرها ليس
الا بيده وقرأ نافع بالف بعد الياء جمعا والباقون بغير الف افرادا فيظللن اى فيتسبب عن ذلك
انهن يظللن اى يصرن ليلا كان او نهارا رواكد اى ثوابت لا تجرى على ظهره اى البحر ان في
ذلك اى ما ذكر في حال السفن في سيرها وركودها بما لا يقدر عليه الا الله تعالى بدليل ما
للناس كالاجماع على التوجه في ذلك اليه خاصة والاقلاع عما سواه لآيات اى على احاطته سبحانه
بجميع صفات الكمال لكل صبار اى على البلاء والشدة شكور اى على نعمائه وهو المؤمن الكامل يصبر
في الشدة ويشكر في الرخاء فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر او اى وان يشأ في كل وقت اراد
يوبقهن اى يهلكهن بعصف الريح باهلهن بما كسبوا اى اهلهن من الذنوب ويعف اى ان يشأ
عن كثير من ذنوبهم فلا يعاقب فينجيهم بعومهم او حمل على خشبة او غير ذلك وان يشأ يرسل الريح
طيبة فينجيها ويبلغها اقصى المراد الى غير ذلك من المقادير الداخلة تحت المشيئة وقوله تعالى ويعلم
قرأه نافع وابن عامر برفع الميم مستأنفا والباقون بالنصب معطوف على تعليل مقدر اى ليغرقهم لينتقم
منهم وليعلم الذين يجادلون اى عند النجاة بالعفو في آياتنا اى يكذبون القرآن اى علم ظهور للناس
ما لهم من محيص اى مهرب من العذاب وجملة النفى سدت مسد مفعولى يعلم والنفى معلق عن العمل
وقوله تعالى فما اوتيتم خطاب للمؤمنين وغيرهم من شيء اى من اثاث الدنيا فمتاع الحياة الدنيا
اى القريبة الدنية لا نفع فيه لاحد الا مدة حياته وذلك جدير بالاعراض عنه وعما يسببه
من الاعمال الا ما يقرب الى الله تعالى وما اى والذى عند الله اى الملك الاعظم المحيط بكل شيء
قدرة وعلما من نعم الدارين خير اى في نفسه ما شئت خيرية من النعم الدنيوية المحضة
لانقطاع نفعه فسماه متاعا تنبيها على قلته وحقارته وجعله من متاع الدنيا تنبيها على انقراضه

واما الآخرة فهي خير وابقى وابقى فهي خير من التنعيس (؟) لعالى ثم بين تعالى ان هذه الخيرية انما تحصل لمن كان موصوفا بصفات الصفة الاولى قوله وتعالى لِلَّذِينَ آمَنُوا اى اوجدوا هذه الحقيقة وَعَلَى اى والحال انهم على رَبِّهِمْ اى الذى لم يروا احسانا الا منه وحده بما رباهم من الاخلاص يَتَوَكَّلُونَ اى يفوضون جميع امورهم عليه كما يحمل غيرهم متاعه على من يقوى منه قوة على الحمل ولا يلتفتون فى ذلك الى شئ غيره اصلا لينتفى عنهم بذلك الشرك الخفى كما انتفى بالايمان الشرك الجلى وهذا رد على من زعم ان الطاعة توجب الثواب لانه متوكل على عمل نفسه لا على الله تعالى فلا يدخل تحت الآية الصفة الثانية قوله عز وجل وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ اى يكلفون انفسهم ان يجانبوا كَبَائِرَ الْإِثْمِ اى جنس الفعال الكبائر التى لا توجد الا فى ضمن افرادها ويحصل بها دنس النفس فيوجب عقابها مع الجسم وعطف على كبائر قوله تعالى وَالْفَوَاحِشَ وهى ما انكره الشرع والعقل والطبع والكبائر كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة والفواحش ما عظم قبحه من الاقوال والافعال وقال مقاتل ما يوجب الحد وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة النساء وقرأ حمزة والكسائى بكسر الباء الموحدة قبل الياء الساكنة وهى للجنس فهى بمعنى قراءة الجمع كما قرأ الباقون بفتح الموحدة والف بعدها وبعد الالف همزة مكسورة والاولى ابلغ لشمولها المفرد الصفة الثالثة قوله تبارك وتعالى وَإِذَا مَا غَضِبُوا اى غضبا هو على حقيقته اى مغضب (؟) ... من تضمير الفضلات بواطنهم فى غيرهم كظواهرهم فقال تعالى هُمْ يَغْفِرُونَ اى هم الاخصاء بانهم كلما تجدد لهم غضب جددوا الغفر اى محو الذنوب عينا واثرا مع القدرة على الانتقام فسجاياهم تقتضى الصفح دون الانتقام ما لم يكن من الظالم بغى لانه لا يؤاخذ على مجرد الغضب لا متكبر والتكبر لا يصلح لغير الله وفى الصحيح انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط الا ان تنتهك حرمات الله تعالى وروى ابن ابى حاتم عن ابراهيم النخعى قال كان المؤمنون يكرهون ان يستذلوا وكانوا اذا قدروا عفوا الصفة الرابعة قوله تعالى وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا اى اوجدوا الاجابة بما لهم من العلم الهادى الى سبيل الرشاد لِرَبِّهِمْ اى الداعى لهم الى الاجابة احسانا اليهم قال الرازى المراد من هذا تمام الانقياد فان قيل اليس انه لما جعل الايمان فيه شرطا فقد دخل فى الايمان اجابة الله تعالى اجيب بانه يحمل هذا على الرضا بقضاء الله تعالى من صميم القلب وان لا يكون فى قلبه منازعة الصفة الخامسة قوله سبحانه وتعالى وَأَقَامُوا اى اداموا الصَّلَاةَ الواجبة وَأَمْرُهُمْ اى كل ما ينوبهم مما يحوجهم الى التدبير شُورَىٰ ذوى بَيْنَهُمْ اى يتشاورون فيه مشاورة عظيمة مبالغين بما لهم من قوة الباطن ولا يعجلون فى امورهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور الصفة السادسة قوله تعالى وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ اى اعطيناهم بعظمتنا من غير حول منهم ولا قوة يُنفِقُونَ اى يديمون الانفاق فى سبيل الله تعالى كرما منهم وان قل ما بايديهم اعتمادا على فضل الله تعالى لا يقبضون ايديهم كالمنافقين وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ اى وقع بهم واثر فيهم وهو التمادى على الرمى بالشر هُمْ يَنتَصِرُونَ

اى ينتقمون ممن ظلمهم مثل ظلمه كما قال تعالى وجزاء سيئة سيئة سميت الثانية سيئة
لمشابهتها الاولى فى الصورة قال مقاتل يعنى القصاص فى الجراحات والدماء وقال مجاهد والسدى
هو جواب القبيح اذا قال اخزاك الله يقول اخزاك الله واذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير ان تعتدى قال
سفيان بن عيينة سالت سفيان الثورى عن ذلك فقال ان شتمك رجل فتشتمه او يفعل
بك فتفعل به فلم اجد عنده شيئا فسالت هشام بن حجير عن ذلك فقال الجارح اذا جرح يقتص منه
وليس هو ان يشتمك فتشتمه وقد تكفلت هذه الجمل بامهات الفضائل الثلاث العلم والعفة والشجاعة
على احسن الوجوه فالمدح بالاستجابة والصلوة دعاء الى العلم وبالنفقة الى العفة وبالانتصار الى الشجاعة
حتى لا يظن ان اذعانهم لما مضى عجز وذل والقصر على المماثلة دعاء الى فضيلة التقسيط بين الكل وهى
العدل فهذه الاخيرة كافلة بالفضائل الثلاث فان من علم المماثلة كان عالما ومن قصد الوقوف عندها
كان عفيفا ومن قسر نفسه على ذلك كان شجاعا وقد ظهر من المدح بالانتصار بعد المدح بالغفران
ان الاول للعاجز والثانى للمتغلب المتكبر بدليل البغى فان قيل هذه الآية مشكلة لوجهين الاول انه
لما ذكر قبله واذا ما غضبوا هم يغفرون فكيف يليق ان يذكر معه ما يجرى مجرى الضد له وهو والذين اذا
اصابهم البغى هم ينتصرون الثانى ان جميع الآيات دالة على ان العفو احسن قال تعالى وان تعفوا اقرب
للتقوى وقال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين واجيب
بان العفو على قسمين احدهما ان يصير العفو سببا لتسكين الفتنة ورجوع الجانى عن جنايته
والثانى ان يصير العفو سببا لمزيد جراءة الجانى وقوة غيظه وغضبه فآيات العفو محمولة على القسم الاول
وهذه الآية محمولة على القسم الثانى وحينئذ يزول التناقض روى ان زينب اقبلت على عائشة تشتمها
فنهاها النبى صلى الله عليه وسلم عنها فلم تنته فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم سبيها وايضا فانه تعالى
لم يرغب فى الانتصار بل بين انه مشروع فقط ثم بين ان مشروعيته مشروطة برعاية المماثلة بقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم بين ان العفو اولى بقوله تعالى فمن عفا اى باسقاط حقه كله اى بالنقص منه
لتحقق البراءة مما حرم من المجاوزة واصلح اى وقع الاصلاح بين الناس بالعفو والاصلاح لنفسه
ليصلح الله ما بينه وبين الناس فيكون بذلك منتصرا من نفسه لنفسه فاجره على الله اى المحيط بجميع صفات
الكمال فهو يعطيه على حسب ما يقتضيه مفهوم هذا الاسم الاعظم وهذا ابلغ الكلام اليه
عن عظم العظمة وقوله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله بعفو الا عزا انه لا يحب الظالمين اى لا يكرم
الواضعين للشئ فى غير محله فيترتب عليهم عقابه ولمن انتصر اى سعى فى نصر نفسه بجهده بعد
ظلمه اى بعد ظلم الغير له وليس قاصد التعدى حقه ولو استغرق انتصاره جميع زمان
التعدى فاولئك اى المنتصرون لاجل دفع الظالم عنهم ما عليهم واكد باثبات الجار فى قوله
تعالى من سبيل اى عتاب لانهم فعلوا ما ابيح لهم من الانتصار روى النسائى عن عائشة
قالت ما علمت حتى دخلت على زينب وهى غضبى فاقبلت على فاعرضت

عنها حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم دونك فانتصري فاقبلت عليها حين رأيتها قد يبس ريقها في فيها
ما ترد علي شيئا فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه واحتجوا بهذه الآية على ان سراية
القود مهدرة لانه فعل ماذون فيه فيدخل تحت هذه الآية إِنَّمَا السَّبِيلُ اي الطريق السالك الذي
لا منع منه اصلا عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ اي يبدؤون بظلمهم تعمدا عدوانا وَيَبْغُونَ
اي يتجاوزون الحدود فِي الْأَرْضِ بما يفسدها بعد اصلاحها بتهيئتها للصلاح طبعا وعلما وعملا
بِغَيْرِ الْحَقِّ اي الكامل لان الفعل قد يكون بغيا وان كان مصحوبا بحق كالانتصار المقرون
بالتعدي فيه أُولَئِكَ اي البعداء من الله تعالى لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اي مؤلم يعم ايلامه ابدانهم
وارواحهم بما آلموا من ظلموه وَلَمَنْ صَبَرَ اي عن الانتصار من غير انتقام ولا شكوى وَغَفَرَ
اي صرح باسقاط العقاب والعتاب بمحو عين الذنب واثره إِنَّ ذَلِكَ اي الفعل الواقع منه
البالغ في العلو جدا لا يوصف لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ اي معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا روي انه
صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد ظلم مظلمة فعفا عنها الا اعزه الله تعالى بها نصرا وَمَنْ
يُضْلِلِ اللَّهُ اي الذي له صفات الكمال بان لم يوفقه فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ اي يتولى امره في الهداية
بالبيان لما اخفاه الله تعالى عنه مِنْ بَعْدِهِ اي من بعد اضلال الله تعالى له وهذا صريح في جواز
ان الاضلال من الله تعالى وان الهداية ليست في مقدور واحد سوى الله تعالى وقال تعالى وَتَرَى الظَّالِمِينَ
موضع وتراهم لبيان ان الضال لا يضر شيئا في موضعه ولما كان عذابهم حتما عبر عنه بالماضي
فقال لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ اي يوم القيامة المعلوم مصير الظالم اليه يَقُولُونَ اي مكررين لما اعتراهم
من الدهشة وغلب على قلوبهم من الوجل هَلْ إِلَى مَرَدٍّ اي الى دار العمل مِنْ سَبِيلٍ اي طريق فيتمنون حينئذ
الرجوع الى الدنيا لتدارك ما فات من الطاعات الموجبة للنجاة وَتَرَاهُمْ اي في ذلك اليوم والضمير في قوله تعالى
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا يعود على النار لدلالة العذاب عليها ثم ذكر حالهم عند عرضهم على النار بقوله تعالى خَاشِعِينَ
اي خاضعين متقاربين بسبب ما لحقهم مِنَ الذُّلِّ لانهم عرفوا اذ ذاك ذنوبهم وانكشف لهم عظمة من عصوه
يَنْظُرُونَ اي يبتدئ نظرهم المكرر مِنْ طَرْفٍ اي تحريك للاجفان خَفِيٍّ اي ضعيف النظر يسارقون
النظر الى النار خوفا منها وذلة في انفسهم كما ينظر المقتول الى السيف فلا يقدر يملأ
عينيه منه ولا يفتح عينيه انما ينظر ببعضها ويجوز ان تكون من بمعنى الباء اي بطرف خفي ضعيف
من الذل فان قيل قد قال الله تعالى في صفة الكفار انهم يحشرون عميا فكيف قال تعالى
هنا انهم ينظرون من طرف خفي اجيب بانهم يكونون في الابتداء هكذا ثم يصيرون عميا
او ان هذا في قوم وذاك في قوم آخرين وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم والنظر بالقلب خفي ولما
وصف تعالى حال الكفار حكى ما يقوله المؤمنون فيهم فقال تعالى وَقَالَ اي في ذلك
الموقف الاعظم على سبيل التعليم لهم والتبكيت والتوبيخ والتقريع الَّذِينَ آمَنُوا اي اوقعوا
هذه الحقيقة سواء كان ايقاعهم لها في ادنى الرتب او اعلاها إِنَّ الْخَاسِرِينَ

الذين كملت خسارتهم الذين خسروا انفسهم بما استحقوها من العذاب واهليهم بمفارقتهم لهم
اما في اطباق العذاب ان كانوا امثالهم في الخلائق او في دار الثواب ان كانوا من اهل الايمان
يوم القيامة اى هو يوم فوت التدارك لانه للجزاء لا للعمل لفوات شرطه بفوات الايمان بالغيب
لانكشاف الغطاء وهذا القول ان يكون واقعا في الدنيا او يوم القيامة اذا راوهم على تلك الصفة
وقوله تعالى الا ان الظالمين اى الراسخين في هذا الوصف في عذاب مقيم اى دائم يحتمل ان يكون
من تمام كلام المؤمنين وان يكون تصديقا من الله تعالى لهم وما كان اى ما صح وما وجد لهم واغرق
في النفي فقال تعالى من اولياء اى اتباعهم من ولى لان النصرة اذا انتفت من الواحد من بابها ولى
ينصرونهم اى يجددون نصرهم في وقت من الاوقات من دون الله اى الملك الاعظم لا
لا في الدنيا بان يقدروا على انقاذهم من وصمة الظلم ولا في الاخرة بانقاذهم من العذاب
ومن يضلل الله اى يوجد ضلاله ايجادا بليغا بما افاده الفك على سبيل الاستمرار بعدم البيان
او بعدم التوفيق بعد البيان فما له بسبب اضلال من له جميع صفات الكمال واغرق تعالى
في النفي بقوله سبحانه من سبيل اى طريق الى الحق في الدنيا والى الجنة في الاخرة ولما ذكر
تعالى الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود فقال تعالى استجيبوا لربكم اى اجيبوه بالتوحيد
والعبادة فانه الذى لم تروا احسانا الا وهو منه من قبل ان ياتي يوم هو يوم القيامة لا مرد له من الله
اى الذى له جميع العظمة فانه اذا اتى به لا يرده واذا لم يكن له مرد منه لم يكن له مرد من غيره ومعنى
عدم ذلك انتهى قوله تعالى ما لكم واغرق في النفي بقوله تعالى من ملجأ اى تلجؤن اليه يومئذ
اى في ذلك اليوم وزاد في التاكيد باعادة النافي وما في حيزه بالاعادة التحذير فقال تعالى وما لكم
من نكير اى انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائفكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم
فان اعرضوا اى عن الاجابة فيما دعوتهم اليه فما ارسلناك اى بما لنا من العظمة عليهم حفيظا اى
تقهرهم على امتثال ما ارسلناك به ان عليك الا البلاغ لما ارسلناك به واما الهداية والاضلال فالينا
وهذا كما قال الجلال المحلى قبل الامر بالجهاد وانا اذا اذقنا اى بالعظمة التى لا يمكن مخالفتها الانسان
اى مما جبلناه عليه من النقص وعدم التمالك منا رحمة قال ابن عباس رضى الله عنهما نوعا من انواع
الاكرام من صحة او غنى او نحو ذلك فرح بها اى بتلك الرحمة وافرد ضميره نظرا للفظ الانسان اشارة
الى انه مطبوع على انه ليس عليه الا من نفسه ولو كان اهل الارض كلهم على غير ذلك ونعم الله تعالى
عليهم وان كانت في الدنيا عظيمة الا انها بالنسبة الى سعادات الاخرة كالقطرة بالنسبة
الى البحر فلذلك سميت ذوقا فبين تعالى ان الانسان اذا حصل له هذا القدر الحقير في الدنيا فرح به
وعظم غروره ووقع في العجب والكبر وظن انه فاز بكل المنى ووصل الى اقصى السعادات وهذه طريقة
من ضعف اعتقاده في سعادات الاخرة وجمع ضمير الانسان في قوله تعالى وان تصبهم باعتبار معناه
سيئة اى شيء يسوءهم في الحال كالمرض والفقر والقحط بما قدمت ايديهم اى قدموه وعبر بالايدى

لان اكثر الانفعال بها فان الانسان اى الانس بتقسيد المعرض عن غيره بما هو طبع له بسبب
سيئة تصبه كفور اى ابلغ الكفران بنسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتأمل سببها
وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات
بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع الضمير فى الثانية للدلالة
على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة فان كان فى نعمة اشر وبطر وان كان فى نقمة ايس وقنط فهذا
حال الجنس من حيث هو ومن وفقه الله تعالى جنبه ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ان اصابه
سراء شكر فكان خيرا وان اصابه ضراء صبر فكان خيرا ولما ذكر تعالى اذاقة الانسان الرحمة
واصابته بعدها السيئة اتبع ذلك بقوله تعالى لله اى الملك الاعظم وحده ملك السموات كلها على
تطابقها وكبرها وعظمها وتباعد اقطارها والارض جميعها على تباينها وتكاثفها واختلاف اقطارها
وسكانها واتساعها يخلق اى على سبيل التجدد والاختيار والاستمرار ما يشاء وان كان على غير اختيار
العباد لئلا يغتر الانسان بما ملكه من المال والجاه بل اذا علم ان الكل ملك لله وملكه وان ما
حصل له ذلك القدر انما هو من الله تعالى عليه فيصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة ثم ذكر من اقسام
تصرفه تعالى فى العالم انه يخص بعض الناس بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بهما والبعض محروم
من الكل كما قال تعالى يهب اى يخلق لمن يشاء اولادا اناثا فقط ليس معهن ذكر ويهب لمن يشاء
الذكور فقط ليس معهم انثى وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالياء وتبدل
ايضا واوا خالصة والباقون بتحقيقهما وفى الابتداء الجميع بالتحقيق واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة
الفا مع المد والتوسط والقصر ولهما ايضا تسهيلها مع المد والقصر والروم والاشمام او يزوجهم
اى الاولاد فيجعلهم زوجا اى صنفين حال كونهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما
اى لا يولد له قال الرازى وفى الاية سؤالات الاول انه قدم الاناث فى الذكر على الذكور ثم قدم الذكور
على الاناث ثانيا فما السبب اى فما الحكمة فى هذا التقديم والتأخير الثانى انه نكر الاناث وعرف الذكور
وقال فى الصنفين معا او يزوجهم ذكرانا واناثا الثالث انه لما كان حصول الولد هبة من الله تعالى فيكفى
فى عدم حصوله له ان لا يهب فاى حاجة فى عدم حصوله الى قوله تعالى ويجعل من يشاء عقيما
الرابع هل المراد بهذا الحكم جمع معينون او الحكم على الانسان المطلق ثم قال والجواب
عن الاول ان الكريم يسعى فى ان يقع الختم على الخير والراحة فاذا وهب الانثى اولا ثم اعطى الذكر بعدها
فكانه نقله من الغم الى الفرح وهذا غاية الكرم اما اذا اعطى الذكر اولا ثم اعطى الانثى ثانيا فكانه
نقله من الفرح الى الغم فذكر الله تعالى هبة الانثى اولا ثم ثنى بهبة الذكر حتى يكون
قد نقله من الغم الى الفرح فيكون اليق بالكرم وقيل من يمن المرأة تبكيرها بالانثى قبل الذكر
لان الله تعالى بدأ بالاناث واما تقديم ذكر الذكور على ذكر الاناث ثانيا فلان الذكر اكمل
وافضل من الانثى والافضل مقدم على المفضول واما الجواب عن تنكير الاناث وتعريف

الذكور فهذا ان المقصود منه التنبيه على ان الذكر افضل من الانثى واما قوله تعالى او يزوجهم ذكرانا
واناثا فمعلوم ان كل شيئين يقترن احدهما بالآخر فهما زوجان وكل واحد منهما يقال له زوج
والكناية فى يزوجهم عائدة على الاناث والذكور والمعنى يجعل الذكور والاناث ازواجا
اى يجمع له بينهما فيولد له الذكور والاناث واما الجواب عن قوله تعالى عقيما فالعقيم هو الذى
لا يلد ولا يولد له يقال رجل عقيم وامرأة عقيم واصل العقم القطع ومنه قيل الملك عقيم
لانه تقطع فيه الارحام بالقتل والعقوق واما الجواب عن الرابع فقال ابن عباس رضى الله عنهما
يهب لمن يشاء اناثا يريد لوطا وشعيبا عليهما السلام لم يكن لهما الا البنات ويهب لمن يشاء الذكور
يريد ابراهيم عليه السلام لم يكن له الا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم
كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله وابراهيم ومن البنات اربعة زينب ورقية
وام كلثوم وفاطمة ويجعل من يشاء عقيما يريد يحيى وعيسى عليهما السلام وقال اكثر المفسرين
هذا على وجه التمثيل وانما الحكم عام فى كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى فى تكوين
الاشياء كيف شاء فلا معنى للتخصيص ثم انه تعالى ختم الآية بقوله تعالى انه عليم اى بالغ العلم
بمصالح العباد وغيرها قدير اى شامل القدرة على تكوين ما يشاء ولما بين تعالى حال قدرته وعلمه
وحكمته اتبعه ببيان انه كيف يخص انبياءه بوحيه وكلامه فقال تعالى وما كان اى وما صح لبشر
من الاقسام المذكورة وحل المصدر الذى هو اسم كان ليفيد التصريح بالفاعل والمفعول على اتم الوجوه فقال
تعالى ان يكلمه واظهر موضع الاضمار اعظاما للوحى وتشريفا للمقدار فقال تعالى الله اى الملك
الاعظم الجامع لصفات الكمال فى قلبه كلاما الا ان يوحى اليه وحيا اى كلاما خفيا يوجده فيه بغير واسطة
بوجه خفى لا يطلع عليه احدا اما مشافهة كما ورد فى حديث المعراج واما بالهام او رؤية منام كما راى ابراهيم عليه السلام
فى المنام ان يذبح ولده او بغير ذلك سواء خلق الله تعالى فى المتكلم قوة السماع له ام لا وهذا شرف هذه
الاقسام ام لا ومن الثانى قوله تعالى واوحينا الى ام موسى واوحى ربك الى النحل واوحى فى كل سماء امرها
او الا من وراء حجاب اى من وجه لا يرى فيه المتكلم مع السماع للكلام على وجه الجهر كما وقع لموسى
عليه السلام او يرسل رسولا من الملائكة اما جبريل عليه السلام او غيره تنبيه ذكر
المفسرون ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله تعالى وتنظر اليه ان كنت
نبيا كما كلم موسى ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله عز وجل فانزل الله تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى اى الرسول الى المرسل
اليه ان يكلمه باذنه اى الله تعالى ما يشاء اى الله عز وجل وقرأ نافع برفع اللام من يرسل وسكون
الياء من يوحى والباقون بنصب اللام والياء اما القراءة الاولى ففيها ثلاثة اوجه احدها انه
رفع على اضمار مبتدأ اى هو يرسل ثانيها انه عطف على وحيا على انه حال لان وحيا
فى تقدير الحال ايضا فكانه قال الا موحيا اليه او مرسلا ثالثها ان يعطف على ما يتعلق به

مرفوع او انه نقد بره او يسمع من وراء حجاب فوحيا في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف
عليه او يرسل والتقدير الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا واما القراءة الثانية ففيها ثلاثة
اوجه احدها ان يعطف على المضمر الذي يتعلق به من وراء حجاب اذ تقديره او يكلمه من وراء حجاب
وهذا الفعل المقدر معطوف على وحيا والمعنى الا بوحي او اسماع من وراء حجاب وارسال رسول ولا يجوز
ان يعطف على ان يكلمه لفساد المعنى اذ يصير التقدير وما كان لبشر ان يرسل الله رسولا فيفسد
لفظا ومعنى وقال مكي لانه يلزم منه نفي الرسل ونفي المرسل اليهم ثانيها ان ينصب بان مضمرة وتكون
هي وما نصبته معطوفين على وحيا ووحيا حال فيكون هنا ايضا حالا والتقدير الا موحيا او مرسلا
ثالثها انه معطوف على معنى وحيا فانه مصدر مقدر بان والفعل والتقدير الا بان يوحي اليه او بان يرسل
ذكره مكي وابو البقاء (انه) اي هذا الذي له هذا التصرف العظيم في هذا الوحي الكريم (علي) اي بالغ العلو
عن صفات المخلوقين (حكيم) يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة بواسطة وتارة بغير واسطة اما
عيانا واما من وراء حجاب (وكذلك) اي ومثل ايحائنا الى غيرك من الرسل (اوحينا) بما لنا من العظمة
(اليك) يا افضل الرسل (روحا) قال ابن عباس نبوة وقال الحسن رحمة وقال السدي وحيا وقال
الكلبي كتابا وقال الربيع جبريل وقال مالك بن دينار القرآن وسمي الوحي روحا لانه يحيى به
كما ان الروح يحيى به البدن وزاد عظمته بقوله تعالى (من امرنا) اي الذي نوحيه اليك ثم بين
تعالى حال نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قبل الوحي بقوله سبحانه (ما كنت) اي نيفا قبل الاربعين
التي مضت لك وانت بين ظهرانيهم تدري او تعرف قبل الوحي اليك (ما الكتاب) اي القرآن (ولا الايمان)
اي تفصيل الشرائع على ما هي عليه الآن مما اوحيناه اليك وهو صلى الله عليه وسلم وان كان قبل
النبوة قد كان يعرف ايمانه بالله تعالى وعظمته فانه كان يصلي ويحج ويعتمر ويبغض اللات
والعزى ولا يأكل ما ذبح على النصب لكنه لم يكن يعلم الرسل على ما هم عليه ولا شك ان الشهادة
له صلى الله عليه وسلم نفسه بالرسالة ركن الايمان ولم يكن له علم بذلك وكذلك الملائكة فصح
نفي المعنى لفواته بفوات جزئه وقال محمد بن اسحق بن خزيمة الايمان هنا الصلاة لقوله تعالى وما كان الله
ليضيع ايمانكم اي صلاتكم وقيل هذا على حذف مضاف ومعناه ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان حين كنت
طفلا في المهد وقيل الايمان عبارة عن الاقرار بجميع ما كلف الله تعالى به وقال بعضهم صفات الله تعالى
على قسمين منها ما يمكن معرفته بمحض دلائل العقول ومنها ما لا يمكن معرفته الا بالدلائل السمعية فهذا
القسم الثاني لم تكن معرفته حاصلة قبل النبوة تنبيه ما الاولى نافية والثانية استفهامية والجملة
الاستفهامية معلقة للدراية فهي في محل نصب لسدها مسد مفعولين والجملة باسرها في محل نصب على
الحال من الكاف في اليك وفي الآية دليل على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع
وفي المسألة خلاف للعلماء فقيل كان يتعبد على دين ابراهيم عليه السلام وقيل غيره والضمير
في قوله تعالى (ولكن جعلناه نورا) يعود اما للروح واما للكتاب واما لهما وهو اولى لانهما

مقصود واحد فهو كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعني
الايمان وقال السدي يعني القرآن نهدي على عظمتنا به من نشاء خاصة لا يقدر احد على هدايته
بغير مشيئتنا من عبادنا بخلق الهداية في قلبه بالتوفيق فهذه لا يقدر عليها احد غير الله تعالى واما
الهداية بالتبيين والارشاد فهي قوله تعالى وانك يا افضل الخلق لتهدي اي تبين وترشد ولكنه لا كما هم
بذلك الى صراط اي طريق واضح جدا مستقيم اي شديد التقوم وهو دين الاسلام وقوله تعالى
صراط الله اي الملك الاعظم الجامع لصفات الكمال وقرأ سراط في الموضعين قنبل بالسين وخلف بالاشمام
اي بين الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة ثم وصف سبحانه وتعالى نفسه بانه مالك لما في السموات
والارض بقوله تعالى الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وعبيدا الا الى الله اي المحيط
بجميع صفات الكمال الذي تعالى عن مثل وند فهو الكبير المتعال لا الى غيره تصير اي على الدوام وان
كانت في الظاهر في ملك غيره بحيث يظن الجاهل ان ملكها مستقر له قال ابو حيان اخبر بالمضارع
والمراد به الديمومة كقوله زيد يعطي ويمنع اي من شانه ذلك ولا يراد به حينئذ حقيقة المستقبل
الامور كلها من الخلق والامر معنى وحسا كما كانت الامور كلها مبتداة منه وحده وفي ذلك وعد
للمطيعين ووعيد للمجرمين فيجازي كلا منهم بما يستحقه من ثواب او عقاب وما قاله البيضاوي
تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة حم عسق كان ممن تصلي عليه
الملائكة ويستغفرون ويسترحمون له حديث موضوع

سورة الزخرف مكية

وهي تسع وثمانون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف واربعمائة حرف

بسم الله اي الذي له مقاليد الامور كلها فهو يعطي من يشاء وان طال سؤاله الرحمن الذي نال بره
جميع خلقه على حسب منازلهم عنده الرحيم الذي يقرب اليه من يشاء فيرقى وان وصل في البعد
الى الحد الاقصى وقد تقدم الكلام على قوله تعالى حم والواو في قوله تعالى والكتاب اي القرآن المبين
اي المظهر طريق الهدى وما يحتاج اليه من الشريعة عاطفة ان جعلت حم قسما والا كانت للقسم وقوله
تعالى انا جعلناه اي اوجدنا هذا الكتاب قرآنا عربيا اي بلغة العرب جواب القسم وهذا
عندهم من البلاغة وهو كون القسم والمقسم عليه من واد واحد كقول ابي تمام
وثناياك انها اغريض اي طلع وبرد وقيل ابيض طري ولآل توم وبرق وميض
والتوم جمع تومة وهي حبة تعمل من الفضة كالدرة والوميض مصدر ومض
اي لمع لمعا خفيفا تنبيه احتج القائلون بحدوث القرآن بهذه الآية من
من وجوه الاول انها تدل على ان القرآن مجعول والمجعول هو المصنوع المخلوق
الثاني انه وصفه بكونه قرآنا وهو انما سمي قرآنا لانه جعل بعضه
مقرونا بالبعض وما كان كذلك كان مصنوعا الثالث

وصفه بكونه عربيا وانما يكون عربيا لان العرب اختصت بوضع الفاظه في اصطلاحهم
وذلك يدل على انه مجعول والتقدير حم ورب الكتاب المبين ويؤيد هذا قوله صلى الله
عليه وسلم يا رب طه ويس ويا رب القرآن العظيم واجاب الرازي عن ذلك بان هذا الذي
ذكره حق لانكم استدللتم بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات
المتعاقبة محدثة وذلك معلوم بالضرورة ومن الذي ينازعكم فيه لعلكم اي يا اهل مكة
تعقلون اي لتكونوا على رجاء عند من يصح منه الرجاء من ان تفهموا معانيه واحكامه
وبديع وصفه ومهيع وضعه ونظامه فترجعوا عن كل ما انتم عليه من المغالبة ولا بد ان يقع هذا
التعقل فان القادر اذا عبر باداة الترجي حقق ما يقع ترجيه ليكون بين كلامه وكلام العاجز فرق
وقوله تعالى وانه اي القرآن عطف على انا اي مثبت في ام الكتاب اي اصل الكتب
وهو اللوح المحفوظ وقال قتادة ام الكتاب اصل الكتاب وام كل شيء اصله وقال ابن عباس اول
ما خلق الله تعالى القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق فالكتاب مثبت عنده في اللوح المحفوظ
كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ فان قيل ما الحكمة في خلق هذا اللوح المحفوظ
مع انه تعالى علام الغيوب يستحيل عليه السهو والنسيان اجيب بانه تعالى لما اثبت في ذلك
احكام حادثات المخلوقات ثم ان الملائكة اذا شاهدوا ان جميع الحوادث انما تحدث على موافقة
ذلك المكتوب استدلوا بذلك على كمال حكمته وعلمه وقيل المراد بام الكتاب الآيات
المحكمة لقوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب والمعنى
ان سورة حم واقعة في الآيات المحكمة التي هي الاصل والام وقرأ حمزة والكسائي في الوصل
بكسر الهمزة والباقون بضمها واتفقوا في الابتداء بالهمزة على الضم وقوله تعالى لدينا
اي عندنا بدل من الجار قبله لعلي اي رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم
اي ذو حكمة بالغة او محكم في ابواب البلاغة والفصاحة افنضرب اي انهملكم فنضرب
اي ننحي ونزيل عنكم الذكر اي القرآن وفي نصب قوله تعالى صفحا اوجه احدها انه مصدر
معنى نضرب لانه يقال ضرب عن كذا واضرب عنه بمعنى اعرض عنه وصرف وجهه عنه قال طرفة
سه اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس * واضرب بفتح الباء اصله اضربن
بنون التوكيد الخفيفة فحذفت النون وحركت الباء بالفتح والطارق ما يطرق بالليل والقونس منبت
شعر الناصية وهو عظم نابت بين اذني الفرس ثانيها انه منصوب على الحال اي صافحين ثالثها ان يكون
مفعولا من اجله وقيل غير ذلك ان اي لان كنتم قوما مسرفين اي مشركين
لا نفعل ذلك وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الهمزة
على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وقرأ الباقون
بفتحها وذكر تعالى تانيسا للنبي صلى الله عليه وسلم وتاسية وتعزية وتسلية قوله سبحانه وتعالى

وكم ارسلنا اى على ما لنا من العظمة من نبى فى الاولين اى فى الامم الماضية ثم حكى حالهم الماضية
بقوله تعالى وما اى والحال انه ما يأتيهم واغرق فى النفى بقوله تعالى من نبى اى فى امة بعد امة
او زمان بعد زمان الا كانوا اى خلقا وطبعا به يستهزؤن كما استهزأ قومك بك
فلا يهيجنك تمادى من قومك بسبب تكذيبهم واستهزائهم لان المصيبة اذا عمت خفت
تنبيه كم خبرية مفعول مقدم ومن نبى تمييز وفى الاولين متعلق بالارسال او بمحذوف على انه
صفة لنبى فاهلكنا اى فتسبب عن الاستهزاء بالرسل انا اهلكنا اشد منهم اى من قريش الذين
يستهزؤن بك بطشا اى قوة وكان الاصل لاجهارهم ولكنه اظهر الضمير صارفا اسلوب الخطاب
الى الغيبة اقبالا على نبيه صلى الله عليه وسلم تسلية له وابلاغا فى وعيدهم ومضى اى سبق
فى ايات الله مثل اى صفة الاولين فى الاهلاك وفى ذلك وعد للرسول صلى الله عليه وسلم
ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين واللام فى قوله تعالى ولئن لام قسم سألتهم اى سألت
قومك من خلق السموات على علوها وسعتها والارض على كثرة منافعها وعظمها وقوله تعالى ليقولن
حذفت منه نون الرفع لتوالى النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين خلقهن الذى هو موصوف
بانه العزيز اى الذى لا يغالب العليم اى بما كان وما يكون تنبيه هذا الجواب مطابق للسؤال من
حيث المعنى اذ لو جاء على اللفظ جىء بجملة ابتدائية كالسؤال فكان الجواب خلقهن الله كما فى غيره
من الايات لكنه عدل عنه الى المطابقة المعنوية مكررا الفعل تأكيدا لاعترافهم زيادة فى توبيخهم
وتنبيها على عظم غلطهم به ولما تم الاخبار عنهم ابتدأ الادلة على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى
الذى جعل لكم ولو كان ذلك قولهم لقالوا لنا الارض مهدا اى فراشا قارة ثابتة كما يمهد
للصبى ولو شاء لجعلها مزلة لا يثبت فيها شىء كما ترون من بعض الجبال فلا انتفاع بها اصلا
حصل بكونها واقفة ساكنة فانها لو كانت متحركة لما امكن الانتفاع بها فى الزراعة والابنية
والسعى على الاحياء والاموات ولان المهد موضع راحة الصبى فكانت الارض مهادا لكثرة ما فيها
من الراحات وقرأ الكوفيون بفتح الميم وسكون الهاء والباقون بكسر الميم وفتح الهاء والف بعد الهاء
وجعل لكم فيها سبلا اى طرقا تسلكونها وذلك ان انتفاع الناس انما يكمل اذا سعوا فى اقطار الارض
فهيأ تعالى تلك السبل ووضع عليها علامات ليحصل الانتفاع ولو شاء لجعلها بحيث لا تسلك
فى مكان منها كما جعل بعض الجبال كذلك ثم ذكر الغاية فى ذلك فقال تعالى لعلكم تهتدون اى لكى
تهتدوا الى مقاصدكم فى الاسفار وغيرها فتتوصلون بها الى الاقطار الشاسعة والاقاليم الواسعة
او لتهتدوا الى الحق فى الدين والذى نزل اى بحسب التدريج ولولا قدرته تعالى الباهرة لكان دفعة واحدة
او قريبا منها من السماء اى المحل العالى ماء اى لا دخل لكم فيه ثم ذكر بكم بالقدرة فانه تعالى بقدر
اى بقدر حاجتكم اليه من غير زيادة ولا نقصان لا كما انزل على قوم نوح بغير قدر حتى اغرقهم
فانشرنا اى احيينا به اى الماء بلدة اى مكانا يجتمع فيه للاقامة يعتنون باحيائه

بيتا ونون على جوام ابقائه ميتا اى كان قد يبس نباته وعجز اهله عن ايصال الماء اليه ليحيا به قال البقاعى ولعله انث البلد وذكر الميت اشارة الى ان بلوغها فى الضعف والموت بلغ الغاية بتضعيف ارضه فى نفسها وضعف اهله عن احيائه كذلك اى مثل هذا الاخراج العظيم الذى شاهدتموه فى النبات تخرجون من قبوركم احياء والمعنى ان هذا الدليل كما دل على قدرة الله تعالى وحكمته فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة ووجه التشبيه انه جعلهم احياء بعد الاماتة كهذه الارض التى انشرت بعدما كانت ميتة وقيل بل وجه التشبيه ان يعيدهم ويخرجهم من الارض بماء كالمنى كما تنبت الارض بماء المطر قال ابن عادل وهذا ضعيف لان ظاهر لفظ الاشارة الاعادة فقط دون هذه الزيادة ثم شرع تعالى فى اكمال ما تقتضيه الحال من الاوصاف فقال عز من قائل والذى خلق الازواج اى الاصناف المتشاكلة التى لا يكمل شئ منها غاية الكمال الا بالآخر على ما دبره سبحانه فى نظم هذا الوجود كلها من النبات والحيوان وغير ذلك من سائر الاكوان لم يشاركه فى شئ منها احد وقال ابن عباس رضى الله عنه الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقال بعض المحققين كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار والقدام والخلف والماضى والمستقبل والذوات والصفات والصيف والشتاء والربيع والخريف وكونها ازواجا يدل على انها ممكنة الوجود فى ذواتها محدثة مسبوقة بالعدم فاما الحق تعالى فهو الفرد المنزه عن الضد والند والمقابل والمعاضد فلهذا قال تعالى والذى خلق الازواج كلها فهى مخلوقة فدل هذا على ان خالقها فرد مطلق منزه عن الزوجية قال الرازى وايضا علماء الحساب بينوا ان الفرد افضل من الزوج من وجوه الاول ان الاثنين لا توجدان الا عند حصول وحدتين فالزوج محتاج الى الفرد والفرد هو الوحدة وهى غنية عن الزوج والغنى افضل من المحتاج الثانى ان الزوج يقبل القسمة بقسمين متساويين والفرد لا يقبل القسمة وقبول القسمة انفعال وتأثر وعدم قبولها قوة وشدة فكان الفرد افضل من الزوج ثم ذكر وجوها اخر تدل على ان الفرد افضل من الزوج واذا كان كذلك ثبت ان الازواج ممكنات ومخلوقات وان الفرد هو القائم بذاته المستغنى بنفسه الغنى عما سواه وجعل لكم من الفلك اى السفن العظام فى البحر والانعام كالابل فى البر ما تركبون وحذف العائد لفهم المعنى تغليبا للمتعدى بنفسه فى الانعام على المتعدى بواسطة فى الفلك والعائد مجرور فى الاول اى فيه منصوب فى الثانى وذكر الضمير وجمع الظهور فى قوله تعالى لتستووا على ظهوره نظرا للفظ ما ومعناها ولما اتم النعمة بخلق ما تدعو اليه الحاجة وجعله على وجه دال على ما له من الصفات ذكر ما ينبغى ان تكون من غايتها على ما هو المتعارف بينهم من شكر المنعم فقال دالا على عظم قدر النعمة وبعد غايتها وعلو امر الذكر بحرف التراخى ثم تذكروا اى بقلوبكم وصرف القول الى وجه التربية حثا على تذكر احسانه للانتهاء عن كفرانه والاقبال على شكرانه فقال تعالى نعمة ربكم اى الذى احسن اليكم بتسخيرها

لكم وهما تعرفونه من غيرها اذا استويتم عليه اى على ما تركبونه وذلك الذكر هو ان يعرف ان الله
تعالى خلق البحر وخلق الرياح وخلق جرم السفينة على وجه يمكن الانسان من تقريب هذه السفينة
الى اى جانب شاء فاذا تذكر ان خلق البحر وخلق الرياح وخلق السفينة على هذه الوجوه القابلة لتصرف
الانسان ولتحريكاته انما هو من تدبير الحكيم العليم القدير عرف ان ذلك نعمة من الله تعالى
فيحمله ذلك على الانقياد لطاعة الله تعالى وعلى الاشتغال بالشكر لنعم الله تعالى التى لا نهاية
لها ولما كان تذكر النعمة يبعث الجنان باللسان والاركان على الشكر لمن اسداها قال عز من قائل
وتقولوا اى بالسنتكم جمعا بين القلب واللسان سبحان الذى سخر اى بعلمه الكامل وقدرته التامة
لنا هذا اى الذى ركبناه سفينة كانت او دابة وما اى والحال انا ما كنا له مقرنين ۝
اى مطيقين والمقرن المطيق للشئ الضابط له من اقرنه اى اطاقه قال الواحدى كان اشتقاقه
من قولك صرت له قرنا ومعنى قرن فلان اى مثله فى الشدة وقيل ضابطين وقال ابو عبيدة قرن
لفلان اى ضابط له والقرن الحبل ومعنى الآية ليس عندنا من القوة والطاقة ان نقرن هذه
الدابة والفلك وان نطيقهما فسبحان من سخر لنا هذا بقدرته وحكمته روى الزمخشرى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله
على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وروى احمد و
ابو داود والترمذى وقال حسن صحيح عن على رضى الله عنه انه وضع رجله فى الركاب وقال فقال بسم الله
فلما استوى على الدابة قال الحمد لله سبحان الذى سخر لنا هذا الآية ثم حمد ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال لا اله
الا الله ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقيل له مم تضحك يا امير المؤمنين
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ما فعلت فقلنا ما يضحكك يا رسول الله قال ان ربك
يعجب من عبده اذا قال العبد لا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت ويقول
علم عبدى انه لا يغفر الذنوب غيرى وروى احمد عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اردفه على دابة فلما استوى عليها كبر ثلاثا وحمد الله تعالى ثلاثا وسبح الله ثلاثا
وهلل الله تعالى واحدة وضحك ثم اقبل عليه فقال ما من امرئ مسلم ركب دابة فيصنع كما صنعت
الا اقبل الله عليه يضحك اليه كما ضحكت اليك ولما كان راكب الفلك فى خطر الهلاك وراكب الدابة
كذلك ايضا لان الدابة قد يحصل لها ما يوجب هلاك الراكب كذا السفينة فقد تنكسر وجب على الراكب
ان يذكر امر الموت ويقول وانا الى ربنا المحسن الينا بالاقدار على هذه التنقلات على هذه المراكب
لا الى غيره لمنقلبون ۝ اى لصائرون بالموت وما بعده الى الدار الآخرة انقلابا لا اياب معه الى
هذه الدار فالآية منبهة بالسير الدنيوى على السير الاخروى واكد لاجل انكارهم البعث
ولما قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع اقرارهم
بذلك جعلوا له من عباده جزءا كما قال تعالى وجعلوا له من عباده الذين ابدعهم كما ابدع غيرهم

عم ومعناه ليعرف الله في هذه السفينة خطر الغرق الهلاك

جزءاً اي ولداً هو جزء منهم في الانثى احد فسمي لان الولد كل ولد فهو جزء من والده قال صلى الله عليه وسلم
فاطمة بضعة مني ومن كان له جزء كان محتاجاً فلم يكن الهاً وذلك لقولهم الملائكة بنات الله
فثبت بذلك طيش عقولهم وسخافة آرائهم وقرأ شعبة بضم الزاي والباقون بسكونها وهما لغتان
واذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة الى الزاي ولما كان هذا في غاية الغلط من الكفر قال مؤكداً
للانكار هم ان يكون كفراً إِنَّ الْإِنسَانَ اي هذا النوع الذي هو بعضه لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ه ملے
بين الكفر في نفسه مناد عليها بالكفر وقوله تعالى أَمِ اتَّخَذَ اي اعالج هو نفسه فاخذ
هو بعد المعالجة وهو خالق الخلائق كلهم مِمَّا يَخْلُقُ اي يجدد ابداعه في كل وقت بَنَاتٍ استفهام
توبيخ وانكار اي فلم يقدر بعد التكلف والتعب على غير البنات التي هي ابغض الجنسين اليكم
ثم عطف على قوله تعالى اتخذ ليكون منفياً على ابلغ وجه لكونه في حيز الانكار قوله وَأَصْفَاكُم
وهو السيد الكامل وانتم عبيده اي خصكم بِالْبَنِينَ ه اللازم من قولكم السابق ثم بين
كون البنات ابغض اليهم بقوله تعالى وَإِذَا اي جعلوا ذلك والحال انه اذا بُشِّرَ اي من اي مبشر
كان أَحَدُهُم اي احد هؤلاء البعداء البغضاء بِمَا ضَرَبَ اي جعل لِلرَّحْمَٰنِ الذي لا نعمة على شيء
من الخلق الا وهي منه مَثَلًا اي شبهاً بنسبة البنات اليه لان الولد يشبه الوالد والمعنى اذا اخبر
احدهم بالبنت تولد له ظَلَّ اي صار وَجْهُهُ مُسْوَدًّا اي شديد السواد لما يعتريه من الكآبة
وَهُوَ كَظِيمٌ ه اي ممتلئ غماً فكيف تنسب البنات اليه تعالى هذا ما لا يرضى عاقل ان يمر بفكره فضلاً
ان يتفوه به وقوله تعالى أَوَمَن يُنَشَّأُ اي على ما جرت به عوائدكم فِي الْحِلْيَةِ يجوز فيه وجهان
احدهما ان تكون في محل نصب مفعولاً بفعل مقدر اي او يجعلون من ينشأ في الحلية والثاني
انه مبتدأ وخبره محذوف تقديره او من ينشأ جزء او ولد او جعلوه له جزءاً والمعنى ان التي
تتزين في الحلية تكون ناقصة الذات لانه لولا نقصانها في ذاتها لما احتاجت الى تزيين نفسها
بالحلية وقرأ حمزة والكسائي وحفص بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين اي يربى والباقون
بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الفاً ولهما ايضاً
تسهيلها والروم والاشمام ثم بين نقصان حالها بطريق آخر بقوله تعالى وَهُوَ اي والحال انه
وقدم في افادة الاهتمام قوله تعالى فِي الْخِصَامِ اي المجادلة اذا احتيج اليها غَيْرُ مُبِينٍ ه اي مظهر
حجته لضعفه عنها بالانوثة قال قتادة في هذه الآية فما تكلم امرأة فتريد ان تتكلم بحجتها الا كانت
بالحجة عليها ثم بين تعالى جراءتهم على ما لا ينبغي لعاقل ان يتفوه به بقوله تعالى وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ متصفون
باشرف الاوصاف وهو انهم عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ اي العام النعمة الذين ما عصوه طرفة عين إِنَاثًا ه وذلك
ادنى الاوصاف خلقاً وخلقاً ذاتاً وصفة فهذا كفر ثالث كالكفرين قبله وقرأ نافع وابن كثير وابن
عامر بكسر العين وبعدها نون ساكنة ونصب الدال والباقون بعد العين بباء موحدة
مفتوحة وبعدها الف ورفع الدال ثم قال تعالى تهكماً بهم ولاقوال القائلين ذلك وتوبيخاً لهم

وانكارا عليهم أشهدوا أي أحضروا خلقهم أي خلق الله إياهم فشاهدوهم إناثا فإن ذلك مما يعلم
بالمشاهدة وقرأ نافع بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مضمومة مسهلة كالواو وسكون الشين
وأدخل قالون بينهما ألفا ولم يدخل ورش والباقون بهمزة واحدة مفتوحة وفتح الشين ستكتب
بكتابة من وكلناهم بهم من الحفظة الذين لا يعصوننا فنحن نقدرهم على جميع ما نأمرهم به شهادتهم
أي قولهم فيهم إنهم إناث الذي لا ينبغي أن يكون إلا بعد تمام المشاهدة فهو قول ركيك سخيف
ضعيف كما أشار إليه التأنيث ويسألون عنها عند الرجوع إلينا قال الكلبي ومقاتل لما قالوا
هذا القول سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما يدريكم أنهم إناث قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد
أنهم لم يكذبوا فقال تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون عنها في الآخرة هذا يدل على أن القول بغير
دليل منكر وأن التقليد حرام يوجب الذم العظيم قال المحققون هؤلاء الكفار كفروا في هذا القول
من ثلاثة أوجه أولها إثبات الولد ثانيها أن ذلك الولد بنت ثالثها الحكم على الملائكة بالأنوثة
تنبيه قال البقاعي يجوز أن يكون في السين استعطاف إلى التوبة قبل كتابة ما قالوه ولا علم
لهم به فإنه قد روى أبو امامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب
السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين
عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح الله أو يستغفره
ثم نبه سبحانه على أنهم عبدوهم مع ادعاء الأنوثة فيهم فقال تعالى معجبا منهم في ذلك وفي جعل قولهم حجة دالة
على صحة مذهبهم وهو من أوهى الشبه وقالوا أي بعد عبادتهم لهم ونهيهم عن عبادة غير الله تعالى
لو شاء الرحمن أي الذي له عموم الرحمة ما عبدناهم أي الملائكة فعبادتنا إياهم بمشيئته فهو راض
بها ولولا أنه راض بها لعجل لنا العقوبة فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة على الرضا بها وذلك باطل لأن
المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان أو منهيا حسنا كان أو غيره ولذلك جهلهم فقال تعالى
ما لهم بذلك أي المقول من الرضا بعبادتهم من علم إن أي ما هم إلا يخرصون أي يكذبون في هذه
النتيجة التي جعلوها دالة على رضا الله تعالى بكفرهم فيترتب عليهم العقاب ولما بين تعالى بطلان قولهم
بالعقل أتبعه بطلان قولهم بالنقل فقال تعالى أم آتيناهم أي على ما لنا من العظمة كتابا أي جامعا لما
يريدون اعتقاده من أقوالهم هذه من قبله أي القرآن أخبرناهم فيه أنا جعلنا الملائكة إناثا وأنا
لا نشاء إلا ما هو حق نرضاه ونأمر به فهم به أي فتسبب عن هذا الإتيان أنهم به وحده مستمسكون
أي موجدون الاستمساك به فيأخذون بما فيه لم يقع ذلك ولما بين تعالى أنه لا دليل لهم على صحة
قولهم البتة لا من العقل ولا من النقل بين أنه لا حامل لهم يحملهم عليه إلا التقليد بقوله تعالى بل قالوا
إنا وجدنا آباءنا أي وهم أرجح منا عقولا وأصح منا أفهاما على أمة أي طريقة عظيمة يحق
لها أن تقصد وتؤم فقلدناها واقتفينا آثارها لنجابة أهلها أغنى عن نفيهم عن ذلك فقالوا وإنا على آثارهم
أي خاصة لا غيرها مهتدون أي متبعون فلم نأت بشيء من عند أنفسنا ولا غلطنا في الاتباع

واقتفاء الآثار فلا اعتراض علينا بوجه هذا قولهم في الدين بل في اصوله التي من ضل في شيء منها هلك ولو ظهر لاحد منهم خلل في سعي ابيه الدنيوي الذي به يحصل الدينار والدرهم ما اقتدى به اصلاً وخالفه اي مخالفة ما هذا الا قصور نظر ومحض عناد ثم اخبر تعالى ان غيرهم قال هذه المقالة بقوله سبحانه وكذلك اي ومثل هذه المقالة المتناهية في الشناعة فعلت الامم الماضية مع اخوانك الانبياء عليهم السلام ثم فسر ذلك بقوله تعالى ما ارسلنا اي مع ما لنا من العظمة من قبلك اي في الازمنة السالفة في قرية واغرق في النفي بقوله تعالى من نذير وبين به ان موضع الكراهة والخلاف لا لنا ان دعا لمخالفة الاهواء الا قال مترفوها اي اهل الترفه باللهو والنعمة والطعام الطيب والشيء الظريف يكون خاصاً بالمترف وذلك موجب لقلة السهر والمواجهة والبطالة انا وجدنا آباءنا اي وهم اعرف منا بالامور على امة اي امر جامع يستحق ان يقصد ويؤم ثم اكد ذلك واكد هو كلام فقال وانا على آثارهم اي لا على غيرها مقتدون لئلا يكون سنن طريقتهم لا زمون لها ففي هذا التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل اي يا افضل الخلق لهؤلاء البعداء البغضاء اي لوا كنتم تتبعون ذلك ولو جئتكم باهدى اي بامر اعظم في الهداية واوضح في الدلالة مما وجدتم اي ايها المقتدون بالآباء عليه آباءكم اي كما تقتصرون قولكم انكم تقتفون في اتباعكم الاشياء وهو الدين الذي للمخاسرة فيه خسارة للنفس وانتم تخالفونهم في امر نفس الدنيا اذا وجدتم طريقاً اهدى في التصرف فيها من طريقتهم ولو الى السبيل وبقي احدكم بانه ادرك من ذلك ما لم يدرك ابوه يحصل من المال اكثر مما حصل فباله من نظر ما اقصره ومتجر ما اخسره وقرأ ابن عامر وحفص قال بصيغة الماضي اي قال النذير او الرسول وهو النبي صلى الله عليه وسلم والباقون قل بصيغة الامر للنبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوه بان قالوا مؤكدين رداً لما قطع به كل عاقل سمع هذا الكلام من انهم يبادرون النظر في الدليل والرجوع الى سواء السبيل انا بما ارسلتم به اي انت ومن قبلك كافرون وانا ساترون لما ظهر من ذلك جهدنا حتى لا يظهر لاحد ولا يتبعكم فيه مخلوق وان كان اهدى مما كان عليه آباؤنا فعند هذا الرسوخ لهم عذر فلهذا قال تعالى فانتقمنا اي بما لنا من العظمة التي استحقوا بها منهم فاهلكناهم بعذاب الاستئصال ثم عظم امر النقمة بالامر بالنظر فيها في قوله فانظر يا افضل الرسل كيف كان عاقبة اي آخر امر المكذبين لرسلنا فانهم اهلكوا اجمعين ونجا المؤمنون اجمعين فليحذر من رد رسالتك من مثل ذلك وهذا تهديد عظيم لكفار قريش ثم بين تعالى وجهاً آخر يدل على فساد التقليد بقوله تعالى واذ اي واذكر يا افضل الخلق اذ قال ابراهيم اي الذي هو اعظم آبائهم واعظم فخرهم والمجمع على محبته وحقيقة دينه منهم ومن اهل الكتاب وغيرهم لابيه من غير ان يقلده كما قلد تم انتم آباءكم وقومه الذين كانوا هم القوم في الحقيقة لاحتوائهم على ملك جميع الارض التي تركها اي ...

أي خلقني فإنه سيهدين أي يرشدني لدينه ويوفقني لطاعته * تنبيه * في هذا الاستثناء
أوجه أحدها أنه استثناء منقطع لأنهم كانوا عبدة أصنام فقط ثانيها أنه متصل لأنه روي أنهم
كانوا يشركون مع الباري غيره ثالثها أن تكون إلا صفة بمعنى غير على أن تكون ما نكرة موصوفة
قاله الزمخشري قال أبو حيان وإنما أخرجها في هذا الوجه عن كونها موصولة لأنه يرى أن إلا بمعنى
غير لا يوصف بها إلا النكرة وفيها خلاف وعلى هذا أجوز أن تكون ما موصولة وإلا بمعنى غير
صفة لها وجعلها أي إبراهيم كلمة أي كلمة التوحيد المفهومة من قوله إنني إلى سيهدين
باقية في عقبه أي ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى لأنه عليه السلام مجاب الدعوة
وقال ومن ذريتي ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكيهم لعلهم أي أهل مكة يرجعون عما هم عليه إلى دين إبراهيم فإنهم إذا ذكروا أن أباهم الأعظم الذي
بنى لهم البيت وأورثهم الفخر قال ذلك تابعوه قال الله تعالى بل متعت هؤلاء أي الذين يخصونك من
المشركين وأعداء الدين وآباءهم أي مددت لهم في الأعمار مع إسباغ النعم وسلامة الأبدان من البلايا والنقم
ولم أعاجلهم بالعقوبة فأبطرهم تمتعي وتمادى بهم ركوب ذلك الباطل حتى جاءهم الحق أي القرآن
ورسول مبين أي مظهر لهم الأحكام الشرعية وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولما جاءهم الحق أي الكامل
في حقيقته بمطابقة الواقع إياه من غير إلباس ولا اشتباه وهو القرآن العظيم قالوا مكابرة وعنادا
وحسدا من غير وقفة ولا تأمل هذا مشيرين إلى الحق الذي يطابقه الواقع فلا شيء أثبت منه وهو
القرآن الكريم سحر أي خيال لا حقيقة له وإنا به كافرون أي عريقون في ستره بخصوصه حتى
لا يعرفه أحد ولا يكون له تابع ثم ذكر تعالى نوعا آخر من كفرهم بقوله تعالى وقالوا لولا أي هلا نزل يعني
من المنزل الذي ذكره محمد صلى الله عليه وسلم وعينوا مرادهم ونفوا اللبس فقالوا هذا القرآن الذي
جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وادعى أنه جامع لكل خير على رجل من القريتين أي مكة والطائف
عظيم لأنهم قالوا منصب الرسالة منصب شريف فلا يليق إلا برجل شريف وصدقوا في ذلك إلا أنهم ضموا
إليه مقدمة فاسدة وهي أن الرجل الشريف عندهم هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد صلى الله عليه وسلم
ليس كذلك فلا تليق رسالة الله تعالى به وإنما يليق هذا المنصب برجل عظيم الجاه كثير المال
يعنون الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود بالطائف قال قتادة وقال مجاهد عتبة بن ربيعة
من مكة وعبد ياليل الثقفي من الطائف وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو الوليد بن
المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي * تنبيه * قوله تعالى من القريتين
فيه حذف مضاف قدره بعضهم من رجلي القريتين وقيل من إحدى القريتين وقيل المراد عروة
ابن مسعود الثقفي كان بالطائف وكان يتردد بين القريتين فنسب إلى كليهما ثم رد الله تعالى
عليهم اعتراضهم منكرا عليهم موبخا لهم بما معناه أنه ليس الأمر مردودا إليهم ولا موقوفا عليهم بل
إلى الله تعالى وحده والله أعلم حيث يجعل رسالاته بقوله تعالى أهم أي أهؤلاء الجهلة

الحجرة يقسمون اي على التجدد والاستمرار رحمت ربك اي اكرام المحسن اليك وانعامه
وتشريفه بانواع اللطف والبر واعظامه بما دبّاك له من تخصيصك بالارسال اليهم لانقاذهم
من الضلال وجعلك وانت افضل العالمين الرسول اليهم فيفضلوا بتفضيلك مع انك اشرفهم
نسبا وافضلهم حسبا واعظمهم عقلا واصفاهم لبا وارجحهم قلبا ليتصرفوا في تلك الرحمة التي
هي روح الوجود وسر الامر بحسب شهواتهم وهم لا يقدرون على التصرف في المتاع الزائل
بمثل ذلك كما قال تعالى نحن قسمنا بما لنا من العظمة بينهم اي في الامر الزائل الذي يعمهم ويجب
تخصيص كل منهم بما لديه معيشتهم اي التي يعيشون بها حظهم ويقصرون عليها النعمة في الحيوة الدنيا
التي هي ادنى الاشياء عندنا واشارتنا بتسميتها الى انها حياة ناقصة لا يرضاها عاقل واما الآخرة فعبر
عنها بالحيوان لانا لو تركنا قسمها اليهم لتقاتلوا على ذلك فلم يبق منهم احد فكيف يدخل في الوهم ان
نجعل اليهم شيئا من الكلام في امر النبوة التي هي روح الوجود وبها سعادة الدارين ورفعنا اي بما لنا
من نفوذ الامر بعضهم وان كان ضعيف البدن قليل العقل فوق بعض وان كان قويا غزير العقل
درجات في المال والجاه ونفوذ الامر وعظم القدر لينتظم حال الوجود فانه لا بد في انتظامه
من تشارك الموجودين وتعاونهم وتفاوتهم بينهم في الجثث والقوى والهمم ليقتسموا الصنائع
والمعارف ويكون كل ميسرا لما خلق له وجاعلا ما هو اتعاطيه فلم يقدر احد من دني او غني ان يعدو
قدره ويرتقي فوق منزلته ثم علل ذلك بما ثمرته عمارة الارض بقوله تعالى ليتخذ اي بغاية
جهده بعضهم بعضا سخريا اي ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء
بالعمل فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض هذا بماله وهذا باعماله فيلتئم قوام العالم لان المقادير
لو تساوت لتعطلت المعايش فلم يقدر احد منهم ان ينفك عما جعلناه اليه من هذا الامر الدني
فكيف يطمعون في الاعتراض في امر النبوة ايصيرهم عاقل ان نتولى قسم الناقص ونكل العالي الى غيرنا
قال ابن الجوزي فاذا كانت الارزاق بقدر الله تعالى لا بحول المحتال وهي دون النبوة فكيف تكون النبوة
اهـ وهذا هو المراد بقوله تعالى صارفا القول عن مظهر العظمة الى الوصف بالاحسان اظهارا لشرف النبي
صلى الله عليه وسلم ورحمت ربك اي المربي لك والمدبر لامرك بارسالك وانارة الوجود برسالتك
التي هي لعظمها جديرة بان تضاف اليه ولا يسمى غيرها رحمة خير مما يجمعون ٥ من حطام الدنيا
الفاني فانه وان تأنق فيه متأنق في استعماله في وجوه البر بشرطه فهو بالنسبة الى النبوة وما قاربها
بما دعا الى الاعراض عن الدنيا باضمحلال وقيل المراد بالرحمة الجنة وجرى عليه البغوي وتبعه
الجلال المحلي وابن عادل وجرى على الاول البيضاوي وتبعه البقاعي وهو الظاهر من الآية
الكريمة * فائدة * اتفق القراء هنا على قراءة سخريا بضم السين ثم بين تعالى حقارة الدنيا
وخستها التي يفتخرون بها بقوله تعالى ولولا ان يكون الناس اي اهل التمتع بالاموال بما فيهم
من الاضطراب والانس بانفسهم امة واحدة اي في الضلال بالكفر لاعتقادهم ان اعطاءنا

المال دليل على محبتنا لمن اعطيناه همهم الدنيا وجعلها محط انظارهم وهمهم الا من عصمه الله تعالى لجعلنا اى فى كل زمان وكل مكان بما لنا من العظمة التى لا يقدر احد على معارضتها لحقارة الدنيا عندنا وبغضنا لها لمن يكفر وقوله تعالى بالرحمن اى العام الرحمة دليل على حقارة الدنيا من جهة اعطائها الا بعد لمنعوت وعلى ان صفة الرحمة مقتضية لتناهى بسط النعم على الكفار لولا العلة التى ذكرها الله تعالى من الرفق بالمؤمنين وقوله تعالى لبيوتهم بدل من لمن بدل اشتمال باعادة العامل واللام للاختصاص سقفا من فضة قال البقاعى كانه خصها اى الفضة لافادتها النور وقرأ ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء الموحدة والباقون بكسرها وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا بفتح السين وسكون القاف على ارادة الجنس والباقون بضمها جمعا وقوله تعالى ومعارج جمع معرج وهو السلم اى من فضة ايضا وسميت المصاعد من الدرج معارج لان المشى عليها مثل مشى الاعرج عليها خاصة لتيسر امرها لهم يظهرون اى يعلون ويرتقون على ظهرها الى المعالى ولبيوتهم ابوابا اى من فضة ايضا وقوله تعالى وسررا اى من فضة جمع سرير ويدل على علو بالهم وصفاء اوقاتهم وراحتهم بقوله تعالى عليها يتكئون ويدل على ما هو اعظم من الفضة بقوله تعالى وزخرفا اى ذهبا وزينة كاملة تنبيه زخرفا يجوز ان يكون منصوبا بجعل اى وجعلنا لهم زخرفا وجوز الزمخشرى ان ينتصب عطفا على محل من فضة كانه قيل سقفا من فضة وذهب فلما حذف الخافض انتصب اى بعضها كذا وبعضها كذا وقيل الزخرف هو الذهب لقوله تعالى او يكون لك بيت من زخرف فيكون المعنى ويجعل لهم مع ذلك ذهبا كثيرا وقيل الزخرف الزينة لقوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت فيكون المعنى نعطيهم زينة عظيمة فى كل باب وان كل ذلك اى البعيد من الخير لكونه فى الاغلب مبعدا عما يرضينا لما متاع الحيوة الدنيا اى التى اسمها دال على دناءتها يتمتع به فيها قليلا ثم يزول وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم ولما بمعنى الا حكى سيبويه انشدتك بالله لما فعلت بمعنى الا فعلت وتكون ان نافية اى وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرأ الباقون بالتخفيف فتكون ان هى المخففة من الثقيلة اى وانه كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة اى الجنة التى لا دار تعدلها بل لا دار فى الحقيقة الا هى عند ربك اى المحسن اليك بان جعلك افضل الخلق للمتقين اى الذين هم دائما واقفون عن ادنى تصرف الا بدليل نصف
لا يشاركهم فيها غيرهم من الكفار ولهذا لما ذكر عمر رضى الله عنه كسرى وقيصر وما كانا فيه من النعم قال النبى صلى الله عليه وسلم الا ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها الكافر قطرة ماء وروى المستورد بن شداد قال كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترى هذه هانت على اهلها حتى القوها قالوا من هوانها القوها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالدنيا اهون على الله من هذه على اهلها اخرجه

الترمذي وقال حديث حسن وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا احب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء قال البقاعي ولا يبعد
ان يكون ما صار اليه الفسقة والجبابرة من زخرفة الابنية وتذهيب السقوف وغيرها
من مبادي الفتنة بان يكون الناس امة واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة
على من يقول الله او في زمن الدجال لان من يبقى اذ ذاك على الحق في غاية القلة بحيث انه لا عداد لهم
في جانب الكثرة لان كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة وان خرج مخرج الشرط فكيف بملك
الملوك سبحانه ❊ فان قيل ❊ لم بين تعالى انه لو فتح على الكافر ابواب النعم لصار ذلك سببا لاجتماع
الناس على الكفر فلم لم يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير سببا لاجتماع الناس على الاسلام
❊ اجيب ❊ بان الناس على هذا التقدير كانوا يجتمعون على الاسلام لطلب الدنيا وهذا الايمان
ايمان المنافقين فاقتضت الحكمة ان لا يجعل ذلك للمسلمين حتى ان كل من دخل في الاسلام يدخل
لمتابعة الدليل ولطلب رضوان الله تعالى ومن يعش اي يعرض عن ذكر الرحمن اي الذي عمت رحمته
ولا رحمة على احد الا وهي منه تعالى كما فعل هؤلاء حين متعناهم واباءهم حتى ابطرهم ذلك وهو شيء يسير جدا
فاعرضوا عن الايات والدلائل فلم ينظروا فيها الا نظرا ضعيفا كنظر من عشا بصره وهو من ساء بصره بالليل
والنهار نقيض اي نسبب له عقابا على اعراضه عن ذكر الله تعالى شيطانا اي شخصا ناريا
بعيدا من الرحمة يكون غالبا عليه محيطا به مثل قيض البيضة وهو القشر الداخل فهو له قرين اي
مشدود به لا يفارقه فلا يمكنه التخلص منه ما دام متعاميا عن ذكر الله تعالى فهو يزين له
العمى ويخيل اليه انه على عين الهدى كما ان من يستضيء بذكر الرحمن يسخر له ملك فهو له
ولي يثبته الى كل خير فذكر الله تعالى حصن حصين من الشيطان الرجيم متى خرج العبد منه اسره
العدو كما ورد في الحديث وانهم اي القرناء ليصدونهم اي العاشين عن السبيل اي الطريق
الذي من حاد عنه هلك لانه لا طريق له في الحقيقة سواه ويحسبون اي العاشون مع سيرهم
في المهالك لتزيين القرناء باحضار الحظوظ والشهوات وابعاد المواعظ انهم مهتدون اي عريقون
في هذا الوصف لما يستدرجون به من التوسعة عليهم والتضييق على الذاكرين ❊ تنبيه ❊
ذكر الانسان والشيطان بلفظ الجمع لان قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين يفيد الجمع وان كان اللفظ على الواحد قال ابو حيان الظاهر ان ضميري النصب في وانهم
ليصدونهم عائدان على من من حيث معناها اولا لفظها اولا فافرد في له وله ثم راعى معناها فجمع
في قوله تعالى وانهم ليصدونهم والضمير المرفوع على الشيطان لان المراد به الجنس ولان كل
كافر معه قرينه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها وقرأ حتى اذا
جاءنا نافع وابن عامر وابو بكر بمد الهمزة بعد الجيم على التثنية اي جاء العاشي والشيطان

والباقون بغير مد افرادا اي جاء العاشي قال اي العاشي تندما وتحسرا ولا انتفاع له به لفوات محله
وهو دار العمل يا ليت بيني وبينك اي ايها القرين بعد المشرقين اي ما بين المشرق والمغرب على
التغليب قاله ابن جرير وغيره او مشرقي الشتاء والصيف اي بعد احدهما عن الآخر ثم سبب عن هذا
التمني قوله جامعا له انواع المذام فبئس القرين والمخصوص بالذم محذوف اي انت لانك الذي
قد اضللتني واوصلتني الى هذا العيش الضنك والمحل الدحض قال ابو سعيد الخدري اذا بعث الكافر
زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير الى النار وفي فاعل قوله تعالى ولن ينفعكم
اليوم قولان احدهما انه ملفوظ به وهو انكم وما في حيزها والتقدير ولن ينفعكم اشتراككم
في العذاب بالتاسي كما ينفعكم الاشتراك في مصائب الدنيا فيتأسى المصاب بمثله ومنه قول الخنساء
ولولا كثرة الباكين حولي * على موتاهم لقتلت نفسي * وما يبكون مثل اخي ولكن
اعزي النفس عنه بالتاسي * والثاني انه مضمر وقدره بعضهم ضمير التمني المدلول عليه بقوله
يا ليت بيني اي لن ينفعكم تمنيكم البعد وبعضهم اجتماعكم وبعضهم ظلمكم وجحدكم وعبارة من
عبر بان الفاعل محذوف مقصوده الاضمار المذكور لا الحذف اذ الفاعل لا يحذف الا في مواضع ليس هذا
منها والمعنى ولن ينفعكم اليوم في الآخرة اذ ظلمتم اي اشركتم في الدنيا انكم في العذاب
مشتركون اي لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم لان لكل
واحد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقال مقاتل لن ينفعكم الاعتذار
والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الدنيا
تنبيه استشكل المعربون هذه الآية ووجهه ان قوله تعالى اليوم ظرف حاضر
واذ ظرف ماض وينفعكم مستقبل لاقترانه بلن التي لنفي المستقبل والظاهر انه عامل
في الظرفين وكيف يعمل الحدث المستقبل الذي لم يقع الا بعد في ظرف حال وماض هذا
مما لا يجوز واجيب عن اعماله في الظرف الحالي على سبيل قربه منه لان الحال قريب من
الاستقبال فيجوز في ذلك قال تعالى فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وقال الشاعر
ساسعى الآن اذ بلغت اناها * وهو اقناعي والا فالمستقبل يستحيل وقوعه في الحال عقلا
واما قوله تعالى اذ ففيها للناس وجوه كثيرة قال ابن جني راجعت ابا علي فيها مرارا
كثيرة فآخر ما حصلت منه ان الدنيا والآخرة متصلتان وهما سواء في حكم الله تعالى وعلمه فاذ
بدل من اليوم حتى كانها مستقبلة او كان اليوم ماض والى هذا نحا الزمخشري قال واذ بدل
من اليوم وحمل الزمخشري على معنى اذ تبين وصح ظلمكم ولم يبق لاحد ولا لكم شبهة في انكم كنتم
ظالمين ونظيره اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة * اي تبين اني ولد كريمة ولما وصفهم في الآية
المتقدمة بالعشي وصفهم بالصمم والعمى بقوله تعالى افانت اي وحدك من غير ارادة
الله تعالى تسمع الصم وقد اصممناهم بما صببنا في مسامعهم من رصاص الشقاء

أو تهدي العمي الذين أعميناهم بما غشينا به أبصار بصائرهم من أغشية الخسارة روي أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان يجتهد في دعاء قومه وهم لا يزيدون إلا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فنزلت
أي هم في النفرة عنك وعن دينك بحيث إذا أسمعتهم القرآن كانوا كالصم وإذا أريتهم المعجزات
كانوا كالعمي وقوله تعالى ﴿وَمَن كَانَ﴾ أي جبلة وطبعا ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ عطف على العمي باعتبار
تغاير الوصفين وفيه إشعار بأن الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى بين في نفسه أنه ضلال
وأنه محيط بالضال يظهر لكل أحد ذلك فهو بحيث لا يخفى على أحد فالمعنى ليس شيء من ذلك إليك
بل هو إلى الله تعالى القادر على كل شيء وأما أنت فليس عليك إلا البلاغ فلا تتعب نفسك ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ
بِكَ﴾ أي من بين أظهرهم بموت أو غيره وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة
﴿فَإِنَّا مِنْهُم﴾ أي من الذين تقدم التعريض بأنهم صم عمي ضلال لم تنفعهم مشاعرهم ﴿مُّنتَقِمُونَ﴾ أي
بعد فراقك لأن وجودك بين أظهرهم هو سبب تأخير العذاب عنهم ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ وأنت بينهم ﴿الَّذِي
وَعَدْنَاهُمْ﴾ أي من العذاب فعبر فيه بالوعد ليدل على الخير بلفظه وعلى الشر بأسلوبه ﴿فَإِنَّا﴾ أي بما لنا
من العظمة التي أنت أعلم الخلق بها ﴿عَلَيْهِم﴾ أي على عقابهم ﴿مُّقْتَدِرُونَ﴾ وقدرته على كلا التقديرين وأكد بأن
لأن أفعالهم أفعال من ينكر قدرته وكذا الإتيان بنون العظمة وصيغة الافتعال ﴿فَاسْتَمْسِكْ﴾
أي اطلب وأوجد بجد عظيم على كل حال من أحوال الإمساك ﴿بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ من حين نبوتك
إلى الآن في الانتقام منهم وفي غيره ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ﴾ أي طريق واسع واضح جدا ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي موصل
إلى المقصود لا يضره أصلا أن يلحقه شيء من عوج ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي الذي أوحي إليك في الدين والدنيا ﴿لَذِكْرٌ﴾
أي لشرف عظيم جدا وموعظة وبيان ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ قريش خصوصا لنزوله بلغتهم والعرب
عموما وسائر من اتبعك ولو كان من غيرهم روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان إذا سئل لمن هذا الأمر بعدك لم يجب بشيء حتى نزلت هذه الآية فكان
بعد ذلك إذا سئل لمن هذا الأمر بعدك قال لقريش وروي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان وروي عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين وقال مجاهد القوم هم
العرب فالقرآن لهم شرف إذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب حتى يكون
الأكثر لقريش ولبني هاشم وقيل ذكر لك بما أعطاك من الحكمة ولقومك من المؤمنين بما هداهم الله
تعالى به ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ أي عن القرآن يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وكيف كنتم
في العمل به والاستجابة له وقال الكلبي تسألون هل أديتم شكر إنعامنا عليكم بهذا الذكر الجميل
وقال مقاتل يقال لمن كذب به لم كذبت فيسأل سؤال توبيخ وقيل يسألون هل عملتم بما
دلكم عليه القرآن من التكاليف وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما أسري بالنبي
صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى إلى السموات العلى بعث له آدم وولده

من المرسلين عليهم السلام فأذن جبريل عليه السلام ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ
من الصلاة قال له جبريل عليه السلام وسئل من أرسلنا أي على ما لنا من العظمة من قبلك
من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن أي غيره آلهة يعبدون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا أسأل قد اكتفيت ولست شاكا فيه وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل
ليلة أسري به وأمر أن يسألهم فلم يسأل ولم يشك وقال أكثر المفسرين سل مؤمني أهل الكتاب الذين
أرسلت إليهم الأنبياء عليهم السلام هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد وهو قول مجاهد وقتادة والسدي
ولم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم على واحد من القولين لأن المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي
قريش أنه لم يأت رسول من الله تعالى ولا كتاب بعبادة غير الله تعالى ولما طعن كفار قريش في
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بكونه فقيرا عديم الجاه والمال بين الله تعالى أن موسى عليه السلام بعد
أن أورد المعجزات القاهرة التي لا يشك في صحتها عاقل أورد عليه فرعون هذه الشبهة التي ذكرها
كفار قريش فقال تعالى ولقد أرسلنا أي بما لنا من عظمتنا موسى أي الذي كان يرى فرعون أنه أحق الناس
بعظمته لأنه رباه وكفله بآياتنا التي قهر بها عظماء الخلق وجبابرتهم فدل ذلك على صحة دعواه
إلى فرعون الذي ادعى أنه الرب الأعلى وملائه أي القبط فقال أي بسبب رسالتنا إني رسول
رب العالمين أي مالكهم ومدبرهم ومربيهم فقالوا له ائت بآية فأتى بها فلما جاءهم بآياتنا أي
بآيتي اليد والعصا اللتين شاهد ما فيهما عظمتنا ودلهم ذلك على قدرتنا على جميع الآيات إذا هم
أي بأجمعهم منها يضحكون أي فاجؤا المجيء بها من غير توقف ولا تأمل بالضحك سخرية واستهزاء
قيل إنه لما ألقى عصاه صارت ثعبانا فلما أخذه وصار عصا كما كانت ضحكوا ولما عرض عليهم
اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا وما أي والحال أنا ما نريهم على ما لنا من الجلال والعلو وأغرق
في النفي بإثبات الجار فقال تعالى من آية أي من آيات العذاب كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم ووصل
إلى حلوق الجالسين سبعة أيام والجراد وغير ذلك إلا هي أكبر أي في الرتبة من أختها أي التي تقدمت
عليها بالنسبة إلى علم الناظرين لها وأخذناهم أي أخذ قهر وغلبة بالعذاب أي أنواع العذاب كالدم
والقمل والضفادع والبرد الكبار الذي لم يعهد مثله ملتهبا بالنار وموت الأبكار فكانت على صدق
موسى عليه السلام بما لها من الإعجاز وعذابا لهم في الدنيا موصولا بعذاب الآخرة فيها مع ما لها من قدرة
باهرة وحكمة ظاهرة لعلهم يرجعون أي ليكون حالهم عندنا إذا نظرهم الجاهل بالعواقب
حال من يرجى رجوعه ولما عاينوا العذاب وقالوا لموسى أي قال فرعون بالمباشرة وأتباعه بالموافقة
له يا أيه الساحر فنادوه بذلك في تلك الحالة لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم أو لأنهم كانوا
يسمون العالم الماهر ساحرا ادع لنا ربك المحسن إليك بما يفعل معك من هذه الأفعال التي
نهيتنا بها إكراما لك بما أي بسبب ما عهد عندك أي من كشف العذاب عنا
إن آمنا إننا لمهتدون أي مؤمنون فلما كشفنا أي على ما لنا من العظمة التي ترهب الجبال

عنهم العذاب اى الذى انزلناه بهم اذا هم ينكثون اى فاجؤا الكشف بتجديد النكث بالخلف
بعد الخلف ونادى فرعون اى زيادة على نكثه فى قومه اى الذين هم فى غاية القيام معه وامره منهم
ان يشيع قوله اشاعة تعم البعيد والقريب فتكون كانها مناداة اعلاما بانه مستمر على الكفر
لئلا يظن بعضهم انه رجع فيرجعون ولما كان كانه قيل ينادى اجاب بقوله قال
خوفا من ايمان القبط لما راى من ان ما شاهدوه من باهر الآيات مثله يزلزل ويأخذ القلوب يا قوم
مستعطفا لهم باضافتهم الى انهم لحمة واحدة ومستنهضا لهم بوصفهم بانهم ذو قوة على ما يحاولونه مقررا
لهم على غيره فى نكثه بقوله أليس لى اى وحدى ملك مصر اى كله فلا اعتراض على من بنى اسرائيل
ولا غيرهم وهذه اى والحال ان هذه الانهار اى انهار النيل قال البيضاوى ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط
ونهر تنيس وقال البقاعى كانه كان قد اكثر من تشقيق الخلجان الى بساتينه وقصوره ونحو ذلك
من اموره فقال تجرى من تحتى اى تحت قصرى وامرى او بين يدى فى جنانى وزاد فى التقرير
بقوله افلا تبصرون اى هذا الذى ذكرته لكم فتعلموا ببصائركم انه لا ينبغى
لاحد ان ينازعنى وهذا العجب قول من ضعفت قواه واغلقت عراه ام انا خير اى مع ما وصفت
لكم من ضخامتى ومالى من القدرة على اجراء المياه التى بها حياة كل شىء من هذا وكنى
باشارة القريب عن تحقيره ثم وصفه بما بين مراده بقوله الذى هو مهين اى ضعيف حقير
ذليل لانه يتعاطى اموره بنفسه وليس له ملك ولا قوة يجرى بها نهرا ولا ينفذ بها امرا ولا يكاد
يبين اى لا يقرب من ان يعرب عن معنى من المعانى لما فى لسانه من الحبسة فلا هو قادر فى نفسه
ولا له قوة بلسانه على تصريف المعانى وتنويع البيان ليستجلب القلوب وينعش الالباب
فتكثر اتباعه ويضخم امره وقد كذب فى جميع قوله فقد كان موسى عليه السلام ابلغ
اهل زمانه قولا وفعلا بتقدير الله تعالى الذى ارسله له وامره اياه ولكن اللعين اسند هذا
الى ما بقى فى لسانه من الحبسة تخييلا لاتباعه لان موسى عليه السلام ما دعا بازالة جميع حبسته
بل بعقدة منها فانه قال واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى تنبيه فى ام من قوله ام
انا خير اقوال احدها انها منقطعة فتقدر ببل التى للاضراب الانتقالى وبالهمزة التى للانكار
والثانى انها بمعنى بل فقط كقوله بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى وصورتها
ام انت فى العين املح اى بل انت الثالث انها منقطعة لفظا متصلة معنى قال ابو البقاء ام هنا
منقطعة فى اللفظ لوقوع الجملة بعدها فى اللفظ وهى فى المعنى متصلة معادلة اذ المعنى انا خير منه
ام لا وانا خير قال ابن عادل وهذه عبارة غريبة ان تكون منقطعة لفظا متصلة معنى وذلك
انهما معنيان مختلفان فان الانقطاع يقتضى اضرابا اما ابطالا واما انتقالا ثم ان فرعون اللعين
ظن ان القرب من الملوك والغلبة على الامور لا تكون الا بكثرة الاعراض الدنيوية والتحلى
بحلى الملوك ولذا قال فلولا اى فهلا القى عليه من عند مرسله الذى يدعى انه الملك بالحقيقة

أسورة وقرأ حفص بسكون السين ولا الف بعدها كاحمرة والباقون بفتح السين والف بعدها فاسورة جمع سوار كحمار واحمرة وهي جمع قلة واساورة جمع اسوار بمعنى سوار يقال سوار المراة واسوارها والاصل اساوير بالياء فعوض من حرف المد تاء التانيث كزنديق وزنادقة وبطريق وبطارقة * وقيل * بل هي جمع اسورة فهي جمع الجمع قال الزجاج والسوار ما يصنع في المعصم من الحلية من ذهب ليكون ذلك امارة له على صحة دعواه كما نفعل نحن عند انعامنا على احد من عبيدنا بالامر سال الرياسة من النواحي لمهم من المهمات اذ كان من عادتهم انهم اذا جعلوا واحدا منهم رئيسا لهم سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب فطلب فرعون من موسى عليه السلام مثل عادتهم أو جاء معه اي صحبته عند ما جاء الينا بهذا النبا الجسيم والملم العظيم الملئكة اي هذا النوع واشار الى كثرتهم بما بين من الحال بقوله مقترنين اي يقارن بعضهم بعضا بحيث يملؤن الفضاء ويكونون في غاية القرب منه بحيث يكون مقارنا لهم ليجاب الى هذا الامر الذي جاء يطلبه كما نفعل نحن اذا ارسلنا رسولا الى امر يحتاج الى دفاع وخصام ونزاع فكان حاصل امره كما ترى انه تعزز باجراء المياه فاهلكه الله تعالى بها ايماء الى ان من تعزز بشيء دون الله تعالى اهلكه الله به واستصغر موسى عليه السلام وعابه بالفقر والعي فسلطه الله تعالى عليه اشارة الى انه ما استصغر احد شيئا الا غلبه افاده القشيري فاستخف اي بسبب هذه الخدع التي سحرهم بها في هذا الكلام الذي هو في الحقيقة محقق له موهن لامره قاصم لملكه عند من له لب قومه الذين لهم قوة عظيمة فحملهم بغروره على ما كانوا مهيئين له من خفة الحلم فاطاعوه اي بان اقروا بملكه واعترفوا بربوبيته وردوا امر موسى عليه السلام انهم كانوا اي بما في جبلاتهم من الشر قوما فاسقين اي عريقين في الخروج عن طاعة الله تعالى الى معصيته فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما اسفونا اي اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه * حكي ان ابن جريج غضب في شيء فقيل له اتغضب يا ابا خالد فقال قد غضب الذي خلق الاحلام ان الله تعالى يقول فلما اسفونا اي اغضبونا انتقمنا منهم اي اوقعنا بهم على وجه المكافاة بما فعلوا برسولنا عليه السلام عقوبة عظيمة منكرة مكروهة كانها بعلاج فاغرقناهم اجمعين اي اهلاك نفس واحدة لم يفلت منهم احد على كثرتهم وقوتهم وشدتهم * تنبيه * ذكر لفظ الاسف في حق الله تعالى وذكر لفظ الانتقام كل واحد منهما من المتشابهات التي يجب تاويلها فمعنى الغضب في حق الله تعالى ارادة العذاب ومعنى الانتقام ارادة العقاب بجرم سابق وقال بعض المفسرين معنى اسفونا احزنوا اولياءنا فجعلناهم اي باخذنا لهم على هذه الصورة من الاغراق وغيره مما تقدمه سلفا اي متقدما لكل من يهلك بعدهم اهلاك غضب في الهلاك في الدنيا والعذاب في الاخرة او قدوة لمن بعدهم في العلو في الارض والتكبر عاقبته في الهلاك في الدارين او اسلافا قادتهم كما قال تعالى وجعلناهم ائمة يدعون

الى النار {ومثلا} اى حديثا عجيبا لشأن سائرا سير المثل {للآخرين} اى الذين خلفوا بعدهم من زمنهم الى آخر الدهر فيكون حالهم عظة للناس وامثالا للآخرين فمن اراد به الخير وفقه لمثل خير يورده عن غيه ومن اريد به الشر اقتدى به في الشر وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام والباقون بفتحهما فاما الاولى فتحتمل ثلاثة اوجه احدها انه جمع سليف كرغيف ورغف وسمع القاسم بن معن من العرب سليف من الناس كالفريق منهم والثاني انه جمع سالف كصابر وصبر والثالث انها جمع سلف كاسد واسد واما الثانية فتحتمل وجهين احدهما ان يكون جمعا لسالف كحارس وحرس وخادم وخدم وهذا في الحقيقة اسم جمع لا جمع تكسير اذ ليس في ابنية التكسير صيغة فعل والثاني انه مصدر يطلق على الجماعة تقول سلف الرجل يسلف سلفا اى تقدم والسلف كل شيء قدمته من عمل صالح او قرض وسلف الرجل آباؤه المتقدمون والجمع اسلاف وسلاف وقال طفيل سلفوا سلفا فقصد السبيل عليهم صرف المنايا بالرجال تقلب واختلف في سبب نزول قوله تعالى {ولما ضرب ابن مريم مثلا} فقال ابن عباس رضي الله عنهما واكثر المفسرين نزلت في مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى عليه السلام لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم كما تقدم في سورة الانبياء والمعنى لما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه {اذا قومك} اى من قريش {منه} اى من هذا المثل {يصدون} اى يرتفع لهم ضجيج فرحا بسبب ما رأوا من سكوت النبي صلى الله عليه وسلم فان العادة قد جرت بان احد الخصمين اذا انقطع اظهر الخصم الثاني الفرح والضجيج وقال قتادة يقولون ما يريد محمد منا الا ان نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى {وقالوا أآلهتنا} اى التي نعبدها من الاصنام {خير ام هو} قال قتادة يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقال السدي وابن زيد يعنون عيسى عليه السلام قالوا ان محمدا يزعم ان كل ما نعبد من دون الله فهو في النار فنحن نرضى ان تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار فقال الله تعالى {ما ضربوه} اى المثل {لك الا جدلا} اى خصومة بالباطل لعلمهم ان لفظ ما لغير العاقل فلا يتناول من ذكروه {بل هم قوم} اى اصحاب قوة على القيام فيما يحاولونه {خصمون} اى شديد الخصام روى الامام احمد عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحمزة بكسر الصاد والباقون بضمها وهما بمعنى واحد يقال صد يصد ويصد كعكف يعكف ويعكف وعرش يعرش ويعرش وقيل الضم من الصدود وهو الاعراض وقرأ الكوفيون أآلهتنا بتحقيق الهمزتين والباقون بتسهيل الثانية واتفقوا على ابدال الثالثة الفا ثم انه تعالى بين ان عيسى عبد من عبيده الذين انعم عليهم بقوله تعالى {ان} اى ما {هو} اى عيسى عليه السلام {الا عبد} اى وليس هو باله {انعمنا} اى بما لنا من العظمة {عليه} اى بالنبوة والاقتدار على الخوارق {وجعلناه} اى بما خرقنا به

قوله سلفا السلف ... ١٥

العادة في ميلاده وغير ذلك من اياته مثلا اي امرا عجيبا كالمثل لغرابته من انثى فقط بلا واسطة
ذكر كما خلقنا آدم من غير ذكر وانثى وشرفناه بالنبوة لبني اسرائيل اي الذين هم اعرف
الناس به بعضهم بالمشاهدة وبعضهم بالنقل القريب المتواتر فيعرفون به قدرة الله تعالى على ما يشاء
حيث خلقه من غير اب ولو نشاء اي على ما لنا من العظمة لجعلنا ما هو اغرب مما صنعناه من امر
عيسى منكم اي جعلا مبتدأ منكم اما بالتوليد كما جعلنا عيسى عليه السلام من انثى من غير
ذكر وجعلنا آدم عليه السلام من تراب من غير انثى ولا ذكر واما بالبدلية ملائكة
في الارض يخلفون اي يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى عليه السلام وان كانت عجيبة
فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل
خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله تعالى وانه
اي عيسى عليه السلام لعلم للساعة اي نزوله سبب العلم بقرب الساعة التي هي تعم الخلائق كلهم
بالموت فنزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها قال صلى الله عليه وسلم يوشك ان ينزل فيكم ابن
مريم حكما عادلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتهلك في زمنه الملل كلها الا الاسلام
وروي انه ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة وعليه ممصرتان وشعر
راسه دهين يقتل الدجال ويأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر وروي في صلاة الصبح
فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم
ثم يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به
وقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وقال الحسن
وجماعة وانه اي القرآن لعلم للساعة يعلمكم قيامها ويخبركم احوالها واهوالها فلا تمترن بها
حذف منه نون الرفع للجزم وواو الضمير لالتقاء الساكنين من المرية وهي الشك اي لا تشكن
فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها واتبعون اي اوجدوا اتباعكم لي هذا اي الذي امرتكم به من هذا
او غيره صراط اي طريق واضح مستقيم اي لا عوج له واثبت ابو عمرو الياء في الوصل دون
الوقف والباقون بغير ياء وصلا ووقفا ولا يصدنكم الشيطان اي عن هذا الطريق الواضح الواسع
المستقيم الموصل الى المقصود بالسير سهلا انه لكم اي عامة واكد لانكاره افعال التابعين
له افعال من ينكر عداوته عدو مبين اي بالغ العداوة في نفسه مناد بها وذلك بالابلاغ في
عداوة ابيكم آدم عليه السلام حتى انزلكم بامر الله عن محل الراحة الى موضع النصب عداوة
ناشئة عن الحسد فهي لا تنفك ابدا ولما جاء عيسى اي الى بني اسرائيل بالبينات اي المعجزات
اي بآيات الانجيل وبالشرائع الواضحات قال منبها لهم قد جئتكم بما يدلكم قطعا
على انه من عند الله وعلى صحته بالحكمة اي الامر المحكم الذي لا يستطاع نقضه
ولا يدفع بالمعاندة لاخلصكم بذلك مما كنتم فيه من الضلال ولابين لكم اي ما كان واضحا

بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ اى الآن فِيهِ وكان الوعد تحل دون الخلاف بسببه ۞ فان قيل لو لم يبين
لهم كل الذى يختلفون فيه ۞ اجيب بانه بين لهم كل ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا
فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم انتم اعلم بامر دنياكم
ويحتمل ان يكون المراد انه يبين لهم بعض المتشابه وهو ما يكون بيانه كافيا فى رد بقية المتشابه الى المحكم
بالقياس عليه فان الشان فى كل كتاب ان يجمع المحكم والمتشابه فالمحكم ما ليس فيه التباس والمتشابه
ما يكون ملتبسا وفيه اشارة الى المحكم لكن على طريق الرمز والاشارة التى لا يذوقها الا اهل البصائر ليتبين
بذلك الصادق من الكاذب فالصادق الذى رسخ علمه وايمانه يرد المتشابه منه الى المحكم او يعجز
فيقول الله اعلم بمراده ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا او لا يتزلزل والكاذب يتبع المتشابه فيجريه
على ظاهره كاهل الاتحاد الجوامد المغترين او يؤوله بحسب هواه بما لا ينطبق على قواعد العلم
ولا يوافق المحكم فيفتتن ويضل ولما بين لهم الاصول والفروع قال فَاتَّقُوا اللَّهَ اى خافوا من له الملك
الاعظم من الكفر والاعراض عن دينه لان له كل شئ منكم ومن غيركم ومن المعلوم لكل ذى عقل
انه لا يتصرف فى ملك الغير بوجه من الوجوه الا باذنه وَأَطِيعُونِ اى فيما ابلغه عنه اليكم
من التكاليف طاعة لامره بما يرضيه هو ثمرة التقوى وكلما ازداد المتقى فى اعمال الطاعة ازدت تقواه
إِنَّ اللَّهَ اى الذى اختص بالجلال والجمال فكان اهلا لان يتقى هُوَ اى وحده رَبِّي وَرَبُّكُمْ اى المحسن
الىّ واليكم فَاعْبُدُوهُ اى بما امركم به لانه صدقنى فى امركم باتباعى بما اظهره على يدى وظاهره الامر
لكم الا انا هَذَا اى الامر العظيم الذى دعوتكم اليه صِرَاطٌ اى طريق واسع واضح مُسْتَقِيمٌ
لا عوج فيه ۞ ولما كان الطريق الواضح القويم موجبا للاجتماع عليه والوفاق عند سلوكه بين تعالى
انهم اختلفوا فيه بقوله تعالى فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ اى الفرق المتحزبة مِنْ بَيْنِهِمْ اى اختلافا ناشئا
ابتداء من بنى اسرائيل فى عيسى اهو الله او ابن الله او ثالث ثلاثة وقوله تعالى فَوَيْلٌ كلمة عذاب
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا اى وضعوا الشئ فى غير موضعه بما قالوه فى عيسى عليه السلام مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ اى مؤلم
واذا كان اليوم مؤلما فما الظن بعذابه هَلْ يَنْظُرُونَ اى هل ينظر كفار مكة او الذين ظلموا إِلَّا السَّاعَةَ
اى ساعة الموت العام والبعث والقيامة فان ذلك لتحقق امره كانه موجود منظور اليه وقوله تعالى
أَنْ تَأْتِيَهُمْ بدل من الساعة ۞ فان قيل قوله تعالى بَغْتَةً اى فجاة يفيد قوله تعالى وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
اى بوقت مجيئها قبله ۞ اجيب بانه يجوز ان تاتيهم بغتة وهم بصيرون بسبب انهم يشاهدونه
الْأَخِلَّاءُ اى الاحباء فى الدنيا على المعصية وقوله تعالى يَوْمَئِذٍ اى يوم القيامة متعلق بقوله تعالى
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ اى يتعادون فى ذلك اليوم لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب
إِلَّا الْمُتَّقِينَ اى المتحابين فى الله على طاعة الله تعالى وهم الموحدون الذين يخال بعضهم بعضا
على الايمان والتقوى فان خلتهم لا تصير عداوة وروى ابو ثور عن معمر عن قتادة عن ابى اسحق
ان عليا قال فى الآية خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات احد المؤمنين فقال يا رب ان فلانا

كان يامرنى بطاعتك وطاعة رسولك ويامرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى انى ملاقيك يارب
فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى واكرمه كما اكرمتنى فاذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما فيقول
ليثن احدكم على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احد الكافرين فيقول
يارب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى
انى غير ملاقيك فبئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب ثم بين تعالى ما يتلقى به المؤمنين الذين
تقدموا وفيه سبحانه تشريفهم وتسكينا لما يقتضيه ذلك المقام من الاهوال بقوله تعالى
يا عباد فاضافهم الى نفسه اضافة تشريف لان عادة القران جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين
المطيعين المتقين وفيه انواع كثيرة توجب المدح اولها ان الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه
من غير واسطة وهذا تشريف عظيم يدل لميل انه تعالى لما اراد تشريف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
قال تعالى سبحان الذى اسرى بعبده وثانيها قوله تعالى لا خوف اى بوجه من الوجوه عليكم
اليوم اى فى يوم الاخرة مما يجىء به من الاهوال والامور المستلذ الزوال وثالثها قوله تعالى ولا
انتم تحزنون اى لا يتجدد لكم حزن على شئ فات فى وقت من الاوقات الاتية لانكم لا يفوتكم شئ تشتهون
به وقرأ شعبة بفتح الياء فى الوصل وسكنها نافع وابو عمرو وابن عامر وحذفها الباقون وقفا ووصلا وقوله تعالى
الذين امنوا اى وجدوا هذه الحقيقة صفة ان يكون نعتا لعبادى او بدلا منه او عطف بيان له او مقطوعا منصوبا
بفعل اى اعنى الذين امنوا او مرفوعا وخبره مضمر تقديره يقال لهم ادخلوا الجنة قال مقاتل اذا وقع الخوف
يوم القيامة نادى مناد يا عبادى لا خوف عليكم اليوم فاذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤسهم فيقول الذين
امنوا بايتنا الظاهرة عظمتها فى نفسها اولا وبنسبتها الينا ثانيا وكانوا اى دائما بما هو لهم كالجبلة
والخلق مسلمين اى منقادين للاوامر والنواهى اتم انقياد فبذلك يعدلون الى حقيقة التقوى فينكس اهل
الاديان الباطلة رؤسهم ثم يحاسبهم على احسن الوجوه ثم يقال لهم ادخلوا الجنة ولما كان السرور لا يكمل
الا بالرفيق السار قال تعالى انتم وازواجكم اى نساؤكم اللاتى كن مشاكلات لكم فى الصفات
واتباعكم ممن هم من الرجال فدخلوا فى قوله تعالى وكانوا مسلمين تحبرون اى تسرون وتنعمون
والحبرة المبالغة فى الاكرام على احسن الوجوه وقوله تعالى يطاف قبله محذوف اى يدخلون
يطاف عليهم اى المتقين الذين حبوناهم بهذا النداء ماوكا بصحاف من ذهب فيها من الوان
الاطعمة والفواكه والحلوى ما لا يدخل تحت الوهم والصحاف جمع صحفة كجفنة وجفان قال الجوهرى
الصحفة كالقصعة والجمع صحاف قال الكسائى اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تشبع
العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة تشبع الرجل
والصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحائف ولما كانت الة الشرب فى الدنيا اقل من انية
الاكل جرى على ذلك المعهود بتعبيره بجمع القلة فى قوله تعالى واكواب جمع كوب وهو
كوز مستدير مدور الرأس لا عروة له ليشرب الشارب من اين شاء لانه لا حاجة اصلا الى تعليق شئ لتبريد او صيانة

عن اذى او نحو ذلك وقيل هي كالابريق الا انه لا عروة له وقيل انه لا خرطوم له وقيل انه لا عروة له
ولا خرطوم معا قال الجواليقي ليتمكن الشارب من اين شاء فان العروة تمنع من ذلك وقال عدي
متكئا تصفق ابوابه * يطوف عليه العبد بالكوب * ثم انه تعالى لما ذكر التفصيل ذكر بيانا كليا فقال وفيها
اي الجنة ما تشتهيه الانفس من الاشياء المعقولة والمسموعة والملموسة جزاء لهم بما منعوا انفسهم
الشهوات في الدنيا وتلذ الاعين اي من الاشياء المبصرة التي اعلاها النظر الى وجهه الكريم جزاء لما
من مشاق الاشتياق روي ان رجلا قال يا رسول الله افي الجنة خيل فاني احب الخيل فقال ان يدخلك
الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في اي الجنة شئت الا فعلت
فقال اعرابي يا رسول الله افي الجنة ابل فاني احب الابل فقال يا اعرابي ان ادخلك الله الجنة
اصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك وقرأ نافع وابن عامر وحفص بهاء بعد الياء باثبات
العائد على الموصول كقوله تعالى الذي يتخبطه الشيطان من المس والباقون بغيرها بعد الياء
كقوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وهذه القراءة مشبهة بقوله تعالى وما عملته ايديهم وهذه
الهاء في هذه السورة رسمت في مصاحف المدينة والشام وحذفت من غيرها وقد وقع لابي عبد الله
الفاسي شارح القصيدة وهم فسبق قلمه فكتب انها محذوفة في مصاحف المدينة
والشام مثبتة في غيرها فعكس * ولما كان ذلك لا يكمل الا بالدوام قال تعالى عائدا الى الخطاب
لانه اشرف واكد وانتم فيها خالدون لبقائها وبقاء كل ما فيها فلا كلفة عليكم اصلا
من خوف من زوال ولا خوف من فوات * ثم اشار الى فخامتها باداة البعد فقال تعالى وتلك الجنة
اي العالية المقام التي اورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وقرأ
ابو عمرو وهشام وحمزة والكسائي بادغام الثاء المثلثة في المثناة واظهرها الباقون بما اي
بسبب ما كنتم تعملون اي مواظبين على ذلك لا تفترون لان العمل كان لهم كالجبلة التي
جبلوا عليها فالمنة لربهم في الحقيقة بما زكى لهم انفسهم * ولما ذكر سبحانه الطعام والشراب ذكر
الفاكهة فقال لكم فيها فاكهة اي ما تفكهون به وان كان لحما وخبزا كثيرة تدل
على الكثرة وعلى دوام النعمة بقصد التفكه لكل شيء فيها بقوله تعالى منها اي لا من غيرها
مما يلحظ فيه القوت تأكلون فلا تتقذرون بها ولا تتأذون بالاكل لانها على صفة الماء
النابع لا يؤخذ منها شيء الا خلف مكانه مثله في الحال وورد في الحديث انه لا ينزع رجل ثمرة الا نبت
مكانها مثلاها * تنبيه * لما بعث الله تعالى نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام الى العرب وكانت
في ضيق شديد بسبب المأكول والمشروب والفاكهة ذكر الله تعالى هذه المعاني مرة بعد
اخرى تكميلا لرغباتهم وتقوية لدواعيهم ومن في قوله تعالى منها تأكلون تبعيضية او ابتدائية
وقدم الجار لاجل الفاصلة ولما ذكر سبحانه الوعد اردفه بالوعيد على الترتيب المستمر في القرآن
فقال تعالى ان المجرمين اي الراسخين في قطع ما امر الله به ان يوصل في عذاب جهنم

اى النار التى من شأنها ان القاعد اهلها بالتجهم والكراهة والعبوسة كما كان يعمل عند قطيعة الاولياء الله
تعالى خالدون لان اعمالهم كان طبعا لهم لا ينفكون عنه اصلا لا يفتر عنهم
اى لا يقصد اضعافه بنوع من الضعف ففى التفتير نفى للفتور من غير عكس قال البيضاوى وهو
من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه اى العذاب مبلسون
اى ساكتون سكوت يأس من النجاة والفرج وعن الضحاك يجعل المجرم فى تابوت من نار ثم يقفل
عليه فيبقى خالدا لا يرى ولا يرى وما ظلمناهم نوعا من الظلم ولكن كانوا هم جبلة وطبعا وعملا
وصنعا هم الظالمين لانهم بادروا المنعم عليهم بالعظائم وبنوا انهم لا ينفكون عن ذلك
ما بقوا والاعمال بالنيات ولما كان مفهوم الابلاس السكوت بين تعالى انهم ليسوا ساكتين
دائما بقوله تعالى ونادوا ثم بين ان المنادى خازن النار بقوله تعالى مؤكدا البعد باداته يا مالك
ليقض علينا اى سل سؤالا ملحا ان يقضى القضاء الذى لا قضاء مثله وهو الموت على كل واحد منا
فجروا على عادتهم فى الغباوة والجلافة فقالوا ربك اى المحسن اليك فلم يروا الله تعالى عليهم احسانا
وهم فى تلك الحالة ولا شك ان احسانه ما انقطع عن موجود اصلا واقل ذلك انه لا يعذب احدا
منهم فوق استحقاقه لذلك جعل النار دركات كما جعل الجنة درجات فاجاب مالك عليه السلام
بان قال موكدا قطعا لاطماعهم لان كلامهم هذا هو بحيث يفهم الرجاء واعلاما بان رحمة الله التى هى موضع
الرجاء خاصة بغيرهم انكم ماكثون اى دائما ابدا لا خلاص لكم بموت ولا غيره وليس فى القرآن متى اجابهم
هل اجابهم فى الحال او بعد مدة لكن روى ابن عباس ان اهل النار يدعون مالكا خازن النار يقولون
ليقض علينا ربك اى ليمتنا ربك فيسكت عنهم فيجيبهم مالك بعد الف سنة انكم ماكثون اى مقيمون
فى العذاب وعن عبد الله بن عمرو بن العاص يجيبهم بعد اربعين وعن غيره مائة سنة واختلفوا فى ان قولهم يا مالك
ليقض علينا ربك على اى وجه طلبوه فقال بعضهم على التمنى وقال آخرون على وجه الاستغاثة والا فهم عالمون
بانه لا خلاص لهم من ذلك العذاب ثم انه تعالى ذكر ما هو كالعلة لذلك الجواب بقوله تعالى لقد جئناكم
اى فى هذه السورة خصوصا وفى جميع القرآن عموما بالحق على لسان الرسل وقرأ نافع وابن كثير و
ابن ذكوان وعاصم باظهار الدال عند الجيم والباقون بالادغام ولكن اكثركم للحق كارهون
لما فيه من المنع من الشهوات ولذلك انتم تقولون انه ليس بحق لاجل كراهتكم فقط لا لاجل ان فى حقيته
نوعا من الخفاء فان قيل كيف قال ونادوا يا مالك بعد ان وصفهم بالابلاس اجيب بانها ازمنة متطاولة
واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة اليأس عليهم ويستغيثون اوقاتا لشدة
ما بهم وروى انه يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون
يا مالك ليقض علينا ربك ولما ذكر تعالى كيفية عذابهم فى الآخرة ذكر بعده كيفية مكرهم وفساد
باطنهم فى الدنيا فقال تعالى ام ابرموا اى احكموا كفار مكة امرا اى فى المكر برسول الله صلى الله
عليه وسلم وفى رد امرنا معاداة او فيما شاء مع علمهم باننا مطلعون عليهم فانا مبرمون

اى محكمون امرا فى مجازاتهم اى مبرمون كيدا كما ابرموا كيدهم كقوله تعالى ام يريدون
كيدا فالذين كفروا هم المكيدون قال مقاتل نزلت فى تدبيرهم المكر فى دار الندوة ۰ تنبيه ۰
ام منقطعة والابرام الاتقان واصله فى الفتل يقال ابرم الحبل اى اتقن فتله وهو الفتل الثانى والاول
يقال له سحيل قال زهير لعمرى لنعم السيدان وجدتما ۰ على كل حال من سحيل ومبرم ۰
ام يحسبون انا اى على ما لنا من العظمة المقتضية لجميع صفات الكمال لا نسمع سرهم اى كلامهم
الخفى ولو كان فى الضمائر فيما يغضبنا والسر ما حدث به الشخص نفسه او غيره فى مكان خال ولما كان
ربما وقع فى الاوهام ان المراد بالسمع انما هو العلم لان السر ما يخفى وهو يعلم ما فى الضمائر وهى مما يعلم
حقق ان المراد به حقيقته بقوله تعالى ونجواهم ۰ اى تناجيهم فى كلامهم المرتفع فيما بينهم حتى كانه
على نجوة اى مكان عال فعلم ان المراد حقيقة السمع وانه تعالى يسمع كل ما يمكن ان يسمع بكلى نسبتي
الصنفين كليهما على حد سواء بلى ورسلنا وهم الحفظة من الملائكة على الجميع السلام على ما لهم من العظمة
بنسبتهم الينا لديهم اى عندهم وقرأ حمزة بضم الهاء والباقون بكسرها يكتبون ۰ اى يجددون الكتابة
كل ما تجدد ما يقتضيها لان الكتابة اوقع فى التهديد لان من علم ان اعماله محصاة مكتوبة يجتنب ما يخاف
عاقبته وعن يحيى بن معاذ الرازى من ستر عن الناس ذنوبه وابداها للذى لا يخفى عليه شئ فى السموات
فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق ولما تقدم اول السورة تبكيتهم والتعجب منهم
فى ادعائهم لله ولدا من الملائكة وهددهم بقوله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون
امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم قل اى لهؤلاء البعداء البغضاء ان
كان للرحمن اى العام الرحمة ولد ۰ اى على زعمكم والمراد به الجنس لادعائهم
فى الملائكة وغيرهم فانا اى فى الرتبة وقرأ نافع بمد الالف بعد النون والباقون بغير مد
اول العابدين ۰ للرحمن العبادة التى هى العبادة ولا يستحق غيرها ان يسمى عبادة وهى الخالصة
فانا لا اعبد غيره ولم يشأ لى الرحمن ان اعبد الولد ولا غيره او يكون المعنى انا اول العابدين
للرحمن على وجه الاخلاص لم اشرك به شيئا اصلا فى وقت من الاوقات بما سميتموه ولدا
او شريكا او غيرهما ولو شاء ما عبدته على وجه الاخلاص ولا شك عندكم وعند
غيركم ان من اخلص لاحد كان اولى من غيره برحمته فلو ان الاخلاص له ممنوع ما شاءه لى ولو لا ان
عبادته غير ممنوعة لشاءها لى ولو ان له ولدا لشاء لى عبادته فان عموم رحمته لكافة خلقه لكونهم
خلقه وخصوصها لكل من عبده خالصا يمنع على زعمكم من ان يشقينى وانا المخلص له فبطلت
شبهتكم بمثلها بل باقوى منها وهذا انما علق بشئ هو بنقيضه اولى وقال الزمخشرى ان كان
للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك
الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام
وارد على سبيل الفرض [illegible]

شبهة الاضمحلال مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة
الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى
نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ثم قال وقد تمحل الناس بما اخرجوه من هذا الاسلوب الشريف
المليء بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد
في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن
ولد في زعمكم فانا اول الآنفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد
وقال ابن عباس ان ان نافية اي ما كان له ولد فانا اول من عبده بوحدانيته وما علمت له ولدا ولو كان
له ولد لعبدته تقربا اليه بعبادة ولده وروي ان النضر بن عبد الدار بن قصي قال ان الملائكة بنات الله
تعالى فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان
للرحمن ولد فانا اول العابدين الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له ثم انه تعالى نزه نفسه فقال سبحان رب
اي مبدع ومالك السموات والارض اي اللذين كل ما فيهما ومن فيهما مقهور مربوب محتاج لا يصح ان
يكون له منه سبحانه نسبة بغير العبودية بالايجاد والتربية ولما كانت خاصة الملك ان يكون له ما
لا يصل اليه غيره بوجه اصلا قال محققا لملكه لجميع ما سواه ومن سواه وملكه له ولم يعد العطف لان العرش
من السموات رب العرش اي المختص بكونه خاصة الملك الذي هو مركز نسبة السموات والارض
عما يصفون اي يقولون من الكذب من ان له ولدا او شريكا وذلك ان اله العالم يجب ان يكون
واجب الوجود لذاته وكل ما كان كذلك فهو لا يقبل التجزي بوجه من الوجوه والولد عبارة عن
ان ينفصل عن الشيء جزء فيتولد من ذلك الجزء شخص مثله وهذا انما يعقل فيمن تكون ذاته قابلة
للتجزي والتبعيض واذا كان ذلك محالا في حق اله العالم امتنع اثبات الولد ولما ذكر تعالى هذا البرهان
القاطع قال تعالى معرضا عن ذلك فذرهم اي اتركهم على اسوا احوالهم يخوضوا اي يفعلوا في باطلهم
فعل الخائض في الماء ويلعبوا اي يفعلوا فعل اللاعب في دنياهم حتى يلاقوا اي يفعلوا بتصرم اعمارهم
فعل ما لا بد منه فعل المجتهدين في ان يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي بوعد لا خلف فيه وهو
يوم القيامة فيظهر لهم فيه ضد ما هم عليه والمقصود منه التهديد لانه تعالى ذكر الحجة القاطعة على فساد ما ذكروا
فلم يلتفتوا اليها لاجل استغراقهم في طلب المال والجاه والرياسة فاتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى
يصلوا الى ذلك اليوم الموعود به ثم زاد في التنزيه فقال تعالى وهو الذي في السماء اله اي معبود
لا شريك له وفي الارض اله تتوجه الرغبات اليه في جميع الاحوال ويخلص اليه في جميع اوقات
الاضطرار فقد وقع الاجماع من جميع من في السماء والارض على الهيته فثبت استحقاقه
لهذه الرتبة وثبت اختصاصه باستحقاقها في الشدائد الدائمة في الاوقات كذلك من
غير فرق لانه لا منازع له فيها فهذا الاستحقاق تعبدا غيره باطلة وقرأ قالون والبزي بتسهيلها
مع المد والقصر وقرأ ابو عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرأ ورش وقنبل بتسهيل ٤٠

الثانية وابدلها ايضا الفا وقرأ الباقون بتحقيقهما * تنبيه * كل من الظرفين متعلق بما بعده
لان اله بمعنى معبود اى معبود فى السماء ومعبود فى الارض وحينئذ يقال الصلة لا تكون الا جملة
او ما فى تقديرها وهو الظرف وعديله ولا شئ منهما هنا اجيب بان المبتدأ حذف لدلالة المعنى عليه وذلك
المحذوف هو العائد تقديره وهو الذى هو فى السماء اله وهو فى الارض اله وانما حذف لطول الصلة
بالمعمول فان الجار متعلق باله ومثله ما انا بالذى قائل لك سوءا وهو الحكيم اى البليغ الحكمة فى تدبير
خلقه العليم اى البالغ فى علمه بمصالحهم وتبارك اى وثبت ثباتا لا يشبهه ثبات لانه لا زوال له مع
اليمن والبركة وكل كمال فلا شبيه له حتى يدعى انه ولد له او شريك ثم وصفه تعالى بما يبين تباركه
واختصاصه بالالوهية فقال عز من قائل الذى له ملك السموات اى كلها والارض كذلك وما بينهما
او وما بين كل اثنين منهما والدليل على هذا الاجماع القائم على توحيده عند الاضطرار وعنده اى وحده
علم الساعة اى العلم بالساعة التى تقوم القيامة فيها واليه اى وحده لا الى غيره ترجعون مآبهم
تحقيقا للملك وقطعا للنزاع فى وحدانيته وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء التحتية على الغيبة
والباقون بالفوقية على الالتفات للتهديد ولا يملك اى بوجه من الوجوه فى وقت ما الذين يدعون
اى يعبدون اى الكفار من دونه اى الله تعالى الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله
وقوله تعالى الا من شهد بالحق اى قال لا اله الا الله فيه قولان احدهما انه متصل ان اريد بالموصول
كل ما عبد من دون الله والمعنى لا يقدر هؤلاء ان يشفعوا لاحد الا من شهد بالحق وهم يعلمون
اى بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم وهم عيسى ومريم وعزير والملائكة فانهم يملكون ان يشفعوا
للمؤمنين بتمليك الله تعالى اياهم لها والثانى هو منقطع ان خص بالاصنام ولئن سألتهم اى الكفار
مع ادعائهم الشريك من خلقهم اى العابدين والمعبودين معا ليقولن الله اى الذى له جميع صفات
الكمال لتعذر المكابرة من فرط ظهوره فانى اى فكيف واى جهة بعد ان اثبتوا له الخلق والامر
يؤفكون اى يصرفون عن اتباع رسولنا الآمر لهم بتوحيدنا فى العبادة كما انا توحدنا فى الخلق
وقرأ وقيله اى قول محمد صلى الله عليه وسلم عاصم وحمزة بخفض اللام والهاء على معنى وعنده
علم الساعة وعلم قيله والباقون بنصب اللام ورفع الهاء على المصدر بفعله المقدر اى وقال قيله يا رب
ان هؤلاء قوم اى اقوياء على الباطل ولم يضفهم الى نفسه بان يقول قومى ونحو ذلك من
العبارات ولا سماهم باسم قبيلتهم لما شانه من حالهم لا يؤمنون اى لا يتجدد منهم هذا
الفعل اصلا فاصفح اى اعف عفو من اعرض عنهم صفحا فلا تلتفت اليهم بغير التبليغ وقل
اى لهم سلام اى شانى الآن متاركتكم بسلامتكم منى وسلامتى منكم قال ابن عباس
وهذا منسوخ باية السيف وقال الرازى وعندى التزام النسخ فى مثل هذه المواضع مشكل لان
الامر لا يفيد الفعل الا مرة واحدة فسقطت دلالة اللفظ فاى حاجة الى التزام النسخ وايضا
فاللفظ المطلق قد يتقيد بحسب العرف فاذا كان كذلك فلا حاجة الى التزام النسخ

اهـ وجرى على النسخ الجلال المحلي فقال وهذا قبل ان يؤمر بقتالهم وقوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ فيه تهديد لهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقرأ نافع وابن عامر بتاء الخطاب التفاتا والباقون بياء الغيبة نظرا لما تقدم وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حديث موضوع

سورة الدخان مكية

وقيل الا قوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا الآية وهي ست او سبع او تسع وخمسون آية وثلثمائة وست واربعون كلمة والف واربعمائة واحد وثلاثون حرفا

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الملك الجبار الواحد القهار ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ الذي عم بنعمته سائر خلوقاته ﴿الرَّحِيمِ﴾ باهل وداده وقوله تعالى ﴿حم﴾ قرأ ابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بامالة الحاء محضة وقرأه ورش وابو عمرو بالامالة بين بين والباقون بالفتح وتقدمت الاشارة الى شيء من اسرار اخواتها وقوله تعالى ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ فيه احتمالان الاول ان يكون التقدير هذه حم والكتاب المبين كقولك هذا زيد والله الثاني ان يكون التقدير حم والكتاب المبين ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ فيكون في ذلك تقدير قسمين على شيء واحد ويجوز ان يكون انا انزلناه جواب القسم وان يكون اعتراضا والجواب قوله تعالى انا كنا منذرين واختاره ابن عطية وقيل انا كنا مستأنف وفيها يفرق يجوز ان مستأنفا وان يكون صفة لليلة وما بينهما اعتراض تنبيه يجوز ان يكون هنا الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب ويجوز ان يكون المراد به اللوح المحفوظ قال الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وقال تعالى وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون المراد به القرآن واقتصر على ذلك البيضاوي وتبعه الجلال المحلي وعلى هذا فقد اقسم بالقرآن انه انزل القرآن في ليلة مباركة وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقد يقول الرجل اذا اراد تعظيم الرجل له اليه حاجة استشفع بك اليك واقسم بحقك عليك وجاء في الحديث اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا احصي ثناء عليك والمبين هو المشتمل على بيان ما بالناس من حاجة اليه في دينهم ودنياهم فوصفه بكونه مبينا وان كانت حقيقة الابانة لله تعالى لان الابانة حصلت به كقوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فوصفه بالتكلم اذ كان غاية في الابانة فكأنه ذو لسان ينطق مبالغة في وصفه واختلف في قوله سبحانه وتعالى ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ فقال قتادة وابن زيد واكثر المفسرين هي ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة انها ليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان واحتج الاولون بوجوه الاول قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر فقوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة يجب ان يكون هي تلك الليلة المسماة بليلة القدر لئلا يلزم التناقض ثانيها قوله تعالى شهر رمضان الذي انزل

فيه القرآن فقوله تعالى ههنا انا انزلناه فى ليلة مباركة يجب ان يكون هذه الليلة المباركة
فى رمضان فثبت انها ليلة القدر وثانيها قوله تعالى فى صفة ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها
باذن ربهم من كل امر وقال تعالى ههنا فيها يفرق كل امر حكيم وقال ههنا رحمة من ربك وقال تعالى
فى ليلة القدر سلام هى واذا تقاربت الاوصاف وجب القول بان احدى الليلتين هى الاخرى رابعها
نقل محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن قتادة انه قال نزلت صحف ابراهيم فى اول ليلة من رمضان
والتوراة لست ليال منه والزبور لثنتى عشرة ليلة مضت منه والقرآن لاربع وعشرين مضت
من رمضان والليلة المباركة هى ليلة القدر خامسها ان ليلة القدر انما سميت بهذا
الاسم لان قدرها وشرفها عند الله عظيم ومعلوم ان قدرها وشرفها ليس بسبب نفس الزمان
لان الزمان شئ واحد فى الذات والصفات فيمتنع كون بعضه اشرف من بعض لذاته فثبت
ان شرفه وقدره بسبب انه حصل فيه امور شريفة لها قدر عظيم ومن المعلوم ان منصب الدين
اعظم من مناصب الدنيا واعظم الاشياء واشرفها منصبا فى الدين هو القرآن لانه ثبت نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل كما قال تعالى فى صفته ومهيمنا عليه وبه ظهرت درجات
ارباب السعادات ودركات ارباب الشقاوات فعلى هذا لا شئ الا والقرآن اعظم قدرا واعلى ذكرا
واعظم منصبا وحيث اطبقوا على ان ليلة القدر هى التى وقعت فى رمضان علمنا ان القرآن انما انزل
فى تلك الليلة وهذه ادلة ظاهرة واضحة واحتج الآخرون على انها ليلة النصف من شعبان بوجوه
اولها ان لها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة
وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل فى تسميتها بليلة البراءة والصك ان البندار
اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراءة وكذلك الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين
البراءة فى هذه الليلة ثانيها انها مختصة بخمس خصال الاولى قال تعالى فيها يفرق كل امر حكيم والثانية فضيلة
العبادة فيها روى الزمخشرى انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى فى هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله تعالى
اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات
الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ثالثها نزول الرحمة قال صلى الله عليه وسلم ان الله يرحم امتى فى هذه
الليلة بعدد شعر اغنام بنى كلب رابعها حصول المغفرة فيها قال صلى الله عليه وسلم ان الله يغفر لجميع المسلمين
فى تلك الليلة الا الكاهن والساحر ومدمن الخمر وعاق والديه والمصر على الزنا خامسها انه تعالى اعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة تمام الشفاعة فى امته قال الزمخشرى وذلك انه سال ليلة
الثالث عشر من شعبان فى امته فاعطى الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطى الثلثين ثم سال
ليلة الخامس عشر فاعطى الجميع الا من شرد عن الله شرود البعير اه وروى ان عطية الحرورى
سال ابن عباس عن قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر كيف يصح ذلك مع ان الله تعالى
انزل القرآن فى جميع الشهور فقال ابن عباس يا ابن الاسود لو هلكت انا ووقع فى نفسك هذا

ولم يخلها لهلكت نزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور في السماء الدنيا ثم نزل
بعد ذلك في انواع الوقائع حالا فحالا وقال قتادة وابن زيد انزل الله تعالى القرآن في ليلة القدر
من ام الكتاب الى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
نجوما في عشرين سنة وقوله تعالى إنا اي على ما لنا من العظمة كنا اي دائما لعبادنا منذرين
اي مخوفين استئناف بين به المقتضي للانزال وكذلك قوله تعالى فيها اي الليلة
المباركة سواء قلنا انها ليلة القدر او ليلة النصف يفرق اي ينشر ويبين ويفصل ويوضح
مرة بعد مرة كل امر حكيم اي محكم الامر لا يستطاع ان يطعن فيه بوجه من جميع
ما يوحى به من الكتب وغيرها والارزاق والآجال والنصر والهزيمة والخصب والقحط وغيرها
من جميع اقسام الحوادث وجزئياتها في اوقاتها واماكنها ويبين ذلك للملائكة من تلك
الليلة الى مثلها من العام المقبل فيجد ونه سواء فلا يزاد ولا ينقص ايضا قال ابن عباس يكتب
في ام الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحاج
يقال يحج فلان ويحج فلان وقال الحسن ومجاهد وقتادة يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان
كل اجل وعمل وخلق ورزق وما يكون في تلك السنة وقال عكرمة ليلة النصف من شعبان
يبرم فيها امر السنة وتنسخ الاحياء من الاموات فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم احد قال صلى الله عليه وسلم
تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح النساء ويولد له وقد خرج اسمه في ديوان الموتى وعن
ابن عباس ان الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر وروي
ان الله تعالى انزل القرآن من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ووقع الفراغ في ليلة القدر فدفع نسخة
الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرئيل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة
الاعمال قال ابن عادل الى اسرافيل وقال الزمخشري الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة
المصائب الى ملك الموت قال الزمخشري وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات اعماله فيلقي على السنة الخلق مدحه
وعلى قلوبهم هيبته وقوله تعالى امرا اي فرقا حال من فاعل انزلناه او من مفعوله اي انزلناه امرين
او مأمورا به كائنا من عندنا على مقتضى حكمتنا وقوله تعالى إنا كنا اي ازلا وابدا مرسلين
جواب ثالث او مستأنف او بدل من قوله تعالى انا كنا منذرين اي لنا صفة الارسال بالقدرة
عليها في كل حين والارسال لمصالح العباد لا بد فيه من الفرقان بالبشارة والنذارة وغير هما
حتى لا يكون لبس فلا يكون لاحد على الله تعالى حجة قال البقاعي وهذا الكلام المنتظم والقول الملتئم
بعضه ببعض المتراصف اجمل وصف في وصف ليلة الانزال دال على انه لم ينزل صحيفة ولا كتابا
الا في هذه الليلة فيدل على انها ليلة القدر للاحاديث الواردة في ان الكتب كلها نزلت فيها وكذلك قوله
تعالى في سورة القدر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر فان الوحي الذي به حياة الارواح
هو روح الامر الحكيم ثم بين تعالى حال المرسلات بقوله تعالى رحمة وعدل لاجل

لما اقتضاه التعبير بالرحمة عما كان من اسلوب التكلم بالعظمة من قوله منا الى قوله تعالى مِّن رَّبِّكَ
اى المحسن اليك بارسالك وارسال كل نبى مضى من قبلك فان رسالاتهم كانت لما لا بد
فى العبادات وتمهيد الشرائع فى البلاد حتى استنارت القلوب واطمأنت النفوس بما صارت تعهده
من شرع الشرائع وتوطئة الاديان فتسهلت طرق الرب لتعميم رسالتك على تلك التى ادرك الآفاق
فكنت نتيجة كل من تقدم من الرفاق وقال ابن عباس معنى رحمة من ربك اى رأفة منى بخلقى
ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقال الزجاج انزلناه فى ليلة مباركة للرحمة إِنَّهُ هُوَ اى وحده
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ اى ان تلك الرحمة كانت رحمة فى الحقيقة لان المحتاجين اما ان يذكروا
حاجاتهم بالسنتهم او لم يذكروها فان ذكروها فانه سميع وان لم يذكروها فهو تعالى عالم بها رَبِّ وتفكا
اى مالك ومبتدئ وموجد السَّمٰوٰتِ اى جميع الاجرام العالية وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مما تشاهدون من
هذا الفضاء وما فيه من الهواء وغيره مما تعلمون من اكساب العباد وغيرها مما لا يعلمون ومن
المعلوم انه ذو العرش والكرسى فعلم بهذا انه مالك كله وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بخفض الباء
الموحدة على البدل او البيان او النعت والباقون برفعها على انها مبتدأ او على انه مبتدأ
خبره لا اله الا هو والمقصود من هذه الآية ان المنزل اذا كان موصوفا بهذه الجلالة والكبرياء
كان المنزل الذى هو القرآن فى غاية الشرف والرفعة فان قيل ما معنى الشرط الذى هو قوله
تعالى إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝ اجيب بانهم كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل
لهم ان كنتم يا اهل مكة موقنين بانه تعالى رب السموات والارض فايقنوا بان محمدا عبده
ورسوله ولما ثبت بهذا النظام الصافى ربوبيته وبعدم اختلال التدبير على طول الزمان وحدانيته
انتج ذلك قوله تعالى لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ اى ولا لنازعه فى امرهما منازع اولو امكن ان ينازع فيكون مجانا جا
لامحالة ولا لدفعه من يمكن نزاعه له بخلافه ابا ولا يكون صالحا للتدبير والقيام بكل من يخالف رسله
والانجاء لكل من يوافقهم على ممر الزمان وتطاول الدهر ومر الحدثان على نظام مستمر وحال ثابت مستقر
ولما ثبت انه لا امد بالوجود غيره ثبت قوله تعالى يُحْيِي وَيُمِيتُ ۝ لان ذلك من اجل ما فيهما من التدبير
وهو تنبيه على تمام دلائل التوحيد لانه لا شئ من فيهما يبقى فيستند التدبير اليه ويحال شئ من الامر عليه
فهما جملتان الاولى نافية لما اثبتوه من الشركة والثانية مثبتة لما نفوه من البعث رَبُّكُمْ اى الذى افاض
عليكم ما تشاهدونه من النعم فى الامر واحد بعد واحد وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ اى الذى افاض عليهم
ما افاض عليكم ثم سلبهم ذلك كما تعلمون فلم يقدر احد منهم على ممانعة ولا طمع فى منازعة
ولا مدافعة بَلْ هُمْ اى بضمائرهم فِي شَكٍّ اى من البعث يَلْعَبُونَ ۝ اى يفعلون دائما فعل
التارك لما هو فيه من اخذ الجد الذى لا مرية فيه الى اللعب الذى لا فائدة فيه ولا ثمرة له بوجه
استهزاء بك يا اشرف الرسل فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعنى عليهم بسبع كسبع يوسف
قال تعالى فَارْتَقِبْ اى انتظر بكل جهدك عاليا عليهم ناظرا لاحوالهم نظر من هو حارس

يوم تأتي السماء بدخان مبين أي ظاهر يغشى الناس أي المهددين بهذه الدعوة فقالوا عند إتيانه هذا
عذاب أليم أي بغاية الوجع إلى القلب فيبلغ في إيلامه كما كنتم تؤلمون من يدعوكم إلى الله تعالى
واختلف في هذا الدخان فروى أبو الضحى عن مسروق قال بينما رجل يحدث في كندة قال يجيء
دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام ففزعنا
فأتينا ابن مسعود وكان متكئاً فغضب فجلس فقال من علم فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من
العلم أن تقول لما لا تعلم لا أعلم فإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما
أنا من المتكلفين فإن قريشاً أبطؤوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم أعني عليهم
بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل
ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان فجاءه أبو سفيان فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وإن قومك
قد هلكوا فادع الله تعالى لهم فقرأ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين إلى قوله تعالى عائدون وهذا
قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد واختيار الفراء والزجاج وهو قول ابن مسعود وكان ينكر أن يكون الدخان
إلا هذا الذي أصابهم من شدة الجوع كالظلمة في أبصارهم حتى كانوا كأنهم يرون دخاناً وذكر ابن قتيبة
في تفسير الدخان في هذه الحالة وجهين الأول أن في سنة القحط يعظم يبس الأرض فبسبب انقطاع
المطر يرتفع الغبار الكثير ويظلم الهواء وذلك يشبه الدخان ويقولون كان بيننا أمر ارتفع له دخان ولهذا
يقال للسنة المجدبة الغبراء الثاني أن العرب يسمون الشيء الغالب بالدخان والسبب فيه أن الإنسان إذا
اشتد خوفه أو ضعفه أظلمت عيناه ويرى الدنيا كالمملوءة من الدخان ونقل عن علي بن أبي طالب أنه دخان
يظهر في العالم وهو إحدى علامات القيامة ويروى أيضاً عن ابن عباس في المشهور عنه لما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن
تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما
الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب
يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه كالزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه
وأذنيه ودبره وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه النار وقال صلى الله عليه وسلم بادروا بالأعمال
ستاً وذكر منها طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة رواه الحسن وأصح القولين الأول لأنه تعالى حكى عنهم أنهم
يقولون ربنا اكشف عنا العذاب ثم عللوا ذلك بما علموا أنه الموجب للكشف فقالوا مؤكدين إنا مؤمنون أي
عريقون في وصف الإيمان فإذا حمل على القحط الذي وقع بمكة استقام فإنه نقل أن الأمر لما اشتد على أهل مكة
مشى إليه أبو سفيان فناشده الله والرحم وواعده إن دعا لهم وأزال عنهم تلك البلية أن يؤمنوا به فلما أزالها
الله عنهم رجعوا إلى شركهم أما إذا حمل على أن المراد منه ظهور علامة من علامات القيامة لم يصح ذلك
لأن عند ظهور علامات القيامة لا يمكنهم أن يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ولم يصح أيضاً
أن يقال إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون قال البقاعي ويصح أن يراد به

طلوع الشمس من مغربها روى الشيخان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة
حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها
ثم قرأ الآية أنّى اي كيف ومن اين لهم الذكرى اي هذا التذكر العظيم الذي وعدوا به
انفسهم وقرأ حمزة والكسائي انى بالامالة محضة وقرأ ابو عمرو بالامالة بين بين وفي ورش بالفتح
وبين اللفظين والباقون بالفتح وامال الذكرى محضة ابو عمرو وحمزة والكسائي وامال ورش
بين بين والباقون بالفتح وكذلك الكبرى وقد اي والحال انه قد جاءهم ما هو اعظم من ذلك في الدخول
في وجوب الطاعة رسول مبين اي ظاهر غاية الظهور وموضح غاية الايضاح وهو محمد صلى الله
عليه وسلم واظهر دال قد نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وادغمها الباقون ثم تولوا عنه اي اعرضوا
ما دعاهم الى الادبار عنه من دواعي الهوى ونوازع الشهوات والحظوظ وقالوا اي زيادة على اساءتهم
بالتولي معلم اي علمه غيره القرآن من البشر قال بعضهم علمه غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون
مجنون انا اي يلقي الجن اليه هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي انا اي على ما لنا من العظمة كاشفوا
العذاب اي بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع عنهم القحط قليلا اي زمنا يسيرا قبل
اليوم بدر وقيل ما بقي من اعمارهم انكم عائدون اي ثابت عودكم عقب كشفنا عنكم الى
الكفران لما في جبلاتكم من العوج وطباعكم من المبادرة الى الزلل فايمانكم هذا الذي اخبرتم بوعده
عرض زائل وخيال باطل وقوله تعالى يوم نبطش اي بما لنا من العظمة البطشة الكبرى
اي يوم بدر منصوب باذكر او بدل من يوم تأتي والبطش الاخذ بقوة انا منتقمون اي منهم في ذلك اليوم وهو
قول ابن عباس واكثر العلماء وفي رواية عن ابن عباس انه يوم القيامة ولقد فتنا اي اختبرنا بما لنا
من العظمة فعل الفاتن وهو المختبر الذي يريد ان يعلم حقيقة الحال بالابلاء والتمكين ثم الارسال قبلهم
اي هؤلاء العرب ليكون ما مضى من خبرهم عبرة لهم قوم فرعون اي مع فرعون لان ما كان
فتنة لقومه كان فتنة له لان الكبير اسرع في الفتنة بما احاط به من الدنيا وسيأتي التصريح به
في آخر القصة وجاءهم اي فرعون وقومه زيادة في فتنتهم رسول كريم هو موسى عليه السلام قال
الكلبي كريم على ربه بمعنى انه تعالى اعطاه انواعا كثيرة من الاكرام وقال مقاتل حسن الخلق وقال
الفراء يقال فلان كريم قومه قيل ما بعث نبي الا من اشراف قومه واكرمهم ثم فسر ما بلغهم من الرسالة
بقوله ان ادوا الي ما ادعوكم اليه من الايمان اي اظهروا طاعتكم بالايمان لي يا عباد الله اي اطلقوا
بني اسرائيل ولا تعذبوهم وارسلوهم معي كقوله فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم اني لكم
خاصة بسبب ذلك رسول اي من عند الله الذي لا تكون الرسالة الا منه امين اي بالغ الامانة
لان الملك الديان لا يرسل الا من كان كذلك وقوله عليه السلام وان لا تعلوا معطوف على
ان الاولى وان هذه مقطوعة في الرسم والمعنى لا تتكبروا على الله تعالى باهانة وحيه ورسوله
اني آتيكم بسلطان اي برهان مبين اي بين على رسالتي فتوعدوه بالرجم حين قال لهم ذلك فقال

ونفكاذم

وتفكاذم

وإني عذت أي اعتصمت وامتنعت بربي الذي رباني على ما اقتضاه لطفه وإحسانه إلي وربكم الذي
أعاذني من تكبركم وقوة مكنتكم أن ترجمون أي أن يتجدد في وقت من الأوقات قتل منكم
لي فإني قلت إني أخاف أن يقتلون فقال تعالى سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون
إليكما بآياتنا فمن أعظم آياتي أنكم لا تصلوا مع قوتكم وكثرتكم إلى قتلي مع أنه لا قوة لي بغير الله
الذي أرسلني وقال ابن عباس أن ترجمون بالقول وهو الشتم وتقولوا هو ساحر وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي
عذت بإدغام الذال في التاء والباقون بالإظهار وقرأ ورش بإثبات الياء بعد النون في ترجمون في الوصل
دون الوقف والباقون بغير ياء وقفا ووصلا وكذلك فاعتزلون الآتي ولما كان التقدير فإن آمنتم
بذلك وسلمتم لي أفلحتم عطف عليه قوله تعالى وإن لم تؤمنوا لي أي تصدقوا لأجل ما أخبرتكم به فاعتزلون
أي كونوا بمعزل مني لا علي ولا لي فلا تتعرضوا إلي بسوء فإنه ليس جزاء دعائي لكم إلى ما فيه فلاحكم
والفاء في قوله تعالى فدعا تدل على أنه متصل بمحذوف قبله وتأويله أنهم كفروا ولم يرضوا فدعا
موسى عليه السلام ربه الذي أحسن إليه بسياسته وسياسة قومه ثم فسر ما دعا به بقوله أن
هؤلاء أي الحقيرين الأذلين الأرذلين قوم لهم قوة على القيام فيما يحاولونه مجرمون
موصوفون بالعراقة في قطع ما أمرت به أن يوصل فإن قيل الكفر أعظم حالا من الجرم فما السبب
في أنه جعل الكفار مجرمين حين أراد المبالغة في ذمهم أجيب بأن الكافر قد يكون
عدلا في دينه وقد يكون فاسقا في دينه والفاسق في دينه أخس الناس ثم تسبب عن دعائه
لأنه ممن يستجاب دعاؤه قوله تعالى فأسر بعبادي أي بني إسرائيل الذين أرسلناك لإسعادهم
باستنقاذهم من ظلمهم وتفريقهم لعبادتي وقوله تعالى ليلا نصب على الظرفية والإسراء سير الليل
فذكر الليل تأكيد بغير اللفظ وإنما أمره بالسير بالليل لأنه إن خرج بالقبط متى لا يكون ليلا فأمر موسى
أن يخرج بقومه في ذلك الوقت خوفا من أن يتبعهم القبط ولما علم الله تعالى أنهم إن تأخروا إلى أن يطلع الفجر
ويقع عندهم الموت شغلهم الخروج وإن تأخروا إلى آخر الليل أدركهم قبل الوصول إلى البحر فقتلوهم علل هذا
الأمر بقوله مؤكدا لأن حال القبط عندما أمرهم بالخروج كان حال من لا يتهيأ له
الخروج في قوله إنكم متبعون أي مطلوبون بغاية الجهد من عدوكم فلا يغرنكم ما هم فيه عند
أمركم بالخروج من الجزع من إقامتكم بين أظهرهم وسؤالهم لكم في الخروج عنهم بسبب وقوع
الموت الناشئ فيهم فإن القلوب بيد الله تعالى فهو ينسي قلب فرعون بعد ذلك هذه الآيات حين يرتفع
عنهم الموت ويفرغون من دفن موتاهم فيطلبكم لما دبرته في القدم من سياستكم بإغراقهم
أجمعين ليظهر مجدي بذلك وأدفع عنكم من يومه أنفسهم وإني أعلم أنه لا قوة لكم ولا طاقة
بكم فلما كان لكم مباشرة شيء من أمرهم وقرأ نافع وابن كثير فاسر بوصل الهمزة بعد
الفاء والباقون بقطعها قال الزمخشري وغيره وفيه وجهان إضمار القول بعد الفاء أي فقال أسر بعبادي
وجواب شرط مقدر كأنه قال إن كان الأمر كما تقول فأسر بعبادي قال أبو حيان وكثيرا

ما يدعى حذف الشرط ولا يجوز ذلك الا لدليل واضح كان يتقدمه الامر وما اشبهه يقال سرى واسرى
لغتان فلما امره بالاسراء امره بما يفعل فيه فقال تعالى واترك البحر اى اذا سريت بهم
وتبعك العدو ووصلت بعد اليه وامرناك بضربه لينفتح لتدخلوا فيه فدخلتم وتجيئتم
رهوا بعدهم وحكم منه باجمعكم وفى الرهو وجهان احدهما انه الساكن اى اتركه ساكنا
قال الاعشى يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة * ولا الصدور على الاعجاز تتكل *
اى دمثا ساكنا على هيئته قارا على حاله بحيث يبقى المرتفع من مائه مرتفعا والمنخفض منخفضا
كالجدار وطريقه الذى سرتم به يابسا اذا سير سهلا على الحالة التى دخلتم فيها لان موسى لما جاوز البحر
اراد ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فامر بتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله ليدخله
القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله تعالى عليهم والثانى ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه راى جملا
فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند مغرقون اى متمكنون
فى هذا الوصف وان كان لهم وصف القوة والتجبر الذى محطه النجدة الموجبة للعلو فى الارض ولما اخبر تعالى
عن غرقهم اخبر عن مخلفهم بقوله تعالى كم تركوا اى كثيرا ترك الذين سبق الحكم باغراقهم فغرقوا من
جنات اى بساتين هى فى غاية ما يكون من طيب الارض وكثرة الاشجار وزكاء الثمار والنبات
وحسنها الذى يستر الارض ودل على كرم الارض بقوله تعالى وعيون وزروع اى ما هو دون الاشجار وقرأ
ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائى بكسر العين والباقون بضمها ثم اخبر عن منازلهم
بقوله تعالى ومقام كريم اى مجلس شريف هو اهل لان يقوم الانسان فيه لانه فى النهاية فيما
يرضيه ونعمة وهى اسم التنعم بمعنى الترفه والعيش اللين الرغد كانوا فيها اى دائما فاكهين
اى فعلوا فى عيشهم فعل المتفكه المترفه لا فعل من يضطر الى اقامة نفسه وقوله تعالى كذلك
خبر لمبتدأ مضمر اى الامر كما اخبرنا به من تنعمهم واخراجهم واغراقهم وانهم تركوا جميع ما كانوا
فيه لم يغن عنهم شئ منه فلا يغتر احد بما ابتليناه من النعم لئلا نصنع به من الاهلاك ما صنعنا
بهم وقوله تعالى واورثناها اى تلك الامور العظيمة عطف على تركوا قوما اى ناسا ذوى قوة على القيام
على ما يحاولونه وحقق انهم غيرهم تحقيقا لاغراقهم بقوله تعالى آخرين اى ليسوا منهم فى شئ وهم بنو اسرائيل
وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر بل سكنوا الارض المقدسة وبها سكن القوم الآخرون بمصر
ورثوا كنوزها واموالها ونعمها ومقامها الكريم وقوله تعالى فما بكت عليهم السماء
والارض مجاز عن عدم الاكتراث باهلاكهم لهوانهم واذا لم تبك المساكن فما ظنك بالساكن
الذى هو فيها تقول العرب اذا مات رجل خطير فى تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض
وبكته الريح واظلمت له الشمس قال الفرزدق والشمس طالعة ليست بكاسفة
تبكى عليك نجوم الليل والقمرا * وقالت الخارجية * ايا شجر الخابور مالك مورقا *
كانك لم تجزع على ابن طريف * وقال جرير لما اتى خبر الزبير تواضعت * سور المدينة والجبال الخشع *

وذلك على سبيل التخييل والتمثيل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه قال الزمخشري وكذلك
ما روي عن ابن عباس من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء
تمثيل ونفى ذلك عنهم في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض تهكما بهم وبحالهم
المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض اه وقد روى انس بن مالك عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم الا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب
يدخل منه عمله فاذا مات وفقداه بكيا عليه وتلا هذه الآية وقال علي رضي الله عنه ان المؤمن
اذا مات بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة
والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل السماء واهل الارض وقال عطاء بكاء
السماء حمرة اطرافها وقال السدي لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكت عليه السماء
وبكاؤها حمرتها وقرأ ابو عمرو عليهم في الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي
بضمهما والباقون بكسر الهاء وضم الميم واما الوقف فحمزة بضم الهاء والباقون بالكسر وما كانوا
منظرين اي لما جاء وقت هلاكهم لم يمهلوا الى وقت آخر لتوبة وتدارك تقصير ولما كان
انقاذ بني اسرائيل من القبط امرا باهرا لا يكاد يصدق فضلا عن ان يكون باهلاك اعدائهم
اكد سبحانه الاخبار بذلك اشارة الى ما يحق له من العظمة تنبيها على انه قادر ان يفعل
بهذا النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه كذلك وان كانت قريش يرون ذلك محالا وانهم
في قبضتهم فقال تعالى ولقد نجينا اي بما لنا من العظمة تنجية عظيمة بني اسرائيل عبادنا
المخلصين لنا من العذاب المهين اي من استعباد فرعون وقتله ابناءهم وقوله تعالى من فرعون
بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين اي
واقعا من جهته انه كان عاليا اي في جبلته العراقة في العلو من المسرفين اي العريقين
في مجاوزة الحدود ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل بما لنا من العظمة على علم اي عالمين
بانهم احقاء بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات
في بعض الاحوال ثم بين المفضل عليه بعد ان بين المفضل بقوله تعالى على العالمين اي الموجودين
في زمانهم بما انزلنا عليهم من الكتب وارسلنا اليهم من الرسل وقيل على الناس جميعا
لكثرة الانبياء منهم وقيل عام دخله التخصيص ثم بين آثار الاختيار بقوله تعالى وآتيناهم
اي على ما لنا من العظمة من الآيات اي العلامات الدالة على عظمتنا واختيارنا لهم من
حين اتى موسى عبدنا عليه السلام فرعون الى ان فارقهم بالوفاة وبعد وفاته على ايدي
الانبياء المقررين للشريعة عليهم السلام ما فيه بلؤا اي اختبار مثله يميل من ينظره
او يسمعه الى غير ما كان عليه وذلك بفرق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك
مما اوتوه من الآيات التسع مبين اي بين في نفسه موضح لغيره ان هؤلاء اشارة الى

كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة وللانذار على مثل ما حل بهم ﴿ليقولون﴾ اي بعد قيام الحجة البالغة عليهم مبالغين في الانكار ﴿ان﴾ اي ما ﴿هي﴾ وقولهم ﴿الا موتتنا﴾ على حذف مضاف اي ما حياة الا حياة موتتنا ﴿الاولى﴾ التي كانت قبل نفخ الروح كما سيأتي ان شاء الله تعالى في الجاثية ان هي الا حياتنا الدنيا وقال الجلال المحلي ان هي ما الموتة التي بعدها الحيوة الا موتتنا الاولى اي وهم نطف وقرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة وابو عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ﴿وما نحن بمنشرين﴾ اي مبعوثين بحيث نصير ذوي حركة اختيارية ننتشر بها بعد الموت يقال نشره وانشره احياه ثم احتجوا على نفي الحشر والنشر بقولهم ﴿فأتوا﴾ اي ايها الزاعمون انا نبعث بعد الموت ﴿بآبائنا﴾ اي لكوننا نعرفهم ونعرف وفور عقولهم ﴿ان كنتم صادقين﴾ اي ثابتا صدقكم في انا نبعث يوم القيامة احياء بعد الموت ثم خوفهم الله تعالى بمثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى ﴿أهم خير﴾ اي في الدين والدنيا ﴿ام قوم تبع﴾ اي ليسوا خيرا منهم فهو استفهام على سبيل الانكار قال ابو عبيدة ملوك اليمن كل واحد منهم يسمى تبعا لان اهل الدنيا كانوا يتبعونه وموضع تبع في الجاهلية موضع الخليفة في الاسلام وهم الاعاظم في ملوك العرب وقال قتادة هو تبع الحميري وكان من ملوك اليمن سمي بذلك لكثرة اتباعه وكان هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه ولذلك ذم الله تعالى قومه ولم يذمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن عائشة رضي الله عنها قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وذكر عكرمة عن ابن عباس انه كان تبع الآخر وهو ابو كرب اسعد بن ملكيكرب وكان سار بالجيوش نحو المشرق وحير الحيرة وبنى سمرقند وملك بقومه الارض طولها والعرض وكان اقربهم الى قريش زمانا ومكانا وكان له بمكة المشرفة ما ليس لغيره من الآثار قال الرازي في اللوامع هو اول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة واقام به ستة ايام وطاف به وحلق قال البغوي بعد ان ذكر قصته مع الانصار لما قتل ابنه غيلة في المدينة الشريفة وما وعظ به اليهود في الكف عن خراب المدينة لانها مهاجر نبي من قريش انه صدقهم واتبع دينهم وذلك قبل البعثة عن الرياشي آمن تبع بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة عام فان قيل ما معنى قوله تعالى أهم خير ام قوم تبع مع انه لا خير في الفريقين اجيب بان معناه اهم خير في القوة والشوكة كقوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون ويجوز في قوله تعالى ﴿والذين من قبلهم﴾ اي من قبل مشاهيرهم الامم مكذبين واصحاب الايكة والرس وثمود وعاد ثلاثة اوجه احدها ان يكون معطوفا على قوم تبع ثانيها ان يكون مبتدأ وخبره ﴿اهلكناهم﴾ اي بعظمتنا وان كانوا اصحاب مكنة وقوة واما على الاول فاهلكناهم اما مستأنف واما حال من الضمير المستكن في الصلة ثالثها ان يكون منصوبا بفعل مقدر يفسره اهلكناهم ولا محل لاهلكناهم حينئذ ﴿انهم﴾

كانوا اى جبلة وطبعا مجرمين ه اى عريقين فى الاجرام فليحذر هؤلاء ان ارتكبوا مثل افعالهم من مثل
حالهم ه ولما انكر تعالى على كفار مكة قولهم ووصفهم بانهم اضعف ممن كان قبلهم ذكر
الدليل القاطع على صحة القول بالبعث والقيامة فقال تعالى وما خلقنا السموات اى على عظمها واتساع
كل واحدة منها واحتوائها لما تحتها وجمعها لان العمل كلما زاد كان ابعد عن العبث ه ولما
كان الدليل على لطائف الارض دليلا دقيقا وحدها بقوله تعالى والارض اى على ما فيها من المنافع
وما بينهما اى النوعين وبين كل واحدة منها وما يليها لاعبين ه اى على ما لنا من العظمة التى
يدرك من له ادنى عقل تعاليها عن اللعب لانه لا يفعله الا ناقص ولو تركنا الناس يبغى بعضهم
على بعض كما تشاهدون ثم لا ناخذ لضعيفهم بحقه من قويهم لكان خلقنا لهم لعبا بل اللعب
اخف منه ولم نكن على ذلك التقدير مستحقين للصفة القدسية وقد تقدم تقرير هذا الدليل
فى اول سورة يونس وفى اخر سورة المؤمنين عند قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وفى سورة
ص عند قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ما خلقناهما اى السموات والارض وما بينهما
وقوله تعالى الا بالحق حال اما من الفاعل وهو الظاهر واما من المفعول اى الا محقين فى ذلك ليستدل به
على وحدانيتنا وقدرتنا وغير ذلك او متلبسين بالحق ولكن اكثرهم اى هؤلاء الذين اشتد
ظهورهم وهم يقولون ان هى الا موتتنا الاولى وكذا من نحا نحوهم لا يعلمون ه اى انا خلقنا الخلق ليبين
اقامة الحق عليهم فهم لاجل ذلك يجترؤن على المعاصى ويفسدون فى الارض لا يرجون ثوابا ولا يخافون
عقابا ولو تذكروا ما ذكرناه فى جبلاتهم لعلموا علما ظاهرا انه الحق الذى لا معدل عنه كما يتولى حكامهم
المناصب لاجل اظهار الحكم بين رعاياهم ويشترطون الحكم بالحق ويؤكدون على انفسهم انهم لا يتجاوزونه
ولما ذكر الدليل على اثبات البعث والقيامة ذكر عقبه يوم الفصل فقال تعالى ان يوم الفصل اى يوم القيامة
يفصل الله تعالى فيه بين العباد قال الحسن سمى بذلك لان الله تعالى يفصل فيه بين اهل الجنة والنار وقيل
يفصل فيه بين المؤمن وما يكرهه وبين الكافر وما يريده ميقاتهم اى وقت موعدهم الذى
ضرب لهم فى الازل وانزلت فيه الكتب على السنة الرسل اجمعين ه لا يتخلف عنه احد ممن مات
من الجن والانس والملائكة وجميع الحيوانات وقوله تعالى يوم لا يغنى اى بوجه من الوجوه
بدل من يوم الفصل او منصوب باضمار اعنى او صفة لميقاتهم ولا يجوز ان ينتصب بالفصل نفسه
لما يلزم من الفصل بينهما باجنبى وهو ميقاتهم مولى اى من قرابة او غيرها عن مولى بقرابة
او غيرها اى لا يدفع عنه شيئا من الاشياء كثيرا وقليلا ولا هم اى القسمان ينصرون ه اى ليس
لهم ناصر يمنعهم من عذاب الله تعالى ه تنبيه * المولى اما فى الدين او فى النسب او العتق وكل
هؤلاء لا يسمون بالمولى فلما لم تحصل النصرة منهم فان لا تحصل ممن سواهم اولى ونظير هذه
الاية قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا الى قوله تعالى ولا هم ينصرون وقال الواحدى
المراد بقوله تعالى مولى عن مولى الكفار لانه ذكر بعده المؤمن فقال تعالى الا من رحم الله اى

اراد اكرامه الملك الاعظم وهم المؤمنون يشفع بعضهم لبعض باذن الله تعالى في الشفاعة
لاحد منهم فيكرم الشافع فيه وقال ابن عباس يريد المؤمن فانه يشفع له الانبياء والملائكة
تنبيه يجوز في الا من رحم الله اوجه احدها وهو قول الكسائي انه منقطع ثانيها انه
متصل تقديره لا يغني قريب عن قريب الا المؤمنين فانهم يؤذن لهم في الشفاعة ويشفعون
في بعضهم كما مر ثالثها ان يكون مرفوعا على البدلية من مولى الاول ويكون يغني بمعنى ينفع
قاله الحوفي رابعها انه مرفوع المحل ايضا على البدل من واو ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من
رحم الله انه اي وحده هو العزيز اي المنيع الذي لا يقدح في عزته عفو ولا عقاب بل ذلك دليل على
عزته فانه يفعل ما يشاء فيمن يشاء من غير مبالاة باحد الرحيم اي الذي لا يمنع عزته ان يكرم
من شاء ولما وصف تعالى اليوم ذكر بعده وعيد الكفار فقال سبحانه ان شجرت الزقوم
هي من اخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله تعالى في الجحيم وقدم الكلام عليها في الصافات ورسمت
بالتاء المجرورة ووقف عليها بالهاء ابو عمرو وابن كثير والكسائي ووقف الباقون بالتاء على الرسم
طعام الاثيم اي المبالغ في اكتساب الآثام حتى صارت به الى الكفر قال اكثر المفسرين هو ابو جهل
كالمهل اي وهو ما يمهل في النار حتى يذوب من ذهب او فضة وكل ما في معناهما من المنطبعات
سواء كان من صفر او حديد او رصاص وقيل هو عكر القطران وقيل عكر الزيت وقرأ يغلي في البطون
اي من شدة الحر ابن كثير وحفص بالياء التحتية على ان الفاعل ضمير يعود على طعام وجوز ابو البقاء ان
يعود على الزقوم وقيل يعود على المهل نفسه والباقون بالتاء الفوقية على ان الفاعل ضمير الشجرة كغلي
او مثل غلي الحميم اي الماء الذي تناهى حره بما يوقد تحته وعن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف
بمن تكون طعامه ويقال للزبانية خذوه اي هذا الاثيم اخذ قهر فلا ندعه يملك من امره شيئا
فاعتلوه اي جروه بقهر بغلظة وعنف وسرعة الى العذاب والاهانة بحيث يكون كانه
عتل قال البقاعي وقراءة الضم ادل على تناهي الغلظة والشدة من قراءة الكسر الى سواء اي
وسط الجحيم اي النار التي هي غاية في الاضطرام والتوقد فهو موضع خروج الشجرة التي هي
طعامه ثم صبوا فوق رأسه اي ليكون الصب محيطا بجميع جسده من عذاب الحميم اي من
الحميم الذي لا يفارقه العذاب فهو ابلغ مما في آية يصب من فوق رؤسهم الحميم ويقال له
توبيخا وتقريعا ذق اي العذاب انك واكد بقوله انت اي وحدك دون هؤلاء
الذين يقاربونك تعتقد انك العزيز الكريم بزعمك وقولك ما بين جبليها اعز واكرم مني وقرأ
الكسائي بفتح الهمزة بعد القاف على معنى العلة اي لانك وقيل تقديره ذق عذاب الحميم انك
انت العزيز والباقون بالكسر على الاستئناف المفيد للعلة فتتحد القراءتان معنى وهذا
الكلام الذي على سبيل التهكم اغيظ للمستهزأ به ومثله قول جرير للشاعر سمى نفسه زهرة اليمن

ألم يكن في رسوم قد رسمت بها * من كان موعظة يا زهرة اليمن * وكان هذا الشاعر قد قال * أبلغ كليبا وأبلغ عنك شاعرها * أني الأعز وأني زهرة اليمن * ويقال لهم إنّ هذا أي الذي ترون من العذاب ما كنتم به أي جبلة وطبعا تمترون ٥ أي تعالجون أنفسكم وتحملونها على الشك فيه وترددها عما لها من الفطرة الأولى من التصديق بالممكن لا سيما من جرّب صدقه وظهرت خوارق العادات على يديه بحيث كنتم لشدة ردكم له كأنكم تخصونه بالشك * ولما ذكر سبحانه وتعالى وعيد الكفار أردفه بآيات الوعد فقال إنّ المتقين أي العريقين في هذا الوصف في مقام أي موضع إقامة لا يريد الحال فيه تحوّلا عنه أمين ٥ أي يأمن صاحبه فيه من كل ما لا يعجبه وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم أي في مجلس والباقون بفتحها على المصدر أي في إقامة وقوله تعالى في جنات أي بساتين تقصر العقول عن إدراك كل وصفها بدل من قوله تعالى في مقام أمين أو خبر ثان وقوله وعيون ٥ قرأ ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بكسر العين والباقون بضمها * ولما كان لا يتم العيش إلا بكسوة البدن أشار إلى ذلك بقوله تعالى يلبسون ودل على الكثرة جدا بقوله تعالى من سندس وهو ما رق من الحرير يعمل بحوها وإستبرق هو ما غلظ منه يعمل بطائن وسمي بذلك لشدة بريقه وقوله تعالى متقابلين ٥ أي في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض حال وقوله يلبسون حال من الضمير المستكن في الجار أو خبر ثان فيتعلق الجار به أو مستأنف * فإن قيل * الجلوس على هذه الهيئة موحش لأن كل واحد منهم يصير مطلعا على ما يفعل الآخر وأيضا فقليل الثواب إذا اطلع على كثير الثواب ينغص عليه * أجيب بأن أحوال الآخرة ليست كأحوال الدنيا وقد قال تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل وقوله تعالى كذلك فيه وجهان أحدهما النصب نعتا لمصدر أي نفعل بالمتقين فعلا كذلك أي مثل ذلك الفعل ثانيهما الرفع على خبر مبتدأ مضمر أي الأمر كذلك * ولما كان ذلك لا يتم الغرر إلا بالأزواج قال تعالى وزوجناهم أي قرناهم كما تقرن الأزواج وليس المراد به العقد لأن فائدة العقد الحل والجنة ليست بدار تكليف من تحليل أو تحريم بحور أي جوار بيض حسان نقيات الثياب عين ٥ أي واسعات الأعين قال البيضاوي واختلف في أنهن نساء الدنيا أو غيرهن * ولما كان الشخص في الدنيا يخشى تلف النفقات وصف ما هنالك من سعة الخيرات فقال تعالى يدعون أي يطلبون طلبا هو غاية المسرة فيها أي الجنة أي يؤتون بكل فاكهة أي لا يمتنع عليهم صنف من الأصناف لبعد مكان ولا فقدان ولا غير ذلك من الشأن وفي ذلك إيذان بأنه مع سعته ليس فيه شيء لإقامة البنية وإنما هو للتفكه والتلذذ حال كونهم مع ذلك آمنين ٥ في غاية الأمن من كل مخوف لا يذوقون فيها أي الجنة الموت لأنها دار خلود لا دار فناء وقوله تعالى إلا الموتة الأولى فيه أوجه أحدها أنه استثناء منقطع أي لكن

الموتة الاولى قد ذاقوها ثانيها انه منقطع وتاوّله بان المؤمن عند موته في الدنيا يصير بلطف
الله كانه في الجنة لاتصاله باسبابها ومشاهدته اياها وما يعطاه من نعيمها فكانه مات فيها ثالثها ان
الا بمعنى سوى اي سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا كما في قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء
الا ما قد سلف اي سوى ما قد سلف رابعها ان الا بمعنى بعد اي لا يذوقون فيها الموت بعد الموتة الاولى
في الدنيا واختاره الطبري لكن نوزع بان الا بمعنى بعد لم يثبت وقد يجاب بان من حفظ حجة على
من لم يحفظ خامسها قال الزمخشري اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة
الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه
قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها سادسها المراد بالمتقين
اعم من الراسخين وغيرهم وان ضمير فيها يرجع للآخرة فالعاصي اذا اراد الله تعالى تعذيبه بالنار يذيقه
فيها موتة اخرى كما جاء في الاحاديث الصحيحة فيكون على المجموع سابعها ان الموتة الاولى في الجنة المجازية
فلا يكون ذلك بالمحال وذلك ان المتقي لم يزل فيها في الدنيا قال بعض العلماء الدنيا اذا تحققت في حق المؤمن
التقي فانها جنة صغرى لتولية سبحانه اياه فيها وقربه منه ونظره اليه وذكره له وعبادته اياه وشغله به
وهو معه اينما كان . فان قيل ان اهل النار لا يذوقون الموت ايضا فلم بشر اهل الجنة بهذا مع ان اهل النار
يشاركهم فيه . اجيب . بان البشارة ما وقعت بدوام الحياة فقط بل مع حصول تلك الخيرات
والسعادات فافترقا ووقيهم اي المتقين عذاب الجحيم اي التي تقدم انها لكل كفار اثيم واما غير المتقين
من العصاة فيدخل الله تعالى من اراد منهم النار فيعذب كلا منهم على قدر ذنبه ثم يميتهم فيها ويستمرون
الى ان يأذن الله تعالى في الشفاعة فيهم فيخرجهم ثم يحييهم بما يرش عليهم من ماء الحياة ثم يدخلهم الله
تعالى الجنة روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل ناس في النار حتى اذا صاروا فحما ادخلوا
الجنة فيقول اهل الجنة من هؤلاء فيقال هؤلاء الجهنميون وروي انه صلى الله عليه وسلم قال يعذب ناس
من اهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمما ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على ابواب الجنة فيرش
عليهم اهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة وقوله تعالى
فضلا مفعول لاجله اي فعل ذلك بهم لاجل الفضل وجعله ابو البقاء منصوبا بمقدر اي تفضلنا
بذلك فضلا اي تفضلا . تنبيه . احتج اهل السنة بهذه الآية على ان الثواب يحصل من الله تعالى
فضلا واحسانا وان كل ما وصل اليه العبد من الخلاص من النار والفوز بالجنة فانما يحصل بفضل
الله تعالى من ربك اي المحسن اليك بكمال احسانه الى اتباعك احسانا يليق بك

قال الرازي في اللوامع اصل الايمان رؤية الفضل في جميع الاحوال . ولما عظمه الله تعالى
باظهار هذه الصفة مضافة اليه صلى الله عليه وسلم زاد تعظيمه بالاشارة باداة البعد فقال تعالى
ذلك اي الفضل العظيم الواسع هو اي خاصة الفوز اي الظفر بجميع المطالب العظيم ٥
لانه خلاص عن المكاره ولم يدع جهة من الشرف الا ملأها وهذا يدل على ان

المفضل اعلى من درجات الثواب المستحق لانه تعالى وصفه بكونه فوزا عظيما وايضا فان الملك العظيم اذا اعطى الاجير اجرته ثم خلع على انسان اخر فان تلك الخلعة اعلى من اعطاء تلك الاجرة . ولما بين تعالى الدليل وشرح الوعد والوعيد قال تعالى فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ اى سهلنا القرآن سهولة كبيرة بِلِسَانِكَ اى هذا العربي المبين وهم عرب سجيتهم الفصاحة لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ اى يفهمونه فيتعظون به وان لم يتعظوا به ولم يؤمنوا به فَارْتَقِبْ اى فانتظرما يحل بهم إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ اى منتظرون ما يحل بك فعلى الامر تقارب محذوف وان اى فارتقب النصر من ربك انهم مرتقبون بك ما يتمنونه من الدوائر والغوائل ولن يضرك ذلك وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له رواه الترمذي وزاد الزمخشري من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك ورواه البغوي عن ابي هريرة قال ابن عادل قال ابو امامة رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة والله تعالى اعلم بالصواب

سورة الجاثية مكية

الا قل للذين امنوا يغفروا الاية وهي سبع وثلاثون اية واربعمائة وثمانون كلمة والفان ومائة واحد وتسعون حرفا

بِسْمِ اللَّهِ الذي تفرد بتمام العز والكبرياء الرَّحْمَٰنِ الذي احكم رحمته بالبيان العام للسعداء والاشقياء الرَّحِيمِ الذي خص بملابسة طاعته الاولياء وتقدم الكلام على قوله تعالى حم ثم ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بقوله تعالى تَنْزِيلُ الْكِتَابِ اى الجامع لكل خير لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب وقوله تعالى مِنَ اللَّهِ اى المحيط بصفات الكمال صلة التنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا الْعَزِيزِ في ملكه الْحَكِيمِ في صنعه . ولما كانت الحواميم كما روى ابو عبيدة في كتاب الفضائل عن ابن عباس لباب القرآن حذف ما ذكر في البقرة من قوله تعالى خلق ليكون ما هنا اشمل فقال تعالى إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ اى ذواتها بما لها من الدلالة على صانعها وخلقهما على ما فيهما من العبر بما فيهما من المنافع وعظيم الصنعة وما لهما من الشرف الدال على تفرد صانعهما من الكواكب وَالْأَرْضِ كذلك وبما حوت من المعادن والمعاش لَآيَاتٍ اى دلالات على وجود الاله القادر المختار فان من المعلوم انه لا بد لكل ذلك من صانع متصف بذلك وقال تعالى لِلْمُؤْمِنِينَ لانهم برسوخهم في هذا الوصف الشريف اهل للنظر لان ربهم يهديهم بايمانهم فشواهد الربوبية لهم منها لائحة وادلة الالهية فيهما واضحة . ولما ذكر سبحانه وتعالى النظر في ايات الافاق اتبعها ايات الانفس بقوله تعالى وَفِي خَلْقِكُمْ اى خلق كل منكم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة الى ان صار انسانا المخالف لخلق الارض التي انتم منها بالاختيار والعقل والانتشار والقدرة على السار والضار وَمَا اى وفي خلق ما يَبُثُّ اى ينشر ويفرق بالحركة الاختيارية على سبيل

قوله ورواه الزمخشري تبعا للبيضاوي للبيان فى الكشاف كما لباب الفقه للسيوطي فيها نسخة مختلف

التجدد والاستمرار من دابة مما لا تعلمون بما في ذلك من مشاركتكم بالاختيار والهداية
للمنافع بادراك الجزئيات ومخالفتكم في الصورة والعقل وادراك الكليات وغير ذلك
من مخالفة الاشكال والطبائع والمنافع وغير ذلك آيات دالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته وقرأ
حمزة والكسائي آيات بكسر التاء حملا على السموات والباقون بالرفع حملا على محل ان واسمها ولما كانت
الآيات لا تنفصل دقوا دل على القدرة والاختيار بما لها من التجدد والاختلاف قال تعالى لقوم
اي فيهم اهلية القيام بما يحاولونه يوقنون اي يتجدد لهم العروج في درجات الايمان
الى ان يصلوا الى شرف الايقان فلا يخالجهم شك في وحدانيته واختلاف الليل والنهار بذهاب
احدهما ومجيء الآخر بعد ذهابه على التعاقب متكررة الدلالة على القدرة على الايجاد بعد
الاعدام بالبعث وغيره وما انزل الله اي الذي تمت عظمته فنفذت كلمته من السماء من رزق
اي مطر وغيره من الاسباب المهيئة لاخراج الرزق فاحيا به اي بسببه الارض اي الصالحة للحياة
ولذلك قال تعالى بعد موتها اي يبسها وتهشيم ما كان فيها من النبات وتصريف اي تحويل الرياح
باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي بالتوحيد والباقون بالجمع وقوله تعالى آيات فيه
القراءتان المتقدمتان اما الرفع فظاهر واما الكسر ففيه وجهان احدهما انها معطوفة
على السموات والخبر قوله وفي خلقكم كانه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة آيات والثاني ان
تكون كررت تاكيدا لآيات الاولى ويكون في خلقكم معطوفا على في السموات كرر معه حرف
الجر توكيدا ونظيره ان تقول ان في بيتك زيدا وفي السوق زيدا فزيد الثاني تاكيد للاول كانك
قلت ان زيدا زيدا في بيتك وفي السوق وليس في هذه عطف على معمولي عاملين البتة ولما
كانت هذه الآية اوضح دلالة من تينها على البعث قال تعالى فيها لقوم يعقلون اي الدليل فيؤمنون
وابدى بعض المفسرين معنى لطيفا فقال ان المنصفين اذا نظروا في السموات والارض وانه لا بد لهما من
صانع آمنوا واذا نظروا في خلق انفسهم ونحوها ازدادوا ايمانا فايقنوا فاذا نظروا في سائر الحوادث عقلوا
واستحكم علمهم ولما ذكر هذه الآيات العظيمات قال تعالى مشيرا الى علو رتبتها باداة البعد تلك
اي الآيات المذكورة آيات الله اي حجج المحيط بصفات الكمال التي لا شيء اجلى منها الدالة على وحدانيته
نتلوها اي نقصها عليك سواء كانت مرئية او مسموعة ملتبسة بالحق اي الامر الثابت
الذي لا يستطاع تحويله ليس بسحر ولا كذب فباي حديث اي خبر عظيم صادق يتجدد علمه بسببه
يستحق ان يحدث به واستحق ان يحدث فقال تعالى بعد الله اي حديث الملك الاعظم وهو القرآن وآياته اي حججه يؤمنون
اي كفار مكة اي لا يؤمنون وقرأ ابن عامر وشعبة والكسائي بتاء الخطاب او التفات الخطاب مصروف الى خطاب النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله تعالى نتلوها عليك بالحق والباقون بياء الغيبة ردا على قوله وفي خلقكم
وهو اقوى تبكيتا ولما بين الآيات للكفار وبين انهم اذا لم يؤمنوا بها بعد ظهورها فباي
حديث بعدها يؤمنون اتبعه بوعيد عظيم لهم فقال تعالى ويل لكل

أفّاك اى مبالغ فى صرف الحق عن وجهه أثيم اى مبالغ فى اكتساب الاثم وهو ان يبقى مصرا
على الانكار والاستكبار قال المفسرون يعنى النضر بن الحرث والآية عامة فمن كان موصوفا
بهذه الصفة وفسر هذا الافاك بقوله تعالى يسمع آيات الله اى دلالات الملك الاعظم الظاهرة حال
كونها تتلى عليه بجميع ما فيها وهى القرآن من سهولة فهمها وعذوبة الفاظها وظهور معانيها
وجلالة مقاصدها مع الاعجاز وهى القرآن العظيم فكيف اذا كان التالى اشرف الخلق وقرأ حمزة
والكسائى بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ثم يصر اى يدوم دواما
عظيما على قبح ما هو فيه حال كونه مستكبرا اى طالبا الكبر عن الاذعان وموجدا له
كأن اى كأنه لم يسمعها اى حاله عند السماع وقبله وبعده عليها سواء فبشره
اى على هذا الفعل الخبيث بعذاب أليم اى مؤلم والبشارة على الاصل او التهكم وقرأ ابن كثير
وحفص اليم بالرفع والباقون بالجر وإذا علم اى بلغه من آياتنا اى القرآن شيئا وعلم انه من
آياتنا اتخذها هزوا اى مهزوءا بها وفى تأنيث الضمير المؤنث وجهان احدهما انه عائد
على آياتنا يعنى القرآن والثانى انه يعود على شيئا وان كان مذكرا لانه بمعنى الآية كقول ابى العتاهية
نفسى بشئ من الدنيا معلقة الله والقائم المهدى يكفيها لانه اراد بشئ جارية يقال لها
عتبة والمعنى اتخذ ذلك الشئ هزوا الا انه تعالى قال اتخذها للاشعار بان هذا الرجل اذا احس بشئ
من الكلام انه من جملة الآيات المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم خاض فى الاستهزاء بجميع
الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بذلك الواحد وقوله تعالى أولئك لهم عذاب مهين اى
ذو اهانة اشارة الى معنى كل افاك اثيم ليدخل فيه جميع الافاكين فحمل اولا على لفظها فافرد
ثم على معناها فجمع كقوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون ثم وصف تعالى كيفية ذلك العذاب
فقال من ورائهم اى امامهم لانهم فى الدنيا جهنم قال الزمخشرى والوراء اسم للجهة التى
يواريها الشخص من خلف او قدام قال امرؤ القيس أليس ورائى ان تراخت منيتى ادب مع الولدان ازحف كالنسر
ومنه قوله تعالى من ورائهم اى من قدامهم اخبر تعالى ان ما ملكوه فى الدنيا لا ينفعهم بقوله
تعالى ولا يغنى اى ولا يدفع عنهم ما كسبوا من الاموال فى رحلهم ومتاجرهم والاولاد شيئا
من الاغناء وقوله تعالى ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اى من الاوثان عطف على ما كسبوا
وما فيهما اما مصدرية او بمعنى الذى اى لا يغنى عنهم كسبهم ولا اتخاذهم او الذى كسبوه ولا الذى
اتخذوه ولهم عذاب عظيم اى لا يدع جهة من جهاتهم ولا زمانا من ازمانهم ولا عضوا من
اعضائهم الا ملأه فان قيل قال تعالى فى الاول مهين وفى الثانى عظيم فما الفرق بينهما اجيب
بان كون العذاب مهينا يدل على حصول العذاب مع الاهانة وكونه عظيما يدل على كونه
بالغا الى اقصى الغايات فى الضرر وقوله تعالى هذا هدى اشارة الى القرآن يدل
عليه قوله تعالى والذين كفروا بآيات ربهم هى القرآن اى هذا القرآن كامل فى الهداية

كما تقول تريد رجل اى كامل في الرجولية وايما رجل لهم عذاب كائن من رجز اى شديد العذاب
اليم بالرفع اى بليغ الايلام. ولما ذكر تعالى ذكر الربوبية ذكر بعض آثارها وما فيها من آياته ع
فقال مستأنفا تنبيها على عظمتها بالاسم الاعظم الله اى الملك الاعلى المحيط بجميع صفات الكمال
الذي سخر اى وحده من غير حول منكم ولا قوة في ذلك بوجه من الوجوه لكم البحر ايها الناس
بركم وفاجركم بما جعل فيه مما لا يقدر عليه الا واحد لا شريك له فاعل بالاختيار من القابلية
للسير فيه من الرقة واللبونة لتجرى الفلك اى السفن فيه بأمره اى باذنه ولو كانت موقرة بالاثقال
الحديد الذي يغوص فيه اخف شيء منه كالابرة وما دونها وفي ذلك دلالة ظاهرة على وحدانيته
لان جريان الفلك على وجه الماء لا يحصل الا بثلاثة اشياء احدها الرياح التي توافق المراد وثانيها
خلق وجه الماء على الملاسة التي تجرى عليها الفلك وثالثها خلق الخشبة على وجه تبقى
طافية على وجه الماء ولا تغرق فيه وهذه الاحوال لا يقدر عليها احد من البشر ولتبتغوا اى تطلبوا
بشهوة نفس واجتهاد بما تحملون فيه من البضائع وتتوصلون اليه من الاماكن والمقاصد بالصيد والغوص
على اللؤلؤ والمرجان وغير ذلك من فضله لم يصنع شيئا منه سواه ولعلكم تشكرون فديمة نعمه
على ذلك وسخر لكم ما في السموات من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك بحيث لا يمكنكم الوصول اليه بوجه
وما في الارض من دابة وشجر ونبات وانهار وغير ذلك ولو شاء لجعله كما في السماء لا وصول لكم اليه وقوله تعالى
جميعا توكيد لما دل عليه معنى ما من العموم وقيل حال من ما في السموات وما في الارض وقوله تعالى
منه حال اى سخرها كائنة منه تعالى لا صنع لاحد غيره في شيء من ذلك قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه
وقال الزجاج كل ذلك تفضل منه واحسان وقال بعض العارفين سخر لك الكل لئلا يسخرك لشيء منها فتكون
مسخرا لمن سخر لك الكل وهو الله تعالى فانه يقبح بالمخدوم ان يخدم خادمه ان في ذلك اى الامر العظيم من
تسخيره لنا كل شيء في الكون لآيات اى دلالات واضحات على انهم في الالتفات الى غيره في ضلال مبين
بعد تسخيره لنا ما لنا من الاعضاء والقوى على هذا الوجه البديع فعلم ان من هذا المسخر لنا ما هو اقوى منا
لقوم اى ناس فيهم اهلية القيام بما يجعل اليهم يتفكرون فيعلمون انه المتوحد باستحقاق الالهية
فلا يشركون به شيئا واختلف في سبب نزول قوله تعالى قل اى يا افضل الخلق للذين آمنوا اى ادعوا
التصديق بكل ما جاءهم عن الله تعالى يغفروا اى يستروا ستراتاما للذين لا يرجون ايام الله
اى مثل وقائع الملك الاعظم المحيط بصفة الكمال فقال ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فارسل
عبد الله بن ابي غلامه ليستقي الماء فابطأ عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على
طرف البئر فما ترك احدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر رضي
الله عنه فقال عبد الله ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ ذلك عمر فاشتمل
سيفه يريد التوجه اليه فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل ان رجلا من بني غفار شتم عمر

بمكة فهم عمر ان يبطش به فانزلت بالعفو والتجاوز وذكر ميمون بن مهران ان فنحاص اليهودي
لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب محمد فسمع ذلك عمر
فاشتمل على سيفه وخرج في طلبه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم اليه فرده وقال القرطبي
والسدي نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا في اذى
كثير من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
ثم نسختها آية القتال قال الرازي وانما قالوا بالنسخ لانه يدخل تحت الغفران ان لا يقتلوا ولا يقاتلوا
فلما امر الله تعالى بالمقاتلة كان نسخا والاقرب ان يقال انه محمول على ترك المنازعة وعلى التجاوز فيما يصدر
عنهم من الكلمات المؤذية وقال ابن عباس لا يرجون ايام الله اي ثوابه ولا يخافون عقابه
ولا يخشون مثل عذاب الامم الماضية وتقدم تفسير بايام الله عند قوله تعالى وذكرهم بايام الله
وقوله تعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما
فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او التنويع والكسب للمغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائي بالنون لنجزي نحن بما لنا من العظمة والباقون بالياء التحتية اي ليجزي الله
سبحانه وتعالى ولما رغب سبحانه وتعالى ورهب وقرر انه لا بد من الجزاء زاد في الترغيب والترهيب
بان النفع والضر لا يعدوهم فقال تعالى شارحا للجزاء من عمل صالحا قل او جل فلنفسه اي خاصة
عمله يرى جزاءه في الدنيا والآخرة وهو مثل ضربه الله تعالى للذين يغفرون ومن اساء كذلك
فعليها خاصة اساءته كذلك وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار الذين كانوا يؤذون الرسول والمؤمنين
وذلك في غاية الظهور لانه لا يسوغ في عقل عاقل ان ملكا يدع عبيده من غير جزاء ولا سيما اذا
كان حكيما وان كانت نقائص النفوس غطت على كثير من التحقق بذلك ثم اي بعد الابتلاء
بالاملاء في الدنيا والحبس في البرزخ الى ربكم اي المدبر لكم المالك لكم لا الى غيره ترجعون اي
تصيرون فيجازي المصلح والمسيء ولقد آتينا اي على ما لنا من العظمة بني اسرائيل الكتاب
اي الجامع للخيرات وهو يعم التوراة والانجيل والزبور وغيرها مما انزل على انبيائهم عليهم السلام والحكم
اي العلم والعمل الثابتين ثبات الاحكام بحيث لا يتطرق اليهما فساد بما للعلم من الزينة بالعمل والعمل
من الاتقان بالعلم والنبوة التي تدرك بها الخيرات العظيمة التي لا يمكن اطلاع الخلق اليها بنوع
اكتساب منهم فاكثرنا فيهم من الانبياء عليهم السلام ورزقناهم بما لنا من العظمة لاقامة ابدانهم من
الطيبات اي الحلالات من المن والسلوى وغيرهما وفضلناهم اي بما لنا من العزة على العالمين
قال اكثر المفسرين على زمانهم وقال ابن عباس لم يكن احد من العالمين اكرم على الله ولا احب اليه منهم
اي لما آتاهم من الآيات المرئية والمسموعة واكثر فيهم من الانبياء مما لم يعطه لغيرهم ممن سبق وكل
ذلك فضيلة ظاهرة وآتيناهم مع ذلك بينات من الامر اي الموحى به الى انبيائهم من الادلة القطعية
والاحكام والمواعظ المؤيدة بالمعجزات ومن صفات الانبياء الآتين بعدهم وغير ذلك مما هو

في غاية الوضوح لمن قضينا بسعادته وذلك امر يقتضي الالفة والاجتماع وقد كانوا متفقين وهم
في زمن الضلال لا يختلفون الا اختلافا يسيرا لا يضر مثله ولا يعد اختلافا فلما جاءهم العلم اختلفوا
كما قال تعالى فَمَا اخْتَلَفُوْا اي اوقعوا الاختلاف والافتراق بغاية جهدهم اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
اي الذي من شانه الجمع على المعلوم فكان ما هو سبب الاجتماع سببا لهم في الافتراق بَغْيًا اي للمجاوزة
في الحد والتي اقتضاها لهم طلب الرياسة والحسد وغيرهما من نقائص النفوس بَيْنَهُمْ اي واقعا فيهم
لم يعدهم الى غيرهم وقد كانوا قبل ذلك وهم تحت ايدي القبط في غاية الاتفاق واجتماع الكلمة
على الرضا بالذل ولذلك استانف قوله تعالى الذي اقتضاه الحال على ما يشاهده العباد من افعال الملوك
فيمن خالف امرهم مؤكدا لاجل انكارهم اِنَّ رَبَّكَ اي المحسن اليك يَقْضِيْ بَيْنَهُمْ اي باحصاء
الاعمال والجزاء عليها يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اي الذي ينكره قومك الذين شرفناهم برسالتك فِيْمَا كَانُوْا
اي لما هو لهم كالجبلة فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ ٥ بغاية الجهد والمعنى انه لا ينبغي للمبطل ان يفرح بنعم الدنيا
فانها وان ساوت نعم المحق او زادت عليها فانه سيرى في الآخرة ما يسوءه وذلك
كالزجر لهم ولما بين تعالى انهم اعرضوا عن الحق بغيا وحسدا امر رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يعدل عن تلك الطريقة وان يتمسك بالحق وان لا يكون له غرض سوى اظهار الحق فقال تعالى ثُمَّ اي
بعد فترة من رسلهم ومجاوزة مراتب كثيرة عالية على رتبة من بعثهم جَعَلْنٰكَ اي بما لنا
من العزة والقدرة رتب كثيرة عالية على رتبة من بعثهم جعلناك اي بما لنا اي بما لنا من العزة والقدرة
عَلٰى شَرِيْعَةٍ اي طريقة واسعة عظيمة ظاهرة مستقيمة موصلة الى المقصود هي جديرة بان يشرع الناس فيها
ويخالطوها مبتدأة مِنَ الْاَمْرِ اي امر الدين الذي هو حياة الارواح كما ان الامر واح حياة الاشباح فَاتَّبِعْهَا
اي اتبع بغاية جهدك شريعتك الثابتة بالحجج وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَاءَ اي ارادات الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ ٥ اي لا علم لهم او لهم
علم لكنهم يعملون عمل من ليس لهم علم اصلا من كفار العرب وغيرهم قال الكلبي ان رؤساء قريش قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ارجع الى دين ابائك فانهم كانوا افضل منك واسن فانزل الله تعالى
هذه الآية ثم علل هذا النهي مهددا بقوله تعالى مؤكدا اِنَّهُمْ وأكد النفي فقال عز من قائل لَنْ يُّغْنُوْا
عَنْكَ اي لا يجدد لهم نوع اغناء مبتدأ مِنَ اللّٰهِ اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما شَيْئًا اي من اغناء اي ان تبعتهم
كما انهم لن يقدروا على شيء من اذى ان خالفتهم وناصبتهم وَاِنَّ الظّٰلِمِيْنَ اي العريقين في هذا الوصف
وهم الكفرة وكان الاصل وانهم ولكنه تعالى اظهر للاعلام بوصفهم بَعْضُهُمْ اَوْلِيَاءُ بَعْضٍ اذ الجنسية علة الانضمام
فلا تتولوهم باتباع اهوائهم وَاللّٰهُ اي الذي له صفات الكمال وَلِيُّ الْمُتَّقِيْنَ ٥ اي الذين همهم الاعظم الاتصاف باتخاذ
الوقايات المنجية لهم من سخط الله تعالى والمعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا واما في الآخرة فلا ولي لهم
ينفعهم في ايصال الثواب وازالة العقاب واما المتقون المهتدون فالله سبحانه وليهم وناصرهم هٰذَا
اي الوحي المنزل وهو القرآن بَصَآئِرُ اي معالم لِلنَّاسِ اي في الحدود والاحكام يبصرون بها ما ينفعهم
وما يضرهم وَهُدًى اي قائد الى كل خير مانع من كل ضير وَّرَحْمَةٌ اي كرامة وفوز ونعمة

لقوم يوقنون اى ناس فيهم قوة القيام بالوصول الى العلم الثابت وتجديد الترقى فى درج
الايمان لانهاية له وقوله تعالى أم حسب منقطعة فتقدر ببل والهمزة او ببل وحدها او بالهمزة
وحدها ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان الذين اجترحوا اى اكتسبوا ومنه الجوارح
وفلان جارحة اهله اى كاسبهم وقال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار السيئات اى الكفر والمعاصى
ان نجعلهم اى بما لنا من العظمة المانعة من الظلم المقتضية للحكمة كالذين آمنوا
وعملوا تصديقا لاقرارهم الصالحات اى بان نتركهم بغير حساب للفصل بين المحسن والمسيء
ولما كانت المساءلة مجملة بينها استئنافا بقوله تعالى سواء اى مستويا استواء عظيما
محياهم ومماتهم اى حياتهم وموتهم وزمان ذلك ومكانه فى الارتفاع والسفول
واللذة والكدر وغير ذلك من الاعيان والمعانى وقرأ حمزة والكسائى وحفص سواء بالنصب
على الحال من الضمير المستتر فى الجار والمجرور وهما كالذين آمنوا ويكون المفعول الثانى للجعل كالذين
آمنوا اى احسبوا ان نجعلهم مثلهم فى حال استواء محياهم ومماتهم ليس الامر كذلك وقرأه
الباقون بالرفع على انه خبر ومحياهم ومماتهم مبتدأ ومعطوف والجملة بدل من الكاف والضمائر
للكفار والمعنى احسبوا ان نجعلهم فى الآخرة فى خير كالمؤمنين اى فى رغد من العيش مساو
لعيشهم فى الدنيا حيث قالوا للمؤمنين لئن بعثنا لنعطى من الخير مثل ما تعطون قال تعالى
على وفق انكاره بالهمزة ساء ما يحكمون اى ليس الامر كذلك فهم فى الآخرة فى العذاب على خلاف
عيشهم فى الدنيا والمؤمنون فى الآخرة فى الثواب باعمالهم الصالحات فى الدنيا من الصلاة والزكوة والصيام
وغير ذلك وما مصدرية اى بئس حكما حكمهم هذا ولما بين تعالى ان المؤمن لا يساويه الكافر فى درجات
السعادة اتبعه بالدلائل الظاهرة على صحة ذلك فقال تعالى وخلق الله اى الذى له جميع اوصاف الكمال
السموات والارض وقوله تعالى بالحق متعلق بخلق وقوله تعالى ولتجزى اى بايسر امر كل نفس
اى منكم ومن غيركم معطوف على بالحق فى المعنى لان كلا منهما سبب فتعطف العلة على مثلها او انه
معطوف على علة محذوف والتقدير خلق هذا العالم لاظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا اذا حصل
البعث والقيامة وحصل التفاوت بين الدرجات والدركات من المحقين والمبطلين بما اى بسبب ما
كسبت من خير او شر وهم اى والحال انهم لا يظلمون اى لا يوجد من موجد ما فى وقت من الاوقات
جزاءهم فى غير موضعه هذا على ما جرت به عوائدكم فى العدل والفضل ولو وقع منه سبحانه وتعالى
غير ذلك لم يكن ظلما منه لانه المالك المطلق الملك الاعظم فلو عذب اهل سمواته واهل ارضه كلهم لكان
غير ظالم فى نفس الامر فهذا الخطاب انما هو على ما يتعارفونه من اقامة الحجة بمخالفة الامر ثم عاد
سبحانه وتعالى الى شرح احوال الكفار وقبائح طرائقهم فقال افرأيت اى اعلمت علما هو فى
تيقنه كالمحسوس بحاسة البصر التى هى اثبت الحواس من اتخذ اى بغاية جهده الهه هواه اى
كما هوى حجرا بعد حجر راه احسن روى عن ابى رجاء العطاردى وهو ثقة ادرك الجاهلية ومات سنة

خمس ومائة عن مائة وعشرين سنة قال كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا احسن منه القيناه واخذنا الآخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب فحلبنا عليها ثم طفنا بها قال الاصفهاني سئل ابن المقفع عن الهوى فقال هوان سرقت نونه فنظمه من قال * نون الهوان من الهوى مسروقة * فاسير كل هوى اسير هوان * وقال آخر ايضا * ان الهوى لهوان بعينه * فاذا هويت فقد لقيت هوانا * ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ﴾ اي بما له من الاحاطة ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منه تعالى اى عالما بانه من اهل الضلالة قبل خلقه ﴿وَخَتَمَ﴾ زيادة على الاضلال الخاص ﴿عَلَىٰ سَمْعِهِ﴾ فلا فهم له فى الآيات المسموعة ﴿وَقَلْبِهِ﴾ اى فهو لا يعى ما من حقه وعيه ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ اى ظلمة فلا يبصر الهدى ويقدر هنا المفعول الثانى لرأيت اى ايهتدى وقرأ حمزة والكسائى بفتح الغين وسكون الشين والباقون بكسر الغين وفتح الشين والف بعد الشين واذا صار بهذه المثابة ﴿فَمَن يَهْدِيهِ﴾ واشار تعالى الى قدرته عليه بقوله سبحانه وتعالى ﴿مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾ اى ان اراد الله اضلاله الذى له الاحاطة بكل شئ اى لا يهتدى ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ اى الم يكن لكم نوع تذكر فتتعظوا وفيه ادغام احدى التاءين فى الذال ﴿وَقَالُوا﴾ اى فى انكارهم البعث مع اعترافهم بانه تعالى قادر على كل شئ ﴿مَا هِيَ﴾ اى الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ اى ايها الناس ﴿الدُّنْيَا﴾ اى هذه التى نحن فيها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ فان قيل الحياة متقدمة على الموت فى الدنيا فمنكر و القيامة كان يجب ان يقولوا نحيا ونموت فما السبب فى تقديم ذكر الموت على الحياة اجيب من وجوه اولها ان المراد بقولهم نموت اى حال كونهم نطفا فى اصلاب الآباء وارحام الامهات وبقولهم ونحيا ما حصل بعد ذلك فى الدنيا ثانيها نموت نحن ونحيا بسبب بقاء اولادنا ثالثها قال الزجاج الواو للاجتماع والمعنى يموت بعض ونحيا بعض رابعها قال الرازى انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال ان هى الا حياتنا الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيا يعنى ان تلك الحياة منها ما يطرأ عليها الموت وذلك فى حق الذين ماتوا ومنها ما لا يطرأ عليه الموت بعد ذلك وهو فى حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد وقال البيضاوى يحتمل انهم ارادوا به التناسخ اى وهو ان روح الشخص اذا خرجت تنتقل الى شخص آخر فيحيا بعد ان لم يكن فانه عقيدة اكثر عبدة الاصنام ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا﴾ اى بعد الحياة ﴿إِلَّا الدَّهْرُ﴾ اى مر الزمان الطويل بغلبته علينا وطول العمر واختلاف الليل والنهار من دهره اذا غلبه ﴿وَمَا﴾ اى قالوه والحال انه ما ﴿لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ اى المقول البعيد من الصواب وهو ان لا حياة بعد هذه وان الاهلاك منسوب الى الدهر على انه مؤثر بنفسه واغرق فى النفى فقال تعالى ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ اى كثير ولا قليل ﴿إِنْ﴾ اى ما ﴿هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ اى بقرينة ان الانسان كلما تقدم فى السن ضعف وانه لم يرجع احد من الموتى هذا الظن الفاسد روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر فانى انا الدهر ارسل الليل والنهار فاذا شئت قبضتهما وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسب احدكم

الدهر فان الدهر هو الله تعالى ولا يقولن للعنب الكرم فان الكرم هو الرجل المسلم ومعنى الحديث ان العرب
كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصائب
والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع الدهر وابادهم الدهر كما اخبر الله تعالى عنهم فاذا اضافوا الى الدهر
ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها فكان يرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور
التي يضيفونها الى الدهر فنهوا عن سبه واذا تتلى اى تتابع بالقراءة من اى تال كان عليهم آياتنا
اى على ما لها من العظمة في نفسها وبالاضافة الينا حال كونها بينات اى في غاية المكنة
في الدلالة على البعث فلا عذر لهم في ردها ما كان اى بوجه من وجوه الكون حجتهم اى قولهم
الذى ساقوه مساق الحجة الا ان قالوا ائتوا بآبائنا اى احياء ان كنتم صادقين اى في انا نبعث
فهو لا يستحق ان يسمى شبهة فسمى حجة بزعمهم او لان من كانت حجته هذه فليست له البتة حجة
كقوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ثم ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بقوله تعالى
قل الله اى المحيط علما وقدرة يحييكم اى حين كنتم نطفا ثم يميتكم اى بان يخرج ارواحكم من اجسادكم
فتكونون كما كنتم قبل الاحياء كما تشاهدون ثم يجمعكم اى بعد التفرق فيعيد فيكم ارواحكم
كما كانت بعد طول مدة الرقاد منتهين الى يوم القيامة اى الحياة لا عظم لكونه عاما لجميع الخلائق لا ريب اى لا شك
بوجه من الوجوه فيه بل هو معلوم علما قطعيا ضروريا ولكن اكثر الناس اى وهم القائلون ما ذكر لا يعلمون
اى لا يتجدد لهم علم لما لهم من النفوس فلم تزل في السفول عن اوج العقل الى حضيض الجهل فهم واقفون
مع المحسوسات لا يلوح لهم ذلك مع ما له من الظهور وقوله تعالى ولله اى الملك الاعظم وحده
ملك السموات اى كلها والارض اى التي ابتدعكم منها تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة
اى توجد وتحقق القائم الذى هو على كمال تمكنه وتمام امره الناهض باعبائه وما يريد ثم كرر للتأكيد والتهويل بدل
قوله تعالى يومئذ اى يوم تقوم يخسرون هكذا كان الاصل ولكنه قال تعالى للتعميم والتعليق بالوصف
يخسر المبطلون اى الداخلون في الباطل الراسخون في الاتصاف به الذين كانوا لا يرضون بقضائنا في تنبيه
الحياة والعقل والصحة كانها راس مال والتصرف فيها لطلب سعادة الاخروية يجرى مجرى تصرف
التاجر في ماله لطلب الربح والكفار قد اتعبوا انفسهم في تصرفاتهم بالكفر والاباطيل فلم يجدوا
في ذلك اليوم الا الحرمان ودخول النار وذلك في الحقيقة نهاية الخسران وترى اى في ذلك
اليوم كل امة اى اهل دين جاثية قعد اى مجتمعة لا يخالطها غيرها وهي مع ذلك باركة
على الركب رعبا واستيفازا لما لعلها تؤمر به جلسة المخاصم بين يدى الحاكم تنتظر القضاء
الحاتم والامر الجازم اللازم لشدة ما يظهر لها من هول ذلك اليوم كل امة من الجاثين
تدعى الى كتابها اى الذى انزل عليها وتعبدها الله تعالى به والذى نسخته الحفظة عليهم
السلام من اعمالها ليطبق احدهما بالآخر فمن وافق كتابه ما امر به من كتابه نجا ومن خالفه
هلك ويقال لهم حالة الدعاء اليوم تجزون اى على وفق الحكمة بايسر امر ما اى عين الذى

كنتم

كنتم بما هو لكم كالجبلات تعملون ه اى مصرين عليه غير راجعين عنه من خير وشر فان قيل
الجثو على الركب انما يليق بالخائف والمؤمنون لا خوف عليهم يوم القيامة اجيب بان المحق الآمن
يشارك المبطل فى مثل هذه الحالة الى ان يظهر كونه محقا هذا كتابنا اى الذى انزلناه على
السنة رسلنا عليهم الصلوة والسلام ينطق اى يشهد شهادة هى فى بيانها كالنطق عليكم بالحق
اى الامر الثابت الذى يطابقه الواقع من اعمالكم وذلك بان يقول من عمل كذا فهو عاص
ومن عمل كذا فهو مطيع فينطبق ذلك على ما عملتموه سواء بسواء من غير زيادة ولا نقصان
وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ ولما كانت العادة جارية فى الدنيا باقامة الحقوق بكتابة
الوثائق وكانوا كانهم يقولون ومن يحفظ اعمالنا على كثرتها مع طول المدة وبعد الزمان قال تعالى
مجيبا بما يقرب الى العقل من يسأل عن ذلك انا اى على ما لنا من العظمة المغنية عن الكتابة
كنا على الدوام نستنسخ ما كنتم طبعا لكم وخلقا تعملون ه قولا وفعلا ونية اى نامر الملائكة
عليهم السلام بكتبها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ اى نأخذ نسخه وذلك ان الملكين يرفعان
عمل الانسان فيثبت الله تعالى منه ما كان له من ثواب او عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم
واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من اعمال بنى آدم والاستنساخ لا يكون
الا من اصل كما ينسخ من كتاب وقال الضحاك نستنسخ اى نثبت وقال السدى نكتب وقال الحسن نحفظ
ثم بين تعالى احوال المطيعين بقوله تعالى فاما الذين آمنوا اى من الامم الجاثية وعملوا اى تصديقا لدعواهم
الايمان الصالحات اى الطاعات فوصفهم بالعمل الصالح بعد وصفهم بالايمان يدل على ان العمل
الصالح مغاير للايمان زائد عليه فيدخلهم اى فى ذلك اليوم ربهم اى المحسن اليهم بالتوفيق
بالايمان فى رحمته التى من جملتها الجنة والنظر الى وجهه الكريم الذى هو الغاية القصوى وتقول
لهم الملائكة تشريفا سلام عليكم ايها المؤمنون ودل على عظمة الرحمة بقوله تعالى ذلك اى الاحسان
العالى المنزلة هو اى لا غيره الفوز المبين ه اى الظاهر الذى لا يخفى على احد شئ من امره لانه لا يشوبه
كدر اصلا ولا نقص بخلاف ما كان من اسبابه فى الدنيا فانها مع كونها كانت فوزا كانت خفية جدا
على غير الموقنين ثم بين تعالى احوال الفريق الآخر بقوله تعالى واما الذين كفروا اى ستروا ما امر الله تعالى
به افلم اى فيقال لهم الم تكن تأتيكم رسلى فلم تكن آياتى على ما لها من عظمة اضافتها الى
واعظمها القرآن تتلى اى تواصل قراءتها من اى تال كان فكيف اذا كانت بواسطة الرسل تلاوة
مستعلية عليكم لا تقدرون على دفع شئ منها تنبيه حذف القول المعطوف عليه كما تقدم
اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم اى فتسبب عن تلاوتها التى من شانها ايراث
الخشوع والاخبات والخضوع ان طلبتم الكبر لانفسكم او وجدتموه على رسلى وآياتى وكنتم
قوما اى ذوى قيام وقدرة على ما قصدتموه مجرمين ه اى عريقين فى قطع ما يستحق الوصل وذلك
هو الخسران المبين واذا اى وكنتم اذا قيل اى من اى قائل كان ولو على سبيل

التاكيد ان وعد الله اى الذى كل احد يعلم انه محيط بصفات الكمال حق اى ثابت لا محيد عنه مطابق
للواقع من البعث وغيره لان اقل الملوك لا يرضى بان يخلف وعده فكيف به سبحانه وتعالى تكيف اذا
كان الاخلاف فيه مناقضا للحكم وقرأ والساعة حمزة بالنصب عطفا على وعد الله والباقون برفعها
وفيه ثلاثة اوجه احدها الابتداء وما بعدها من الجملة المنفية وهو قوله تعالى لا ريب اى
لا شك فيها خبرها ثانيها العطف على محل اسم ان لانه قبل دخولها مرفوع بالابتداء ثالثها
انه عطف على محل ان واسمها معا لان بعضهم كالفارسي والزمخشري يرون ان لان واسمها موضعا
وهو الرفع بالابتداء قلتم اى راضين لانفسكم بحضيض الجهل ما ندرى اى الآن دراية علم ولو
بذلنا جهدنا فى محاولة الوصول اليه ما الساعة اى لا نعرف حقيقتها فضلا عما تخبروننا به من
احوالها * تنبيه * الساعة هنا مرفوعة باتفاق ان اى ما نظن اى نعتقد ما تخبروننا به عنها الا
ظنا واما وصوله الى درجة العلم فلا وما نحن واكد بالنفى فقالوا بمستيقنين اى بموجود عندنا
اليقين فى امرها قال الرازى القوم كانوا فى هذه المسألة على قولين منهم من كان قاطعا بنفى
البعث والقيامة وهم المذكورون فى قوله تعالى وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا ومنهم من كان
شاكا متحيرا فيه لانهم لكثرة ما سمعوه من الرسل عليهم السلام ولكثرة ما سمعوه من دلائل
القول بصحته صاروا شاكين فيه وهم المذكورون فى هذه الآية ويدل على ذلك انه حكى تعالى
مذهب اولئك القاطعين ثم اتبعه بحكاية قول هؤلاء فوجب كون هؤلاء مغايرين للفريق
الاول * ولما وصلوا الى حد عظيم من العناد التفت الى اساليب الغيبة اعراضا عنهم ايذانا بشدة
عليهم فقال تعالى وبدا اى ظهر ظهورا لم يقولوا ذلك الى ان يرون لهم الساعة بما فيها من الاوجال
والزلازل والاهوال وظهر لهم غاية الظهور سيئات ما عملوا فى الدنيا فتمثلت لهم وعرفوا مقدار جزائها
واطلعوا على جميع ما يلزم على ذلك وحاق اى احاط بهم على حال القهر والغلبة قال ابو حيان
ولا يستعمل الا فى المكروه ما كانوا اى جبلة وطبعا به يستهزؤن اى يوجدون الهزء به على غاية
الشهوة واللذة ايجاد من هو طالب لذلك وهذا كالدليل على ان هذه الفرقة لما قالوا ان نظن
الا ظنا انما ذكروه استهزاء وسخرية فيكون هذا الفريق اشر من الفريق الاول لان الاولين كانوا
منكرين وما كانوا مستهزئين وهؤلاء ضموا الى الاصرار على الانكار الاستهزاء وقرأ حمزة فى الوقف بتسهيل
الهمزة بعد الزاى كالواو وله ايضا ابدالها ياء ونقل عنه ايضا غير ذلك وقيل اى لهم على اعظم الاحوال
واشدها قولا لا معقب له فكانه بلسان كل قائل اليوم ننسيكم اى نترككم فى العذاب
كما نسيتم لقاء يومكم هذا اى كما تركتم الايمان والعمل للقائه وقيل نجعلكم بمنزلة الشئ المنسى
غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم هذا ولم تلتفتوا اليه ومأواكم النار ليس لكم براح
عنها وما لكم من ناصرين بنقذ ونكم من ذلك بشفاعة ولا مقاهرة فجمع الله تعالى عليهم من
وجوه العذاب ثلاثة اشياء قطع الرحمة عنهم وتصيير مأواهم النار وعدم الانصار لهم انهوا

بثلاثة انواع من الاعمال القبيحة وهي الاصرار على انكار الدين الحق والاستهزاء به والسخرية والاستغراق في حب الدنيا وهو المراد بقوله تعالى ذلكم اى العذاب العظيم بانكم اتخذتم اى بتكليف منكم لانفسكم ايت الله اى الملك الاعظم هزوًا اى استهزاء بها ولم تتفكروا فيها وقرأ اتخذتم ابن كثير وحفص باظهار الذال عند التاء والباقون بالادغام وغرتكم الحيوة الدنيا اى الدنية لضعف عقولكم فاثرتموها لكونها حاضرة وانتم كلابها فقلتم لاحياة غيرها ولا بعث ولا حساب ولو تعقلتم وصقلتم لها لادّاكم الى الاقرار بالاخرة فاليوم اى بعد ابلائهم فيها لا يخرجون منها اى النار لان الله تعالى لا يخرجهم ولا يقدر غيره على ذلك وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء التحتية وضم الراء والباقون بضم الياء وفتح الراء ولا هم يستعتبون اى لا يطلب من طرف ما منهم الاعتاب وهو الاعتذار لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة ولما تم الكلام في المباحث الروحانية ختم السورة بتحميد الله تعالى فقال عز من قائل فلله اى الذي له الامر كله الحمد اى الاحاطة بجميع صفات الكمال رب السموت اى ذوات العلو والاتساع والبركات ورب الارض اى ذات القبول الواردات رب العلمين اى خالق ما ذكر اذ الكل نعمة منه دال على كمال قدرته فاحمدوا لله الذي هو خالق السموات والارضين وخالق كل العالمين من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه توجب الحمد والثناء على كل من المخلوقين والمربوبين ولما افاد ذلك غناه الغنى المطلق وسيادته وانه لا كفء له عطف عليه بعض اللوازم لذلك تنبيها على مزيد الاعتناء به لدفع ما يتوهمونه من ادعاء الشركة التي لا يرضونها لانفسهم فقال تعالى وله اى وحده الكبرياء اى الكبر الاعظم الذي لا نهاية له في السموت كلها والارض جميعا اللتين فيهما ايات للموقنين روى عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ادخلته النار وفي رواية عذبته وفي رواية قصمته وهو وحده العزيز الحكيم الذي يضع الاشياء في مواضعها ولا يضع شيئا الا كذلك فاحكما امره ونهيه وجميع شرعه وحكم نظم هذا القرآن جملا وايات وفواصل وغايات لعدل من حرر معانيه وتنزيله قصا رمعجزا في نظمه ومعناه وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة حم الجاثية ستر الله عوراته وسكن روعته يوم الحساب حديث موضوع